

ويدان علي الجارم

علي الجارم

ديوان علي الجارم

ديوان علي الجارم

تأليف
علي الجارم



ديوان علي الجارم

علي الجارم

رقم إيداع ٢٠١٣/٣٨٦٠

تدمك: ٤ ٢٤٨ ٧١٩ ٩٧٧ ٩٧٨

كلمات عربية للترجمة والنشر

جميع الحقوق محفوظة للناسر كلمات عربية للترجمة والنشر
(شركة ذات مسئولية محدودة)

إن كلمات عربية للترجمة والنشر غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره
وإنما يعبر الكتاب عن آراء مؤلفه
ص.ب. ٥٠، مدينة نصر ١١٧٦٨، القاهرة
جمهورية مصر العربية

تليفون: ٢٠٢ ٢٢٧٠٦٣٥٢ + فاكس: ٢٠٢ ٢٢٧٠٦٣٥١ +

البريد الإلكتروني: kalimat@kalimat.org

الموقع الإلكتروني: <http://www.kalimat.org>

الغلاف: تصميم سحر عبد الوهاب.

جميع الحقوق الخاصة بصورة وتصميم الغلاف محفوظة لشركة كلمات عربية
لترجمة والنشر. جميع الحقوق الأخرى ذات الصلة بهذا العمل خاضعة للملكية
العامة.

Cover Artwork and Design Copyright © 2013 Kalimat Arabia.

All other rights related to this work are in the public domain.

المحتويات

١١	الجزء الأول
١٣	مُقدمة المؤلف
١٩	أبو الزهراء
٢٣	مصر
٣١	يَوْمُ السَّلَام
٣٧	رثاء سَعْد
٤٧	إبراهيم بطل الشرق
٥١	الحُبُّ والحَرْبُ
٥٥	رشيد
٦١	أبو الأشبال ...
٦٣	الأعمى
٧١	رثاء إسماعيل صبري باشا
٧٧	الفخر
٧٩	اللغة العربية وَدَارُ الْعُلُومِ
٨٧	ضِحْكُ الْقَدَرِ
٨٩	الجامعة المصرية
٩٣	العروبة
٩٩	أَفُولُ نَجْمَيْنِ
١٠٣	من شاعرٍ إلى شاعرٍ
١٠٧	تَحِيَّةُ الْإِيَابِ

١١١	العِيدُ المَيَّوِيّ لوزارة المعارف
١١٩	كُلُّ بَيْتٍ فِيهِ سَعْدٌ مَائِلٌ
١٢٣	وَصِيَّةٌ
١٢٥	ذِكْرِي قَاسِمٍ أَمِينٍ
١٣١	دَارُ الْعُلُومِ
١٣٩	مَوْلِدُ الْفَارُوقِ
١٤٣	قُبْعَةٌ بَعْدَ عِمَامَةٍ
١٤٥	رِثَاءُ زَعِيمٍ
١٥٣	التَّاجِيَّةُ الْكُبْرَى
١٦١	السُّودَانِ
١٦٧	إِلَى الْأَسْتَاذِ أَحْمَدَ لَطْفِي السَّيِّدِ بَاشَا
١٦٩	العَاشِقُ الْغَضْبَانِ
١٧١	عِيدُ الْجُلُوسِ الْمَلَكِيِّ
١٧٧	دَمْعَةٌ عَلَى صَدِيقٍ
١٨٣	الدَّعْوَةُ إِلَى الْوِثَامِ
١٨٧	إِلَى مَجْلَةِ الْهَلَالِ
١٨٩	تَهْنِئَةُ الْفَارُوقِ بِعِيدِ الْفِطْرِ
١٩٩	أَعْلَامُ الْمَجْمَعِ
٢٠٥	بَغْدَادُ
٢١٣	صَوْمَانِ
٢١٥	الرِّقَافُ الْمَلَكِيّ
٢٢٣	جُرْحٌ لَمْ يَنْدِمِلْ
٢٢٩	تَحِيَّةُ دَارِ الْإِذَاعَةِ
٢٣٥	نَقِيبِ
٢٣٧	وفاء صديق
٢٤١	رَشِيدُ تَحِيَّيِ الْفَارُوقِ
٢٤٧	إِلَى رُوحِ دَاوُدَ بَرَكَاتِ
٢٥٣	لِبْنَانِ الثَّائِرِ

٢٥٩	ذِكْرَى الْغَرْبِ
٢٦٣	شروق كوكب
٢٦٥	مصر تعزي العراق
٢٧١	صدى أنات حائرة
٢٧٥	غزل شاعرين
٢٧٩	صبحُ باسم
٢٨٥	يَوْمٌ عَبُوسٌ
٢٨٧	صَيْفٌ كَرِيمٌ
٢٩١	نصل الموت
٢٩٣	أفراح مصر
٢٩٩	الْحَرْبُ
٣٠٥	يا أبا الأُمَّة
٣٠٧	مِلَادُ الأَمِيرَةِ فِرْيَال
٣١٥	ضَنُّ الشَّعْرِ بِالْمَدِيحِ (عام ١٩٤٥م)
٣١٧	نشيد التاج
٣١٩	تقريظ
٣٢١	تَحِيَّةُ الشُّعْرِ لِلأَمِيرَةِ
٣٢٥	إلى جريدة
٣٢٧	نشيد المعلمين
٣٣١	الإِسْكَندَرِيَّة
٣٣٧	الجزء الثاني
٣٣٩	تقديم
٣٤١	محمد رسول الله
٣٤٧	فلسطين
٣٥٣	رثاء شوقي
٣٦١	إسماعيل العظيم
٣٦٧	الحُب
٣٧١	مصيف رشيد

٣٧٧	زِيَارَة ملك
٣٧٩	الشَّريِدُ
٣٨٥	قبرِ حفني
٣٩١	قبلة
٣٩٣	اللغة العربية
٤٠٣	حَنِينُ طَائِرٍ
٤٠٧	عِيدُ جُلُوسِ الْمَلِكِ فؤاد
٤١٥	الجامعة العربية
٤٢١	خلود
٤٢٩	الشباب
٤٣٣	في الزيارة الملكية
٤٣٧	المجمعُ اللُّغَوِيُّ
٤٤٥	مصرُ الوالِهةِ
٤٥٣	إلى الأَسْتَاذِ الإمام
٤٥٧	رِثَاءُ الزَّهَّاءِوي
٤٦٥	افتتاحُ الإذاعة
٤٦٩	مِيلَادُ الْفَارُوقِ
٤٧٥	الشَّيْخُ الْغَزَلِ
٤٧٧	رِثَاءُ محمود فهمي النقراشي باشا
٤٨٥	الرِّفَافُ الْمَلِكِي
٤٩٥	تمثُّالُ سَعْد
٥٠١	الدكتور علي إبراهيم باشا
٥٠٧	ليلة وليلى
٥١١	عِيدُ جُلُوسِ الْفَارُوقِ في السُّودَانِ
٥١٧	رِثَاءُ أَمِين
٥٢٣	وزارة سَعْد
٥٢٧	إلى نادي المعلمين
٥٢٩	تهنئةُ المَلِكِ بالعيد (فاروق الأول)

٥٣٥	عبد العزيز جاويش
٥٣٩	الصلح بين القبائل
٥٤٣	ثَقِيل!!
٥٤٥	ذكرى الزفاف الملكيِّ
٥٤٩	رثاء عَاطِف
٥٥٥	عيدُ دارِ الإذاعة
٥٥٩	تكريم
٥٦٣	من أخبرَ الجمل؟!
٥٦٥	هجاء ...
٥٦٧	رثاء أنطون الجميل باشا
٥٧٣	لبنان
٥٨١	برنادوت
٥٨٣	الملك
٥٨٧	فارس الصحافة
٥٨٩	إلى علي إبراهيم باشا
٥٩١	الوباء
٥٩٥	رضا اليأس
٥٩٧	عيد الأعياد
٦٠١	صديقُ عدو وعدو صديق
٦٠٣	الوَطَنُ
٦٠٧	نجيب مِثري
٦٠٩	تغريد
٦١١	ذكرى وتاريخ
٦١٥	مصطفى النحاس باشا
٦٢٥	دُرَّةُ التاج
٦٢٩	تَهْنِئَةُ صَدِيق
٦٣٣	بهجة الأفراح
٦٣٥	دُعَايَة

٦٣٩	إلى أنطون الجميل
٦٤١	الفيوم
٦٤٣	جورجي زيدان
٦٤٥	باريس
٦٥١	مُعاهدة ١٩٣٦

الجزء الأول

مقدمة المؤلف

بقلم علي الجارم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة على جميع رسله وأنبيائه، وبعد فإنني لا أريد أن أسهب في الكلام على معنى الشعر وخصائصه. ومبعث الروحانية فيه؛ ذلك لأن هذا المبحث طرقة الباحثون كثيراً فأخفقوا. وأطالوا فيه فكانت إطالتهم أول دليل على العيِّ والحصر، ومن العيِّ إطالة الكلام، وتكرار تاء التمتام.

أرادوا أن يحدّوا روحانيته بالألفاظ. فعجزت الألف، وضلت الباء، وكيف يحيط المحدود بغير المحدود؟ وكيف تكشف ظلمة المادة توهج النور؟

إن شرح آثار الإحساس الجسمي من أبعد الأمور تأتياً، وأدخلها في باب الاستحالة. أرايت لو أنك ذقت سكرًا أو ملحًا، ثم سألك سائلٌ متعنتٌ أن تشرح له طعم السكر أو الملح، أكنت مستطيعًا؟ أرايت لو شممت وردًا أو نرجسًا، ثم بدهك إنسان يفقد حاسة الشم أن تبين له في وضوح ودقة ذلك الأثر الذي شعرت به. أكنت قادرًا على أن تجد له اللفظ إن وجدت المعنى؟

فإذا كان هذا الشأن. وتلك الحال في إحساس الأجسام، فكيف في إحساس العقول؟ وإذا كانت الألفاظ عاجزة عن وصف أثر المادة الجامدة في الأجسام، فكيف تكون إذا همت بوصف أثر الروح النورانية في النفوس والأرواح؟

حاول عبد القاهر الجرجاني في كتابيه «أسرار البلاغة» و«دلائل الإعجاز»، أن يشرح ما بهر نفسه من ضروب البلاغة في بعض ما ساق من الشواهد فأخفق وأخفق، وطالما نظرتُ مبتسماً إليه وهو يكد ويكدح، ويعلو ويسفل، ويحاول الوصول إلى مواطن السحر فلا يستطيع، ويلتمس اللفظ لشرح ما يجول بنفسه فلا يوفق، والغيط ينفخ أوداجه، والألم تسمعه في نبرات لفظه. يرسل الصيحة إثر الصيحة، كأنما يدعو إلى اصطياذ ظبي نافر، أو إلى التوثب إلى أجنحة طائر، ثم هو بعد طول الصياح وشدة الإلحاح لم يعمل شيئاً، ولم يترك في كف القارئ شيئاً!

إنك تهتئز للبحثري، وتطرب له، ولكنك لا تستطيع أن تفرض خاتم سحره، ولا أن تنقل إلى نفس غيرك صدى جرسه في نفسك حين يقول في الفتحة بن خاقان:

ولما حَصَرْنَا سَاحَةَ الْإِذْنِ أُخِّرَتْ	رجالٌ عن الباب الذي أنا داخلُه
فَأَفْضَيْتُ مَنْ قَرَّبَ إِلَى ذِي مَهَابَةٍ	أقابل بدر التَّمَّ حين أُقابله
فَسَلِمْتُ فَاعْتَاقَتْ جَنَانِي هَيْبَةٌ	تُنَازِعُنِي الْقَوْلَ الذي أنا قائلُه

السحر في اختيار النظم، وفي إبداع التصوير، وفي وضع الكلمة في موضعها، وفي الجرس والنغم، ولكن أين السبيل إلى إبانة ذلك؟

قف أمام صورة بديعة لمصور ماهر، وكن ممن يفهمون سرَّ الفن، ومعنى الألوان وامتزاجها وتشاكلها، ثم اشرح لصديق آيات النبوغ فيها، فإن فعلت — ولن تفعل — فتجراً على إفشاء سر البيان، وتصوير الخيال.

والناس يلهجون قديماً بقول عروة بن أذينة:

إِنَّ الَّتِي زَعَمْتَ فُؤَادَكَ مَلَّهَا	خُلِقْتَ هَوَاكَ كَمَا خُلِقْتَ هَوَى لَهَا
بِيضَاءُ بَاكَرِهَا النَّعِيمِ فِصَاغَهَا	بِلِبَاقَةٍ فَأَدَقَّهَا وَأَجَلَّهَا
مَنْعَتْ تَحِيَّتَهَا فَقُلْتُ لِصَاحِبِي:	مَا كَانَ أَكْثَرَهَا لَنَا وَأَقَلَّهَا!
فَدَنَا وَقَالَ: لَعَلَّهَا مَعْدُورَةٌ	فِي بَعْضِ رِقَبَتِهَا فَقُلْتُ: لَعَلَّهَا

ويقولون: إن أبا السائب المخزومي نزل بعروة بن عبيد الله، فقال له: ألك حاجة؟ قال نعم، أبيات لعروة بن أذينة، بلغني أنك سمعته ينشدها، فأنشده الأبيات، فلما بلغ قوله:

فدنا وقال: لعلها معذورةٌ في بعض رِقَبَتِها فقلتُ: لعلها

طرب وقال: هذا والله الدائم الصبابة، الصادق العهد، لا الذي يقول:

إن كان أهلكَ يَمْنَعُوكَ رَغْبَةً عني، فأهلي بي أضنُّ وأرغبُ

لقد عدا هذا الأعرابي طوره! وإنني لأرجو أن يُغفر لصاحب هذه الأبيات لحسن الظن بها، وطلب العذر لها، ثم عرض عروة الطعام فقال: لا والله، ما كنت لأخلط بهذه الأبيات طعاماً حتى الليل!

إن الأديب وحده هو الذي يفهم الشعور الذي ملك على المخزومي نواحي نفسه، واللذة الفنية التي لم يرد أن يفسدها بطعام طول يومه.

ثم انظر إلى قول سعد بن ناشب وكان من مردة العرب، وشياطين الإنس، تجد فخامة وجزالة وبطولة لا يصورها إلا الشعر، ولا يدركها إلا ذوق الشاعر:

إذا همَّ ألقى بين عَيْنَيْهِ عَزَمَهُ ونكَّبَ عن ذِكرِ العَوَاقِبِ جَانِبَا
ولم يَسْتَشِرْ فِي رَأْيِهِ غَيْرَ نَفْسِهِ ولم يَرْضَ إِلَّا قَائِمَ السِّيفِ صَاحِبَا

ومن التصوير الرائع الذي يملك الجنان، ويعقل اللسان قول أبي نواس:

ركبُ تساقوا على الأكوار بينهم كأس الكرى فانتشَى المسقي والسَّاقِي
كأنَّ رؤسهم والنوم واضعها على المناكب لم تُخلق بأعناق
ساروا فلم يقطعوا عقداً لراحلة حتَّى أناخو إليكم بعد أشواق
من كلِّ جائلة الطرفين ناجية مشتاقه حملت أوصال مُشتاق

قالوا: إن محمد بن زياد الأعرابي كان يطعن على أبي نواس، ويعيب شعره. ويضعفه ويستلينه، فجمعه مع رواة شعر أبي نواس مجلس، فأنشده أحدهم الأبيات

السابقة، فقال: لمن هذه الأبيات؟ وكتبها، فقال: للذي تدمه وتعيب شعره أبي علي الحكمي، قال: اكتم عليّ، فوالله لا أعود لذلك أبداً.
وإذا أردت لهو أبي نواس وعبئه الذي يبعث في النفس إعجاباً يروغ من التصوير، ونشوة تفر من الوصف والتعبير، فاستمع إليه حين يقول:

غَنَّنَا بِالطُّلُولِ كَيْفَ بَلِينَا	وَاسْقِنَا نُعْطِكَ الثَّنَاءَ الثَّمِينَا
مَنْ سُلَافَ كَأَنَّهَا كُلُّ شَيْءٍ	يَتَمَنَّى مَخِيرٌ أَنْ يَكُونَا
فَإِذَا مَا اجْتَلَيْنَهَا فَهَبَاءٌ	يَمْنَعُ الْكَفَّ مَا يُبِيحُ الْعُيُونَا
ثُمَّ شُجَّتْ فَاسْتَضَحَّكَتْ عَنْ لَّالٍ	لَوْ تَجَمَّعْنَ فِي يَدٍ لَاقْتُنِينَا
فِي كَوْوَسٍ كَأَنَّهُنَّ نَجُومٌ	دَائِرَاتٌ، بُرُوجُهَا أَيْدِينَا
طَالَعَاتٌ مَعَ السُّقَاةِ عَلَيْنَا	فَإِذَا مَا عَرَبْنَ يَغْرُبْنَ فِينَا

هذا فن يدركه الذوق، ولا يشرِّح تشريح الجثث.
ومن الأبيات التي يروعك جمالها، ويهتز وجدانك لتأثيرها، ويبهر نفسك تصويرها، قول الشريف الرضي:

وَلَقَدْ مَرَرْتُ عَلَى دِيَارِهِمْ	وَطُلُّوْهَا بَيْدَ الْبَلَى نَهَبُ
فَتَلَفَّتْ عَيْنِي فَمَذْخِفَتِ	عَنِّي الطُّلُولُ تَلَفَّتْ الْقَلْبُ

ولو أردنا أن نقول في لطف جمال الشعر وروحانيته، وعجز الألفاظ عن الإحاطة بسرّه، وإماطة اللثام عن مكنون سحره، لطال حبل الكلام، وحاد القلم عن الجادة، ولكننا نستطيع أن نقول في جملة قصيرة: إن جمال الشعر في نظمه وجرسه ورنينه، وفي انتفاء ألفاظه وتجانسها. وفي ترتيب هذه الألفاظ ترتيباً يبرز المعنى في أروع صورة وأبدعها، وفي اختيار الأسلوب الذي يليق بالمعنى ويلبّق به. فمرة يكون إخباراً، ومرة يكون استفهاماً، ومرة يكون استنكاراً، ومرة يكون نفياً، ومرة يكون تعجباً. كل ذلك يكون مع المحافظة على الأسلوب العربي الصميم.

ثم في المعاني وابتكارها أو توليدها من القديم في صورة جديدة رائعة. ثم في الخيال وحسن تصويره والتزام الذوق العربي فيه. ثم في إحكام القافية والتمهيد إليها، ثم في انتقاء البحر الذي يلائم موضوع القصيد، ثم في التنقل في القصيدة في فنون شتى من

القول مع المحافظة على الوحدة الشعرية، ثم في روح الشاعر وخفة ظله، وانسياقه مع الطبع. وتعمده لمس مواطن الشعور.

ولا يكون جمال الشعر دائماً بالمجاز والتشبيه وضروب التزييق اللفظي. وإنما جماله في استعداده للنفاذ إلى النفس، والوصول إلى القلب على أي صورة كان. وفي أي ثوب يكون، ولأمر ما كان لبعض الشعر الجاهلي منزلته التي لا تسامى. ومحل الذي لا ينازع. ولأمر ما هوى الشعر صريعاً يلهث حينما أثقله المتأخرون بنفائس الحلي وأنواع الحلل.

وقد يخلط من لا بصر له بالشعر بين تأثير الحال التي قيل فيها الشعر وتأثير الشعر نفسه، وكثيراً ما نال الشاعر تصفيق الجماهير واستحسانهم؛ لأنه يتجه إلى عاطفة فيهم سريعة الالتهاب سهلة الإثارة، وكثيراً ما يلجأ بعض الشعراء في موضوع بعيد عن عاطفة العامة إلى الاستطراد إلى ذكر ما يثير نفوسهم استجداءً لصيحات الاستحسان وطلب الإعادة.

هذا دجل أدبيّ نعوذ بالله منه، وهذا إفساد للفن ممن يريدون الالتصاق بالفن. شأن هؤلاء شأن صغار المصورين الذين يعمدون إلى دريهمات العامة بالإكثار من الألوان الزاهية البراقة، وإن ضاع الانسجام، وقتل الفن الرفيع قتلاً.

وربما كان الشعر أعصى الفنون على التعلم، وأبعدها من أن ينال بالدرس والتدريب، إنما هو شعاع يضعه الله في قلب من يشاء، وهبة يمنحها لمن يشاء، وحاسة معنوية يزيدها في خلق نفر من عباده يحسون بها ما لا يحسه كثير من الناس، فيترجمونه بياناً ساحراً، وقولاً مبيناً.

والشعر طريق معبدة بين عالم الأجسام وعالم الأرواح، ينقل إلى المادة الفانية نفحات الروح الخالدة، ويرسل إلى ظلمات الحياة نوراً قدسياً، يبدد غيوم الغموم، ويكشف السبيل للأمل الحائر.

فليس الشعر الوزن وحده، ولا القافية وحدها، ولا الكلمات التي تملأ فراغ التفاعيل، وإن عذبت ولطفت، وإنما الشعر ما وراء كل بيت من ضوء روحانيّ وجد له بين ألفاظه منفذاً، ومن سحر سماويّ زحزح البيت دونه طرف الستار.

وشأن الشعر شأن الفنون كلها، إما أن يكون فناً، وإما ألا يكون، وإما أن يكون شعراً، وإما ألا يكون، فليس فيه كبقية منتجات العقول جيد ومتوسط ورديء. فهو إما أن يكون جيداً، وإما ألا يكون شعراً، نعم إن الجودة متفاوتة، ولكنها إذا نزلت إلى حد

التوسط فقد الشعر مميزاتة، وسلب مقوماته، وأصبح كلامًا، كما يجرد القائد المذنب من رتبه وألقابه فيصبح جنديًا.

والكلام في الشعر يطول، وبحور الشعر فياحة النواحي، بعيدة الغور، ولكنني أريد هنا أن أقدم للأدباء وجمهرة المثقفين مجموعة أشعاري، بعد أن أرجأت طويلاً نشرها، وأهملت كثيرًا في جمعها، وبعد أن ألحَّ علي كثير من أصدقائي في إبرازها لتتال حظها في سوق الأدب.

فإذا استطاعت هذه الأشعار أن تزيد في بناء العربية صفًا، أو أن تضيف إلى آياتها البينات حرفًا. أو أن تذيع من مسكّي معانيها شذًا طيبًا وعرَفًا، فقد بلغت المنى، وحمدت السرى، ونلت التوفيق كله، وسكنت نفسي أن قدمت بين يدي عملاً أشعر أن فيه أداءً لحق لغتي وأمتي، وأن فيه غذاءً صالحًا للناشئة المصرية الكريمة التي بذلت حياتي، وأبذل ما بقي منها في تثقيفها، وإنهاضها إلى الأوج الذي تريد وأريد.

أبو الزهراء

في ذكرى المولد النبوي الكريم جادت قريحة الشاعر بهذه القصيدة العصماء عام ١٩٤٨م.

وَفُجِّرَ مِنْ صَخْرِ التَّنُوفَةِ مَاءٌ^١
تَوَلَّى، وَرَاحَ الْجَهْلُ وَالْجَهْلَاءُ
وَلَمْ يَرْتَفَعْ إِلَّا إِلَيْهِ دُعَاءُ
فَلِلْأَرْضِ إِشْرَاقُ بِهِ وَزُهَاءُ
عَلَيْهَا مِنَ الدِّينِ الْجَدِيدِ رُؤَا^٢
وَضِيءُ الْمَحْيَا مَا حَوَّتْهُ سَمَاءُ
وَفِي كُلِّ أَجْوَاءِ الْعُقُولِ فَضَاءُ
فَزَالَ عَمَى مِنْ حَوْلِهِ وَعَمَاءُ
عَلَيْهِمْ زَمَانٌ وَالْأَمَامُ وَرَاءُ
فَأَظْهَرَ مَا تَجَلَّوْا الْعُيُونُ خَفَاءُ
وَأَقْنَعَهُمْ إِبْلُ لَهُمْ وَخُدَاءُ^٣
وَكُلُّ بَكِيمٍ لِلْبَكِيمِ كِفَاءُ
وَهُمْ فِي بَوَادِي أَرْضِهِمْ سُجْنَاءُ
جَحِيمًا، وَكَبُرَ أَجُوفُ وَغَبَاءُ
وَسَادَاتِهِمْ مِنْ أَجْلِهَا قُتْلَاءُ

أَطَلَّتْ عَلَى سُحْبِ الظَّلَامِ ذُكَاءُ
وُخْبِرَتْ الْأَوْثَانُ أَنَّ زَمَانَهَا
فَمَا سَجَدَتْ إِلَّا لِذِي الْعَرْشِ جِبْهَةٌ
تَبَسَّمَ ثَغْرُ الصَّبْحِ عَنْ مَوْلِدِ الْهُدَى
وَعَادَتْ بِهِ الصَّحْرَاءُ وَهِيَ جَدِيدَةٌ
وَنَافَسَتْ الْأَرْضُ السَّمَاءَ بِكُوكِبٍ
لَهُ الْحَقُّ وَالْإِيمَانُ بِاللَّهِ هَالَةٌ
تَأَلَّقَ فِي الدُّنْيَا يُزِيحُ ظِلَامَهَا
وَرَدَّ إِلَى الْعَرْبِ الْحَيَاةَ وَقَدْ مَضَى
حِجَابٌ طَوَى الْأَحْدَاثَ وَالنَّاسَ دُونَهُمْ
بَنَتْ أُمُّ صَرَخِ الْحَضَارَةِ حَوْلَهُمْ
عُقُولٌ مِنَ الْأَحْجَارِ هَامَتْ بِمِثْلِهَا
فَكَمْ كَانَ لِلرُّومَانِ وَالْفَرَسِ صَوْلَةٌ
عِرَاكُ وَأَحْقَادُ يَشْبُ أَوَارِهَا
عَجَبْتُ لِأَمْرِ الْقَوْمِ يَحْمِلُونَ نَاقَةً

* * *

بدا في دُجى الصحراء نورٌ محمدٍ
 نبِيٌّ به ازدانت أباطُحُ مكَّةِ
 يُنادى جريءَ الأصغرينِ بدعوةٍ
 دعاهم لربِّ واحدٍ جلَّ شأنه
 دعاهم إلى دينٍ من النورِ والهدى
 دعاهم إلى نبذِ الفخارِ وأنهم
 دعاهم إلى أن ينهضوا بِعُفاتهم
 دعاهم إلى أن يفتحوا القلبَ كي ترى
 دعاهم إلى القرآنِ نورًا وحكمةً
 دعاهم إلى أن يهزموا الشركَ طاغيًا
 دعاهم إلى أن يبتنُّوا الملكَ راسخًا
 دعاهم إلى أن الفتى صنع نفسه
 دعاهم إلى أن يملكوا الأرضَ غنوةً
 فلبَّاه من غُلِيَّا مَعَدُّ غُضَافِرُ
 أشدَّاء ما باهى الجهادُ بمثلهم
 أساءوا إلى الأسيافِ حتى تحطَّمت
 وقد حملوا أرواحَهُمْ في أكفِّهم
 إذا أحكموا في أمةٍ لان حكمهم
 فهل تعلم الصحراء أن رعاءها
 وأنهم إن زاولوا الحكمَ ساسةً
 لقد شربوا من منهل الدين نُغْبَةً
 وقد لمحو من نورِ طه شُعاةً
 نبِيٌّ من الطُّهرِ المصفى نجاره
 وصبرٌ على اللاؤاء ما لان عُوده
 وزهدٌ له الدنيا جناح بعوضة

وجلجلَ في الصحراء منه نداءٌ
 وعزَّ به ثورٌ وتاه حراءُ
 أكبَّ لها الأصنامُ والزُعماءُ
 له الأمرُ يولي الأمرَ كيف يشاءُ
 سَمَاحٌ ورفقٌ شاملٌ ووفاءُ
 أَمَامَ إله العالمينِ سِواءُ
 كِرَامًا، فطاحَ الفقرُ والفقراءُ
 بصيرته ما يُبصر البُصراءُ
 وفيه لأدواء الصدورِ شفاءُ
 تسيلُ نفوسٌ حوله ودماءُ
 له العدلُ أسُّ والطموحُ بناءُ
 وليس له من قومهِ شُفعاءُ
 مساميحٌ، لا كِبَرٌ ولا خِيلاءُ
 كماةٌ إذا اشتدَّ الوغى شُهداءُ
 وهم بينهم في أمرهم رُحماءُ
 وما مرَّةٌ للمستجيرِ أساءوا
 وليس لهم إلَّا الخلود جِزاءُ
 فما هي أنعامٌ ولا هي شِاءُ
 حُماةٌ بأفاق البلاد رُعاءُ
 وإن أرسلوا أحكامهم فُقهاءُ
 مطهرةٌ، فالظالمون رِواءُ
 فكل ظلامٍ في الوجود ضياءُ
 سماحة نفسٍ حرَّةٍ وِصفاءُ
 ولا مَسَّةٌ في المعضلاتِ عِناءُ
 وكل الذي تحت الهباء هِباءُ

تراه لدى المحراب نُسْكَاً وخشيّة
إذا صَالَ لم يترك مَصَالاً لصائِل
كَلَامٌ من الله المهيمَن رُوحُه
كَلَامٌ أَرَادَتَه المَقَاوِيلُ فَالتَوَى
كَلَامٌ هو السحرُ المُبِين وإن يكن
عَجِيبٌ من الأُمِّيِّ عِلْمٌ وحِكْمَةٌ
ومن يَصْطَفِ الرّحمن! فَالكون عبده

وتلقاهُ في المِيدَانِ وهو مَضَاءُ
وإن قَالَ أَلَقْتَ سَمْعَهَا البُلْغَاءُ
ومن حللَ الفُصْحَى عليه رداءٌ^{١٣}
عليها، وضَلَّتْ طُرُقَه الحُكَمَاءُ^{١٤}
له أَلْفٌ مِثْلُ الكَلَامِ وَبَاءُ
تضاعَل عن مَرَاهِمَا العُلَمَاءُ
وُدْهم اللّيلالي أَيْنَ سَارَ إِمَاءُ^{١٥}

نَبِيُّ الهدى قد حَرَّقَ الأنفَسَ الصَدَى
أَفْضَها عَلِينَا نَفْحَةً هَاشِمِيَّةً
فليس لَنَا إِلَّا رِضَاكَ وَسِيلَةٌ
حَنَنًا إِلَى مَجْدِ العُروْبَةِ سَامِقًا
زَمَانُ لَوَاءِ العُربِ يُزْهِى بِقَوْمِهِ
زَمَانُ لَنَا فَوْقَ المَمَالِكِ دَوْلَةٌ
فيا رب هَيِّئْ لِلرَّشَادِ سَبِيلَنَا
وَنَصْرًا وَهَدِيًّا إِن طَغَى السَّيْلُ جَارِفًا
نَنَاجِيكَ هَذِي رَايَةَ العُربِ فَاحْمِهَا
رَمِينَا بِكَفِّ أَنْتَ سَدَدْتَ رَمِيهَا
أَعْرَضْنَا بِحَقِّ المِصْطَفَى مِنْكَ قُوَّةً
وَأَسْبَغْ عَلِينَا دَرْعَ لَطْفِكَ إِنَّهَا

ونحن لَفِيضٌ مِنْ يَدَيْكَ ظِمَاءُ
يُلَمُّ بِهَا جُرْحٌ وَيَبْرَأُ دَاءُ
وليس لَنَا إِلَّا حِمَاكَ رَجَاءُ
وما نَحْنُ فِي سَاحَاتِهِ غُرَبَاءُ
وما طَالَهُ فِي العَالَمِينَ لَوَاءُ
وفي الدَّهْرِ حَكْمٌ نَافِذٌ وَقَضَاءُ
إِذَا جَارَ حَاطِبٌ أَوْ أَلَمَ بَلَاءُ
وَفَاضَ بِمَا يَحْوِي الإِنَاءُ إِنْاءُ
فَمَنْ حَوْلَهَا أَجْنَادُكَ البُسْلَاءُ
فَمَا طَاشَ سَهْمٌ أَوْ أَخْلَ رِمَاءُ
فليس لغيرِ الأقوياء بَقَاءُ^{١٦}
لَنَا فِي قِتَامِ الحَادِثَاتِ وَقَاءُ^{١٧}

إِلَيْكَ أبا الزهراء سَارَتِ مَوَاكِبِي
وَأَنْتَ لِمِثْلِي أَنْ يُصَوِّرَ لِمَحَةٍ
وَلَكِنَهَا جَهْدُ المَحَبِّ فَهَلْ لَهَا
وَلِي نَسَبٌ يُنَمِّي لِبَيْتِكَ صَانِنِي
عَلَيْكَ سَلَامٌ اللهُ مَا ذَرَّ شَارِقُ

مَوَاكِبُ شَعَرٍ سَاقِهِنَّ حَيَاءُ
كَبَا دُونِ أَدْنَى وَصَفَهَا الشُّعْرَاءُ^{١٨}
بِقُدْسِكَ مِنْ حِظِّ القَبُولِ لِقَاءُ
وَصَانَتِهِ مَنِّي عِرَّةً وَإِبَاءُ^{١٩}
وَمَا عَطَّرَ الدُّنْيَا عَلَيْكَ ثَنَاءُ^{٢٠}

هوامش

- (١) نكاء: الشمس. صخر التنوفة: الحجارة بالمفاضة والمقصود صحراء الحجاز.
- (٢) رواء: حسن المنظر.
- (٣) حداء: سوق الإبل والغناء لها.
- (٤) أباطح: مسيل واسع فيه حصى. تاه: اختال.
- (٥) الأصغرين: القلب واللسان. أكب: سقط.
- (٦) عفاتهم: طلاب المعروف. طاح: ذهب.
- (٧) معد: قبيلة معد وهي من أشراف العرب. غضافر: أسود شجعان. كمأة: رماة.
- (٨) شاء: الكثير من الغنم.
- (٩) رعاءها: ولاتها والمقصود رعاة الأغنام بها. رعاء: غطاء. يراعون الحقوق.
- (١٠) نغبة: جرة.
- (١١) نجاره: أصله.
- (١٢) اللأواء: الشدة.
- (١٣) حلل الفصحى: أردية الفصاحة والبلاغة.
- (١٤) أرادته المقاويل: أرادت محاكاته. التوى عليها: صعب عليها.
- (١٥) دهم الليالي: الليالي حالكة السواد.
- (١٦) أعرنا: مدنا.
- (١٧) أسبغ: أتمم. قتام: غبار وقيل: لون فيه غبرة وحمرة.
- (١٨) كبا: سقط.
- (١٩) نسب: انتماء وقرابة يشير إلى نسب الشاعر إلى الرسول عليه الصلاة والسلام.
- (٢٠) ذر: طار. شارق: ناحية المشرق.

مصر

أنشدها الشاعر بقاعة المحاضرات بالجامعة المصرية في افتتاح المؤتمر الطبي العربي الثاني في ٣٠ من يناير سنة ١٩٣٩ م.

صَوَّرَ اللهَ فِيكَ مَعْنَى الْخُلُودِ
أَنْتِ يَا مِصْرُ جَنَّةُ اللهِ فِي الْأَرْضِ
أَنْتِ أُمُّ الْمَجْدَيْنِ بَيْنَ طَرِيفِ
كَمْ جَدِيدٍ عَلَيْهِ نُبْلٌ قَدِيمٍ
قَدْ رَأَى الدَّهْرُ الْعَتِيَّ فِتَاةً
شَابَ مِنْ حَوْلِكَ الزَّمَانُ وَمَا زَلْ
أَنْتِ يَا مِصْرُ بِسْمَةٍ فِي فَمِ الْحُسْنِ
أَنْتِ فِي الْقَفْرِ وَرَدَّةٌ حَوْلَهَا الشُّوْ
يَلِثُ الْبَحْرُ مِنْكَ طِيبَ ثُغُورِ
يَا ابْنَةَ النِّيلِ أَنْتِ أَلْحَى مِنَ الْحُبِّ
نَثَرَ النِّيلُ فِيكَ تَبْرًا وَأَوْهَى
فَتَنَ الْأَوَّلِينَ حَتَّى أَشَارُوا
وَوَشَى لِلرِّيَاضِ ثَوْبًا وَحَلَى
أَنْتِ لِلْجَائِئِينَ أُمٌّ، وَوَرَدُ

فَابْلُغِي مَا أُرْدَتِهِ ثُمَّ زَيْدِي
ضُ، وَعَيْنُ الْعَلَا وَوَاوُ الْوُجُودِ
يَتَحَدَّى الْوَرَى وَبَيْنَ تَلِيدِ
وقَدِيمٍ عَلَيْهِ حُسْنٌ جَدِيدِ!
وهو طِفْلٌ يَلْهُو بِطَوِّقِ الْوَلِيدِ
حَتَّى كَغُصْنِ الرِّيحَانَةِ الْأُمْلُودِ^١
نُ، وَدَمْعُ الْهَنَانِ فَوْقَ الْخُدُودِ
كُ، وَفِي الشُّوْكِ عِزَّةٌ لِلْوُرُودِ^٢
بَيْنَ عَذْبِ اللَّمَى وَبَيْنَ بَرُودِ^٣
بِ وَأَوْهَى مِنْ ضَاحِكَاتِ الْوُغُودِ
لِيْنُهُ مِنْ قِسَاوَةِ الْجُلُودِ
نَحْوَ قُدْسِيٍّ مَائِهِ بِالسُّجُودِ
كُلُّ جَدِيدٍ مِنَ الرُّبَا بِعُقُودِ
لِظْمَاءِ الْقُلُوبِ عَذْبُ الْوُرُودِ

قَدْ حَمَلَتْ السَّرَاجَ لِلنَّاسِ، وَالْكَوْ
 لَا نَرَى فِيكَ غَيْرَ عَهْدٍ مَجِيدٍ
 وَجُهْدٍ تَمَثَّلَتْ فِي صُخُورٍ
 عِظَمُ يَبْهَرُ السَّمَاءَ، وَشَأْوُ
 أَنْتِ يَا مِصْرُ صَفْحَةً مِنْ نُضَارٍ
 أَيْنَ رَمْسِيْسُ وَالْكُمَاءُ حَوَالِيْ
 مَلَأَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاءَ، فَهَذِي
 وَجُمُوعُ الْكُفَّانِ تَهْتَفُ بِالنَّصَبِ
 وَبَنَاتُ الْوَادِي يَمْسُنَ اخْتِيَالًا
 أَيْنَ عَمَّرُو فَتَى الْعُرُوبَةِ وَالْإِقْدَا
 شَمَرِي يَحْطُمُ السَّيْفَ بِالسَّيْبِ
 لَمْ يَكُنْ جَيْشُهُ لَدَى الزَّحْفِ إِلَّا
 قِلَّةٌ دَكَّتِ الْحُصُونُ وَبَثَّتْ
 ذِعَرَ الْمَوْتِ أَنَّهُمْ لَمْ يَخَافُوا
 يَنْظُرُونَ الْفَرْدَوْسَ فِي سَاحَةِ الْحَرِّ
 صَعِدُوا لِلْعُلَا بِرَيْشِ نُسُورٍ
 أَيْنَمَا رَكَّزُوا الرِّمَاحَ تَرَى الْعَدُوَّ
 وَتَرَى الْمُلْكَ أَرْحِيًّا، عَلَيْهِ
 وَتَرَى الْعِزَّمَ عَابِسًا لَوْثُوبٍ
 وَتَرَى الْعِلْمَ يَلْتَقِي بِهَدْيِ الدِّ
 مَلَكُوا الْأَرْضَ لَمْ يُسَيِّئُوا إِلَى شَعْبٍ
 هُمْ جُدُودِي، وَأَيْنَ مِثْلُ جُدُودِي

نُ غَرِيقُ فِي ظُلْمَةٍ وَخُمُودٍ
 قَرَنْتُهُ الْعُلَا بَعْدَ عَهْدٍ مَجِيدٍ
 وَصُخُورٍ تَشَبَّهَتْ بِجُهْدٍ
 عَاقَ ذَاتَ الْجَنَاحِ دُونَ الصُّعُودِ
 لَمَعَتْ بَيْنَ سَالِفَاتِ الْعُهُودِ
 هِ مُشَاةٌ فِي الْمَوْكِبِ الْمَشْهُودِ؟^٧
 بِجَنُودٍ، وَهَذِهِ بِبُنُودِ^٨
 رٍ وَتَقْلُو النَّشِيدَ إِثْرَ النَّشِيدِ
 وَيُحْيِيْنَ بَيْنَ دُفٍّ وَعُودِ^٩
 م، أَوْفَى مُجَاهِدٍ بِالْعُقُودِ؟^{١٠}
 فِ، وَيَرْمِي الصَّنْدِيدَ بِالصَّنْدِيدِ^{١١}
 قُوَّةَ الْعِزِّ صُورَتْ فِي جُنُودٍ
 رَعْدَةَ الرُّعْبِ فِي الْخَضَمِ الْعَدِيدِ
 هُ وَلَمْ يَرْهَبُوا لِقَاءَ الْحَدِيدِ
 بٍ فَيَسْتَعْجِلُونَ أَجْرَ الشَّهِيدِ
 وَمَضُّوا لِلرَّيِّ بِعِزِّ أَسُودٍ
 لَ مُقِيمًا فِي ظِلِّهَا الْمَمْدُودِ^{١٢}
 نَضْرَةً مِنْ سَمَاحَةِ التَّوْحِيدِ
 وَتَرَى السَّيْفَ ضَاحِكًا فِي الْغُمُودِ
 دِينَ عَلَى مَنْهَجِ سَوِيٍّ سَدِيدِ^{١٣}
 بٍ وَلَمْ يَحْكُمُوهُ حُكْمَ الْعَبِيدِ
 إِنْ تَصَدَّى مُفَاخِرُ بِالْجُدُودِ؟

فَسَحُّوا صَدْرَهُمْ لِجِمَّةِ يُونَا
 وَأَصَارُوا بِالتَّرْجَمَاتِ عُلُومَ الرُّو
 حَذَقُوا الطَّبَّ وَالزَّمَانَ غُلَامٌ
 وَشُعُوبُ الدُّنْيَا تَعَالِجُ بِالسَّحَابِ

نَ وَأَدَابُ فَارِسٍ وَالْهَنْوُدِ
 مٍ وَرَدًّا لِلنَّاهِلِ الْمُسْتَفِيدِ
 وَالثَّقَافَاتُ رُضِعُ فِي الْمُهْودِ
 رٍ وَحَرَّقَ الْبُخُورِ وَالتَّعْقِيدِ

هَلْ تَرَى لَابِنَ قُرَّةٍ مِنْ مَثِيلٍ؟
وَالطَّبِيبُ الْكِنْدِيُّ لَمْ يَبْقَ فِي الطَّبِّ
أَيْنَ أَيْنَ الرَّازِي، أَيْنَ بَنُو زُهْ
وَابْنُ سِينَا، وَأَيْنَ كَابِنِ نَفِيسٍ
أَوْ تَرَى لَابِنَ صَاعِدٍ مِنْ نَدِيدٍ؟^{١٤}
بِ مَزِيدًا لِحَاجَةِ الْمُسْتَزِيدِ^{١٥}
بِر دُعَاةِ النَّهْوِضِ وَالتَّجْدِيدِ؟^{١٦}
عَجَزَ الْوَهْمُ عَنْ مَدَاهِ الْمَدِيدِ؟^{١٧}

* * *

هَذِهِ أُمَّةٌ مِنَ الصَّخْرِ. كَانَتْ
تَأْكُلُ الْقَدَّ وَالِدُّعَاةَ مِنَ الْجَوِّ
وَتُنْثِرُ الْحُرُوبَ شَعْوَاءَ جَهْلًا
نَبَعَ النُّورُ بِالنُّبُوءَةِ فِيهَا
وَمَضَى يَمْلَأُ الْمَمَالِكَ عَدْلًا
أَطْلَقَ الْعَقْلَ مِنْ سَلَاسِلِهِ الدُّهُمِ
بَلَغَتْ مِصْرُ فِي التَّالِيفِ أَوْجًا
فَاسْأَلِ الْفَاطِمِيَّ كَمْ مِنْ كِتَابٍ
وَالصَّلَاحِيَّ وَالْمَمَالِيكَ كَانُوا
تِلْكَ آثَارُهُمْ شُهُودًا عَلَى الْمَجْدِ
فِي قِفَارٍ مِنَ الْحَيَاةِ وَبِيدِ
عِ وَتَهْفُو شَوْقًا لِحَبِّ الْهَبِيدِ^{١٨}
وَتُدْسُ الْوَتِيدَ إِنْزَرَ الْوَتِيدِ^{١٩}
فَطَوَى صَفْحَةَ اللَّيَالِي السُّودِ
بِاسْمِ الْوَعْدِ مُكْفَهَرِ الْوَعِيدِ
وَنَحَاهُ عَنْ صَلِيلِ الْقُيُودِ
فَاتِ طَوْقُ الْمُنَى بِمَرْمَى بَعِيدِ^{٢٠}
زَانَ تَارِيخَهُ وَسَفَرَ فَرِيدِ؟^{٢١}
مَوْتِلَ الْعِلْمِ فِي عُصُورِ الرُّكُودِ^{٢٢}
بِدِ وَمَا هُمْ بِحَاجَةٍ لَشُهُودِ

* * *

اِئْتَدِ أَيُّهَا الْقَصِيدُ قَلِيلًا
وَإِذَا مَا ذَكَرْتَ نَهْضَةً مِصْرٍ
ثُمَّ مَجْدُ مُحَمَّدًا جَدَّ «إِسْمًا
جَاءَ وَالنَّاسُ فِي ظِلَامٍ مِنَ الظُّلِّ
حَسَرَاتٍ لِلذُّلِّ فِي كُلِّ وَجْهِ
فَأَزَاحَ الْغِطَاءَ عَنْهُمْ فَقَامُوا
وَهَدَاهُمْ إِلَى الْحَيَاةِ فَسَارُوا
كَمْ بُعُوثٍ لِلْغَرْبِ بَعْدَ بُعُوثِ
غَرْسِ الطَّبِّ فِي ثَرَى مُلْكِهِ الْخِصِّ
وَأَتَى بَعْدَهُ الْمَجْدُ «إِسْمًا
أَنَا أَرْتَاخُ لَاتِّئَادِ الْقَصِيدِ^{٢٣}
فَامْلَأْ الْخَافِقِينَ بِالتَّغْرِيدِ^{٢٤}
عَيْلٍ» وَاصْغِدْ مَا شَتَّتَ فِي التَّمْجِيدِ
بِمِ وَعَصَفٍ مِنَ الْخُطُوبِ شَدِيدِ^{٢٥}
وَسِمَاتٍ لِلْغُلِّ فِي كُلِّ جِيدِ^{٢٦}
فِي ذُهُولٍ. وَأَقْبَلُوا فِي سُمُودِ^{٢٧}
فِي حِمَى مِنْ لَوَائِهِ الْمَعْقُودِ
وَوُفُودٍ لِلشَّرْقِ بَعْدَ وَفُودِ!
بِ، وَرَوَى مِنْ دَوَّجِهِ كُلَّ عُودِ^{٢٨}
عَيْلٍ» ذُخِرَ الْمُنَى ثِمَالُ الْجُودِ^{٢٩}

و«فؤاد» تعيشِ ذَكَرَى «فؤاد»
 رَدَّ مَجْدًا لِمَصْرَ لَوْلَا نَدَاهُ
 كُلُّ يَوْمٍ لَهُ بِنَاءٌ مَشِيدٌ
 مَا اغْتَلَى الطَّبُّ قِمَّةَ النُّجْمِ إِلَّا
 سَعِدَتْ مِصرَ بِالْجَهَاذِ فِي الطَّبِ
 وَعَلَى رَأْسِهِمْ أَبُو الحِسنِ الْجَرَّاءُ
 أَيُّهَا الْوَافِدُونَ مِنْ أُمَمِ الشَّرِّ
 اهْبِطُوا مِصرَ، كَمْ بِهَا مِنْ قُلُوبٍ
 قَدْ رَأَيْنَا فِي قُرْبِكُمْ يَوْمَ عِيدٍ
 إِنَّ مِصرًا لَكُمْ بِلَادٌ وَأَهْلٌ
 جَمَعْتَنَا الْفُصْحَى فَمَا مِنْ وَهَادٍ
 يَصِلُ الْحُبَّ حَيْثُ لَا تَصِلُ الشَّمْسُ

فِي نعيمٍ مِنْ رَحْمَةٍ وَخُلُودٍ!
 وَحِجَاهُ مَا كَانَ بِالْمَرْدُودِ^{٢٠}
 لِلْمَعَالِي، إِلَى بِنَاءٍ مَشِيدٍ
 بِجِنَاحٍ مِنْ سَعْيِهِ الْمَحْمُودِ
 ب، فَكَمْ مِنْ مُحَاضِرٍ وَمُعِيدٍ!^{٢١}
 ح، مَنْ كَالرَّئِيسِ أَوْ كَالْعَمِيدِ؟^{٢٢}
 ق وَأَشْبَاهُ الْأَبَاءِ الصَّيِّدِ^{٢٣}
 شَقَّهَا حُبُّكُمْ، وَكَمْ مِنْ كُبُودٍ^{٢٤}
 قَرَنْتُهُ الْمُنَى إِلَى يَوْمٍ عِيدٍ^{٢٥}
 لَيْسَ فِي الْحُبِّ بَيْنَنَا مِنْ حُدُودٍ
 فَارَقْتُمْ بَيْنَنَا وَلَا مِنْ نُجُودٍ^{٢٦}
 س، وَيجْتَازُ شَامِخَاتِ السُّدُودِ

أُمَّةُ الْعَرَبِ أَنْ أَنْ يَنْهَضَ النَّسْـ
 صَفَّقِي بِالْجِنَاحِ فِي أَذُنِ النُّجْمِ،
 وَأَعِيدِي حَضَارَةً زَانَتْ الدُّنْيَا فِكَمْ
 إِنَّمَا الْمَجْدُ أَنْ تُرِيدِي وَتَمْضِي
 لَا يَنَالُ الْعَلَا سِوَى عِبْقَرِيَّ

رُ، فَقَدْ طَالَ عَهْدُهُ بِالرُّقُودِ
 وَمُدِّي فَضْلَ الْعِنَانِ وَسُودِي
 وَدَّتِ الْمُنَى أَنْ تُعِيدِي
 ثُمَّ تَمْضِي سَبَاقَةً وَتُرِيدِي
 رَاسِخِ الْعِزِّ كَالصَّفَاةِ جَلِيدِ^{٢٧}

قَدْ أَعَدْنَا عَهْدَ الْعُرُوبَةِ فِي مِصْرَ
 وَبَدَأْنَا عَصْرًا أَغْرَ سَعِيدًا
 قَدْ حَبَاهُ الشَّبَابُ رَأْيًا وَعِزًّا
 قَامَ بِالْأَمْرِ أَرْيَحِيًّا رَشِيدًا
 إِنَّ حُبَّ «الْفَارُوقِ» وَهُوَ وَجِيدٌ
 أَلْسُنُ الْعَرَبِ كُلُّهَا دَعَوَاتُ
 أَبْصَرُوا فِي السَّمَاءِ مُلْكًا عَزِيزًا

رَ، وَذَكَرَى فِرْدَوْسَهَا الْمَفْقُودِ^{٢٨}
 بِمَلِكٍ مَاضٍ أَغْرَ سَعِيدِ^{٢٩}
 عَلَوِيَّ الْمَضَاءِ وَالتَّسْدِيدِ^{٤٠}
 فَذَكَّرْنَا بِهِ عُهْدَ «الرَّشِيدِ»^{٤١}
 فِي مَكَانٍ مِنَ الْقُلُوبِ وَحِيدٍ
 ضَارِعَاتُ بِالنَّصْرِ وَالتَّأْيِيدِ
 رَافِعِ الرَّأْسِ فَوْقَ صَخْرٍ وَطِيدِ

وَرَأَوْا عَاهِلًا يَفِيضُ جَلَالًا مِنْ هُدَى رَبِّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ
عَاشَ لِلْمُلْكِ وَالْعُرُوبَةِ ذُخْرًا فِي نَعِيمٍ مِنَ الْحَيَاةِ رَغِيدِ

هوامش

- (١) الريحانة: واحدة الريحان وهو نبت طيب الرائحة. الأملود: الغصن الناعم اللين.
- (٢) المراد بالفقر هنا: الصحاري التي تحيط بمصر وتكتنفها.
- (٣) الثغور: جمع ثغر وهو الفم، والثغور أيضًا هي المدن التي تقع على البحار.
- اللمى: سمرة الشفتين. البرود: البارد.
- (٤) الجلمود: الصخر.
- (٥) وشى الثوب: زينه بالنقوش. الربا: جمع ربوة وهي المرتفع من الأرض.
- (٦) البهر: الغلبة. الشأو: الغاية.
- (٧) الكماة: جمع كميّ. الشجاع أو لابس السلاح. الموكب: الجماعة.
- (٨) ببنود: البند العلم الكبير.
- (٩) دف: الذي يضرب به.
- (١٠) يشير الشاعر إلى الفاتح العظيم عمرو بن العاص، ويصفه بالشجاعة والإقدام والوفاء بالعهود.
- (١١) شمريّ: ماض في الأمر مجرب. الصنديد: السيد الشجاع.
- (١٢) ركز الرمح: أثبتته في الأرض. وهذا كناية عن الإقامة.
- (١٣) المنهج: الطريق الواضح. سويّ: قويم.
- (١٤) ذكر الشاعر بعض أعلام الطب من العرب مفاخرًا بهم. «وابن قرّة» هو سنان بن ثابت بن قرّة. وكان من أطباء المقتدر «وابن صاعد» هو هبة الله ويعرف بابن التلميذ. كان في أيام المقتفي لأمر الله، قالوا: ولم يكن مثله بعد أبقراط.
- (١٥) الكندي: هو أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي من بيت ثري نبيل. ويلقب بفيلسوف العرب. ولد في أواخر القرن الثاني للهجرة. وكان مترجمًا عالمًا بالطب والفلسفة والحساب والمنطق. واتصل بالمأمون والمعتصم.
- (١٦) الرازي: هو أبو بكر محمد بن زكريا الرازي الطبيب الكيمياوي توفي سنة ٣١١هـ. ألف كتاب الأقطاب في ثلاثين مجلدًا. «وبنو زهر» أهل بيت كلهم علماء وأطباء. أشهرهم أبو العلاء بن زهر ثم ابنه أبو مروان ثم ابنه أبو بكر.

(١٧) ابن سينا: هو أبو علي الحسن بن سينا. ولد في قرية من بخارى. درس الفلسفة والطب ونضج نضجاً مبكراً. وتقلد الوزارة لشمس الدولة في همذان. توفي سنة ٤٢٨هـ. وابن نفيس: هو علي بن أبي الحزم القرشي صاحب كتاب الشامل في مائة مجلد وهو أندلسي.

(١٨) القدّ: جلد الشاة الصغيرة. الدعاع: حب شجرة برية أسود يختبز منه. الهبيد: الحنظل.

(١٩) الوئيد: وأد بنته. دفنها حية.

(٢٠) الأوج: ضد الهبوط وهو هنا الرفعة والعلو.

(٢١) السفر: الكتاب.

(٢٢) الموثل: الملجأ. الركود: عصور تراجع النهضة العلمية ببغداد، وهو في هذا البيت يذكر أن مصر كانت ملجأ للعلوم والعلماء زمن صلاح الدين وزمن المماليك في عصور انحطاط النهضة في بغداد.

(٢٣) اتئد: تمهل وتأن.

(٢٤) الخافقين: المشرق والمغرب.

(٢٥) عصف من الخطوب: عصفت الريح اشتدت فهي عاصفة وعاصف. الخطب: الأمر الشديد وجمعه خطوب.

(٢٦) الغل: واحد الأغلال، وهو طوق من حديد يوضع في رقاب الأسرى وأمثالهم.

(٢٧) سمود: رفع الرأس تكبراً.

(٢٨) يقول: إن محمد علي أول من أنشأ مدرسة للطب في مصر.

(٢٩) الثَّمال: الغياث الذي يقوم بأمر قومه.

(٣٠) الندى: الجود والكرم. الحجا: العقل والمراد هنا الرأي والتدبر والعقل السديد.

(٣١) الجهبذ: النقاد الخبير. والجمع جهابذ.

(٣٢) وهو في هذا البيت يخص بالذكر أستاذ الجراحين الدكتور علي إبراهيم باشا عميد كلية الطب.

(٣٣) الأبابة: جمع أبي، وهو الذي يأنف الذل والصغار.

(٣٤) شَفَّها حُبُّكم: هزلها وأنحلها.

(٣٥) المنى: جمع منية وهي ما يتمناه الإنسان. إلى يوم عيد: كان افتتاح المؤتمر يوم وقوف الحجاج بعرفات.

(٣٦) الوهاد: جمع وهد وهو الأرض المنخفضة. والنجد: جمع نجد وهو الأرض المرتفعة.

(٣٧) الصفاة: الحجر الصلد الضخم.

(٣٨) الفردوس: في الأصل البستان وهو من أسماء الجنة ويريد بالفردوس المفقود، ما كان للعربية من مجد وحضارة في أيام ازدهارها.

(٣٩) الأغر: الأبيض من كل شيء.

(٤٠) حباه: أعطاه بغير عوض. التسديد: صدق الرمي والإصابة. علوي: نسبة إلى جده محمد علي.

(٤١) الأريحي: السهل الخلق الكريم. والرشيد: هو هارون الرشيد الخليفة العباسي العظيم، زها الإسلام والعلم والأدب في أيامه.

يَوْمُ السَّلَامِ

نشرت هذه القصيدة في صباح إعلان انتهاء الحرب العالمية الثانية في أوائل مايو سنة ١٩٤٥ م.

دَاعِبِ الشَّرْقَ بِاسْمًا وَسَعِيدًا
نَسِيتُ لَحْنَهَا الطُّيُورَ فَصَوَّرُ
فَزَعَتْهَا عَنِ الرِّيَاضِ خَفَافِيهِ
أَلْفَتُ مُوَجَّشَ الظَّلَامِ فَوَدَّتْ
فَاسْجَعِي يَا حَمَامَةَ السَّلْمِ لِلْكَو
غَرْدِي فَالدموعُ طَاحَ بِهَا الْبِشْ
وَاسْمَعِي! إِنَّ فِي السَّمَاءِ لَحُونًا
كَلَّمَا اهْتَزَّ لِلْمَلَائِكِ صَوْتُ
رَنَّةُ النَّصْرِ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَر
مَوْلِدٌ لِلزَّمَانِ ثَانٍ شَهْدُنَا

وَائْتَلِقْ يَا صَبَاحُ لِلنَّاسِ عِيدًا^١
لِبَنَاتِ الْغُضُونِ لَحْنًا جَدِيدًا^٢
شُ تَسُدُّ الْفَضَاءَ غُبْرًا وَسُودًا^٣
أَنْ تَبِيدَ الدُّنْيَا وَالْأَيُّ يَبِيدَا
نَ، وَهَزِّيْ أَعْطَافَهُ تَغْرِيدًا^٤
رُ، وَأَضْحَى نَوْحَ الثَّكَالِي نَشِيدًا^٥
أَسْمَعْتَ التَّرْتِيلَ وَالتَّرْدِيدَا؟^٦
رَجَّعْتَهُ أَنْفَاسُنَا تَحْمِيدَا^٧
ضِ، أَعَادَتْ إِلَى الْوُجُودِ الْوُجُودَا
هَ، فَيَا مَنْ رَأَى الزَّمَانَ وَلِيدَا!

سَكَنَ السَّيْفُ غِمْدَهُ بَعْدَ أَنْ صَا
مَا أَحْمَرَارُ الْأَصِيلِ إِلَّا دِمَاءُ
طَائِرَاتٍ تَرْمِي الصَّوَاعِقُ لَا تَخْ
أَجْهَدْتُ فِي السُّرَى خَوَافِقَ عَزْرِي

لَ عَنِيفًا مُنَاجِرًا عَرَبِيدَا^٨
بَقِيتُ فِي يَدِ السَّمَاءِ شُهوْدَا^٩
شَى إِلَهًا، وَلَا تَخَافُ عَبِيدَا
لَ فَرَّقْتُ مِنْ خَلْفِهِنَّ وَئِيدَا^{١٠}

كَلَّمَا حَلَقْتُ بِأَفْقِ مَكَانٍ
كَمْ سَمِعْنَا عَزِيفَهَا مِنْ قَرِيبٍ
يَلْفُحُ الشَّيْخُ وَالْغَلَامُ لَهَا
كَمْ وَحِيدٍ بَيْنَ الرِّجَامِ بَكَى أُمًّا
مُدُنٌ كُنَّ كَالْمَحَارِيبِ أَمْنًا
وَقُصُورٌ كَانَتْ مَلَاعِبَ أَنْسٍ
تَرَكْتُ فِيهِ كُلَّ شَيْءٍ حَصِيدًا
فَغَدَا الرَّأْيُ وَالسَّدَادُ بَعِيدًا^{١١}
وَيُصِيبُ الشَّجَاعَ وَالرَّعْدِيدَا^{١٢}
لَا، وَأُمٌّ بَكَتْ فَتَاهَا الْوَحِيدَا^{١٣}
تَرَكَ الْخَسْفُ دُورَهُنَّ سُجُودًا^{١٤}
أَصْبَحَتْ بَعْدَ زَهْوِهِنَّ لُحُودًا^{١٥}

لَهْفَ نَفْسِي عَلَى دِمَاءٍ زَكِيًّا
سَلَنْ مِنْ خَدِّ كُلِّ سَيْفٍ نُضَارًا
لَهْفَ نَفْسِي عَلَى شَبَابٍ تَحْدَى
لَهْفَ نَفْسِي وَالنَّارُ تَعْصِفُ بِالْجِدِ
ذَكَّرْتَنَا جَهَنَّمَ كُلَّمَا أَلَّ
كَالْبَرَائِكِينَ إِنْ تَمَشَّتْ، وَكَالْبَحْرِ
وَإِذَا الْمَاءُ كَانَ نَارًا فَمَنْ يَزُ
أُمٌّ تَلْتَقِي صَبَاحًا عَلَى الْمَوْتِ
وَفَرِيقٌ لِلْفَتَكِ يَلْقَى فَرِيقًا
كَمْ حُطَامٍ فِي الْأَرْضِ كَانَ عَقُولًا
وَأَمَانٍ وَنَشْوَةٍ وَشَبَابٍ
قُبُلَاتُ الْحَسَنِ مَا زَلَنَ فِي الْخَدِّ
وَوَعُودُ الْغَرَامِ مَاذَا عَرَاهَا
كَمْ دُمُوعٍ، وَكَمْ دِمَاءٍ، وَكَمْ هُوَ
إِنَّمَا الْحَرْبُ لَعْنَةُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ
صَدَّقْتُ مَا رَأَى الْمَلَائِكَةُ مِنْ قَبْلِ
إِنَّ لِلَّهِ حِكْمَةً دُونَهَا الْعَقْلُ
كَيْفَ نَصَفُوا وَنَحْنُ مِنْ غُنْصَرِ الطَّيْرِ
تِ كَقَطْرِ الْغَمَامِ طُهْرًا وَجُودًا^{١٦}
بَعْدَمَا حَطَّمُ الْحَدِيدُ الْحَدِيدَا^{١٧}
عَذَابَاتِ الْفِرْدَوْسِ زَهْرًا وَعُودًا!
شِ فَتَلْقَاهُ فِي الرِّيحِ بَدِيدًا^{١٨}
قِي فَوْجٌ صَاحَتْ تُرِيدُ الْمَزِيدَا^{١٩}
رَ إِذَا جَاشَ بِالْحَمِيمِ صُهُودَا^{٢٠}
جَو لِنَارٍ إِذَا اسْتِطَارَتْ حُمُودَا؟^{٢١}
تِ لَتَسْتَقْبَلَ الْمَسَاءَ هُمُودَا^{٢٢}
وَحُشُودٌ لِلْهَوْلِ تَلْقَى حُشُودًا
وَرَمَادٍ فِي الْجَوِّ كَانَ جُهُودًا!
نَهَبَتْ مِثْلَ أَمْسِهَا لَنْ تَعُودَا
رَ، فَهَلْ عَفَرَ التُّرَابُ الْخُدُودَا؟
أَغْدَتْ فِي الثَّرَى الْخُضْبُوعَ وَعِيدَا؟^{٢٣}
لِ، وَكَمْ أُنَّةٌ، تَفْتُ الْكُبُودَا!^{٢٤}
ضِ، وَشَرُّ بَمَنْ عَلَيْهَا أُرِيدَا
لُ، وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ تَفْنِيدَا^{٢٥}
لُ فَخَلَّ الْمِرَاءُ وَالتَّرْدِيدَا^{٢٦}
نِ، فَسَادًا وَظُلْمَةً وَجُمُودَا؟

ذَهَبَ الموتُ بِالْحُقُودِ فماذا
شهواتُ تدمّرُ الأرضَ كي تحـ
وجنونُ بِالْمُلْكِ يعصفُ بالذنـ
يذبحُ الطفلَ أَعْصَلَ النَّابِ شيطا
وَيُسَوِّي جَمَاجِمَ النَّاسِ أَبْرَا
قد رأينا الأُسُودَ تَقْنَعُ بِالْقُو
لو محوتم قبلَ المماتِ الحُقُودا؟
يا، وتجتاحُ أَهْلَهَا لتسودا!
يا، لكي يملكَ القُبُورَ سعيدا!
نًا، ويحسو دَمَ النساءِ مَرِيدا!^{٢٧}
جًا؛ ليبغي إلى السماء صُعودا!
ت، فليتَ الرجالَ كانتَ أُسودا!

قَتَلَ العلمُ، كيف دَبَّرَ للفتـ
فهو كالخمر تَنْشُرُ الشرَّ والإثـ
أبدعَ المهلكاتِ ثم توارى
مادتِ الراسياتُ دُغْرًا وَخَفَتْ
وقلوبُ النجوم تَرْجُفُ أن يجـ
مُحَدَّثَاتُ عَزَّتْ على عقلِ إبليـ
عالمٌ في مكانه يَنْسِفُ الأرـ
حَسَرَتَا للحياة! ماذا دهاها؟
ك عَتَادًا، وللدَمَارِ جنودا!
سَمَ وإن كان أصلُها عُنُقودا!
خلفها يملأُ الوَرى تهديدًا!^{٢٨}
مِنْ أَفانين كَيْدِهِ أَنْ تَمِيدًا!^{٢٩}
تَازَ يومًا إلى مداها الحُدُودا!^{٣٠}
سَ فَعَضَّ البنانَ قَدَمًا بليدا!^{٣١}
ض، وثانٍ يَحُزُّ منها الوَريدا!^{٣٢}
أصبحَ الناسُ قاتلاً وشهيدا

أَصْحِيحُ عاد السلامُ إلى الكو
ورنينُ الأجراسِ يصدحُ بالنصـ
سَايَرَتْهَا قَلُوبُنَا ثم زِدْنَا
رَدْدِي رَدْدِي ترانيمَ إسحا
أَنْتِ صُورُ الحِياةِ قد بَعَثَ النا
قد سَيِّمْنَا بِالْأَمْسِ صَفَّارَةَ الْإِنـ
رَدْدِي صوتكِ الحنونَ طويلاً
واهتِفي يا مَآذِنَ الشَّرْقِ بالله
واسطعي أيها المصابيحُ زُهْرًا
قَرَّتِ النفسُ واطمأنتْ وكانت
ن، وأضحى ظِلًّا به ممدودا؟
ر، فيا بَشْرَهُ صباحًا مَجيدًا!
فَأَضَفْنَا لَشَدُوهُنَّ القصيدا!
ق، وهُزِّي الحسانَ عِطْفًا وَجيدًا!^{٣٣}
س، وكانوا جماجمًا وجُلُودًا!^{٣٤}
ذَارِ والوَيْلَ والعذابَ الشديدا
وابْعَثِي لَحَنَكَ الطروبَ مديدًا
ثناءً، وباسمِهِ تمجيدا
واجعلي شوقنا إليك وَقودًا!^{٣٥}
أملًا حائرَ الطريقِ شَريدًا!^{٣٦}

* * *

ليت شعري ماذا سنجني من النصـ وهل «الأربعُ الروائعُ» كانت
وهل انقادتِ الممالكُ للعدـ وهل الحقُّ صار بالسلمِ حقًا
وهل العُربُ تستردُّ حماهاـ وترى في السلامِ مجداً طريقاً
بذلكَ مصرُ فوق ما يبذلُ الطوُـ في فيافي صَحرائِها لَمَعَ النصـ
فهـي إذ تنثُرُ الورودَ تُناغيـ وهي ترجو، لا، بل تريدُ، وأجِدُ
رـ وهل تصدُقُ الليالي الوُعودا؟ حُلُمًا، أو مواثِقًا وعُهودا؟^{٣٧}
ل، فلا سيِّداً ترى أو مَسودا؟ وأذابتْ لظى الحروبِ القيودا؟
وتُناجي فِرْدَوْسَها المفقودا؟ جاء يُحيي بالأمسِ مجداً تليدا؟
ق، وقد يُسَعِفُ النديدُ النديدا رُ، وولَّى «رُوميلُ» يَعدو طريدا^{٣٨}
أملًا ضاحكًا يفوقُ الورودا بابتنةِ النيلِ وحُدها أنْ تُريدا!

هوامش

- (١) ائتلق: أشرق.
- (٢) بنات الغصون: فروع الشجر اللينة الصغيرة. أو الطيور.
- (٣) فزعتها: أخافتها. خفافيش: طيور ليلية والمراد بها الطائرات المغيرة ليلاً.
- (٤) اسجعي يا حمامة: ردي صوتك بالغناء من أجل السلام. أعطافه: جوانبه.
- (٥) طاح بها: ذهب بها. نوح: البكاء. الثكالي: النساء اللاتي فقدن أبناءهن.
- (٦) لحنًا: أناشيد.
- (٧) رجعتة: أعادته. تَحْمِيدًا: شكرًا وثناءً.
- (٨) سكن السيف: هدأ السيف في جرابه. عرييدًا: مؤذيًا.
- (٩) احمرار الأصيل: ظهور الشفق الأحمر في السماء قرب الغروب.
- (١٠) السرى: السير ليلاً. خوافق: أجنحة. عزريل: سيدنا عزرائيل ملك الموت. وثيدًا: بطيئًا.

(١١) عزيفها: صوتها.

(١٢) يلفح: يحرق. لظاها: لهيبها. الرعديد: الجبان.

- (١٣) الرجاء: الأحجار المتناثرة الضخام.
- (١٤) المحاريب: جمع محراب وهو مكان الإمام من المسجد والمقصود المساجد.
- (١٥) لحوذًا: قبورًا.
- (١٦) لهف نفسي: حزن نفسي وحسرتها على ما أريق من دماء.
- (١٧) سلن: من سال. نضارًا: الذهب.
- (١٨) بديدا: مبددا.
- (١٩) إشارة في البيت إلى الآية القرآنية الكريمة: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتَ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾.
- (٢٠) جاش بالحميم: غلى ماؤه فصار حارًا. صهودا: شدة الحرارة.
- (٢١) خمودا: سكون لهب النار.
- (٢٢) همودا: الأرض التي لا نبات فيها والمقصود لا حياة بها.
- (٢٣) عراها: أصابها. الثرى الخضيب: التراب الملون بالحمرة ويقصد بها هنا الدماء.
- (٢٤) أنة: التألم بصوت. تفت: تشق.
- (٢٥) ما كان قولهم تفنيذًا: ما كان قولهم كذبًا. ويشير الشاعر إلى الحديث الذي دار بين رب العزة والملائكة في سورة البقرة: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ صدق الله العظيم.
- (٢٦) خل: اترك. المراء: الجدل في الحديث.
- (٢٧) أعصل الناب: معوج في صلابة. يحسو: يشرب بنهم. مريدًا: شديدًا عاتيًا.
- (٢٨) توارى: اختفى. الورى: الدنيا.
- (٢٩) مادت: تحركت وذهبت. الراسيات: الجبال الشوامخ.
- (٣٠) ترجف: تضطرب خوفًا من العلم أن يصل إليها، ونشير هنا إلى رؤية الشاعر لما حدث الآن من اجتياز العلم للفضاء.
- (٣١) محدثات: أشياء جديدة. القدم: العيي عن الكلام وقلة الفهم.
- (٣٢) يحز: يقطع. الوريد: العرق الذي يجري فيه الدم.
- (٣٣) ترانيم: غناء. إسحاق: هو إسحاق الموصلي المغني العربي العظيم. عطفًا: الجانب. الجيد: العنق.

(٣٤) الصور: البوق.

(٣٥) زهراً: متلألئة مشرقة.

(٣٦) قرت النفس: سكنت وهدأت. حائر الطريق: غير مهتد لسبيله.

(٣٧) الأربع الروائع: الحريات الأربع في ميثاق الأطلنطي.

(٣٨) فيافي: الصحراء الممتدة الشاسعة. روميل: أحد قادة الألمان في الحرب العالمية

الثانية، وهزم في معركة العلمين.

رثاء سَعْد

فجعت الأمة المصرية بموت زعيمها «سعد زغلول باشا» في ٢٣ من أغسطس سنة ١٩٢٧م، فكان لموته حزن عام شمل جميع أرجاء القطر، فانبرى الأدباء والشعراء لراثه وذكر مآثره وتعداد فضائله، والإشادة ببطولته وعظمته، وندبوا فيه العزيمة الصادقة، والهمة العالية، والعزة والإباء، وأكرم صفات الرجولة الكاملة.

لَا الدَّمْعُ غَاضٌ، وَلَا فُؤَادُكَ سَالِي	دَخَلَ الْجَمَامُ عَرِينَةَ الرُّبَالِ ^١
وَأَصَابَ فِي الْمَيْدَانِ فَارَسَ أُمَّةٍ	رَفَعَ الْكِنَانَةَ بَعْدَ طُولِ نِضَالِ ^٢
رَشَقَتَهُ أَحْدَاثُ الْخُطُوبِ فَأَقْصَدَتْ	حَرْبُ الْخُطُوبِ الدُّهْمَ غَيْرُ سَجَالِ ^٣
لِلْمَوْتِ أَسْلِحَةً يَطِيحُ أَمَامَهَا	حَوْلُ الْجَرِيِّ، وَحِيلَةُ الْمُحْتَالِ ^٤
مَا كَانَ سَعْدٌ آيَةً فِي جِيلِهِ	سَعْدُ الْمُخَلَّدِ آيَةُ الْأَجْيَالِ ^٥
تَفَنَّى أَحَادِيثُ الرِّجَالِ وَذَكَرُهُ	سَيَظِلُّ فِي الدُّنْيَا حَدِيثُ رِجَالِ
سَارٍ كِمِصْبَاحِ السَّمَاءِ يَحْنُتُهُ	كَرُّ الضُّحَى وَتَعَاقُبُ الْأَصَالِ ^٦

* * *

أَرَأَيْتَ مِصْرَ تَهْبُّ لِاسْتِقْلَالِهَا	وَالسَّيْفُ يَلْمَعُ فَوْقَ كُلِّ قَذَالِ ^٧
وَالذُّعْرُ يَعْصِفُ بِالْقُلُوبِ كَمَا جَرَتْ	هُوجُ الرِّيحِ عَلَى كَثِيبِ رِمَالِ
وَالْأَرْضُ تَرْجِفُ، وَالسَّمَاءُ مَرِيضَةٌ	وَالنَّفْسُ حَيْرَى وَالْهُمُومُ تَوَالِي
وَالنَّاسُ فِي صَمْتِ الْمَنُونِ كَأَنَّهُمْ	صُورٌ كَسَاها الْحُزْنُ ثَوْبَ خَبَالِ
إِنْ حَدَّثُوكَ فَبِالْعُيُونِ لِيَتَّقُوا	رِصْدَ الْعُيُونِ، وَشِرَّةَ الْمُغْتَالِ ^٨

أَجْنَادُهُ، مَنْ أَنْصُلُ وَعَوَالِي^٩
 مُهْجُ الشَّبَابِ سُلَافَةُ الْجُرْيَالِ^{١٠}
 مِمَّا أَلَحَّ عَلَيْهِ مِنْ أَهْوَالِ^{١١}
 غَرَقَتْ بِمَاءِ شُؤْنِهَا الْهَطَّالِ^{١٢}
 غَضَبُ اللَّيْثِ حَمَايَةُ الْأَشْبَالِ
 مَنَحَلَّةُ الْأَطْرَافِ وَالْأَوْصَالِ^{١٣}
 أَذُنٌ، وَهَمَّتِ أَلْسُنٌ بِسُؤَالِ
 صَدْرُ الْقَنَاةِ وَعَامِلُ الْعَسَالِ؟^{١٤}
 أَسَدُ الْمُزْمَجِرِ ذُو النَّدَاءِ الْعَالِي؟
 قَدَّرُ الْإِلَهَ يَسِيرٌ غَيْرُ مُبَالِي؟
 مَا فِي الْبَرِيَّةِ مِنْ نُهْيٍ وَكَمَالِ^{١٥}
 صَبْرُ الْكَرِيمِ، وَهَمَّةُ الْفَعَالِ^{١٦}
 طُبِعَتْ لِيَوْمٍ كَرِيهَةٍ وَنِزَالِ^{١٧}
 تُزْرِي بِوَقْعِ أَسْنَةٍ وَنِبَالِ^{١٨}
 جَهْمِ الْعَزِيمَةِ ضَاكِكِ الْأَمَالِ^{١٩}
 وَالشَّعْبُ يَهْتَفُ بِأَسْمِهِ وَيُغَالِي
 مَعْنَى الْحَيَاةِ وَعِزَّ الْأَسْتِقْلَالِ
 أَمَلًا، وَلَا نَيْلُ السُّهَا بِمُحَالِ^{٢٠}
 وَكَأَنَّ دَعْوَتَهُ أَذَانٌ «بَلَالِ»^{٢١}
 فِي حُبِّ مُصْرٍ زَعَارِعُ الْأَوْجَالِ^{٢٢}
 نَارُ الْحُبَّاحِبِ، أَوْ وَمِيضُ الْآلِ^{٢٣}
 وَيَجُولُ حِينَ يَضِيقُ كُلُّ مَجَالِ
 لِأَضْفَتِ إِشْعَالًا إِلَى إِشْعَالِ
 دَكِّ الْحُصُونِ فَعُدْنَ كَالْأَطْلَالِ
 لَوْلَا اللَّهِيْبُ بِصَارِمِ فَصَالِ^{٢٤}

وَالْمَوْتُ يَخْطُرُ فِي الْجُمُوعِ وَحَوْلَهُ
 رِيَانٌ مِنْ مُهْجِ الشَّبَابِ كَأَنَّمَا
 وَجَنَانٌ مُصْرٌ عَلَى جَنَاحِي طَائِرٍ
 تَرْنُو إِلَى أَبْنَائِهَا بِنَوَاطِرٍ
 وَإِذَا بِصَوْتِ هَزٍّ مُصْرٍ زئِيرُهُ!
 صَوْتُ كُصُورِ الْحَشْرِ جَمَعَ أُمَّةً
 فَتَطَلَّعَتْ عَيْنٌ، وَأَصْغَتْ بَعْدَهَا
 مَنْ ذَلِكَ الشَّعْشَاعُ طَالِ كَأَنَّهُ
 مَنْ ذَلِكَ النَّمْرُ الْوُثُوبُ؟ وَذَلِكَ الـ
 وَمَنْ الَّذِي اخْتَرَقَ الصُّفُوفَ كَأَنَّهُ
 سَعْدٌ، وَحَسْبُكَ مَنْ ثَلَاثَةَ أَحْرَفٍ
 كَتَبَ الْكِتَابَ حَوْلَ مُصْرٍ، سِلَاحُهَا
 وَمِنْ السُّيُوفِ إِرَادَةُ مَصْقُولَةٍ
 وَمِنْ السَّوَابِغِ حِكْمَةُ سَعْدِيَّةٍ
 وَمِنْ الْحُصُونِ فَوَادُ كُلِّ مُصَابِرٍ
 فَمَضَى إِلَى النَّصْرِ الْمُبِينِ مُؤَزَّرًا
 وَهَدَى الشَّبَابَ إِلَى الْحَيَاةِ فَأَذْرَكُوا
 وَجَرَ يُغْبِرُ، لَا الْعَسِيرُ بِخَاذِلٍ
 فَكَأَنَّهُ سَيْفُ الْمُهَيِّمِ «خَالِدٌ»
 مَا رَاعَهُ نَفْيٌ، وَلَا لَعِبَتْ بِهِ
 وَيَرَى الْحُتُوفَ وَقَدْ مَلَأْنَ طَرِيقَهُ
 يَزْدَادُ فِي عَصْفِ الشَّدَائِدِ قُوَّةً
 كَالشُّعْلَةِ الْحَمْرَاءِ لَوْ نَكَّسَتْهَا
 وَالسَّيْلُ إِنْ أَحْكَمْتَ سَدَّ طَرِيقَهُ
 وَالصَّارِمُ الْفَصَالُ لَمْ يَكْ حَدُّهُ

خَصْمٌ شَرِيفٌ نَالَ مِنْ خَصَمَائِهِ مَا نَالَ مِنْ إِجْلَالِ كُلِّ مُوَالِي

عَرَفُوهُ وَضَاحَ السَّرِيرَةِ طَاهِرًا شَرُّ الْبَلَاءِ خُصُومَةُ الْأَنْذَالِ!
إِنَّ الشَّجَاعَةَ أَنْ تَنَاضِلَ مُصْحَرًا لَا أَنْ تَدِبَ كَفَاتِكَ الْأَصْلَالِ^{٢٥}

إِنْ قَامَ يَخْطُبُ قُلْتُ: حَيْدَرُهُ انْبَرَى لِلْقَوْلِ فِي سَمْتٍ وَصَدَقَ مَقَالِ^{٢٦}
إِعْجَازُ عَارِضَةٍ، وَنُورُ بَدِيهَةٍ وَبَدِيعُ تَنْسِيقٍ، وَحُسْنُ صِقَالِ^{٢٧}
يَحْتَارُ مِنْ آيِ الْكَلَامِ جَوَاهِرًا دُرُّ الْبَلَاغَةِ كَاسِمُهُنَّ غَوَالِي!
مَا عَقَّهُ حُرُّ الْبَيَانِ، وَلَا جَزَتْ أُمُّ اللُّغَاتِ وَفَاءَهُ بِمِطَالِ^{٢٨}
وَالسَّامِعُونَ كَأَنَّمَا لَعِبَتْ بِهِمْ صَهْبَاءٌ قَدْ نِفَحَتْ بِرِيحِ شَمَالِ^{٢٩}
فَإِذَا أُثِيرَ رَأَيْتَ (بُرْكَانًا) رَمَى حُمَمًا، وَذَكَ الْأَرْضَ بِالزَّلْزَالِ
مُتَنَمِّرًا كَاللَّيْثِ دَيْسَ عَرِينُهُ مُتَوَثِّبًا يَدْعُو الرِّجَالَ نَزَالِ
كَلِمٌ إِذَا حَذَرَ اللَّئَامَ رَأَيْتَهَا حَالَتْ إِلَى مَسْنُونَةٍ وَنِضَالِ^{٣٠}
لَا تَذْكُرُوا نَارَ الصَّوَاعِقِ عِنْدَهَا نَارُ الصَّوَاعِقِ عِنْدَهَا كَذْبَالِ!^{٣١}

نَفْسٌ كَأَنفَاسِ الْمَلَائِكِ طَهَّرَتْ وَشَمَائِلُ أَحْلَى مِنَ السَّلْسَالِ^{٣٢}
وَتَوَاضَعُ النُّسَاكِ فِيهِ يَزِينُهُ شَمَمُ الْمُلُوكِ وَعِزَّةُ الْأَقْبَالِ^{٣٣}
وَحَلَابِقُ كَالزَّهْرِ سَارَ عَبِيرُهُ مَا بَيْنَ أَمْوَاهِ وَبَيْنَ ظِلَالِ^{٣٤}
وَعَزِيمَةُ جَبَّارَةٍ لَوْ حُمِلَتْ «أَحَدًا» لَمَا شَعَرَتْ لَهُ بِكَلَالِ^{٣٥}
وَشَجَاعَةٌ فِي اللَّهِ يَكْلُوهَا الْحِجَا وَالْحَزَمُ فِي الْإِدْبَارِ وَالْإِقْبَالِ^{٣٦}
وَعَقِيدَةٌ لَوْ هُزَّتِ الْأَجْبَالُ مِنْ نُعْرِ لَمَا اهْتَزَّتْ مَعَ الْأَجْبَالِ

دَارُ النِّيَابَةِ عُوِجِلَتْ فِي مِذْرِهِ كَانَ الزَّمَانُ بِهِ مِنَ الْبُخَالِ^{٣٧}
ضُرِبَتْ بِهِ الْأَمْثَالُ لَمَا أَنْ غَدَا فِي دَهْرِهِ فَرْدًا بَلَا أَمْثَالِ^{٣٨}
قَدْ كَانَ فَيُصَلِّهَا إِذَا عَجَبَتْ بِهَا لُجَجُ الْخِلَافِ وَلَجَّ كُلُّ جِدَالِ^{٣٩}
يَزِنُ الْكَلَامَ كَمَا يُوَازِنُ صَيْرَفُ فِي النَّقْدِ مَثْقَلًا إِلَى مَثْقَالِ^{٤٠}
وَإِذَا الْحَقِيقَةُ أَظْلَمَتْ أَسْدَالَهَا صَدَعَ الدُّجَى فَبَدَتْ بَلَا أَسْدَالِ^{٤١}

جَمَعَ الْقُلُوبَ عَلَى الْوَفَاقِ وَصَانَهُ
لَمْ يَنْتَقِلْ حَتَّى تَفْجَرُ نَبْعُهُ
مَنْ وَهَنَ رَعْدِيْدٍ وَطَيْشٍ مُعَالِي^{٤٢}
وَشَفَى النَّفُوسَ نَمِيرُهُ بِزُلَالِ^{٤٣}
أَتَرَى لِعَقْدِ اللَّهِ مِنْ حَلَالٍ؟^{٤٤} — جَلَّ جَلَالُهُ —

* * *

لَهْفِي عَلَيْهِ وَهُوَ رَهْنُ فِرَاشِهِ
لَهْفِي عَلَى لَيْثِ الْكِنَانَةِ أَغْمَدْتُ
قَنَصْتُ بَنَاتُ الدَّهْرِ وَاحِدَ دَهْرِهِ
يَزْنُو إِلَيْهِ الْعَائِدُونَ بِأَعْيُنٍ
مُنْقَدِّمِينَ، تَسْوِفُهُمْ لَمَعَ الْمُنَى
وَالْمَوْتُ يَسْخَرُ بِالْحَيَاةِ وَطَبَّهَا
وَالشَّعْبُ يَسْأَلُ: كَيْفَ سَعِدَ؟ مَا لَهُ؟
يَفْدُونَ لِلْبَيْتِ الْكَرِيمِ كَأَنَّهُمْ
يَفْدُونَ بِالنَّفْسِ الرَّئِيسِ، وَإِنَّمَا
عَرَفُوا الْجَمِيلَ، وَلَا تَزَالُ بَقِيَّةُ
مَنْ يَشْتَرِي حُسْنَ الثَّنَاءِ فَإِنَّمَا

مُتَفَرِّزًا مِنْ دَائِهِ الْقَتَالِ!^{٤٥}
أَظْفَارُهُ مِنْ بَعْدِ طُولِ صِيَالِ!^{٤٦}
وَرَمَتْهُ مِنْ أَدَوَائِهَا بَعْضَالِ^{٤٧}
غُزِرَ الدُّمُوعُ كَثِيرَةَ التَّسَالِ
مُتَرَاكِعِينَ، مَخَافَةَ الْإِعْوَالِ^{٤٨}
جُهِدَ الْحَيَاةَ نِهَايَةَ الْأَجَالِ!
وَالنَّاسُ فِي ذُعْرٍ وَفِي بَلْبَالِ^{٤٩}
زُمَرُ الْحَجِيجِ تَسِيرُ فِي أَرْسَالِ^{٥٠}
نَفْسُ الرَّئِيسِ بِقَبْضَةِ الْمُتَعَالِي!
فِي النَّاسِ لِلْإِحْسَانِ وَالْإِجْمَالِ!^{٥١}
بِفَعَالِهِ يَشْرِيهِ، لَا بِالْمَالِ

* * *

يَأْيُهَا النَّاعِي! حَنَانَكَ! إِنَّمَا
مَاذَا تَقُولُ وَلِلرَّزِيَّةِ رَوْعَةٌ
مَنْ كَانَ يَرِثُنِي أُمَّةٌ فِي وَاحِدٍ
وَإِذَا الْبَيَانُ أَبَى عَلَيْهِ فَرِيدُهُ

هِيَ أُمَّةٌ أَضَحَتْ بِغَيْرِ ثَمَالِ!^{٥٢}
تُغْنِي بَلَاغَتُهَا عَنِ الْأَقْوَالِ؟^{٥٣}
تَكْفِيهِ بَارِقَةٌ مِنَ الْإِجْمَالِ^{٥٤}
فَالدَّمْعُ فِيهِ فَرَائِدٌ وَلَآلِي^{٥٥}

* * *

سَارَتْ مَطِيَّةٌ نَعَشِهِ عُجْبًا بِهِ
فِيهَا — كِتَابُوتِ الْكَلِيمِ — سَكِينَةٌ
لَا تَحْمِلُوهُ عَلَى الْمَدَافِعِ إِنَّمَا
أَجْدِرُ بِمَنْ حَمَلُوهُ فِي غَزَوَاتِهِ

تَخْتَالُ بَيْنَ الْوَحْدِ وَالْإِزْقَالِ^{٥٦}
وَبَقِيَّةُ مِنْ هَيْبَةٍ وَجَلَالِ^{٥٧}
فَخَرُ الزَّعِيمِ قِيَادَةُ الْأَعْزَالِ
أَنْ يَحْمِلُوهُ عَشِيَّةَ التَّرْحَالِ

سِيرُوا عَلَى سَنَنِ الرَّعِيمِ، فَإِنَّهُ
قَدْ خَطَّ مِنْ أَخْلَاقِهِ وَجْهَائِهِ
إِنْ كَانَ لَمْ يَنْجُلْ فَإِنَّ لَهُ بِكُمْ
لَا تَيَاسُوا، فَلَكُمْ أُبِيدَتْ قَبْلَكُمْ
إِنَّ الشُّعُوبَ تُصَابُ فِي أَبْطَالِهَا
هِيَ قُدُوءٌ لِلْعَامِلِينَ، وَأُسُوءُ
سَعْدٌ حَيَاةً فِي الْمَمَاتِ، وَقَبْرُهُ
أُخْرَى بِمَنْ وَهَبَ الْحَيَاةَ لِقَوْمِهِ
سَنَنْ الْهُدَى وَجَلَائِلِ الْأَعْمَالِ^{٥٨}
لِلْفِتْيَةِ السَّارِينَ خَيْرَ مِثَالٍ
عَدَدَ النُّجُومِ الزُّهْرِ مِنْ أَنْجَالِ^{٥٩}
أُمِّ بِيَّاسٍ قَاتِلٍ وَمَلَالٍ
وَحَيَاتُهَا فِي سِيرَةِ الْأَبْطَالِ!
الْمُسْتَبْسِلِينَ، وَقِصَّةُ الْأَطْفَالِ
مَهْدُ الْجِهَادِ وَمَجْدُ الْأَسْتِقْبَالِ^{٦٠}
أَلَّا تُمْسُ حَيَاتُهُ بِزَوَالِ

هوامش

- (١) غاض: جف وذهب. الحمام: الموت. عرينة الرئبال: مأوى الأسد.
- (٢) الكنانة: مصر. الكنانة: جعبة السهام.
- (٣) رشقته: رمته. أحداث الخطوب: ما ينزل من المكاره ويصيب. أقصدت: لم تخطئ المقتل. الدهم: السود. الحرب السجال: التي تكون، مرة لهؤلاء ومرة لهؤلاء.
- (٤) يطيح: لا يثبت لها ولا يقوى عليها. الحول: القوة.
- (٥) الآية: المعجزة.
- (٦) سار: متوثب غير خامد ولا ساكن. مصباح السماء: الشمس. يحثه: يغريه ويستنهضه. كر الضحى: مروره. الأصال: جمع أصيل، وهو ما بعد العصر إلى المغرب.
- (٧) القذال: مؤخر الرأس، ويريد الرأس عامة.
- (٨) العيون الثانية: الجواسيس رصدتهم: مراقبتهم لهم. الشرة (بالكسر): الشر.
- (٩) يخطر: يمشي مزهوًا. الأئصل: جمع نصل، ويريد به السيف. العوالي: الرماح.
- (١٠) المهج: هنا الدماء. الجريال: الخمر، سلافتها: ما تحلب وسال قبل العصر، وهو أفضل الخمر.
- (١١) الجنان: القلب، ووجود الجنان على جناحي طائر كناية عن اضطرابه فزعًا وهماً. ألح: دام وتتابع في شدة.
- (١٢) ترنو: تديم النظر. الشؤون: عروق الدموع. الهطال: المتتابع المنهمر.

- (١٣) الصور: القرن ينفخ فيه. الحشر: الجمع، يريد يوم القيامة. يشير بصور الحشر إلى قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾. الأوصال: الأطراف، الواحد: وصل (بالكسر وبالضم). منحلة الأطراف والأوصال: أي لا رابطة بين أهلها.
- (١٤) الشعشاع: الطويل. القناة: الرمح. صدرها: معظمها وهو ما يلي السنان. العسل: الرمح الخطار، عامله: صدره.
- (١٥) النهى: العقول، الواحدة: نهية (بالضم). سميت كذلك؛ لأنها تنهى عن القبيح.
- (١٦) كتب الكتائب: جمع الجيوش.
- (١٧) طبعت: صبغت وعملت. الكريهة: الشدة. النزال: القتال والطعان.
- (١٨) السوابغ: الدروع، الواحدة: سابغة. سعدية: نسبة إلى الزعيم الراحل سعد زغلول. تزرى بوقع ... إلخ. أي: لا تباليتها ولا تأبه لها. الأسنة: جمع سنان وهو نصل الرمح. النبال: السهام. الواحد: نبل.
- (١٩) المصابر: الذي يبرز غيره في الصبر ويغلبه فيه. جهم العزيمة: عابسها. عبوس العزيمة دليل على قوتها وصلابتها. ضاحك الآمال: أي مملوء رجاء وثقةً بنجاح أمنيته وأمله.
- (٢٠) يغبر: يثير الغبار، وهذا كناية عن السرعة في السير. السها (بالألف والياء): كوكب صغير من بنات نعث الصغرى. يضرب به المثل في الشيء البعيد إدراكه والحصول عليه.
- (٢١) المهيمن: من أسماء الله تعالى. خالد: هو خالد بن الوليد المخزومي الصحابي المعروف، وقد سماه رسول الله ﷺ لقوته وبأسه على الكفار وكثرة ما أبلى: سيف الله المسلول. وإلى هذا يشير الشاعر. وكانت وفاته في خلافة عمر بن الخطاب. بلال: هو بلال بن رباح مؤذن الرسول ﷺ.
- (٢٢) ما راعه: ما أفزعته ولا أخافه. زعازع الأوجال، أي: شدائد المخاوف وما يعصف منها بالأفئدة ويزعزعها.
- (٢٣) الحتوف: المهالك. الحباحب: اسم رجل بخيل كان لا يوقد إلا نارًا ضعيفة مخافة الضيفان، فضربوا بضعف ناره المثل. الحباحب أيضًا: ذباب يطير بالليل له شعاع في ذنبه كالسراج، وربما جعلوا الحباحب لما يرى في ذنبه كأنه نار. الآل: الذي يرى في الصحراء طرفي النهار كأنه ماء. وميضه: لمعانه وبريقه.
- (٢٤) الصارم الفصال: السيف القاطع.

(٢٥) مصحراً، أي: بارزاً ظاهراً. الأصلال: جمع صل (بالكسر) وهي الحية.
(٢٦) حيدرة: الأسد، وهو لقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب — كرم الله وجهه —
رابع الخلفاء الراشدين ويقول في ذلك: أنا الذي سمتني أمي حيدرة. وهو معروف
بالفصاحة في القول، وخطبه مجموعة في كتاب (نهج البلاغة). في سمت: أي في حسن
هيئة ووقار.

(٢٧) العارضة: البيان واللسان. الصقال: صقل الألفاظ والإتيان بالواضح الأخاذ
منها.

(٢٨) عقه: امتنع عليه وخانه. حر البيان: خالسه ونقيه. أم اللغات: اللغة العربية.
وفاءه: أي وفاءه لها بنصرتها. ويشير بذلك إلى رئاسته للمؤتمر المصري الذي كان من
همه جعل التعليم في المدارس المصرية باللغة العربية (ما عدا اللغات)، وقد كان باللغة
الإنجليزية. المطال: التسويف وعدم الوفاء.

(٢٩) الصهباء: الخمر، سميت بذلك للونها. نفحت بريح شمال: أي هبت عليها
ريح الشمال الباردة، فأكسبتها برودة، والخمر تسوغ وتجدد إذا كانت كذلك.
(٣٠) اللثام: ما كان على الفم من فضل العمامة. حدره: أزاله عن موضعه. ويريد
بحدره اللثام: استعداده للخطابة. حالت: تحولت. ويريد بالمسنونة: الرماح، وبالنصال:
السيوف.

(٣١) الصواعق: جمع صاعقة وهي نار تسقط من السماء لا تمر على شيء إلا
أحرقته. الذبال: جمع ذبالة وهي فتيلة المصباح.
(٣٢) أنفاس الملائكة طاهرة؛ لأنها تمتزج بالصلاة والتسبيح، الشمائل: الطباع.
الواحد: شمال (بالكسر). السلسال: الماء العذب.
(٣٣) النسك: جمع ناسك وهو العابد المتزهّد المتقشف. الشمم: الإباء والأنفة.
الأقبال: جمع قيل، وهو الرئيس.

(٣٤) عبير الزهر: ما ينبعث عنه من ريح طيبة. الأمواه: المياه.
(٣٥) أحد: جبل معروف، كانت عنده غزوة عرفت به. الكلال: التعب والإعياء.
(٣٦) يكلؤها: يحفظها ويرعاها. الحجا: العقل. وفي الإدبار والإقبال: أي في شدته
ورخائه.

(٣٧) عوجلت: أي دهمها الموت في مدرها. المدره: زعيم القوم والمتكلم عنهم.
(٣٨) الأمثال (الأولى): جمع مثل (بالتحريك) وهو القول السائر. وأمثال (الثانية):
جمع مثل (بكسر أوله أو بالتحريك): وهو الشبيه والنظير.

(٣٩) الفيصل: القاضي يفصل في الأمور بثاقب رأيه. عجبت: اشتدت وثار. لج: الخلاف: قوي وهاج تشبيهاً له بلجج البحر. وهي معظمه حيث يشتد ماؤه. (٤٠) الصيرف: الصرّاف.

(٤١) الأسدال: الستور ترخى فتحجب ما وراءها. (٤٢) الوفاق: الاتحاد بين أبناء مصر على اختلاف أديانهم. صانه: حفظه ووقاه. الوهن: الضعف والخور. الرعديد: الجبان. الطيش: الخرق في الرأي والشطط في التقدير. (٤٣) النبع: عين الماء. والضمير فيه يعود على الوفاق. النмир: الماء الناجع في الري. الزلال: الماء البارد العذب الصافي. (٤٤) العرا: جمع عروة. وهي من الثوب أخت زره. والضمير في عراه يعود إلى إلى الوفاق.

(٤٥) متفززاً: لا يقر على حال ولا يستقيم على جنب من تباريح الألم. (٤٦) إغمد الأظفار في الليث من مظاهر فتوره وضعف سطوته وانحلال قوته. ويريد به الموت.

(٤٧) بنات الدهر: نائباته. العضال من الأدواء: المستعصي منها على الشفاء. (٤٨) لمع المنى: بارقات الرجاء. الأعوال: البكاء مع صوت. يصف العائدين. (٤٩) البلبال: هم النفس وما يعترئها من وساوس وأحزان. (٥٠) الزمر: الجماعات. الأرسال: جمع رسل (بالتحريك). وهو الجماعة من كل

شيء.

(٥١) الإجمال: الإحسان في الصنع. (٥٢) الشمال: الغياث الذي يقوم بأمر قومه. (٥٣) الرزية: المصيبة لا قوة على احتمالها. (٥٤) البارقة: الومضة. الإجمال: الاختصار. (٥٥) فريد البيان: عزيزة ونادرة. والفرائد: الجواهر النفيسة. الواحدة: فريدة. (٥٦) المطية: الدابة تمتطى. أي: يعتلى مطاها. وهو ظهرها. جعل النعش مطية. الوخد والإرقال: ضربان من السير فيهما سعة خطو.

(٥٧) الكليم: هو موسى — عليه السلام — يشير إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ﴾.

(٥٨) السنن: الطريق.

(٥٩) لم ينجل: لم يعقب ولدًا. الزهر: المتلألئة المشرقة.

(٦٠) مهد الجهاد: موطنه ومبعثه.

إبراهيم بطل الشرق

بمناسبة مرور مائة عام على وفاة إبراهيم باشا، وإزاحة الستار عن لوحة نقشَت على قاعدة تمثاله المقام بميدان الأوبرا بالقاهرة عام ١٩٤٨ م.

وَعَزَمُ! وَإِلَّا فِيمَ حَثُّ الرِّكَائِبِ؟^١
مُدَوِّيَّةٌ، فالْمَجْدُ أَوْهَامُ كَاذِبٍ
ظِلَامُ الْفِيَا فِي ظِلَامِ الْغِيَا^٢
تُدَاعِبُهَا الْأَرْوَاحُ فِي كَفِّ غَالِبٍ
يُحَلِّقُ فِي الْأَفَاقِ لَيْسَ بِغَائِبٍ!
وَيَكْتُبُهُ التَّارِيخُ بَيْنَ الْكَوَاكِبِ^٣
تُطَاوِلُ أَعْنَانَ السَّمَاءِ بِغَارِبٍ^٤
لَأَضْحَى سَنَاهُ حَسْرَةً فِي الْقَوَاضِبِ^٥
وَأَمْطَرَتِ الْأَرْضُ السَّمَاءَ بِحَاصِبٍ^٦
وَسُحْبٌ عُجَاجٌ تَلْتَقِي بِسَحَائِبٍ^٧
وَتَثْقُبُ آذَانَ النُّجُومِ الثَّوَابِ^٨
مَعَاقِلُهَا حَدَثَتْكُمْ بِالْعَجَائِبِ^٩
لَفَرِ حَسِيرُ الطَّرَفِ نَحْوَ الْمَغَارِبِ^{١٠}
وَيَعْرِفُ بِالْإِلْهَامِ سَرَّ الْعَوَاقِبِ^{١١}
وَعَذْرَاءُ لَمْ تَخْفَرْ بِهَا كَفُّ خَاطِبٍ^{١٢}
وَأَبَ يَصُكُّ الْوَجْهَ صَكَّ النُّوَادِبِ^{١٣}

طُمُوحُ! وَإِلَّا مَا صِرَاعُ الْكِتَائِبِ؟
إِذَا الْمَجْدُ لَمْ يَتْرَكَ وَرَاءَكَ صَيْحَةً
يَخُوضُ الْهَمَامُ الْعَبْقَرِيَّ بِعِزْمِهِ
وَأَرْوَعُ مَا تَهْفُو لَهُ الْعَيْنُ رَايَةً
وَكَمْ بَطْلٍ فِي الْأَرْضِ غَابَ وَذَكَرُهُ
يُدَوِّنُهُ الْمِيلَادُ بَيْنَ لِدَاتِهِ
وَمَا مَاتَ مِنْ أَبْقَى لِمَصْرِ مَجَادَةٍ
حَمَاهَا بِعِزْمٍ لَوْ رَأَتْهُ قَوَاضِبُ
وَمَنْ مِثْلُ إِبْرَاهِيمَ إِنْ حَمَى الْوَغَى
صَوَاعِقُ تَلْقَى لِلْحَتُوفِ صَوَاعِقًا
وَزَمْزَمَةٌ تُنْسِي الرُّعُودَ هَزِيمَهَا
سَلُّوا عَنْهُ «عَكَ» إِنَّهَا إِنْ تَكَلَّمَتْ
رَمَاهَا بِجَيْشٍ لَوْ رَمَى مَشْرِقَ الضُّحَى
رَمَاهَا فَتَى لَا يَعْرِفُ الشُّكَّ رَأْيَهُ
مَمْنَعَةٌ مَا رَاضَهَا عِزْمُ قَائِدٍ
أَتَاهَا «بَنُوبَارْتُ» يُدَاوِي نَدْوِيَّةً

أُتَاهَا يَجُرُّ الدَّيْلَ فِي تِيهِ وَاثِقٍ
رَأَاهَا وَفِي الْعَنْقُودِ وَالْكَرْمِ مَا اشْتَهَى
وَكَمْ وَضَعْتَ مِنْ إَصْبَعٍ فَوْقَ أَنْفِهَا!
رَأَتْ فَاتَحَ الدُّنْيَا يَفْرُجُ جَبَانَةً
وَلَكِنْ إِبْرَاهِيمَ فِي الرُّوعِ كَوَكَبٍ
فَعَادَ يَجُرُّ الدَّيْلَ فِي خِزْيِ خَائِبٍ^{١٤}
وَأَيْنَ مِنَ الْعَنْقُودِ أَيْدِي الثَّعَالِبِ؟^{١٥}
وَكَمْ غَمَزَتْ أَسْوَارُهَا بِالْحَوَاجِبِ!
وَيُلْقِي عَلَى الْأَقْدَارِ نَظْرَةً عَاتِبٍ^{١٦}
إِذَا انْقَضَ فَاَلْأَطَامُ لُعبَةٍ لَاعِبٍ^{١٧}

* * *

وَيَوْمَ «نَصِيبِينَ» الَّتِي قَامَ حَوْلَهَا
عَلَاهَا فَتَى مَصْرٍ بِضَرْبَةٍ فَيَصِلُ
فَرِيحٌ لَهَا الْبُوسْفُورُ وَارْتَجَّ عَرْشُهُ
أَبَى الْغَرْبُ أَنْ تَخْتَالَ لِلْمَشْرِقِ رَايَةً
أَيَّدَعَى سَلِيلُ الْمَشْرِقِ لِلْمَشْرِقِ غَاصِبًا
سِيَاسَةً حَقْدٍ أَيْنَ مِنْ نَفْثَاتِهَا
بَنُو الْتَرْكِ وَالْأَلْمَانُ حُمُرَ الْمَخَالِبِ^{١٨}
وَلَكِنَّهَا لِلنَّصْرِ ضَرْبَةٌ لِأَزَبٍ^{١٩}
وَصَاحَتْ ذَنَابُ الشَّرِّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ^{٢٠}
وَأَنْ يَقِفَ الْمَسْلُوبُ فِي وَجْهِ سَالِبٍ^{٢١}
وَمَغْتَالُهُ فِي الْغَرْبِ لَيْسَ بِغَاصِبٍ؟^{٢٢}
لَعَابِ الْأَفَاعِي أَوْ سُمُومِ الْعَقَارِبِ؟^{٢٣}

* * *

حَنَانًا لِإِبْرَاهِيمَ لَأَقَى كِتَائِبًا
غَزُوهُ بِجَيْشٍ بِالْدهَاءِ مُحَارِبٌ
فَمَا لَيَّنُوا مِنْهُ قَنَاءَ صَلِيبَةٍ
مِنْ الْكِيدِ لَمْ تَعْرِفْ نَضَالَ الْكِتَائِبِ
وَلَكِنَّهُ بِالسَّيْفِ غَيْرَ مُحَارِبٍ
وَلَا كَدَّرُوا مِنْ صَفْوِ تِلْكَ الْمَنَاقِبِ^{٢٤}

* * *

عَرَفْنَا لِحَامِي الْقِبْلَتَيْنِ جِهَادَهُ
لَهُ الْعُرْبُ أَلْقَتْ فِي إِبَاءٍ زِمَامَهَا
فَوَحَّدَهَا فِي دَوْلَةٍ عَرَبِيَّةٍ
يَقُولُونَ: قِفْ بِالْجَيْشِ مَاذَا تَرِيدُهُ؟
فَقَالَ: إِلَى أَنْ تَنْتَهِيَ «الضَّادُ» أَنْتَهِيَ
لَقَدْ زُهِيتَ مَصْرٌ بِبَاعِثِ شَعْبِهَا
وَكَمْ كَتَبَ التَّارِيخُ لِابْنِ مُحَمَّدٍ
وَكَمْ صَانَ مَصْرًا مِنْ بَنِيهِ مَمْلُوكٌ
وَكَمْ هَانَ مَطْلُوبٌ لِعِزَّةِ طَالِبٍ^{٢٥}
وَكَانَتْ سَرَابًا لَا يُنَالُ لِشَارِبٍ^{٢٦}
تُزَاحِمُ فِي رُكْبِ الْعُلَا بِالْمَنَاقِبِ^{٢٧}
وَمَاذَا تُرْجِي مِنْ وَرَاءِ السَّبَاسِبِ؟^{٢٨}
وَحَيْثُ تَسِيرُ الْعُرْبُ تَسْرِي نَجَائِي^{٢٩}
لِكَسْبِ الْمَعَالِي وَاقْتِنَاءِ الرِّغَائِبِ^{٣٠}
خَوَالِدَ، وَالتَّارِيخُ أَصْدَقُ كَاتِبٍ^{٣١}
بَعِيدَ مَنَالِ الْعِزِّ جَمَّ الْمَطَالِبِ^{٣٢}

شمائلُ «فاروقٍ» وعزّةُ ملكِه تَزِيدُ جَلالاً في جلالِ المناسِبِ^{٣٣}

هوامش

- (١) الكتائب: الجيوش. حث: حض. الركائب: الفرسان.
- (٢) ظلام الفيافي: ظلمة الصحراء الموحشة. ظلام الغياهب: ظلمة الجهول.
- (٣) يدونه: يسجله. لداته: نظائره.
- (٤) مجادة: مجدًا تليدًا. أعنان السماء: آفاق السماء. بغارب: المقصود الطويل الشامخ.
- (٥) قواضب: الأشجار الممتدة الأغصان. سناه: ضوءه.
- (٦) حمي الوغى: اشتد القتال. بحاصب: الريح الشديدة تثير الحصباء.
- (٧) صواعق: نار تسقط عليهم من السماء. الحتوف: الموت. عجاج: مليئة بالدخان والغبار.
- (٨) وزمزمة: صوت الرعد. هزيمها: صوتها. الثواقب: المضیئة.
- (٩) عكا: مدينة عكا وقد فتحها إبراهيم باشا. معاقلها: حصونها.
- (١٠) حسير الطرف: كليل النظر ملهوفًا. المغارب: أي في جهة الغرب.
- (١١) الشك: الريبة والظن. الإلهام: ما يلقي في الروح. سر العواقب: ما يؤول إليه آخر الشيء.
- (١٢) ممنوعة: ممنوعة الفتح على القواد قبله. ما راضها: استعصت على القواد.
- (١٣) بونابرت: يقصد نابليون بونابرت حينما أراد فتحها فاستعصت عليه. ندوبه: أثر الجراح. آب: عاد. يصك الوجه: يلطم وجهه. النوادب: النساء الباقيات على الميت.
- (١٤) تيه: تكبر. في خزي خائب: في ذل وهوان ولم ينل مطلبه.
- (١٥) العنقود: واحد عناقيد العنب. الكرم: شجر العنب. يشير إلى قصة الثعلب والعنب الشهيرة.
- (١٦) فاتح الدنيا: المقصود نابليون بونابرت. جبانة: خوفًا. عاتب: لائم.
- (١٧) الروع: القتال. الأطام: السيل المرتفع الأمواج تتكسر بعضها على بعض.
- (١٨) نصيبين: معركة انتصر فيها إبراهيم باشا. حمر المخالب: صبغت أيديهم باللون الأحمر وهو لون الدماء.

- (١٩) علاها: استولى عليها. فتى مصر: إبراهيم باشا. بضربة فيصل: بضربة قوية مسددة في إيتقان. لازب: ثابت.
- (٢٠) ريع لها: خاف واهتز. البوسفور: كناية عن تركيا. ارتج عرشه: اهتز ملكه.
- (٢١) أبى: رفض. الغرب: كناية عن دول أوروبا الغربية. المسلوب: المسروق. سالب: المختلس.
- (٢٢) سليل الشرق: ابن الشرق والمقصود إبراهيم باشا. غاصبًا: آخذًا للشيء ظلماً. مغتاله: قاتله خدعة.
- (٢٣) نفثاتها: ما ينفثه الشخص من فيه.
- (٢٤) لينوا: جعلوه لينًا. قناة صليبية: رمحًا شديدًا لا يلين. المناقب: الصفات الحسنة.
- (٢٥) حامي القبلتين: لقب إبراهيم باشا والمقصود المسجد الحرام والمسجد الأقصى.
- (٢٦) إباء: عزة. زمامها: قيادتها. سرابًا: ما يرى في منتصف النهار على أنه ماء في الصحراء وليس بماء.
- (٢٧) المناكب: عظم العضد والكتف.
- (٢٨) ترجي: تأمل. السباسب: الأرض المستوية أو المفازة.
- (٢٩) «الضاد»: لغة الضاد أي: اللغة العربية. نجائب: الركائب التي يركبها الجيش.
- (٣٠) زهيت: افتخرت. الرغائب: الشيء المرغوب.
- (٣١) «محمد»: محمد علي باشا. خوالد: الدائمة البقاء.
- (٣٢) بعيد منال العزم: قوي العزيمة. جم: كثير.
- (٣٣) شمائل: الصفات. فاروق: آخر ملوك مصر.

الحُبُّ والحَرْبُ

سنة ١٩١٦ م

ما لي فُتِنْتُ بِلَحْظِكَ الْفَتَّاكِ
يُسْرَاكِ قَدْ مَلَكَتْ زَمَامَ صَبَابَتِي
فَإِذَا وَصَلْتِ، فَكُلُّ شَيْءٍ بِاسْمِ
هَذَا دَمِي فِي وَجْنَتَيْكَ عَرَفْتُهُ
لو لم أَحْفَ حَرَّ الْهَوَى وَلَهَيْبِهِ
إِنِّي أَغَارُ مِنْ الْكُؤُوسِ فَجَنَّبِي
حَدَعْنَكَ مَا عَذَّبَ السُّلَافُ وَإِنَّمَا
لِكَ مِنْ شَبَابِكَ أَوْ دَلَالِكَ نَشْوَةٌ
وَسَلَوْتُ كُلَّ مَلِيحَةٍ إِلَّاكِ؟
وَمَضَلَّتِي وَهُدَايَ فِي يُمْنَاكِ
وَإِذَا هَجَرْتِ، فَكُلُّ شَيْءٍ بَاكِي
لَا تَسْتَطِيعُ جُحُودُهُ عَيْنَاكِ!
لَجَعَلْتُ بَيْنَ جَوَانِحِي مَثْوَاكِ
كَأَسِ الْمُدَامَةِ أَنْ تُقْبَلَ فَكِ
قَدْ دُقْتُ لَمَّا دُقْتَ حُلُو لِمَاكِ^١
سَحَرَ الْأَنَامَ بِفِعْلِهَا عِطْفَاكِ^٢

* * *

قَالَتْ خَلِيلَتُهَا لَهَا لِتَلِينَهَا
هِيَ نَظْرَةٌ لَاقَتْ بِعَيْنِكَ مِثْلَهَا
قَدْ كَانَ أَرْسَلَهَا لِصَيْدِكَ لَاهِيًا
عَهْدِي بِهِ لَبِقَ الْحَدِيثِ فَمَا لَهُ
إِيَّاكَ أَنْ تَقْضِيَ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ
إِنَّ الشَّبَابَ وَدِيْعَةً مَرْدُودَةٌ
مَاذَا جَنَى لَمَّا هَجَرْتِ فَتَاكِ؟
مَا كَانَ أَغْنَاهُ وَمَا أَغْنَاكِ!
فَفَرَرْتَ مِنْهُ وَعَادَ فِي الْأَشْرَاكِ
لَا يَسْتَطِيعُ الْقَوْلَ حِينَ يِرَاكِ؟
عَرَفَ الْحَيَاةَ بِحُبِّهِ إِيَّاكَ
وَالزُّهْدَ فِيهِ تَزَمُّتِ النَّسَاكِ

فَتَشَمَّمِي وَرَدَ الْحَيَاةَ، فَإِنَّهُ
لَمْ تُنْصِتِي، وَمَشَيْتِ غَيْرَ مُجِيبَةٍ
يَمْضِي، وَلَا يَبْقَى سِوَى الْأَشْوَاكِ
حَتَّى كَأَنَّ حَدِيثَهَا لِسِوَاكِ
وَبَكَتْ عَلَيَّ، فَمَا رَجَمْتَ بُكَاءَهَا
مَا كَانَ أَعْطَفَهَا، وَمَا أَقْسَاكِ!

* * *

عَطَفْتَ عَلَيَّ النَّيِّرَاتُ وَسَاءَلْتِ
قَالَتْ: نَرَى شَبَحًا يَرُوحُ وَيَعْتَدِي
أَنَا مَجْرُوحٌ يُعَالِجُ سَهْمَهُ
يَقْضِي سِوَاكَ اللَّيْلَ غَيْرَ مُوسِدٍ
حَتَّى إِذَا مَا الصَّبْحُ جَرَدَ نَضْلُهُ
إِنَّا نَكَادُ أَسَى عَلَيْهِ، وَرَحْمَةً
مَنْ عَهْدٍ قَابِلٍ وَلَيْسَ أَمَامَنَا
مَا بَيْنَ فَاتِكَةٍ تَصُولُ بِقَدِّهَا
مَذْعُورَةٌ قَمَرَ السَّمَاءِ أَخَاكِ^٢
وَيَبْتُ فِي الْأَكْوَانِ لَوَعَةً شَاكِي
وَزَفِيرُ مَأْسُورٍ بِغَيْرِ فَكَكِ
عَيْنُ مُسَهَّدَةٍ، وَقَلْبُ ذَاكِي
الْفَيْتَةِ جِسْمًا بِغَيْرِ حَرَاكِ
لِشَبَابِهِ، نَهْوِي مِنَ الْأَفْلَاكِ
فِي الْأَرْضِ غَيْرُ تَشَاكُيسٍ وَعِرَاكِ^٥
وَفَتَى يَصُولُ بِرُمَحِهِ فَتَاكِ

* * *

يَا أَرْضُ وَحِكِّ قَدْ رَوَيْتِ فَأَسْئِرِي
فِي كُلِّ رُبْعٍ مِنْ رُبُوعِكَ مَا تَمُّ
قَدْ قَامَ أَهْلُ الْعِلْمِ فِيكَ وَدَبَّرُوا
كَاشَفَتَهُمْ سِرَّ الْعَنَاصِرِ فَانْبَرُوا
نَتَرُوا كَنَانَتَهُمْ، وَكُلَّ سَهَامِهَا
دَخَلُوا عَلَى الْعِقْبَانِ فِي أَوْكَارِهَا
فَتَأَمَّلِي، هَلْ فِي تَحْوَمِكَ مَا مَنُّ؟
ظَهَرَ اللَّيْثُ وَذَاكَ أَصْعَبُ مَرْكَبٍ
لَيْتَ الْبَحَارُ طَغَتْ عَلَيْكَ وَسَجَرَتْ
وَكُفَّاكِ مِنْ تِلْكَ الدِّمَاءِ كَفَّاكِ!^٦
وَتَوَاكَلُ وَنَوَادِبُ وَبَوَاكِي^٧
بَرِئْتُ يَدِي مِنْ إِثْمِهِمْ وَيَدَاكِ!
يَتَخَيَّرُونَ أَمْضَاهَا لِرَدَاكِ^٨
لِلْفَتَكِ وَالتَّدْمِيرِ وَالْإِهْلَاكِ^٩
وَتَسَرَّبُوا لِمَسَابِحِ الْأَسْمَاكِ!^{١٠}
أَمْ هَلْ هُنَاكَ مَعْقِلٌ بِذُرَاكِ؟^{١١}
أَوْفَى وَأَكْرَمُ مِنْ أَدِيمِ ثَرَاكِ^{١٢}
أَوْ أَنَّ مَنْ يَطْوِي السَّمَاءَ طَوَاكِ!^{١٣}

* * *

لَمْ يَبْقَ فِي الْإِنْسَانِ غَيْرُ دِمَائِهِ
وَإِذَا النُّفُوسُ تَفَرَّقَتْ نَزَعَاتُهَا
فَدَرَاكِ يَا رَبَّ السَّمَاءِ دَرَاكِ!^{١٤}
قَامَتْ إِذَا قَامَتْ بِغَيْرِ مَسَاكِ^{١٥}

وَالسَّيْفُ أَظْلَمَ مَا فَرَزْتَ لِحُكْمِهِ وَالْحَزْمُ خَيْرُ شَمَائِلِ الْأَمْلَاكِ ١٦
وَمِنْ الدَّمَاءِ طَهَارَةٌ وَعَدَالَةٌ وَمِنْ الدَّمَاءِ جَنَائِيَةُ السُّفَّاكِ ١٧
وَالْعِلْمُ مِيزَانُ الْحَيَاةِ فَإِنْ هَوَى هَوَتْ الْحَيَاةُ لِأَسْفَلِ الْأَذْرَاكِ

هوامش

- (١) فاعل خدع ضمير مستتر يعود على المدامة وما نافية. السلاف: الخمر. اللمى مثلثة اللام: سمرة مستحسنة في باطن الشفة. والمراد الشفة نفسها.
- (٢) النشوة: السكر. سحر: استمال وجذب. الأنام: جميع الخلق. العطف: الجانب.
- (٣) النيرات: النجوم المضيئة.
- (٤) وسده الوساد: جعله يتكئ عليه. الوساد: المتكأ أو المخدة. ومعنى غير موسد أنه قلق لا يستقر على فراش. مسهدة: مؤرقة ساهرة. ذاك: مشتعل متوقد.
- (٥) العهد: الزمان. قابيل وهابيل: ابنا آدم — عليه السلام — قرب كل منهما إلى الله قرباناً فتقبل من هابيل ولم يتقبل من قابيل فحنق على أخيه وقتله. وقصتهما في القرآن الكريم: سورة المائدة: الآيات ٢٧-٣١. التشاكس: الاختلاف والشقاق. العراك: القتال.
- (٦) ويح: كلمة رحمة. روى من الماء: يروي رياً. والسؤر: البقية والفضلة. أسأر: أبقى في الإناء بعد شربه بقية.
- (٧) الربع: المنزل ومحلة القوم. المأتم: المناحة. الثواكل: جمع تاكل وهي المرأة التي فقدت ولدها. النوادب: جمع نادبة وهي المرأة التي تندب الميت أي: تعدد محاسنه.
- (٨) العناصر: الأصول. والمراد بسرها خواصها وصفاتها. انبرى للشيء: تجرّد له.
- (٩) الكنانة: جعبة من الجلد توضع فيها السهام. ونثر الكنانة إنما يكون لاختيار أصلب السهام وأعظمها تأثيراً. الفتك: البطش والقتل على غفلة. التدمير: الإهلاك.
- (١٠) العقبان: جمع عقاب وهو من جوارح الطير. الأوكار: جمع وكر وهو عش الطائر. التسرب: الدخول في السرب وهو الحجر أو البيت في الأرض.
- (١١) التخوم: معالم الأرض وحدودها مفردها تخم. المعقل: الملجأ. الذرا: جمع ذروة وهي من كل شيء أعلاه.
- (١٢) الليوث: جمع ليث وهو الأسد. الأديم: ظهر الأرض. الثرى: التراب الندي.
- (١٣) طغى البحر: هاجت أمواجه وارتفعت وزادت مياهه حتى جاوزت الحد، وطغيان البحار على الأرض إغراقها. سجرت: زيد اضطرابها وغليانها. والشاعر يشير

بالشطر الثاني من هذا البيت إلى الآية القرآنية الكريمة ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ (١٠٤: سورة الأنبياء).

(١٤) الذماء: بقية النفس. دراك: أدرك.

(١٥) النزعات: المذاهب والميول. المساك: الموضع يمسك الماء، ويراد به هنا الحائل الذي يقف في وجه الميول الشريرة والأطباع المبيدة.

(١٦) فزع إليه: لجأ إليه عند الفزع وهو الخوف. الحزم: ضبط الأمر والأخذ فيه بالثقة. وحزم فلان رأيه أتقنه. الشمائل: الأخلاق والطباع، مفردها شمال. الأملاك: جمع ملك.

(١٧) السفاك: جمع سافك. اسم فاعل من سفك الدم بمعنى أراقه.

رشيد

غاب الشاعر عن بلده رشيد فترة طويلة، فأنشأ هذه القصيدة عام ١٩٤١م يشيد فيها بجمالها وبمجدها القديم، ويتألم لانتشار داء الفيل فيها، ويحث أهلها على استئصاله:

جَدِّدِي يَا رَشِيدُ لِلْحَبِّ عَهْدًا	حَسْبُنَا حَسْبُنَا مِطَالًا وَصَدًّا ^١
جَدِّدِي يَا مَدِينَةَ السَّحَرِ أَحْلَا	مَّا، وَعَيْشًا طُلُقَ الْأَسَارِيرِ رَغْدًا ^٢
جَدِّدِي لِمَحَّةٍ مَضَتْ مِنْ شَبَابٍ	مِثْلَ زَهْرِ الرِّبَا يَرِفُّ وَيَنْدَى ^٣
وَابْعَثِي صَحْوَةَ أَغَارِ عَلَيْهَا الشَّـ	حَشَيْبٌ، حَتَّى غَدَتْ عَنَاءً وَسُهْدًا ^٤
وَتَعَالَيْ نَعِيشُ فِي جَنَّةِ الْمَا	ضِي، إِذَا لَمْ نَجِدْ مِنَ الْعَيْشِ بُدًّا ^٥
ذِكْرِيَّاتٍ، لَوْ كَانَ لِلدَّهْرِ عَقْدُ	كَنَّ فِي جِيدِ سَالِفِ الدَّهْرِ عَقْدًا ^٦
ذِكْرِيَّاتٍ مَضَتْ كَأَحْلَامٍ وَصَلِ	وَسُدَى نَسْتَطِيعُ لِلْحُلُمِ رَدًّا ^٧
قَدْ رَشَفْنَا مَخْتُومَهُنَّ سَلَا فَا	وَشَمَمْنَا رِيًّا شَذَاهُنَّ نَدًّا ^٨
وَالْهَوَى أَمَرْدُ الْمَحْيَا يِنَاغِي	فَتِيَّةً تُشَبِّهُ الدَّنَانِيرَ مُرْدًا ^٩
عَبَثُوا سَادِرِينَ، فَالْجُدُّ هَزَلُ	ثُمَّ جَدُّوْا، فَصَيَّرُوا الْهَزَلَ جَدًّا ^{١٠}
وَيَحْ نَفْسِي، أَفْدِي الشَّبَابَ بِنَفْسِي	وَجَدِيرٌ بِمِثْلِهِ أَنْ يُفْدَى ^{١١}
إِنْ عَدَدْنَا لِيَوْمِهِ حَسَنَاتٍ	شَغَلْتَنَا مَسَاوِيَّ الشَّيْبِ عَدًّا ^{١٢}
جَزُوءٌ لِلشَّبَابِ كَانَتْ نَعِيمًا	وَسَلَامًا عَلَى الْفَوَادِ وَبَرْدًا ^{١٣}
قَدْ بَكَيْنَاهُ حِينَ زَالٍ؛ لَأُنَّا	قَدْ جَهَلْنَا مِنْ حَقِّهِ مَا يُؤَدَّى ^{١٤}
وَقَتَلْنَاهُ بِالْوَقَارِ ضَلَالًا	وَهُوَ مَا جَارَ مَرَّةً أَوْ تَعْدَى ^{١٥}
مَا عَلَيْهِمْ إِنْ هَامَ عَمْرُوْهُ بَهْنِدٍ	أَوْ شَدَا شَاعِرٌ بِأَيَّامِ سَعْدَى؟ ^{١٦}

شَغِفَ النَّاسُ بِالْفُضُولِ وبِالْحَقِّ دِ، فَإِنْ تَلَقَّ نِعْمَةً تَلَقَّ حِقْدًا

أرشيْدُ، وأنتِ جَنَّةُ خُلْدٍ لو أتاحَ الإلهُ في الأرضِ خُلدا
حينَ سَمَوِكَ «وردةً» زُهِىَ الحسِّ نْ، ووَدَّ الخدودُ لو كُنَّ وَرْدًا^{١٢}
تَوَجَّتْ رَأْسُكَ الرمالُ بتبر وجَزَى النيلُ تحتَ رِجْلِكَ شَهدا
وأحاطت بِكَ الخمائلُ زُهرًا كلُّ قَدٍّ فيها يعانقُ قَدًّا^{١٤}
والنخيلُ النخيلُ! أرختَ شعورًا مُرْسَلَاتٍ، ومَدَّتِ الظلُّ مَدًّا
كالعذارى يدنو بها الشوقُ قُرْبًا ثم تنأى مخافةَ اللومِ بُعْدًا^{١٥}
حولَ أجيادِها عقودَ عقيقٍ ونُضارٍ، صفاؤه ليس يصدًا^{١٦}
يا ابنةَ اليمِّ لا تُراعي فإنِّي قد رأيتُ الأمورَ جَزْرًا ومَدًّا^{١٧}
قد يعودُ الزمانُ صفوًا كما نْ، ويُمسي وعيدهُ المرُّ وعدًا^{١٨}
كنتِ مذ كنتِ والليالي جواربِ لكِ، وكانَ الزمانُ حولَكَ عبدا
كلُّما هامتِ الظنونُ بماضيهِ لكِ رَأَتْ عَزَمَةً وأبصرنَ مجدًا^{١٩}
بكِ أهلي، وفيكِ مَلْهُىَ شبابي وَلَكُمُ فيكِ لي مَراحٌ ومَغْدَى^{٢٠}
لو أصابتكِ مَسَّةُ الريحِ ثارت بفؤادي عواصفٍ ليس تَهْدًا^{٢١}
أنا من تُرْبِكَ النقي وشعري نفحاتٌ من وَحْيٍ قُدْسِكَ تُهْدَى^{٢٢}
كنتُ أشدو به مع الناسِ طفلاً فتسامى فصرْتُ في الناسِ قُرْدًا^{٢٣}
من رزايا النبوغِ أَنَّكَ لا تلبِ قَى أنيسًا، ولا تَرى لَكَ نِدًّا^{٢٤}
قد جَزِينَاكِ بالحنانِ حَنانًا وجزينا عن خالصِ الوُدِّ وُدًّا^{٢٥}
ليت لي بعد عودتي فيكِ قبرًا مثلما كنتِ مَنبِتًا لي ومَهْدًا

أصحيحُ أن الخطوبَ أصابت لكِ، وأنَّ الأمراضَ هَدَّتْكَ هَدًّا؟
وغدا «الفيلُ» فيكِ داءٌ وبيلًا نافثًا سَمَّهُ مُغِيرًا مُجْدًا؟^{٢٦}
كم رأينا من عاملِ هذه الداءِ ءُ، وأرداهُ وَقَعُهُ فتردَّى
كان يسعى وراءَ لُقْمَةِ خُبْزٍ وَلَكُمُ جدٌّ في الحياةِ وكَدًّا
فغدا كالصريعِ يلتمسُ الجُهِـ د ليحيا به فلم يَلَقْ جُهدًا

إن مشى يمش بائساً مستكيناً
خلفه من بنيهِ أنضاء جوع
كلّما مدّ كفّه لسؤال
أمن الحق أن نعيش بطاناً
كأسيرٍ يجرّ في الرجلِ قدّاً^{٢٧}
وهو لا يستطيع للجوع سدّاً^{٢٨}
أشبعته اللئام نَهراً وطرداً
ويجوع العليلُ فينا ويصدى؟^{٢٩}

ولكم تلمحُ العيونُ فتاةً
هي من نعمةِ البشائرِ أحلى
تتمنى الغصونُ لو كنَّ قدّاً
حوّمت حولها القلوبُ فراشاً
وارتدت بالخمارِ فاخْتبأ الحسـ
لعبت بالنهى فأصبح غيّاً
حسد الدهرُ حسنّها فرماها
طرقتها الحمى الخبيثة ترمي
روضةً من محاسنِ غالها الإـ
حلّ داءُ الفيلِ العُضالُ برجلـ
كم بكت أمّها عليها فما أغـ
ويحها، أين سحرها؟ أين صارت؟
أين أين ابتسامها؟ ذهب الأند
أين فتكُ العيون؟ لم يترك الدهـ
أين خلخالها؟ لقد خلعتـ
طار خطابُها فلم يَبْقَ فردٌ
لسعتها بعوضةٌ سكنت بئـ
إن هذا البعوضُ أهلك «نُـ
فاحذروه فإنّه شرٌّ خضم
جرّدوا حملةً على الفيلِ أنجـ
أرشيدٌ دونَ المدائنِ تبقي
يفتكُ السم في بنيها فلا تر

مثل بدرِ السماء لَمّا تبدى
وهي من نضرةِ الأزاهرِ أندى^{٣٠}
حينَ ماست، والوردُ لو كان خدّاً^{٣١}
ومشت خلفها الصواحبُ جُنْدًا
نُ، يُثير الشجونَ لما تردى^{٣٢}
كلُّ رُشدٍ، وأصبح الغيُّ رُشداً^{٣٣}
بسهامٍ من الكوارثِ عمداً
بشواظٍ، يزيده الليلُ وقداً^{٣٤}
صارُ حتى غدت خمائلُ جرّداً^{٣٥}
ها، وألقى أثقاله واستبدأ
حنى نواحٍ، ولا التحسّرُ أجدى
أين ولّى جمالها؟ أين ندّا؟^{٣٦}
سُس، ومال الزمانُ عنها وصداً
رُ سيوفاً لها، ولم يَبْقَ غمداً
وهي تبكي أسى وتنفثُ صهداً^{٣٧}
وتولّى حشدٌ يحذرُ حشداً
رأ، وقد كان جسمها مستعدّاً^{٣٨}
دَ، وأفنى ما لم يُعدّ وأغدى^{٣٩}
وتصدّوا لحربه إن تصدى
داً كراماً، ومزّقوا الفيلَ أسداً^{٤٠}
مُستراضاً لكلِّ داءٍ وورداً؟^{٤١}
فَعُ كفاً، ولا تحركَ زنداً؟^{٤٢}

ثم تُلقي السِّلَاحَ إلقاءً ذلًّا والجراثيمُ حولَها تتحدَّى
يا لَعاري! فليت لي بين قومي بطلًا يَكشِفُ الشدائدَ جَلْدًا^٢
ظَمِيَّ الشَّعْرُ للثَناء، فهل آ نَ له أن يَفِيضَ شكرًا وحمدًا؟

هوامش

- (١) حسبنا: كفانا. مطالاً: تطويلاً وتسويلاً. صدًا: إعراضاً.
- (٢) طلق: غير مقيد. الأسارير: سمات الوجه. رغداً: واسعاً طيباً.
- (٣) يرف: يتحرك وينتشر. يندى: يجود.
- (٤) صحوة: تنبيه وإفاقة. أغار: هجم. عناء: تعباً. سهراً: سهرًا.
- (٥) جيد: العنق. سالف: الماضي.
- (٦) سدى: هيهات.
- (٧) مختومهن: أواخرهن. سلاقاً: خمر. ريا: هو الارتواء بالماء. شذاهن: رائحتهن الذكية الفواحة. ندا: الرائحة الطيبة.
- (٨) أمرد: الغلام ليس في وجهه شعر. المحيا: الوجه. الدنانير: في استدارة الوجه ولونها الأحمر.
- (٩) سادرين: غير مبالين ولا مهتمين.
- (١٠) جذوة: جمرة من نار. الفؤاد: القلب.
- (١١) جار: ما زاد عن حده أو ما مال عن قصده.
- (١٢) هام: شغف. عمرو: رجل كان رمزاً في أشعار العرب وهند كذلك وسعدى كذلك.
- (١٣) وردة: إشارة إلى اسمها في اللغة الإنجليزية.
- (١٤) قد: القوام.
- (١٥) تنأى: تبعد.
- (١٦) أجيادها: أعناقها. عقود عقيق: قلائد من الأحجار الكريمة. نزار: ذهب. يصدأ: يصيبه الصدأ. يشبه نخل البلح الزغلول الأحمر اللون بعقود العقيق، ونخل البلح السماني الأصفر اللون بلون الذهب.
- (١٧) ابنة اليم: لأن النيل شرقها والبحر المتوسط شمالها. تراعي: تخافي. جزراً ومذاً: رجوع ماء البحر إلى الخلف ثم تقدمه إلى الشاطئ.

- (١٨) صفوا: صافياً خالصاً.
 (١٩) هامت: أولعت. الظنون: التردد والشك.
 (٢٠) مراح: مكان للراحة. مغدى: عودة.
 (٢١) مسة الريح: لمسة الهواء.
 (٢٢) وحي قدسك: إلهام طهرك.
 (٢٣) تسامى: ارتفع وعلا.
 (٢٤) رزايا: مصائب. أنيساً: أحد يؤنس وحدتك. ندأ: نظيراً.
 (٢٥) جزيнок: كافأناك.
 (٢٦) الفيل: داء الفيل الذي يؤدي إلى ورم الأطراف، ويجعل الإنسان عاجزاً عن المشي.

- (٢٧) قدأ: سيراً من جلد غير مدبوغ والمقصود هنا القيد.
 (٢٨) أنضاء: جمع نضو وهو الضعيف المهزول.
 (٢٩) بطاناً: شباعاً. يصدى: يعطش.
 (٣٠) نغمة البشائر: التبشير بالخير بصوت حسن.
 (٣١) قدأ: قواماً. ماست: تتبختر.
 (٣٢) تَرَدَّى: سقط.
 (٣٣) النهى: العقل. غياً: ضللاً. رشد: هداية.
 (٣٤) شواظ: لهب لا دخان فيه. وقدأ: اتقاداً واشتعالاً.
 (٣٥) جرداء: جرداء.
 (٣٦) ندا: بعد، ذهب.
 (٣٧) تنفث: تنفخ. صهدا: حرارة شديدة.
 (٣٨) سكنت بئراً: يشير إلى توالد البعوض الناقل للمرض في الآبار التي كان يستعملها أهل رشيد للشرب.
 (٣٩) نمرود: ملك جبّار في عهد سيدنا إبراهيم — عليه السلام — كان يدعي الألوهية وجادله سيدنا إبراهيم، فأفحمه وأخيراً أهلكه الله ببعوضة حقيرة. أعدى: تجاوز الحد.

- (٤٠) أنجادا: معاونين مغيثين.
 (٤١) مستراضا: مرتعاً وامتسجاً. وردا: موردا.

ديوان علي الجارم

(٤٢) زندا: المقصود الذراع.

(٤٣) جلدا: صلباً قوياً.

أبو الأشبال ...

نشرت هذه القصيدة يوم أزيح الستار عن تمثال الخديو إسماعيل بالإسكندرية في شهر ديسمبر عام ١٩٣٨ م.

مجدُّ على الأمواج يُشْرِفُ عالي	هذا جهادُك مصرُ في تمثال ^١
هذا ابنُ إبراهيمَ واهبُ قومه	نَعَمَ الحياةَ وباعثُ الآمال ^٢
هذا الذي جَلَّتْ عِظائِمُ سَعْيِهِ	عن أن تُصوِّرَها بَناتُ خيال ^٣
هذا المليكُ العبقريُّ، عَنَتَ له	أُمُّمٌ ودانت صَوْلَةُ الأبطال؛
هذا أبو الأشبالِ، سَلَّ عنه العُلا	تُنْبِئُكَ حَقًّا مَنْ أبو الأشبال
هذا أبو التاريخ من أضْحَى اسمه	أُنْشَوْدَةَ الأجيال للأجيال
هذا الذي يَبْنِي فينْشِئُ دَوْلَةً	أَبْقَى على الدنيا من الأجيال
هذا أبو الذهبِ الذي غَمَرَ المُنَى	بعوارِفِ الإحسان والأفضال ^٤
هذا الهُمامُ، وهذه أعمالُه	أرَأَيْتَ كيفَ جلائِلُ الأعمال؟
هذا الذي فاروقُ مصرَ حَفِيدُه	زَيْنُ الشبابِ وسيدُ الأقيال ^٥

هوامش

- (١) على الأمواج: إشارة إلى أنه يطل على البحر.
- (٢) إبراهيم: إبراهيم باشا والد الخديوي إسماعيل.
- (٣) جلت: عظمت. بنات خيال: ما يتصوره الشاعر من الأخيلة.
- (٤) عنت: خضعت له. دانت: خضعت.

ديوان علي الجارم

(٥) عوارف: طبيبات المعروف.

(٦) الأقيال: السادة العظماء، الملوك.

الأعمى

أقامت جمعية رعاية العميان بمصر في ١٥ من أبريل سنة ١٩٣٧م حفلة بدار الأوبرا؛ لحض المحسنين على مد يد الإحسان إلى هذه الطائفة البائسة؛ لتتمكن الجمعية من توسيع نطاقها وتثقيف عدد كبير من هؤلاء المكفوفين ليستطيعوا العيش وحدهم، وليستغنوا عن ذل السؤال، وقد أُلقيت هذه القصيدة في هذا الحفل.

مَنْ مُجِيرِي مَنْ حَالِكَاتِ اللَّيَالِي؟	نُوبَ الدَّهْرِ مَا لَكُنَّ وَمَا لِي!¹
قَدْ طَوَّانِي الظَّلَامُ حَتَّى كَأَنِّي	فِي دِيَاجِي الوجودِ طَيْفُ خَيَالٍ²
كُلُّ لَيْلٍ لَهُ زَوَالٌ وَلَيْلِي	نَقَّ أَطْنَابَهُ لِغَيْرِ زَوَالٍ!³
كُلُّ لَيْلٍ لَهُ نَجُومٌ، وَلَكِنْ	أَيْنَ أَمْثَالُهُنَّ مِنْ أَمْثَالِي؟
تَثْبُ الشَّمْسُ فِي السَّمَاءِ وَشَمْسِي	عُقِلْتُ دُونَهَا بِأَلْفِ عِقَالٍ⁴
لَا أَرَى حِينَما أَرَى غَيْرُ حَظِّي	حَالِكَ اللَّوْنِ غَابِسَ الْأَمَالِ⁵

* * *

هُوَ جُبُّ أَعْيَشُ فِيهِ حَزِينًا	كَاسِفَ النَّفْسِ دَائِمَ الْبَلْبَالِ⁶
مَا رَأْتُ بِسَمَةِ الشُّمُوسِ زَوَايَا	هُ، وَلَا دَاعَبَتْ شُعَاعَ الْهَلَالِ⁷
فَإِذَا نِمْتُ فَالظَّلَامُ أَمَامِي	أَوْ تَيْقَظْتُ فَالَسَّوَادُ جِيَالِي
أَتَقَرَّى الطَّرِيقَ فِيهِ بِكَفِّي	بَيْنَ شَكٍّ وَحَيْرَةٍ وَضَلَالِ⁸
وَأُحِسُّ الْهَوَاءَ فَهُوَ دَلِيلِي	عَنْ يَمِينِي أَسِيرٌ أَوْ عَنْ شِمَالِي
كُلَّمَا رُمْتُ مِنْهُ يَوْمًا خَلَاصًا	عَجَزْتُ حَيْلَتِي وَرَثْتُ جِبَالِي

عَبَبًا أُرْسِلُ الْأَيْنِينَ مِنَ الْجُبِّ
مَنْ لِسَارٍ بَلِيلَةٍ طَوَّلَهَا الْعُمْدُ
مُتَرَدِّدٌ فِي هَاوِيَّاتٍ وَهَادٍ
عِنْدَ صَحْرَاءَ لِلْأَعَاصِيرِ فِيهَا
لَمْ يَزُرْهَا وَشَيْ الرِّبِيعِ وَلَكِنْ
لَيْسَ لِلطَّيْرِ فَوْقَهَا مِنْ مَطَارٍ
خَلَقَ اللَّهُ قَفَرَهَا ثُمَّ سَوَّى
رَهْبَةً تَمَلُّ الْجَوَانِحَ رُعْبًا
وَامْتِدَادًا كَأَنَّهُ الْأَمْلُ الطَّاءِ
سَارَ فِيهَا الْأَعْمَى وَحِيدًا شَرِيدًا
فِي هَجِيرٍ مَا خَفَّ حَرٌّ لَظَاهِ
مَلَّ عُكَازُهُ مِنَ الضَّرْبِ فِي الْأَرِ
يَرْفَعُ الصَّوْتَ لَا يَرَى مِنْ مُجِيبٍ

بِ إِلَى سَاكِنِي الْقُصُورِ الْعَوَالِي!
رُ، يَجُوبُ الْأَوْجَالَ لِلْأَوْجَالِ؟
لَاهِثٌ فَوْقَ شَامِخَاتِ جِبَالِ
ضَحِكَ الْجَنُّ أَوْ نَحِيبُ السَّعَالِ
لَكَ مَا شَتَّتَ مِنْ نَسِيجِ الرَّمَالِ
أَوْ بَنِي الْإِنْسِ حَوْلَهَا مِنْ مَجَالِ
مَنْ ثَرَاهُ أَنْامِلَ الْبُخَالِ
وَأَدِيمُ وَعُرُ كَحْدِ النَّصَالِ
يُشُّ مَا ضَاقَ ذَرْعُهُ بِمُحَالِ
حَائِرًا بَيْنَ وَقْفَةٍ وَارْتِحَالِ
بِنَسِيمٍ، وَلَا بَبْرِدٍ ظِلَالِ
ضِ عَلَى خَيْبَةٍ وَرَقَّةٍ حَالِ
أَقْفَرَ الْكُونُ مِنْ قُلُوبِ الرِّجَالِ!

مَنْ لَهَاوٍ فِي لُجَّةٍ هِيَ دُنْيَا
ظَلَمَ بَعْضُهَا يُزَاجِمُ بَعْضًا
يَفْتَحُ الْمَوْجُ مَاضِغِيهِ فَيَهْوِي
لَا تَرَى مِنْهُ غَيْرَ كَفِّ تُنَادِي
وَالرِّيَّاحُ الرِّيَّاحُ تَعْصِفُ بِالْمَسِ
يَسْمَعُ السُّفْنُ حَوْلَهُ مَاجِرَاتٍ
يَسْمَعُ الرِّقَصُ وَالْأَهَازِيجُ تَشْدُو
شُغْلُ الْقَوْمِ عَنْهُ بِالْقَصْفِ وَاللَّهِ
مَا لَهُمْ وَالصَّرِيعَ فِي غَمْرَةِ اللُّجِ
لَا يُرِيدُونَ أَنْ يُشَابَ لَهُمْ صَفِ
هَكَذَا تُمَحِّلُ الْقُلُوبُ، وَأَنْكِي
هَكَذَا تُقَبِّرُ الْمَرْوَةَ فِي النَّأِ

هُ وَأَيَّامُ بُؤْسِهِ الْمُتَوَالِي؟
كَلِيَالٍ كَرَزَنَ إِثْرَ لِيَالِي
ثُمَّ يَطْفُو مُحِطَمُ الْأَوْصَالِ
حِينَمَا عَقَّهُ لِسَانُ الْمَقَالِ
يَكِينِ عَصْفَ الْأَيَّامِ بِالْأَجَالِ
مَنْ يُبَالِي بِمَثَلِهِ مَنْ يُبَالِي؟
بَيْنَ وَصْلِ الْهَوَى وَهَجْرِ الدَّلَالِ
وَوَهَامُوا بِحُبِّ بِنْتِ الدَّوَالِي
جَ يَصْدُ الْأَهْوَالُ بِالْأَهْوَالِ
وَوُ بَنُوحٍ لِلْبُؤْسِ أَوْ إِعْوَالِ
أَنْ تُبَاهِي بِذَلِكَ الْإِمْحَالِ!
سَ، وَيُقْضَى عَلَى كَرِيمِ الْخِلَالِ!

مَنْ لِهَذَا الْأَعْمَى يَمُدُّ عَصَاهُ
مَنْ رَأَاهُ يَرَى خَلِيطًا مِنَ الْبُؤْ
هُوَ فِي مَيْعَةِ الصَّبَا وَتَرَاهُ
سَاكِنًا كَالظَّلَامِ، يَحْسَبُهُ الرَّأ
فَقَدَ الضُّوْءَ وَالْحَيَاةَ، وَهَلْ بَعْدَ
مَطْلَتُهُ الْأَيَّامُ وَالنَّاسُ حَقًّا

عَاصِبَ الْبَطْنِ لَمْ يَبْحُ بِسُؤَالٍ؟^{٢٧}
بِسْ هَزِيلًا يَسِيرُ فِي أَسْمَالِ
مُطْرِقِ الرَّأْسِ فِي خُشُوعِ الْكِهَالِ^{٢٨}
ءَوْنَ مَعْنَى لِلْيَاسِ فِي تِمْتَالِ
بَدَ ضِيَاءِ الْعَيْنَيْنِ سَلَوَى لِسَالٍ؟
فَقَضَى عَيْشَهُ شَهِيدَ الْمِطَالِ^{٢٩}

مَا رَأَى الرَّوْضَ فِي مَازِرِهِ الْخُضْ
مَا رَأَى صَفْحَةَ السَّمَاءِ وَمَا رُكِّبَ
مَا رَأَى النَّيْلَ فِي الْخُمَائِلِ يَخْتَا
مَا رَأَى فِضَّةَ الضُّحَى فِي سَنَاهَا
فَدَعُوهُ يَشْهَدُ جَمَالًا مِنَ الْإِحْسَا
وَدَعُوهُ يُبْصِرُ دُبَالًا مِنَ الرَّحْـ
قَدْ خَبِرْتُ الدُّنْيَا فَلَمْ أَرِ أَرْكَى

بِرِ يُبَاهِي بِحُسْنِهَا وَيُغَالِي^{٢٠}
فِيهَا مِنْ بَاهِرَاتِ اللَّكَلِي^{٢١}
لُ بِأَذْيَالِهِ الْعِرَاضِ الطَّوَالِ
أَوْ تَمَلَّى بَعَسَجِدِ الْأَصَالِ^{٢٢}
نَ، إِنَّ فَاتَهُ شُهُودُ الْجَمَالِ
سَمَةِ إِنَّ عَقَّهُ ضِيَاءُ الذُّبَالِ^{٢٣}
مِنْ يَمِينٍ تَفَقَّحَتْ عَنْ نَوَالِ!

أَيُّهَا الْوَادِعُونَ يَمْشُونَ زَهْوًا
يُنْفِقُونَ الْقِنطَارَ فِي تَرْفِ الْعَيْدِ
وَيَرُونَ الْأَمْوَالَ تُنْثَرُ فِي اللَّهِـ
إِنْ فِي بَلَدَةِ الْمُعِزِّ جُحُورًا
كُلُّ جُحْرٍ بِالْبُؤْسِ وَالْفَقْرِ مَمْلُ
بَسَقَتْ فِيهِ لِلْجَرَائِمِ أَفْنَا
لَوْ رَأَيْتَ الْأَشْبَاحَ مِنْ سَاكِنِيهِ
يَرْهَبُ النُّورَ أَنْ يَمُرَّ بِهِ مـ
تَحْسِبُ الْبَطْلَ فِيهِ فِي كَفَنِ الْمَوْ

بَيْنَ جَبْرِئِيَّةٍ وَبَيْنَ اخْتِيَالِ^{٢٤}
بِشْ، وَلَا يُحْسِنُونَ بِالْمِثْقَالِ^{٢٥}
بِو، فَلَا يَجْزَعُونَ لِلْأَمْوَالِ
مُتَرَعَاتٍ بِأَدْمَعِ الْأَطْفَالِ^{٢٦}
ءَ، وَلَكِنَّهُ مِنَ الزَّادِ خَالِي
نُ تَدَلَّتْ بِكُلِّ دَاءٍ غُضَالِ^{٢٧}
لَرَأَيْتَ الْأَطْلَالَ فِي الْأَطْلَالِ!
رَّأَ، وَنَخَشَى أَذَاهُ رِيحُ الشَّمَالِ
تَى وَقَدْ ضَمَّه الرِّدَاءُ الْبَالِي

أَيُّهَا الْأَغْنِيَاءُ أَيْنَ نَدَاكُمُ؟ بَلَغَ السَّيْلُ عَالِيَاتِ الْقِلَالِ ٣٨
هُمُ عِيَالُ الرَّحْمَنِ مَاذَا رَأَيْتُمْ أَوْ صَنَعْتُمْ لِهَؤُلَاءِ الْعِيَالِ؟ ٣٩

رُبَّ أَعْمَى لَهُ بَصِيرَةٌ كُشِفَ نَفَذَتْ مِنْ غَيَاطِيبِ الْأَسْدَالِ! ٤٠
أَخَذَ اللَّهُ مِنْهُ شَيْئًا وَأَعْطَى وَأَعَاضَ الْمِكْيَالِ بِالْمِكْيَالِ ٤١
يَلْمَحُ الْخَطَرَةَ الْخَفِيَّةَ لِلنَّفْسِ سِ لَهَا فِي الصُّدُورِ دَبُّ النَّمَالِ ٤٢
وَيَرَى الْحَقَّ فِي جَلَالَةٍ مَعَنَا هُ فَيَحْيَا فِي ضَوْءِ هَذَا الْجَلَالِ
كَانَ شَيْخُ الْمَعَرَّةِ الْكُوكَبِ السَّاءِ طَعَ فِي ظُلْمَةِ الْقُرُونِ الْخَوَالِي ٤٣
فَأَتَى وَهُوَ آخِرُ (مِثْلَمَا قَا ل) بِمَا نَدَّ عَنْ عُقُولِ الْأَوَالِي ٤٤

أَنْقِذُوا الْعَاجِزَ الْفَقِيرَ وَصُونُوا وَجْهَهُ عَنْ مَذَلَّةٍ وَابْتِذَالِ
عَلَمُوهُ، يَطْرُقُ مِنَ الْعَيْشِ بَابًا وَأَمْنَحُوهُ مَفَاتِحَ الْأَقْفَالِ
لَا تَضُمُّوا إِلَى أَسَاةِ عَمَى الْجَهْدِ لِي فَيَلْقَى النِّكَالَ بَعْدَ النِّكَالِ ٤٥
كُلُّ شَيْءٍ يُطَاقُ مِنْ نُوبٍ الْأَيَّامِ إِلَّا عِمَايَةَ الْجُهَاالِ ٤٦
عَلَمُوهُ، فَالْعِلْمُ مُصْبِحُ دُنْيَا هُ وَلَا تَكْتَفُوا بِصُنْعِ السَّلَالِ ٤٧
إِنْ جَفَاهُ الزَّمَانُ وَالْأَلُ وَالصَّحْدُ بُ فكونوا لِمِثْلِهِ خَيْرَ آلِ ٤٨
نَزَلَ الْوَحْيُ فِي التَّرَفُّقِ بِالْأَعْدِ مَى وَبَسَطِ الْيَدَيْنِ لِلسُّؤَالِ ٤٩
سَوْفَ تَتَلَوُ الْأَجْيَالُ تَارِيخَ مُضِرٍ فَأَعِدُّوا التَّارِيخَ لِلْأَجْيَالِ
بِالْأَيَّادِي الْحَسَانِ يُمَحَى دَجَى الْبُؤْ سِ وَتَسْمُو الشُّعُوبُ نَحْوَ الْكَمَالِ
يَذْهَبُ الْفَقْرُ وَالثَّرَاءُ وَيَبْقَى مَا بَنَى الْخَيْرُونَ مِنْ أَعْمَالِ!

هوامش

(١) حالكات الليالي: الليالي الشديدة السواد والظلمة. نوب الدهر: نوازلها وما يصيب

به.

(٢) طواه: أي احتواه وجعله بين ثناياه. دياجي الوجود: غياهب ظلماته وحالك

سواده. طيف خيال: ما يراه النائم في نومه.

(٣) الأطناب: الأوتاد، الواحد: طنْب (بضمّتين). دق الأطناب: كناية عن الإقامة وعدم الرحيل؛ لأن بيوت العرب كانت خيامًا تطوى مع السفر، وتنتشر وتُدق أطنابها عند الإقامة.

(٤) تثب الشمس: تنتقل في السماء. عقلت: حبست وقيدت. ودونها، أي: دون السماء. العقال: حبل يعقل به البعير في وسط ذراعه.

(٥) عابس الآمال: أي مظلّمها.

(٦) الجب: البئر البعيدة الغور. كاسف النفس: أي حزين عابس. البلبال: الهم والهواجس المقضة المزعجة.

(٧) بسمّة الشموس: أي ضوءها.

(٨) أتقرى الطريق ... إلخ، أي: أتتبع الطريق بكفي ألتمس بها مواضع الأمن.

(٩) يوجب: يقطع الأرض سائرًا. الأوجال: المخاوف، الواحدة: وجل (بالتحريك).

(١٠) المتردي: الساقط. الوهاد: الأراضي المنخفضة. الهاويات: البعيدة الانخفاض.

اللاهث: الذي يخرج لسانه تعبًا وإعياءً وعطشًا. شامخات الجبال: العالية المرتفعة.

(١١) الأعاصير: عصف الرياح وشدة هبوبها وزوابعها. النحيب: البكاء. السعالي:

جمع سعلاة، وهي أنثى الغول. يريد الغيلان عامة.

(١٢) وشي الربيع: نباته ذو الألوان المختلفة. الوشي (في الأصل): تطريز الثوب

وتجميله.

(١٣) من مطار، أي: من طيران. من مجال، أي: من أثر لجولان الناس وسيرهم.

(١٤) الجوانح: الأضلاع تحت الترائب مما يلي الصدر، الواحدة: جانحة. أديم

الصحراء: وجهها. النصال: جمع نصل وهو حديدة السهم والرمح والسيوف والسكين.

(١٥) الطائش: الذي يذهب على غير هدى وقصد. ضيق الذرع: كناية عن قلة الحيلة

وضعف الطاقة.

(١٦) الهجير: شدة الحر. اللظى: اللهب والحرق.

(١٧) الهاوي: الساقط. اللجة: معظم البحر حيث يكثر الماء ويصعب المخرج.

(١٨) الماضغان: الحنكان لمضغهما المأكول. واستعارهما للموج؛ لأنه يهصر الأجسام

ويضعضعها. الأوصال: الأعضاء. الواحد. وصل.

(١٩) عقه: خانه ولم يسعفه بالمقال.

(٢٠) الآجال: الأعمار.

- (٢١) السفن الماخرات: الجاريات التي تشق الماء مع صوت.
- (٢٢) الأهازيج: جمع أهزوجة. وهي ما يهزج به من الأغاني. أي: ما يترنم بها ويضطرب.
- (٢٣) القصف: الإقامة في لهو وأكل وشرب. بنت الدوالي، أي: الخمر. الدوالي: غنب بالطائف أسود إلى الحمرة. ومنه تعصر الخمرة. وجعلها بنته؛ لأنها منه.
- (٢٤) الصريع: المصروع. غمرة اللج، أي: حيث يكثر ماء البحر ويشتد.
- (٢٥) يشاب: يختلط به ما يعكره. ما صفا لهم من شأنهم ولذ وطاب. النوح والإعوال: البكاء ورفع الصوت به.
- (٢٦) إحمال القلوب: تجردها من العطف والرحمة. مأخوذ من إخمال الأرض، وهو إجدابها. أنكى: أي أكثر إيلاًماً.
- (٢٧) عاصب البطن: أي يشده برباط يدفع بذلك ألم الجوع.
- (٢٨) ميلة الصبا: أوله وريعانه. الكهال: جمع كهل.
- (٢٩) مطل الحق: تسويفه بوعد الوفاء مرة بعد أخرى.
- (٣٠) المآزر: الثياب، الواحد: مئزر. يغالي: يفخر.
- (٣١) صفحة السماء: رقعتها. باهر اللآلي: الكواكب والنجوم التي تبهر بضوئها.
- (٣٢) تملئ: استمتع. العسجد: الذهب، الأصال: جمع أصيل وهو ما بعد العصر إلى المغرب.
- (٣٣) ذبالاً من الرحمة: أي بصيصاً من نورها. الذبال في الأصل: الفتيلة. عقه: فاته وامتنع عليه. ضياء الذبال: أي نور المصابيح، ويريد النور عامة.
- (٣٤) الوداعون: المترفون الذين ضمنوا بحبوبة العيش ورغده فباتوا في هدوء ودعة. الزهو: التيه والتكبر. الجبرية: نسبة إلى الجبر بمعنى الجبروت والعظمة.
- (٣٥) ترف العيش: ما زاد على الحاجة وكان للترفيه والتنعيم. المثقال: ما يوزن به.
- (٣٦) بلدة المعز: القاهرة نسبة إلى المعز لدين الله الفاطمي، الذي أنشئت القاهرة له على يد قائده جوهر الصقلي سنة ٣٦١هـ/٩٦٩م. وكان عهده في مصر من أزهى عصورها، زادت فيه ثروة البلاد زيادة كبيرة. وتوفي المعز سنة ٣٦٣هـ/٩٧١م. ويريد بالبحور تلك الخربات والأكواخ المظلمة التي يسكنها الفقراء، مترعات: مفعمة مملوءة.
- (٣٧) بسقت: ارتفعت وطالت. الأفنان: الفروع والأغصان، الواحد: فنن (بالتحريك). الداء العضال: أي: شديد أعياء الأطباء.

- (٣٨) الندى: الكرم والجود. القلال: جمع قلة وهي من الجبل أعلاه.
- (٣٩) العيال: من تلزمك نفقتهم والقيام بأمرهم.
- (٤٠) البصيرة: الفطنة. الغياهب: الظلمات. الأسدال: الحجب ما يقوم بينك وبين الشيء بستره عنك.
- (٤١) المكيال: أداة الكيل. أفاض: أبدل.
- (٤٢) الخطرة: ما يخطر بالبال من الأفكار.
- (٤٣) شيخ المعرة: هو أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي الشاعر. ولد بمعرة النعمان (وهي بلدة بين حماه وحلب) سنة ٣٦٣هـ وإليها ينسب. وقد كف بصره في الثالثة من عمره وتوفي بالمعرة سنة ٤٩٩هـ.
- (٤٤) ند: استعصى وامتنع. ويشير إلى قوله:

وإني وإن كنت الأخير زمانه لآت بما لم تستطعه الأوائل

- (٤٥) الأسى: الحزن. النكال: الشر والمكروه.
- (٤٦) نوب الأيام: مصائبها وما تنتاب به. العماية: الغواية والضلال.
- (٤٧) السلال: جمع سلة وهي معروفة.
- (٤٨) الآل: الأهل والعشيرة.
- (٤٩) السؤال: جمع سائل. يشير إلى ما نزل من القرآن الكريم على النبي ﷺ في الترفق بالأعمى في (سورة عبس).

رثاء إسماعيل صبري باشا

أنشد الشاعر هذه القصيدة في حفل التأبين الذي أقيم في فناء مدرسة المعلمين العليا بالمنيرة في مايو سنة ١٩٢٣م:

وَعَزِيزٌ عَلَيْهِ أَلَا تَقُولَا
هَ فَيَسْرِي فِي الْأَرْضِ عَرْضًا وَطُولًا؟^١
وَسَمِعْنَاهُ فِي الْحَمَامِ هَدِيلًا^٢
وَشَرَبْنَاهُ فِي الْكُوُوسِ شَمُولًا^٣
ثُمَّ تَدْعُوهُ فَاعِلَاتُنَّ فَعُولًا!
أَبَيَاتٍ عَلَى الزَّمَانِ أَفُولًا^٤
لِ فَيُلْقِي الْعِنَانَ سَهْلًا ذُلُولًا^٥
نُ يُذِيبُ الْقَاسِي وَيُدْنِي الْمُلُولًا^٦
مِنْ جَدِيدٍ كَثِيرًا وَجَمِيلًا^٧
لَحَسْبُنَا الْمُجْتَنِّثُ مِنْهَا طَوِيلًا^٨
سَقَطًا مِنْ وَرَائِهَا وَفُضُولًا^٩
مِنْهُ أَنْقَى مَعْنَى وَأَقْوَمَ قِيلًا^{١٠}
(ذَاكَ وَادِي الْأَرَاكِ فَاحْبِسْ قَلِيلًا)^{١١}
أَوْ مُعِينًا أَوْ عَازِرًا أَوْ عَذُولًا
هُ نَبِيلًا يَنْتُ قَوْلًا نَبِيلًا^{١٢}
فَاذْكُرُوا فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلًا^{١٣}

صَادِحَ الشَّرْقِ قَدْ سَكَّتْ طَوِيلًا
أَيْنَ ذَاكَ الشَّعْرُ الَّذِي كُنْتُ تَرْجِي
قَدْ سَمِعْنَاهُ فِي الْمَزَاهِرِ لَحْنًا
وَسَمِعْنَاهُ فِي الْكَمَائِمِ زَهْرًا
تَنْهَبُ الدَّرَّ مِنْ عُقُودِ الْغَوَانِي
خَطَرَاتٍ تَسِيرُ سَيْرَ الدَّرَارِي
تَخْدَعُ الْجَامِحَ الشَّمُوسَ مِنَ الْقَوُ
غَزَلَ كَالشَّبَابِ أَسْجَحُ رِيًا
وَنَسِيبُ يَكَادُ يَبْعَثُ فِينَا
وَقَوَافٍ سَالَتْ مِنَ اللَّطْفِ حَتَّى
نَقَدَتْ جَيِّدَ الْكَلَامِ وَخَلَّتْ
عَبِثَتْ «بِالْوَلِيدِ» ثُمَّ أَرْتُهُ
لَوْ وَعَاها مَا اهْتَزَّ يُنْشِدُ يَوْمًا
(قَفْ مَشُوقًا أَوْ مُسْعِدًا أَوْ حَزِينًا
بَرَزَتْ نَفْسُهُ بِهَا فَرَايِنًا
هَبَطَتْ حِكْمَةُ الْبَيَانِ عَلَيْهِ

* * *

لَوْ شَهِدْتَ الرَّدَى بِحُومٍ عَلَيْهِ
لَرَأَيْتَ الطَّوْدَ الْأَشْمَّ الَّذِي كَا
وَرَأَيْتَ الصَّمْصَمَ لَا يَقْطَعُ الضُّغْ
وَرَأَيْتَ الرُّوحَ الْخَفِيفَةَ حَيْرَى
شَيْعَ الدَّمْعِ يَوْمَ شَيْعَ «صَبْرِي»
وَالْمَنَايَا تَرْمِي لَهُ الْأَحْبُولَا^{١٤}
نَ مَنِيْعَ الذَّرَا كَثِيبًا مَهِيْلًا^{١٥}
ثَ وَقَدْ كَانَ صَارِمًا مَضْغُولًا^{١٦}
إِنَّ عِبَاءَ السَّقَامِ كَانَ ثَقِيْلًا
دَوْلَةَ فَخْمَةٍ وَعَصْرًا حَفِيْلًا^{١٧}

* * *

خُلِقَ لَوْ يَمَسُّ هَاجِرَةَ الْقَيْ
وَحِلَالٌ مِثْلُ النَّسِيمِ وَقَدْ مَزَ
وَحَدِيثُ حُلُوِّ الْفُكَاةِ عَذْبُ
يُذْهِلُ الصَّبَّ عَنْ أَحَادِيثِ لَيْلَا
يَقْصُرُ اللَّيْلُ حِينَ يَسْمُرُ «صَبْرِي»
ظِلًّا لَمَسَتْ عَلَى الْأَنَامِ أَصِيْلًا^{١٨}
رِ بِزَهْرِ الرَّبَا عَلِيْلًا بَلِيْلًا
لَمْ يَكُنْ آسِنًا وَلَا مَمْلُولًا^{١٩}
هُ وَيُنْسِيهِ حَوْمَلًا وَالدُّخُولَا^{٢٠}
بَعْدَ أَنْ كَانَ نَابِغِيًّا طَوِيْلًا^{٢١}

* * *

يَوْمَ «صَبْرِي» هَدَمْتَ لِلْمَجْدِ رُكْنًا
يَوْمَ «صَبْرِي» أَغْمَدْتَ فِي التُّرْبِ سَيْفًا
وَتَرَكْتَ الْعَلِيَاءَ أَمَا تَكُوْلَا
حِينَ جَرَدْتَ سَيْفَكَ الْمَسْلُوْلَا

* * *

إِنَّمَا نَحْنُ فِي الْحَيَاةِ إِلَى حَيٍ
نَتَمَنَّى الْحَيَاةَ جِدًّا تَمَنٍّ
وَقَفَ الطُّبُّ حَائِرًا وَالْمَنَايَا
دَوْرَةَ الْأَرْضِ كَمْ أَمَدَتْ قَبِيْلًا
نَضْرَةً فِي أَزَاهِرِ الصُّبْحِ تُمْسِي
رُبَّ قَصْرِ قَدْ كَانَ مَلْعَبَ أَنْسٍ
وَفَتَاةٍ طَوَى مَحَاسِنَهَا الدَّهْ
نَاكُلُ الْأَرْضِ ثُمَّ تَأْكُلُنَا الْأَرْضُ
حِينَ شَبَابًا وَفَتِيَّةً وَكُهُولَا
وَهِيَ لَيْسَتْ إِلَّا مَتَاعًا قَلِيْلًا
سَاخِرَاتٍ يَغْتَلْنَ جِيْلًا فَجِيْلًا
بِحَيَاةٍ وَكَمْ أَبَادَتْ قَبِيْلًا^{٢٢}
بَعْدَ لَأَيِّ تَصَوُّحًا وَذُبُولًا^{٢٣}
صَيَّرَتْهُ الْأَيَّامُ رُبْعًا مُجِيْلًا^{٢٤}
رُبَّنَا غَضًّا وَخَدًّا أَسِيْلًا^{٢٥}
دَوَالِيكَ أَفْرَعَا وَأَصُولَا^{٢٦}

يَا مَلِيكَ الْبَيَانِ دَعْوَةَ خَلٍّ وَجَدَ الصَّبْرَ بَعْدَكُمْ مُسْتَحِيلًا^{٢٧}
 أَنَا أَرِثِيكَ شَاعِرًا وَأَدِيبًا ثُمَّ أَبْكِيكَ صَاحِبًا وَخَلِيلًا
 قُلْ لِحَسَّانٍ: إِنَّ مَرَرْتَ عَلَيْهِ فِي ظِلَالِ الْفِرْدَوْسِ يُطْرِي الرَّسُولًا^{٢٨}
 إِنَّ مِصْرًا أَحْيَتْ مَوَاتَ الْقَوَافِي وَأَقَامَتْ عُمُودَهَا أَنْ يَمِيلًا
 وَأَعَادَتْ إِلَى سَلِيلَةٍ عَدْنَا نَ شَبَابًا غَضًا وَمَجْدًا أَثِيلًا^{٢٩}
 قُلْ لَهُ غَيْرَ فَاخِرٍ: إِنَّ «صَبْرِي» بَعْدَ «سَامِي» هَدَى إِلَيْهَا السَّبِيلًا^{٣٠}

وَيْكَ يَا قَبْرُ صِرْتَ لِلْفَضْلِ مَثْوًى لَا يُسَامَى وَلِلنُّبُوغِ مَقِيلًا^{٣١}
 فِيكَ كَنْزٌ لَمْ تَحْوِ أَرْضُ الْفَرَاعِي نِ لَهُ بَيْنَ لَابَتَيْهَا مَثِيلًا^{٣٢}
 فِيكَ سِرُّ الْجَلَالِ وَالْخَطْبُ فِيهِ كَانَ يَا قَبْرُ لَوْ عَلِمْتَ جَلِيلًا
 ضَمُّهُ ضَمَّةَ الْكَمِيِّ حُسَامًا تَرَكَ النَّصْرُ حَدَّهُ مَفْلُولًا^{٣٣}
 لَهْفَ نَفْسِي عَلَيْهِ يَفْتَرِشُ التُّرُ بَ وَقَدْ كَانَ لِلْسَّمَكَ رَسِيلًا^{٣٤}
 لَهْفَ نَفْسِي عَلَيْهِ لَوْ كَانَ يُجْدِي لَهْفَ نَفْسِي أَوْ كَانَ يُغْنِي فَتِيلًا^{٣٥}
 كُنْ عَلَيْهِ يَا قَبْرُ رُوحًا وَرِيحًا نَا وَمَثْوًى رَحْبًا وَظِلًّا ظَلِيلًا^{٣٦}
 لَمْ يَمُتْ مَنْ يَزُولُ مِنْ عَالَمِ الْحُسْ سِ وَتَأْبَى آثَارُهُ أَنْ تَزُولًا

هوامش

(١) تزجيته: تدفعه وتسوقه برفق. يسري: يسير.

(٢) المزاهر: جمع مزهر وهو العود من آلات الغناء والطرب. اللحن: التغريد والتطريب والغناء. الهديل: صوت الحمام.

(٣) الكمائم: جمع كمامة وهي غطاء النور أي: الغلاف الذي يحيط بالزهرة ويغطيها قبل أن تتفتح. الكؤوس: جمع كأس، ولا تسمى كأسًا إلا وهي فيها الشراب. الشمول: الخمر.

(٤) الخطرات: الخواطر. الدراري: الكواكب.

- (٥) الجامح: اسم فاعل من جمع الفرس أي: اعتز فارسه وغلبه. والشَّموس: الصعب الممتنع. العنان: سير اللجام. ذلول: سهل منقاد.
- (٦) أسجح: حسن معتدل. ريان: صفة من الري.
- (٧) كثير بن عبد الرحمن أحد الشعراء الغزليين المشهورين. شبيب بعزة بنت حميدة الضمري حتى عُرف بها، وكانت وفاته سنة ١٠٥هـ. وجميل بن عبد الله بن معمر العذري أحب ابنة عمه بثينة، وعرف بها وقال فيها شعراً كثيراً يدل على شعور صادق وحب عفيف طاهر، ولبت يشبب بها أكثر من عشرين سنة، وكانت وفاته بمصر سنة ٨٢هـ أيام عبد العزيز بن مروان واليها من قبل أخيه عبد الملك.
- (٨) المجتث: من بحور الشعر. وأجزاؤه مستفعلن فاعلاتن فاعلاتن مرتين مجزوء وجوباً. الطويل: أول بحور الشعر. وأجزاؤه فعولن مفاعيلن أربع مرات.
- (٩) نقد الدراهم: إخراج الزيف منها، والمراد اختارت. السقط بفتحتين: رديء المتاع والخطأ من القول والفعل. فضول الكلام: ما لا خير فيه.
- (١٠) الوليد: هو أبو عبادة بن عبيد الطائي البحري الشاعر المطبوع، وبحتر بطن من طيء كانوا ينزلون بناحية «منبج» بين حلب والفرات. ولد سنة ٢٠٦هـ، وتخرج في الشعر على أبي تمام ثم خرج إلى العراق وأقام في خدمة المتوكل والفتح بن خاقان وزيره إلى أن قتل، فرجع إلى «منبج» وبقي يختلف أحياناً إلى رؤساء بغداد وسر من رأى حتى مات سنة ٢٨٤هـ.
- (١١) وعاما: حفظها وتدبرها أي: القوافي والمراد الأبيات. و«ذاك وادي الأراك فاحبس قليلاً» مطلع قصيدة للبحري.
- (١٢) برزت: ظهرت. النبل والنباله: الذكاء والنجابة والفضل. نث الحديث: أفشاه.
- (١٣) «فأذكروا في الكتاب إسماعيل» اقتباس جميل من قول الله تعالى في سورة مريم: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾.
- (١٤) الأحبول: المصيدة كالحباله والأحبولة.
- (١٥) الطود: الجبل العظيم. الأشم: الطويل الرأس المرتفع. المنيع: الحصين الذي لا يقدر عليه من يريده. الذرا: جمع ذروة وهي من كل شيء أعلاه. الكثيب: المجتمع من الرمل. المهيل: المرسل المصبوب. والمراد مهدم منهار.
- (١٦) الصمصام: السيف القاطع الذي لا ينثني. الضغث: قبضة حشيش مختلطة الرطب باليابس. الصارم: القاطع. المصقول: المجلو.

- (١٧) المراد بالدولة هنا مملكة الأدب والشعر. حفيظ: كثير مجتمع.
- (١٨) الهاجرة: نصف النهار عند اشتداد الحر. القيط: شدة حر الصيف. الأنام: جميع الخلق. الأصيل: العشي وهو الوقت بعد العصر إلى الغروب.
- (١٩) آسن: آجن أي: متغير الطعم واللون. والمراد قديم معاد تافه.
- (٢٠) ليلاه: معشوقته. عشق قيس بن الملوح العامري ابنة عمه ليلي وشبب بها في شعره فحيل بينها وبينه فاتقد هواه حتى صار إلى حالة تشبه الجنون. ومن أجل ذلك لقب بمجنون ليلي، كان ذلك في بادية نجد في صدر الدولة الأموية. وحومل والدخول موضعان بنجد على مقربة من طريق البصرة إلى مكة، ذكرهما امرؤ القيس في مطلع معلقته متغزلاً بابنة عمه عنيزة فقال:

قفا نيك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

- (٢١) نابغي: شاق طويل منسوب إلى النابغة الذبياني زياد بن معاوية.
- (٢٢) القبيل: الجماعة.
- (٢٣) النضرة: الحسن والرونق والبهاء. اللأي: البطء، والمراد هنا الزمن القليل.
- التصوح: أن ييبس النبات من أعلاه.
- (٢٤) الأنس: اطمئنان النفس، وهو ضد الوحشة. الربع: الدار. محيل: اسم فاعل من أحال الشيء بمعنى تحول وتغير، أو من أحالت الدار أي: أتى عليها أحوال.
- (٢٥) المحاسن: جمع على غير قياس لحسن. البنان: الأصابع أو أطرافها الواحدة بنانة. غض: طري. أسيل: لين طويل.
- (٢٦) دوايك: مداولة على الأمر أو تداول بعد تداول، من الدولة وهي انقلاب الزمان.
- (٢٧) الخل: الخليل والصديق.
- (٢٨) حسان بن ثابت الأنصاري شاعر رسول الله ﷺ وهو من بني النجار من أهل المدينة. نشأ في الجاهلية ونبه شأنه فيها، ولما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة، وأسلم الأنصار أسلم معهم حسان ودافع عن النبي بلسانه كما دافع عنه قومه بسيوفهم، وعاش بعد رسول الله محبباً إلى خلفائه حتى مات في خلافة معاوية سنة ٥٣هـ وعمره ١٢٠ سنة.
- (٢٩) سليلة: بنت. وعدنان أبو العرب المستعربة سكان شمالي الجزيرة، وهو من نسل إسماعيل ابن إبراهيم — عليهما السلام — وسليلة عدنان كناية عن اللغة العربية. غضاً: طرياً. المجد: العز والشرف. الأثيل: الأصيل العظيم.

(٣٠) «صبري» هو المرثي إسماعيل صبري باشا. و«سامي» هو محمود سامي باشا بن حسن حسني بك البارودي، أحد زعماء الثورة العربية وأشعر الشعراء المتأخرين بالديار المصرية، نظم الشعر من صغره محاكاة ومعارضة للشعراء الأقدمين الذين حفظ من كلامهم ونسج على منوالهم. ولد سنة ١٢٥٥هـ، ثم تعلم فنون العسكرية وما زال يترقى في مراتب الجيش حتى ولاه الخديوي توفيق باشا نظارتي الحربية والأوقاف، ثم استقال واعتزل العمل حتى ولي رئاسة النظار قبيل الثورة العربية، فلما اضطرمت نيرانها خب فيها ووضع. ثم حكم عليه بعد انقضائها بالنفي إلى جزيرة سرنديب (سيلان)، فبقي بها ١٧ سنة ثم أذن له بالقدوم إلى مصر، وبقي في منزله كفيئاً يشغل بالأدب إلى أن مات سنة ١٣٢٢هـ.

(٣١) ويك: عجباً لك. مثوى: مقام. لا يسامى: لا يفاخر ولا يبارى. النبوغ: مصدر نبغ الشيء أي: أظهر وعظم شأنه. مقيل: اسم مكان من قال يقليل قليلاً وقيلولة ومقيلًا أي: نام في القائلة وهي الظهيرة.

(٣٢) الكنز: المال المدفون. الفراعين: جمع فرعون وهو لقب ملوك مصر الأقدمين وأرض الفراعنة هي الأراضي المصرية. اللابتان: مثني لابة وهي الحرة أي: الأرض ذات الحجارة السود. وفي الحديث: «أنه — عليه الصلاة والسلام — حرم ما بين لابتي المدينة» أي: حرتيها اللتين تكتنفانها، والشاعر يريد بلابتي أرض الفراعنة حدودها التي تحيط بها.

(٣٣) الكمي: الشجاع المتكفي في سلاحه أي: المتغطي المستتر بالدرع والبيضة. الحسام: السيف القاطع. مفلول: متكسر.

(٣٤) السماك: نجم نير من نجوم السماء وهما سماكان: السماك الأعزل والسماك الرامح. رسيل الرجل: من يباريه في نضال أو غيره، وهذا رسيلك الذي يرأسك الغناء أي: يباريك في إرساله.

(٣٥) يجدي: يغني وينفع. الفتيل: ما يكون في شق النواة يضرب به المثل في التفاهة والضالة.

(٣٦) الروح: الرحمة والراحة. الريحان: كل نبات طيب الريح. مثوى: مقام أي مكان ثواء وهو الإقامة. رحب: واسع. ظل ظليل: دائم.

الفخر

من قصيدة (سنة ١٩٠٠م)

طَرِيقُ الْعُلَا وَعَرُ مَطِيَّتُهُ الْجِدُّ
إِذَا وَهَنْتَ فِيهِ الْقِلَاصُ وَأَذْبَرْتَ
يَخُبُّ فَلَا الْأَخْطَارُ تَلْوِي زِمَامَهُ
وَهَلْ يَعْتَلِي مِنْ غَيْرِهِ الْبَطْلُ الْفَزْدُ؟^١
فَذَاكَ شَدِيدُ الْحَوْلِ مُحْتَمِلُ جَلْدُ^٢
وَلَا عَنْ بَعِيدِ الْقَصْدِ يُقْعِدُهُ الْجَهْدُ^٣

* * *

سَمِئْتُ حَيَاتِي بَيْنَ قَوْمٍ فَصَائِلِي
إِذَا مَا بَدَتْ تَزْنُو إِلَيْهِمْ فَضِيلَةٌ
إِذَا كَانَ عَيْبِي بَيْنَهُمْ أَنْبِي فَتَى
فَمَهْلًا أَنَا النُّجْمُ الَّذِي يُبْصِرُونَهُ
إِذَا صَالَ عَزْمِي فَهُوَ سَيْفٌ مُهْدَدٌ
تَمُدُّ الْمَعَالِي نَحْوَ مَجْدِي رِقَابَهَا
سَتَنْدُبُنِي الْفُضْحَى إِذَا مِتُّ قَبْلَهَا
إِذَا قَلَّ مَالِي فَالْقَنَاعَةُ تَرَوَّتِي
وَرَبَّ غَنِيٍّ فِي احْتِيَاجٍ إِلَى يَدٍ
أَرَى الْمَالَ مِثْلَ الْمَاءِ يَخْبُثُ رَاكِدًا
وَكَيْفَ يُفِيدُ الْمَالَ وَهُوَ بِحِرْزِهِ
لَدَيْهِمْ يُغَطِّيهِهَا التَّدَابُرُ وَالْحِقْدُ
تَصَدَّى لَهَا نَذْلٌ وَكَرَّ لَهَا وَغْدُ
صَغِيرٌ وَشَعْرِي بِالشَّيْبَةِ مُسْوَدٌ
صَغِيرًا وَيُخْفِي قَدْرَهُ عَنْهُمْ الْبُعْدُ
لَهُ الْجِلْمُ وَالْإِغْضَاءُ مِنْ خُلُقِي غَمْدُ
وَجُدَّتْ إِذَا كَانَتْ لِغَيْرِي تَمْتَدُّ
وَمَاتَ الَّذِي فِي النَّاسِ لَيْسَ لَهُ نِدُ
وَمَا كُنْتُ قَوْمَ مَا وَرَى لَهُمْ رَنْدُ؟^٦
تَرْوَحُ بِمَا يَحْوِي مِنَ الْمَالِ أَوْ تَغْدُو^٧
وَيُزَكِّيهِ الْأَسْتِعْمَالُ وَالْأَخْذُ وَالرَّدُ
يُحِيطُ بِهِ سُورٌ وَيَحْجُزُهُ حَدُّ؟^٨

وَهَلْ قَطَعَ الصَّمْصَامُ فِي جَوْفِ غَمْدِهِ وَهَلْ طَابَ نَشْرًا قَبْلَ إِحْرَاقِهِ النَّدُّ؟^٩

هوامش

(١) الوعر: الصعب. المطية: ما يركب من الدواب ونحوها. الجد: الاجتهاد.

(٢) وهنت: ضعفت. القلاص: جمع القلوص وهي الناقة الشابة القوية على السير. ودبرت الدابة وأدبرت: أصابها الدبر وهو تقرح أرجلها من طول السير ووعورة الطريق. الحول: القوة. جلد: صلب شديد قوي صبور.

(٣) يخب: يسرع في سيره، الخيب: ضرب من العدو. الأخطار: جمع خطر وهو الإشراف على الهلاك. تلوي: تثني وتميل. الزمام: المقود وهو الحبل الذي يقاد به البعير ونحوه، ولي الزمام: كناية عن ثني السائر وصرفه عن غايته. القصد: المقصد والمطلب. الجهد: المشقة.

(٤) صال: وثب وسطا. العزم: الإرادة القوية القاطعة. السيف المهند: المطبوع من حديد الهند. أو هو المشحوذ القاطع. الحلم: الأناة والوقار. الإغضاء: إدناء الجفون وسد الطرف والسكوت على الشيء.

(٥) المجد: العز والشرف. جذت: قطعت.

(٦) الكثر: المال الكثير. وورى الزند يرى وريًا: خرجت ناره. الزند: العود الذي تقدح به النار، «وما روى لهم زند» كناية عن بخلهم وقلة نفعهم.

(٧) الغدو في الأصل: الذهاب والانطلاق وقت الغدوة في أول النهار، والرواح ضد الغدو وهو الرجوع في آخر النهار، والمراد بالغدو والرواح هنا السعي في تتمير المال والنفع والانتفاع به.

(٨) الحرز: المكان الذي يحفظ فيه الشيء.

(٩) الصمصام: السيف الصارم الذي لا ينثني. النشر: الرائحة الطيبة. الند: نوع من الطيب، أو هو عود يتبخر به.

اللغة العربية ودار العلوم

أهدى الشاعر هذه القصيدة إلى صحيفة دار العلوم في سنة ١٩٣٤م؛ لتنتشر في أول جزء من أجزائها.

يا ابنة السابقين من قحطان!
أنتِ علّمتني البيان فما لي
رَبِّ حُسْن يعوق عن وَصْفِ حُسْنٍ
كنتِ أَشْدُّ بَيْنَ الطُّيُورِ بِذِكْرًا
وأصوغُ الشَّعْرَ الَّذِي يَفْرَعُ النَّجْدَ
يا ابنة الضَّادِ أَنْتِ سَرٌّ مِنَ الْحُسَدِ
كنتِ فِي الْقَفْرِ جَنَّةً ظَلَّلَتْهَا
لغةُ الفَنِّ أَنْتِ وَالسَّحَرِ وَالشَّعْ
رُوبِ جَيْشٍ مِنَ الْحَدِيدِ تَوَلَّى
وبَيَانٍ بَنَى لِصَاحِبِهِ الْخُلْ
وقَصِيدٍ قَدْ خَفَّ حَتَّى عَجَبْنَا

وُثْرَاتِ الْأَمْجَادِ مِنْ عَدْنَانِ!^١
كَلَّمَا لُحِبَّ حَارَ فَيْكِ بَيَانِي؟
وَجَمَالٍ يُنْسِي جَمَالَ الْمَعَانِي
كِ فَتَعْلُو أَلْحَانَهَا أَلْحَانِي
مَ وَتُصْغِي لِجَرْسِهِ الشُّعْرِيَانِ^٢
مِنْ تَجَلَّى عَلَى بَنِي الْإِنْسَانِ^٣
حَالِيَاتٍ مِنَ الْغُصُونِ دَوَانِي
رِ، وَنُورُ الْحِجَابِ، وَوَحْيُ الْجَنَانِ
وَاجِفَ الْقَلْبِ مِنْ حَدِيدِ اللِّسَانِ
سَدَّ مُطْلَأًا مِنْ قِمَّةِ الْأَزْمَانِ
كَيْفَ نَالَتْهُ كِفَّةُ الْأَوْزَانِ!

بلغ العُربُ بالبلاغة والإسلا
لِيسُوا شَمْسَ دَوْلَةِ الْفُرْسِ تَاجًا
وَجَرَوْا يَنْشُرُونَ فِي الْأَرْضِ هَدْيًا
مِ أَوْجًا، أَعْيَا عَلَى كَيْوَانِ
وَمَضَوْا فِي مَغَافِرِ الرُّومَانِ^٥
مِنْ سَنَا الْعِلْمِ أَوْ سَنَا الْقُرْآنِ^٦

لا تَضِلُّ الشُّعُوبُ مِصْبَاحُهَا الْعِلْمُ
فَإِذَا أُطْفِئَ السَّرَاجُ فَمَيَّنْ
أَيَّنَ آلَ الْعَبَّاسِ رِيحَانَةَ الدَّهْرِ
خَفَّتِ الصَّوْتُ، لَا الْبِلَادُ بِلَادُ
أَزْهَرَتْ فِي جِماهُمُ الضَّادُ جِينًا
إِنْ أَصَاخَتْ، فَالْقَوْلُ غَيْرُ فَصِيحٍ
فَمَضَتْ نَحْوَ مِصرٍ مِثْلَ قِطَاةٍ
يَكْدُرُ الْعَيْشُ مَرَّةً ثُمَّ يَصْفُو
ثُمَّ هَبَّتْ زَعازُعُ تَرْكَتْهَا
وَإِذَا نَهَضَتْ تَدِبُ بِمِصْرٍ
وَإِذَا الْيَوْمُ بِاسْمٍ، وَاللَّيَالِي
وَإِذَا الضَّادُ تَسْتَعِيدُ جَمَالًا
نَزَلَتْ فِي حِمَى فُؤَادٍ فَأَضَحَتْ
مَلِكُ شَادَ لِلْكَنَانَةِ مَجْدًا
كُلَّ يَوْمٍ يَمُدُّ لِلْعِلْمِ كَفًّا

إِنَّ دَارَ الْعُلُومِ بَنِيَّةَ إِسْمَا
مَنْ يُسَامِي أَبَا الْمَوَاهِبِ وَالْأَشْبَالِ
هِيَ فِي مِصرٍ كَعَبَّةَ بَعَثَ الشَّرُّ
قَدْ أَعَادَتْ عَهْدَ الْأَعَارِبِ فِي مِصْرٍ
وَأَظَلَّتْ بَنَتْ الْفِدَائِدِ وَالْبَيْدِ
دَرَجَتْ بَيْنَ فَتْيَةٍ وَشَيْوُخٍ
وَأَظَلَّتْ مِنَ الْخِباءِ عَلَيْهِمُ
فَتِنُوا بِالْعُذِيبِ وَالسَّفْحِ وَالْجَزْ
يَتَلَقَّوْنَ وَحْيَهَا كُلَّ حِينٍ
وَيُغْنُونَ بِاسْمِهَا مِثْلَ مَا غَنَى
نَثَرَتْ دَرَّهَا الْفَرِيدَ فَكَانُوا

عَمِلَ تُزْهِى بِهِ عَلَى كُلِّ بَانٍ
فِي فَيْضِ جُودِهِ أَوْ يُدَانِي؟^{١٦}
قُ إِلَيْهَا طَوَائِفُ الرُّكْبَانِ
رَ إِلَى نَاعِمٍ مِنَ الْعَيْشِ هَانِي^{١٧}
بِ بِأَفْيَاءِ دَوْجِهَا الْفَيْنَانِ^{١٨}
كُلُّهُمْ يَنْتَمِي إِلَى سَحْبَانِ^{١٩}
فَسَبَتْهُمْ بِسَحْرِهَا الْفَتَّانِ^{٢٠}
عِ وَوَادِي الْعَقِيقِ وَالصَّمَانِ^{٢١}
وَيَنَاجُونَ طَيْفَهَا كُلَّ آنٍ
نَحَى زُهَيْرَ بِسِيرَةِ ابْنِ سَنَانِ^{٢٢}
أُسْرَعَ النَّاسِ فِي التَّقَاطِ الْجُمَانِ^{٢٣}

رُبَّ شَيْخٍ أَفْنَى سَوَادِ اللَّيَالِي
مَنْ بَحُوثٍ إِلَى كِتَابَةِ نَقْدٍ
يَقْنِصُ الْأَبْدَاتِ عَزَّتْ عَلَى الصَّيْدِ
سَارِحَاتٍ كَأَنَّهَا قَطَعَ الْوَشَّ
إِنْ تَسْمَعْنَ نَبَأَهُ غِبْنَ فِي الرِّيدِ
فَإِذَا مَا أَمِنَّ يَخْرُجْنَ أَرْسَا
كُلُّ جُزْءٍ فِي جِسْمِهِنَّ لَهُ عَيْدِ
لَمْ يَزَلْ صَاحِبِي يُعَالِجُ مِنْهُنَّ
فِي فَلَاةٍ لَا تَحْمِلُ الرِّيحُ فِيهَا
كَلِّمَا طَارَ خَلْفَهُنَّ تَسَرَّبْنَ
فَتَرَاهُ حِينًا كَمَا وَثَبَ اللَّيْثُ
وَهِيَ تَلْهُو بِهِ، فَأَنَا تُجَافِيهِ،
مَرَّةً فِي مَدَى يَدَيْهِ، وَأُخْرَى
لَمْ يَقِفْ نَادِمًا يُقْلِبُ كَفِّهِ،
ثُمَّ كَانَتْ عَوَاقِبُ الصَّبْرِ أَنْ ذَلَّتْ
مَلَكَّتُهُ أَغْنَاقُهَا فِي خُضُوعِ
رُبِّ شَعْرِ لَهُ يُرَدِّدُهُ الدَّهْدُ
يَتَمَنَّى الرَّبِيعُ لَوْ تَخَذَتْ مِنْهُ
مَنْ بَنَاتِ الْخِيَالِ لَوْ كَانَ يُسْقَى
رَدَّدَتْهُ الْقِيَانُ يُكْسِبُنَهُ حُسْنًا،
قَدْ أَثَارَ الْغُبَارَ فِي وَجْهِ مَيِّمُو

سَاهَدَ الْعَيْنَ جَاهِدًا غَيْرَ وَاثِي
ثُمَّ مِنْ مُعْجَمٍ إِلَى دِيْوَانٍ^{٢٤}
دِ، فَمَا سَتَ بَيْنَ الرُّبَا وَالرَّعَانِ^{٢٥}
سِي يُطَرَّرْنَ سُنْدُسَ الْقِيَعَانِ^{٢٦}
حِ، كَسِرَ يُصَانُ بِالْكِتْمَانِ^{٢٧}
لَا، كَخَيْلٍ نَشِطُنَ مِنْ أَرْسَانِ^{٢٨}
نَ عَلَى الشَّرِّ، أَوْ لَهُ أُذُنَانِ
نَ نِفَارًا مُسْتَعْصِيًا، وَيُعَانِي^{٢٩}
غَيْرَ رَنَاتٍ قَوْسِهِ الْمِرْنَانِ^{٣٠}
هَبَاءً، فِي غَيْهَبِ النَّسِيَانِ^{٣١}
وَحِينًا يَنْسَابُ كَالْأَفْعُوانِ^{٣٢}
وَأَنَا تُمْلِي لَهُ فَتُدَانِي^{٣٣}
مَا لَهُ بِأَقْتِنَاصِهِنَّ يَدَانِ^{٣٤}
فَعَالِ الْمُجَوِّفِ الْحَيْرَانِ^{٣٥}
لَهُ الشَّارِدَاتِ بَعْدَ الْحِرَانِ^{٣٦}
وَحَبَّتْهُ قِيَادَهَا فِي لِيَانِ^{٣٧}
رُ، فَتَضْغِي مَسَامِعُ الْأَكْوَانِ
لَهُ حُلَاهَا ذَوَائِبُ الْأَغْصَانِ^{٣٨}
لَعَدَدْنَاهُ مِنْ بَنَاتِ الدُّنَانِ^{٣٩}
فَأَرْبَى عَلَى جَمَالِ الْقِيَانِ^{٤٠}
نِ، وَعَقَى عَلَى فَتَى دُبْيَانِ^{٤١}

شَيْخَةَ الدَّارِ، أَنْتُمْ خَدَمُ الْفَصِّ
لَبِسَتْ جَدَّةَ الصَّبَا فِي ذِرَاكُمُ
غَيْرَ أَنَّ الْحَيَاةَ تَعُدُّو، وَلَا يُدُ

حَى وَحُرَّاسُ ذَلِكَ الْبُنْيَانِ
وَعَدَتْ مِنْ حُلَاهُ فِي رِيْعَانِ^{٤٢}
رُكِ فِيهَا طِلَابُهُ الْمُتَوَانِي^{٤٣}

سابقوها بالدينِ والخُلُقِ السَّمِ سابقوها بالجدِّ، فالجدُّ والمَجْدُ
حِ وصِدْقِ الوَفاءِ للإخوان دُ - كما شاءتْ العُلا - تَوْعِمان
حَي، فَإِنَّ الرَّجاءَ فِي الشَّبَّانِ ذَلُّوا للشَّبَّابِ مُسْتَعَصِي الفُصْدِ
تَتَحَدَى قَلائِدَ العِقيانِ^{٤٤} وانثُرُوها قَلائِدًا وعُقودًا

بَسَمِ الدهرُ أَنْ رَاكِمَ بِناءٍ عَبَقَرِيًّا مُوطَّدَ الأركانِ
كَمْ رَجَا الدهرُ أَنْ يُشَاهَدَ يَوْمًا جَمْعَكُم سالِمًا مِنَ الشَّنَّانِ^{٤٥}
إِنَّمَا الكَفُّ بِالْبَنانِ، ولا تُجِبْ يَدِي فَتِيلاً كَفَّ بِغَيْرِ بَنانِ^{٤٦}
جَمَعَتُكُمْ أواصِرَ وَصِلاتٍ طَهَّرْتُ مِنْ دَخائِلِ الأَضْغَانِ^{٤٧}
فاسلُكوا المَهْيَعِ القَوِيمَ وسِيرا فِي شُعاعِ المُنَى وظِلِّ الأمانِ^{٤٨}
واشْكُروا للوزيرِ بِيضَ أيايديهِ، وَمِدارَ فَيْضِهِ الهَتَّانِ^{٤٩}
يَبْدُلُ الخَيْرِ فِطْرَةً، ليس يَتَنِيهِ عَنِ الخَيْرِ والصَّنِيعَةِ ثاني^{٥٠}
هو ذُخْرُ الطُّلابِ، كما وجدوا فِيهِ هَ أمانًا مِنْ طارِقِ الحَدَثانِ^{٥١}
يَبْعَثُ الغَيْثَ والرجاءَ لقاَصِ وَيَمُدُّ اليَمِينَ بِرًّا لِداني
كَمْ لَهُ مِنَّةٌ عَلَى الضَّادِ هَزَّتْ كُلُّ لَفْظٍ فِيها إِلَى الشُّكرانِ^{٥٢}
سَعَدَ العِلْمُ واستَعَزَّ «بِجَلْمِي» وَغَدَا دَوْحُهُ قَرِيبَ المَجاني^{٥٣}
سارَ مُسْتَرشِدًا بِهَدْيِ مَلِيكِ ما لَهُ فِي أَصالَةِ الرَأْيِ ثاني^{٥٤}
مَلِكُ تَسْعَدِ البِلادِ بِنُعمًا هُ، وَيُزْهِى بِنورِهِ القَمَرانِ^{٥٥}
عاشَ لِلدينِ والمَكارِمِ والنُّبِّ لِ وَبَثَّ الحَيَاةَ والعِرْفانِ^{٥٦}
وُلِيَ عِشَ لِلبِلادِ فاروقٌ مِصْرٍ قُدُوةَ الناهِضِينَ رَمَزَ الأمانِ

هوامش

- (١) ابنة السابقين: يريد اللغة العربية. قحطان: أبو العرب العاربة. تراث: ميراث،
الأمجاد: جمع ماجد، الكريم الشريف: عدنان: أبو العرب المستعربة.
(٢) فرع القوم: علاهم بالشرف أو الجمال. الجرس: الصوت. الشعري: كوكب وهما
شعريان. تزعم العرب أنهما أختا سهيل.

- (٣) ابنة الضاد: اللغة العربية.
- (٤) القفر: المفازة لا نبات بها. الغصون الحاليات الدواني: أي المتحلية بالثمر القريبة القطوف.
- (٥) كانت الشمس رمزًا لتاج الفرس، المغافر: جمع مغفر كمنبر.
- (٦) الهدى: الرشاد. السنا: النور.
- (٧) المين: الكذب.
- (٨) الريحانة: طاقة الريحان وهو نبت طيب الرائحة.
- (٩) بانوا: فارقوا وارتحلوا. المغاني: جمع مغنى المنزل غنى به أهله.
- (١٠) أصاخ له: استمع. رنا رنوا: أدام النظر بسكون الطرف.
- (١١) القطة: طائر. فزعه: أخافه. العقاب: طائر والجمع عقبان، والكاسر من الطير كالمفترس من الحيوان، كسر الطائر كسرًا وكسورًا ضم جناحيه يريد الوقوع.
- (١٢) الزعازع: الشدائد من الدهر. الأسى: الحزن. الهوان: من هان هوانًا وهوانًا ومهانة أي: ذل.
- (١٣) تدب: تسير ببطء.
- (١٤) الدهر ملقي العنان: كناية عن الخضوع والانقياد، العنان: سير اللجام.
- (١٥) ريب الزمان: صرّفه.
- (١٦) يساميه: يباريه ويفاخره.
- (١٧) الأعاريب جمع أعراب: سكان البادية.
- (١٨) بنت الفدافد والبيد: اللغة العربية. الفدافد: جمع فدفد، والبيد: جمع بيداء، وكلاهما بمعنى الفلاة. أفياء: جمع فيء ما كان شمسًا فينسخه الظل. الدوح مفردة دوحة: الشجرة العظيمة. الفينان: الحسن الشعر الطويله.
- (١٩) درج: مشى، ويريد نشأت. فتية وشيوخ: رجال دار العلوم من طلاب وأساتذة. سبحان: بليغ يضرب به المثل.
- (٢٠) أطلت عليهم: أشرفت. الخباء: من الأبنية يكون من وبر أو صوف أو شعر. سبتهم: أسرتهم.
- (٢١) فتنوا بالشيء: أعجبوا به. العذيب والسفح والجزع ووادي العقيق والصمان: أماكن ببلاد العرب.
- (٢٢) ابن سنان: هو هرم بن سنان كان جوادًا كريمًا أولع بمدحه زهير بن أبي سلمى، وزهير شاعر جاهلي أجاد الحكمة مع الصدق وعدم المبالغة والسهولة.

- (٢٣) الجمان: اللؤلؤ واحده جمانة.
- (٢٤) بحوث: جمع بحث.
- (٢٥) يقنص: يصيد. الآبدات: الشاردات من الوحش. ماست: تبخترت. الربا: جمع ربة ما ارتفع من الأرض. الرعان: جمع رعن، أنف يتقدم الجبل.
- (٢٦) سارحات: مطلقات. الوشى: النقش. التطريز: نقش الثوب، القيعان: جمع قاع أرض سهلة مطمئنة.
- (٢٧) النبأة: الصوت الخفي.
- (٢٨) الإرسال: جمع رسل، القطيع من كل شيء. الأرسان: جمع رسن، الحبل.
- (٢٩) النفار: النفور والشرود.
- (٣٠) المرنان: ذات الرنين عند شد وترها.
- (٣١) الغيهب: الظلام.
- (٣٢) الأفعوان: ذكر الأفاعي.
- (٣٣) تجافيه: تبتعد عنه. تملي له: أي تمد له في أسباب الأمل.
- (٣٤) مرة في مدى يديه: أي في مقدوره. وأخرى ما له باقتناصهن يدان: أي ليس له قدرة على اقتناصهن.
- (٣٥) المجوف: من لا قلب له. فعال: أي فعل.
- (٣٦) نلت: خضعت. الحران: مصدر حرنت الدابة فهي حرون (بابه نصر)، وهي الدابة التي إذا اشتد جريها وقفت.
- (٣٧) الليان: اللين والطاعة.
- (٣٨) نواثب الأعصان: ما تدلى منها.
- (٣٩) بنات الدنان: الخمر والدنان: جمع مفرده دن وعاء الخمر.
- (٤٠) القيان: جمع قينة الجارية المغنية.
- (٤١) أثار الغبار في وجه ميمون: سبقه، ويريد بميمون الأعشى، شاعر جاهلي كان العرب يتغنون بشعره، لم يمدح أحداً إلا رفعه، أراد الوفود على النبي ﷺ ولكنه مات قبل الوصول إليه. وفتى ذبيان: هو النابغة الذبياني، كان يضرب له قبة بعكاظ ليحكم بين الشعراء، مدح النعمان بن المنذر، وكان بارعاً في الوصف.
- (٤٢) جدة الصبا: جديده. الذرا: الظل والكنف. ريعان كل شيء: أوله وأفضله.
- (٤٣) طلابه: طلبه.

- (٤٤) قلائد العقيان: أي قلائد الذهب.
- (٤٥) الشنآن: البغض والكراهة.
- (٤٦) البنان: الأصابع أو أطرافها. الفتيل: السحاة التي في شق النواة، والمراد الشيء القليل جدًا.
- (٤٧) الأواصر: جمع أسرة ويراد بها الصلة. الأضغان: جمع ضغن الحقد.
- (٤٨) المهيع: الطريق.
- (٤٩) الهتان: الكثير الانصباب.
- (٥٠) الصنيعة: المعروف والمنة.
- (٥١) طارق الحدثان: ما يصيب من نوب الدهر.
- (٥٢) المنة: العطية.
- (٥٣) المجاني: جمع مجنى ما يجنى. حلمي: هو محمد حلمي عيسى باشا وزير المعارف في ذلك الوقت.
- (٥٤) أصالة الرأي: قوته وثباته.
- (٥٥) يزهى: يفتخر.
- (٥٦) بث الحياة: نشرها.

ضحكُ القَدَرِ

قال الشاعر هذه الأبيات سنة ١٩١٠م حينما كان طالبًا بإنجلترا، وقد زار «لندن» في فصل الشتاء، ومن العجيب بها أن الضباب يتكاثف أحيانًا فيحجب الأضواء، ويجعل المدينة في ظلام دامس، وحينئذ يحار المبصر ويضل الطريق، وقد يهدي العمي المبصرين في هذه الحالة لاعتيادهم الضرب في الأرض على أي حال.

أَبْصَرْتُ أَعْمَى فِي الضَّبَابِ بِلَنْدَنْ	يَمْشِي فَلَا يَشْكُو وَلَا يَتَأَوَّهُ
فَأَتَاهُ يَسْأَلُهُ الْهِدَايَةَ مُبْصِرٌ	حَيْرَانٌ يَخِيطُ فِي الظَّلَامِ وَيَعْمَهُ ^١
فَاقْتَادَهُ الْأَعْمَى فَسَارَ وَرَاءَهُ	أَنْنَى تَوَجَّهَ خَطُوهُ يَتَوَجَّهْهُ
وَهُنَا بَدَأَ الْقَدَرُ الْمُعْرِبُ ضَاحِكًا	وَمَضَى الضَّبَابُ وَلَا يَزَالُ يُقَهِّقُهُ!

هوامش

(١) يخطب الأرض في الظلام: يسير فيها على غير هدى. يعمه: يتحير ويتردد.

الجامعة المصرية

أُلقيت في احتفال علمي رائع في سنة ١٩٣٢م، احتفالاً بافتتاح الجامعة المصرية.

دَعَوْتُ بَيَانِي أَنْ يَفِيضَ فَأَسْعِدَا
وَأَبْدَعْتُ نَظْمًا كَالرَّبِيعِ مَفُوقَا
وَمَا الشُّعْرُ إِلَّا تَرْجُمَانُ مُخَلَّدُ
فَلَوْلَا السَّجَايَا الْغُرُّ مَا قَالَ قَائِلُ
فَسَلَسَلَاهُ أَضْحَى بِنُعْمَاهُ كَوْثَرَا
مَلِيكَ حَبْتِهِ مِصْرُ مَحْضَ وَلَائِهَا
أَصَالَةُ عَزْمٍ أَخْجَلَتْ كُلَّ صَارِمٍ
وَرَأَيْ كَوَجْهِ الصُّبْحِ مَا ذَرَّ نُورَهُ
وَوَجْهَهُ كَأَنْوَارِ الْيَقِينِ رَأَيْتُهُ
أَلَمْ يُعَلِّ صَرْحَ الْعِلْمِ شُمًّا قَبَابُهُ
فَمَنْ مَعَهْدٍ يُبْنَى عَلَى إِثْرِ مَعَهْدٍ
وَنَادَيْتُ شِعْرِي أَنْ يُجِيبَ فَغَرَّدَا
يُجَمِّلُ عَصْرًا كَالشَّبَابِ مُجَدَّدَا^١
يَقْصُ عَلَى الْأَجْيَالِ مَجْدًا مُخَلَّدَا
وَلَوْلَا «فَوَادُ» مَا غَدَا النَّيْلُ مُنْشَدَا^٢
وَقِيَعَانُهُ أَمَسْتُ بِمَسْعَاهُ عَسْجَدَا^٣
صَمِيمًا، وَأَوَّلَى مِصْرَ عِزًّا وَسُودَا
مِنَ الْبَيْضِ، حَتَّى خَافَ أَنْ يَنْجَرَّدَا
عَلَى مُدْلِهِمُ الْخَطْبُ حَتَّى تَبَدَّدَا
فَأَبْصَرْتُ فِيهِ الْمَجْدَ وَالنَّبْلَ وَالنَّدَى
تَطَالِعُهَا زَهْرُ الْكَوَاكِبِ حُسْدَا؟^٤
إِلَى أَنْ غَدَتْ أَرْضُ الْكِنَانَةِ مَعَهْدَا!

زُهَيْنَا عَلَى الدُّنْيَا بِجَامِعَةٍ غَدَتْ
تَرْدُ الشَّبَابِ الْغَضَّ حَزْمًا وَحُكْمَةً
تَزُوْدُهُ التَّوْفِيقُ فِي كُلِّ مَطْلَبٍ
غَدَتْ دَوْحَةً فَيَنَانَةً حُلُوهَ الْجَنَى
حَدِيثًا بِأَذْنِ الشَّرْقِ حُلُوهَا مُرَدَّدَا
وَتَصَقُّلُهُ صَقْلُ الْقِيُونِ الْمُهَنْدَا^٥
وَمَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ الْجَلِيلَ تَرَوَّدَا
بَعِيدَةً مَدَّ الظِّلُّ فَيَاخَةَ الْمَدَى

وَهَذَا هُوَ الْعُصْنُ الَّذِي كَانَ أَمْلَدًا^٧
 غَرَارُ إِلَى أَنْ يُبْصِرَ الرُّدْعَ أَحْصَدًا^٨
 وَعَيْنٌ تَرَى فِي يَوْمِهَا مَا تَرَى غَدًا
 دِرَاكًا، وَيَمْضِي لِلْمَحَامِدِ مُصْعِدًا^٩
 وَيَبْلُغُ شَأْوًا يُعْجِزُ الْجَمْعَ مَفْرَدًا
 وَيَبْذُلُ حَتَّى يَدْهَشَ الْجُودَ وَالْجَدَا^{١٠}
 وَيَنْصُرُ دِينَ الْحَقِّ وَالنُّورَ وَالْهُدَى^{١١}
 دَعَاهُ هَوَى مِصْرٍ فَجَدَّدَ مَقْصِدًا^{١٢}
 وَلَا فَارَقَتْ يَوْمًا بَرَاعَتَهُ الْيَدَا
 أَدِيبٌ إِذَا مَا أُرْسِلَ الْفِكَرَ سَدًّا^{١٣}
 بِمَضْرُ طِمَاءٍ كَانَ حَرَقَهَا الصَّدَى^{١٤}
 حَقِيقٌ بِمَا أَشْدَيْتَ يَتْلُو مُجَلَّدًا
 بَأَثَارٍ مَجْدٍ يَنْتَمِينَ لِأَحْمَدَا
 رَفِيعًا، فَقَدْ أَرَسَى الْأَسَاسَ وَوُطِّدَا
 إِلَيْكَ يَسُوقُونَ الثَّنَاءَ الْمُنْضِدَا^{١٥}
 ضَخَامًا عَلَى أَثَارِ فَضْلِكَ شَهْدَا
 جَهَابِدَ أَهْلِ الْأَرْضِ مَتْنَى وَمَوْحَدَا^{١٦}
 إِلَى الْعِلْمِ إِلَّا صَارَ سَهْلًا مُعْبَدَا
 فَلَمْ تَجِدِ الْأَمَالَ إِلَّاكَ مَعْقِدَا
 تَحُومُ عِطَاشُ الطَّيْرِ أَبْصَرَ مَوْرِدَا^{١٧}
 فَأَمَالَهُمْ فِي أَنْ تَعِيشَ وَتَسْعَدَا^{١٨}
 وَدَامَ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ مُوَيَّدَا^{١٩}

عَرَسْتَ وَهَذَا فَضْلُ مَا قَدْ عَرَسْتَهُ
 تَعَهَّدْتَهُ كَالزَّارِعِ الطَّبَّ نَوْمُهُ
 بِكَفٍّ مِنَ الْإِحْسَانِ وَالرَّفْقِ صُورَتْ
 كَذَاكَ ابْنُ إِسْمَاعِيلَ يَنْتَهَبُ الْمَنَى
 وَيُذِرُكَ مَا يُعْيِي الْجَحَافِلَ وَحَدَهُ
 وَيَسْعَى إِلَى أَنْ يَذْهَلَ النُّجْمَ سَعْيُهُ
 وَيَرْقُبُ رَبَّ الْعَرْشِ فِيمَا يُرِيدُهُ
 إِذَا مَا أَنْتَهَى مِنْ مَقْصِدٍ لَنْ صَعْبُهُ
 رُوَيْدَكَ أَجْهَدْتَ الْمُورِّخَ! مَا وَنَى
 هَزَزْتَ إِلَى التَّأْلِيفِ كُلِّ مُبَرِّزٍ
 فَفَاضَتْ بِجَدِّوَاكِ الْعُقُولُ وَبَلَلَتْ
 فِي كُلِّ يَوْمٍ لِلْعُلُومِ مُجَلَّدُ
 سَلَا مَكْتَبَاتِ الْعِلْمِ تَنْطِقُ كُتُبُهَا
 وَمَنْ بَيْنَ فَوْقِ الْعِلْمِ وَالْعَدْلِ مُلْكُهُ
 بَهَرْتَ رِجَالَ الْعِلْمِ فِي الْغَرْبِ فَانْتَنُوا
 وَأَوَّلُوكَ أَلْقَابًا نَوَاصِعَ كَالضُّحَا
 وَأَصْبَحَتْ رَمْزًا عَالَمِيًّا سَعَتْ لَهُ
 فَحَارًا أَبَا الْفَارُوقِ لَمْ يَبْقَ مِنْهَجُ
 تَطَلَّعَتْ الْأَمَالُ شَرْقًا وَمَغْرِبًا
 وَحَامَتْ قُلُوبُ الشَّعْبِ حَوْلَكَ مِثْلَمَا
 فَعِشَ لِبْنِي مِصْرٍ غِيَاثًا وَرَحْمَةً
 وَعَاشَ وَلِيُّ الْعَهْدِ قُرَّةَ أَعْيُنٍ

هوامش

(١) مفوقًا: فيه خطوط بيض.

(٢) السجايا: جمع سجية وهي الخلق. الغر: جمع غراء أي: بيضاء.

(٣) السلسال: الماء العذب. النعْمى: اليد البيضاء الصالحة. الكوثر: نهر في الجنة

يتفجر منه جميع أنهارها. القيعان: جمع قاع وهو الأرض المطمئنة قد انفرجت عنها الجبال والأكام. العسجد: الذهب.

- (٤) زر: طلع وأشرق. الخطب: الأمر. المدلهم: الشديد الظلمة.
- (٥) الصرح: البناء العالي. شُمًا: جمع شماء أي: مرتفعة. زهر: جمع أزهر وهو المتلألئ.
- (٦) ترد: تصير. الغض: الناصر. الحزم: ضبط الأمور والأخذ فيها بالثقة. الحكمة: العلم بحقائق الأشياء. تصقله: تجلوه. القيون: جمع قين وهو الحداد وصانع السيوف. المهند: السيف المشحوذ.
- (٧) الأملد: من الغصون الناعم اللين.
- (٨) الطب: الماهر الحاذق بعمله. الغرار: القليل. أحصد: أي حان أن يحصد.
- (٩) المنى: جمع منية. وهي الأمنية. الدراك: اللحاق السريع. المحامد: جمع محمدة وهي الخصلة يحمد عليها. مصعدًا: اسم فاعل من أصدع في الأرض إذا مضى. والمراد المضي في ارتفاع.
- (١٠) يذهل: يدهش. الجدا: العطية.
- (١١) رب العرش: الله سبحانه وتعالى. يرقب أي: ينتظر جزاءه وثوابه فيما يعمل.
- (١٢) مقصد: مطلب من مطالب الخير للبلاد.
- (١٣) هزرت: حركت ونشطت. المبرز: من يفوق أصحابه فضلًا.
- (١٤) الصدى: العطش. الجود: العطية. الظماء: جمع ظمآن وهو العطشان.
- (١٥) المنضد: ما كان بعضه فوق بعض.
- (١٦) الجهابذ: جمع جهبذ بالكسر وهو النقاد الخير.
- (١٧) المورد: مكان الماء. حام الطير على الشيء: دوم.
- (١٨) غياث: إغاثة ومعونة.
- (١٩) قرّة أعين: من قرت العين تقر بالكسر والفتح قرّة بالفتح والضم بردت وانقطع بكاؤها أو رأت ما كانت متشوقة إليه. والقرّة: ما قرت به العين.

العروبة

ألقيت هذه القصيدة بمؤتمر الثقافة العربي الأول، والذي أقامته جامعة الدول العربية ببلبنان عام ١٩٤٧م.

لُبْنَانُ رَوْضُ الهوى والفنِّ لُبْنَانُ
هل الجِسَانُ على العهدِ الذي زعمتُ؟
أين الصبا؟ أين أوتاري وبهجتها؟
أرنبو لها اليومَ والذكرى تُورِّقني
هَبْنِي رجعتُ إلى الأوتارِ رنَّتها
لا الكأسُ كأسٌ إذا طاف الحبابُ بها
ما للخميلة؟ هل طارت بلابلها
وهل رياضُ الهوى ولَّتْ بشاشتُها
كم مَدَّ غصنٌ بها عينًا مشرَّدةً
لقد رأى البانُ لا تسعَى به قدمٌ
غِيدٌ لها من شذى لُبْنَانٍ نفحته
من نَبْعِهِ خُلِقَتْ، ما بالها صرفتُ
عينانِ أسكرتا شعري فإن عَثَرْتُ
وطلعةٌ كخدودِ الزهرِ غازلها
من الملائكِ إلَّا أنها بشرٌ

الأَرْضُ مسكٌ، وهمسُ الدوحِ ألحانٌ^١
وهل رِفاقُ شبابي مثلما كانوا؟
طوت بساط ليالِيهنَّ أزمان
كما تنبَّه بعد الحُلُمِ وسنان^٢
فهل لشرِّخِ الصبا واللهِ رُجُعان؟^٣
بعد الشبابِ، ولا الريحانُ ريحانٌ^٤
وصَوَّحتُ بعد طول الزهو أفنان؟^٥
وغادرتُ ضاحكُ النُّوارِ غُدران؟^٦
إلى قدودِ العذارى وهو حيران^٧
فيا لدهْشَتِهِ لَمَّا مشى البانُ^٨
ومن مجانيه تَفَّاحٍ ورمَّان^٩
سَرَبَ الشفاهِ الحيارى وهو ظمآن؟^{١٠}
به السبيلُ، فعذرًا فهو نشوان^{١١}
من الأصائلِ أطيفُ وألوان^{١٢}
وأنَّ نظرتُها البَهْماءِ شَيْطَانُ^{١٣}

* * *

لله أيا مَنّا الأوّلَى التي سلفت
والحبُّ كالطير رَقَافٌ على فَنَنٍ
هيمنانُ والماءُ في لُبْنانٍ عن كَثَبٍ
بَدَتْ له جارةُ الوادي الخصبِ ضُحًا
فأرسل العينَ في صميتِ بلاغته
وللعُيونِ أحاديثُ بلا كلمٍ
والحبُّ سرٌّ من الفِرْدوسِ نَبَعَتُهُ
رنا لها فتمادتْ في تدلُّها
وغطَّتِ الوجهَ بالمِنديلِ في خَفَرٍ
وأعرضتْ وإبَاءَ الغيدِ لُغْبَتُها
إِنَّ العَذاري — حماك الله — أَحْيِيَّةُ
هَزَزْتُ أوتارَ شعري حول شُرْفَتِها
شعرٌ من الله تلحينًا وتهْيِئَةً
إذا شدا أنصتتْ أذُنُ الوجودِ له
شدا لها فرأى ليلَ الهوى عَجَبًا
رَيَّا حوتَ فتنةِ الدنيا غلاظُها
لانتْ لشعري كما لانتْ معاطفُها
فتنتها حينما همّتْ لتفتِنني
سلاحُها لحظُها الماضي وأسلحتي
كان الشبابُ شفيعي في نضارته
ماذا إذا لمحتني اليومَ في كِبَرِي
طويتُ من صَفَحَاتِ الدهرِ أكثرَها
إني كتابٌ إلى الأجيالِ تَقْرؤُهُ

وللصبايةِ مَيدَانٌ ومَيدَانٌ^{١٤}
له إلى الإلفِ تغريدٌ وتَحْنانٌ^{١٥}
لكنَّه بسوى الأمواهِ هيمنانٌ^{١٦}
كلُّ الأحبةِ في لُبْنانٍ جيران
بكلِّ ما قاله في دنياه سَحبانٌ^{١٧}
وكم لها في الهوى شَرْحٌ وتبيان
وخيرٌ ما يحفظُ الأسرارَ كتمانٌ^{١٨}
العينُ غاضبةٌ، والقلبُ جَذْلانٌ^{١٩}
كما توارى وراءَ الشكِّ إيمانٌ^{٢٠}
فكلُّما اشتدَّ غُنفًا فهو إزعانٌ^{٢١}
بها النفورُ رُضًا، والحقُّ نُكْرانٌ^{٢٢}
كما ترنمُ بالأسحارِ رُعيان
لا النَّاي نايٌ، ولا العيدانُ عيدان
وللوجودِ كما للناسِ آذان
ولهي يجاذبُها الأشواقُ ولهان
يضمُّها شاعرٌ للعِيدِ صَدَيانٌ^{٢٣}
والشعرُ سحرٌ له بحرٌ وأوزانٌ^{٢٤}
والشعرُ للخفراتِ البيضِ فتانٌ^{٢٥}
فَنٌ يجرُّده للغزوِ فَنانٌ^{٢٦}
الزهرُ مؤتلقٌ، والعودُ فينانٌ^{٢٧}
وملءُ بُردَيَّ أسقامٌ وأشجانٌ؟^{٢٨}
وعرَّقَتني تصاريِفٌ وُجْدانٌ^{٢٩}
له التغني بمجدِ العُربِ عُنوان

* * *

مَجْدٌ على الدهرِ مذ كانت أوائلُهُ ودولةٌ لبني الفُصحى وسُلطانُ

صَوَارِمُ رِيَعَتِ الدُّنْيَا لَوَثِبَتْهَا
النَّاسُ عَنْدَهُمْ أَبْنَاءُ وَاحِدَةٍ
تَرَكَضُوا فَوْقَ خَيْلٍ مِنْ عَزَائِمِهِمْ
وَكَلَّمَا هَدَمُوا لِلشَّرِكِ بَاذِخَةً
فِي السَّلَمِ إِنْ حَكَمُوا كَانُوا مَلَائِكَةً
أَقْلَامُهُمْ سَايَرَتْ أَسْيَافَ صَوْلَتِهِمْ
فَأَيْنَ مِنْ شَرِعِهِمْ رُومًا وَمَا تَرَكَتْ؟
كَانُوا أَسَاتِذَةَ الْآفَاقِ كَمْ نَهَلَتْ
كَانُوا يَدًا ضَمَّتْ الدُّنْيَا أَصَابِعُهَا
وَحُطِّمَتْ صَوْلَجَانَاتُ وَتِيجَانِ^{٣٠}
فَلَيْسَ فِي الْأَرْضِ سَادَاتُ وَعُبدَانِ^{٣١}
لَهُمْ مِنَ الْحَقِّ أَسْيَافُ وَخُرُصَانِ^{٣٢}
أَقِيمِ لِلدِّينِ وَالْقِسْطِ بُنْيَانِ^{٣٣}
وَفِي لَظَى الْحَرْبِ تَحْتَ النَّقْعِ جِنَانِ^{٣٤}
لِلسَّيْفِ فَتْحٌ، وَلِلْأَقْلَامِ عِرْفَانِ^{٣٥}
وَأَيْنَ مِنْ عِلْمِهِمْ فُرْسٌ وَيُونَانِ؟^{٣٦}
مَنْ فِيضُهُمْ أُمٌّ ظَمَأَى وَبُلْدَانِ^{٣٧}
فَفَرَّقَتْهَا حَزَازَاتُ وَأَضْغَانِ

تَنْمَرَ الْغَرْبُ وَاحْمَرَّتْ مَخَالِبُهُ
ثَارَاتُ طَارِقِ الْأُولَى تُورِّقُهُمْ
تَيْقِظُ اللَّيْثُ لَيْثُ الشَّرْقِ مُحْتَدِمًا
غَضَبَانِ رَدًّا إِلَى الْيَافُوقِ عُفْرَتَهُ
لَقَدْ حَمَيْنَا أَبَاةَ الضِّمَمِ حَوَزَتَنَا
وَأَرْهَفَتْ نَابَهَا لِلْفَتكِ ذُوبَانِ^{٣٨}
وَمَا لِمَا تَتْرَكُ الثَّارَاتُ نَسِيَانِ^{٣٩}
فَارْتَجَّ مِنْهُ الشَّرَى وَاهْتَزَّ خَفَّانِ^{٤٠}
وَمَنْ يَصَاوُلُ لَيْثًا وَهُوَ غَضَبَانِ؟^{٤١}
مَنْ أَنْ تُبَاحَ، وَدِنَاهُمْ كَمَا دَانُوا^{٤٢}

بَنِي الْعَرُوبَةِ إِنَّ اللَّهَ يَجْمَعُنَا
لَنَا بِهَا وَطَنٌ حَرٌّ نَلُودُ بِهِ
غَدَا الصَّلِيبُ هَلَالًا فِي تَوْحِيدِنَا
وَلَمْ نَبَالِ فُرُوقًا شَتَّتَتْ أُمَمًا
أَوَاصِرُ الدِّمِّ وَالتَّارِيخِ تَجْمَعُنَا
فَلَا يَفَرِّقُنَا فِي الْأَرْضِ إِنْسَانِ
إِذَا تَنَاءَتْ مَسَافَاتُ وَأَوْطَانِ
وَجَمَعَ الْقَوْمَ إِنْجِيلٌ وَقُرْآنِ
عَدْنَانُ غَسَّانُ أَوْ غَسَّانُ عَدْنَانِ^{٤٣}
وَكُلُّنَا فِي رِحَابِ الشَّرْقِ إِخْوَانِ

قَلْبِي وَفِيضُ دُمُوعِي كُلَّمَا خَطَرْتُ
لَقَدْ أَعَادَ بِهَا التَّارِيخُ أَنْدَلُسًا
مِيرَاثُنَا فِي فَتَى حِطِّينَ أَيْنَ مَضَى؟
ذَكَرَى فَلَسْطِينَ خَفَّاقُ وَهْتَانِ
أُخْرَى، وَطَافَ بِهَا لِلشَّرِّ طُوفَانِ
وَهَلْ نَهَايَتُنَا يُتَمُّ وَجِرْمَانِ؟^{٤٤}

رَدُّوا تَرَاثَ أَبِينَا مَا لَكُمْ صِلَّةٌ به، وَلَا لَكُمْ فِي أَمْرِنَا شَانُ
مَصِيبَةُ بَرَمِ الصَّبْرِ الْجَمِيلُ بِهَا وَعَزَّ فِيهَا عَلَى السُّلُوكِ سَلَوَانُ
بَنِي فَلَسْطِينَ كُونُوا أُمَّةً وَيدَا قَدْ يَخْتَفِي فِي ظِلَالِ الْوَرْدِ ثُعْبَانُ
وَكَيْفَ يَأْمَنُ رُعيَانُ وَإِنْ جَهْدُوا إِذَا تَرَدَّى ثِيَابُ الشَّاءِ سِرْحَانُ؟^{٤٥}

* * *

وَمَصْرُ وَالنَّيْلُ مَاذَا الْيَوْمَ خَطْبُهُمَا؟ فَقَدْ سَرَى بِحَدِيثِ النَّيْلِ رُكْبَانُ
كَنَانَةُ اللَّهِ حَصْنُ الشَّرْقِ تَحْرُسُهُ شَيْبُ خِفَافٍ إِلَى الْجَلَى وَشُبَّانُ^{٤٦}
أَبُو عَلَى الْقَسْرِ أَنْ يَرْضُوا مَعَاهِدَةَ بِكُلِّ حَرْفٍ بِهَا قَيْدٌ وَسَجَانُ^{٤٧}
وَكَمْ مَشَوْا لِلْقَاءِ الْمَوْتِ فِي جَذَلٍ وَالْمَوْتُ مِنْكُمْشُ الْأَظْفَارِ خَزْيَانُ^{٤٨}
لِكُلِّ جِسْمٍ شَرَايِينَ يَعِيشُ بِهَا وَمَصْرُ لِلشَّرْقِ وَالْإِسْلَامِ شَرِيَانُ

* * *

بَنِي الْعَرُوبَةِ مَدُّوا لِلْعُلُومِ يَدَا فَلَنْ تُقَامَ بِغَيْرِ الْعِلْمِ أَرْكَانُ
جَمْعَتُمْ لَشَبَابِ الشَّرْقِ مُؤْتَمَرَا بِمِثْلِهِ تَزْدَهِي الْفَصْحَى وَتَزْدَانُ
فَقَرَّبُوا نَهَجَهُمْ فَالرُّوحُ وَاحِدَةٌ وَكُلُّهُمْ فِي مَجَالِ السَّبْقِ أَقْرَانُ
لَا تَبْتَغُوا غَيْرَ إِتْقَانٍ وَتَجْرِبَةٍ فَكَيْفَ النَّاسِ تَجْرِبُ وَإِتْقَانُ
وَحَبَّبُوا لُغَةَ الْعُرْبِ الْفَصَاحَ لَهُمْ فَإِنَّ خِذْلَانَهَا لِلشَّرْقِ خِذْلَانُ
قُولُوا لَهُمْ: إِنَّهَا غُنَوَانُ وَخَدَّتَهُمْ وَإِنَّهُمْ حَوْلَهَا جَنْدٌ وَأَعْوَانُ
وَكَمَّلُوهُمْ بِأَخْلَاقٍ وَمَرْحَمَةٍ فَإِنَّمَا الْمَرْءُ أَخْلَاقٌ وَوُجْدَانُ

هوامش

- (١) مسك: طيب له رائحة ذكية. همس الدوح: حفيف الأشجار الخافت.
- (٢) أرنو: أنظر وسان: نعلان.
- (٣) شرح الصبا: أوله. رجعان: رجوع وعودة.
- (٤) الحباب: هو ما يعلو الكأس من فقاعات.
- (٥) صوحت: جفت.
- (٦) ولت: مضت وزهبت. بشاشتها: فرحتها وابتسامتها. غدران: جمع غدير.

- (٧) مشردة: تائهة. قدود: قوام.
- (٨) البان: غصن الشجرة الطري.
- (٩) شذا: الرائحة الذكية النفاذة. نفحته: رائحته. مجانيه: حصاده.
- (١٠) نبعه: أصله. سرب: جماعة.
- (١١) عثرت: سقطت وكبت. نشوان: فرحان متمايل.
- (١٢) طلعة: رؤية وجهه. أصائل: جمع أصيل وهو الوقت من بعد العصر إلى غروب الشمس. أطياف: أخيلة.
- (١٣) البهماء: المبهمة.
- (١٤) سلقت: مضت. الصبابة: رقة الشوق وحرارته.
- (١٥) رفاف: متحرك مرفرف. فنن: غصن. الألف: الأليف المحبوب.
- (١٦) هيمان: هائم عطشان. كئب: قرب.
- (١٧) سحبان: هو سحبان بن وائل خطيب العرب وضرب به المثل في الفصاحة.
- (١٨) نبعته: أصله.
- (١٩) رنا: نظر بطرف عينه. جذلان: فرحان.
- (٢٠) خفر: شدة الحياء. توارى: استتر واختفى.
- (٢١) إذعان: خضوع.
- (٢٢) أحجية: ألغاز. النفور: البعد والجفاء.
- (٢٣) ريا: بمعنى ناعمة. غلائها: الملابس الشفافة الرقيقة. صديان: عطشان.
- (٢٤) لانت: رقت وأطاعت. معاطفها: جوانبها.
- (٢٥) فتننتها: سحرتها. الخفرات: شديدي الحياء.
- (٢٦) لحظها: النظر بمؤخرة العين. يجرده: يجرد السيف من غمده أي: يخرج.
- (٢٧) فينان: الحسن الطويل.
- (٢٨) بردي: البرد كساء أسود تلبسه العرب.
- (٢٩) عرقتني: بمعنى أجهدتني. تصارييف: نوائب ومكاره. حدثان: أحداث.
- (٣٠) صوارم: قواطع. ريعت: فزعت. صولجانان: جمع صولجان وهو عصاة الملك.
- (٣١) عبيد: عبيد.
- (٣٢) تراكضوا: أسرعوا في العدو. خرصان: الرماح.
- (٣٣) الشرك: الكفر. باذخة: عالية. القسطاس: العدل.

- (٣٤) لظى: نار ملتهبة. النقع: الغبار. جنان: من الجن.
- (٣٥) صولتهم: الشجاعة والإقدام.
- (٣٦) شرعهم: منهجهم وطريقتهم.
- (٣٧) الآفاق: النواحي. نهلت: أخذت وشربت. فيضهم: عطائهم.
- (٣٨) نؤبان: ذئاب.
- (٣٩) طارق: هو طارق بن زياد الفاتح العربي المشهور.
- (٤٠) محتدماً: هائجاً غاضباً. ارتج: اهتز. الشرى: طريق كثير الأسود. خفان: الملك.
- (٤١) اليافوخ: المخ. عفرته: بمعنى لبدة الأسد. يصول: يهاجم.
- (٤٢) أباة الضيم: الذين لا يرضون بالذل والهوان. حوزتنا: بلادنا.
- (٤٣) عدنان: من آباء العرب وأطلق اسمه على العدنانيين نسبة إليه. غسان: أبو العرب الغساسنة ويدينون بالمسيحية.
- (٤٤) فتى حطين: هو القائد العربي الشهير صلاح الدين الأيوبي المنتصر في معركة حطين.
- (٤٥) رعيان: رعاة. تردى: لبس. الشاء: الكثير من الغنم. سرحان: الذئب.
- (٤٦) كنانة الله: المقصود «مصر». شيب: بيض الشعر. خفاف إلى الجلى: يهرعون في خفة وسرعة إلى ميدان القتال.
- (٤٧) أبوا: رفضوا. القسر: الإكراه على الأمر. معاهدة: المقصود معاهدة سنة ١٩٣٦ التي كانت مبرمة بين مصر وإنجلترا.
- (٤٨) جذل: فرح. منكش الأظفار: أظفاره غير طويلة لا يستطيع أن ينشبها في ضحاياه. خزيان: مستح وخجلان.

أفول نجمين

في ١٨ من نوفمبر سنة ١٩٣٣م غادر سرب الطائرات الحربية المصرية إنجلترا قاصداً إلى مصر، وفيما كان السرب طائراً في سماء فرنسا سقطت إحدى طائراته محترقة في بلدة «مونشو سورنج»، واحترق طياراها المرحومان «فؤاد حجاج» و«شهدي دوس»، وبذلك أفل نسران من نسور مصر، وفقدت وهي في مستهل نهضتها شابين من خيرة شبابها جرأةً وشهامةً وإقداماً.

وهكذا أبى القدر إلا أن يكون لمصر ذات التاريخ المجيد أثر جليل خالد في هذا الميدان الفسيح، الذي احتسبت فيه الأمم المتمدينة الألوف من أبنائها؛ لتسخير الريح وتدليل الهواء في سبيل العز والمنعة والحضارة والفخر.

وفي هذه القصيدة يصور الشاعر هذا الحادث الجلل، ويصف وقعه وآثاره:

جَمَعَ الشُّجُونُ وَبَدَدَ الْأَحْلَامَا	خَطَبُ أَنَاخَ بَكْلُكِلٍ وَأَقَامَا ^١
أَخْلَى الْكِنَانَةَ مِنْ أَمْرِ سَهَامِهَا	عُودًا، وَرَاعَ النِّيلَ وَالْأَهْرَامَا ^٢
وَعَدَا عَلَى رَوْضِ الشَّبَابِ وَظَلَّهُ	فَعَدَا بِهِ رَوْضُ الشَّبَابِ حُطَامَا
غُضْنَانِ، هَزَّهُمَا الصَّبَا فِتْمَايَلَا	وَسَقَاهُمَا الْأَمْلُ الرَّوِّيَّ جِمَامَا ^٣
نَجْمَانِ، غَالَهُمَا الزَّمَانُ فَأَصْبَحَا	بَعْدَ التَّأَلُّقِ وَالسُّطُوعِ رُكَامَا ^٤
نَسْرَانِ، لَوْ رَضِيَ الْقَضَاءُ لَحَلَّقَا	دَهْرًا، عَلَى أَفْقِ الدِّيَارِ وَحَامَا

ابْكِ الشَّبَابَ الْغَضَّ فِي رَيْعَانِهِ وَأَفْضُ عَلَيْهِ مِنَ الدُّمُوعِ سِجَامَا^٥

وَأَنْتُمْ أَزَاهِيرًا عَلَى الزَّهْرِ الَّذِي
وَابْعَثْ أَنْيْنَكَ لِلْسَحَابِ شِكَايَةً
لَهْفِي عَلَى أَمَلٍ مَضَى فِي لَمَحَةٍ
لَمْ نَشْكُرِ الْأَيَّامَ عِنْدَ بَرِّيْقِهِ
كَانَتْ لَهُ كُلُّ الْقُلُوبِ كِمَامًا^٦
فَالِإِمَّ تَحْتَبِسُ الْأَيْنَ إِلَامًا؟
لَوْ دَامَ فِي الدُّنْيَا السُّرُورُ لَدَامَا!
حَتَّى أَخَذْنَا نَشْتَكِي الْأَيَّامَا
حَتَّى رَأَتْ ذَاكَ الشَّعَاعَ ظَلَامَا

* * *

حَجَاجُ! لَاقَيْتَ الْيَقِينَ مُكَافِحًا
رَكَبَا الْهَوَاءَ، وَكُلُّ نَفْسٍ لَوْ دَرَتْ
وَالْمَوْتُ يَلْقَى الْأُسْدَ فِي عَرِّيْسَهَا
لَا الدَّرْعُ تَصْبِحُ حِينَ تَبْطِشُ كَفَّهُ
رَكَبْنَا جَمُوحَ الْجَوِّ يَلُوي رَأْسَهُ
فِي عَاصِفَاتٍ لَمْ تَزْعَزِعْ مِنْهُمَا
وَالْجَوُّ أَكْلَفُ، وَالسَّمَاءُ مَرِيضَةٌ
وَالْمَوْتُ يَخْفِقُ فِي جَنَاحِي جَارِحٍ
بَسَمًا إِلَى الْخُطْبِ الْعَبُوسِ، وَإِنَّمَا
لَهْفِي عَلَى الْبَطْلَيْنِ غَالَهُمَا الرَّدَى
وَالْمَوْتُ تَحْتَهُمَا يَصُولُ مُخَاتِلًا
تَبَّتَا لِحُكْمِ اللَّهِ — جَلَّ جَلَالُهُ —
وَالسَّيْفُ أَكْثَرُ مَا يَلَاقِي حَتْفَهُ
قَدْ يُنْسَى الْمَوْتُ النِّمَالَ بِجُحْرِهَا
يَا هَوْلَهَا مِنْ لَحْظَةٍ لَا نَارُهَا
هَلْ أَخْطَرَا فِيهَا عَلَى بَالِيْهُمَا
وَالْمَوْطِنَ الصَّدْيَانِ يَرْقُبُ عَوْدَةً
أَتَقَاسَمَا فِيهَا الْوَدَاعَ بِلَفْظَةٍ
هَلْ فَكَّرَا فِي الْأُمِّ تَنْدُبَ حَظُّهَا
إِنَّ السَّلَامَةَ قَدْ تَكُونُ مَذَلَّةً
وَالْمَرْءُ يَلْقَى بِاخْتِيَارٍ كُلِّيْهُمَا

بَطْلًا، وَيَا شَهِيدِي! قَضَيْتَ هُمَامَا
غَرَضُ تَنَازَعُهُ الْمَنُونُ سِهَامَا
وَيَغُولُ حَوْلَ كِنَاسِهَا الْأَرَامَا^٧
بِرْعَا، وَلَا السَّيْفُ الْحُسَامُ حُسَامَا
كِبْرًا، وَيَأْنِفُ أَنْ يُنِيلَ زَمَامَا
عَزَمًا كَحَدِّ السَّيْفِ أَوْ إِقْدَامَا
وَاللَّيْلُ دَاجٍ، وَالْخُطُوبُ تَرَامَى^٨
مَلَأَ الْفَضَاءَ شَرَاسَةً وَعُرَامَا^٩
يَلْقَى الْكَمِيَّ قَضَاءَهُ بَسَامَا^{١٠}
لَمْ يَمْلِكَا دَفْعًا وَلَا إِحْجَامَا^{١١}
وَالْمَوْتُ فَوْقَهُمَا يَحُومُ زُؤَامَا^{١٢}
وَالْخُطْبُ يَلْقَاهُ الْكِرَامُ كِرَامَا
يَوْمَ الْكَرِيْهَةِ صَارِمًا صَمْصَامَا^{١٣}
وَيَغُولُ فِي آجَامِهِ الضَّرْغَامَا^{١٤}
بَرْدٌ، وَلَا كَانَ اللَّهِيْبُ سَلَامَا
النَّيْلُ وَالْآبَاءُ وَالْأَعْمَامَا؟
وَيْلَاهُ! قَدْ عَادَا إِلَيْهِ رَمَامَا^{١٥}
أَمْ لَمْ تَدْعُ لَهُمَا الْمَنُونُ كَلَامَا
وَالزَّوْجُ تُسَكِّتُ وَالْهَيْنَ يَتَامَى^{١٦}
وَيَكُونُ إِقْدَامُ الْجَرِيءِ جِمَامَا^{١٧}
حَمْدًا يُحَلِّقُ بِأَسْمِهِ أَوْ ذَامَا^{١٨}

وَالْمَجْدُ يَعْتَدُ الْحَيَاةَ قَصِيرَةً وَيَرَى فَنَاءَ الْخَالِدِينَ دَوَامًا!^{١٩}

هوامش

- (١) أناخ: برك. والكلكل: الصدر. أقام: استمر.
- (٢) الكنانة: جعبة تجمع فيها السهام.
- (٣) الروى: البالغ غاية الري. الجمام: جمع جم (بالفتح) وهو معظم الماء والكثير منه.
- (٤) غالهما: أهلكهما. التألّق: اللمعان والإضاءة. السطوع: الانتشار. وأصبحا ركامًا، أي: قطعًا متراكمة بعضها فوق بعض.
- (٥) سجامًا: كثيرًا.
- (٦) الكمام: جمع كم (بالكسر) وهو وعاء الطلع وغطاء النور.
- (٧) العرّيس: مأوى الأسد. يغولها: يأخذها من حيث لا تدري ويهلكها. الكناس: بيت الظبي في الشجر يستتر فيه. سمي كذلك؛ لأنه يكنس الرمل حتى يصل إليه. الآرام: الظباء الخالصة البياض، الواحد رئم.
- (٨) أكلف: مغبر مدلهم. مريضة. أي: غير صاحبة ولا صافية. الليل داج: أي قد غامت سماؤه وخفيت نجومه. ترامى: تترامى.
- (٩) الجارح: المفترس من الطير. الشراسة: الشدة والأذى. العرام: الحدة والشدة.
- (١٠) العبوس: المقطب. الخطب إذا اشتد وصف بالعبوس. الكمي: الشجاع.
- (١١) الردى: الهلاك. إحجامًا أي: رجوعًا وانصرافًا. غالهما: ذهب بهما.
- (١٢) يصول: يثب ويعدو. المخاتلة: الخداع عن غفلة. يحوم: يحلق مطيףًا بهما. الزؤام من الموت: الكريه المجهز.
- (١٣) الكريهة: الحرب وشدتها. الصارم الصمصام: السيف القاطع الصلب.
- (١٤) ينسى: يهمل ويؤجل. يغول: يهلك. الآجام: الشجر الكثيف المتلف، الواحدة: أجمة. يتخذها الأسد مأوى له. الضرغام: الأسد.
- (١٥) الصديان، أي: المتعطش لهما. الرمام: جمع رمة، وهي ما تفتت من العظام. يريد رفاتها.
- (١٦) تندب حظها: تبكيه. والاهين، أي: أطفالًا روعهم الحزن ففرغوا إلى أمهم.

(١٧) الحمام: الموت.

(١٨) كليهما، أي: السلامة والإقدام. ويخلق باسمه، أي: يرفع ويذيع شهرته، مأخوذ

من تحليق الطائر وهو ارتفاعه في طيرانه. الذاام: العيب.

(١٩) يعتد: يعد. الخالدون: أي ذوو الأعمال الخالدة.

من شاعرٍ إلى شاعرٍ

حينما توافد أدباء الأقطار العربية لتكريم المرحوم أحمد شوقي بك في سنة ١٩٢٧م، وتوليته إمارة الشعر حيّا الشاعر صديقه بهذه القصيدة:

وَقَفْتَ تُجَدِّدُ آثَارَهَا	وَتُنَشِّرُ لِلْعُرْبِ أَشْعَارَهَا ^١
وَتَرْجِعُ بَغْدَادَ بَعْدَ الْفَنَاءِ	تُحَدِّثُ لِلنَّاسِ أَخْبَارَهَا ^٢
وَتُبْعَثُ حَسَانَ مِنْ رَمْسِهِ	وَتُحْيِي عُكَاطَ وَسْمَارَهَا ^٣
بِشِعْرِ لَهُ نَبْرَاتٌ تَهْزُ	نِيَاطَ الْقُلُوبِ وَأَوْتَارَهَا ^٤
أَطَاعَتْ قَوَافِيهِ بَعْدَ الشَّمْسِ	جَرِيءَ الْقَرِيحَةِ جَبَّارَهَا ^٥
وَنَظْمَ لَهُ نَفَحَاتُ الرِّيَاضِ	إِذَا نَقَطَ الطُّلُّ أَزْهَارَهَا ^٦
فَمِنْ حِكْمَةٍ عَلَّمَتْهَا السَّنُونَ	جَوَارَ النُّفُوسِ وَإِسْرَارَهَا
لَهَا صَفْحَةُ الْكَوْنِ مَنشُورَةٌ	يُتَرَجَّمُ بِالشَّعْرِ أَشْطَارَهَا ^٧

وَتَشْبِيهِ لَاهِ لَعُوبِ الشَّبَابِ	يُنَاجِي السَّمَاءَ وَأَقْمَارَهَا ^٨
تَرَاهِ وَظِلُّ الصَّبَا وَارْفُ	جَمُوحِ الْعَرِيكِه مَوَارَهَا ^٩
يُغْنِي كَمَا صَدَحَتْ أَيْكَةُ	وَقَدْ نَبَّهَ الصَّبْحُ أَطْيَارَهَا ^{١٠}
وَيُبْكِي فَيُبْكِي رُسُومَ الدِّيَارِ	، حَنَانًا عَلَيْهِ، وَآثَارَهَا ^{١١}
وَيَنْسَبُ حَتَّى يَلِينَ الْهَوَى	وَتَقْضِي الصَّبَابَةَ أَوْطَارَهَا ^{١٢}
وَتَنْسَى الْكَوَاعِبُ آيَ الْحِجَابِ	وَتَبْكِي الْعَجَائِزُ أَعْمَارَهَا ^{١٣}

* * *

وَتَصَوِّرِ طَبَّ صِنَاعِ الْيَدَيْنِ	حَبَّتْهُ الطَّبِيعَةُ أَسْرَارَهَا ^{١٤}
كَأَنَّ (رُفَائِيلَ) فِي كَفِّهِ	يُعِيدُ الْفُنُونَ وَأَعْصَارَهَا ^{١٥}
يُرِيكَ إِذَا خَطَّ فِي طَرْسِهِ	حَيَاةَ الْقُرُونِ وَأَذْوَارَهَا ^{١٦}
وَيَرْسُمُ (أَنْدَلُسًا) بِالْيَرَاعِ	فَتَلِمَسُ كَفُّكَ أَسْوَارَهَا ^{١٧}
وإن وَصَفَ الْحَرْبَ خِلْتُ الْحَرَابَ	تَسُدُّ مِنَ الْأَرْضِ أَقْطَارَهَا
فَتُمْسِكُ جَنْبَكَ دُعْرًا تَخَافُ	قَنَاها وَتَرْهَبُ بَتَّارَهَا
أَشَوْقِي وَأَنْتَ طَبِيبُ النُّفُوسِ	وَضَعْتَ عَنِ النَّفْسِ أَصَارَهَا ^{١٨}

* * *

نَصَرْتَ الْفَضِيلَةَ، مِنْ بَعْدِ أَنْ	طَوَّاهَا الزَّمَانُ، وَأَنْصَارَهَا
وَجِئْتَ لِمَصْرَ كَعِيسَى الْمَسِيحِ	تُقَتِّحُ لِلنُّورِ أَبْصَارَهَا ^{١٩}
بِأَيِّ تَفْصَلُهَا مُحْكَمَاتِ	كَأَنَّ مِنَ الْوَحْيِ أَفْكَارَهَا
تَرْدُّ الشَّيْبَةِ لِلصَّالِحَاتِ	وَتَرْجِعُ لِلَّذِينَ هَتَّارَهَا ^{٢٠}
جَزَيْتُ بِشَعْرِكَ شَعْرًا وَهَلْ	تُجَازِي الْخَمَائِلُ أَمْطَارَهَا؟ ^{٢١}
فَكُنْتُ شَرِيفَ قَوَافِي الْبَيَانِ	وَكُنْتُ بِفَضْلِكَ مِهْيَارَهَا ^{٢٢}
فَغَرَّدَ كَمَا شِئْتُ لَا فُضَّ فُوكَ	وَعِشَ بَطْلَ الضَّادِ مِغْوَارَهَا

هوامش

(١) آثارها: أي آثار اللغة العربية، تنشر: تبعث بعد الموت.

(٢) بغداد: عاصمة العراق وهي تقع على نهر دجلة أنشأها أبو جعفر المنصور، وجعلها مقر ملكه. وكانت مهد الحضارة العربية وأزهى مدن العالم في العصر العباسي لغةً وعلماً.

(٣) حسان: هو ابن ثابت الأنصاري الخزرجي الصحابي، شاعر النبي ﷺ أدرك الجاهلية والإسلام، وتوفي سنة ٤٠هـ. الرمس: القبر. عكاظ (يؤنث ويذكر، فالتأنيث لغة الحجاز والتذكير لغة تميم): سوق للعرب بين نخلة والطائف كانت تقوم هلال

ذي القعدة وتستمر عشرين يوماً، وقيل: شهراً، تجتمع فيها قبائل العرب فيتناشدون ويتفاخرون. السمار: المتسامرون.

(٤) نبراته: رنين إنشاده وجرس توقيعه. نياط القلب: عرق غليظ نيط به القلب، أي: علق، إلى الوتين.

(٥) القوافي: جمع قافية بمعنى القصيدة. الشماس: التأبي والامتناع. قريحة الشاعر: ملكته التي يقتدر بها على نظم الشعر.

(٦) نفحات الرياض: ما ينتشر عنها ويفوح من رائحة عطرة. الطل: المطر الضعيف أو الندى.

(٧) منشورة: مبسوبة غير مطوية.

(٨) التشبيب: وصف الشاعر محاسن المرأة وتعدد مناحي الجمال فيها. لعبوب الشباب: مرح به مدل. المناجاة: المسارة.

(٩) الوارف: الواسع الممتد. وجعله للصبا ظلًا وارفاً، كناية عن اكتمال قوته؛ لأن الشجرة إذا تم نموها امتدت فروعها واتسع ظلها. جموح العريكة: أي له نفس قوية وطبيعة غالبية. الجموح: من صفات الخيل، وهو الذي يركب رأسه لا يثنيه شيء. المواري: فعال من المور. وهو مبالغ في الثورة والاضطراب.

(١٠) الصدح: رفع الصوت بالغناء. الأيكة: الحديقة ذات الأشجار الكثيرة الملتفة.

(١١) رسوم الديار: آثارها التي تبقى على الأرض دالة عليها.

(١٢) النسيب: التشبيب بالمرأة في الشعر وذكر محاسنها. الصبابة: حرارة الشوق والهوى. الأوطار: جمع وطر (بالتحريك) وهو كالحاجة.

(١٣) الكواعب: جمع كاعب، وهي الجارية نهد ثديها.

(١٤) الطب (بالفتح): الماهر في عمله. صناع اليدين: يحذق الصنعة بهما. حبته: منحته وخلعت عليه.

(١٥) رفائيل: مصور إيطالي مبدع ولد في ٦ أبريل سنة ١٤٨٣م، وتوفي في ٦ أبريل ١٥٢٠م. الأعصار: الأزمنة، الواحد، عصر (بالفتح).

(١٦) الطرس: الصحيفة يكتب فيها.

(١٧) اليراع: القلم.

(١٨) الأصار: جمع إصر، وهو ما تثن تحته النفس من أثقال وأعباء.

(١٩) يشير إلى معجزة عيسى — عليه السلام — في إبراء الأكمه.

(٢٠) يريد بالهتار: الذي غلبه الشيطان على عقله فمرق من الدين واستخف بتعاليمه.

(٢١) الخمائل: المواضع الكثيرة الشجر، الواحدة خميلة.

(٢٢) مهيار: هو الأديب الشاعر أبو الحسن مهيار بن مرزويه الفارسي الديلمي، المعروف بجودة الصياغة وقوة الشعر، وقد كانت وفاته ليلة الأحد لخمس خلون من شهر جمادى الآخرة سنة ٤٢٨هـ.

تَحِيَّةُ الْإِيَّابِ

استقبل الشاعر الملك فؤاد عند عودته من أوروبا في نوفمبر سنة ١٩٢٧ م.

ذَاكَ لِأَلَاؤُهُ وَهَذَا رُؤَاؤُهُ وَالضَّيَاءُ الَّذِي تَرَوْنَ ضِيَاؤُهُ^١
وَبَهَاءُ الرِّيَاضِ كَلَّلَهَا الْغَيْبُ سَتْ فَتَاهَتْ بِنُورِهَا بَهَاؤُهُ^٢
وَالنَّسِيمُ الَّذِي جَرَى طَيِّبَ النَّشْءِ رِ جَرَى ذِكْرُهُ بِهِ وَتَنَاؤُهُ^٣
ذَاكَ وَجْهُ الْمَلِكِ، وَجْهُ أَبِي الْفَا رُوقِ هَذَا سَنَاهُ هَذَا سَنَاؤُهُ^٤

* * *

ظَهَرَ الرِّكْبُ وَالْقُلُوبُ حَوَالِيهِ هِ تَرْجِيهِ وَالنَّفُوسُ فِدَاؤُهُ
تَجْتَلِيهِ الْعُيُونُ مُسْتَبْشِرَاتٍ وَبَرِيقُ السُّرُورِ فِيهَا وَمَاؤُهُ^٥
وَهَتَافُ الْإِخْلَاصِ يَخْتَرِقُ الْجَوَ وَفَتْمَلِيهِ وَاضِحًا أَصْدَاؤُهُ^٦
وَدَّتِ النَّيِّرَاتُ لَوْ هَبَطَتْ فِيهِ هِ فَرَادِ اَزْدِهَاءُ هُنَّ اَزْدِهَاءُؤُهُ^٧
مَوْكِبٌ لَمْ يَنْلُهُ رَمْسِيْسُ ذُو التَّاءِ جَيْنَ فِي عَصْرِهِ وَلَا خُلْفَاؤُهُ^٨
حَكَمُوا شَعْبَهُمْ وَلَمْ يَمْلِكُوهُ مَقُودُ الشَّعْبِ حُبُّهُ وَوَلَاؤُهُ^٩

* * *

عَادَ لِلْقَطْرِ رَبُّهُ مَثَلَمَا عَا دَ إِلَى الْمَدَنَةِ الْعَلِيلِ شَفَاؤُهُ^{١٠}
وَبَدَا كَالصَّبَاحِ فَانْهَزَمَ اللَّيْلُ لُ وَوَلَّتْ مَذْعُورَةً ظُلُمَاؤُهُ
مَلِكٌ شَادَ لِلْكَنَانَةِ مَجْدًا أَحْكَمَتْ وَضَعَ أَسْهُ أَبَاؤُهُ
كُلُّهُمْ كَانَ لِلْمَحَامِدِ بَنًا ءَ أَبِيًّا عَلَى الزَّمَانِ بِنَاؤُهُ

هَمَّةٌ تَفَرَّعُ السَّمَاءَ وَعَزَمَ
وَنَفَازُ فِي الْمُعْضَلَاتِ بَرَأِي
وَمَحْيَا فِيهِ مِنَ اللَّهِ سِرٌّ
صَفْحَةً خَطَّهَا إِلَهُ فَفِيهَا
لَيْسَ لِلسَّيْفِ حَدُّهُ وَمَضَاؤُهُ^{١١}
ثَاقِبٌ يَكْشِفُ الْغُيُوبَ ذِكَاؤُهُ
كَأَدَ يُعْشِيهِ نُورُهُ وَحَيَاؤُهُ
أَلْفُ النُّبْلِ — لَوْ قَرَأَتْ — وَيَاؤُهُ^{١٢}

بَهَرَ الْغَرْبَ طَلَعَةُ مِنْكَ كَادَتْ
لَمْحُوا عِزَّةً وَشَامُوا بِكَفِّهِ
وَبَدَا لِلْعُيُونِ وَالذِّكِّ الْمَسِّ
فِيكَ مِنْهُ الْجَبِينُ وَالْخُلُقُ الرَّحِّ
لُحْتَ فِيهِمْ فَأَذْرَكُوا صَوْلَةَ الشَّرِّ
وَرَأَوْا فِي الْجَلَالِ «تَوَنَّنْخُمُونَا»
أَيْنَمَا سَارَ فَالْعُيُونُ نِطَاقُ
تَتَمَشَّى فِي رُكْبِهِ الشَّمْسُ إِكْبَا
أَنْتَ أَعْلَى كَعْبًا وَأَبْقَى عَلَى الدَّهْرِ
لَوْ وَزَنَّا بِمَا أَقَمْتَ مِنَ الدُّسْرِ
عَجَزَ الدَّهْرُ أَنْ يُحِيطَ بِمَعْنَا
إِنَّ مَنْ رَامَ لِلْكَوَكِبِ عَدًّا
تَتَمَشَّى شَوْقًا لَهَا أَرْجَاؤُهُ
كَ غَمَامًا هَتَانَةً أَنْدَاؤُهُ^{١٣}
مَاحُ تُخَيِّهِ ثَانِيًا أَبْنَاؤُهُ
بُ وَبُعْدَ الْمَدَى وَفِيكَ إِبَاؤُهُ
قِ وَمَرَّتْ بِذِكْرِهِمْ أَنْبِيَاؤُهُ
صَاعِدًا جَدُّهُ زَفِيْعًا لَوَاؤُهُ^{١٤}
وَقُلُوبُ الْمُجَاهِدِينَ وَقَاؤُهُ
رَا وَيَنْشَقُّ عَنْ سَنَاها رِدَاؤُهُ^{١٥}
سِرِّ وَإِنْ زَا حَمَ الْخُلُودِ بَقَاؤُهُ^{١٦}
تَوْرَ آلَاءِهِ اخْتَفَتْ الْآؤُهُ^{١٧}
كَ وَالْقَتَّ قِيَادَهَا شَعْرَاؤُهُ^{١٨}
يَتَسَاوَى ابْتِدَاؤُهُ وَانْتِهَاؤُهُ^{١٩}

هوامش

- (١) اللألاء: السنا والضياء. الرواء: الحسن والبهاء.
- (٢) بهاء الرياض: ما تظهر فيه من نضرة وازدهار. كلها الغيث: جعلها تظهر مغطاة بالزهر والثمر. تاهت: ظهرت بمظهر المدل المعجب بحسنه وجماله.
- (٣) النشر: ما ينتشر عن الطيب من ريح يعبق به الجو ويطيب الهواء.
- (٤) السنا (بالقصر): الإشراق والتلألؤ. (وبالمد): الشرف والرفعة.
- (٥) تجتليه: تتطلع إليه وتنتظر. مستبشرات: فرحات. ماء السرور: ما يفيض به الوجه من لألاء وضياء.

نَحِيَّةُ الْإِيَاب

- (٦) الأصداء: ما يعود على المصوت بمثل صوته. وضوح الأصداء: دليل على قوة الهتاف وشدته.
- (٧) الازدهاء: ما تتيه به وتزدهي من آيات الحسن.
- (٨) رمسيس: من ملوك مصر الأقدمين، ويريد بالتاجين: تاج الوجه القبلي وتاج الوجه البحري.
- (٩) المقود: ما تقود به.
- (١٠) ربه: مالك أمره. المدنف: الذي أضناه المرض وثقل عليه فكاد يذهب به.
- (١١) تفرع السماء: تزيد عليها علوًا وارتفاعًا. مضأؤه: نفاذه في الأمور وقطعه لها.
- (١٢) النبل: الشرف والرفعة. ويريد بالألف والياء: أنه جمع جميع خلال النبل لم يفته منها شيء.
- (١٣) لمحوًا: رأوا. شاموا: نظروا. الهتانة: التي تمطر في كثرة وتتابع. الأنداء: جمع ندى، وهو ماء السحاب.
- (١٤) توتنخمون: هو توت عنخ آمون، أحد ملوك مصر الأقدمين، وكان عصره من أزهى عصور مصر رخاء ورفاهية. الجد: الخط. اللواء: العلم.
- (١٥) السنا: اللألاء والضياء.
- (١٦) أعلى كعبًا، أي: أشرف منزلة وأعز مكانًا.
- (١٧) آلاؤه: أياديه ونعمه على أمته.
- (١٨) أن يحيط بمعناك: أن يلم بما اتصفت به من خلاك الحميدة.
- (١٩) رام: قصد وأراد.

العيد الميوي لوزارة المعارف

احتفلت وزارة المعارف المصرية في اليوم الثلاثين من شهر مارس سنة ١٩٣٧م بعيدها الميوي، وقد أنشدت هذه القصيدة في هذا اليوم بدار الأوبرا في حشد حافل جمع عظماء مصر وكبار علمائها وأدبائها.

أَخْرَجَ الرَّوْضُ أَطْيَبَ الثَّمَرَاتِ
زَهَرَاتُ تَتِيهِ بِالْغُصْنِ زَهْوًا
صَيَّرَتْ صَفْحَةَ الرِّيَاضِ سَمَاءً
لَمْ تُفَارِقْ كِمَامَهَا، وَشَدَاهَا
تَرْهَبُ الرِّيحُ أَنْ تَخَذَّ لَهَا خُدَّ
مُصْغِيَاتُ إِذِ الْحَمَائِمُ رَنَّتْ
ضاحِكَاتُ إِذَا بَكَى عَابِسُ الْغَيْبِ
وَإِذَا مَا جَرَى الْغَدِيرُ تَدَانَتْ
إِنَّ لِلرَّوْضِ فِي مَعَانِيهِ حُسْنًا
كَمْ مِنَ الزَّهْرِ فِيهِ مِنْ سِحْرِ عَيْنٍ
فَانْظُرِ الرَّوْضَ لَا تَرَى غَيْرَ تَبَرٍّ
حَبَّةٌ أَنْبَتَتْ سَنَايِلَ سَبْعًا
وَنَوَاةٌ جَادَتْ بِنَخْلٍ وَنَخْلٍ
يُرْسِلُ الطَّيْرُ فِي مَدَاهِ نَشِيدًا
يَمْلِكُ النَّفْسَ أَيْنَمَا نَظَرَتْهُ
هَاتِ مَا شِئْتَ مِنْ قَرِيضِكَ هَاتِ
وُغْصُونُ تَتِيهِ بِالزَّهَرَاتِ
وَتَجَنَّتْ فِيهَا عَلَى النَّيِّرَاتِ^١
يَنْشُرُ الطَّيْبُ فِي جَمِيعِ الْجِهَاتِ^٢
دَا فَتَجْرِي فِي حَشْيَةٍ وَأَنَاةٍ^٣
بَيْنَ تِلْكَ الْخُمَائِلِ النَّضْرَاتِ
بِثِّ وَفَاضَتْ عَيْنَاهُ بِالْعِبْرَاتِ
لِتُحْيِيَ الْغَدِيرَ بِالقُبْلَاتِ
فَوْقَ حُسْنِ الْمَلَامِحِ الْفَاتِنَاتِ
وَمِنَ النَّبْتِ فِيهِ مِنْ قَسَمَاتِ!^٤
مِنْ تُرَابٍ وَدُرَّةٍ مِنْ حَصَاةٍ^٥
ثُمَّ مِلءَ الْفَضَاءَ مِنْ سُنْبُلَاتِ^٦
وَأَرِفِ الظِّلَّ دَائِمَ الثَّمَرَاتِ
مَوْصِلِي الْأَدَاءِ وَالنَّبَرَاتِ^٧
فَهُوَ قَيْدُ النُّفُوسِ وَالنَّظَرَاتِ

كَمْ تَهَادَىٰ مَعَ النَّسِيمِ اخْتِيَالًا
تَتَنَاءَىٰ بِهِ الظُّلَالُ لِجَمْعِ
مِثْلُ كَفِّ الرِّسَامِ جَاءَتْ وَرَاحَتْ
أَوْ كَوَّجِهِ الْحَسَنَاءِ يَبْدُو وَيَخْفَىٰ
كَلَّمَا رُمْتَ مِنْهُ قُطْفَ جَنَازَةٍ
وَإِذَا بَارَكَ الْإِلَهِ بِأَرْضِ
وَحَبَاهَا خِصْبًا إِذَا مَسَّ صَحْرًا
كَالْعَذَارَىٰ يَمْسُنَ فِي الْحَبَرَاتِ^٨
ثُمَّ تَدْنُو مُدْلَةً لِشَتَاتِ^٩
بَيْنَ قَرطَاسِهِ وَبَيْنَ الدَّوَاةِ^{١٠}
بَيْنَ مِثْلِ الْهَوَىٰ وَخَوْفِ الْوُشَاةِ^{١١}
سَبَقَتْ رَاحَتِكَ أَلْفَ جَنَازَةٍ^{١٢}
جَعَلَ التُّبْرَ فِي مَكَانِ النَّبَاتِ
تَرَكَ الصَّخْرَ جَنَّةَ الْجَنَّاتِ

رُبَّ أَرْضٍ لِلْغَافِلِينَ مَوَاتٌ
إِنْ تَطَلَّعْتَ لِلرَّغَائِبِ فَايْذُلُ
لَكَ كَفَّانٌ، تِلْكَ تُعْطِي وَهَذِي
تَرْتَجِي الْحَصْدَ ثُمَّ تَقْعُدُ فِي الشَّمْسِ
ضِلَّةٌ تَطْلُبُ الزُّلَالَ مِنَ النَّارِ
لَيْسَ يَجْنِي مِنَ السُّبَاتِ سِوَى الْأَحَدِ
وَهِيَ لِلْعَامِلِينَ غَيْرُ مَوَاتٍ
تِلْكَ فِي الدَّهْرِ سُنَّةُ الْكَائِنَاتِ
تَتَلَقَّى مَثُوبَةَ الْحَسَنَاتِ
سِ، لَكَ اللَّهُ يَا أَخَا التُّرْهَاتِ!^{١٣}
رِ وَتَبْغِي غَضَارَةً مِنْ فَلَاةِ^{١٤}
لَامٍ فَاَنْهَضُ، وَقِيَتْ شَرَّ السُّبَاتِ

قَدْ غَرَسْنَاهُ رَوْضَ عِلْمٍ فَأَزْرَى
وَبَذَرْنَا بِهِ الْقُلُوبَ صِغَارًا
وَسَقَيْنَا ثَرَاهُ مَاءً مِنَ الْأَذَى
وَعَذُونَاهُ طَيِّبًا بِجُهودِ
وَحَمِينَاهُ أَنْ تَعِثَ بِهِ الْإِيْدِ
وَجَعَلْنَا لَهُ مِنَ الْخُلُقِ الْعَا
وَحَفِظْنَا مِنَ الرِّيَّاحِ جَنَاهُ
إِيهِ يَا رَوْضَةَ الْمَعَارِفِ لَا زَلِ
أَنْتِ أَنْبَتِ فِي ثَرَى الثَّيْلِ شَعْبًا
أَعْجَزَ الْغَرْبِ هِمَّةً وَذِكَاءً
خُطُوتُ نَحْوِ الْمَعَالِي فِسَاحٌ
حُسْنُهُ بِالْحَدَائِقِ الْبَاسِقَاتِ
وَكِرَامِ النُّفُوسِ وَالْمُهْجَاتِ^{١٥}
هَانَ أَحْلَى مِنْ كُلِّ مَاءٍ فُرَاتِ^{١٦}
ضَاعَفْتُ مِنْ ثِمَارِهِ الطَّيِّبَاتِ^{١٧}
بِيْدِي وَتَجْنِي عَلَيْهِ كَفُّ الْجَنَازَةِ^{١٨}
لِي سِيَاجًا مُوثِقَ اللَّيِّنَاتِ^{١٩}
وَوَقَيْنَاهُ شِرَّةَ الْحَشَرَاتِ^{٢٠}
سِتِ مَثَابَ الْخَيْرَاتِ وَالْبَرَكَاتِ^{٢١}
نَافِذَ الرُّأْيِ طَاهِرَ النَّزَعَاتِ
وَكَذَا الشَّرْقُ مَوْطِنُ الْمُعْجَزَاتِ
لَا عَدَاهَا السَّدَاثُ مِنْ خُطُوتِ^{٢٢}

سَلَكْتُ أَوْسَطَ الطَّرِيقِ وَجَارَتْ
وَجُحُودٌ تَمْضِي وَتَأْتِي جُحُودٌ
كُلُّ مَا فِي الطَّرِيقِ مِنْ عَقَبَاتٍ ٢٣
مُحْكَمَاتٌ مَوْصُولَةٌ الْحَلَقَاتِ
رَدُّوْعًا حَصِينَةٌ سَابِغَاتٍ ٢٤

إِنَّمَا مَوْلِدُ الْمَعَارِفِ فِي مِصْرَ
جَلَّ رَبِّي! أَمَنْتُ بِاللَّهِ رَبِّي!
أَرْسَلَ اللَّهُ لِلْكَنَانَةِ نَذْبًا
فَأَتَاهُ (مُحَمَّدٌ) جَدُّ (إِسْمَا
هَلْ رَأَيْتَ النَّجْمَ الَّذِي يَبْهَرُ الْعَيْنَ
هَلْ رَأَيْتَ الْغَدِيرَ يَنْسَابُ فِي الْقَفِّ
هَلْ رَأَيْتَ الْحَيَاةَ تَسْرِي إِلَى الْجِسْرِ
هَلْ رَأَيْتَ الْأَمَالَ بَعْدَ نِفَارٍ؟
لَقِيتُ مِصْرَ قَبْلَهُ مَا يُلَاقِي
جَهْلُوا دَاءَهَا الدَّفِينِ وَشَرُّ
نَكَنُوا جُرْحَهَا فَسَالَتْ دِمَاهَا
لَا تَرَى فِي الظَّلَامِ لِلْعِلْمِ إِلَّا
يَكْرَهُ الظُّلْمَ كُلَّ شَيْءٍ مِنَ الضُّوْ
لَمْ يَكُنْ مِنْهُ غَيْرٌ وَمَضَى مِنَ (الْأَزْ
كَذِبَالِ الْمِشْكَاةِ قَدْ جَفَّ إِلَّا
فَأَتَى مُنْقِذُ الْبِلَادِ فَأَحْيَا
لَوْ دَعَا أَنْجَمَ السَّمَاءِ لِلْبَيْتِ

رَدِّيبُ الْحَيَاةِ بَيْنَ الرُّفَاتِ
فَالِقِ الْحَبِّ بَاعِثِ الْأَمْوَاتِ
هَبْرَزِي الْأَعْرَاقِ وَالْعَزَمَاتِ ٢٥
عِيلَ) بِالْخِصْبِ مُورِقًا وَالْحَيَاةِ ٢٦
نَ وَيَمْحُو دَيَاجِرَ الظُّلُمَاتِ؟ ٢٧
رَ فَيَهْتَرُ مُحْصَبَ الْجَنْبَاتِ؟ ٢٨
سَمَ فَتُحْيِي عِظَامَهُ النَّخْرَاتِ؟ ٢٩
وَاقْتِبَالَ الشَّبَابِ بَعْدَ فَوَاتٍ؟ ٣٠
غَرَضُ جَاءَ فِي اتِّجَاهِ الرُّمَاءِ ٣١
مِنْ دَفِينِ الْأَدْوَاءِ جَهْلُ الْأَسَاةِ
قَطَرَاتٍ تَجْرِي إِلَى قَطَرَاتٍ ٣٢
مُقْفِرَاتٍ مِنْ دُورِهِ دَارِسَاتٍ ٣٣
ءِ وَلَوْ كَانَ فِي ابْتِسَامِ الْفَتَاةِ
هَرٍ يَبْدُو مُفْرَغَ اللَّمَحَاتِ ٣٤
أَثَرًا مِنْ بُلَالَةِ الْمِشْكَاةِ ٣٥
هَذَا بِرَأْيٍ وَعَزْمَةٍ وَثَبَاتِ
مُهْطِعَاتٍ لِأَمْرِهِ صَاغِرَاتٍ ٣٦

شَادَ فِي مِصْرَ لِلْمَعَارِفِ دِيوَا
وَبَنَى لِلْعُلُومِ خَيْرَ بِنَاءٍ
نَهَضَتْ مِصْرُ بَعْدَهُ نَهَضَاتٍ
أَرْسَلَ الْعِلْمُ نَوْرَهُ فَسَرَى الرُّكَّ

نَا مَنِيْعَ الْأَعْلَامِ وَالشُّرْفَاتِ
عَلَوِيٌّ فَكَانَ خَيْرَ الْبُنَاةِ
تَسْتَجِثُ الْخُطَا إِلَى نَهَضَاتِ
حُبُّ يَقُودُ الْمُنَى إِلَى الْغَايَاتِ

وَرَأَيْنَا بَ كُلِّ أَرْضٍ رِيَاضًا دَانِيَاتٍ قُطُوفُهَا زَاهِيَاتٍ

* * *

كُلُّ يَوْمٍ عِنْدَ الصَّبَاحِ تَرَى جَيِّدًا
جَعَلُوا كُتُبَهُمْ مَكَانَ الْمَوَاضِي
طَلَعُوا أَوَّلَ الْغَدَاةِ فَرَانُوا
مِثْلَ سِرْبٍ لِلطَّيْرِ هَمَّتْ خِفَافًا
نَتَرُوا جَمْعَهُمْ فَأَبْصَرَتْ فِيهِمْ
وَرَأَيْتُ الْفِلْدَاتِ تَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ
هُمْ أَمَانِي (مَصْر)، هُمْ مَرْتَجَاهَا
شَا مِنْ النَّشْرِ صَادِقَ الْوَثَبَاتِ
وَيَرَاعَاتِهِمْ مَكَانَ الْقَنَاطَةِ^{٣٧}
بَسْنَا ضَوْئَهُمْ جَمَالَ الْغَدَاةِ^{٣٨}
ثُمَّ رَاحَتْ لَوَكْرِهَا مُتَقَلِّتَاتِ^{٣٩}
أُنْجَمًا فِي الْفَضَاءِ مُنْتَثِرَاتِ
ضُ فَخَلُّوا الطَّرِيقَ لِلْفِلْدَاتِ^{٤٠}
هُمْ حَنَايَا ضُلُوعِهَا الْخَافَقَاتِ

* * *

مَائَةٌ مِنْ سِنِي (المعارف) مَرَّتْ
بَلَّغَتْ مِصْرُ فِي مَدَاهُنْ شَاوًا
وَعَدَا مَجْدُهَا الْحَدِيثُ — وَقَدْ شَا
أَصْبَحَتْ كَغَبَّةٍ يَحُجُّ إِلَيْهَا الشَّرُّ
تَتَهَادَى وَحَقٌّ أَنْ تَتَهَادَى
كُلُّ تَارِيخِهَا كِتَابٌ مِنَ الْمَجْدِ
بَعَثَتْ دَارِسَ الْفُنُونِ وَأُحْيَتْ
وَأَعَادَتْ إِلَى الْعُلُومِ مَنَارًا
أُنْجَبَتْ لِلْبِلَادِ أَبْطَالٌ عَزَمَ
دَعَاوُ الشَّعْبِ لِلْعُلَا فَرَأَيْنَا
أُنْجَبَتْ كُلُّ عَالَمٍ بَهَرِ الْكُو
أُنْجَبَتْ كُلُّ شَاعِرٍ عَبْقَرِيٍّ
تَتَمَنَّى الْأَزْهَارُ لَوْ كُنَّ يَوْمًا
أُنْجَبَتْ كُلُّ كَاتِبٍ يَمْلِكُ السَّمَّ
أُنْجَبَتْ كُلُّ مِدْرَةٍ وَخَطِيبٍ
وَحَمَتْ شِرْعَةَ الْخَلَائِقِ أَنْ يَغْ
زَاهِيَاتٍ بِمَا حَوَتْ حَافِلَاتِ
فَوْقَ شَاوِ الْكَوَاكِبِ السَّابِحَاتِ^{٤١}
عَ شَذَا عِطْرُهُ — حَدِيثُ الرُّوَاةِ^{٤٢}
قُ بَيْنَ الْخُشُوعِ وَالْإِقْنَاتِ^{٤٣}
بَيْنَ مَاضٍ زَاهِي الْجَبِينِ وَآتِي
بِدِ كَرِيمٍ مُطَرَّرُ الصَّفَحَاتِ
بَعْدَ يَأْسِ الزَّمَانِ أُمَّ اللُّغَاتِ^{٤٤}
كَانَ صُبْحُ الدُّجَى وَهْدِي السَّرَاةِ^{٤٥}
هُمْ دُرُوعُ الْبِلَادِ فِي الْأَزْمَاتِ
خَيْرَ شَعْبٍ أَجَابَ خَيْرَ الدُّعَاةِ
نَ بَايَاتِ عِلْمِهِ الْبَيِّنَاتِ
صَادِقِ الْحِسِّ بَارِعِ اللَّفْتَاتِ
فِي قَوَافِيهِ مَوْضِعِ الْكَلِمَاتِ
عَ، بِأَثَارِ فَنِّهِ الْخَالِدَاتِ
سَاحِرِ الْقَوْلِ، صَادِقِ الْحَمَلَاتِ^{٤٦}
بَرَّ صَافِي نَمِيرِهَا بِقَذَاةِ^{٤٧}

قد وَلَجْنَا الْحَيَاةَ مِنْ كُلِّ بَابٍ فَرَأَيْنَا الْأَخْلَاقَ بَابَ النَّجَاةِ
أَصْبَحَتْ مِصْرُ مَعَهَا لَشَابَابُ الشَّ شَرْقٍ، يَسْعَوْنَ نَحْوَهَا بِالْمِائَاتِ
عَقَدَتْ بَيْنَنَا اللَّيَالِي صَلَاتٍ مُحْكَمَاتٍ أَحَبُّ بِهَا مِنْ صَلَاتِ

* * *

إِنَّ عِيدَ الْمَعَارِفِ الْيَوْمَ عِيدٌ لِلنُّهَى وَالْجُهْدِ وَالذُّكْرِيَّاتِ^{٤٨}
عِيدٌ يُمْنٌ لِمِصْرٍ، فَالْدَّهْرُ دَانٍ خَاضِعُ الرَّأْسِ، وَالزَّمَانُ مُوَاتِي
بَلَّغَتْ مِصْرُ مَا تُرْجِي وَفَازَتْ بَعْدَ طُولِ الْأَسَى، وَذُلِّ الشَّكَاةِ
وَأَطَاحَتْ قُيُودُهَا فَاسْتَقَلَّتْ وَامَّحَى مَا تَرَكْنَ مِنْ نَذَبَاتِ
وَأَسْتَعَزَّتْ بِطُلْعَةِ الْمَلِكِ الْفَا رُوقٍ، زَيْنِ الْحِمَى وَفَخْرِ الْحِمَاةِ
يُشْرِقُ الْمُلْكُ بِالْمَلِكِ وَيُزْهِى بِمَجَالِي آلَائِهِ الْمُشْرِقَاتِ
تَجَنَّلِيهِ الْعُيُونُ بَدْرًا، وَتَقْدِيبِ هَ عُيُونِ الزَّمَانِ بِالْحَدَقَاتِ^{٤٩}
عَهْدُهُ فِي الْعُهُودِ أَنْصَرُ عَهْدٍ كَجَمَالِ الرَّبِيعِ فِي الْأَوْقَاتِ
بَهْرُ الشُّعْرِ أَنْ يُحِيطَ بِمَعْنَى مِنْ مَعَانِي صِفَاتِهِ الْبَاهِرَاتِ
عَاشَ لِلْعِلْمِ وَالْبِلَادِ هُمَامًا أَرْيَحِيًّا، وَعَاشَ لِلْمَكْرُمَاتِ

هوامش

- (١) تجنت: طغت وعلت. النيرات: الكواكب المنيرة المضيئة.
- (٢) الكمام: جمع كم (بكسر الكاف فيهما)، وهو وعاء الطلع وغطاء النور. الشذا: قوة ذكاء الرائحة وسطوعها.
- (٣) ترهب: تهاب وتخشى. تخذ: أي تجرح وتخدش.
- (٤) القسمات: جمع قسمة (بكسر السين وفتحها): وهي الحسن.
- (٥) التبر: الذهب قبل صوغه. الدر: اللآلي، الواحدة، درة.
- (٦) يشير إلى الآية الكريمة: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سَنَابِلٍ مِائَةُ حَبَّةٍ﴾.
- (٧) الموصلي: نسبة إلى إبراهيم الموصلي أو ابنه إسحاق، وكلاهما مغن عباسي بلغ شهرة واسعة في الضرب والغناء. ولد إبراهيم سنة خمس وعشرين ومائة هجرية بالكوفة،

وتوفي ببغداد سنة ١٨٨هـ. وولد إسحاق سنة ١٥٠ (وهي السنة التي ولد فيها الإمام الشافعي ومات فيها الإمام أبو حنيفة)، وتوفي ببغداد في أول خلافة المتوكل سنة ٢٣٥هـ. (٨) الحبرات (بالتحريك، وبكسر الحاء مع فتح الباء): جمع حبرة. وهي ضرب من برود اليمن، وملاءة سوداء اختص بها نساء مصر.

(٩) تتناهى: تبعد. مدلة: من الدلال، وهو التمتع. الشتات: الفرقة.

(١٠) القرطاس: الصحيفة يكتب عليها.

(١١) الوشاة: الساعون بالكذب والنميمة.

(١٢) الجناة: ما يجنى من الشجر.

(١٣) الترهات (في الأصل): الطرق الصغار تتشعب عن الجادة، ثم استعير للباطل

الذي لا يقوم على رأي صحيح، الواحدة ترهة، فارسي معرب.

(١٤) ضلة، أي: ضللاً وبعداً عن الرشد والهدى. الزلال: الماء البارد العذب الصافي.

الغضارة: الخصب. الفلاة: الصحراء والمفاضة لا ماء فيها.

(١٥) المهجات: جمع مهجة وهي الروح.

(١٦) الفرات: المفرط في العذوبة.

(١٧) غذونه: غذيانه (بالتضعيف).

(١٨) تعيث به، أي: تعبت به وتفسده. الجناة: الأشرار ودعاة الإفساد، الواحد،

جان.

(١٩) السياج: ما أحاط بالشيء. يحفظه ويقيه. اللبئات: ما يضرب من الطين مربعا

للبناء، الواحدة: لبنة. توثيق اللبئات: إحكام البناء.

(٢٠) جناه: ثماره التي تجنى منه. يريد الناشئين في دور العلم. الشرة (بالكسر):

الشر.

(٢١) مثاب الخيرات والبركات، أي: حيث توجد وتجتمع.

(٢٢) فساح: واسع. لا عداها: لم يعدها ولم يتجاوزها، والجملة دعائية. السداد:

التوفيق وإصابة الغرض.

(٢٣) جازت: تخطت وتغلبت.

(٢٤) الدروع: جمع درع، وهو ثوب ينسج من زرد الحديد يلبس في الحرب وقاية

من سلاح العدو، مؤنث وربما ذكر. سابغات: تامة طويلة.

- (٢٥) يريد «بالكنانة»: مصر. النذب: السريع إلى الفضائل الذي يخف لقضاء الحاجة عندما يندب إليها. هبرزي الأعراق والعزمات: أي طيب الأصول، قوي فيما يهم به ويعزم عليه.
- (٢٦) محمد: هو محمد علي باشا ابن إبراهيم أغا جد الأسرة المالكة في ذلك الوقت.
- (٢٧) يبهر العين: يغلبها ضوءه وتألّقه فلا تقوى على النظر إليه. الدياجر: جمع ديجور. وهو الظلام.
- (٢٨) الجنبات: النواحي.
- (٢٩) النخرات: البالية المتفتتة.
- (٣٠) النفار: التباعد والفوت. اقتبال الشباب: عنفوانه واكتماله. بعد فوات: أي بعد ذهاب ومضي.
- (٣١) الغرض: الهدف الذي يرمى إليه. الرماة: جمع رام، وهو الذي يرمى بسهامه نحو الهدف.
- (٣٢) يقال: نكأ القرحة ينكؤها: إذا قشرها قبل أن تبرأ فنديت وسال دمها.
- (٣٣) مقفرات: خاليات. دارسات: قد عفا أثرها وامحى.
- (٣٤) منه: أي من الضوء. الومض: اللمعان الخفيف لا يظهر حتى يختفي. الأزهر: هو ذلك المسجد التاريخي العظيم، الذي بناه جوهر الصقلي في أوائل حكم الدولة الفاطمية سنة ٣٥٩-٣٦١هـ/٩٧٠-٩٧٢م، وكان لا يزال داراً للتعليم يؤمها المسلمون من جميع الأقطار الإسلامية. المفزع: الخائف. اللمحات: جمع لمحة، وهي لمعة الضوء وبريقه.
- (٣٥) الذبالة: الفتيلة، المشكاة: الأنبوبة في وسط القنديل، يريد القنديل.
- (٣٦) لبث: أجابت. مهطعات: مسرعات. صاغات: ذليلات.
- (٣٧) المواضي: السيوف القواطع، الواحد: ماض. اليراعات: الأقلام، الواحدة: يراعة. القناة: الرمح.
- (٣٨) أول الغداة: الصباح المبكر. سنا الضوء: تلالؤه وتألّقه.
- (٣٩) السرب: الجماعة. همت: أي خرجت لقصدها وبغيتها. راحت: رجعت. الوكر: عش الطائر أين كان.
- (٤٠) الفلذات: جمع فلذة (بالكسر)، وهي القطعة من الكبد.
- (٤١) المدى: الأمد والنهاية. الشأو: الغاية. السابحات: الجاريات في أفلاكها ومداراتها.

- (٤٢) شذا العطر: قوة ذكاء رائحته وسطوعها.
- (٤٣) الكعبة: البيت الحرام بمكة، وإليها يتجه المسلمون في صلاتهم ويقصدونها في حجهم. الإقنات: إظهار التواضع والخشية.
- (٤٤) دارس الفنون: ما عفا منها وذهب أثره. أم اللغات: اللغة العربية.
- (٤٥) المنار: مبعث النور ومصدره. الدجى: الظلام، السراة: جمع سار.
- (٤٦) المدره: القوي الحجة.
- (٤٧) الشرعة (بالكسر): مورد الشاربين. الخلائق: الطبائع والسجاياء، الواحدة: خليفة. يغبر: يصير أغبر كدرًا. النمير: الماء العذب الصافي. القذاة: ما يقع في الشراب مما يكدره.
- (٤٨) النهى: العقول، الواحدة: نهية (بالضم) وسمي العقل بها؛ لأنه مصدر النهي والضبط والكف.
- (٤٩) تجتليه: تستبينه وتراه. الحدقات: جمع حدقة. وهي سواد العين.

كُلُّ بَيْتٍ فِيهِ سَعْدٌ مَائِلٌ

نشرت هذه القصيدة حينما نقل رفات المغفور له سعد زغلول باشا إلى الضريح الذي أعد له في يونيه سنة ١٩٣٦م.

اُكْشَفُوا التُّرْبَ عَنِ الْكَنْزِ الدَّفِينِ	وارفعوا السُّتْرَ عَنِ الصَّبْحِ الْمَبِينِ ^١
وَابْعَثُوهُ عَسْجَدًا مُؤْتَلِقًا	زاد في لألائه طولُ السنين ^٢
وَانْتَضَوْا مِنْ غَمْدِهِ سَيْفَ وَغَى	كان إن صال يَقْدُ الدارعين ^٣
وَقِنَاءَةً جَلًّا مِنْ ثَقَفِهَا	لِلحِفَافِ الْمُرِّ وَالْعِزْمِ الْمَكِينِ ^٤
لَوِثَ الدَّهْرَ عَلَى بَاطِلِهِ	وهي كَالْحَقِّ صَفَاءٌ لَا تَلِينِ ^٥
هَزَمْتَ جَيْشَ الْأَبَاطِيلِ فَمَا	غَادَرْتُ غَيْرَ جَرِيحٍ أَوْ طَعِينِ ^٦
كُتِبَ اللَّهُ عَلَى عَامِلِهَا	إِنَّمَا الْخُلْدُ جِزَاءُ الْعَامِلِينَ ^٧

جَدَثَ ضَمٌّ سَنَاءً وَسَنَاءً	ومصاص الطهر في دنيا ودين ^٨
طَاعَةُ الْأَمْلاكِ فِيهِ امْتَزَجَتْ	في السموات بعز المالكين
فَتَشَوْا فِي التُّرْبِ عَنْ عِزْمَتِهِ	وعن الإقدام والرأي الرصين
وَاخْفَضُوا أَبْصَارَكُمْ فِي هَيْبَةٍ	إن رأت أَبْصَارَكُمْ نَورَ الْيَقِينِ
وَاخْشَوْا بِالصَّمْتِ فِي مُحَرَابِهِ	أَفْصَحَ الْأَلْسُنِ صَمْتَ الْخَاشِعِينَ!
وَانْتَحَوْا مِنْ قَبْرِهِ نَاحِيَةً	واحذروا أن تزحموا الروح الأمين ^٩
وَحَنَانًا بِضَرْيَحٍ طَالَمَا	صَقَلَتْهُ قَبَلَاتُ الطَّائِفِينَ

وجثت مصر به خاشعة
 صيحةٌ قدسيةٌ إن سكتت
 وعرينٌ حلٌ فيه ضيغمٌ
 ومضاءٌ عرفتِ مصرُ به
 لا أرى قَبْرًا ولكني أرى
 أو أراه قَصَبَ المجدِ الذي
 أو أراه عَلَمًا في فدقٍ
 أو أراه روضةً إن نَفَحَتْ
 أو أراه دَوْحَةً وارفةً
 أو أراه قلبَ مصرٍ نابضًا

تذرف الدمع على خير البنين^{١٠}
 فلها في مِصرَ رَجْعٌ ورَيْنٌ^{١١}
 رحمةُ الله على لَيْثِ العرينِ!^{١٢}
 أنَّ للحقَّ يمينًا لا تمين^{١٣}
 صفحةً من صَفَحاتِ الخالدين
 دونه ينفق جُهدُ السابقين
 لمعت أضواؤه للحائرين^{١٤}
 خَجَلُ الورْدِ وأغضى الياسمين^{١٥}
 نَشَرَتْ أفياءَها للاجئين^{١٦}
 بِمُنَى تمحو من القلبِ الأنينُ

نَقَلُوا التابوتَ تَخَتَّفُ به
 ذاك بَعَثُ حَيَّيتِ مصرُ به
 هل علمتم أنَّ مَنْ واريتمُ
 ما يسعدُ خُفرةً واحدةً
 كلُّ بيتٍ فيه سعدٌ ماثلُ
 نظرةِ الرُّبَالِ في نظرته
 وضعتِ مصرُ به آمالها
 هو للأبناء علمٌ وأبٌ
 كان سعدٌ عَلَمًا منفردًا
 إنَّ أُمَّ المجدِ مِقلاتُ فكم
 تبخل الدنيا بأسادِ الشرى
 أنتِ قد أنجبتِ سعدًا بطلًا
 وجدتِ مصرُ به واحدها
 ومن الناسِ نضارٌ خالصُ
 ومن الناسِ أسودٌ خُدَّرُ
 قاد للمجد مناجيد الحمى

رَحِمَاتٌ من شمالٍ ويمين^{١٧}
 من جديدٍ، تلك عُقبى الصابرين^{١٨}
 في حنايا كلِّ مصريٍّ دفين؟^{١٩}
 هو ملءُ القلبِ، ملءُ الأرضين^{٢٠}
 في إطارٍ من حنانٍ وحنين
 وانبلاجُ الحقِّ في ضوئِ الجبين^{٢١}
 فاستقرَّتْ منه في حِصْنِ حصين
 وهو للآباءِ خلٌّ وخدين^{٢٢}
 هل يَرى للشمسِ في الأفقِ تَنين؟^{٢٣}
 سَوَّفتُ بين جَنينٍ وجَنين^{٢٤}
 أيُّها الدنيا إلى كم تَبْخَلين؟^{٢٥}
 وقليلٌ مثله مَنْ تلدين
 ربَّ قَرَدٍ بالُوفٍ ومُثَّين!
 ومن الناسِ غُثاءٌ وغرين^{٢٦}
 ومن الناسِ ذُبَابٌ ووطنين^{٢٧}
 كلُّهم أَرَوُعُ مُنَبَّتُ القَرينِ^{٢٨}

تَقْرَأُ الْأَقْدَامَ فِي صَفْحَتِهِ مَثَلَمَا تَقْرَأُ خَطَّ الْكَاتِبِينَ
كَلَّمَا مَرَّتْ بِهِ عَاصِفَةٌ زَعَزَعُ، مَرَّتْ عَلَى طَوْدٍ رَكِينٍ^{٢٩}
تَقْرَعُ الْأَقْدَارُ مِنْهُ عَزْمَةً أَنْفَتُ صَخْرَتُهَا أَنْ تَسْتَكِينَ
يَا بَنِي الرُّبَانِ لَا تَسْتَيْئِسُوا إِنَّ مَضَى الْمَوْتُ بُرْبَانَ السَّافِينَ
إِنَّ سَعْدًا أَخْضَعَ الرِّيحَ لَكُمْ وَالْبَقِيَّاتُ عَلَى اللَّهِ الْمَعِينِ
لَاحَتِ الْفُرْصَةُ فِي إِبَانِهَا إِنَّهَا لَا تُرْتَجَى فِي كُلِّ حِينٍ^{٣٠}
فَهَلُمُّوا فَأَقْبِصُوا طَائِرَهَا كَلَّكُمْ بِالسَّبْقِ وَالنَّصْرِ قَمِينَ^{٣١}
صَدَقَ اللَّهُ تَعَالَى وَعْدَهُ إِنَّمَا الْفَوْزُ ثَوَابُ الْمَخْلَصِينَ!

هوامش

- (١) الستر: الحجاب.
- (٢) العسجد: الذهب.
- (٣) انتضوا: أخرجوا. وغى: الحرب. صال: وثب وجال. يقدر: يشق ويقطع. الدارعين: لابسِي الدرع والمراد المحاربين.
- (٤) قناة: الرمح. ثقفها: سواها. للحفاظ المر: للمحافظة القوية.
- (٥) لوت: أخضعت وألانت. صفاة: صخرة ملساء قوية.
- (٦) جيش الأباطيل: جيش الكذب والبهتان.
- (٧) عاملها: عامل الرمح: صدره الذي يركب فيه السنان.
- (٨) جدث: قبر. سناء: الرفعة والشرف. سنا: الضوء. مصاص الطهر: خلاصته.
- (٩) الروح الأمين: سيدنا جبريل.
- (١٠) جثت: ركعت.
- (١١) رجع: ترديد.
- (١٢) عرين: بيت الأسد. ضيغم: الأسد. ليث: أسد.
- (١٣) مضاء: نفاذ. يميناً: قوة. لا تمين: لا تكذب.
- (١٤) فدغد: الفلاة أو المكان المرتفع من الأرض.
- (١٥) نفحت: انتشرت رائحتها الذكية. أغص: أدنى جفونه وأخفض من نظرته.
- (١٦) أفياءها: ظلالها.

- (١٧) تحتف به: تحيط به.
(١٨) عقبى: جزاء.
(١٩) حنايا: أضلع.
(٢٠) الأرضين: الأرض.
(٢١) الرئبال: الأسد. انبلاج: إضاءة.
(٢٢) خل: الصديق الودود. خدين: الصديق.
(٢٣) تنين: شبيه.
(٢٤) مقلات: قليل الولادة، سوفت: باعدت.
(٢٥) آساد الشرى: آساد الجبال.
(٢٦) نضار خالص: ذهب نقي. غثاء: ما يحمله السيل من قذر. غرين: طين يخالطه ماء.
(٢٧) خدر: جمع خادر يقال: أسد خادر: ملازم عرينه.
(٢٨) مناجيد: شجعان. منبت القرين: ليس لهم مثيل.
(٢٩) زعزع: متحركة. طود: جبل.
(٣٠) إبانها: حينها.
(٣١) طائرها: ثمرتها. قمين: جدير.

وَصِيَّة

عرض على الشاعر بعض أصدقائه قطعة نثرية باللغة الفرنسية يوصي فيها كاتبها ابنته بالتخلي بكريم الصفات، ثم طلب إليه أن يقول شعراً على مثالها، فنظم هذه القصيدة في سنة ١٩١٨ م.

وَجَمَالاً يَزِينُ جِسْماً وَعَقْلاً^١
فَجَمَالُ النَّفْسِ أَسْمَى وَأَعْلَى
وَرَدَّةُ الرُّوضِ لَا تُضَارِعُ شَكْلاً
حَسَّ، تَعَالَى إِلَهُ عَزَّ وَجَلَّ
سِ سِ سَوَاءٌ: مَنْ عَزَّ مِنْهُمْ وَذَلَّ
وَأَمْنَحِي الْبَائِسَاتِ بَرًّا وَفَضْلاً
شَرَفًا يَسْحَرُ الْعُيُونَ وَنُبْلًا
فَهُوَ بِالْعَادَةِ الْكَرِيمَةِ أَوْلَى^٢
إِنْ تَنَاءَى الْحَيَاءُ عَنْهَا وَوَلَّى
كُلُّ ثَوْبٍ سِوَاهُ يَفْنَى وَيَبْلَى
بِدُمُوعِ الْإِحْسَانِ يَهْطِلُنْ هَطْلًا^٣
وَأَبْهَى مِنَ اللَّالِي وَأَعْلَى
ةٌ — فَفِيهِ تَبْدُو النَّفُوسُ وَتُجَلَّى
وَابْنَتِي لَا تَرُدِّي لَلْأَبِ سُؤلاً

يَا بِنْتِي إِنْ أَرَدْتَ آيَةً حُسْنٍ
فَانْبِذِي عَادَةَ التَّبَرُّجِ نَبْذًا
يَصْنَعُ الصَّانِعُونَ وَرَدًّا وَلَكِنْ
صِبْغَةُ اللَّهِ صِبْغَةٌ تَبْهَرُ النَّفْسَ
ثُمَّ كُونِي كَالشَّمْسِ تَسْطَعُ لِلنَّاسِ
فَأَمْنَحِي الْمُثْرِيَّاتِ لِيْنَا وَلُطْفًا
زِينَةُ الْوَجْهِ أَنْ تَرَى الْعَيْنُ فِيهِ
وَأَجْعَلِي شِيمَةَ الْحَيَاءِ خِمَارًا
لَيْسَ لِلْبَيْنْتِ فِي السَّعَادَةِ حَظٌّ
وَالْبَيْسِي مِنْ عَفَافِ نَفْسِكَ ثَوْبًا
وَإِذَا مَا رَأَيْتِ بُؤْسًا فَجُودِي
فَدُمُوعِ الْإِحْسَانِ أَنْضُرِي فِي الْخَدِّ
وَانْظُرِي فِي الضَّمِيرِ — إِنْ شِئْتِ مَرًّا
ذَاكَ نَصَحِي إِلَى فَتَاتِي وَسُؤْلِي

هوامش

- (١) الآية: العلامة.
- (٢) الشيمة: السجية والطبع. الخمار: ما تغطي به المرأة رأسها ووجهها.
- (٣) يهطل: ينصب انصباباً في تتابع وكثرة.

ذِكْرِي قَاسِمِ أَمِين

أُذِيعَتْ بَدَارُ الإِذَاعَةِ فِي سَنَةِ ١٩٣٨ م لِمُرُورِ ثَلَاثِينَ سَنَةً عَلَى وَفَاتِهِ.

مَلَّ مِنْ وَجْدِهِ وَمِنْ فَرِطِ مَا بِهِ
وَإِذَا الْقَلْبُ أَظْمَأَتْهُ الْأَمَانِي،
وَإِذَا النَّفْسُ لَمْ تَكُنْ مَنِبَتِ الْأَنْدِ
وَأَشَدُّ الْأَلَامِ أَنْ تُلْزِمَ الثُّغْرَ ابْتَسَا
وَأَرَاقَ الشَّرَابِ مِنْ أَكْوَابِهِ!
فَمَاذَا يُرِيدُهُ مِنْ شَرَابِهِ؟
سِسْ، تَنَاءَى الْقَرِيبُ مِنْ أَسْبَابِهِ
مَاءَ، وَالْقَلْبُ رَهْنُ اكْتِنَابِهِ

كُلَّمَا اخْتَالَ فِي الزَّمَانِ شَبَابٌ
وَالنُّبُوغُ النَّبُوغُ يَمْضِي، وَتَمْضِي
غَرْدٌ، مَا يَكَادُ يَصْدُخُ حَتَّى
وَحَبَابٌ، إِذَا عَلَا الْمَاءَ وَلَّى
وَسَفِينٌ، مَا شَارَفَ الشُّطَّ حَتَّى
عَصَفَتْ رِيحُهُ بِلَدْنِ شَبَابِهِ!
كُلُّ أَمَالٍ قَوْمِهِ فِي رِكَابِهِ
يُسْكِتُ الدَّهْرُ صَوْتَهُ بِنُعَابِهِ^١
فَاسْأَلِ الْمَاءَ هَلْ دَرَى بِحَبَابِهِ؟^٢
مَزَّقَ الْيَمُّ دُسْرَهُ بِعُبَابِهِ^٣

بَخَلَ الدَّهْرُ أَنْ يُطَوِّلَ لِلْعَقْلِ،
كَلَّمَا سَارَ خُطْوَةٌ وَقَفَ الْمَوْ
وَابْتَدَأَ الْكَمَالُ فِي عَمَلِ الْعَا
ضِلَّةً نَكُتُمْ الْمَشِيبَ فَيَبْدُو
أَيْنَ مَنْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُرْشِدَ الدُّنْيَا،
فَيَجْرِي إِلَى مَدَى آرَابِهِ،
تُ، فَسَدَ الطَّرِيقُ عَنْ طُلَابِهِ
مِلْ بَدَأَ الشُّكَاةِ مِنْ أَوْصَابِهِ^٥
ضَاجِحًا سَاحِرًا خِلَالَ خَضَابِهِ^٦
وَسَوَّطَ الْمَنُونِ فِي أَعْقَابِهِ؟^٧

كَيْنَ يُرْسَلُ أَنْفَاسُهُ فِي كِتَابِهِ
بِسِنِينَ تُعَدُّ لِي فِي حِسَابِهِ
لَمْ أَزَلْ وَأَقِفًا عَلَى أَبْوَابِهِ
رُ، فَتَرْضَى بِنَهْلَةٍ مِنْ سَرَابِهِ
أَتُخَنَ الشَّيْبُ رَأْسَهُ بِحَرَابِهِ
الْمَوْتُ دُونَ وَشَكِ طَلَابِهِ؟
هَالِنِي بُعْدَهُ وَطُولَ شَعَابِهِ^٨
وَدَمِي لَا يَزَالُ مِلءَ لُعَابِهِ^٩
لِ، مِنْ شِدْوِهِ وَعَزَفِ رَبَابِهِ
نِ، فَلَا حَدَّ يَنْتَهِي لِإِنْصَابِهِ^{١٠}

أَيُّهَا الْمَوْتُ: أَمْهَلِ الْكَاتِبَ الْمِسْ
أَهْ لَوْ يَشْتَرِي الزَّمَانُ قَرِيضِي
مَا حَيَاتِي؟ وَالْكَوْنُ بَعْدَ جِهَادِ
تَظْمًا النَّفْسُ فِي حَيَاةٍ هِيَ الْقَفْ
أَنَا قَلْبِي مِنَ الشَّبَابِ وَجِسْمِي
أَمَلُ هَذِهِ الْحَيَاةِ، فَهَلْ يَعْتُرُ بِي
كُلَّمَا رُمْتُ لَمَحَةً مِنْ سَنَاهُ
مَا الَّذِي تَبْتَغِي يَدَ الدَّهْرِ مِنِّي؟
دَعِ يَزَاعِي يَا دَهْرُ يَمْلَأْ سَمْعَ النَّيِّ
كُلُّ شَيْءٍ لَهُ نِصَابٌ سِوَى الْفَنِّ

وَهُوَ لَمْ يَعُدْ صَفْحَةً مِنْ خُطَابِهِ
عَقَدَ النَّوْءَ لُجَّةً بِسَحَابِهِ^{١١}
كَمْ مَشَتْ مِصْرُ فِي ضِيَاءِ شَهَابِهِ
تَفَرَّعَ النَّجْمُ رَاسِيَاتُ قَبَابِهِ^{١٢}

عَصَفْتُ صَيْحَةَ الرَّدَى بِخَطِيبِ
سَكْتَةٍ أَسْكَتَتْ نَيْيَجَ خِصْمٍ
سَكْتَةٍ أَطْفَأَتْ مَنَارَ طَرِيقِ
وَمَضَى (قَاسِمٌ) وَخَلَّفَ مَجْدًا

وَفَهِمْنَا مَعْنَاهُ يَوْمَ احْتِسَابِهِ
بَا، شَقَقْتُ الْجُيُوبَ عِنْدَ غِيَابِهِ
تَمَنَّيْتُ لَمَحَةً مِنْ ضَبَابِهِ
فَنَثَرْتُ الْأَزْهَارَ فَوْقَ تُرَابِهِ
فُ، وَيُبْكِي النَّبُوءُ بَعْدَ ذَهَابِهِ
وَشَغِفْنَا بِالْبَدْرِ بَعْدَ احْتِجَابِهِ!
كُلُّ ذِي دَعْوَةٍ إِلَى الْحَقِّ نَابِهِ
بَطْلًا لَا يَهَابُ هَوْلَ صِعَابِهِ
عَرَفَ الْجَوَّ نَسْرَهُ مِنْ غُرَابِهِ
نِ، وَمَا فِيهِ غَيْرُ حُسْنِ ثِيَابِهِ

قَدْ نَكِرْنَاهُ حِينَ قَامَ يُنَادِي
رَبِّ مَنْ كُنْتُ فِي الْحَيَاةِ لَهُ حَرْ
وَتَحَدَّثْتُ شَمْسَهُ، فَإِذَا وَلَّى
لَمْ يَفْزُ مِنْكَ مَرَّةً بِثَنَاءٍ
يُعْرِفُ الْوَرْدَ حِينَمَا يَنْقُضِي الصَّيِّ
كَمْ نَذَبْنَا الشَّبَابَ حِينَ تَوَلَّى
كَتَبَ اللَّهُ أَنْ يَعِيشَ غَرِيبًا
لَا تَرَى فَوْقَ قِمَّةِ الطُّودِ إِلَّا
كُلُّ ذَاتِ الْجَنَاحِ طَيْرٌ، وَلَكِنْ
كَمْ رَأَيْنَا فِي النَّاسِ مَنْ يُبْهِرُ الْعَيْنَ

يَمْلَأُ الْأَرْضَ وَالسَّمَاءَ رِيَاءً وَعُيُوبَ الزَّمَانِ مِلءُ عِيَابِهِ^{١٣}

نَقَدَ النَّاسَ (قَاسِمًا) فَرَأَوْهُ
حُجَّةَ الْجَاهِلِ الْمِرَاءِ، فَإِنْ شَا
قَدْ يَغْشَى الْوَجْدَانُ بَاصِرَةَ الْعَقْدِ
صَالَ بِالرَّأْيِ (قَاسِمٌ) لَا يُبَالِي
كَمْ جَرِيءٍ لَا يَرْهَبُ السَّيْفَ إِنْ سَلَّ
وَالشُّجَاعُ الَّذِي يُجَاهِرُ بِالْحَقِّ،
كَيْفَ يَهْدِي النَّصِيحُ إِنْ رِيحَ يَوْمًا
وَطَرِيقُ الْإِصْلَاحِ فِي كُلِّ شَعْبٍ
يَعْتَشُقُ الشَّعْبُ مِنْ يَدْلَلُهُ زُو

أَصْبَرَ النَّاسَ فِي تَجَرُّعِ صَابِهِ^{١٤}
ءَ سُمُوءًا، أَمَدَهَا بِسَبَابِهِ^{١٥}
لِ، فَيُعْجِمِيهِ عَنْ طَرِيقِ صَوَابِهِ
وَمَضَى فِي طَرِيقِهِ غَيْرَ أَبِه
لِ وَنَكَسَ يَخَافُ مَسَّ قَرَابِهِ
وَلَوْ كَانَ فِيهِ مُرٌّ عَذَابِهِ
مِنْ قَلَى مَنْ يُحِبُّ أَوْ إِغْضَابِهِ؟^{١٦}
عَسِرُ الْمُرْتَقَى عَلَى مُجْتَابِهِ
رَا، بِمَذْقٍ مِنْ سُخْفِهِ وَكِذَابِهِ^{١٧}

قُمْتَ لِلْجَهْلِ تَقْلِيمُ الظُّفْرِ مِنْهُ
فِي زَمَانٍ كَانَ الْقَدِيمُ بِهِ قَدْ
يَا نَصِيرَ النِّسَاءِ، وَالَّذِينَ سَمَحُ
قَدْ خَشِينَا عَلَى الْحَمَائِمِ فِي الدُّو
إِنْ أَرَدْتَ الظُّبَاءَ تَمَرُّحُ فِي السَّهْ
كَمْ ضِرَاءٍ وَسَطَ الْمَدَائِنِ أَنْكَى
وَشَبَاكِ، مِنَ الْجَرَائِمِ وَالْخُتْلِ،
وَإِذَا مَا الْحَيَاءُ لَمْ يَسْتُرِ الْحُسْنَ،

وَتَفُضُّ الْحِدَادَ مِنْ أَنْيَابِهِ^{١٨}
سَا، يُذَادُ الْجَدِيدُ عَنْ مَحْرَابِهِ^{١٩}
لَوْ وَعَيْنَا السَّرِيَّ مِنْ آدَابِهِ^{٢٠}
حِ، أَطَافِيرَ بَارِهِ أَوْ عُقَابِهِ^{٢١}
لِ، فَطَهَّرَ أَكْنَافَهُ مِنْ ذَنْبِهِ^{٢٢}
مِنْ ضِرَاءِ الضَّرْعَامِ فِي وَسْطِ غَابِهِ!^{٢٣}
حَوَاهَا شَيْطَانُهُمْ فِي جِرَابِهِ^{٢٤}
فَمَاذَا يُفِيدُهُ مِنْ نِقَابِهِ؟

قُمْتَ تَدْعُو الْبَنَاتِ لِلْعِلْمِ فَاَنْظُرْ
وَزَهَا النَّيْلُ بَابِنَةِ النَّيْلِ فَاخْتَا
وَعَدَا الْبَيْتُ جَنَّةً بِالَّتِي فِيهِ،
يَا فَتَى الْكُرْدِ، كَمْ بَزَزْتَ رِجَالًا

كَيْفَ حَلَقْنَ فَوْقَ شَمِّ هَضَابِهِ^{٢٥}
لِ، يَجُرُّ الذُّيُولَ مِنْ إِعْجَابِهِ
خَصِيبًا بِالْأُنْثَى بَعْدَ يَبَابِهِ^{٢٦}
مِنْ صَمِيمِ الْحَمَى، وَمِنْ أَعْرَابِهِ!^{٢٧}

نَسَبُ الْمَرْءِ مَا يَعُدُّ مِنَ الْأَعْدَاءِ
كَمْ سُؤَالٍ بَعَثَتْ إِثْرَ سُؤَالٍ
كُنْتُ فِي الْحَقِّ لِلْإِمَامِ نَصِيرًا
نَمْ هَنِيئًا، فَمِصْرُ نَالَتْ ذُرَا الْمَجْدِ
مِنْكَ عَزْمُ الدَّاعِي، وَفَضْلُ الْمُجَلِّي
حَمَالٍ، لَا مَا يَعُدُّ مِنْ أَنْسَابِهِ
أَيَقُظُ النَّائِمِينَ رَجْعُ جَوَابِهِ
وَالْوَفَى الصَّفِيَّ مِنْ أَصْحَابِهِ^{٢٨}
د، وَفَارَتْ بِمَحْضِهِ وَلِبَابِهِ^{٢٩}
وَمِنْ اللَّهِ مَا تَرَى مِنْ ثَوَابِهِ^{٣٠}

هوامش

- (١) النعاب: صوت الغراب.
- (٢) حباب: حباب الماء بفتح الحاء نفاخاته التي تعلقه.
- (٣) الدسر: خيوط تشد بها ألواح السفينة. واحدها دسار ككتاب. عبابه: أمواجه.
- (٤) طول له: أمهله. مدى: غاية. آراب: جمع إرب وهو الحاجة والمطلب.
- (٥) الشكاة: الشكوى. أوصاب: جمع وصب المرض.
- (٦) الضلة: بكسر الصاد عدم الهدى. الخضاب: صبغ يوضع على الشعر لإخفاء الشيب.
- (٧) أعقاب: جمع عقب وهي مؤخر القدم.
- (٨) رمت: أردت. السنأ: الضوء. هالني: أزعجني. شعابه: جمع شعب وهو الطريق في الجبل.
- (٩) إشارة إلى وفاة نجل الشاعر البكر عام ١٩٣٥م.
- (١٠) النصاب: المقدار المعين.
- (١١) النتيج: الصوت. الخضم: البحر العظيم. النوء: النجم مال للغروب أو سقوط النجم في المغرب مع الفجر، وطلوع آخر يقابله من ساعته في المشرق وكانت العرب تنسب الرياح والأمطار إلى النوء، والمراد هنا العواصف التي تنشأ عن النوء.
- (١٢) قاسم: هو الرجل الاجتماعي العظيم الذي دافع عن المرأة المصرية طول حياته، وبذل في سبيل تحريرها جهدًا كبيرًا وقوة فتية حتى تنهض إلى مكانة سامية، وألف في سبيل تحريرها كتابيه: تحرير المرأة، والمرأة الجديدة. وهو من أصل كردي ولد سنة ١٨٦٥م، وبعد أن فاز بقسط كبير من العلم في مصر سافر إلى فرنسا، وهناك درس الحقوق ثم رجع إلى مصر في سنة ١٨٨٥م وعين قاضيًا بالحاكم الأهلية، ثم مستشارًا

واشترك في إنشاء الجامعة المصرية وتوفي سنة ١٩٠٨ م. تفرع: فرع القوم علاهم بالشرف والجمال.

(١٣) الرياء: أن تظهر للناس غير ما أنت عليه؛ لتخدعهم عن حقيقة أمرك. عيابه: عياب جمع عيبة وهي الحقيبة.

(١٤) تجرع: من جرعت الماء كنفع جرعا إذا بلعته، والجرعة من الماء كاللقمة من الطعام. صابه: الصاب عصارة شجر مر.

(١٥) المرء: من ماريته أماريه مماراة ومراء: جادلته بالحق أو بالباطل.

(١٦) ريع: خاف وفزع. القلى: البغض.

(١٧) يُدَلِّلُهُ: يرضي رغباته. مذاق: المذاق الخلط. سخفه: سخف الثوب سخفاً وسخافة

رق لقلّة غزله، فهو سخيّف ومنه قيل: رجل سخيّف وفي عقله سخف أي: نقص والمراد بالسخف هنا الهراء من الكلام، الكذاب: الكذب.

(١٨) تقلم: قلمت الظفر قطعته وما يسقط منه يسمى القلامة. الحداد: جمع حديد

القوى. وناب حديدة أي: حادة قوية. فض الله فاه: نثر أسنانه.

(١٩) القدس: الطهر والمراد به هنا الشيء الذي لا يحل تغييره وتبديله. يذاذ: يدفع

ويطرده. المحراب: صدر المجلس أو محراب المسجد أو المسجد نفسه.

(٢٠) سمح: يسر. وعينا: أدركنا. سرى الآداب: شريفها وعاليها.

(٢١) الحمام: جمع حمامة. الدوح: الشجر العظام ومفرده دوحة. الباز: طير

جارج وكذا العقاب.

(٢٢) الأطباء: جمع ظبية. تمرح: ترتع وتلعب. السهل: الأرض المستوية. أكنافه:

جمع كنف وهو الجانب.

(٢٣) ضراء: من ضرى الكلب بالصيد ضراء بكسر الضاد وفتحها فهو ضار إذا

تعوده، والمراد هنا بالضراء الجرأة والفتك. أنكى: من قولهم: نكيت في العدو من باب

رمى إذا قتلت وأتخنت والاسم منه النكاية، والمراد بأنكى هنا: أشد وأبلغ. الضرغام: الأسد. الغاب: جمع غابة.

(٢٤) الختل: الخداع والمكر.

(٢٥) حلق الطائر: طار في دوران. شم: جمع شماء وأشم، والشم ارتفاع في الجبل

والأنف، وشم الهضاب مرتفعها.

(٢٦) يبابه: اليباب: القفر.

(٢٧) فتى الكرد: قاسم؛ لأنه كردي الأصل من بلاد كردستان أقليم من أقاليم العراق يقع جزء منه بين دجلة والفرات. بززت: غلبت. صميم: خالص. الحمى: المراد بالحمى هنا مصر.

(٢٨) الإمام: المرحوم الشيخ محمد عبده. الصفي: المختار.

(٢٩) الذرا: جمع ذروة: وهي أعلى كل شيء. المحض: الخالص. اللباب: لب النخلة قلبها.

(٣٠) المجلى: السابق من أفراس الطلبة.

دَارُ الْعُلُومِ

احتفل كبار خريجي دار العلوم في شهر أغسطس سنة ١٩٢٧م بانقضاء خمسين عامًا منذ إنشائها. وقد حضر هذا الحفل الجامع عليه رجال مصر، وخيرة علمائها وأدبائها. وأنشد الشاعر هذه القصيدة في هذا المهرجان:

يا خَلِيلَيَّ خَلِيَانِي وَمَا بِي	أَوْ أَعِيدَا إِلَيَّ عَهْدَ الشَّبَابِ
حُلُمٌ قَدْ مَضَى، وَأَيَّامُ أَنْسِ	نَهَبْتُ غَيْرَ مُزْمَعَاتِ الْإِيَابِ
وَأَزَاهِيرُ كُنَّ تَاجَ عَرُوسِ	غُفِّرْتُ بَعْدَ لَيْلَةٍ فِي التُّرَابِ
وَبَسَاطُ لِلشَّارِبِينَ يُصَلِّي	فِيهِ إِبْرِيْقُهُمْ بِلَا مَحْرَابِ ^١
فِي حَدِيثِ أَحْلَى مِنَ الْأَمَلِ الْحُلْ	وِ وَأَصْفَى دِيْبَاجَةٍ مِنْ شَرَابِ ^٢
كُلُّ فَصْلٍ كَأَنَّهُ صَفْحَةُ الرَّؤْ	ضِ وَعِنْدَ الْعُقَارِ فَصْلُ الْخِطَابِ ^٣
وَمُجُونٌ يَحُوطُهُ الْأَدَبُ الْجَمْ	مُ فَمَا رَاعَهُ اللِّسَانُ بَعَابِ
يَتَغَنَّوْنَ بِالنُّوَاسِي حِينَا	وَبِشْغَرِ الْفَتَى أَبِي الْخِطَابِ ^٤
كُلَّمَا هَزَّتِ الْمُدَامُ يَدِيهِمْ	فَنَهَقَتْ ثُلَّةً مِنَ الْأَكْوَابِ ^٥
صَاحَ فِيهِمْ دِيكُ الصَّبَاحِ فَطَارُوا	كُلُّ جَمْعٍ لِفَرْقَةٍ وَاغْتَرَابِ!

يَا شَبَابًا أَقَامَ أَقْصَرَ مِنْ حَسَوَةٍ	طَيْرٍ عَلَى وَحْيٍ وَارْتِيَابِ ^٦
لَكَ عُمْرُ النَّدَى يَطِيرُ مَعَ الشَّمْسِ	وَعُمْرُ الْبُرُوقِ بَيْنَ السَّحَابِ
كُنْتُ فِيْنَا كَمَا لَمَحْنَا حَبَابًا	فَنَظَرْنَا فَلَمْ نَجِدْ مِنْ حَبَابِ ^٧

وَعَرَفْنَاكَ مُذْ ذَهَبْتَ كَمَا يُعْرِفُ
مُذْ خَلَعْنَا ثِيَابَكَ الْقُشْبَ
وَرَأَيْنَا فِي لَوْنِكَ الْفَاحِمَ اللَّمَّا
أَيْنَ لَوْنُ الْحَيَاةِ وَالْقَهْرِ وَالْقُوَّةِ
فَضْلُ النُّبُوغِ بَعْدَ الذَّهَابِ
لَمْ نَنْعَمْ بِشَيْءٍ مِّنْ مُنْفَسَاتِ الثِّيَابِ^٨
حِ هُزُوا بَلَوْنِ كُلَّ خِصَابِ
مِّنْ لَوْنٍ نَاصِلِ الْأَعْشَابِ؟^٩

يَا سَوَادَ الْعُيُونِ! يَا حَبَّةَ الْقَلْبِ!
سَرَقَ اللَّيْلُ مِنْكَ لَوْنًا فَاْمَسَى
وَرَأَى فِيكَ أَحْمَدَ لَوْنٍ كَافُو
بَسْمَةِ لِلزَّمَانِ أَنْتَ، تَلَتَهَا
كُلَّمَا رُمْتُ خَدْعَ نَفْسِي بِنَفْسِي
رَبِّ صَدَقَ تَوَدُّ لَوْ كَانَ كِذْبًا
لَيْتَ لِي لَمَحَّةَ أُعِيدُ بِهَا مِنْ
حَيْثُ أَخْتَالُ نَاضِرَ الْعُودِ بَسًا
فِي صَحَابِ مِثْلِ الدَّنَانِيرِ لَا تَبِ
بِوُجُوهِ غُرٍّ تَرَاهَا فَتَنْتَلُو
تَسْبِقُ الْخَطْوَ لِلشُّرُورِ وَثَابًا
وَتَجُرُّ الذُّيُولَ فِي غَيْرِ نُكْرٍ
إِنْ دَعَانَا الْهَوَى لِعَیْرِ سَيِّدٍ
زَيْنَبُ، أَيْنَ مِنْكَ زَيْنَبُ، وَالشَّمْلُ
وَبَنَاتُ الثُّغُورِ يَلْعَبْنَ بِالْأَلْـ
يَنْظَاهِرْنَ بِالْحِجَابِ، وَهَلْ أَدَّ
كَمْ وَجُوهُ تَنْقَبَتْ بِسُفُورٍ
أَيْنَ تِلْكَ الْأَيَّامُ؟ بَانَتْ وَبَنَّا

وَيَا خَالَ كُلِّ خَوْدٍ كَعَابِ!^{١٠}
مَسْرَحَ اللَّهِوَ مَوْطِنَ الْإِطْرَابِ
رَفَعْنِي خَوَالِدَ الْآدَابِ^{١١}
كَثْرَةُ لِلزَّمَانِ عَنْ أَنْيَابِ
كَشَفَتْ لِي الْمِرْآةَ وَجَهَ الصَّوَابِ
وَكِذَابِ لَوْ كَانَ غَيْرَ كِذَابِ!
لَكَ بَقَايَا تِلْكَ الْأَمَانِي الْعَذَابِ
مَا كَثِيرَ الْهَوَى قَلِيلَ الْعِتَابِ
لَى مَوَدَّاتِهِمْ بِطُولِ الصَّحَابِ
فِي أَسَارِيرِهَا سَطُورَ كِتَابِ^{١٢}
لَا تُنَالِ الْمُنَى بِغَيْرِ الْوَثَابِ
طَاهِرِي النَّفْسِ طَاهِرِي الْجِلْبَابِ^{١٣}
سَدَدْنَا كَرَائِمَ الْأَحْسَابِ
جَمِيعَ وَالْعَيْشِ خُصْبُ الْجَنَابِ؟^{١٤}
بَابِ لِعَبِّ الشُّمُولِ بِالْأَلْبَابِ^{١٥}
كَى الْجَوَى غَيْرُ لَوْمَ ذَاكَ الْحِجَابِ؟^{١٦}
وَوُجُوهُ قَدْ أَسْفَرَتْ بِنَقَابِ!
وَتَوَلَّتْ بَشَاشَةُ الْأَحْبَابِ!^{١٧}

لَيْتَ شِعْرِي، أَيْزَجُ الْأَمْسِ عَهْدًا
عَهْدَ دَارِ الْعُلُومِ، أَنْتَ يَدُ الدَّهْرِ
غَصَبَتْهُ الْأَيَّامُ أَيَّ اغْتِصَابِ؟
رَ، جَمَالُ الدُّهُورِ وَالْأَحْقَابِ^{١٨}

إِنْ ذَكَّرْنَاكَ هَزَنًا الشُّوقَ لِلشُّو
أَنْتَ خِذْنِ الشَّبَابَ، بَيْنَكُمَا فِي الـ
فَكَأَنِّي أَرَى الزَّمَانَ وَقَدْ دَا
وَأَرَى «الْجَارِمَ» الْفَتِيَّ يَقُودُ الـ
وَأَثْبًا لَاهِيًا، لَعُوبًا ضَحُوكًا
وَأَثَقًا بِالْإِلَه، لَيْسَ يَرَى الصَّعْبَ
فَهُوَ كَالطَّائِرِ الطَّلِيْقِ فَحِينًا
عَابَثَ بِالْغُصُونِ فِي ظِلِّ رَوْضٍ
يَحْمِلُ الْكُتُبَ فِي الصَّبَاحِ، وَلَيْلًا
رَأْسُهُ رَأْسُ مَالِهِ، وَامْتِلَاءُ الرَّأ
كُلُّ يَوْمٍ فِي الْامْتِحَانَاتِ هَيْنٌ

قِ وَلَهُوَ اللَّذَاتِ وَالْأَتْرَابِ^{١٩}
وَهُمْ قُرْبَى وَشَيْجَةُ الْأَنْسَابِ^{٢٠}
رَ وَعَادَ الصَّبَا نَضِيرَ الْإِهَابِ^{٢١}
حَشَدَ فِي جَحْفَلٍ مِنَ الطُّلَابِ
غَيْرَ مَا وَاجِلٍ وَلَا هَيَّابِ^{٢٢}
سَوَى أَنْ تَهَابَ خَوْضَ الصَّعَابِ
فِي وَهَادٍ وَمَرَّةً فِي هَضَابِ
حَاكَ أَفْوَاقَهُ مُلِثُ الرَّبَابِ^{٢٣}
مَالٍ فِي صَدْرِهِ نَتِيجُ الْعُبَابِ^{٢٤}
سَ خَيْرٌ مِنْ امْتِلَاءِ الْوُطَابِ^{٢٥}
خَطْبُهُ غَيْرَ خَطْبِ يَوْمِ الْحِسَابِ^{٢٦}

إِيهِ دَارُ الْعُلُومِ، كُنْتُ بِمَضْرٍ
فِي زَمَانٍ مَن كَانَ يُمْسِكُ فِيهِ
أَنْتِ أُمُّ الْأَشْبَالِ، إِنْ غَابَ لَيْثٌ
تَلْدِينَ الْبَنِينَ مِنْ كُلِّ مَاضٍ
شَاعِرٍ يُنْصِتُ الْوُجُودُ إِذَا قَا
شِعْرَهُ زَفَرَةُ الْغَرَامِ، تَعَالَتْ
تَتَغَنَّى بِهِ الْعَذَارَى فَيُبْعَثْنَ
تَخَذَتْ فِيكَ بِنْتُ عَدْنَانَ دَارًا
عَادَهَا الْحُسْنُ فِي ذَرَاكِ وَرَوَا
وَعَدَتْ فِي عُكَازٍ بَيْنَ شُيُوخٍ
خَلَعُوا فِي طُلَابِهَا جِدَّةَ الْعُمَرِ،
وَدَنُوا مِنْ خِبَائِهَا فَارْتَنَهُم

فِي ظِلَامِ الدُّجَى ضِيَاءَ الشَّهَابِ^{٢٧}
قَلَمًا عَدَّ أَكْتُبَ الْكِتَابِ!
صَالَ لِلْحَقِّ بَعْدَهُ لَيْثٌ غَابَ
شَمْرِيٍّ مُزَاجِمٍ وَثَّابِ^{٢٨}
لَ وَيَهْتَزُّ هِزَّةَ الْإِعْجَابِ
عَنْ قُبُودِ الْأَوْتَادِ وَالْأَسْبَابِ^{٢٩}
الْهَوَى بَعْدَ صَحْوَةٍ وَمَتَابِ^{٣٠}
ذَكَّرْتُهَا بَدَاوَةَ الْأَعْرَابِ^{٣١}
هَذَا عَلَى غَلَّةٍ نَمِيرُ الشَّبَابِ^{٣٢}
فَتَنَنْتَهُمْ بِسِحْرِهَا الْخُلَابِ^{٣٣}
وَقَدَّرُ الْمُطْلُوبُ قَدْرُ الطُّلَابِ^{٣٤}
تَمَرَاتِ النَّهْيِ وَسِرِّ الْكِتَابِ^{٣٥}

لَكَ دَارُ الْعُلُومِ فِي كُلِّ نَفْسٍ
أَثَرُ الْقَيْنِ فِي صِقَالِ الْحِرَابِ^{٣٦}

حَسْبُ مُطْرِيكَ أَنَّ كُلَّ نَجِيبٍ
أَنْتِ كَالنَّيْلِ، كُلَّمَا مَسَّ جَدْبًا
كَيْمِيَاءُ الْعُقُولِ أَنْتِ، تَصَوِّغِي
إِنَّ خَمْسِينَ حِجَّةً قَدْ كَفَتْ
نَهَضَتْ مِصْرُ نَهْضَةِ النَّسْرِ فِيهَا
كُلُّ عَامٍ كَأَنَّهُ خُطْوَةُ الْجَبَّارِ
كُلُّ عَامٍ كَأَنَّهُ عَلِمَ النَّصْرُ
كُلُّ عَامٍ كَطَالِعِ السَّعْدِ شَمْنَا
كُلُّ عَامٍ كَالْفَجْرِ يَهْزِمُ لَيْلًا
كُلُّ عَامٍ كَأَنَّهُ الْأَمْلُ الضَّا
كُلُّ عَامٍ كَوَافِدِ الْغَيْثِ تَلْقَا
نَفْحَةً مِنْ رِجَالِكَ الْأَنْجَابِ
هَزَّهُ بِالنَّمَاءِ وَالْإِخْصَابِ
نَضَارًا مِنَ النَّحَاسِ الْمُذَابِ^{٢٧}
مِنْكَ لِمَلَأَ الدُّنْيَا بِكُلِّ عُجَابِ^{٢٨}
وَأَسْتَوَتْ فَوْقَ مُسْتَقَرِّ الْعُقَابِ^{٢٩}
أَوْ وَثَبَتْ الْأَسْوَدُ الْغِضَابِ
بِكُفِّ الْمُظْفَرِ الْغَلَّابِ
هُ عَلَى طُولِ غَيْبَةٍ وَاحْتِجَابِ^{٣٠}
نَابِغِي الْهُمُومِ وَالْأَوْصَابِ^{٣١}
حِكْ، وَافَاكَ بَعْدَ طُولِ ارْتِقَابِ
هُ وَجُوهُ الرِّيَاضِ بِالْتِرْحَابِ

* * *

لَا تَهَابِي دَارَ الْعُلُومِ مُلِمًّا
إِنَّ فِي مِصْرٍ لَوْ عَلِمَتْ قُلُوبًا
سَتَنَالِينَ بِالْمَلِكِ فَوَادٍ
لَا تُرَاعِي وَفِي الْكِتَابَةِ سَعْدٌ
وَاطْلُبِي الْخَيْرَ وَالْمُنَى مِنْ فَوَادٍ
لَا خَلَتْ مِصْرٌ مِنْ نَدَاهُ فَقَدْ صَا
آفَةُ الْمَجْدِ وَالْعُلَا أَنْ تَهَابِي^{٣٢}
وَاجْفَاتِ لِقَلْبِكَ الْوَجَابِ^{٣٣}
كُلَّ مَا تَرْتَجِينَ مِنْ آرَابِ^{٣٤}
بَيْنَ أَشْبَالِهِ الشَّدَادِ الصَّلَابِ^{٣٥}
نَاصِرِ الْفَضْلِ، نَاصِرِ الْآدَابِ
رَعْنَانَ الْقُلُوبِ طَوَّقَ الرُّقَابِ^{٣٦}

هوامش

- (١) يريد بصلاة الإبريق: ميله في أيدي الشاربين ليصبوا منه الخمر ثم اعتداله. تشبيهاً بركوع المصلي واستوائه. المحراب: مكان الإمام في المسجد.
- (٢) ديباجة الشيء: رواؤه ومظهره.
- (٣) الفصل: القطعة من الحديث. صفحة الروض: ما بدا لك منه موشى بالزهر والنور. العقار: الخمر. فصل الخطاب: الكلام يسمو فلا يدرك له شأ ولا مدى.
- (٤) النواصي: هو أبو نواس الحسن بن هانئ الشاعر المتفنن الجاد الماجن، ولد بقرية من كور خوزستان سنة ١٤٥هـ. وتوفي ببغداد سنة ١٩٩هـ. وأبو الخطاب: هو

عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة القرشي، أشعر قريش وأرق أصحاب الغزل وأوصف الشعراء لأحوال النساء، ولد بالمدينة ليلة مات عمر بن الخطاب، ومات محترقاً في سفينة سنة ٩٣هـ. وخص النواصي وأبا الخطاب لما عرف من الأول من مجونه ووصفه للخمر، وعن الثاني من غزله وتشبيبه.

(٥) المدام: الخمر. القهقهة: ارتفاع الصوت بالضحك. التلة: الجماعة.

(٦) حسوة الطير: المرة من شربه، ولا تكون إلا بمقدار ما يضع منقاره في الماء ثم يرفعه في عجلة وخوف شأن الذي يشغله ما يريبه. فهو يخاف أن يؤتى من مأمنه. الوحي: العجلة والسرعة. الارتياب: الشك.

(٧) الحباب: الفقاقيع تعلو سطح الماء.

(٨) القشب: الجديدة من الثياب، الواحد: قشيب. منفسات الثياب: النفيس المرغوب فيه منها.

(٩) القهر: الغلبة والاستطالة. ناصل الأعشاب: الذابل الذي ذهب لونه.

(١٠) سواد العيون: أعز شيء فيها. حبة القلب: سويداءه. الخال: الشامة السوداء

في الخد. والخود الشابة الحسنة الخلق الناعمة. الكعاب: الناهدة الثديين.

(١١) أحمد: هو أبو الطيب أحمد بن الحسين المتنبي، الشاعر الحكيم، صاحب

الأمثال السائرة، والمعاني النادرة. ولد بالكوفة سنة ٣٠٣هـ ومات مقتولاً سنة ٣٥٤هـ.

وكافور: هو أبو المسك الإخشيدي كان أسود اللون. تولى كافور ملك مصر سنة ٣٥٥هـ

وبقي عليها إلى أن مات سنة ٣٥٧هـ. وكان أبو الطيب اتصل بكافور ومدحه. رجاء أن

ينال عنده ما لم ينل عند غيره.

(١٢) غر: بيض. يصفها بالسماحة والطلاقة. أسارير الوجه: غضونه وخطوطه.

(١٣) نجر الذبول: أي نمشي في تيه واختيال.

(١٤) زينب: كنى بها الشاعر عن المحبوبة. الجنا ب: الناحية. خصب الجنا ب: أي

معشب النواحي مخضرها. وهو كناية عن رغد العيش وخفضه.

(١٥) بنات الثغور: يشير إلى موطنه الأول رشيد، وهي ثغر من الثغور المصرية

المعروفة بجمال خودها، وحسن عيدها، ويذكر أيامه الأولى بها. الألباب: العقول. الشمول:

الخمر.

(١٦) الحجاب: ما تضعه المرأة على وجهها تستره به. الجوى حرقه الوجد وشدته.

إذكاء الجوى: إشعاله وإيقاده.

- (١٧) بانث وبنا: انقطعت عنا وانقطعتنا عنها. تولت بشاشة الأحباب: أي حرمتنا الهرم والكبر أنس الشباب وبشره.
- (١٨) يد الدهر: أي طول الزمان. الأحقاب: السنون.
- (١٩) هزنا الشوق: استخفنا وحركنا، اللدات والأتراب: الماثلون لك في سنك.
- (٢٠) الخدن: الصديق. وشيجة: مشتبكة لا انفصام لها.
- (٢١) وقد دار: أي عاد بنا إلى سيرتنا الأولى من الصبا والشباب. الإهاب: الجلد. نضرة الإهاب: دليل الشباب والقوة.
- (٢٢) الواجل: الخائف. الهياب: غير المقدام الذي يفقد الجرأة رعباً وفزعاً.
- (٢٣) الأفواف: ضروب من برود اليمن. تشبه الأزهار بها. ملث الرباب: السحاب المطر.
- (٢٤) العباب: الموج. نئجه: صوته.
- (٢٥) الوطاب: جمع وطب (بالفتح) وهو سقاء اللبن. يكنى بامتلاء الوطاب عن الغنى وبامتلاء الرأس عن العلم!
- (٢٦) خطبه: خطره وشدته. يوم الحساب: يوم البعث. ويريد به هنا يوم امتحان الحساب.
- (٢٧) ظلام الدجى: يريد به ظلمة الجهالة التي كانت تخيم على مصر، ويخبط فيها المصريون. الشهاب: أحد نجوم سبعة تعرف بالدراري.
- (٢٨) الماضي: المقدام الذي لا يثنيه شيء. الشمري: (بفتح الشين والميم أو بكسرهما) المجرب الجريء غير الهياب. المزاحم: الذي يغالب غيره ويقوى عليه. الوثاب: السباق إلى الغايات.
- (٢٩) زفرة الغرام: جعل الشعر كزفرة المغرم حري صادقه التعبير عما يختلج في النفس، ويجيش في الصدر. الأوتاد: جمع وتد، وهو عند العروضيين على ضربين: مجموع ومفروق، فالمجموع هو كل ثلاثة أحرف سكن ثالثها، والمفروق كل ثلاثة أحرف سكن ثانيها. الأسباب: جمع سبب وهو كل حرفين تحركا أو سكن ثانيهما، ويسمى الأول منهما ثقيلًا والآخر خفيفًا. والأوتاد والأسباب ما تتألف منها التفعيلات في الشعر.
- (٣٠) العذارى: الأبكار، الواحدة: عذراء. الصحو: الإقلاع عن الهوى والخلاص من أسباب المجون. المتاب: التوبة.
- (٣١) فيك: يخاطب دار العلوم. بنت عدنان: اللغة العربية، نسبة إلى عدنان الجد الأعلى للعرب. بداوة الأعراب: إقامتهم في البادية.

(٣٢) ذراك: نواحيك. الغلة: العطش أو شدته. النمير: الزاكي من الماء الناجع في الري.

(٣٣) عكاظ: سوق للعرب بين نخلة والطائف، وكانت تقوم هلال ذي القعدة وتستمر عشرين يوماً، تجتمع فيها قبائل العرب فيتعاكضون، أي: يتناشدون ويتفاخرون. الخَلَاب: الذي يأسر الألباب ويستهوئها.

(٣٤) طلابها: طلبها وتعلمها. جدة العمر: أوائله. ويريد أيام الشباب ومقتبله. وخلع جدة العمر: كناية عن إفناء الشباب وبذله.

(٣٥) الخباء: البيت يصنع من وبر أو شعر أو صوف.

(٣٦) القين: الحداد. صقال الحراب: شحذها وإعدادها.

(٣٧) النضار: الذهب. والكيمياء فيما كانوا يزعمون تصيير المعادن الخسيسة ذهباً.

(٣٨) الحجة: السنة.

(٣٩) العقاب: طائر لا يتخذ وكره إلا في أعالي الجبال.

(٤٠) طالع السعد: فأله وما يجيء بشيراً به ودليلاً عليه. شمناه: نظرناه.

(٤١) نابغي الهموم: كثيها شديدها. وهو نسبة إلى النابغة الذبياني الشاعر

المعروف، ويشير إلى قول النابغة في وصف الليل:

كليني لهم يا أميمة ناصب وليل أقاديه بطيء الكواكب

الأوصاب: الآلام.

(٤٢) ملماً: شيئاً ينزل بك مما تكرهين وتخافين، يشير إلى الفكرة التي نبتت في

ذلك الوقت بإلغاء دار العلوم.

(٤٣) واجفات: مضطربة شفقة عليك. الوجاب: الخفاق.

(٤٤) فؤاد: هو الملك أحمد فؤاد الأول. الآراب: جمع أرب. وهو البغية والمأرب.

(٤٥) لا تراعي: لا تخافي ولا يملأ الرعب نفسك. الكنانة: مصر. سعد: هو سعد

زغلول باشا زعيم النهضة.

(٤٦) الندى: الكرم والمعروف. العنان: ما تقاد به الدابة. والطوق: ما يكون حول

العنق.

مَوْلِدُ الْفَارُوقِ

نظم الشاعر هذه القصيدة بمناسبة احتفال البلاد بذكرى مولد الملك فاروق آخر ملوك مصر سنة ١٩٤٣ م.

هاه من وحي السماء الكليما	واجعل الأيام والدنيا فَمَا
وابعث الشَّعْرَ جَنَاحِي طائر	كُلَّمَا شَارَفَ أَفْقًا دَوْمًا ^١
أَيُّ يَوْمٍ سَعِدَتْ مِصْرُ بِهِ	كان في طيِّ الأُماني حُلُمًا
مولدُ الْفَارُوقِ يَوْمٌ بَلَّغَتْ	رايةُ الإسلام فيه القِمَمَا
طاقت الأملاكُ تَرْقِي مَهْدَهُ	وَتُنَاجِي رَبَّهَا أَنْ يَسْلَمَا ^٢
فَرَأَتْ لِمَا رَأَتْهُ مَلَكًا	نورُهُ من نورِ سُكَّانِ السَّما ^٣
يُطَبِّقُ الْغَيْمُ لَدَى عَبْسِيَّتِهِ	ثُمَّ يَنْجَابُ إِذَا مَا ابْتَسَمَا ^٤
وَرَأَتْ فِي ابْنِ فَوَادٍ نَاشِئًا	يَمْلَأُ الدُّنْيَا وَيُحْيِي أُمَمًا ^٥
وَكَرِيمًا بَشَرًا اسْتَهْلَاهُ	أَنَّ فِيهِ الْهَدَى وَالْجَكَمَا ^٦
وَجَبِينًا عَلَوِيًّا مُشْرِقًا	يَبْهَرُ الْعَيْنَ وَيَمْحُو الظُّلَمَا ^٧
كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ أَسْطَرًّا	تَقْرَأُ النُّبْلَ بِهَا وَالشَّمَمَا ^٨
وَيَدًا إِنْ سَكَنْتَ فِي يَوْمِهَا	هَزَّتِ السَّيْفَ غَدًا وَالْقَلَمَا
يَتَمَنَّى الْغَيْثُ لَوْ سَاجَلَهَا	أَوْ تَلَقَّى عَنْ نَدَاهَا الْكَرَمَا ^٩
زُهَيِّ الْمَهْدُ فَمَنْ أَنْبَاهُ	أَنَّهُ يَحْوِي الْعُلَا وَالْهِمَمَا؟
وَشَدَا الْكَوْنُ لَدَى مَوْلَدِهِ	أَيْنَمَا سَرَتْ سَمِعَتْ النَّغَمَا
وَتَنَادَتْ بُشْرِيَّاتٌ بِاسْمِهِ	صُدْحًا فِي كُلِّ أَفْقٍ حَوْمًا ^{١٠}

ومضت أصدائها هاتفةً
ومشى الدهرُ إلى ساحته
والليالي خاشعاتٌ حوله
وُلِدَ السعدُ على أبوابه
فأتى التاريخُ في أبطاله
وبدا العرشُ وقد حلَّ به
ما رأى بعد سليمان له
زانه الفاروقُ من خيرٍ أب
حين عزَّ الدينُ والملكُ به
لا ترى العينُ به إلا علًا
أين شعري وفنوني من مدى
أنا من فيضٍ له مُتَّصِلِ
ليس بدعًا أن زها شعري به
أنجبت مصرُ فتاها المعلمًا^{١١}
رأسه كاد يُداني القدمًا^{١٢}
يترقبن رضاه خدما
ونما في ظلّه لمّا نما
يلمحون العبقرى الملهما
يَفْرَعُ الشمسَ ويعلو الأنجما^{١٣}
مُشبّها في عدله إن حكما^{١٤}
فدع المأمونَ والمعتصما^{١٥}
هنا المنبرُ فيه العلما
كلّما تسمو له العينُ سَمَا
لو مضى حسانُ فيه أفعما^{١٦}
أنعمُ تمضي فألقى أنعمًا
يزدهي الروضُ إذا الغيثُ هما

هوامش

- (١) شارف: أشرف عليه. أفقًا: ناحية. دوّما: حلق في طيرانه.
- (٢) الأملاك: الملائكة. ترقى: تعيذه.
- (٣) سكان السما: المقصود الملائكة.
- (٤) يطبق: يغطي. الغيم: السحاب. عبسته: تجهمه. ينجاب: ينكشف.
- (٥) ابن فؤاد: الملك فاروق ابن الملك فؤاد.
- (٦) استهلاله: مطلعته. الهدى: الهداية. الحكما: اتقان الأمور.
- (٧) علويًا: نسبة إلى محمد علي باشا رأس الأسرة العلوية. يبهر: يعجب.
- (٨) الشمم: الارتفاع والعلو والشرف.
- (٩) الغيث: المطر وفيه مجاز مرسل. ساجلها: باراها وفاخرها. نداها: جودها.
- (١٠) صدحًا: مغنيات بصوت حسن. حومًا: دائرًا حوله.
- (١١) المعلما: من له علامة تميزه في الشرف أو في الشجاعة أو نحوهما.
- (١٢) ساحته: المكان الذي هو به.

(١٣) يقرع: يعلو ويزيد علوه عليها.

(١٤) سليمان: سيدنا سليمان الحكيم لقوله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ

الْخِطَابِ﴾.

(١٥) المأمون: الخليفة المأمون بن هارون الرشيد وكان عظيمًا. المعتصم: الخليفة

المعتصم صاحب الجولات والصلوات والفتوحات العظيمة.

(١٦) من مدى: غاية. حسان: هو حسان بن ثابت شاعر الرسول ﷺ. أفحما:

أسكت وأعجز عن أن يقول شعراً.

قُبْعَةٌ بَعْدَ عِمَامَةٍ

كان الشاعر عضواً في بعثة أرسلتها الحكومة المصرية إلى إنجلترا سنة ١٩٠٨م، فأرسل وهو هناك إلى والده صورته وهو بالقبعة وكتب تحتها هذين البيتين:

لَبِستُ الآنَ قُبْعَةً بَعِيداً عن الأوطانِ، مُعتادَ الشُّجونِ
فإنَّ هِيَ غَيَّرَتْ شَكلي فَأِنِّي «متى أضع العِمَامَةَ تعرفوني»

رثاء زعيم

أنشدت هذه القصيدة في حفلة تأبين المغفور له محمد محمود باشا بدار الأوبرا عام ١٩٤١م.

جُودِي بما شئتِ من ذُوبِ الأَسَى جُودِي
أَوَدَّتْ صُرُوفُ اللَّيَالِي بِابْنِ مُحَمَّدٍ^١
أَوَدَّتْ بِأَشْجَعِ مِنْ حَفَّ الرَّعِيلُ بِهِ
يَوْمَ النَّضَالِ، وَمَنْ نَادَى وَمَنْ نُودِي^٢
أَوَدَّتْ بِمَنْ تَعْرِفُ السَّاحَاتُ كَرَّتَهُ
إِذَا تَنَكَّبَ عَنْهَا كُلُّ مَزْعُودٍ^٣
وَيَشْهَدُ الْحَقُّ أَنَّ الْحَقَّ فِي يَدِهِ
سَيْفٌ يَرُوعُ الْمَنَايَا غَيْرُ مَغْمُودٍ^٤

دَعْتَهُ مَصْرُ وَلِلْأَحْدَاثِ مَلْحَمَةٌ
وَالْخَطْبُ مَا بَيْنَ تَهْدَارٍ وَتَهْدِيدٍ^٥
وَأَنْفُسُ النَّاسِ فِي ضَيْقٍ وَفِي كَمَدٍ
كَأَنَّهَا زَفْرَةٌ فِي صَدْرِ مَعْمُودٍ^٦
حَيْرَى تَلُوذُ بِأَمَالٍ مَحْطَمَةٍ
كَمَا يَلُوذُ غَرِيمٌ بِالْمَوَاعِيدِ^٧

طارَتْ شَعَاعًا وَهَوًّا مِثْلَمَا عَصَفَتْ
هُوجُ الرِّيحِ بِرَمْلِ البِيدِ فِي الْبِيدِ^٨
وَالْجَوْ أَكْلَفُ، وَالْدُنْيَا مُقْطَبَةٌ
أَيَّامُهَا الْبَيْضُ مِنْ لَيْلَاتِهَا السَّوْدُ!^٩
وَمَصْرُ لَيْسَ لَهَا حِصْنٌ وَلَا وَرَرْ
إِلَّا الْغَطَارِيفَ مِنْ أَبْنَائِهَا الصَّيْدِ^{١٠}
لَهَا سِلَاحٌ مِنَ الْإِيْمَانِ تَشْرَعُهُ
يَنْبُو لَهُ كُلُّ مِصْقُولٍ وَمَحْدُودِ^{١١}
فَجَاءَهَا خَالِدِيَّ الْعِزْمِ فِي نَفْرِ
شُمُّ الْأُنُوفِ صِنَايِدِ مَنَاجِيدِ^{١٢}
مِنْ كُلِّ أَرْوَعِ عُنْوَانِ الْجِهَادِ بِهِ
قَلْبٌ رَكِيْنٌ، وَرَأْيٌ غَيْرُ مَخْضُودِ^{١٣}
جَاءُوا يَزَاحِمُهُمْ عِزْمٌ وَتَفْدِيَةٌ
كَمَا تَصَادِمُ جُلْمُودٌ بِجُلْمُودِ^{١٤}
كَأَنَّهُمْ حِينَمَا شَدَّوْا لِغَايَتِهِمْ
سَهْمُ الْمَقَادِيرِ فِي قَصْدٍ وَتَسْدِيدِ
صُدُورِهِمْ بِلِقَاءِ الْهَوْلِ شَاهِدَةٌ
وَالطَّعْنُ فِي الظَّهْرِ غَيْرُ الطَّعْنِ فِي الْجِدِ!^{١٥}
جَادُوا لِمَصْرَ وَفَدَّوْهَا بِأَنْفُسِهِمْ
«وَالْجُودُ بِالنَّفْسِ أَقْصَى غَايَةِ الْجُودِ»
كَمْ هَشَمَ الدَّهْرُ مِنْ سَنٍّ لِيَعْجَمَهُمْ
وَلَمْ تَزَلْ فِي يَدَيْهِ نَضْرَةُ الْعُودِ^{١٦}
إِنْ الَّذِي خَلَقَ الْأَبْطَالَ صَوَّرَهُمْ
مِنْ ثَوْرَةِ الْبَحْرِ أَوْ بِأَسِّ الصِّيَاخِيدِ^{١٧}
يَمْشِي الشَّجَاعُ لِحْدِ السِّيفِ مُبْتَسِمًا
وَيَرْهَبُ الْغِمْدَ نُعْرًا كُلُّ رِغْدِيدِ^{١٨}
كَمْ هَمَّةٌ تَفْرَعُ الْأَجْيَالَ سَامِقَةً
وَهَمَّةٌ رَكَدَتْ بَيْنَ الْأَخَايِدِ^{١٩}

وكم فتى تسبق الأيام وثبته
وللبطولة أفق غير محدود
وخامل ما لآثار الحياة به
إلا ورود اسمه بين المواليد
وميت بعث الدنيا وعاش بها
ما كل من ضمّه قبرٌ بملحد^{٢٠}!
سبحانك الله، إن تحرم فتزكية
وإن تثب فعتاء غير محدود^{٢١}
تعطي النفوس على مقدار جوهرها
ما كان الليث منها ليس للسيد^{٢٢}
والمجد عزمة أبطال مسددة
بريئة النصل من شك وترديد
وللعلا من صفات الغيد أن لها
دلاً يروغ تقريباً بتبعيد

جاءوا إليك كموج البحر غدّتهم
رأي أصيل، وصدّر غير مفئود^{٢٣}
فقدّتهم غير هياب ولا فزع
إلى لواء بحبل الله معقود^{٢٤}
تمشي بهم في فيافي الشوك معتزماً
من يطلب المجد لا يبخل بمجهود^{٢٥}
لا يستبيك سوى مصر ونهضتها
فكل شيء سواها غير موجود^{٢٦}
من يقصد النجم في علوا سماوته
نأى بجانبه عن كل مقصود
وراءك الركب في يأس وفي أمل
لما يرون، وتصديق وتفنيدي^{٢٧}

تحنو على ضعفٍ من طال الطريقُ به
حنانَ والدَةٍ تُكَلِّى بمولود
وتلمَحُ الأفقَ، هل بالأفقِ من نبأ؟
وهل من الدهرِ إنجازٌ لموعود؟
وهل طيوفُ الأماني وهي حائرةٌ
تدنو بطيفٍ من الآمالِ منشود؟
وهل ترى مصرَ صُبْحًا بعدَ ليلتها؟
وهل تَقْرُ عُيونٌ بعدَ تسهيد؟
وهل لمعتَقِلٍ في البحرِ من أملٍ
في أن يَرَى قومَه من بعدِ تشريد؟^{٢٨}
حتى بدت غُرَّةُ الدُستورِ عن كُتُبٍ
كما تبدَّى هلالُ العيدِ في العيد^{٢٩}
فأرسلتُ مصرُ بنتُ النيلِ من دِمها
ورداً تَزينُ به هامَ الصناديد^{٣٠}
وصفقت لحُماةِ الغيلِ تُنشدهم
من البطولةِ مأثورَ الأناشيد
والناسُ بينَ بشاشاتٍ وتهنئةٍ
وبينَ شكرٍ وتكبيرٍ وتحميد
جاء الزمانُ فلا قولٌ بممتنعٍ
على اللسانِ، ولا حرٌّ بمصفود^{٣١}
وأشرقَ الصبحُ والدنيا مهلَّةً
كأنَّه بَسَمَاتُ الخُرْدِ الغيد^{٣٢}
من ينصرِ الله لا جَوْرٌ يَحيدُ به
عن الطريقِ، ولا جَهْدٌ بمفقود^{٣٣}
سيكتُبُ الدهرُ، فليكتبْ! فليس يَرَى
إلا صحائفَ تَشرِيفٍ وتمجيدٍ

نَمَتْ خَلَائِقُهُ فِي بَيْتِ مَكْرُمَةٍ
فِي سُوحِ الْمَجْدُ فِينَا أُمَالِيد
بَيْتُ دَعَائِمِهِ نُبْلٌ وَتَضَحِيَّةٌ
إِذَا بَنَى النَّاسُ مِنْ صَخَرٍ وَمِنْ شِيد^{٣٤}
وَسَارَ فِي سَنَنِ الْآبَاءِ مَتَّيْدًا
أَمْرٌ مَطَاعٌ، وَرَأْيٌ غَيْرُ مَرْدُودِ^{٣٥}
وَهَمَّةٌ تَتَأَبَّى أَنْ يُقَالَ لَهَا:
إِنْ جَازَتْ النُّجْمَ فِي مَسَاعِيهَا: عَوْدِي^{٣٦}
تَجَرَّدَتْ لَصَعَابِ الدَّهْرِ وَاثِبَةً
وَيَلَّ الْمَصَاعِبِ مِنْ عَزْمٍ وَتَجْرِيدِ^{٣٧}
وَفِكْرَةٍ لَوْ تَمْشَتْ نَحْوَ مَعْضَلَةٍ
صَفَتْ مَوَارِدُهَا مِنْ كُلِّ تَعْقِيدِ
وَعَزَّةٌ نَظَرَتْ لِلْكَوْنِ مِنْ شَرْفِ
عَالٍ، يَعِزُّ عَلَى رَقِيٍّ وَتَصْعِيدِ^{٣٨}
قَالُوا: هِيَ الْكِبَرُ، قُلْتُ: الْكِبَرُ مَحْمَدٌ
إِذَا تَسَامَيْتَ عَمَّا بِالْعَلَا يُوْدِي^{٣٩}
تَرْنُو إِلَيْهِ فَتُغْضِي مِنْ مَهَابَتِهِ
فَالْطَّرْفُ مَا بَيْنَ مَوْصُولٍ وَمَصْدُودِ
خَاضَ السِّيَاسَةَ نَفَازَ الذِّكَا فَمَا
رَأْيُ بِنَابٍ، وَلَا عَزْمٌ بِمَكْدُودِ^{٤٠}
فَكَمْ لَهُ وَقْفَةٌ فِيهَا مَجْلِجَلَةٌ
وَكَمْ مَقَامٌ عَزِيزِ النُّصْرِ مَشْهُودِ!
وَكَانَ خَصَمًا شَرِيفَ الصَّدْرِ مَرْتَفَعًا
عَنِ الدُّنْيَا إِنِّ عَادَى وَإِنْ عَوْدِي
فَاسْأَلْ مُنَاصِرَهُ، أَوْ سَلْ مُخَالَفَهُ
فَلَيْسَ فَضْلُ ابْنِ مَحْمُودٍ بِمَجْهُودِ^{٤١}
لَمَّا رَمَى زُخْرَفَ الدُّنْيَا وَبَاطِلَهَا
أَلْقَتْ إِلَيْهِ الْمَعَالِي بِالْمَقَالِيدِ

خِذِ الرِّثَاءَ نَوَاحًا مَلُؤُهُ شَجَنٌ
لَمْ تَبَقْ بَعْدَكَ أَدَوَاحٌ لِتَغْرِيدِي!^{٤٢}
مَا فِي يَدِي غَيْرُ أَوْتَارٍ مُحْطَمَةٍ
يَبْكِي لَهَا الْعُودُ، أَوْ تَبْكِي عَلَى الْعُودِ
وَكُلُّ جَمْعٍ إِلَى بَيْنٍ وَتَفْرِقَةٍ
وَكُلُّ شَمَلٍ إِلَى نَأْيٍ وَتَبْدِيدٍ!^{٤٣}
أَمَسْتَ تَجَالِيدُهُ فِي جَوْفٍ مَظْلَمَةٍ
كَمْ صَوْلَةٍ وَإِبَاءٍ فِي التَّجَالِيدِ!^{٤٤}
نَمْ مَلَأَ جَفْنِيكَ فِي رُحْمَى وَمَغْفِرَةٍ
وَوَارِفٍ مِنْ ظِلَالِ اللَّهِ مَمْدُودِ
إِنَّ الْبَطُولَةَ وَالْأَجْسَادُ فَانِيَةٌ
تَبَقَى عَلَى الدَّهْرِ فِي بَعْثٍ وَتَجْدِيدِ
لَمْ يَحُلْ مِنْكَ مَكَانٌ قَدْ تَرَكْتَ بِهِ
مَا يَمْلَأُ الْأَرْضَ مِنْ ذِكْرِ وَتَخْلِيدِ

هوامش

- (١) أودت: ذهبت. صروف: نوائب وأحداث. ابن محمود: هو محمد محمود باشا وهو أحد رؤساء وزراء مصر السابقين.
- (٢) حف: طاف به. الرعيل: الجمع.
- (٣) الساحات: الميادين. كرتة: هجومه. تنكب: مال. مزعود: مذعور، خائف.
- (٤) يروع: يفزع. المنايا: الموت. غير مغمود: مسلول خارج الغمد.
- (٥) ملحمة: معركة أو وقعة عظيمة. الخطب: المصاب. تهادار: باطلاً.
- (٦) كمد: حزن مكتوم. زفرة: تنفس. معمود: شديد الحزن.
- (٧) تلوذ: تأوي. غريم: مغرم.
- (٨) شعاعاً: منتشرة، متفرقة. هولاً: فزعاً. هوج: حمق. البيد. الصحراء.
- (٩) أكلف: أسود. مقطبة: متجهمة.

- (١٠) حصن: واق، حافظ. وزر: ملجأ. الغطاريف: السادة العظماء الشجعان، الكرماء. الصيد: الرؤساء المعتزون بأنفسهم.
- (١١) تشرعه: تسنه. ينبو: يتجافى ويبعد. مصقول: سيف. محدود: ذو حد.
- (١٢) خالدي: نسبة إلى البطل الإسلامي خالد بن الوليد. شم الأنوف: عالي الهمة. صناديد: شجعان. مناجيد: معينون.
- (١٣) أروع: رجل يعجبك. عنوان الجهاد به: يعرف به الجهاد. قلب ركين: قلب له أركان عالية أي: قوي. غير مخضود: غير مقطوع أو مكسور أي: سديد.
- (١٤) تفدية: فداء. جلمود: صخر.
- (١٥) الجيد: العنق.
- (١٦) سن: عمر. ليعجمهم: يسكتهم فلا يسمع لهم صوت. نضرة العود: رونقه.
- (١٧) بأس: شدة. الصياخيد: الصخور.
- (١٨) رعديد: جبان.
- (١٩) تفرع: تزداد علوًا، أعلا من. ركدت: سكنت وهدأت. الأخاديد: الشقوق المستطيلة من الأرض.
- (٢٠) بعث الدنيا: أحيائها بعد موتها.
- (٢١) تزكية: إصلاح. تثب: تجزى. محدود: لا حدود له.
- (٢٢) جوهرها: لبها وما بداخلها. الليث: الأسد والمقصود عظماء الرجال. السيد: العوام.
- (٢٣) مفئود: من أصيب فؤاده أي: الخائف الجبان.
- (٢٤) لواء: علم. معقود: موصول.
- (٢٥) فيافي الشوك: الصحراء الممتلئة بالشوك والمراد السبل الصعبة.
- (٢٦) لا يستبيك: لا يستهويك.
- (٢٧) تفنيد: تكذيب.
- (٢٨) معتقل في البحر: المقصود زعماء مصر الذين نفاهم الإنجليز.
- (٢٩) غرة: أول.
- (٣٠) هام: رأس. الصناديد: الشجعان.
- (٣١) مصفود: مقيد.
- (٣٢) الخرد: ذات الحياء. الغيد: المرأة الشابة الحسنة.

- (٣٣) جور: ظلم.
(٣٤) شيد: ما طلي به.
(٣٥) سزن الآباء: شريعة الآباء. مئتدًا: متمهلًا.
(٣٦) تتأبى: تأنف وتمتنع.
(٣٧) تجردت: استعدت وتهيات.
(٣٨) رقي: ارتقاء.
(٣٩) تساميت: علوت. يودي: يقتل.
(٤٠) نفاذ الذكاء: حاد الذكاء. بناب: بعيد. بمكدود: متعب.
(٤١) بمجحود: بمنكر.
(٤٢) أدواح: الشجر الكبير ذو الأفرع الكثيرة.
(٤٣) بين: فراق. نأي: بعد.
(٤٤) التجاليد: جسم الإنسان وأعضاؤه.

التَّاجِيَةُ الْكُبْرَى

قيلت هذه القصيدة في تهنئة الملك فاروق بتولي سلطته الدستورية يوم الخميس ٢١ من جمادى الأولى سنة ١٣٥٦هـ/ ٢٩ يوليه سنة ١٩٣٧م.

خَشَعَتْ لَفَيْضِ جَلَالِكَ الْأَبْصَارُ وَذَكَتْ بِمِسْكٍ خِلَالِكَ الْأَشْعَارُ
وَتَوَسَّمتْ مِصرُ الْعَلَا فِي طُلْعَةٍ قَدْ حَفَّهَا الْإِجْلَالُ وَالْإِكْبَارُ^١

مَلِكِ تَغَارِ النَّيِّرَاتُ إِذَا بَدَأَ أَسْمَعَتْ أَنَّ النَّيِّرَاتِ تَغَارُ؟^٢
وَدَّتْ لَوْ اشْتَمَلَتْ بِفَضْلِ رِذَائِهِ هَيْهَاتَ ثَوْبِ الْمَجْدِ لَيْسَ يُعَارُ
شَتَّانَ بَيْنَ النَّيِّرَاتِ وَمَنْ بِهِ سُبُلُ الْبُطُولَةِ وَالْحَيَاةِ تُنَارُ
تُهْدِي الْعُيُونُ بِضَوْوِهنَّ وَضَوْءَهُ تُهْدِي الْبَصَائِرُ فِيهِ وَالْأَبْصَارُ^٣
وَلَهَا مَدَارٌ مِنْ فِضَاءٍ مُبْهَمٍ وَلَكَ الْعَلَا وَالْمَكْرُمَاتُ مَدَارُ
عُضِّي جُفُونِكَ يَا نُجُومُ فِدُونَهُ تَتَضَاءَلُ الْأَمَالُ وَالْأَقْدَارُ
أَنْتُنَّ أَقْرَبُ مُشْبِهٍ لِهَبَاتِهِ فَكَلَاكُمَا مِنْ رَاحَتِيهِ نُّارُ

مِنْ حُسْنِهِ اخْتَلَسَ الْأَصِيلُ جَمَالَهُ وَبِإِشْرِهِ تَتَبَسَّمُ الْأَسْحَارُ^٤
تَبْدُو سَجَايَا النُّبْلِ وَهِيَ قَلَائِلُ فَإِذَا حَلَلْنَ ذَرَاهُ فَهِيَ كِنَارُ
أَبْصَرْنَ فِيهِ نَصِيرَ كُلِّ كَرِيمَةٍ إِنَّ قَلَّتِ الْأَعْوَانُ وَالْأَنْصَارُ

لله يَوْمَكَ وَالضِّيَاءُ يَعْمُهُ
نَسِيتَ بِهِ الْأَمَالَ جَفْوَةً دَلَّهَا
يَوْمٌ تَمَنَّاهُ الزَّمَانُ وَطَالَ مَا
سَفَرْتُ بِهِ الْبَشْرَى فَطَاحَ قِنَاعُهَا
وَالنَّفْسُ أَغْرَى بِالْجَمَالِ مُحَجَّبًا
مَا صُبْحَ يَوْمٍ وَالسَّمَاءُ مَرِيضَةً
يَوْمٌ غَدَا بَيْنَ الدُّهُورِ مُمْلَكًا
الْأَمْسُ يَجْزَعُ أَنْ تَقْدَمَ خُطْوَةٌ
يَوْمٌ جَنَّا التَّارِيخَ فِيهِ مُدَوَّنًا
وَتَصَفَّحَ الْأَخْبَارَ يَبْغِي مِثْلَهُ
يَوْمٌ كَأَنَّ ضِيَاءَهُ مِنْ أَغْيِنِ
فَعَشِيَّتُهُ سَيَّانَ وَالْإِبْكَارِ
وَمِنْ الدَّلَالِ تَحَجَّبَ وَنِفَارُ^٦
مَدَّتْ إِلَيْهِ رُءُوسَهَا الْأَعْصَارُ^٧
عَمَدًا وَطَارَ مَعَ الْهَوَاءِ خِمَارُ^٨
إِنْ زُحِزِحَتْ مِنْ دُونِهِ الْأَسْتَارُ^٩
كَصَبَاحِ يَوْمٍ وَالنَّهَارُ نَهَارُ^{١٠}
يَوْمًا إِلَيْهِ مَهَابَةٌ وَيُشَارُ^{١١}
وَعَدَّ أَطَارَ صَوَابِهِ اسْتِخَارُ^{١٢}
لِلَّهِ مَا قَدْ ضَمَّتْ الْأَسْفَارُ^{١٣}
هَيْهَاتَ تَحْوِي مِثْلَهُ الْأَخْبَارُ
مِنْ طَوْلٍ مَا اتَّجَهَتْ لَهُ الْأَنْظَارُ

يَكْفِيهِ أَنْ يُنْمَى لِأَكْرَمِ سُدَّةٍ
بَيْتٌ لَهُ عَنَتِ الْوُجُوهَ خَوَاشِعًا
ضَمَّتْ بِهِ فَلَذَ الْقُلُوبُ فَكَوْنَتْ
الْدِينُ وَالْخُلُقُ الْمَتِينُ أُسَاسُهُ
رَحِبْتُ بِهِ السَّاحَاتُ فَهُوَ مَثَابَةٌ
غِيلٌ تَهَابُ الْأَسَدُ بَطْشَ لِيُوْثِهِ
مِنْ كُلِّ خَطَّارٍ إِلَى غَايَاتِهِ
نَذِبَ إِذَا حَلَّ الْحَبَاءُ لَغَارَةٍ
حَامَتْ نُسُورُ النَّصْرِ حَوْلَ جَبُوشِهِمْ
شُمْسُ الْعَدَاوَةِ وَالْحُسَامُ مُجَرَّدُ
سَبَقُوا وَتَوَبَّ الْحَادِثَاتِ وَبَادَرُوا
وَعَلُّوا لِنَيْلِ الْمَجْدِ كُلِّ مَطِيَّةٍ
الْخَالِدُونَ عَلَى الزَّمَانِ وَأَهْلِهِ
سَعِدَتْ بِهَا الْأَيَّامُ وَالْأَمْصَارُ^{١٤}
كَالْبَيْتِ يَمْسَحُ رُكْنُهُ وَيُزَارُ^{١٥}
بَيْتًا، فَلَا صَخْرَ وَلَا أَحْجَارُ^{١٦}
وَحِيَاطَةُ الْمَوْلَى لَهُ أَسْوَارُ^{١٧}
وَعَلَا عُلُوُّ الْحَقِّ فَهُوَ مَنَارُ^{١٨}
وَتَخُونُهَا الْأَنْيَابُ وَالْأُظْفَارُ^{١٩}
يُزْهِى بِهِ الصَّمْصَامُ وَالْخَطَّارُ^{٢٠}
أَلْقَى السَّلَاحَ الْفَارِسُ الْمِغْوَارُ^{٢١}
حَتَّى كَأَنَّ غُبَارَهَا أَوْكَارُ^{٢٢}
فَإِذَا انْطَوَى فَمَلَأَتْكَ أَطْهَارُ^{٢٣}
إِنَّ الْحَيَاةَ تَوَثَّبَ وَبَدَارُ^{٢٤}
لَوْ كَانَ نَجْمًا فِي السَّمَاءِ لَطَارُوا
تَفَنَّى الرِّجَالُ وَتَخَلَّدَ الْآثَارُ

جَاءُوا وَمِصْرُ عَفَتْ مَعَالِمَ مَجْدِهَا
 الْعِلْمُ يَخْفُقُ لِلزَّوَالِ سِرَاجُهُ
 وَالنَّاسُ فِي حَلَكِ الظَّلَامِ يَسُوقُهُمْ
 فَبَدَا (مُحَمَّدُكُمْ) فَهَبَ صَرِيْعُهُمْ
 وَالتَّفَتِ الرَّاياتُ حَوْلَ لِيَوَائِهِ
 وَأَعَادَ مَجْدَ الْأَوَّلِينَ بَعَزْمَةٍ
 إِنَّ النُّفُوسَ تَضِيقُ وَهِيَ صَغِيرَةٌ
 فَارُوقُ، عَيْدُكَ هَذَا أَدْوَاخِ الْمُنَى
 الْيُمْنُ يَسْطَعُ فِي جَبِينِ نَهَارِهِ
 رَقَصَتْ بِهِ الرَّاياتُ بِادِيَةِ الْحُلَى
 مُتَلَفِّتَاتٍ حَوْلَ رُكْبِكَ حَوْمًا
 مُتَدَلِّلَاتٍ مَا عَرَفْنَ صَبَابَةَ
 جَعَلَتْ سَمَاءَ النِّيلِ رَوْضًا أَخْضَرًا

لَا مِصْرُ مِصْرُ وَلَا الدِّيَارُ دِيَارُ^{٢٤}
 وَالْعَدْلُ مُنْذَكَ الذُّرَا مُنْهَارُ^{٢٥}
 نَحْوُ الْفَنَاءِ تَحْبُطُ وَعِثَارُ^{٢٦}
 حَيًّا، كَذَاكَ الْبَعْثُ وَالْإِنْشَارُ^{٢٧}
 وَدَعَا الْغُفَاةَ إِلَى الْمَسِيرِ فَسَارُوا^{٢٨}
 إِيْرَادُهَا لِلَّهِ وَالْإِضْدَارُ^{٢٩}
 وَيَضِيقُ عَنْهَا الْكُونُ وَهِيَ كِبَارُ
 وَتَعَطَّرَتْ بِعَبِيرِهِ الْأَرْهَارُ
 وَالسَّعْدُ كَوُكْبُ لَيْلِهِ السَّيَّارُ
 الْحُبُّ رَنَحَهَا وَالْأَسْتَبْشَارُ
 لَا يَسْتَقِرُّ لَوْجِدِهِنَّ قَرَارُ^{٣٠}
 نَشَوَى وَمَا لَعِبَتْ بِهِنَّ عَقَارُ^{٣١}
 هَيْهَاتَ مِنْهُ الرُّوْضَةُ الْمِعْطَارُ

وَالنَّاسُ قَدْ سَدُّوا الْقَضَاءَ كَأَنَّهُمْ
 لَوْ صُبَّتِ الْأَمْطَارُ صَبًّا فَوْقَهُمْ
 مُتَجَمِّعِينَ كَأَنَّهُمْ سَرَبُ الْقَطَا
 قَدْ لَوَّحُوا بِالرَّاحَتَيْنِ وَزَاخَمُوا
 لَهُمْ دَوِيٌّ بِالْهَتَافِ وَضَجَّةٌ
 رَفَعُوا الْعِمَارَ وَبَعَثُوا أَزْهَارَهُمْ
 حُبُّ الْمَلِكِ الْأَزْيَجِيِّ شَعَارَهُمْ
 قَرَأُوا السَّعَادَةَ فِي جَبِينِكَ أَسْطُرًا
 وَرَأَوْا شَبَابًا كَالْجَمَانِ يَزِينُهُ
 سُسَّتِ الْقُلُوبَ فَتَلَّتْ أَكْرَمُ وَدَّهَا
 وَمِنْ الْقُلُوبِ حَدَائِقُ بَسَامَةٍ
 مَنْ يَغْرِسِ الصَّنْعَ الْجَمِيلَ بِأُمَّةٍ
 لَمَّا رَأَوْكَ رَأَوْا بِشَاشَاتِ الْمُنَى

بَحْرُ يَعْجُ عَجِيبُهُ زَخَارُ^{٣٢}
 مَا مَسَّ مَوْطِئٌ نَعْلَهُمْ أَمْطَارُ
 مُتَدَفِّقِينَ كَأَنَّهُمْ أَنْهَارُ^{٣٣}
 وَتَلَفَّتُوا بِالنَّاظِرَيْنِ وَمَارُوا^{٣٤}
 وَلَهُمْ بَصْدَقُ دُعَائِهِمْ تَهْدَارُ^{٣٥}
 فَالْجَوُّ زَهْرٌ نَاضِرٌ وَعِمَارُ^{٣٦}
 لَوْ كَانَ يُنْسَجُ لِلْوَلَاءِ شَعَارُ^{٣٧}
 بِيَدِ الْمُهَيِّمِنِ هَذِهِ الْأَسْطَارُ^{٣٨}
 أَنَّى التَّفَتَّ جَلَالَةُ وَوَقَارُ^{٣٩}
 وَعَرَفْتَ بِالْإِحْسَانِ كَيْفَ تُثَارُ
 وَمِنْ الْقُلُوبِ سَبَاسِبُ وَقِفَارُ^{٤٠}
 فَلَهُ مِنَ الشُّكْرِ الْجَمِيلِ ثَمَارُ
 الْوَجْهَ نَضْرُ وَالشَّبَابُ نَضَارُ^{٤١}

مُنَسْرِبًا ثَوْبَ الْهُدَى مُتَوَاضِعًا لله، لا صَلَفٌ وَلَا اسْتِغْبَارٌ^{٤٢}
نُورُ الْإِلَهِ يَدُورُ حَوْلَكَ هَالَةً لم تَزْدَهَرِ بِمِثْلِهَا الْأَقْمَارُ^{٤٣}
فِي مَوْكِبٍ لِلْمُلْكِ يَخْتَلِبُ النُّهَى وَتَتَبِهَ فِي تَصَوِيرِهِ الْأَفْكَارُ^{٤٤}
فَتَنَ الْعُيُونُ الشَّاخِصَاتِ بِسُحْرِهِ إِنَّ الْجَمَالَ لَفَاتِنٌ سَحَارُ^{٤٥}

فَارُوقٌ، تَاوَجُّكَ رَحْمَةً وَسَعَادَةً لِلوَادِيَيْنِ وَعِزَّةٌ وَفَخَارٌ^{٤٦}
تَتَأَلَّقُ الْأَمَالُ فِي جَنَابَتِهِ وَيَدُورُ نَجْمُ السَّعْدِ حَيْثُ يُدَارُ
مَا نَالَهُ (كِسْرَى) وَلَمْ يَظْفَرْ لَهُ بِمِمَّا ثَلَّ يَوْمَ الْفَخَارِ (نِزَارُ)^{٤٧}

نُورُ الْجَبِينِ السَّمْحِ مَارَجَ ضَوْءَهُ فَتَشَابَهَ الْأَضْوَاءُ وَالْأَنْوَارُ
الْمُلْكُ فِيكَ طَبِيعَةٌ وَوَرَاثَةٌ وَالْمَجْدُ فِيكَ سَلِيقَةٌ وَنِجَارٌ^{٤٨}
أَعْلَيْتَ دِينَ اللَّهَ جَلَّ جَلَالُهُ فَرَسًا لَهُ أَصْلٌ وَطَالَ جِدَارُ
الدِّينِ نُورُ النَّفْسِ فِي ظُلُمَاتِهَا وَالْعَقْلُ يَعْثُرُ وَالظُّنُونُ تَحَارُ
بَيْنَ الْمَنَابِرِ وَالْمَآذِنِ بَهْجَةً وَتَحَدَّثُ بِصَنِيعِكُمْ وَجَوَارُ
آيَاتٍ نُبِّلِكَ فِي شَبَابِكَ سَبْقُ لِلْمَجْدِ لَمْ يُشَقِّقْ لَهُنَّ غُبَارُ
يَبْدُو شَذَا الرِّيحَانِ أَوَّلَ غَرْسِهِ وَيَبِينُ قَدْرُ الدُّرِّ وَهِيَ صِغَارُ^{٤٩}
فَتَحَّتْ لَكَ الدُّنْيَا كَنُوزَ هِبَاتِهَا تَخْتَارُ مِنْهَا الْيَوْمَ مَا تَخْتَارُ
يُؤْمِنُكَ يُمْنٌ لِلْبِلَادِ وَرَحْمَةٌ غَدَقُ وَيُسْرَى رَاحَتِكَ يَسَارُ
بَهَرَتْ رِجَالَ الْغَرْبِ مِنْكَ شَمَائِلُ خُلِقَ أَغْرُ وَرَاحَةٌ مِذْرَارُ
عَرَفُوا بِمَجْدِكَ مَجْدَ مِصْرَ وَنُبْلَهَا وَتَحَدَّثَتْ بِخِلَالِكَ السُّمَارُ
وَعَدَوَتْ فَأَلَّا لِلْعُلَا فَتَحَقَّقَتْ فِيكَ الْمُنَى وَانْحَطَّتِ الْأَصَارُ^{٥٠}
وَتَخَطَّرَتْ مِصْرُ إِلَى فَارُوقِهَا عَيْدَاءَ مَا شَانَ الْجَمَالَ إِسَارُ^{٥١}
شَمَاءَ يَحْنِي الدَّهْرُ أَضْيَدَ رَأْسِهِ لَجَلَالِهَا وَتُطَاطِئُ الْأَقْدَارُ^{٥٢}
فَانْعَمَ بِمَا أُوتِيتِ وَاهْنَأْ شَاكِرًا نَعَمَ الْإِلَهِ فَإِنَّهِنَّ غِرَارُ
لَا زِلْتَ بِالنَّصْرِ الْمُبِينِ مُتَوَجًّا تَحْيَا بِكَ الْأَوْطَانُ وَالْأَوْطَارُ^{٥٣}

هوامش

- (١) توسمت: تبينت. حفها: أحاط بها واستدار.
- (٢) النيرات: الكواكب الوضاعة المتلألئة.
- (٣) البصائر: جمع بصيرة، وهي العقل والفطنة.
- (٤) النثار: المنتثر المتفرق.
- (٥) الأسحار: جمع سحر (بالتحريك)، وهو قبيل الصبح.
- (٦) الجفوة: الإعراض. الدل: التمتع مع رغبة. التحجب: التستر والاختفاء. النفار: الصد والبعد.
- (٧) الأعصار: الدهور، الواحد، عصر.
- (٨) سفرت: بانث وتجردت عما يسترها.
- (٩) أغرى: أكثر ولعاً وأشد تعلقاً.
- (١٠) مريضة: أي متلبدة بالغيوم غير صاحبة الجو. النهار نهار، أي: صحو مضيء.
- (١١) مملكا، أي: ملكا عليها، يوماً إليه: يشار إليه. المهابة: الخشية.
- (١٢) استئخار: أي تأخر. أطار صوابه: ذهب بلبه ورشده.
- (١٣) جثا: جلس على ركبتيه. الأسفار: الكتب الكبار، الواحد: سفر.
- (١٤) ينمي أي: يرتفع بالانتساب إليها. لأكرم سدة، أي: لأكرم بيت. السدة (في الأصل): الباب والظلة فوقه.
- (١٥) عنت: خضعت. ويريد بالبيت (الثاني): الكعبة.
- (١٦) فلذ القلوب: قطعها، الواحدة: فلذة (بالكسر).
- (١٧) رحبت: اتسعت. الساحات: النواحي. مثابة: أي مقصد للقاصدين وملتقى للوافدين. المنار: مبعث النور.
- (١٨) الغيل (بالكسر): الشجر الكثير الملتف، وهو موضع الآساد. الليوث: الآساد، الواحد: ليث (بالفتح). بطشها: عدوانها في شدة وصوله.
- (١٩) خطار إلى غاياته، أي: ساع إليها في تيه وإعجاب. يزهى: يعجب. الصمصام: السيف لا ينثني. الخطار: الرمح.
- (٢٠) النذب: الخفيف السريع في الإغاثة. الحباء (بالضم وبكسر): جمع حبوة (بالضم والفتح)، وهو ثوب يشده العربي وهو جالس القرفصاء. وحل الحبوة كناية عن

القيام، كما يكنى بربطها عن القعود، ويريد «بحل الحباء»: الاستعداد للحرب. المغوار: الشجاع الكثير الغارة.

(٢١) حامت: حلفت ودارت، وفي حومان النسور دليل على كثرة قتلهم لأعدائهم، فهي تحوم لتطعم من جثث القتلى. الأوكار: جمع وكر، وهو العش.

(٢٢) شمس العداوة: أي لا يرجعون ولا ينتنون عن التنكيل بأعدائهم. الحسام المجرد: السيف المسلول من غمده. انطوى: أي أدخل في غمده، وهو كناية عن السلم.

(٢٣) بدار: أي سرعة وتعمل.

(٢٤) عفت: اندثرت وانمحت.

(٢٥) يخفق: يضطرب في نوره. الذرا: جمع ذروة، وهي من كل شيء أعلاه. منهار: متهدم.

(٢٦) العثار: التعثر في الشيء، لا تكاد تستوي حتى تقع.

(٢٧) محمدم، أي: محمد علي باشا بن إبراهيم أغا، جد الأسرة العلوية، ولد ببلدة قوله سنة ١١٨٣هـ/١٧٦٩م، وكان يحترف تجارة الدخان في صباه، ثم تطوع في الحملة العثمانية التي جاءت لطرد الفرنسيين من مصر، وبقي في مصر بعد جلاء الفرنسيين حتى صار واليًا عليها، وإليه تعزى نهضتها في مناحيها المختلفة. وكانت وفاته بالإسكندرية في ١٣ من رمضان سنة ١٢٦٥هـ/٢ من أغسطس سنة ١٨٤٩م. ونقلت جثته إلى القاهرة حيث دفنت بمسجده الذي شيده بالقلعة.

(٢٨) اللواء: العلم. الغفاة: النائمون.

(٢٩) الإيراد والاصدار: الفعل والترك.

(٣٠) حومًا: حائمة تدور به وتطوف. الوجد: الشوق وشدته.

(٣١) العقار: الخمر، لمعاقرتها.

(٣٢) يعج عجيجه: يرتفع صوت أمواجه المتلاطمة. الزخار: الذي فاض وطما.

(٣٣) السرب: الجماعة. القطا: جمع قطاة. وهي طائر في حجم الحمامة.

(٣٤) ماروا: تحركوا بسرعة جيئة وذهابًا.

(٣٥) الدوي: الصوت الشديد. التهدار: الصوت المرتفع.

(٣٦) العمار: الريحان، الواحدة: عمارة (بالفتح).

(٣٧) الأريحي: الذي يرتاح للندى والمعروف. الشعار: الثوب الذي يلي الجسد.

الولاء: الإخلاص والمحبة.

- (٣٨) المهيمن: من أسماء الله تعالى.
- (٣٩) الجمان: اللؤلؤ.
- (٤٠) بسامة: مشرقة بالنور والزهر، السباسب: المفاظات لا ماء فيها، الواحدة سبسب. القفار: الأرض المقفرة المجدبة، الواحدة: قفر.
- (٤١) البشاشات: جمع بشاشة، وهي طلاقة الوجه وبشره. نضر: حسن جميل.
- النضار: الذهب أو الفضة، وقد غلب على الأول.
- (٤٢) متسرّبلاً: لابساً. الصلف: الكبر.
- (٤٣) الهالة: دائرة تحيط بالقمر. تزدهر: تضيء وتتلاًلأ.
- (٤٤) يختلب النهى: يسلب العقول، وواحدة النهى: نهية. تتيه: تضل وتعيأ.
- (٤٥) فتن العيون استمالها وجعلها تنصرف إليه إعجاباً. الشاخصات: الناظرات إليه المتعلقة به.
- (٤٦) الواديان: مصر والسودان.
- (٤٧) كسرى (بكسر الكاف وفتحها): لقب ملوك الفرس. نزار: هو نزار بن معد، وقبيلته أشرف العرب أحساباً.
- (٤٨) السليقة: الطبيعة. النجار (بالكسر): الأصل والحسب.
- (٤٩) شذا الريحان: رائحته العطرة التي تنبعث عنه.
- (٥٠) الآصار: أي الأعباء والأثقال التي كانت تنوء بها مصر، الواحد: إصر (بالتثنية).
- (٥١) تخطرت: مشت في تيه وعجب. الغيداء من النساء: اللطيفة الحسنة المتثنية لينا.
- (٥٢) شماء: ذات أنفة وإباء. أصيد رأسه: أي رأسه الذي يميل كبراً وزهواً.
- (٥٣) الأوطار: الحاجات ذات البال والشأن، الواحد: وطر (بالتحريك).

السُّودان

أنشد الشاعر هذه القصيدة في جمع حافل بالخرطوم في زيارة للسودان الشقيق عام ١٩٤١م.

قفي نُحْيِيكَ، أو عوجي فحيينا!^١
كأنما سُقِيتُ من كَفِّ ساقينا^٢
وأرسلتُ ذيلها وردًا ونسرينا^٣
تمجُّ أنفاسُ مَسْراها الرياحينا^٤
فيها من الشوقِ والآمالِ ما فينا
عن الودادِ، ولا الأيامُ تُنْسِينا
وهجَّتْ عُشَّ الهوى لو كنتِ تدرينا^٥
ونشوة الشوقِ في نجوى المحبينِ
يكاد يطفر شوقًا حين تسرينا
من المُنَى فتمنّى لو تمرّينا!^٦

يا نَسَمَةَ رَنَحَتْ أعطافَ وادينا
مرّتْ مع الصبحِ نَشْوَى في تكسُّرها
أرختْ غدائرَها أخلاطَ نافجةٍ
كأنّها روضةٌ في الأفقِ سابحةٌ
هَبَّتْ بنا من جنوبِ النيلِ ضاحكةً
إنّا على العهدِ لا بُعدُ يحولنا
أثرتِ يا نَسَمَةَ السودانِ لاجبةً
وسرتِ كالحلمِ في أجفانِ غانيةٍ
ويحي على خافقٍ في الصدرِ محتبسٍ
مرّتْ به سنواتٌ ما بها أَرْجُ

من الرياضِ كوجهِ البُكرِ تلوينا^٧
يردّدُ الصوتُ قُدْسِيًّا فيُشْجِننا
ومن حفيفِ غصونِ الرُّوضِ تلحيننا
ويبعثُ الشدوّ والنجوى أفانينا

نَبَّهتِ في مصرَ قُمْرِيًّا بِمُعْشَبَةٍ
فراح في دَوْحِهِ، والعودُ في يده
صوتٌ من الله تَأْلِيْفًا وتهيئةً
يَطِيرُ من فَنَنِ ناءٍ إلى فَنَنِ

من الحبيب، فإنَّ البعدَ يُقْصِينَا؟
لما التقتْ حَطَرَاتُ من أمانينا^٨
وجاء شعركُ غَمَرُ الدمعِ محزوناً
وجاشَ بالصدرِ إلهاماً وتلقينا
ظَنَنْتُهُ كُلَّ كلامٍ جاء موزوناً
ما أضيّقَ العيشَ لو عَزَّ الْمُعَزُّونَا!
فربَّ شرٍّ غداً بالخيرِ مقروناً
في صَفْحَةِ الغيبِ ما يُعْجِي الموازينا
فهل تريدُ له يا طيرُ تكويننا؟^٩
كالغيدِ ما هَجَرْتُ إِلَّا المَلْحِينَا^{١٠}
والأرضُ تبرأَ ورَوَّضَاتُ الهوى غينا^{١١}
منابتِ العُشْبِ يُحْيِيهَا فيحيينا
يُطِلُّ بين ثنايا السُّحْبِ مفتونا
لك الرياحُ بما تَخْتَارُ يجرينا^{١٢}
وكيف نُبْصِرُ حُسْنَ الشيءِ باكيناً؟
ونحن نملؤها حُزْناً وتأبيناً

يا شادي الدَّوْح، هل وعدُ يقربُنَا
تشابهت نَزَعَاتُ من طبائعنا
فجاء شعري أَنَاتٍ مُنْغَمَّةً
شعراً صَدَحْنَا به طبعاً وموهبةً
والنَّفْسُ إنْ لم تكن بالشعرِ شاعرةً
تعزَّ يا طيرُ، فالأيامُ مقبلةً
خُذِ الحِياةَ بإيمانٍ وفلسفةٍ
فَكَمْ وزناً فما أجَدْتُ موازنةً
الكونِ كَوْنَهُ الرحمنُ من قَدَمِ
إِن المُنَى لا تَوَاتِي من يهيمُ بها
تبكي وبينَ يديكَ الزهرُ من عَجَبِ
والماءُ يسبُحُ جذلانَ الغديرِ إلى
والزهرُ ينظرُ مفتوناً إلى قَبَسِ
قد حَزَّتْ مُلْكُ سليمانِ ودولته
ما أجملَ الكونَ لو صَحَّتْ بصائرُنَا
الله قد خلق الدنيا لِيُسْعِدَنَا

مودَّةً كصفاء الدرِّ مكنونا^{١٣}
وعُزْوَةٌ قد عقدناها بأيدينا
وسَلَسَلُ النيلِ يُرويههم ويروينا
وضاء في ظُلْمَةِ التاريخِ ماضينا^{١٤}
عَمراً إذا شئتَ، أو إنْ شئتَ آمونا^{١٥}

إِن جُزَّتْ يوماً إلى السودانِ فَارِعَ له
عهدُ له قد رَعَيْنَاهُ بِأَعْيُنِنَا
ظِلُّ العَرُوبَةِ والقرآنِ يَجْمَعُنَا
أشعُّ في غَلَسِ الأيامِ حاضِرنا
مجدُّ على الدهرِ، فاسألْ مَنْ تشاءُ به

مراجلُ بلهيبِ النارِ يَغْلِينَا^{١٦}
إلى اللقاء، ونارُ الشوقِ تَرْجِينَا^{١٧}
كالبرقِ شقَّ السحابِ الحُفْلَ الجونا^{١٨}

تركتُ مِصْرَ وفي قلبي وقاطرتي
سَرْنَا معاً فُبْخَارُ النارِ يدْفَعُهَا
تشقُّ جامحةً غُلَبَ الرياضِ بنا

كَأَنَّهَا تَتَوَقَّى عَيْنَ رَائِينَا
فَمَا تَعْرِضُنْ إِلَّا حَيْثُ يَمْضِينَا
كَالَسَرِّ بَيْنَ جَنَائِهَا اللَّيْلِ مَدْفُونَا
وَنَسْتَحِثُّ وَإِنْ كُنَّا مُجَدِّينَا
وَفِي السُّؤَالِ عَزَاءٌ لِّلْمَشُوقِينَا^{١٨}
وَمَا عَلَيْنَا إِذَا مَا مَلَّ حَادِينَا
غَنَى بِحِمْدِ السُّرَى وَاللَّيْلِ سَارِينَا^{١٩}

وَلِلْخَمَائِلِ فِي ثَوْبِ الدَّجَى حَذَرٌ
كَأَنَّهُنَّ الْعَذَارَى خِفْنَ عَاذِلَةً
وَلِلْقَرَى بَيْنَ أَضْغَاثِ الْكَرَى شَبَحٌ
نَسْتَبْعِدُ الْقُرْبَ مِنْ شَوْقٍ وَمِنْ كَلَفٍ
وَكَمْ سَأَلْنَا وَفِي الْأَفْوَاهِ جَابِئُنَا
وَكَمْ وَمَلَّ حَادِينَا لِحَاجَتِنَا
حَتَّى إِذَا مَا بَدَتْ «أَسْوَانُ» عَنْ كَثِبِ

تَسْتَعْجَلُ الرِّكْبَ إِذَا نَا وَتَأْذِينَا^{٢٠}
كَالشَّعْرِ يُتَّبَعُ بِالتَّحْرِيكِ تَسْكِينَا
تَلْقَى النَّعِيمَ بِهَا وَالْحَوْرَ وَالْعَيْنَا^{٢١}
حِينًا، وَتَلْتَمُ مِنْ أَذْيَالِهَا حِينَا^{٢٢}
وَأَظْهَرْتُ سَعْفًا أَحْوَى وَعُرْجُونَا^{٢٣}
وَهَلْ يَجَاوِرُ ضُبُّ الْحَرَّةِ النُّونَا؟^{٢٤}
وَزَادَكَ اللَّهُ إِعْزَازًا وَتَمَكِينَا
وَعَتَّ حَوَادِثُ هَذَا الْكُونِ تَدْوِينَا
كَانُوا فِرَاعِيْنَ أَوْ كَانَوا سَلَاطِينَا
وَحُكْمُهُمْ كَانَ لِلدُّنْيَا قَوَانِينَا
إِلَّا حُطَامًا مِنَ الذِّكْرِ يُؤَسِّسِينَا
فَصَارَ مَا يُضْحَكُ الْأَغْرَارَ يُبْكِينَا!^{٢٥}

وَمَا شَجَانِي إِلَّا صَوْتُ بَاخِرَةٍ
لَهَا تِرَانِيمٌ إِنْ سَارَتْ مُهْمُهُمْ
يَا حُسْنَهَا جَنَّةٌ فِي الْمَاءِ سَابِحَةٌ
مَرَّتْ تَهَادَى، فَأَمْوَاجُ تُعَانِقُهَا
وَالنَّخْلُ قَدْ غَيَّبَتْ فِي الْيَمِّ أَكْثَرَهَا
مَا لِابْنَةِ الْقَفْرِ وَالْأَمْوَاهِ تَسْكُنُهَا؟
سِرَّ أَيُّهَا النَّيْلُ فِي أَمْنٍ وَفِي دَعَا
أَنْتَ الْكِتَابُ كِتَابُ الدَّهْرِ، أَسْطَرُهُ
فَكَمْ مُلُوكٍ عَلَى الشُّطُيْنِ قَدْ نَزَلُوا
فَنُونُهُمْ كَنٌّْ لِلْأَيَّامِ مُعْجِزَةٌ
مَرُّوا كَأَشْرَطَةِ «السَّيْمَا» وَمَا تَرَكَوا
إِنَّا قَرَأْنَا اللَّيَالِي مِنْ عَوَاقِبِهَا

بُعْدًا، وَنُوسَعُهَا صَبْرًا وَتَهْوِينَا^{٢٦}
فِرَاحٍ يَخْتَرِقُ الْأَجْوَاءَ مَأْفُونَا^{٢٧}
كَالْبَحْرِ يَزْخَرُ بِالْأَمْوَاجِ مَشْهُونَا
يَمْدُدُنْ طَرْفًا كَلِيلًا ثُمَّ يُغْفِينَا
فَقُلْتُ: حَتَّى هُنَا نَلْقَى الْمُرَائِينَا!

ثُمَّ انْتَقَلْنَا إِلَى الصَّحْرَاءِ، نُوسَعُنَا
كَأَنَّهَا أَمَلُ الْمَأْفُونِ أَطْلَقَهُ
وَالرَّمْلُ يَزْخَرُ فِي هَوْلِ وَفِي سَعَا
تُطَلُّ مِنْ حَوْلِهَا الْكُثْبَانُ نَاعَسَةٌ
وَكَمْ سَرَابٍ بَعِيدٍ رَاحَ يَخْدَعُنَا

أَرْضُ مِنَ النُّومِ وَالْأَحْلَامِ قَدْ خُلِقْتُ
كَأَنَّمَا بَسَطَ الرَّحْمَنُ رُقْعَتَهَا
تَسَلَّيْتُ مِنْ حُلِيِّ النَّبْتِ أَنْفَةً
صَمْتُ وَسَحَرٌ وَإِرْهَابٌ وَبَعْدُ مَدَى
صَحْرَاءُ فِيكَ حَبِيئًا سُرٌّ عَزَّتْنَا
إِنَّا بَنُو الْعَرَبِ يَا صَحْرَاءُ كَمْ نَحْتَت
عَزَّوَا، وَعَزَّتْ بِهِمْ أَخْلَاقُ أُمْتِهِمْ
مِنْصَّةُ الْحُكْمِ زَانُوهَا مَلَائِكَةُ
كَانُوا رُعَاةَ جَمَالٍ قَبْلَ نَهَضَتِهِمْ
إِنْ كَبُرَتْ بِأَقَاصِي الطِّينِ مِثْدَنَةٌ

فَهَلْ لَهَا نَبَأٌ عِنْدَ «ابْنِ سِيرِينَا»؟^{٢٨}
مِنْ قَبْلِ أَنْ يَخْلُقَ الْأَمْوَاهُ وَالطِّينَا
وُزِينَتْ بِجَلَالِ اللَّهِ تَزِينَا^{٢٩}
مَاذَا تَكُونِينَ؟ قَوْلِي، مَا تَكُونِينَا؟
فَأَفْصَحِي عَنْ مَكَانِ السَّرِّ وَاهْدِينَا
مِنْ صَخَرِ الصَّلْدِ أَخْلَاقًا أَوَّالِينَا
فِي الْأَرْضِ، لَمَّا عَزَّوَا الْخُلُقَ وَالْدِّينَا
وَجَذَوَةَ الْحَرْبِ شَبَّوْهَا شَيَاطِينَا
وَبَعْدَهَا مَلَأُوا الْآفَاقَ تَمْدِينَا
سَمِعْتَ فِي الْغَرْبِ تَهْلِيلَ الْمُصَلِّينَا

قَفْ يَا قِطَارُ فَقَدْ أَوْهَى تَصَبَّرْنَا
وَقَدْ بَدَتْ صَفْحَةُ الْخُرْطُومِ مُشْرِقَةً
جَنْنَا إِلَيْهَا، وَفِي أَكْبَادِنَا ظَمًا
جَنْنَا إِلَيْهَا، فَمَنْ دَارَ إِلَى وَطَنِ
يَا سَاقِي الْحَيِّ جَدُّ نَشْوَةٍ سَلَفْتُ
وَاصْدَحْ بَنُونِيَّةً لَمَّا هَتَفْتُ بِهَا
وَأَحْكِمِ اللَّحْنَ يَا سَاقِي وَغَنِّ لَنَا

طَوَّلُ السَّفَارِ، وَقَدْ أَكْدَتْ قَوَافِينَا
كَمَا تَجَلَّى جَلَالُ النُّورِ فِي «سِينَا»
يَكَادُ يَقْتُلُنَا لَوْلَا تَلَاقِينَا
وَمِنْ مَنَازِلِ أَهْلِينَا لِأَهْلِينَا
وَأَنْتِ «بِالْجِبْنَاتِ» الْحُمُرِ تَسْقِينَا^{٣٠}
تَسَرَّقُ السَّمْعَ «شَوْقِي» وَ«ابْنُ زِيدُونَا»^{٣١}
«إِنَّا مَحْيُوكُ يَا سَلْمَى فَحِينَا»^{٣٢}

هوامش

- (١) رنحت: أملت. أعطاف: جوانب. واديننا: المقصود وادي النيل. عوجي: ميل أو ارجعي.
- (٢) نشوى: فرحة متمائلة. تكسرها: تمايلها.
- (٣) أخلاط: هو امتزاج الأشياء. نافجة: المسك. نسرين: نبات ذو رائحة زكية.
- (٤) تمج: تنشر.
- (٥) لاعجة: شدة وألم في الصدر.

- (٦) أَرَج: هو رائحة الطيب والمعنى أنها سنوات خالية من الأماني.
- (٧) قمرئاً: نسبة إلى الطائر المعروف بالقمري والشاعر يقصد نفسه. معشبة: أرض كثيرة العشب.
- (٨) نزعات: صفات. خطرات: خواطر.
- (٩) الملحين: الملحقين الدائمي السؤال.
- (١٠) غينا: جمع غيناء أي: خضراء طويلة الشجر.
- (١١) حزت: ملكت. سليمان: سيدنا سليمان — عليه السلام — وفي البيت اقتباس من الآية الكريمة: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ﴾.
- (١٢) جزت: سرت إلى. أَرع: احفظ.
- (١٣) أشبع: أنار. غلس الأيام: ظلام الأيام.
- (١٤) عمرأ: يريد عمرو بن العاص. آمونا: توت عنخ آمون من فراعين قدماء المصريين.
- (١٥) مراحل: أوعية النار التي لا دخان لها.
- (١٦) تزجينا: تدفعنا.
- (١٧) جامحة: غالبة. غلب: جمع غلباء: الحديقة الكثيفة الشجر. الجونا: جمع جون: الأسود.
- (١٨) جابتنا: إجابتنا.
- (١٩) سارينا: هادينا.
- (٢٠) إيذاناً: إعلماً بسفرها. تأذينا: الدعوة.
- (٢١) الحور: النساء الجميلات. العينا: خيار الشيء.
- (٢٢) تهادى: تتهمل.
- (٢٣) سعف: غصن النخلة. أحوى: هو الذي خالط خضرته سواد وصفرة. العرجون: هو ما يبقى يابساً على النخلة بعد قطع الفروع.
- (٢٤) الحرة: الأرض ذات حجارة سود. النون: الحوت.
- (٢٥) عواقبها: آخرها. الأغرار: غير المجربين.
- (٢٦) توسعنا: تزيدنا.
- (٢٧) المأفون: ضعيف العقل. الأجواء: ما بين السماء والأرض.
- (٢٨) ابن سيرينا: عالم من علماء المسلمين له كتاب في تفسير الأحلام.

(٢٩) تسلبت: خلت من.

(٣٠) سلفت: مضت. الجبنات: أوعية من الخفار يصنع السودانيون القهوة بها.

(٣١) نونية: يقصد هذه القصيدة وهي نونية. شوقي: هو الشاعر أحمد شوقي وله قصيدة نونية أيضاً أولها:

يا نائح الطلح أشباه عوادينا نأسى لواديك أم تأسى لوادينا

ويعارض بها الشاعر الأندلسي ابن زيدون في نونيته ومطلعها:

أضحى التناهي بديلاً عن تدانينا وناب عن طيب لقيانا تجافينا

(٣٢) إنا محيوك يا سلمى فحيينا: مطلع نونية الشاعر عمرو بن سعد بن مالك

وهو شاعر جاهلي، وكان يلقب بالمرقش الأكبر. وتكملة البيت: وإن سقيت كرام الحي فاسقيناً.

إلى الأستاذ أحمد لطفي السيد باشا

أرسل الشاعر هذه الأبيات إلى صديقه الأستاذ أحمد لطفي السيد بمناسبة انتخابه رئيساً لمجمع اللغة العربية عام ١٩٤٥ م.

وقالوا: غداً لطفي رئيساً فحيّه فقلتُ: وهل يرضى لي العقلُ أنني فقالوا: رفيعٌ زادَ قدراً ورفعةً! فقالوا: عليك الشعرَ ويحك إنه فقلتُ: وأين الشعرُ؟ أين خياله؟ فقالوا: فماذا أنت في الجمعِ صانعٌ؟ ففي سكتةٍ المبهورِ أصدقُ مدحةٍ	وهنّته واهتِفَ باسمِه في المحافلِ إذا صُغْتُ مدحاً قيل: تحصيلُ حاصل فقلتُ: نعم، لو صحَّ تكميلُ كامل فسيحُ المرامي لا يضيقُ بقائل وأين الثريّا من يد المتناول؟ ^١ فقلتُ لهم: صنّع العييّ المُجامل ^٢ وكلُّ كلامٍ بينَ حقٍّ وباطل ^٣
--	--

هوامش

- (١) الثريا: نجوم السماء.
- (٢) العيي: الثقيل في نطقه.
- (٣) المبهور: المندهِش.

العاشق الغضبان

سنة ١٩٠٤ م

هَجَرْتَنَا وَهَجَرْنَا زَيْنَبَا
طالما سُقْتُ فُؤَادِي نَحْوَهَا
وَدَعَوْتُ الْوَجَدَ لِلْهُوَ بِهَا
نَعَبَ الْبَيْنِ بِنَا، سُقِيَا لَهُ!
وَمَضَى الشَّوْقُ فَمَا جَادَتْ لَهُ
عَلَقْتُ غَيْرِي وَتَرْجُو صَلَاتِي؟
هَلْ يَحُلُّ الْغَمْدَ سَيْفَانِ مَعَا؟
وَصَا الْقَلْبُ الَّذِي كَانَ صَبَا^١
فَنَبَتْ عَنْهُ مَطَالًا، وَنَبَا^٢
فَأَبَتْ دَلًّا عَلَيْهِ، وَأَبَى
فَاسْتَعَدْتُ الْبَيْنَ لِمَا نَعَبَا^٣
مُقَلَّتِي بِالْذَّمْعِ لِمَا ذَهَبَا
عَجَبًا مِمَّا تُرَجِّي عَجَبَا!^٤
أَوْ يَضُمُّ الْغِيلُ إِلَّا أَغْلَبَا؟^٥

* * *

إِنَّ هَذَا الْحُسْنَ كَالْمَاءِ، إِذَا
وَهُوَ مِثْلُ الزَّهْرِ، إِنَّ أَكْثَرَتْ مِنْ
وَهُوَ مِثْلُ الْمَالِ، إِنَّ أَسْرَفَتْ فِي
كَثُرِ النَّاهِلِ مِنْهُ نَضَبَا^٦
شَمَّهُ يَا زَيْنُ، أَمْسَى حَطَبَا^٧
بَذَلَهُ لِلسَّائِلِيهِ، سُلِبَا

* * *

قَدْكَ الْمَائِسُ قَدْ بَغَضَ لِي^٨
وَجَنَى خَدَيْكَ قَدْ زَهَّدَنِي
كُلَّ غُصْنٍ بَيْنَ أَنْفَاسِ الصَّبَا
فِي حَدِيثِ الْوَرْدِ يَزْهَى فِي الرُّبَا^٩

أَبْصَرُوا الْبَدْرَ فَقَالُوا: وَجْهَهَا! فَتَغَشَّيْتُ بِثَوْبِي هَرَبًا^{١٠}
فَاحْتَجِبْتُ يَا بَدْرُ عَنْ أَعْيُنِنَا وَعَزِيزُ عِنْدَنَا أَنْ تُحْجَبَا!

* * *

أَنَا يَا زَيْنَبُ مَاءٌ، فَإِذَا هَجَّتْنِي صِرْتُ لَطْفَى مُلْتَهَبًا^{١١}
أَرْكَبُ الْمَرْكَبَ صَعْبًا خَشِنًا إِنَّ دَعَّتْنِي هَمَّتِي أَنْ أَرْكَبَا
ضَارِبًا فِي سُبُلِ الْمَجْدِ وَلَوْ رَصَفُوهَا بِالْعَوَالِيوَالظُّبَا^{١٢}

هوامش

- (١) صحا القلب: ترك الهوى وخلاه جانبًا. صبا: أحب وهوى.
- (٢) نبت: بعدت. المطال: التسويف بالوعد مرة بعد أخرى.
- (٣) البين: الفرقة. نعيبه: إيذانه بالشتات والبعد. سقيا له: يدعو له بالسقيا. استعاد الشيء: طلب إعادته.
- (٤) علقت غيري: أحبته وتعلقت به.
- (٥) الغمد: جفن السيف. الغيل: الشجر الكثير الملتف تتخذه الأسود مأوى لها. الأغلب: الأسد.
- (٦) الناهل: الشارب. نضب: قل وذهب.
- (٧) يا زين، أي: يا زينب.
- (٨) القد: القامة. المائس: اللدن المتثني. الصبا: ريح تهب من الشرق في بلاد العرب.
- (٩) جنى خديك: شبه حمرة خديها بما يجنى من الورد. يزهي: يزدهي حسنًا ونضرة. الربا: الأماكن المرتفعة الواحدة ربوة.
- (١٠) تغشيت: تغطيت.
- (١١) هجتني: أثرتني. اللظى: النار.
- (١٢) العوالي: الرماح. الظبا: السيوف.

عيد الجلوس الملكي

بمناسبة تولي الملك فاروق سلطته الدستورية في مايو سنة ١٩٣٨ م.

جَمَعْتُ مِنْ فَرْعِ ذَاتِ الدَّلِّ أَوْتَارِي
وَعِشْتُ لِلْفَنِّ أَحْيَا فِي بَدَائِعِهِ
أَشْدُو، فَإِنْ شِئْتُ أَنْ تُصْغِيَ لِسَاجِعِهِ
كَادَتْ تَرْقُ بِرَاعِي الطَّيْرِ تَحْسَبُهُ
قَدْ عَلَّمْتَهُ التَّغْنَى فَوْقَ أَيْكَتِهِ
كَأَنَّ دَاوُدَ أَلْقَى عِنْدَ بَرِّيَّتِهِ
أَعَدَدْتُهُ قَبَسًا يُذَكِّي تَوْقُدَهُ
وَيَكْشِفُ الْأَمَلَ الْمَحْجُوبَ سَاطِعُهُ
وَصُنْتُ مِنْ بَسَمَاتِ الْغِيدِ أَشْعَارِي^١
بَيْنَ الظَّلَالِ، وَبَيْنَ السَّلْسَلِ الْجَارِي
مِنَ الْخُلُودِ فَأَنْصِتْ تَحْتَ أَوْكَارِي
وَقَدْ تَغْنَى بِشِعْرِي سِنَّ مَنْقَارِ^٢
فَفَاقَهَا فِي التَّغْنَى فَوْقَ أَسْطَارِ
أَثَارَةٍ مِنْ تَرَانِيمٍ وَأَسْرَارِ^٣
عَزَمَ الشَّبَابُ، وَيَهْدِي لَيْلَةَ السَّارِي^٤
وَالْيَأْسُ تَغْشَى بِأَسْدَافٍ وَأَسْتَارِ^٥

الشُّعْرُ عَاطِفَةٌ تَقْتَادُ عَاطِفَةً
الشُّعْرُ إِنْ لَامَسَ الْأَرْوَاحَ الْهَبَّاهَا
الشُّعْرُ مُصْبَاحُ أَقْوَامٍ إِذَا التَّمَسُّوا
الشُّعْرُ أَنْشُودَةُ الْفَنَانِ يُرْسِلُهَا
الشُّعْرُ هَمْسُ غُصُونِ الدَّوْحِ مَائِسَةً
الشُّعْرُ لِلْمُلِكِ جَيْشٌ لَا يُصَاوِلُهُ
يَغْزُو وَيُنْصَرُ. لَا أَشْلَاءُ مَعْرَكَةٍ
وَفِكْرَةٌ تَتَجَلَّى بَيْنَ أَفْكَارِ
كَمَا تَقَابَلُ تَيَّارٌ بِتَيَّارِ
نُورِ الْحَيَاةِ، وَرَنْدُ الْأُمَّةِ الْوَارِي^٦
إِلَى الْقُلُوبِ، فَتَحْيَا بَعْدَ إِقْفَارِ
وَدَمْعَةِ الطَّلِّ فِي أَجْفَانِ أَزْهَارِ
جِلَادُ مُرْهَفَةٍ أَوْ فَتْكَ بَتَّارِ^٧
تُرَى وَلَا وَثَبَاتٌ حَوْلَ أَسْوَارِ

إِذَا تَخَطَّرَ فِي الْأَفْوَاحِ تُنْشِدُهُ
وَأِنْ أَعَارَ تَنَادَى كُلُّ نَبِيٍّ هَلَعِ
قَدْ كَانَ حَسَنًا جَيْشًا فِي قَصَائِدِهِ
وَكَانَ مُلْكُ بَنِي مَرْوَانَ فِي أَطْمِ
وَهَلْ زَهَتْ بِبَنِي الْعَبَّاسِ دَوْلَتُهُمْ
فَقُلْ لِمَنْ رَاحَ لِلْأَهْرَامِ يَرْفَعُهَا:
كَمْ حِكْمَةٍ فِيهِ لَا تَفْنَى بِشَاسْتِهَا
الشُّعْرُ لِلْمُلْكِ مِرْآةٌ مُخَلَّدَةٌ
صَوَّرَتْ فِيهِ سَنَا الْفَارُوقِ مُؤْتَلِفًا
وَصُغْتُهُ فَاتِنَ الْأَلْوَانِ مُزْدَهَرًا

عَصَّ الْجُفُونَ حَيَاءً كُلُّ خَطَّارٍ^٨
إِلَى الْفِرَارِ، وَأَوْدَى كُلُّ مِغْوَارٍ^٩
أَشَدَّ مِنْ كُلِّ زَحَافٍ وَجَرَّارٍ^{١٠}
عَالٍ مِنَ الشُّعْرِ، يَزْمِي الشُّهْبَ بِالنَّارِ^{١١}
إِلَّا بِأَمْثَالِ حَمَادٍ وَبِشَارٍ؟^{١٢}
الْخُلْدُ فِي الشُّعْرِ لَا فِي رَصْفِ أَحْجَارٍ
وَمِنْ حَدِيثٍ عَلَى الْأَيَّامِ سَيَّارٍ
عَلَى تَعَاقُبِ أَجْيَالٍ وَأَذْهَارٍ
يَزْدَانِ بِاثْنَيْنِ: إَجْلَالٍ وَإِكْبَارٍ^{١٣}
كَأَنَّمَا نَقَشْتُهُ كَفُّ آذَارٍ^{١٤}

مُلْكٌ مِنَ النُّورِ قَدْ ضَاعَتْ دَعَائِمُهُ
وَدَوْلَةٌ رَكَّزَ الْإِسْلَامُ رَايَتَهُ
وَعَاهِلٌ مِنْ صَمِيمِ النَّيْلِ نَبْعَتُهُ
أَحْيَا النُّفُوسَ بِأَمَالٍ تُضَاجِحُهَا

كَأَنَّمَا شِيدَ مِنْ هَالَاتِ أَقْمَارٍ
فِيهَا عَلَى طَوْدٍ تَارِيخٌ وَأَثَارٍ
أَمَا تَرَى لِيَدَيْهِ وَكُفَّ أَمْطَارٍ!^{١٥}
فَالْيَأْسُ فِيهَا غَرِيبُ الْأَهْلِ وَالْدَّارِ

كَأَنَّ أَيَّامَهُ وَالْبِرُّ يَغْمُرُهَا
كَأَنَّمَا عَهْدُهُ وَالْبِشْرُ يَمْلُؤُهُ
كَأَنَّ ذِكْرَاهُ لَمَّا سَارَ سَائِرُهَا
كَأَنَّ أَمْدَاحَهُ فِي أَذُنِ سَامِعِهَا
كَأَنَّ طَلْعَتَهُ وَالشُّوقُ يَرْقُبُهَا

صَحَائِفُ الطُّهْرِ فِي أَيْمَانِ أَبْرَارٍ
تَبَسُّمُ الشَّرْقِ عَنْ أَنْفَاسِ أَسْحَارٍ
عَبِيرُ دَانِيَةِ الظَّلِيلِينَ مِعْطَارٍ^{١٦}
مَسَاقِطُ الشَّهْدِ مِنْ أَعْوَادِ مُشْتَارٍ^{١٧}
وَجْهَ الصَّبَاحِ يُحْيِي نِضْوَ أَصْفَارٍ^{١٨}

«فَارُوقُ» يَا زَيْنَةَ الدُّنْيَا وَبَهَجَتَهَا
وَابْنَ الْمُلُوكِ الْأَلَى فَلَتْ عَزَائِمُهُمْ
أَقْمَارُ مَمْلَكَةٍ، آسَادُ مَلْحَمَةٍ

وَأَسْعَدَ النَّاسِ فِي وَرْدٍ وَإِضْدَارٍ^{١٩}
مِنْ حَدٍّ كُلِّ صَلِيبِ الْحَدِّ جَبَّارٍ^{٢٠}
أَمْلَاكَ مَرْحَمَةٍ، صُنَاعُ أَقْطَارٍ^{٢١}

مَنْ كُلِّ نَذْبٍ بَعِيدِ الرَّأْيِ مُسْتَبِقِ إِلَى الْجِهَادِ مُغَارِ الْفَتْلِ صَبَّارِ ٢٢
الْمَجْدُ أَبْقَى لَهُمْ ذِكْرِي مُحَلَّدَةً أَعْمَارُهُمْ وَصَلَتْ مِنْهَا بِأَعْمَارِ

* * *

الشَّعْبُ شَعْبُكَ، وَالْأَيَّامُ بِاسْمَةِ وَالِدَهُرُ كَالزَّهْرِ، فِي صَفْوٍ وَإِنْصَارِ
أَحَبَّكَ الشَّعْبُ فَاثْنَعْمُ فِي مَحَبَّتِهِ فَأَنْتَ مِلءُ قُلُوبٍ، مِلءُ أَبْصَارِ
مُرْ وَأَنَّهُ فِي الْحَقِّ، فَلَا سَمَاعَ مُصْغِيَّةً فِدَاؤُكَ النَّفْسُ مِنْ نَاهٍ وَأَمَارِ
وَارْفَعِ لَوَاءَكَ فَوْقَ الشَّرْقِ تَلْثِمُهُ أَفْوَاهُ أَوْدِيَةٍ فِيهِ وَأُمُصَارِ

* * *

ذَكَرَاكَ فِي الدَّهْرِ آيَاتُ مُطَهَّرَةٍ تَحْلُو بِغَنٍّ وَتَزْتِيلُ وَتَكْرَارِ
شَدَوْتُ بِاسْمِكَ حَتَّى كَدْتُ مِنْ طَرَبِ أَظُنُّنِي ذَا جَنَاحٍ بَيْنَ أَطْيَارِ
فَإِنْ سَمِعْتَ رَنِينًا كُلُّهُ عَجَبُ فَالْعُودُ عُودِي، وَالْأَوْتَارُ أَوْتَارِي
جُلُوسُكَ الْيَوْمَ أَثْمَارُ الْمُنَى يَنْعَتُ يَا حُسْنَهَا مِنْ مَنَى خُضِرَ وَأَثْمَارِ!
عِيدُ بِهِ الْأَرْضُ وَالْأَفَاقُ مُشْرِقَةٌ تَمَارَجَتْ فِيهِ أَنْوَارُ بِأَنْوَارِ ٢٣
عِيدُ كَانَ اللَّيَالِي قَدْ وَهَبْنَ لَهُ مَا فِي الْخَلِيقَةِ مِنْ يُمْنٍ وَإِسَارِ
النَّيْلُ فِيهِ جَرَى يُمْلِي بِشَائِرُهُ وَيَنْتَنِي بَيْنَ أَدْوَاحٍ وَأَشْجَارِ
إِذَا الرَّبِيعُ رَمَى فِيهِ أَزَاهِرُهُ جَزَاهُ بِالتُّبْرِ دِينَارًا بِدِينَارِ
أَوْ الْحَمَائِمُ غَنَّتْ فَوْقَ مَا بَجَّةِ حَبَا الْحَمَائِمُ تَهْدَارًا بِتَهْدَارِ

* * *

يَا كَالِيَّ الدِّينِ وَالْدُسْتُورِ مِنْ جَنَفِ وَحَافِزِ الشَّعْبِ يَدْعُوهُ فَيَتَّبِعُهُ
وَالْعِلْمُ لِلشَّعْبِ رُكْنٌ غَيْرُ مُنْصَدِعِ إِلَى النُّجُومِ جَرِيئًا غَيْرَ خَوَارِ ٢٤
اخْتَارَكَ اللَّهُ لِلْإِسْلَامِ تَنْصُرُهُ وَالشَّعْبُ بِالْعِلْمِ صَفٌّ غَيْرُ مُنْهَارِ
عَشَ فِي الْقُلُوبِ فَقَدْ أَعْطَتْ مَقَالِدَهَا فَكُنْتَ مَوْئِلَهُ يَا خَيْرَ مُخْتَارِ
وَفِي نَعِيمٍ عَمِيمٍ الْغَيْثِ مِدْرَارِ وَفِي نَعِيمٍ عَمِيمٍ الْغَيْثِ مِدْرَارِ

هوامش

- (١) الفرع: الشعر.
- (٢) زق الطائر فرخه: أطعمه. اليراع واليراعة: القلم. سن المنقار: طرفه.
- (٣) داود عليه السلام: نبي كتابه يسمى الزبور، وما كان يتغنى بتلاوته منه يسمى المزامير جمع مزمار. أثارة الشيء: بقيته، الترانيم: جمع ترنيم وهو ترجيع الصوت في تطريب وتغن. الأسرار: جمع سر وهو هنا الحكمة والمعنى السامي.
- (٤) القبس: الشعلة من النار وكذا المقياس. يذكى: يشعل من أذكى النار. الساري: السائر ليلاً.
- (٥) المحجوب: المستور. تغشى: تغطى. الأسداف: جمع سدف، الستر.
- (٦) الزند: العود الأعلى الذي يقدح به النار. والزندة العود الأسفل وهما زندان، الواري: الذي يخرج النار، من ورى الزند وريا خرجت ناره.
- (٧) يصالوه: يواثبه. الجلال والمجالة بالسيوف: المضاربة بها. المرفهة: المشحوزة. البتار: السيف القاطع.
- (٨) تخطر: اهتز وتبخرت. غض طرفه: خفضه. خطر: رمح خطر ذو اهتزاز، ورجل خطر بالرمح طعان به.
- (٩) أودى: هلك.
- (١٠) حسان: حسان بن ثابت شاعر الرسول — عليه السلام — دافع عنه بلسانه، فأخاف المعاندين وأذل الجاحدين.
- (١١) أطم: الأطم القصر وكل حصن مبني بحجارة والجمع آطام وأطوم. الشهب: جمع شهاب وهو شعلة من نار ساطعة والشهب أيضاً الدراري.
- (١٢) زهت: ازدهرت وأشرفت. حماد: هو حماد بن عمر من أهل الكوفة شاعر عباسي كان معلماً وشاعراً محسناً، وكان بالكوفة ثلاثة يقال لهم: الحمادون حماد عجرد وهو هذا وحماد الراوية وحماد بن الزبرقان النحوي، وكانوا يتعاشرون ويتنادمون وقد اتهموا بالزندقة كلهم. وبشار: هو أبو معاذ بشار بن برد العقيلي ولاء الفارسي أصلاً. أخذ العربية عن أعراب البصرة ونبع في الشعر لذكائه وكان هجاءً ماجناً.
- (١٣) السنا: الضياء: مؤثلقاً: من اثثق البرق لمع. الإجلال والإكبار: التعظيم.
- (١٤) فاتن: مأخوذ من الفتنة وهي الإعجاب بالشيء. مزدهراً: متألقاً مشرقاً. آذار: شهر رومي يوافق شهر مارس.

- (١٥) العاهل: الملك الأعظم أو الخليفة. صميم الشيء: خالصه. النبعة: الشجرة تتخذ منها القسي والجمع نبع. وكف المطر: سيله.
- (١٦) دانية الظلين: قريبتهما ووارفتهما والمراد بالظلين ظل الصباح وظل ما بعد الزوال.
- (١٧) المشتار: من يستخرج العسل من الخلية.
- (١٨) النضو: المهزول.
- (١٩) البهجة: الحسن. الورد: ضد الصدر من ورد الماء أتاها ليستقي. الإصدار: الرجوع من صدر عن المكان إذا رجع عنه والمراد بالورد والإصدار، تصريف الأمور.
- (٢٠) فل الجيش: من باب قتل فانفل كسره فانكسر.
- (٢١) الملحمة: القتال. أملاك: جمع ملك من ملائكة السماء. صناع أقطار: المراد به هنا أنهم ساسة فاتحون.
- (٢٢) النذب: الخفيف في الحاجة. بعيد الرأي: ذو دهاءٍ وحكمة. مستبق إلى الجهاد: سباق إليه. مغار الفتل: كناية عن الصلابة وقوة الحسم.
- (٢٣) الأنوار، الأولى: جمع نور وهو الزهر. والأنوار الثانية: جمع نور بمعنى الضوء.
- (٢٤) الكالئ: الحافظ. الجنف: الجور والظلم. الأوضار: جمع وضر، القذاره.
- (٢٥) حفزه: حثه. الخوار: كثير الجبن.

دَمْعَةٌ عَلَى صَدِيقٍ

في اليوم الأول من شهر مارس سنة ١٩٣٦ م انتقل إلى جوار ربه المرحوم الأستاذ «أبو الفتح الفقي» وكيل دار العلوم، ورئيس جماعة دار العلوم، فكان لنعيه وقع على القلوب أليم، وفقدت مصر بفقده عالماً من أفاضل علمائها، ورجلاً من خيرة رجالها. وكان — رحمه الله — صديقاً حميماً للشاعر، فبكاه ورثاه بهذه القصيدة التي ألفت في الحفلة التي أقامتها لتأبينه جماعة دار العلوم بدار الأوبرا مساء الاثنين ٢٠ من أبريل سنة ١٩٣٦ م.

إِنْ كَانَ مِنْ صَبْرٍ لَدَيْكَ فَهَاتِهِ!	مَلَكَ الْمُصَابِ عَلَيْهِ كُلَّ جِهَاتِهِ
بِالنَّبْزَةِ السَّوْدَاءِ فِي أَنْتَاهِ١	أَسْوَانُ تَعْرِفُهُ إِذَا اخْتَلَطَ الدُّجَى
مَا يَبْتَغِي الْحَيْرَانُ مِنْ نَظَرَاتِهِ؟٢	يَبْكِي وَيَنْظُرُ فِي السَّمَاءِ مُصْعَدًا
وَهَجِيرُ قَيْظِ الْبَيْدِ مِنْ زَفَرَاتِهِ!	خَفَقَانُ نَجْمِ الْأَفْقِ مِنْ خَفَقَانِهِ
مِنْ بَعْضِ مَا يُبْدِيهِ مِنْ عِبْرَاتِهِ	وَبُكَاءِ كُلِّ غَمَامَةٍ هَتَّانَةٍ
مَا تُرْسِلُ الْأَقْلَامُ مِنْ نَفَقَاتِهِ	وَنَوَاحِ زَاتِ الطُّوقِ فِي أَعْوَادِهَا
أَيْنَ الرَّخِيمِ الْعَذْبُ مِنْ أَصْوَاتِهِ؟	يُرْثِي فِيحْتَبِسُ الْبُكَاءُ بِصَوْتِهِ
مَلَّتْ نُجُومُ اللَّيْلِ مِنْ دَقَّاتِهِ	فِي صَدْرِهِ قَلْبُ الْجَوَانِحِ مُوجِعٌ
قَدْ أَوْهَنَ الْأَسْلَاكُ مِنْ خَفَقَاتِهِ	كَالطَّيْرِ فِي قَفْصِ الْحَدِيدِ مُوثَّقًا
يَا وَيْلَ، مَا فَعَلْتَ يَمِينُ رُمَاتِهِ!	يَبْكِي وَيَضْرِبُ بِالْجَنَاحِ مُجْرَحًا

نُوبٌ كَلِيلَاتِ المَحَاقِ تَتَابَعْتُ
وَبَنَاتُ دَهْرٍ قَدْ رَحِمْنَ مَنَاكِبِي
أُودَى (أَبُو الفَتْح) المُرْجَى وَاخْتَفَى
وَانحَازَ لِلرَّكْبِ الذي مِنْ آدَمِ
سَارَتْ بِهِ الْأَحْبَابُ تَسْتَبِقُ الخُطَا
فَوَقَفْتُ أَنْظُرَ فِي الفَلَاةِ فَلَمْ أَجِدْ
مُتَشَابِهَاتٍ، هَذِهِ مِنْ هَاتِهِ^٣
وَيْلَاهُ! لَوْ أَسْطِيعُ وَأَدَّ بَنَاتِهِ!^٤
عَلِمَ طَوَاهِ الدَّهْرِ فِي طَيَّاتِهِ^٥
مَا زَالَ يُزْعَجُنَا رَيْنُ حُدَاتِهِ^٦
وَالْقَلْبُ مَكْظُومٌ عَلَى حَسَرَاتِهِ
إِلَّا جَلَالًا فِي فَسِيحِ فَلَاتِهِ!^٧

يَا جَامِعًا شَمَلَ الشُّيُوخَ بِحَزْمِهِ
يَمْشِي الرَّعِيلُ نَوَاكِسًا أَبْصَارُهُ
أَلْوَى بِعَزْمَتِهِ وَهَدَّ شِمَاسَهُ
حَيْرَانٌ يَعْتُرُّ بِالْأَعْنَةِ مِثْلَمَا
يَطْفُو نَشِيْجُ الْيَاسِ مِنْ لَهَوَاتِهِ
سَارَتْ بِهِ الْفُرْسَانُ تَخْبِطُ فِي الدُّجَى
يَبْكُونُ لِلطَّرْفِ الْمُخَلَّى سَرْجُهُ
يَبْكُونُ لِلدَّرْعِ الْمَطْرَحِ حَطَمَتْ
يَبْكُونُ أَطْوَلَهُمْ يَدًا، وَأَبْرَهُمْ
مَنْ ذَا يَلُمُّ الْيَوْمَ مِنْ أَشْتَاتِهِ؟
مَنْ بَعْدَ مَا عَيْتَ الرَّدَى بِحُمَاتِهِ^٨
قَدَرُ أَطَاحِ الْقَرَمِ عَنْ صَهَوَاتِهِ^٩
يَتَعَثَّرُ التَّمْتَامُ فِي تَاءَاتِهِ
وَتَنَزُّ نَارُ الشُّوقِ فِي لَبَّاتِهِ^{١٠}
وَالرَّكْبُ قَدْ زَاغَتْ عُيُونُ هُدَاتِهِ
وَالْفَارِسُ الْمُنْبَتُّ عَنْ غَايَاتِهِ^{١١}
أَيْدِي الزَّمَانِ الْعُسْرُ مِنْ خَلْقَاتِهِ^{١٢}
كَفًّا، وَأَسْبَقَهُمْ إِلَى قَصَبَاتِهِ^{١٣}

خُلِقَ كَمَا يَصْفُو النُّضَارُ وَطُلْعَةُ
مَنْ صَارَ فِي الْخَمْسِينَ فَخَرَ بِلَايِهِ
وَالدَّهْرُ لَا يُنْشِي الرُّجَالَ صَوَارِمًا
صَانَ الْكِرَامَةَ أَنْ تَمَسَّ، وَإِنَّمَا
مُنِعَ الرَّقِيقُ وَلَا تَزَالُ عِصَابَةُ
قَدْ كَانَ كَالْفَلَكِ الدَّءُوبِ نَشَاطُهُ
فَإِذَا تَرَاءَى سَاكِنًا فَلِأَنَّهُ
الْحَقُّ وَالْإِيمَانُ مِلءُ فُؤَادِهِ
فَإِذَا تَخَطَّرَ لِلْجِدَالِ مُصَاوِلًا
أَزْهَى مِنْ ابْنِ اللَّيْلِ فِي هَالَاتِهِ
قَدْ كَانَ فِي الْعِشْرِينَ فَخَرَ لِذَاتِهِ
إِلَّا إِذَا نَضُّجُوا عَلَى جَمَرَاتِهِ
إِذْ لَالُ نَفْسِ الْمَرْءِ مِنْ زَلَّاتِهِ
تَهْفُو إِلَى أَغْلَالِهِ وَسَمَاتِهِ!
لَا يَسْتَرِيحُ الدَّهْرُ مِنْ دَوَرَاتِهِ
فِي أَسْرَعِ الْأَحْوَالِ مِنْ حَرَكَاتِهِ!
وَبَلَاغَةُ الْأَعْرَابِ مِلءُ لَهَاتِهِ
فَاخْذَرْ فَتَى الْفَتَيَانِ فِي صَوْلَاتِهِ!

السَّيْلُ فِي دَفْعَاتِهِ، وَالسَّيْفُ فِي
لِبْسِ الْقَوِيِّ بَنَائِهِ وَبِظْفَرِهِ
وَالْحُجَّةُ الْبَيِّضَاءُ أَفْضَلُ مَقْطَعًا
عَزَمَاتِهِ، وَالْمَوْتُ فِي وَثْبَاتِهِ
مِثْلُ الْقَوِيِّ بَرَأْيِهِ وَثْبَاتِهِ
مَنْ نَضَلَ كُلُّ مُهَنْدٍ وَشَبَاتِهِ^{١٤}

مَاذَا أَصَابَ اللَّيْثُ عَنْ غَدَوَاتِهِ
سَمَحَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِمَاءِ سَرَابِهَا
إِنَّ الْأَمَانِيَّ الْحَسَانَ جَمِيلَةً
فَلَرُبَّ رَوْضٍ لِلنَّوَائِظِ مُعْجِبٍ
قَدْ كَانَ لِي أَمْلٌ سَقَيْتُ فُرُوعَهُ
أَحْنُو عَلَيْهِ مِنَ الْهَجِيرِ يَمْسُهُ
وَأَذُودُهُ عَنْهُ الطَّيْرُ إِنْ حَامَتْ عَلَى
اللَّيْلِ يَنْفَحُهُ بِذَائِبِ طَلِّهِ
حَتَّى إِذَا قَوِيَتْ لِدَانُ غُصُونِهِ
وَأَخَذَتْ أَسْتَجْلِي السَّنَا مِنْ نَوْرِهِ
وَأَفَاخِرُ الزُّرَّاعِ أَنَّ غِرَاسَهُمْ
عَصَفَتْ بِهِ هُوجٌ فخر مُعَفَّرًا
وَوَقَفْتُ أَنْظُرُ لِلْحُطَامِ مُحْطَمًا
أَهْوَنُ بِدُنْيَا مَا لَحِيَّ عِنْدَهَا
سَلُّ كُلِّ مَنْ كَتَبَ الْكَتَائِبَ غَازِيًا
إِنَّ ابْنَ دَاوُدَ عَلَى سُلْطَانِهِ
وَهُوَ الَّذِي مَلَكَ الْمُلُوكَ بِبَاسِهِ
كُلُّ ابْنِ أَنْثَى فِي الْحَيَاةِ إِلَى مَدَى

صُبْحًا، وَمَاذَا نَالَ مِنْ رَوْحَاتِهِ
فَابْتَاَعَهُ مِنْهَا بِمَاءِ حَيَاتِهِ
لَوْ حَقَّقَ الْإِنْسَانُ أَمْنِيَّاتِهِ!
كَمَنْتُ سُومُومُ الصَّلِّ فِي زَهْرَاتِهِ!^{١٥}
بَدَمِي وَغَذَّيْتُ الْمُنَى بَعْدَاتِهِ^{١٦}
وَمِنَ النَّسِيمِ يَهْزُ مِنْ أَسْلَاتِهِ^{١٧}
زَهْرٌ يُضِيءُ الْأَفَقَ فِي عَذَابَاتِهِ^{١٨}
وَالصُّبْحُ يَمْنَحُهُ شُعَاعَ إِيَاتِهِ^{١٩}
وَاسْتَخْصَدَ الْمَرْجُوُّ مِنْ ثَمَرَاتِهِ^{٢٠}
وَأَشْمُ رِيحِ الْخُلْدِ مِنْ نَفَحَاتِهِ^{٢١}
لَمْ يَزَكْ مِثْلَ زَكَائِهِ وَنَبَاتِهِ^{٢٢}
وَجَنَى عَلَيْهِ الْحَيْنُ قَبْلَ جَنَاتِهِ^{٢٣}
مُتَفَقِّتٌ الْأَفْلَازَ مِثْلَ فُتَاتِهِ^{٢٤}
وَعَدُّ يُنَجِّزُ غَيْرَ وَعْدِ وَفَاتِهِ!
هَلْ رَدَّ عَنْهُ الْجَيْشُ سَهْمَ مِمَاتِهِ؟
قَدْ خَرَّ مُنْفَرِدًا عَلَى مَنَسَاتِهِ^{٢٥}
وَأَخَافُ جَنِّ الْأَرْضِ مِنْ سَطَوَاتِهِ
وَالْمَرءُ فِي الدُّنْيَا إِلَى مِيقَاتِهِ

أَخِي! دَعَوْتُ فَلَمْ تَجِبْ، وَلِرُبَّمَا
قَدْ كَانَ عَهْدُكَ فِي بَشَاشَةِ أَنْسِهِ
كَانَ الزَّمَانُ يُظِلُّنَا بِرَبِيعِهِ

قَدْ كُنْتَ أَسْبَقَ نَاهِضٍ لِدُعَاتِهِ
عَهْدَ الشَّبَابِ مَضَى إِلَى طَيَّاتِهِ^{٢٦}
فَتَرَكْتَنِي لِلْقَرِّ مِنْ مَشَنَاتِهِ^{٢٧}

أَبْكِي الشَّبَابَ وَزَهْوَهُ وَصِحَابَهُ
كُنَّا كَفَرَعِي بَانِيَةً فَتَفَرَّقَا
وَالْعُمُرُ أَضْيَقُ أَنْ يَمَدَّ لِسَالِكِ
أَصْفَيْتَنِي مَحْضُ الْوِدَادِ وَطَالَمَا
وَرَفَعْتَ مِنْ شَعْرِي، وَكُنْتَ تَحِبُّهُ
فَاسْمَعُهُ مِنْ بَاكِ أَطَاعَ شُجُونَهُ
نَظَمَ الدُّمُوعَ فَكُنَّ بَحْرًا كَامِلًا
أَنْشِدُهُ حَسَانًا إِذَا لَاقَيْتَهُ
وَافْخَرْ بِقَوْمِكَ أَنْ أَعَادُوا لِلْوَرَى
وَانْعَمَ بَرِضْوَانِ الْإِلَهِ وَظَلُّهُ
إِنْ الَّذِي خَلَقَ الْبُكَاءَ أَغَاثَهُ

وَالْمُشْرِقَ الْوَضَّاحَ مِنْ بَسَمَاتِهِ
وَالدَّهْرَ لَا يَبْقَى عَلَى حَالَتِهِ! ٢٨
إِنْ أَوْسَعَ الْخُطُواتِ فِي سَاحَاتِهِ
خَلَطَ الْمُمَازِقُ مِلْحَهُ بِفِرَاتِهِ ٢٩
وَتُجِسُّ سِرَّ الْفَنِّ فِي أُبْيَاتِهِ
فَطَغَتْ زَوَاخِرُهَا عَلَى مَرَثَاتِهِ ٣٠
وَأَقَامَ بِالزَّفَرَاتِ تَفْعِيلَاتِهِ ٣١
فِي جَنَةِ الْفِرْدَوْسِ بَيْنَ رُؤَاتِهِ ٣٢
عَهْدَ الْبَيَانِ وَمُجْتَلَى آيَاتِهِ ٣٣
وَاسْعَدَ بَعِيشَ الْخُلْدِ فِي جَنَاتِهِ ٣٤
بِاللُّطْفِ وَالْإِحْسَانِ مِنْ رَحْمَاتِهِ

هوامش

- (١) الأسوان: الحزين. الدجى: الظلام. النبرة: الصوت. ويريد بالنبرة السوداء: صوته الحزين.
- (٢) مصعدًا، أي: متردد النظرات لا يكاد يستقر بصره في بقعة.
- (٣) النوب: المصائب تنوب بها الأيام وتصيب. المحاق (بالتثنية): آخر الشهر. وقيل: ثلاث ليال من آخره. أي: إنها نوب مدلهمة حالكة الليالي المحاق كلها سود.
- (٤) بنات الدهر: أحداثاته وشدائده. زحمن مناكبي: أي أثقلتني لكثرتهن حتى عييت بحملهن. وأد البنت: دفنها في القبر وهي حية، فعلت العرب ذلك مخافة العار والحاجة.
- (٥) أودى: مات.
- (٦) انحاز: مال. الحداة: الذين يرفعون الصوت بالغناء يستحثون بذلك الإبل على المسير.
- (٧) الفلاة: القفر. ويريد بها حيث قبور الموتى.
- (٨) الرعيل: القطعة من الجياد شبه به جماعة دار العلوم. نواكسو الأبصار: مطأطئو الرؤوس، أبصارهم إلى الأرض.

- (٩) أَلَوَى بعزمته: أَتَى عليها وأوهنها. شماسه: أي عزته وتأييه وامتناعه. القرم: السيد العظيم، الصهوات: جمع صهوة (بالفتح) وهي مقعد الفارس من الفرس.
- (١٠) تَتَز: تصوت. اللبات: جمع لبة وهي المنحر.
- (١١) الطرف: الفرس الكريم. والكلام على المجاز. المخلى سرجه: أي الذي أصبح مكانه من سرجه خاليًا. المنبت: الذي حيل بينه وبين إدراك غايته.
- (١٢) الدرع: ثوب ينسج من زرد الحديد يلبس في الحرب وقاية من سلاح العدو (يؤنث ويذكر). المطرح: الملقى. العسر: الشديدة.
- (١٣) يكنى بطول اليد: عن السبق إلى الفضل. أبرهم كفًا: أي أكثرهم جودًا وعطاء. وأسبقهم إلى قصباته، أي: إنه كان أولهم في ذلك. القصبات في الأصل: ما كان ينصب في حلبة السباق، فمن سبق اقتلعها وأخذها ليعلم أنه السابق من غير نزاع.
- (١٤) المهند: السيف المطبوع من حديد الهند وهو من أجود السيوف. نصل المهند وشباته: حديدته بدها.
- (١٥) كمنت: توارت واستخفت. الصل: الحية التي لا ينفع مع سمها علاج.
- (١٦) العذاة: الأرض الطيبة البعيدة الوخم. ويريد بها منبته الطيب. وهذا البيت والأبيات الثمانية بعده في غرض خاص بالشاعر.
- (١٧) الهجير: شدة الحر. الأسلات: الفروع الدقيقة.
- (١٨) أذود: أمنع وأطرده. حامت: حلقت ودارت. العذبات: الأغصان.
- (١٩) ينفحه: يهب عليه بليلاً. الطل: الندى. الإيأة: النور. أي: إن أسباب الحياة والرغد كانت موفورة.
- (٢٠) لدان الغصون: اللينة الطرية. الواحد، لدن. استحصدت الثمرات: قاربت النضج وحان لها أن تحصد.
- (٢١) أستجلى: أنظر وأتبين. النور: الأزهار، الواحدة، نوره. سناه: تألقه وإشراقه. نفحاته: ما يفوح وينتشر من رائحة العطرة. أشم ريح الخلد: أي ريح الجنة.
- (٢٢) يزكو: ينمو.
- (٢٣) الهوج: الرياح العاصفة غير المستوية في هبوبها. يريد عصف الموت. المعفر: الذي اختلط بالتراب. الحين: الهلاك. الجناة: ما يجنى.
- (٢٤) الحطام: ما تحطم وتكسر. يريد رفاته. محطماً، أي: مهدود القوى حزناً. الأفلان: جمع فلذة (بالكسرة) وهي القطعة من الكبدة. يصف في هذا البيت والأبيات

الثمانية قبله فقيده الذي أودى من بعد ما اكتمل وقوي، مشبهاً إياه بالنبت في أدواره المختلفة، ثم يذكر ما كان يبذله في سبيله حتى إذا ما استحصد عدا عليه الموت فاخطفه من بين يديه، أحوج ما يكون إليه، وتركه محطم الأوصال مفتت الكبد حزناً.

(٢٥) ابن داود: هو سليمان بن داود — عليهم السلام — وقد آتاه الله ملكاً وسلطاناً واسعاً، وسخر له الريح والجن وعلمه منطق الطير. وقد ورد في القرآن الكريم تعدد نعم الله عليه. المنسأة (بالكسرة): العصا. يشير إلى ما يروى أنه — عليه السلام — مات متكئاً على عصاه، وبقي كذلك لا يعرف موته، حتى نخرت عصاه فلم تقو على حمله فخر على الأرض، فعلم أنه ميت.

(٢٦) الطيات: جمع طية، وهي الجهة والمقصد.

(٢٧) ربيع الزمان: أيامه النضرة الطيبة. يريد به أيام الشباب. القر: البرد. المشتاة: زمن الشتاء. ويريد بقر الشتاء أيام الكبر.

(٢٨) البانة: واحدة البان، وهو شجر سبط القوام لينه، ورقه كورق الصفصاف.

(٢٩) محض الوداد: خالصه. أصفاه محض الوداد: صدقه الإخاء والمحبة. المماذق:

الكاره الذي لا إخلاص عنده. الفرات: العذب.

(٣٠) الشجون: الهموم والأحزان، الواحد: شجن (بالتحريك). طغت: فاضت

وجاوزت الحد. زواخرها: أي كثيها وعميمها تشبيهاً لها بالبحر الزاخر الكثير الماء. مرثاته، أي: ما أعدده لك من شعر يرثيك به.

(٣١) نظم الدموع: ضمها وألفها. بحرًا كاملاً: أي ممتلئًا. ويريد به أحد بحور

الشعر المسمى بالكامل، وفي هذا اللفظ تورية ظاهرة؛ لأن القصيدة من هذا البحر. الزفرات: الأنفاس الحارة من الحزن. التفعيلات: الأجزاء التي يتألف منها الشعر.

(٣٢) يريد بحسان: حسان بن ثابت الأنصاري شاعر رسول الله ﷺ.

(٣٣) بقومك: أي بأبناء دار العلوم. مجتلى آياته: أي آياته الناطقة البينة المرئية.

(٣٤) رضوان الإله: رضاه.

الدعوة إلى الوئام

أنشدها الشاعر بين يدي سعد زغلول باشا سنة ١٩٢١م.

بِ وَأَثَبْتَ الْأَيْتَالَ قَلْبًا	لَبَّيْكَ يَا مِلَّةَ الْقُلُوبِ
ةً فَأَقْبَلُوا عَدُوًّا وَوَثْبًا	نَادَيْتَ قَوْمَكَ لِلْحَيَا
بُ خَوَافِقُ وَهَلَا وَرُعْبًا ^١	وَرَفَعْتَ صَوْتَكَ وَالْقُلُوبِ
وَكُنْتَ لِلرَّحْمَنِ حِزْبًا ^٢	أَلَفْتَ بَيْنَ الْعُنْصُرَيْنِ
هَ لِمَصْرٍ إِخْلَاصًا وَحُبًّا	نَبَذُوا الشَّجَارَ وَأَبْدَلُوا
ةً لَعَلَّهُمْ يَجِدُونَ ثَقْبًا ^٣	وَتَبَادَرُوا صَوْبَ النَّجَا
وَأَقْبَلَا جَنْبًا فَجَنْبًا	وَسَعَى الْهَلَالُ إِلَى الصَّلِيبِ
مُرْجَفَيْنِ يَعْجُبُ عَبَاءُ	وَالسَّيْفُ مَسْلُوبٌ وَسَيْلُ الْـ
تَرَقَّبَ الْقَدَرَ الْمُحِبًّا	وَالْأَرْضُ وَاجِفَةٌ وَمِصْرُ
سُ فَكُنْتَ أَعْلَى النَّاسِ كُغْبَا	فَوَقَفْتَ فَاَنْحَنَتِ الرُّءُو
رِ فَمَا امْرُؤٌ إِلَّا وَلَبَّى	وَحَطَبْتَ بِالصَّوْتِ الْجَهِيـ
رِ دَعْنَهُ أَشْبَالُ فَهَبَّا	وَبَرَزْتَ كَاللَّيْثِ الْهَـصُ
بِ مُتَّقَفَ الْحَدَّيْنِ عَضْبَاهُ	كَالسِّيفِ سُلٍّ مِّنَ الْقِرَا
لَهَبُ الْجِدَالِ عَلَا وَشَبَّا	يَا سَعْدُ أَنْتَ لَهَا إِذَا
مَا صَرَصَرُ الْأَحْدَاثِ هَبًّا ^٦	يَا سَعْدُ أَنْتَ لَهَا إِذَا
ارِ ضَمَّ إِلَيْهِ صَحْبًا ^٧	تَسَعَى إِلَى بَارِيَسَ كَالْمُخْتـ
نِ خَدَمْتَهُ شَرْقًا وَغَرْبًا	يَا خَادِمَ الْوَطَنِ الْأَمِيـ

كُنْ لِلْوِزَارَةِ سَاعِدًا وَتَوَحَّدَا رَأْيَا وَلُبًّا
سَعْدٌ وَعَدْلِي يَغْمَلَا نِ فَمَا أَجَلٌ وَمَا أَحَبَّا
سَعْدٌ وَعَدْلِي يَغْمَلَا نِ فَلَا نَخَافُ الْيَوْمَ خَطْبَا
صِنُونَانِ فِي حُبِّ الْبِلَا دِ وَنِيلَهَا الْمَيْمُونِ شَبَّا
كُونَا يَدًا فِي الْحَادِثَا تِ وَذَلَّلَا مَا كَانَ صَعْبَا
دَامَ الْوِفَاقُ وَدَامَ سَعْدٌ صَائِبَ الْأَرَاءِ نَدْبَا
الشَّعْبُ أَنْتَ فَمَنْ رَأَى كَ فَقَدْ رَأَى فَرْدًا وَشَعْبَا

هوامش

(١) يشير إلى زهابه مع نفر من أصحابه إلى دار العميد البريطاني وإبلاغه صوت الشعب المصري، كان ذلك عقب أن وضعت الحرب الكبرى أوزارها في نوفمبر سنة ١٩١٨م وخرجت منها بريطانيا منتصرة، ولهذا كانت مطالبة سعد باستقلال بلاده في ذلك الوقت شجاعة ومخاطرة تعرض بسببها للاعتقال والنفي.

(٢) يريد بالعنصرين: مسلمي مصر وقبطها. وفي الشطر الثاني إشارة إلى الآية القرآنية الكريمة: ﴿أَوَلَيْكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الآية ٢٢ من سورة المجادلة.

(٣) تبادروا: تسارعوا. الصوب: الجهة.

(٤) سل السيف: أخرجه من غمده. المرجفون الذين يخوضون في أخبار الفتن ونحوها. يعب: يتتابع ويسمع له صخب، وهذا كناية عن الشدة والطغيان.

(٥) التثقيف: التسوية. العضب: القاطع.

(٦) الصرصر من الرياح: ما كان شديد الصوت، أو شديد البرد. الأحداث: نوب الدهر ومصائبه. هبت الريح: هاجت وثار.

(٧) يريد بالمختار النبي محمدًا ﷺ. الصحب: جمع صاحب، يشبه سعدًا وهو يسعى مع أصحابه أعضاء الوفد المصري إلى باريس سنة ١٩١٩م؛ لإسماع المؤتمرين فيها صوت مصر وإعلاء كلمتها، وإظهار حقها بالنبي ﷺ وهو يجاهد مع أصحابه لإعلاء كلمة الله.

(٨) يريد بالوزارة وزارة عدلي يكن باشا سنة ١٩٢١م، وكانت تتأهب لمفاوضة الحكومة الإنجليزية في حل القضية المصرية معتمدة على ثقة سعد وتأييده. الساعد: ما بين المرفق والكف، اللب: القلب، يطلب إلى سعد أن يؤيد الوزارة العدلية ويتحد معها رأيًا وقلبًا حتى تكلل المفاوضة بالنجاح، وقد كرر هذا المعنى في الأبيات الآتية وحض الوفد والوزارة على التعاون، وأشاد بفضلها جميعًا، وفضل الوفاق، وذلك لأن سعدًا في ذلك الوقت كان يطلب مفاوضة الإنجليز باعتباره زعيمًا للشعب المصري ووكيلًا عنه في طلب الحرية والاستقلال، وكانت الوزارة تبغي الانفراد بالمفاوضة؛ لأنها هيئة رسمية تفاوض هيئة رسمية مثلها وهي الحكومة الإنجليزية.

(٩) رجل ندب: خفيف في الحاجة نجيب.

إلى مجلة الهلال

سنة ١٩٤٧ م

قد قرأتُ الهلالَ خمسين عامًا فاق فيها بدرَ السماء اكتمالًا
وعجيبٌ يزيدُ في كلِّ شهرٍ ثمَّ يُدعى برغم ذاك هلالا

تهنئة الفاروق بعيد الفطر

سنة ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٧م

تَبَلَّجَ بِالْبُشْرَى وَلَاحَتْ مَوَاقِبُهُ
وَرَقَّتْ بِأَنْفَاسِ النَّسِيمِ سَبَائِبُهُ^١
أَطْلَ صَبَاحَ الْعِيدِ جَذْلَانِ ضَاغًا
يُمَازِحُ وَسَنَانَ الدُّجَى وَيُلَاعِبُهُ^٢
وَكَيْفَ يَنَامُ اللَّيْلُ فِي صَحْوَةِ الْمُنَى
وَقَدْ سَهَرَتْ شَوْقًا إِلَيْهَا كَوَاكِبُهُ؟
تَنَاجِيهِ أَلْحَانُ الْهَوَى فَيُجِيبُهَا
وَتَسْتُرُ لَوَاعِثَ الْمَحَبِّ غَيَاهِبُهُ^٣
تَرَدَّى مُسَوِّحَ النَّسْكِ فِي زِيِّ رَاهِبٍ
وَطَارَتْ تَسْدُ الْخَافِقِينَ ذَوَائِبُهُ
وَأَعْجَبَهُ أَنْ دَارَتْ الْأَرْضُ تَحْتَهُ
كَدَوْرٍ شَرِيطٍ مَا تَنَاهَى عَجَائِبُهُ
إِذَا أَبْصَرَ الْإِحْسَانَ فِيهَا تَلَالُثُ
أَسَارِيرُهُ وَاهْتَزَّ بِالْعُجْبِ جَانِبُهُ

يَمُوجُ فَيَعْلُو الْبَرَّ وَالْبَحَرَ مَوْجُهُ
وَتَمْلِكُ أَنْجَاءَ الْفَضَاءِ مَذَاهِبُهُ^٥
عَلَيْهِ النُّجُومُ السَّابِحَاتُ سَفَائِنُ
يُغَالِبُهَا آذِيهِ وَتُغَالِبُهُ^٦
سَفَائِنُ لَمْ يَعْرِفْ لَهَا الدَّهْرُ سَاحِلًا
وَسَفَرٌ عَلَى الْأَيَّامِ مَا مَلَّ دَائِبُهُ^٧
رَأَهُ سَلِيلُ الطَّيْنِ يَجْتَابُ لَيْلَهُ
فَهَلْ هَذَاتُ دُونَ الْمَسِيرِ جَوَائِبُهُ^٨؟
تَلَقَّاهُ فَجَرُ الْعِيدِ فِي غُنْفَوَانِهِ
تَصُولُ بِشَهْبِ الصَّافِنَاتِ كَتَائِبُهُ^٩
تَأْلُقُ كَالْحَقِّ الْمُبِينِ إِذَا بَدَا
تَوَلَّى ظِلَامُ الشَّكِّ وَارْتَاعَ شَاحِبُهُ^{١٠}
وَلِلصُّبْحِ عِنْدِي مِنَّةٌ كُلَّمَا نَبَا
بِي اللَّيْلُ أَوْ طَالَتْ عَلَيَّ هَيَادِبُهُ^{١١}
أَرَاهُ فَأَلْقَى الْبِشْرَ فِي قَسَمَاتِهِ
طَهُورًا كَتَغْرِ الطِّفْلِ حِينَ تُدَاعِبُهُ
وَأَشْعُرُ أَنَّ الْكُونَ عَادَتْ حَيَاتِهِ
إِلَيْهِ وَأَنَّ الْأُنْسَ قَدْ أَبَ غَائِبُهُ
يَهْشُ إِلَيْهِ كُلُّ حَيٍّ كَأَنَّمَا
أَشَعَّتْهُ حُلُمُ الصَّبَا وَرَغَائِبُهُ
وَتَصْحُو لَهُ الْأَزْهَارُ مِنْ وَسَنَاتِهَا
تُسْتَقْبِلُ الْأَطْيَارُ بِسَمَةِ نُورِهِ
فَيَبْهَرُنَا مِنْ كُلِّ لَحْنٍ غَرَائِبُهُ
تَرَاهَا عَلَى الْأَقْنَانِ سَكْرَى مِنَ السَّنَا
يُنَاغِي أَلِيفُ إِلْفَهُ فَيُجَاوِبُهُ

قِيَانُ أَدَقَّ اللّهُ أَوْتَارَ عُودِهَا
فَأُخِيَّتْ أَغَانِيهِ وَأَشْجَتْ مَضَارِبُهُ^{١٣}
كَأَنَّ ضِيَاءَ الصُّبْحِ وَالْكُونُ مُشْرِقٌ
سَنَا طَلْعَةَ الْفَارُوقِ لَاحَتْ رَكَائِبُهُ
أَطْلَ هِلَالُ الْعِيدِ يَحْظَى بِنَظَرَةٍ
فَأَبْصَرَ نَوْرًا يَبْهَرُ النُّورَ ثَاقِبُهُ^{١٤}
وَشَاهَدَ فِي طَهْرِ الْمَلَائِكِ سَيِّدًا
سَمَتْ فَوْقَ أَفْلَاكِ السَّمَاءِ مَنَاسِبُهُ^{١٥}
تَرَاهُ فَتَلْقَى أُمَّةً فِي شَبَابِهَا
وَتُصْغِي إِلَى الْأَمَالِ حِينَ تَخَاطِبُهُ
أَصَالَةُ رَأْيٍ فِي ابْتِسَامِ سَمَاحَةٍ
وَصَوْلَةُ عَزْمٍ يُرْهِبُ الدَّهْرَ قَاطِبُهُ^{١٦}
تَأْتُرُ خَطْوَ الْحَزْمِ فِي كُلِّ مَطْلَبٍ
وَهَلْ يَعْظُمُ الْمَطْلُوبُ وَالْحَزْمُ طَالِبُهُ؟^{١٧}
مَلِيكَ مِنَ الْأَقْلَادِ أَعْوَادُ عَرْشِهِ
فَمَنْ ذَا يُدَانِيهِ وَمَنْ ذَا يُقَارِبُهُ؟^{١٨}
مَحَبَّتِهِ فِي كُلِّ قَلْبٍ شَغَافُهُ
وَإِحْسَانُهُ فِي كُلِّ كَفٍّ رَوَاجِبُهُ^{١٩}
حَوَتْ رِيَشَةَ الرَّسَامِ بَعْضَ سِمَاتِهِ
وَعَزَّتْ عَلَى رِيَشِ الْقَرِيضِ مَنَاقِبُهُ
لِكُلِّ خَيَالٍ فِي فَمِ الشُّعْرِ غَايَةٌ
وَلَا تَنْتَهِي غَايَاتُهُ وَمَآرِبُهُ
صِفِ الْبَحْرَ فِي أَمْوَاجِهِ وَكُنُوزِهِ
وَقُلْ: هَذِهِ آلاؤُهُ وَمَوَاهِبُهُ^{٢٠}
صِفِ الْهِمَمَ الْجُرْدَ الَّتِي تَقْنِصُ الْمُنَى
وَقُلْ: هَذِهِ أَفْرَاسُهُ وَنَجَائِبُهُ^{٢١}

صِفِ الْأَنْجَمَ الزُّهَرَ اللَّوَامِعَ فِي الدُّجَى
وَقُلْ: هَذِهِ أَقْدَارُهُ وَمَرَاتِبُهُ^{٢٢}
صِفِ السُّحْبَ أَيْنَ السُّحْبُ مِنْ فَيْضِ جُودِهِ
إِذَا وَكَفَتْ لِلْبَائِسِينَ سَحَائِبُهُ^{٢٣}
تَمَنَّتْ زُهُورُ الرُّوْضِ لَوْ أَنَّ طَيْبَهَا
لَهُ نَفْحَةُ الذُّكْرِ الَّذِي هُوَ كَاسِبُهُ^{٢٤}
فَمَا كَرُمَ إِلَّا وَمِنْهُ انْبِعَاثُهُ
وَلَا شَرَفٌ إِلَّا وَفَارُوقُ صَاحِبُهُ
إِذَا اصْطَنَعَ اللَّهُ أَمْرًا جَلَّ سَعْيُهُ
وَعَمَّتْ أَيْادِيهِ وَطَابَتْ نَقَائِبُهُ^{٢٥}
بِهِ ازْدَادَ دِينِ اللَّهِ عِزًّا وَرَدَّدَتْ
مَنَابِرُهُ آلَاءَهُ وَمَحَارِبُهُ
وَقُورُ بَدْرِ الدِّينِ يُطْرِقُ خَاشِعًا
مِنَ النَّسْكِ يَرْجُو رَبَّهُ وَيُرَاقِبُهُ^{٢٦}
بِجَانِبِهِ الشَّعْبُ الْوَفِيُّ يَحُوطُهُ
وَتَزَحَّمُهُ أَعْضَادُهُ وَمَنَاكِبُهُ
وَجِبْرِيلُ يَهْفُو فَوْقَهُ بِجَنَاحِهِ
حَنَّانًا، وَفَيْضُ اللَّهِ يَنْهَلُ سَاكِبُهُ
تَجَلَّى بِهِ عَصْرُ الرَّشِيدِ وَعِزُّهُ
وَسَالِفُ عَهْدِ الرَّاشِدِينَ وَذَاهِبُهُ^{٢٧}
إِذَا الشَّعْبُ وَالْآلَةُ فَذَلِكَ فَرَضُهُ
وَإِنْ هُوَ فَدَّاهُ فَذَلِكَ وَاجِبُهُ^{٢٨}

شَهِدْتُكَ يَوْمَ الْعِيدِ وَالشَّعْبُ حَاشِدٌ
تَهَيَّمُ بِهِ أَشْوَاقُهُ وَتُجَاذِبُهُ

له صَوْتُ صِدْقٍ بالدُّعَاءِ مُجَلِّجٍ
 يُفَتِّحُ أَبْوَابَ السَّمَوَاتِ صَاحِبُهُ
 فَعَيْنِ اشْتِيَاقٍ تَرْتَجِي لُقْيَةَ الْمُنَى
 وَصَدْرٌ وَلَاءٍ خَافِقِ الْقَلْبِ وَاجِبُهُ
 رَأَيْتُ كَأَنَّ الْبَحْرَ مُدًّا بِمِثْلِهِ
 وَقَدْ زَارَتْ أَمْوَاجُهُ وَعَوَارِبُهُ
 هُنَاكَ بَدَا الْعِيدَانِ: وَجْهَكَ وَالضُّحَى
 مَشَارِقُهُ وَضَاءَةٌ وَمَغَارِبُهُ
 طَلَعَتْ فَأَبْصَرْنَا الْجَلَالَ مُصَوَّرًا
 نَرَاهُ فَيُغْضِي طَرْفَنَا وَهُوَ هَائِبُهُ^{٢٩}
 لَكَ الْبَسْمَةُ الرَّهْرَاءُ تَخْتَلِبُ النُّهَى
 وَيُمَحِّي بِهَا مِنْ كُلِّ هَمٍّ شَوَائِبُهُ^{٣٠}
 طَلَعَتْ فَقُلْنَا: خَيْرٌ مِنْ سَاسِ أُمَّةٍ
 وَأَشْرَفٌ مِنْ شُدَّتْ عَلَيْهِ عَصَائِبُهُ^{٣١}
 لَدَى مَوْكِبٍ لِلْمُلْكِ عَزَّ مِثَالُهُ
 تُحِيطُ بِهِ فُرْسَانُهُ وَكَوَاكِبُهُ
 يُشَاهِدُهُ التَّارِيخُ وَالْعُجْبُ مِلْؤُهُ
 فَيَذْهَلُ عَنْ حَصْرِ الذِّي هُوَ كَاتِبُهُ
 فَمَنْ شَاءَ مَجْدَ الْمُلْكِ فِي بَعْدِ شَأُوهُ
 فَهَذِي عَوَالِيهِ وَتِلْكَ قَوَاضِيهِ^{٣٢}
 وَهَذَا الذِّكَاءُ الْعَبْقَرِيُّ مَلِيكُهُ
 وَهَذِي الْجُنُودُ الزَّاحِرَاتُ مَوَاكِبُهُ
 مَلِيكَ لَهُ عَزْمُ الصَّبَا وَوُثُوبُهُ
 وَأَرَاءُ مَا بَعْدَ الصَّبَا وَتَجَارِبُهُ

تَخْطُرُ شَهْرُ الصَّوْمِ يَسْحَبُ ثَوْبَهُ
فَتَنْشُرُ مِسْكَاً فِي الْفَضَاءِ مَسَاجِبُهُ^{٣٣}
تَحْمَلُ لِلْفَارُوقِ أَجْرَ مُجَاهِدٍ
يَتِيهِ بِهِ إِنْ حَاوَلَ الْعَدَّ حَاسِبُهُ
وَعَادَ إِلَى مَوْلَاهُ جَمًّا ثَوَابُهُ
مَلِيئًا مِنَ الْإِحْسَانِ بُجْرًا حَقَائِبُهُ^{٣٤}
تَحَدَّثَتْ فِي الْمَذْيَاعِ عَنْ فَضْلِ صَوْمِهِ
وَكَمْ مَثَلٍ عَالِي الذُّرَا أَنْتَ ضَارِبُهُ^{٣٥}

* * *

هَنِيئًا لَكَ الْعِيدُ الَّذِي بِكَ أَشْرَقَتْ
مَنَازِلُهُ بِشْرًا، وَضَاعَتْ رَحَائِبُهُ
رَأَتْ فِيهِ مِصْرُ هَمَّةً عَلَوِيَّةً
يَرَى كُلُّ بَأْسٍ عَزَمَهَا فَيُجَانِبُهُ^{٣٦}
وَأَبْصَرَ فِيهِ النَّيْلُ خَيْرَ مُمْلِكٍ
تَجِلُّ مَسَاعِيهِ، وَتَصْفُو مَشَارِبُهُ
بَصِيرٌ إِذَا سَاسَ الْأُمُورَ تَكْشَفَتْ
وَبَانَ لَهُ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ عَوَاقِبُهُ
يُزَاوِلُهَا مِنْهُ حَصِيفٌ مُدْرَبٌ
بَعِيدُ الْمَرَامِي صَادِقُ الرَّأْيِ صَائِبُهُ^{٣٧}
إِذَا مَدَّ زَنْدَ الْعَزَمِ فِي إِثْرِ مَطْلَبٍ
تَدَانَتْ أَقَاصِيهِ، وَلَانَتْ مَصَاعِبُهُ^{٣٨}
نَعِمْنَا بِالْإِسْتِقْلَالِ فِي يُمْنِ عَهْدِهِ
وَأَسْفَرَ لَيْلٌ لَمْ يَنْمَ فِيهِ نَاصِبُهُ^{٣٩}
وَعَزَّ جَمَى مِصْرٍ بِجُهِدِ رَجَالِهَا
وَعَادَ لَهَا مِنْ لَامِعِ الْمَجْدِ عَازِبُهُ^{٤٠}

فَعِشْ لِلْهُدَى وَالْمَكْرَمَاتِ فَإِنَّمَا
سَجَايَاكَ آيَاتُ الْهُدَى وَجَوَالِبُهُ^١

هوامش

- (١) تبلج: أضاء وأشرق والضمير يعود إلى الصباح الذي سيأتي ذكره. لاحت: ظهرت وبدت. السبائب: الأعلام. الواحدة: سببية. رفت: خفقت واهتزت.
- (٢) جذلان: فرحاً، الوسنان: الذي غشيته سنة النوم. الدجى: ظلام الليل.
- (٣) تناجيه: تساره وتجاذبه الحديث. غياهبه: ظلماته وحنادسه.
- (٤) تردى: لبس. مسوح النسك: ما يظهر فيه الزهاد من لباس أسود. الخافقين: المغرب والمشرق. ذوائبه: أطرافه، ويريد السنة الظلام.
- (٥) مذاهبه: طرقه.
- (٦) الآذي: الموج.
- (٧) السفر: المسافرون. الواحد سفر. الدائب: المستمر فيما أخذ فيه.
- (٨) سليل الطين: آدم؛ لأنه خلق من الطين. يجتاب: يقطع.
- (٩) في عنفوانه: في اكتماله ورائع نوره. تصول: تسطو وتعدو. الشهب: جمع أشهب، وهو الذي فيه بياض يصدعه سواد. الصافنات: الخيل تقوم على ثلاث قوائم وطرف الرابعة، ولا يكون ذلك إلا في الجياد العتاق. الكتائب: جمع كتيبة، وهو الجيش. ويريد بالكتائب: جيوش الضوء، وبشهب الصافنات: الأشعة للونها وسرعة جريها.
- (١٠) تآلق: أضاء وأشرق.
- (١١) نبا بي الليل: أي نبا جنبي عن الليل كأنه فراش خشن، فاستوحشت وضجرت. هيادبه: سحائب ظلماته.
- (١٢) تصحو: تتفتح. سناتها: سباتها.
- (١٣) القيان: الجواري المغنيات. شبه الطير بها. أشجت: أثارت الشجو وحركت الشوق. أغانيه: أي أغاني العود.
- (١٤) ثاقبه: نوره الذي يبذ كل نور.
- (١٥) مناسبه: أي أنسابه وأصوله.

- (١٦) القاطب: العابس عن غضب وشدة. القاطب: الأسد (أيضًا). والكلام على كلا المعنيين مستقيم. فعلى الأول جعل عزمه العابس يخيف الدهر. وعلى الثاني جعل من عزمه أسدًا يخشى الدهر بطشه.
- (١٧) تأثر: احتذى وترسم.
- (١٨) الأفلاذ: قطع الأكباد.
- (١٩) شغاف القلب (هنا): سويداؤه. الرواجب: بواطن مفاصل الأصابع، وقيل غير ذلك، الواحدة راجبة.
- (٢٠) كنوز البحر: ما ينطوي عليه من جوهر كريم ومنافع للناس. الآلاء: النعم.
- (٢١) الجرد: من صفات الخيل. وهي القصيرة الشعر، وهو مما تمدح به. تقنص المنى: تظفر بها وتلحقها. النجائب: كرام النوق. الواحدة: نجبية. والأفراس والنجائب، عدة الإنسان في بلوغ الغايات.
- (٢٢) الزهر: الناصعة البياض. الدجى: الظلام. الأقدار والمراتب: المنازل والدرجات.
- (٢٣) فيض جوده: عميم كرمه. وكفت: أمطرت.
- (٢٤) نفحة الذكر: سيرته الطيبة التي تملأ الأرجاء. كاسبه: المتصف به.
- (٢٥) اصطنعه: تولاه برعايته وحاطه بعنايته. وجل: عظم. عمت: انتشرت، الأيادي: النعم، النقائب: الخلال الطيبة، الواحدة: نقيبة. طيبها: حسنها وبلوغها غاية الكمال.
- (٢٦) يرجو: يخاف. يراقب: يخشى.
- (٢٧) تجلى: وضح وبان، الرشيد: هو هارون الرشيد أحد الخلفاء العباسيين. وكان عهده من أزهى عهود الدولة حضارة ومدنية. الراشدون: الخلفاء الأربعة وقد بلغ الدين في عهدهم غايته.
- (٢٨) والاه: أخلص له الولاء ودان له. فرضه: واجبه. فداه: جعل نفسه فداءً له.
- (٢٩) يغضي: يكسر الطرف حياءً. هائبه: في خشية منه.
- (٣٠) الزهراء: المشرقة إشراق النجوم. تختلب النهى: تستلب العقول. شوائب الهم: ما يشوب النفس ويعكر صفوها.
- (٣١) العصائب: جمع عصابة، وهي ما يشد على الرأس.
- (٣٢) الشأو: الغاية والمدى. العوالي: الرماح. القواضب: السيوف.
- (٣٣) مساحب الثوب: ما ينجر منه على الأرض.
- (٣٤) بجرًا حقائبه: منتفخة من كثرة ما فيها من الثواب.

- (٣٥) الذرا: جمع ذروة، وهي من كل شي أعلاه.
- (٣٦) علوية: نسبة إلى جده رأس الأسرة الملكية في مصر «محمد علي باشا». البأس: القوة والشدة. يجانبه: يباعده.
- (٣٧) الحصيف: الذي استحكم عقله. المدرب: ذو الخبرة بالأمور. بعيد المرامي: بعيد النظر، صائبه: أي: لا يخطئ مواقع الأمور.
- (٣٨) يريد بزند العزم: ذراعه القوي الفتى، والمقصود همته التي لا تنتهي أمام المطالب. تدانت: قربت. أقاصيه: ما بعد وعز. لانت: هانت وسهلت.
- (٣٩) الناصب: المضني المتعب.
- (٤٠) الحمى: ما يجب عليك حمايته. عازبه: ما بعد عليها قديمًا وامتنع.
- (٤١) سجاياك: طباعك وخلالك. جوالبه: تجلبه وتأتي به.

أعلام المجمع

في رثاء الأساتذة أحمد الإسكندري وحسين والي ونلينو أعضاء مجمع اللغة العربية.
أنشدت بدار الأوبرا في فبراير سنة ١٩٣٩ م.

غداً في سماءِ العبقرية نلتقي
ونذكر عيشاً كالزاهر لم يطل
ونضحك من آمالنا كيف أنها
ونسبح في أنهارِ عدن كأنما
ونخترق الأجواء بين مديوم
وتجتمع الأنداد بعد التفريق
ووداً كمشمول الرحيق المصفق^١
أصاحت إلى وعد الزمان الملق
سرائرنا من ما بها المتدفق
يمد جناحيه وبين مصفق^٢

نكزت أجبائي وقد سار ركبهم
أودعهم ما بين لوعة واجد
وأبعث في الصحراء أنات شيق
تعلقت بالحدباء حيران وإلها
لمست فلم ألمس سوى أريحية
إلى غير آفاق على غير أينق^٣
تطير به الذكري وزفرة مشفق
وهل تسمع الصحراء أنات شيق؟!
وكيف! وماذا نأفعي من تعلقي؟!^٤
من النور لفت في رداء مخلق^٥

أتدفن في الأرض الكنوز وفوقها
ويمضي الحجا ما بين يوم وليلة
يضيق فضاء الأرض عن همه الفتى
خلاء إلى لألائها جد مُمليق^٦
كلمحة طرف أو كومة مبرق^٧
ويجمع في لحد من الأرض ضيق

تَبَابُ لِهَذَا الدَّهْرِ مَاذَا يُرِيدُهُ؟ وَأَيَّ جَدِيدٍ عِنْدَهُ لَمْ يُمَزِّقْ؟
يُصَدِّعُ مَنْ أَعْلَمَنَا كُلَّ رَاسِخٍ وَيُطْفِئُ مَنْ أَنْوَارَنَا كُلَّ مُشْرِقٍ
هُوَ الْمَوْتُ مَا أَغْنَى اسْمُهُ عَنْ صِفَاتِهِ وَعَنْ كُلِّ أَلْوَانِ الْكَلَامِ الْمُنْمَقِ!
رَمَتْنِي عَوَادِيهِ فَإِنْ قُلْتُ: إِنَّهَا مَضَتْ بِأَمَانِي الْحَيَاةَ فَصَدِّقْ!

أَحْمَدُ أَيْنَ الْأَمْسُ وَالْأَمْسُ لَمْ يَعُدْ سَوَى ذِكْرِيَّاتٍ لِلخِيَالِ الْمُؤَرَّقِ
كَأَنِّي أَرَاكَ الْيَوْمَ تَخْطُبُ صَائِلًا وَتَهْدِرُ تَهْدَارَ الْفَيْنِقِ الْمُشَقِّشِقِ^٩
تُنَافِحُ عَنْ بِنْتِ الصَّحَارِيِّ مُشَمَّرًا وَتَفْتَحُ مِنْ أَسْرَارِهَا كُلَّ مُغْلَقِ^{١٠}
مَضَى حَارِسُ الْفُضْحَى فَخَلَدَهُ اسْمُهُ كَمَا خَلَدَ الْأَعَشَى حَدِيثَ الْمُحَلَّقِ^{١١}
فَقَدْنَا بِهِ زَيْنَ الْفَوَارِسِ إِنْ رَمَى أَصَابَ وَإِنْ يُرْخَ الْعِنَانَيْنِ يَسْبِقُ
فَقُلْ لِلَّذِي يَسْمُو لَذِيلِ غُبَارِهِ ظَلَمْتَ الْعَتَاقَ الشَّيْطَمِيَّاتِ فَارْفَقِ^{١٢}
إِذَا مَا رَمَى عِنْدَ الْجِدَالِ عِبَاءَهُ رَمَاكَ بِسَيْلٍ يَقْذِفُ الصَّخْرَ مُغْرِقِ
فَجَانِبُ إِذَا كُنْتَ الْحَكِيمَ سُؤَالَهُ وَأَطْرَقَ إِلَى آرَائِهِ ثُمَّ أَطْرَقِ

أَحْمَدُ، إِنْ تَمَرَّرُ بِوَالِي فَحَيِّهِ وَبَلَغَهُ أَشْوَاقَ الْفَوَادِ الْمُحَرَّقِ^{١٣}
طَوِينَاهُ صَيَّادَ الْأَوَابِدِ لَمْ يَدْعُ عَزِيزًا عَلَى الْأَفْهَامِ غَيْرَ مُوثِقِ^{١٤}
لَهُ نَظْرَةٌ لَمْ يَحْتَمِلْ وَقَعَ سِحْرِهَا غَرِيبُ ابْنِ حُجْرٍ أَوْ عَوِيصُ الْفَرْزَدَقِ^{١٥}
أَحَاطَ بِآثَارِ الْخَلِيلِ بَنَ أَحْمَدِ إِحَاطَةً فَيَاضَ الْبَيَانِ مُدَقِّقِ
إِذَا مَسَّ بِالْكَفِّ الْجَبِينِ تَدَافَعَتْ جُيُوشُ الْمَعَانِي فَيَلْقَا إِثْرَ فَيَلْقِ^{١٦}

وَيَوْمًا مَعَ الْإِسْكَندَرِيِّ رَأَيْتَهُ يُجَازِبُهُ فَضْلُ الْحَدِيثِ الْمُشَقِّقِ^{١٧}
فَهَذَا يَرَى فِي لَفْظَةٍ غَيْرَ مَا يَرَى أَخُوهُ وَيَخْتَارُ الدَّلِيلَ وَيَنْتَقِي
فَقُلْتُ: أَرَى لَيْثًا وَلَيْثًا تَجَمَّعَا وَأَشْدَقَ مِلءَ الْعَيْنِ يَمْشِي لِأَشْدَقِ^{١٨}
وَأَعْجَبَنِي رَأْيُ سَلِيمٍ وَمَنْطِقُ يَصُولُ عَلَى رَأْيِ سَلِيمٍ وَمَنْطِقُ
وَقَدْ لَوَّحَتْ أَيْدِيهِمَا فَكَأَنَّهَا إِشَارَاتُ رَايَاتِ تَرَوْحُ وَتَلْتَقِي

ولم أرَ في لَفْظَيْهِمَا نَبَرَ عَائِبٍ ولم أرَ في عَيْنَيْهِمَا لَمَحَ مُحَنَّقٍ^{١٩}
فقلتُ: هِيَ الْفُضْحَى بِخَيْرٍ وَإِنَّهَا بَأَمْثَالِ هَذَيْنِ الْحَفِيَّيْنِ تَرْتَقِي

وَلَمْ أُنْسَ نَلَيْنُو وَقَدْ جَاءَ فَيَصَلَا بِحُجَّةِ بَحَاثٍ وَرَأْيٍ مُحَقِّقٍ^{٢٠}
وَفُكِّرَ لَهُ مِنْ فِطْرَةِ الرُّومِ بَقَّةٌ وَمِنْ نَفَحَاتِ الْعُرْبِ حُسْنٌ تَالِقٌ
يُنَسَّقُ عِلْمَ الْأَوَّلِينَ مُجَاهِدًا وَلَا خَيْرَ فِي عِلْمٍ إِذَا لَمْ يُنَسَّقِ
تَقَاسَمَهُ غَرْبٌ وَشَرْقٌ فَالْفَتْ مَنَاقِبُهُ مَا بَيْنَ غَرْبٍ وَمَشْرِقٍ
فَدَعُ مَا يُغْطِي الرَّأْسَ وَاسْمَعَهُ لَا تَجِدْ سِوَى عَرَبِيٍّ فِي الْعُرُوبَةِ مُغْرِقٍ
إِذَا صَالَ أَلْقَى الرُّمْحَ كُلُّ مُنَازِلٍ وَإِنْ هُوَ دَوَى سَفَ كُلِّ مُحَلِّقٍ^{٢١}
عَشَقْنَاهُ وَضَاحَ الْخَلَائِقِ مُخْلِصًا وَمَنْ يَكُ وَضَاحَ الْخَلَائِقِ يُعْشَقُ
فَيَا مَجْمَعَ الْفُضْحَى عَزَاءً فَكُلُّنَا إِلَى الشَّاطِئِ الْمَوْعُودِ رِكَابُ زُورِقٍ
وَمَا عَقِمَتْ أُمُّ اللَّغَاتِ وَلَا خَلَتْ خَمَائِلُهَا مِنْ سَجْعِ كُلِّ مُطَوِّقٍ

هوامش

- (١) الرحيق: صفوة الخمر. المشمول: البارد يقال: (غدير مشمول). هبت عليه ريح الشمال فأبردته. المصفق: المصفى بتحويله من إناء إلى إناء.
- (٢) مدوم: دوم الطائر حلق في الهواء دون أن يحرك جناحيه. مصفق: من صفق الطائر بجناحيه حركهما فسمع لحركتهما صوت.
- (٣) أينق: جمع ناقة وجمع الجمع: أيانق.
- (٤) الحدياء: النعش.
- (٥) مخلق: الخلق والخلقة ضرب من الطيب. المخلق: ما وضع عليه الخلق.
- (٦) جد مملق: مفتقر جدًا.
- (٧) الحجا: العقل والفتنة.
- (٨) التباب: القطع والإهلاك. وتبا له: دعاء عليه بالهلاك.
- (٩) هدر الفنيق: ردد صوته في حنجرتة. التهدار: مصدر منه. المشقشق: البعير يخرج من فيه ما يشبه الرثة إذا هاج ويسمى العامة (القلة).

(١٠) تنافح: تدافع. بنت الصحاري: كناية عن اللغة العربية. مشمرًا: مجتهدًا. أسرارها: خفاياها ومعضلاتها. مغلق: مقفل.
(١١) الأعشى: هو أعشى قيس أبو بصير من فحول شعراء الجاهلية. المحلق: لقب عبد العزى بن حنتم وكان فقيرًا خامل الذكر مدحه الأعشى بقصيدته التي مطلعها:

أرقت وما هذا السهاد المؤرق وما بي من سقم وما بي تعشق

فنبه ذكر المحلق وعلا شأنه، وخلد التاريخ اسمه.
(١٢) العتاق: من الخيل. النجائب، ومفرده عتيق ككريم. الشيظميات: واحدها شيظمي وهو الفرس الرائع بطول جسمه وقوته. ارفق: ترفق وتلطف.
(١٣) والي: هو المرحوم حسين والي عضو المجمع اللغوي وأحد فحول العربية في عصر النهضة. تخرج في الأزهر وزاول مهنة التدريس فيه وفي مدرسة القضاء الشرعي، وتدرج في مناصب الأزهر السامية. ولما أنشئ المجمع اختير عضوًا فيه وكانت مواقفه فيه خالدة، وأراؤه حكيمة، وله عدة مؤلفات في الأدب واللغة ورسم الحروف. أشواق: جمع شوق وهو نزاع النفس وحركة الهوى. المحرق: من حرقه باليد يحرقه بالغ في الإحراق.
(١٤) الأوابد: الوحوش، والمراد عويصات المسائل وغرائبها مما يعز فهمه. الموثق: المحكم المتقن.

(١٥) ابن حجر: امرؤ القيس إمام شعراء الجاهلية. عويص: من عوص الكلام صعب، والعويص من الشعر ما صعب فهم معناه. الفرزدق: أحد فحول الشعراء الأمويين مشهور بصلابة الشعر وغرابته.

(١٦) تدافعت: تدافعوا في الحرب: دفع بعضهم بعضًا. الفيلق: الجيش.
(١٧) الإسكندري: هو المرحوم الأستاذ أحمد علي السكندري. حجة الأدب العربي واللغة العربية، تلقى دروسه في الأزهر، ثم في دار العلوم، ثم كان مدرسًا في المدارس الأميرية، فناظرًا لمدارس المعلمين فأستاذًا بدار العلوم، فعضوًا في المجمع توفي سنة ١٩٣٨م. يجاذبه: يجذبه حوله عن موضعه كجاذبه. والمراد هنا النقاش والمجادلة؛ لأن كلاً يجذب الآخر لرأيه بكلامه. جذب الشيء فضل: الفضل هنا بمعنى الطرف. المشقق: شقق الكلام أخرجه أحسن مخرج.

(١٨) أشدق: الشدق. سعة الشدق وخطيب أشدق بليغ.

(١٩) نبر: نبر فلاناً بلسانه نال منه. لمح: لمح إليه اختلس النظر ولمح البرق لمح. محقق: الحنق. الغيظ أو شدته.

(٢٠) نلينو: هو المستشرق الإيطالي الكبير الأستاذ نلينو ولد في تورينو من بلاد إيطاليا سنة ١٨٧٢م. وأتقن دراسة الرياضيات والفلك والفلسفة والفقه وتاريخ الأديان. وفد إلى القاهرة في بعثة إيطالية سنة ١٨٩٣م؛ ليتزود من علوم الشرق، ولا سيما العلوم الإسلامية ثم عاد إلى وطنه فاشتغل مدرساً للعلوم العربية في المعهد الشرقي بنابولي وفي جامعة روما ثم بلرم. فأستاذًا للتاريخ الإسلامي بجامعة روما. وألقى محاضرات هامة في الجامعة المصرية بين عامي سنة ١٩٠٩ وسنة ١٩١٣، ثم دعاه الملك فؤاد سنة ١٩٢٦م؛ ليكون أستاذًا بكلية الآداب واختير عضوًا في المجمع كما اختير عضوًا في مجمع إيطاليا، وفي الجمعيتين الشرقيتين الإنجليزية والألمانية. وفي مجمع دمشق العلمي. توفي سنة ١٩٣٨م.

(٢١) دوى: دوى الطائر: طار في الهواء ولم يحرك جناحيه. سف الطائر: هبط إلى الأرض.

بَغْدَادُ

أُلقيت في حفل افتتاح المؤتمر الطبي العربي ببغداد في ٩ من فبراير سنة ١٩٣٨ م.

وَمَنَارَةُ الْمَجْدِ التَّلِيدِ ^١	بَغْدَادُ، يَا بَلَدَ الرَّشِيدِ!
زَهْرَاءَ فِي ثَغْرِ الْخُلُودِ	يَا بَسْمَةً لَمَّا تَزَلْ
مِمْ وَمَضْرِبَ الْمَثَلِ الشَّرُودِ ^٢	يَا مَوْطِنَ الْحُبِّ الْمُقْبِ
بَةِ خُطٍّ فِي لَوْحِ الْوُجُودِ	يَا سَطَرَ مَجْدٍ لِلْعُرُو
إِسْلَامُ خَفَّاقِ الْبُنُودِ	يَا زَايَةَ الْإِسْلَامِ، وَالـ
مِمْ، وَمَشْرِقَ الْأَمَلِ الْجَدِيدِ	يَا مَغْرِبَ الْأَمَلِ الْقَدِيدِ
تُ لِرَشْفِ مَبْسِمِكَ الْبُرُودِ ^٣	يَا بِنْتَ رِجْلَةٍ، قَدْ ظَمِئْ
يَ بِهِجَةَ الدُّنْيَا وَزَيْدِي	يَا زَهْرَةَ الصَّحْرَاءِ، رُدْ
لَ بِقَوْمِنَا عَهْدُ الرُّقُودِ	يَا جَنَّةَ الْأَحْلَامِ، طَا
حِ، وَصَخْرَةَ الْمُلِكِ الْوَطِيدِ ^٤	يَا بُهْرَةَ الْمُلِكِ الْفَسِيدِ
إِنْ كُنْتَ صَادِقَةً فَعُودِي!	يَا زُورَةَ تُحْيِي الْمُنَى

وَالْفَنِّ، يَا بَيْتَ الْقَصِيدِ	بَغْدَادُ، يَا دَارَ النِّهَى
فِكَ بَيْنَ أَفْنَانِ الْوُرُودِ	نَبْتَ الْقَرِيضِ عَلَى ضِفَا
نِ «وَالْتَفَنُّنِ مِنْ «وَجِيدِ» ^٥	سَرَقَ التَّدَلُّلِ مِنْ «عَنَا
شُدَّتْ عَلَى أَوْتَارِ عُودِ	يَشْدُو كَأَنَّ لَهَا تَهْ

بَغْدَادُ، أَيْنَ الْبُحْتَرِيُّ؟
وَمَجَالِسُ الشُّعْرَاءِ فِي
أَيْنَ الْقِيَانِ الضَّاحِكَا
السَّاحِرَاتُ الْفَاتِنَا
السَّاهِرَاتُ مَعَ النُّجُ
مِنْ كُلِّ بَيْضَاءِ الطَّلَى
يَخْطِرُنَ حَتَّى تَعْجَبَ الـ
وَإِذَا سَفَرْنَ فَأَيْنَ ضَوْ
يَعْبَثْنَ بِالْأَيَّامِ، وَالـ
خَبَأَ الْجَمَالَ لَهُنَّ كُنْزًا
وَأَيْنَ أَيْنَ ابْنُ الْوَلِيدِ؟
بَيْتُ ابْنِ يَحْيَى وَالرَّشِيدِ؟
تُ يَمْسُنُ فِي وَشْيِ الْبُرُودِ؟
تُ النُّجْلُ مِنْ هَيْفٍ وَغِيدِ؟
مِ الْآنِفَاتِ مِنَ الْهُجُودِ
مَهْضُومَةِ الْكُشْحَيْنِ رُودِ؟
أَغْصَانُ مِنْ لَيْنِ الْقُدُودِ؟
عُ الشَّمْسُ مِنْ شَفَقِ الْخُدُودِ؟
أَيَّامُ أَعْبَتْ مِنْ وَلِيدِ!
بَيْنَ سَالِفَةٍ وَجِيدِ؟^٦

كَمْ جَاشَ جَيْشُكَ بِالْفَوْا
لِلنَّصْرِ فِي أَعْلَامِهِمْ
مُلْكُ إِذَا صَوَّرْتَهُ
وَجُهُودُ جَبَّارِينَ تَصـ
الرُّسُلُ تَتَلَوُ الرُّسُلَ مِنْ
سَارُوا «لِقَاصِرِ الْخُلْدِ» يُعـ
يَتَعَثَّرُونَ، كَأَنَّهُمْ
الْجَوْ يَسْطَعُ بِالظُّبَا
حَتَّى إِذَا رَجَعُوا بَدَا
رِسَ مِنْ أَسَاوِرَةٍ وَصِيدِ!^{١٣}
صِلَّةُ بَأْبْنَاءِ الْغُمُودِ؟^{١٤}
عَجَزَ الْخَيَالُ عَنِ الصُّعُودِ
غُرُ دُونَهَا شُمُّ الْجُهُودِ؟^{١٥}
بِيضُ صَقَالِبَةٍ وَسُودِ؟^{١٦}
شَيْ طَرْفُهُمْ وَهَجُ الْحَدِيدِ؟^{١٧}
يَمْشُونَ فِي حَلَقِ الْقُبُودِ؟^{١٨}
وَالْأَرْضُ تَزْخَرُ بِالْجُنُودِ؟^{١٩}
بِجِبَاهِهِمْ أَثَرُ السُّجُودِ

الْفَلَسَفَاتُ عَرَفَتْهَا
وَالْعَرَبُ يَنْظُرُ فِي خُمُودِ
كَمْ مَوْتِلَ لِلْمُسْتَجِيعِ
وَالْجَاحِظُ الْمَرْحُ اللَّعُ
بَغْدَادُ، يَا وَطَنَ الْأَدِيبِ،
وَالْعِلْمُ طِفْلٌ فِي الْمُهُودِ
نَحْوَ قَاتِلَةِ الْخُمُودِ
رِ، وَمَنْهَلِ لِلْمُسْتَفِيدِ
بُ يَغُوصُ لِلدَّرِّ الْفَرِيدِ؟^{٢٠}
وَأَيْكَةَ الشَّعْرِ الْغَرِيدِ

جَدَدَتْ أَخْلَامِي، وَكُنْتُ جَمَعَ الْخَيَالِ فَمَا اطمَنَّ،
جَارَ الْقُرُونِ النَّائِيَا
ذَكَرَ الْعُهُودَ فَأَنَّ لِلذُّ
وَاهْتَاَجَهُ الطِّيفُ الْبَعِيدُ،
وَصَبَا إِلَى ظِلِّ الْعُرُو
صَحَوْتُ مِنْ عَهْدٍ عَهِيدٍ^{٢١}
وَلَا اسْتَقَرَّ إِلَى خُلُودِ
تِ، وَفَكَ أَسْرَارَ الْعُقُودِ^{٢٢}
كُرَى، وَحَنَّ إِلَى الْعُهُودِ
فَجُنَّ لِلطِّيفِ الْبَعِيدِ
بَةً فِي حِمَى الْمُلِكِ الْعَتِيدِ^{٢٣}

* * *

يَا أُمَّةَ الْعَرَبِ ارْكُضِي سُودِي، فَاَمَالَ الْمُنَى
هَذَا أَوَّانُ الْعَدُوِّ لَا الـ
الْمَجْدُ أَنْ تَتَوَثَّبِي
وَتَحْلَقِي فَوْقَ النُّجُومِ
وَإِذَا شَدَا الْكُونُ الْمَمَّا
لَا تَخْطِئِي حَدَّ الْعُلَا
مَنْ يَصْطَدِّ النِّمْرَ الْوُثُو
مِلءَ الْعِنَانِ، وَلَا تَهْيِدِي^{٢٤}
وَالْعَبْقَرِيَّةَ أَنْ تَسُودِي
إِبْطَاءً وَالْمَشْيِ الْوُثِيدِ
وَإِذَا وَثَبْتَ فَلَا تَجِيدِي
مِ بَلَا شَبِيهِهِ أَوْ نَدِيدِ
خِرَ كُنْتَ غُنْوَانَ النَّشِيدِ
مَا لِلْمَعَالِي مِنْ حُدُودِ!
بَ يَعِفُّ عَنْ صَيْدِ الْفُهودِ

* * *

هَذِي طَلَائِعُ نَهْضَةٍ
بَغْدَادُ أَشْرَقَ نَجْمُهَا
سَلَكْتُ إِلَى الْمَجْدِ الْقَدِيدِ
وَزَهَتْ بِأَقْصَارِ الْهُدَى
بَغْدَادُ، إِنَّا - وَفَدِ مِصْرَ
جِئْنَا نُحْيِي الْعِلْمَ وَالـ
مَرَكَ عِيدَ الْإِمْنَى
أَهْلُوكَ أَهْلُونَا، وَأَبْنَا
بَيْنَ الْقُلُوبِ تَشَوُّفُ
حَتَّى يَكَادَ يُحِبُّ نَخْلِكَ
نَهَبْتُ بِأَنْثَارِ الرُّكُودِ
وَبَدَا بِهَا سَعْدُ السُّعُودِ
مِ مَحَجَّةَ النَّهْجِ السَّيْدِ^{٢٥}
وَسَطْتُ بِأَظْفَارِ الْأُسُودِ^{٢٦}
رَ - نَفِضُ بِالشَّوْقِ الْأَكِيدِ^{٢٧}
آدَابَ فِي الْعَدَدِ الْعَدِيدِ
فُزْنَا بِهِ فِي يَوْمِ عِيدِ^{٢٨}
ءِ الْعَشِيرَةِ وَالْحُدُودِ
كَتَشَوُّفِ الصَّبِّ الْعَمِيدِ^{٢٩}
نَخْلُ أَهْلِي فِي «رَشِيدِ»^{٣٠}

شَطَطَتْ مَنَازِلُنَا، وَمَا
 الرَّافِدَانُ تَمَازَجَا
 وَتَعَانَقَ الظَّلَانُ: ظِلُّ الط-
 جُنَّكَ نَسْتَبِقُ الْخُطَا
 طَالَتْ بِنَا الصَّخْرَاءُ حَتَّى
 يَتَخَلَّصَ الْمَرْمَى الْمَدِيدِ
 كَتَخَلَّصَ الْحَسَنَاءُ مِنْ
 بَحْرٍ بَلَا شَطَطَيْنِ يَزُ
 وَسَفِينَتِي «نَرْنُ» بِهَا
 جِئْنَا إِلَى الْغَازِي سَلِي-
 نَخْتَالُ بَيْنَ هَبَاتِهِ
 أَحْيَا الْمُنَى بِالْعَزْمِ وَالتَّدْ
 وَعَدَتْ بِهِ سُوحُ الْعُرُو
 فِي نَهْضَةِ «الْفَارُوقِ» وَال-
 «فَارُوقُ» مُنْبَثِقُ الرِّجَا
 عَاشَا وَعَاشَ الشَّرْقُ فِي
 اخْتَجَ الْفُؤَادُ إِلَى بَرِيدِ^{٣١}
 فِي الْحَبِّ بِالذَّيْلِ السَّعِيدِ^{٣٢}
 طَاقُ وَالْهَرَمِ الْمَشِيدِ^{٣٣}
 أَنْضَاءُ أَوْدِيَةٍ وَبِيدِ^{٣٤}
 حَتَّى خَلَّتْهَا أَبَدُ الْأَبِيدِ^{٣٥}
 دُ بِهَا إِلَى مَرْمَى مَدِيدِ
 وَعَدِ طَوْتُهُ إِلَى وَعُودِ
 خَرُّ بِالتَّنَائِفِ وَالنَّجُودِ^{٣٦}
 مَا فِي فُؤَادِي مِنْ وَقُودِ^{٣٧}
 لِ الْعُرْبِ وَالْحَسْبِ الْمَجِيدِ^{٣٨}
 فِي ظِلِّ إِحْسَانٍ وَجُودِ
 بِيرِ وَالسَّعْيِ الْحَمِيدِ
 بَةِ مِنْهَلًا عَذْبُ الْوُرُودِ^{٣٩}
 غَازِي غَنَى لِلْمُسْتَزِيدِ
 ءَ وَمُلْتَقَى الرُّكْنِ الشَّدِيدِ^{٤٠}
 عَزٌّ وَفِي عَيْشٍ رَغِيدِ

هوامش

(١) بغداد: مدينة عظيمة على شاطئ نهر دجلة من بلاد العراق، وكانت مقر الخلافة العباسية، بناها أبو جعفر المنصور ثاني الخلفاء العباسيين سنة ١٤٥هـ. والرشد هو هارون الرشيد خامس خلفاء بني العباس تولى الخلافة (١٧٠-١٩٣هـ)، وكان عصره عصر نعيم ورخاء، وفي زمنه ازدهرت بغداد وعظم شأنها.

(٢) الشرود: السائر الذائع المنتشر.

(٣) المبسم: الثغر، وهو ما تقدم من الأسنان حيث يكون الابتسام، والمراد الريق.

البرود: البارد.

(٤) بهرة الملك: قصبته ومقره. الوطيد: الثابت المتين.

(٥) عنان: جارية الناطفي كانت مغنية رائعة الحسن فاتنة الدلال. وحيد: اسم

مغنية اشتهرت في العصر العباسي بافتتانها في الغناء، ولابن الرومي قصيدة في وصفها.

(٦) البحري: هو أبو عبادة الوليد بن عبيد الطائي، شاعر مطبوع من شعراء الدولة العباسية المقربين إلى الخليفة المتوكل ووزيره الفتح بن خاقان، وكانت ولادته بمنبج (وهي بلدة قديمة بين حلب والفرات) سنة ٢٠٦هـ. وتوفي بها سنة ٢٨٤هـ. ومسلم بن الوليد الملقب بصريع الغواني كان أيضًا من الشعراء المفلّحين في عهد هارون الرشيد، وهو أول من تكلف البديع في شعره. وكانت وفاته بجرجان سنة ٢٠٨هـ.

(٧) ابن يحيى هو الفضل بن خالد بن برمك، وكان هو وأخوه جعفر وأبوهما يحيى من وزراء الرشيد، وأنبه الناس وأبعدهم صيتًا وأرفعهم قدرًا وأعظمهم كرمًا، وبلغ من أمرهم أنهم زاحموا الخليفة في نفوذه وسلطانه، وأصبح الملك في قبضتهم، ولهذا غضب عليهم الرشيد وقتك بهم. وكانوا إلى كياستهم وحسن سياستهم رجال فضل وعلم وأدب، وكانت مجالسهم ونواديهم مقصد الشعراء وكعبة البلغاء والأدباء.

(٨) القيان: جمع قينة وهي الأمة المغنية. الوشي: مصدر وشيت الثوب من باب وعد أي رقمته ونقشته. البرود: جمع برد وهو الثوب المخطط.

(٩) النجل: جمع نجلاء صفة من النجل بفتحتين وهو سعة العين وحسنها. هيف: جمع هيفاء صفة من الهيف بفتحتين وهو ضمير البطن ورقة الخاصرة. غيد: جمع غيداء صفة من الغيد بفتحتين وهو لين الأعطاف والتثني.

(١٠) الطلى: الأعناق أو أصولها، واحدها طلية، مهضومة: ضامرة لطيفة. الكشح: ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلفي، مضهومة الكشحين: هيفاء ضامرة البطن رقيقة الوسط. رود: رقيقة لينة ناعمة.

(١١) القدود: جمع قد وهو القامة وحسن التقطيع والاعتدال.

(١٢) السالفة: جانب العنق. الجيد: العنق أو مقدمة أو موضع القلادة منه.

(١٣) جاش جيشك: ماج واضطرب لكثرت كالبخر الزاخر المائج. الفوارس: جمع فارس وهو راكب الفرس. الأساورة: جمع أسوار بضم الهمزة وكسرها وهو القائد والجيد الرمي بالسهم. الصيد: جمع أصيد وهو الملك ورافع رأسه كبيرًا والأسد.

(١٤) أبناء الغمود: كناية عن السيوف.

(١٥) شم: جمع أشم وهو المرتفع العالي.

(١٦) الصقالبة: جيل تتاخم بلادهم بلاد الخزر بين بلغر وقسطنطينية، والمراد الأمم والممالك الأوروبية المجاورة لبحر الخزر والبحر الأسود في الشمال والغرب.

(١٧) يريد بقصر الخلد قصر الخليفة ببغداد، الطرف: العين. يعشي طرفهم: يصيب عيونهم بالعشا، وهو سوء البصر بالليل والنهار، وهج الحديد: توقده ولمعانه.

(١٨) عثر في مشيه وتعثر: كبا وزل وسقط. الحلق: جمع على غير قياس لحلقة.
(١٩) يسطع: يرتفع، والمراد يزدحم ويتلأأ من قولهم: سطعت النار إذا ارتفعت وعظم لهبها واشتد توقدها، الظبا: جمع ظبة وهي حد السيف والرمح نحوهما. تزخر: تمتلئ.

(٢٠) الجاحظ: هو أبو عثمان عمرو الجاحظ بن بحر الكناني البصري، ولد بالبصرة حوالي سنة ١٦٠هـ. وكان راوية فيلسوفًا كاتبًا مصنفًا أديبًا عالمًا بالحيوان والنبات وصافًا لأحوال الناس فكه المجلس خفيف الروح غاية في الظرف وطيب الفكاهة، ومن مؤلفاته المشهورة كتاب الحيوان وكتاب البيان والتبيين وكتاب البخلاء، وطريقته في الكتابة لا تزال قدوة ومثالًا عاليًا لنوابغ الكتاب، وكانت وفاته ببغداد سنة ٢٥٥هـ وقد نيف على التسعين.

(٢١) عهد عهيد: زمن قديم.

(٢٢) القرون: جمع قرن وهو مائة سنة. النائيات: البعيدات. العقود: جمع عقد وهو العشرة من العدد، فالعقود عشرات السنين.

(٢٣) صبا: مال وتاق. والعروبة مصدر عرب لسانه إذا كان عربيًا فصيحًا. والمراد القومية العربية. الحمى: المكان المحمي الذي لا يقرب ولا يجترأ عليه. العتيد: العظيم.
(٢٤) اركضي: أمر من الركوض وهو العدو والإسراع. العنان ككتاب: سير اللجام الذي تمسك به الدابة. ملء العنان: كناية عن شدة الركوض ونهاية الإسراع. لا تهيدي: لا تبالي أو تخافي.

(٢٥) المحجة: جادة الطريق أي: معظمه. النهج: الطريق الواضح.

(٢٦) زهت: افتخرت وتاهت، ويريد بأقمار الهدى علماءها الأعلام وقادتها وزعماءها الذين يهدونها سبيل الرشاد. سطت: صالت وقهرت وبطشت.

(٢٧) كان الوفد الذي يشير إليه الشاعر مؤلفًا منه والمرحوم الأستاذ أحمد عمر الإسكندري ممثلين للمجمع اللغوي، ثم من أطباء على رأسهم علي إبراهيم باشا.

(٢٨) المنى جمع منية وهي ما يتمناه الإنسان ويريده ويهواه. به: المرأى. وأشار بالشرط الثاني إلى موافقة حفلة افتتاح المؤتمر (٩ من فبراير سنة ١٩٣٨م) ليوم عرفة (وقفة عيد الأضحى من ذي الحجة سنة ١٣٥٦هـ).

(٢٩) التشوف: التطلع إلى الشيء والنظر والإشراف، والمراد الحب والاشتياق. الصب: العاشق المستهام، العميد: الذي هذه العشق وأضناه الغرام.

(٣٠) رشيد: بلد الشاعر من بلدان مديرية البحيرة على فرع النيل الغربي (فرع رشيد).

(٣١) شطت: بعدت.

(٣٢) الرافدان: دجلة والفرات.

(٣٣) الطاق: إيوان كسرى وهو على مسافة بعيدة من بغداد، ويريد بالهرم هرم الجيزة الأكبر على مقربة من مدينة الجيزة في جنوبها الغربي، وهو إحدى عجائب الدنيا السبع، وبه عرفت مصر وامتازت عن سائر الممالك والبلاد، بناه الملك خوفو مؤسس الأسرة الرابعة من الأسر الملكية المصرية قبل الميلاد بنحو ثلاثة آلاف سنة، المشيد: المطلي بالشيء وهو ما تطلى به الجدران من جص ونحوه، المشيد أيضًا: الرفيع العالي.

(٣٤) نستبق الخطا: نبتدريها ونعاجلها ونسرع فيها. الخطا: جمع خطوة. أنضاء: جمع نضو وهو المهزول الذي أضعفه السفر وأضناه أي: هزله. البید: جمع بيداء وهي الصحراء.

(٣٥) خلتها: ظننتها. الأبد: الدهر والزمان والدائم، وهو يريد بالصحراء هنا بادية الشام في شمال الجزيرة العربية، ويجتازها المسافر من دمشق إلى بغداد بسيارة (نرن) في نحو ٢٠ ساعة في ذلك الوقت.

(٣٦) يزخر: يعظم ويمتد ويزدحم. النتائف: جمع تنوفة وهي المفازة أو الأرض الواسعة البعيدة الأطراف أو الفلاة لا ماء بها ولا أنيس. والنجود: جمع نجد وهو ما ارتفع من الأرض.

(٣٧) أراد بالسفينة السيارة الكبيرة الصحراوية التي كان يركبها. و«نرن» اسم شركة أجنبية تملك السيارات الكبيرة التي تغدو وتروح في تلك الصحراء بين دمشق وبغداد. الوقود: بضم الواو وفتحها النار أو اتقادها.

(٣٨) الملك غازي ملك العراق ابن الملك فيصل ابن الملك حسين.

(٣٩) السوح: جمع ساحة وهي الناحية والفضاء بين دور الحي، والمراد بالعروبة القومية العربية. المنهل: المورد أي: مكان النهل وهو الشرب، والورود مصدر ورد الماء إذا بلغه ووافاه، والمراد المورد والماء.

(٤٠) منبثق: اسم مكان من انبثق السيل ونحوه إذا تفجر. الركن: العز والمنعة.

صَوْمَان

نزل الشاعر ضيقاً في أحد الرمضانات ببعض أثرياء قومه وكانوا بخلاء، فقال هذين البيتين. ١٩٠٥م.

يَزِيدُونَهُ صَوْماً تَضِيقُ بِهِ النَّفْسُ	أَتَى رَمَضَانُ غَيْرَ أَنَّ سِرَاتِنَا
وَصَوْمَ النَّصَارَى حِينَما تَغْرُبُ الشَّمْسُ	يَصُومُونَ صَوْمَ الْمُسْلِمِينَ نَهَارَهُ

الزَّفَافُ الْمَلِكِيّ

أنشدت بدار الأوبرا في الحفل الذي أقامه الأدباء والشعراء؛ لتهنئة الملك فاروق بزفافه في يناير سنة ١٩٣٨ م.

وَجَلَّتْ يَدُ الدَّهْرِ الَّذِي عَزَّ نَائِلُهُ^١
تَطَامَنَ مَتْنَاهُ، وَدَانَتْ صَوَائِلُهُ^٢
أَمَامَ سَنَا الْمُلِكِ الْمَهِيْبِ كَوَاهِلُهُ^٣
فَلَمْ يَرْ فِي أَنْحَائِهَا مَنْ يُمَائِلُهُ
تَقْدُّ مَوَاضِيهِ، وَتَفْرِى مَنَاصِلُهُ^٤
فَمَا هُوَ إِلَّا غِمْدُهُ وَحَمَائِلُهُ^٥
إِلَى مَا يُرْجَى، وَاللَّيَالِي رَوَاحِلُهُ^٦
لَمَّا انْحَدَرَتْ دُونَ النُّجُومِ مَنَازِلُهُ
لَفَاخَرَ وَجْهَ الصَّبْحِ فِي الْحُسْنِ حَائِلُهُ^٧
تَشَوَّفَ لَحْظُ الْعَيْنِ لَوْ جَالَ جَائِلُهُ^٨
وَيَصْعُبُ مَرَاها عَلَى مَنْ يُحَاوِلُهُ
إِذَا دَاعَبَتْ وَجْهَ الرَّبِيعِ خَمَائِلُهُ^٩
فَطَارَتْ بِهِ مِنْ كُلِّ قَلْبٍ بَلَائِلُهُ^{١٠}
وَتَنَطَّقُ بِالْغَيْثِ الْعَمِيمِ مَخَائِلُهُ^{١١}
وَتَلْمَحُ سِرَّ النُّبْلِ حِينَ تُقَابِلُهُ
تَمَلًّا مِنْ مَاءِ الْفَرَادِيسِ نَاهِلُهُ^{١٢}

صَفَا وَرْدُهُ عَذْبًا وَطَابَتْ مَنَاهِلُهُ
وَأَقْبَلَ مُنْقَادَ الْعِنَانِ مُذَلَّلًا
يُطَاطِئُ لِلْفَارُوقِ رَأْسًا، وَتَنْحِنِي
تَلَفَّتْ فِي الْأَفَاقِ شَرْقًا وَمَغْرِبًا
رَأَى مَا رَأَى! لَمْ يَلْقَ عَزْمًا كَعَزْمِهِ
يَذُوبُ مَضَاءُ السَّيْفِ عِنْدَ مَضَائِهِ
إِذَا مَا انْتَضَاهُ، فَالْسَعُودُ أَعْنَتْهُ
رَأَى طُلْعَةً، لَوْ أَنَّ لِلْبَدْرِ مِثْلَهَا
عَلَيْهَا شُعَاعٌ، لَوْ رَمَى حَائِلَ الدُّجَى
تَرَاهَا، فَتَغْضِي لِلْجَلَالِ، وَرُبَّمَا
هُوَ الشَّمْسُ يَدْنُو فِي الظَّهِيرَةِ ضَوْءُهَا
هُوَ الرُّوضُ أَوْ أَزْهَى مِنَ الرُّوضِ نَضْرَةٌ
هُوَ الْأَمَلُ الْبَسَامُ، رَفَّ جَنَاحُهُ
هُوَ الْكَوْكَبُ اللَّمَّاحُ، يَسْطَعُ بِالْمُنَى
تَرَى بِسْمَةَ الْأَمَالِ فِي بَسَمَاتِهِ
شَبَابٌ كَمَا يَصْفُو اللَّجَيْنُ كَأَنَّمَا

يَقْدِيهِ غُصْنُ الدَّوْحِ رَيَّانَ نَاصِرًا
تَطَّلَعَ رُمَحُ الْخَطِّ يَبْغِي اعْتِدَالَهُ
وَمِنْ أَيْنَ لِلرُّمَحِ الْمُثْقَفِ عَزْمُهُ
إِذَا حَفَزَتْهُ الْحَادِثَاتُ رَأَيْتُهُ
عَلَاءَ تَحْدَى الدَّهْرِ فِي بُعْدِ شَأُوهِ
وَرَأْيِي كَأَنْفَاسِ الصَّبَاحِ وَقَدْ بَدَأَ
وَحُلُقُ كَمْخَضَلِ النَّسِيمِ بِرَوْضَةٍ
يَمَسُّ جَبِينَ النِّيلِ فِي رَفَقِ عَاشِقٍ

إِذَا اهْتَزَّ فِي كَفِّ النَّسَائِمِ مَائِلُهُ ١٣
فَعَادَ حَسِيرًا يَنْكُتُ الْأَرْضَ ذَابِلُهُ ١٤
وَمِنْ أَيْنَ لِلرُّمَحِ الطَّوِيلِ طَوَائِلُهُ؟ ١٥
وَقَدْ شَكَّ أَحْشَاءُ الْحَوَادِثِ عَامِلُهُ ١٦
فَمَنْ ذَا يُدَانِيهِ، وَمَنْ ذَا يُفَاضِلُهُ؟ ١٧
تَشِفُّ مَجَالِيهِ، وَتَهْفُو غَلَائِلُهُ ١٨
ذَوَائِبُهُ نَفَاحَةٌ وَجَدَائِلُهُ ١٩
وَتَفْتَحُ أَكْمَامَ الزَّهْوَرِ مَسَاحِلُهُ ٢٠

دَعَوْتُ إِلَيْكَ الشُّعْرَ فَاِنْقَادَ صَعْبُهُ
وَمَا كُنْتُ أَدْعُو الْوَحْيَ حَتَّى سَمِعْتُهُ
خَيَالٌ إِذَا أُرْسِلَتْهُ إِثْرُ نَافِرٍ
وَلَفْظٌ كَوَجْهِ الرُّوْضِ فِي مِيعَةِ الضُّحَى
إِذَا قَلَّتْهُ أَلْقَى عَطَارِدُ سَمْعُهُ
وَأِنْ سَارَتْ الرِّيحُ الْهَبُوبُ بِجَرَسِهِ
إِذَا ذُكِرَ الْفَارُوقُ فَاضَ مَعِينُهُ
يَقُولُ: وَمَا لِي حِينَ أَكْتُبُ قَوْلُهُ
رَأَى مَلِكًا يَحْيَا الْقَرِيضَ بِوُضْفِهِ
رَأَى مَلِكًا يُزْهَى بِهِ الدِّينُ وَالتَّقَى
رَأَى مَلِكًا كَالنَّيْلِ: أَمَا عَطَاؤُهُ
فَغَرَّدَ فِي الْأَجْوَاءِ بِأَسْمِكَ طَيْرُهُ
وَصَاغَتْ لَكَ التَّبَرُّ الْمُصَفَّى فُنُونُهُ
وَلَمْ يَبْقَ مِنْ نَسْجِ السَّحَابِ زَهْرُهُ
وَصَبَّ شِعَاعُ الشَّمْسِ تَاجَ مَهَابَةٍ
وَفَكَ رُمُوزَ السَّحَرِ مِنْ أَرْضِ بَابِلٍ
أَعَدَتْ لَهُ عَهْدَ الرَّشِيدِ فَاسْرَعَتْ
وَمَا أَنْتَ فِي الْأَمْلَاكِ إِلَّا قَصِيدَةٌ

وَقَدْ كَانَ قَبْلَ الْيَوْمِ شُمْسًا جَوَافِلُهُ ٢١
تُبَادِيهِنِي آيَاتُهُ وَرَسَائِلُهُ ٢٢
أَتَتْ بِأَعَزِّ الْأَبْدَاتِ حَبَائِلُهُ ٢٣
وَقَدْ صَدَحَتْ فَوْقَ الْغُصُونِ عَنَائِلُهُ ٢٤
وَسَاءَلَ شَمْسَ الْأَفْقِ مَنْ هُوَ قَائِلُهُ! ٢٥
فَآخِرُ أَكْنَافِ الْوُجُودِ مَرَاجِلُهُ ٢٦
وَتَجَّتْ قَوَافِيهِ، وَعَبَّتْ حَوَافِلُهُ ٢٧
مِنْ الْفَضْلِ شَيْءٌ، غَيْرَ أَنِّي نَاقِلُهُ
فَضَائِلُهُ جَلَّتْ، وَعَمَّتْ فَوَاضِلُهُ
شَمَائِلُ أَمْلَاكِ السَّمَاءِ شَمَائِلُهُ
فَغَمَرْتُ، وَأَمَا الْمَكْرَمَاتُ فَسَاجِلُهُ
وَرَدَّدَ فِي الْآفَاقِ ذِكْرَكَ هَادِلُهُ ٢٨
وَحَاكَتْ لَكَ الْبُرْدَ الْمُوَشَّى أَنْمَالُهُ ٢٩
تَرِفُ نَدَى إِلَّا حَوَّتْهَا فَوَاصِلُهُ ٣٠
لِمَنْ تَوَجَّهَتْ بِالْفَخَارِ فَضَائِلُهُ
لَأَجْلِكَ، حَتَّى اسْتَنْجَدْتَ بِكَ بَابِلُهُ ٣١
إِلَى سُدَّةِ الْفَارُوقِ تَشْدُو بَلَابِلُهُ ٣٢
تَفَاعِيلُهَا الْبِرُّ الَّذِي أَنْتَ فَاعِلُهُ ٣٣

يَهْبُ طَرِيحُ الشَّعْرِ فِي دَوْلَةِ النَّهْيِ
حَمَلْتُ لَهُ الرِّيحَانَ يَوْمَ زَفَافِهِ
أَزَاجُ لِلْفَارُوقِ حَشْدًا كَأَنَّهُ
يُغْطِي أَدِيمَ الْأَرْضِ عَزَّ اخْتِرَاقُهُ
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَعْرِفْ مَدَى أُخْرِيَاتِهِ
حَمَلْتُ لَهُ الرِّيحَانَ أَرْفَعُ مَعْصَمِي
وَقَدْ مَلَأَ الْأَنْسُ الْوَجْوهَ فَأَشْرَقَتْ
طَلَعَتْ عَلَى الْجَمْعِ الْحَفِيلِ بِمَوْكِبِ
مَوَاكِبُ لَمْ يَعْرِفْ لِرَمْسِيَسٍ مِثْلُهَا
يُحِيطُ بِهَا عِزُّ الْمَلِكِ وَمَجْدُهُ
إِذَا أَمْتَلَكَ الْحُبُّ النِّفَوسَ هَفَّتْ لَهُ
رَأُوكَ فَعَالُوا بِالْهَتَافِ كَأَنَّمَا
كَأَنَّهُمْ جِيْشُ الْغَمَائِمِ أَرْقَتْ
فَلَا عَيْنَ إِلَّا وَهْيَ تَرْتَقِبُ الْمُنَى
وَقَدْ رَفَعَتْ أَعْلَامَ مَضَرٍ خَوَافِقًا
فَإِنْ كَانَ مِنْ عَيْنٍ فَإِنَّكَ نُورُهَا
وَإِنْ كَانَ مِنْ دَهْرٍ فَأَنْتَ نَعِيمُهُ
رَأَى فِيكَ هَذَا الشَّعْبُ أَمَالَهُ الَّتِي
أَحَبَّكَ حَتَّى صَارَ حُبُّكَ رُوحَهُ
فَمَنْ شَاءَ بُرْهَانًا عَلَى صَابِقِ الْهَوَى
نَخَرَتْ بُذُورَ الْحُبِّ فِي كُلِّ مُهْجَةٍ
حَيَاتِكَ يَا فَارُوقَ لِلدِّينِ عِصْمَةٌ
مَنَابِرُهُ تَهْتَزُّ بِأَسْمِكَ فَوْقَهَا
تُعَفِّرُ بِالتَّرْبِ الْجَبِينِ الَّذِي عَنَا
لَهُ لَمَعَاتُ الْمَشْرِفِي أَزْدَهَتْ بِهِ
لَيَالِيكَ أَقْمَارُ الزَّمَانِ وَسَعْدُهُ
قَدِ اخْتَارَكَ الرَّحْمَنُ مَوْضِعَ فَضْلِهِ

وَتَلَّهُمْ أَسْرَارَ الْبَيَانِ مَقَاوِلُهُ^{٣٤}
نَضِيرُ الْحَوَاشِي يَنْشُرُ الْمِسْكَ خَاضِلُهُ^{٣٥}
خِصَمٌ مِنَ الْأَمْوَاجِ ضَاقَتْ سَبَائِلُهُ^{٣٦}
وَسُدَّتْ عَلَى أَقْوَى الرِّجَالِ مَذَاخِلُهُ^{٣٧}
فَسَلَّ طَرْفَكَ الْمَمْدُودَ أَيْنَ أَوَائِلُهُ؟
إِلَى الْمَلِكِ الْفَرْدِ الَّذِي فَازَ أَمَلُهُ^{٣٨}
مِنَ الْبِشْرِ حَتَّى كَادَ يَقْطُرُ سَائِلُهُ
يُبَادِلُكَ الشَّعْبُ الْمُنَى وَتُبَادِلُهُ^{٣٩}
وَلَا خَطَرَتْ فِي مِثْلِهِنَّ قَنَابِلُهُ^{٤٠}
وَتَزَحْمُهَا فُرْسَانُهُ وَصَوَاهِلُهُ
سِرَاعًا وَأَعْطَتْ فَوْقَ مَا هُوَ سَائِلُهُ^{٤١}
يُنَافِسُ نِدَّ نِدِّهِ وَيُسَاجِلُهُ^{٤٢}
رَوَاعِدُهُ جَفَنَ الدُّجَى وَزَوَاجِلُهُ^{٤٣}
وَلَا صَدْرَ إِلَّا فَارِحُ الْقَلْبِ جَاذِلُهُ^{٤٤}
يُغَازِلُهَا مَسُّ الصَّبَا وَتُغَازِلُهُ^{٤٥}
وَإِنْ كَانَ مِنْ قَلْبٍ فَإِنَّكَ أَهْلُهُ^{٤٦}
وَإِنْ كَانَ مِنْ فَضْلِ فَإِنَّكَ بَاذِلُهُ
تَمَنَّى عَلَى الْأَيَّامِ وَهْيَ تَمَاطِلُهُ
وَنُورَ أَمَانِيهِ الَّذِي لَا يُزَايِلُهُ^{٤٧}
فَهَذِي الْجُمُوعُ الزَاخِرَاتُ دَلَائِلُهُ
وَتِلْكَ الَّتِي تَهْفُو إِلَيْكَ سَنَابِلُهُ
وَأَعْمَالُكَ الْغُرُ الْجِسَامُ مَعَاقِلُهُ^{٤٨}
وَتَلْتَفُّ مِنْ شَوْقٍ عَلَيْكَ مَحَافِلُهُ
لَهُ الشَّرْقُ وَانْقَادَتْ إِلَيْهِ جَحَافِلُهُ
عَلَى كُلِّ أَبْنَاءِ الْغُمُودِ صَيَاقِلُهُ^{٤٩}
وَأَيَّامُكَ الْبَيْضُ الْجِسَانُ أَصَائِلُهُ^{٥٠}
إِذَا عَزَّ مَوْصُولٌ فَقَدْ جَلَّ وَاصِلُهُ^{٥١}

هَنِيئًا لَكَ الْيَوْمَ السَّعِيدُ الَّذِي زَهَا
يُذَكِّرُنَا الْمَأْمُونَ يَوْمَ زَفَافِهِ
وَسَالَ بِهِ سَيْلُ النُّضَارِ كَأَنَّمَا
وَأَيْنَ مِنَ الْمَأْمُونَ أَوْ مِنْ زَفَافِهِ
أَبَى الدَّهْرُ أَنْ يَلْقَى لِيَوْمِكَ ثَانِيًا
تَخَيَّرْتَ مِنْ وادي الكنانة زهرةً
فَرِيدَةً مَجْدٍ يَعْرِفُ الْمَجْدُ قَدْرَهَا
وَدُرَّةً خِذْرِ أَقْسَمَ الْخِذْرُ إِنَّهُ
يَتِيهَ بِهَا ضَافِي الشَّبَابِ وَنَضْرَهُ
تَخَيَّرْتَهَا فَوْقَ السَّحَابِ مَكَانَةً
حَبَّاهَا إِلَهُ الْعَرْشِ أَكْبَرَ نِعْمَةٍ
فَعِشْ فِي رِفَاءٍ بِالْبَنِينَ مُمْتَنِعًا
وَدُمَ لِبَنِي مِصْرٍ أَمَانًا وَرَحْمَةً

عَلَى الدَّهْرِ لَمَّا لَمْ يَجِدْ مَا يُشَاكِلُهُ
وَقَدْ مَشَتْ الدُّنْيَا إِلَيْهِ تُجَامِلُهُ
تَفَجَّرَ مِنْ بَيْنِ السَّحَابِ وَابِلُهُ
جَلَالَةٌ مَلِكٍ أَعْجَزَتْ مَنْ يُطَاوِلُهُ
يُقَارِبُهُ فِي نُبْلِهِ أَوْ يُعَادِلُهُ
تَتِيهَ بِهَا جَنَّاتُهُ وَظِلَالُهُ^{٥٢}
وَتُزْهِى بِهَا الْفَخَارُ عَقَائِلُهُ^{٥٣}
عَلَى مِثْلِهَا لَمْ تُلَقْ يَوْمًا سَدَائِلُهُ^{٥٤}
وَتَسْمُو حَوَالِيهِ بِهَا وَعَوَاطِلُهُ^{٥٥}
وَأَصْفَى مِنَ الْمَاءِ الَّذِي هُوَ حَامِلُهُ
فَجَلَّتْ أَبْيَادِيهِ وَعَمَّتْ جَلَائِلُهُ
يُضِيءُ بِكَ الْوَادِي وَيَخْضَرُّ مَاجِلُهُ^{٥٦}
فَأَنْتَ حِمَى النِّيلِ الْوَفَى وَعَاهِلُهُ

هوامش

- (١) ورده: المراد ماءؤه، والضمير للدهر. المناهل: موارد الماء، جمع منهل. يد الدهر: نعمته: عز نائله: قل عطاؤه.
- (٢) مذللاً: طيعاً. تطامن: ذل وسكن. المتنان: جانبا الظهر. دانت: خضعت.
- الصوائل: جمع صائل، الحيوان يهجم على الناس ويؤذيهم.
- (٣) سنا الملك: ضياؤه. الكواهل: جمع كاهل، الظهر مما يلي العنق.
- (٤) تقد: تقطع. المواضي: جمع ماض، السيف الحاد. تفري: تقطع. المناصل: السيوف، جمع منصل.
- (٥) يذوب: يفنى. غمد السيف: قرابه. الحمائل: جمع حمالة، علاقة السيف.
- (٦) انتضى السيف: سله من غمده. السعود: نجوم عشرة مختلفة المطالع يتيمن العرب بها، جمع سعد. الرواحل: جمع راحلة الناقة الكريمة يسافر عليها.
- (٧) عليها شعاع: لها ضياء. حائل الدجى: حالك الظلام. وجه الصبح: أوله.
- (٨) تغضي: تغمض العين حياء. تشوف: تشوق. جال جائله: تردد نظره.

- (٩) نضرة: حسنًا. داعبت: لامست. وجه الربيع: نبتة وزهره الذي يغطي الأرض.
 الخمائل: جمع خميلة، الشجر الملتف المتدلي الأغصان.
 (١٠) الأمل البسام: المقبل المرجى. رف جناحه: تحرك وانبسط. طارت: ذهبت.
 البلبل: جمع بلبله، الهم واضطرب القلب.
 (١١) اللماح: اللماح. المخايل: دلائل الخير، جمع مخيلة.
 (١٢) اللجين: الفضة، تملأ: ارتوى. الفراديس: الجنان، جمع فردوس. الناهل: الراوي.
 (١٣) يفديه: يقول له: «جعلت فداك». الدوح: جمع دوحة، الشجرة العظيمة. ريان: راويًا. ناضرًا: حسنًا. النسائم: جمع نسيم، الريح اللينة.
 (١٤) تطلع: رفع بصره. الخط: مرفأ السفن بالبحرين، وتنسب إليه الرماح؛ لأنها تباع فيه. حسيّرًا: كليلاً ضعيفًا. ينكت الأرض: يبحث فيها بعود أو نحوه. ذابل الرمح: قناته.
 (١٥) المثقف: المقوم المذهب. الطوائل: الأعمال العظيمة، جمع طائل أو طائلة.
 (١٦) حفزته الحادثات: أثارت له لدفعها. شك: أصاب. الأحشاء: الأمعاء، جمع حشأ.
 عامل الرمح: صدره.
 (١٧) تحدى الدهر: طلب أن يأتي بمثل فعالة. الشأو: الغاية.
 (١٨) أنفاس الصباح: أضواؤه. مجاليه: أشعته، جمع مجلى. تهفو: تهتز وتنتشر.
 غلائله: أول ما يبدو من أنوار النهار، جمع غلالة، وأصلها الرقيق يلامس الجسم.
 (١٩) المخضل: الرطب الندي. نوائب النسيم: أوائله، جدائله: أواخره، وأصل النوائب جمع ذؤابة. شعر الناصية، وأصل الجدائل جمع جديلة: الشعر المضفور خلف الرأس ففي كليتهما استعارة. نفاحة: فواحة.
 (٢٠) جبين النيل: صفحة مائه، الأكمام: جمع كم، غلاف الزهرة. الساحل: جمع مسحل، الثوب النقي من القطن استعارها لخطرات النسيم.
 (٢١) الشمس: أصله ضم الميم، وسكنت، جمع شَموس، الحصان يستعصي على راكبه. الجوافل: جمع جافل، الشارد الجموح.
 (٢٢) الوحي: هنا الإلهام. تبادهنى: تفاجئني وتأتيني على البديهة.
 (٢٣) النافر والآبد: الشارد. الحبائل: شبك الصيد، جمع حباله.
 (٢٤) ميعة الضحى: أوله. العنادل: جمع عندليب، طائر صغير غرد.

- (٢٥) عطارد: كوكب الفن والشعر.
- (٢٦) الهبوب: السريعة. الجرس: الصوت والنغمة. الأكناف: النواحي، جمع كنف.
- (٢٧) فاض: كثر. معينه: مادته، وأصل المعين الماء الجاري. ثجت: تدفقت. عبّت حوافله: غزرت معانيه، الحوافل: جمع حافل الكثير المتجمع من كل شيء.
- (٢٨) الأجواء: جمع جو. الهادل: المغرد من الحمام.
- (٢٩) البرد الموشى: الثوب المنقوش بألوان شتى.
- (٣٠) نسج السحائب: ما ينبته ماؤها. ترف: تهتز. فواصل الشعر: جملة.
- (٣١) فك رموز السحر: عرف أسراره. بابل: مدينة بالعراق عرفت بالسحر قديماً، كما ورد في القرآن.
- (٣٢) سدة الفاروق: بابه. تشدو بلبله: يريد إنشاد الشعراء المدائح. الرشيد: أعظم الخلفاء جاهاً، وأبعدهم صيئاً، وأكثرهم للعلماء والشعراء تقريباً، وهو نفسه كان شاعراً راوية.
- (٣٣) الأملاك: الملوك، جمع ملك. تفاعيل القصيدة: الأجزاء التي توزن بها، جمع تفعيلة، وهي تختلف باختلاف بحور الشعر، فهي مثلاً في بحر الطويل الذي منه هذه القصيدة، فعولن مفاعلين مكررين أربع مرات.
- (٣٤) يهب: ينهض. طريح الشعر: عليه وضعيفه. النهى: العقول، جمع نهية، ويريد بدولة النهى دولة العلم والثقافة. مقاوله: قائلوه، جمع مقول، ويسمى اللسان أيضاً مقولاً.
- (٣٥) نضير: حسن. الحواشي: الأطراف، جمع حاشية. خاضله: نديه ورطبه.
- (٣٦) الحشد: الجمع. الخضم: البحر، أو الجمع الكثير. السبائل: الطرق، جمع سبيلة.
- (٣٧) أديم الأرض: وجهها. عز اختراقه: شق السير فيه، والجملة حال من المفعول. مداخله: منافذه وطرقه جمع مدخل.
- (٣٨) معصمي: يدي، وأصل المعصم موضع السوار من الساعد.
- (٣٩) الحفيل: الكثير.
- (٤٠) رمسيس: يريد رمسيس الثاني، أحد ملوك الفراعنة. القنابل: طوائف الناس أو الخيل جمع قنبل أو قنبلة.
- (٤١) هفت: دانت.

- (٤٢) عالوا: رفعوا أصواتهم. الند: المثل والنظير كالنديد. يساجل: يباري وينافس.
- (٤٣) الغمائم: جمع غمامة. أُرقت: أسهرت. الرواعد: جمع راعد وهو السحاب ذو الرعد. الزواجل: جمع زاجل من الزجل وهو الصوت، ويقال: سحاب زجل أي ذو رعد.
- (٤٤) الجاذل: الفرحان.
- (٤٥) خوافق: متحركات. يغازلها: يلعبها. الصبا: ريح طيبة تهب من الشمال الشرقي.
- (٤٦) آهله: ساكنه.
- (٤٧) يزایل: يفارق.
- (٤٨) العصمة: الوقاية. الغر: المعروفة المشهورة، جمع أغر، وأصله الحيوان في جبهته بقعة بيضاء تسمى الغرة، يشتهر بها. المعائل: الحصون، جمع معقل.
- (٤٩) المشرقي: السيف نسبة إلى مشارف الشام لصنعه بها. أبناء الغمود: السيوف.
- الصياقل: جمع صيقل، وهو من يجلو السيوف ويشحذها.
- (٥٠) الحسان: جمع حسن أو حسناء. الأصائل: جمع أصيل، الوقت من بعد العصر إلى المغرب وهو خير أوقات النهار ليناً وأكثرها جمالاً.
- (٥١) عز: عظم. ويريد بالموصول الفاروق، وبالأصل الله سبحانه وتعالى.
- (٥٢) وادي الكنانة: وادي النيل، وأصل الكنانة جعبة السهام. زهرة: يريد الملكة فريدة. تنيه: تدل. الظلائل: جمع ظليلة، وهي الروضة الكثيرة الحرجات، والحرجات: جمع حرج وهو المكان الضيق الكثير الشجر.
- (٥٣) العقائل: كرائم النساء المخدرات، جمع عقيلة.
- (٥٤) الدرة: اللؤلؤة العظيمة. الخدر: كل ما وارك وستر من بيت ونحوه. لم تلق: لم تoux. السدائل: الستور، جمع سدیل.
- (٥٥) ضافي الشباب: سابغه وتامه. الحوالي: النساء عليهن الحلي جمع حال أو حالية. العواطل: من لا حلي عليهن، جمع عاطل.
- (٥٦) الرفاء: الالتئام والاتفاق. من رفا الثوب: أصلحه، ورفيت صديقي قلت له: «بالرفاء والبنين». الماحل والمحل: المجدب الخالي من النبات.

جُرْحٌ لَمْ يَنْدَمِلْ

أنشدت هذه القصيدة في حفلة تأبين المغفور له الشيخ عبد الوهاب النجار في دار جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة عام ١٩٤٢ م.

أقاموا بعضَ يومٍ فاستقلُّوا	فطار القلبُ يخفقُ حيثُ حلُّوا ^١
مضت بهمُ النجائبُ مُصْعِدَاتٍ	تَمَلُّ بها الطريقُ ولا تَمَلُّ ^٢
زواملُ لم يُعوِّقْهُنَّ ليلٌ	ولم يُثْقِلْ كواهلُهنَّ جَمَلٌ ^٣
رأها آدمُ، وَعَدَتْ بَنُوحُ	وولَّى بعدها نَسْلٌ ونسلٌ ^٤
يسايرهنَّ أنى سِرْنَ بَيْنٌ	ويتبعهنَّ حيثُ ذهبنَ تُكَلُّ ^٥
هَوَتْ أُمُّ الرِّكائبِ؟ كيف سارت؟	وهل تدري الركائبُ من تُقَلُّ؟ ^٦
أسألهَا — وقد شطَّتْ — وقوفاً	وأينَ من الوقوفِ المُشْمَعِلُ؟ ^٧
طَفِقْتُ أُمْدُ نَحْوَ الرِّكْبِ طَرْفِي	فَغَصَّ الطرفَ كُتُبَانٌ ورملٌ ^٨
وقمتُ أَطْلُ من شَرَفٍ عليهم	فخانتني الدُّمُوعُ فما أَطْلُ ^٩
وناديتُ الحبيبَ فعاد صوتي	وفي نَبْرَاتِهِ هَلْعٌ وَخَبْلٌ ^{١٠}
أصاخُ له من الصَّحراءِ نَجْدٌ	فردَّده من الصحراءِ سهلٌ ^{١١}
إذا بدت الغزاةُ ثم غارت	علِمنا أن هذا العيشَ ظِلٌّ! ^{١٢}

* * *

هي الدنيا، فليس لها ذِمَامٌ	وليس لها على الأيامِ خَلٌّ ^{١٣}
إذا أعطت فقد أعطت قليلاً	ولا يبقَى القليلُ ولا الأقلُّ!

تدور: فبينَ شيخ أسكتته
لها نَهْلٌ من الأَمَمِ المواضي
نعوْدُ إلى الترابِ كما بدأنا
رأيتُ لكلِّ مشكلةٍ حُلُولًا
إذا كان الفَناءُ إلى بقاءِ
مَنِيَّتَهُ، وطفلٍ يَسْتَهْلُ
ومما تَنَسَّلُ الأيامُ عَلَّ ١٤
فكُلُّ حياتِنَا نَقْضٌ وَغَزْلُ ١٥
ومشكلةُ المَنِيَّةِ لا تُحَلُّ
فأنجِعْ ما يُصَحِّكُ ما يُعِلُّ ١٦

بنفسي في الثرى غُصْنًا رطيبًا
تُضاحكُه لدى الإصباحِ شمسُ
كَأَنَّ حَفِيْقَه نَضْرًا وريقًا
يميلُ به النسيمُ كَأَنَّ أُمًّا
إذا اشتبهتْ غُصُونُ الروضِ شكْلًا
ضَنَنْتُ به وَجَدْتُ له بنفسي
وكنْتُ أَشْمُ رِيحَ الخُلْدِ منه
وقلتُ: لَعَلَّه يَبْقَى ورائي
فَسَلْ عنه العواصفُ: أَيُّ نَوْءٍ
نَأَى عَنِّي وخَلَفَ لي فؤادًا
يُبَلُّ على التداوي كلُّ جُرْحٍ
يَرِفُ من الشبابِ وَيَخْضَلُ ١٧
ويلثمُه لدى الإمساء طَلٌّ ١٨
بسمعي حَلْيُ غانيةٍ يَصِلُ ١٩
يميلُ بصدرِها الخفاقِ طفلُ
فليس لَقْدَهُ في الحسنِ شكْلُ ٢٠
وإنَّ الحبَّ تَبْذِيرٌ وَبُخْلُ
وأهنا في ذِراهِ وأَسْتَظِلُّ ٢١
بَدَوْحَتِهِ، فما نَفَعَتْ «لَعَلَّ»
أطاح به؟ وأَيُّ ثَرَى يَحُلُّ؟ ٢٢
يذوبُ أَسَى عليه ويضمحلُّ ٢٣
وَجُرْحُ القلبِ دَامٍ لا يُبَلُّ! ٢٤

أشترتم بالرثاء فهجتموني
فضلَّ الشعرُ في وادي التُّكالي
خذوا مني الرثاءَ دموعَ عينِ
وآلَمَ الجريحِ، أَطَلَّ نَبَلٌ
وشعرًا يُلْهَبُ الأشجانَ جَزَلًا
فليس له مع الأَناتِ حَبْنُ
له نَغَمٌ يَعِزُّ عليه مِثْلُ
لعل به لمن فُجِعوا عزاءُ
وتعذيبُ الذبيحةِ لا يَحُلُّ
وكان إذا تحفَّزَ لا يَضِلُّ ٢٥
تَكِلُ المعْضراتُ ولا تَكِلُ ٢٦
يزاحم جانبِيهِ وغار نَبَلُ ٢٧
كما أَدْنَى لِهَيْبِ النارِ جَزَلُ ٢٨
وليس به مع الزَفَرَاتِ حَبْلُ ٢٩
على ما ضُيْعَ عليه مِثْلُ
فإنَّ جميعَنا في الحزنِ أهلُ

فقد يشفي بكاءً من بكاءٍ كما يشفى أليم الجُرْحِ نَصْلٌ^{٣٠}
بكى خيرَ البريةِ خيرَ طفلٍ ودمعُ العينِ في الأحداثِ نَبْلٌ^{٣١}

مضى «النجارُ» والعلياءِ حِصْنُ
به جمع الحجا للعلمِ شَمْلًا
له حججٌ يُسمِّيها كلامًا
إذا فاضت ينابغُه خطيبًا
يذلُّ له شَموسُ القولِ طَوْعًا
بيانٌ مشرقُ اللحاماتِ زاهٍ
وآياتٌ ترى فيها «ابنَ بحرٍ»
يقلُّ شبا الخصومةِ كيف كانت
فذاك الفضلُ، جلَّ اللهُ ربِّي!
رأيتكَ والردى يدنو رويدًا
فوجهك ذابلٌ، والصمتُ هَمْسُ
تجرُّ وراءك السبعين عامًا
مشيتَ كأنَّ رجلًا في بساطي
أتيتَ تزورني فهرغتُ أسعى
وكان عناقنا لما افترقنا
نممتَ لي المشيبَ وفيه حَزْمُ
وأين الحَزْمُ ويحك يا ابنَ أُمِّي
أتذكرُ إذ تَمَارَحْنَا لتنسَى
إذا أَمَلُ الفتى فالهزلُ جدُّ
فديتك! هل إلى الأخرى بريدٌ؟
وهل يبقي الفتى بعد المنايا
وهل تصلُ الدُموعُ إلى حبيبٍ
وهل لي بينَ من أهوى مكانٌ
وهل في ساحةِ الجناتِ نهرٌ

عليه بعده بابٌ وقفل
فبُدِّد بعده للعلمِ شَمْلٌ^{٣٢}
وما هي غيرُ أسيافٍ تُسلُّ
علمتَ بأن ماءَ البحرِ ضَحْلُ
ويستخذي له المعنى المُدِلُّ^{٣٣}
وقولُ صادقِ النَّبَرَاتِ فَصْلٌ^{٣٤}
يصولُ كما يشاءُ ويستدلُّ^{٣٥}
برأيٍ كالمهتدٍ لا يُقلُّ^{٣٦}
فليس يُحدُّ للرحمنِ فضلُ
إليك كما دنا للفتكِ صلُّ^{٣٧}
ومشيكَ واهنُ الخُطَوَاتِ دَالُّ^{٣٨}
وللسبعينَ أرزاءُ وثقلُ^{٣٩}
تسيرُ بها، وفوق القبرِ رجلُ
إليك، ودمعُ عيني يستهلُّ^{٤٠}
وَنَاقًا للمودةِ لا يُحلُّ
وأطريتَ الشبابَ وفيه جهلُ
إذا ما خانني جسمٌ وعقلُ؟
وقد أدركتَ أنَّ المَرَحَ ختلُ؟^{٤١}
وإن يئسَ الفتى فالجدُّ هزلُ
وهل لتزاور الأرواحِ سُبُلُ؟^{٤٢}
له بالأهلِ والإخوانِ شُغلُ؟
ويعلمُ حُرْقَةَ الأشجانِ نَجْلُ؟^{٤٣}
إذا قوُضتُ رحلي أو مَحَلُّ؟^{٤٤}
يزول بمائه حَقْدٌ وغِلُّ؟^{٤٥}

وهل إن ساءل الأحياء قبرًا
لقد جلّ المصاب، وجلّ صبري
فقم واخطب بحفلك، كم تغنّي
وذكرنا اليقين فكم عقول
وقل: إنّ الفناء إلى خلود
وإنّ الموت إطلاق لروح
شباب المسلمين بكلّ أرض
أخذت عليهم للحقّ عهدًا
شباب إن دعا القرآن شمس
بنو العرب الذين علّوا وسادوا
فنم ملء الجفون «أبا صلاح»
يطوف بقبرك الزاكي سلام
وهاك رثاء محزون مقلّ

يُجاب لصيحة الأحياء سُؤل؟
عليك، وأنت من صبري أجل!
وهام بصوتك الرنان حفل!
تكاد عليك من شجن تزلّ
وإنّ زخارف الأيام بُطل^{٤٦}
معدّبة، وإنّ العيش غلّ^{٤٧}
عليك ثناؤهم فرض ونفل^{٤٨}
فوقوا بالعهود وما أخلّوا
وإن تستصرخ النجّات بسّل^{٤٩}
سما فرع لهم واعتزّ أصل^{٥٠}
ففي الجنّات للأبرار نزل^{٥١}
وينضّحه من الرّحمت وبّل^{٥٢}
وما أوفى إذا بذل المُقلّ!^{٥٣}

هوامش

- (١) أقاموا: نزلوا وحلو. استقلوا: مضوا وارتحلوا. حلوا: حيث نزلوا.
- (٢) النجائب: الإبل السريعة والمقصود بها مواكب الموتى.
- (٣) زوامل: الإبل الحاملة للطعام والمتاع. كواهلهن: عواتقهن وهو ما بين الكتفين.
- حمل: ثقل.
- (٤) عدت: جاوزت.
- (٥) بين: فراق. ثكل: فقدان.
- (٦) هوت: سقطت. أم الركائب: التي تتقدم الركب. ثقل: تحمل.
- (٧) شطت: جاوزت الحد. المشعل: النشيط، السريع.
- (٨) طفقت: جعلت. أمد: أنظر. طرقي: عيني. غص: امتلأ.
- (٩) شرف: علو، مكان عال. أطل: أنظر.
- (١٠) خبل: فساد.
- (١١) أصاخ: استمع. نجد: ما ارتفع من الأرض. سهل: الأرض المنبسطة.

- (١٢) الغزالة: الشمس. غارت: ولت وغربت. ظل: المقصود غير حقيقي.
- (١٣) زمام: عهد، حرمة. خل: صديق.
- (١٤) نهل: مورد. عل: توقع. وأصله لعل.
- (١٥) غزل: غزل الخيط هو إبرامه. ونقض: ضد الغزل.
- (١٦) أنجع: أصح. يصحك: يشفيك. ما يعل: ما يصيبك بالعلة.
- (١٧) يرف: يرفرف. يخضئل: تكثر أغصانه وأوراقه. وفي هذا البيت وما بعده يصور الشاعر ذكريات له أليمة بعد وفاة نجله البكر في أول مراحل الشباب (عام ١٩٣٥).
- (١٨) يلثمه: يقبله. طل: ندي.
- (١٩) حفيفه: صوته. نضرًا: حسنًا يافعًا مخضرًا. وريقًا: كثير الأوراق الخضراء الحسنة. حلي: ما تتحلى به المرأة. يصل: يصدر صوتًا عندما يحتك ببعضه.
- (٢٠) قدّه: قوامه.
- (٢١) ذراه: كنفه.
- (٢٢) نوء: ريح شديدة. أطاح: قذف به بعيدًا.
- (٢٣) نأى: بعد. يضمحل: يذهب ويضعف ويندثر.
- (٢٤) يبل: يبرأ. دام: ينزف دمًا.
- (٢٥) الثكالي: الحزاني على فقدهن أبنائهن. تحفز: تهيأ.
- (٢٦) تكل: تتعب. المعصرات: السحائب تعتمر بالمطر.
- (٢٧) غار: اختفى ودخل. نبل: سهل.
- (٢٨) جزلاً: رصينًا. أذكى: أشعل. جزل: الحطب اليابس.
- (٢٩) خبن: سقوط أحد الأحرف، حذف الثاني الساكن في الشعر. خبل: حذف السين والفاء من مستفعلن في البسيط والرجز من بحور الشعر.
- (٣٠) نصل: حد السيف أو السكين والمقصود مشط الجراح.
- (٣١) خير طفل: يريد به «إبراهيم» بن سيدنا محمد ﷺ لما توفي قال: «إن القلب ليحزن وإن العين لتدمع، وإنا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون».
- (٣٢) الحجا: العقل. شمل: ما اجتمع من أمره.
- (٣٣) يذل: يخضع. شمس القول: الألفاظ الفصيحة المنيرة كالشمس. طوعًا: منقادًا له. المدل: الذي يدل على المعنى.

- (٣٤) فصل: قاطع.
- (٣٥) ابن بحر: الجاحظ الكاتب العربي الشهير.
- (٣٦) يفل: يكسر. شبا: حد الشيء. المهند: السيف. لا يفل: لا يكسر.
- (٣٧) الردى: الموت. يدنو: يقترب. رويدًا: تمهلاً.
- (٣٨) واهن الخطوات: ضعيف المشي. دأل: مشي الضعيف من مرض أو كبر.
- (٣٩) أرزاء: مصائب. ثقل: ضد الخفة.
- (٤٠) هرعت: أسرع. يستهل: يبدأ في الهطول.
- (٤١) ختل: خداع.
- (٤٢) سبل: طرق.
- (٤٣) الأشجان: الأحزان.
- (٤٤) قوضت: كسرت وهدمت.
- (٤٥) غل: غش وحقد.
- (٤٦) بطل: كذب وباطل.
- (٤٧) غُلّ: ضيق، مقيد.
- (٤٨) فرض: فريضة واجبة. نفل: تطوع.
- (٤٩) تستصرخ: تستغيث. بسل: شجعان.
- (٥٠) سما: علا وارتفع. أصل: حسب ونسب.
- (٥١) نزل: مكان للإقامة الدائمة.
- (٥٢) الزاكي: ذو الرائحة الطيبة. ينضحه: يرشه. ويل: مطر شديد.
- (٥٣) مقل: يعد شعره قليلاً بالنسبة لما يستحق.

تَحِيَّةُ دَارِ الإِذَاعَةِ

احتفلت دار الإذاعة في شهر أبريل سنة ١٩٣٧م بانتهاء العام الثالث من إنشائها، ودعت لذلك نخبةً من رجال العلم والأدب في مصر؛ ليذيع كل منهم كلمة في هذا الصدد، فاختصها الشاعر بهذه القصيدة وأذاعها في هذه المناسبة.

ساري الهَوَاءِ مَلَكْتَ أَيَّ جَنَاحٍ!
وَبِأَيِّ نَاجِيَةٍ أَقَمْتَ؟ فَإِنَّنِي
فِي كُلِّ مَغْدَى مِنْ ذُيُولِكَ مَسْحَبٌ
تَجْرِي فَتَنْتَظِمُ الْمَدَائِنَ وَالْقُرَى
لَا الْبَرْقُ يَسْرِي حَيْثُ سِرْتُ وَلَا رَمَى
يَكْبُو الظِّلِيمُ، وَأَيْنَ مِنْكَ عِدَاؤُهُ؟
تَمْضِي فَلَا تَقِفُ الْعَوَائِقُ حَائِلًا
دَانٍ وَمَا عَلِقْتُ بِشَخْصِكَ أَغْيُنٌ
تَتَمَائِلُ الْأَشْبَاحُ إِنْ تَخْطُرُ بِهَا
وَتَهْزُ أَدْوَاخُ الرِّيَاضِ فَتَنْتَنِي
لَوْلَاكَ مَا صَبَّ الْغَمَامُ عَيْوَنُهُ
لَوْلَاكَ مَا زَهَتْ الرُّبَا بِمُرْقَشٍ
قَدَحُ الْحَيَاةِ. وَأَنْتِ أَعْلَى مَشْرَبًا

وَحَلَلْتَ أَيَّ مَشَارِفٍ وَبِطَاحٍ!^١
الْقَاكَ بَيْنَ تَوَثُّبٍ وَجِمَاحٍ
وَحُطَّافِكَ مَائِلَةٌ بِكُلِّ مَرَاكِحٍ^٢
وَتَفُوتُهُنَّ إِلَى مَدَى فَيَّاحٍ^٣
نَسَرُّ إِلَى مَا رُزِمَتْهُ بِجَنَاحٍ^٤
وَيَكِلُ جُهْدُ الْأَجْرَدِ السَّبَّاحِ^٥
وَتَمُرُّ بَيْنَ الصَّلْدِ وَالصُّفَّاحِ^٦
يَوْمًا، وَلَا مُسَّتْ يَدَاكَ بِرَاحٍ^٧
وَمِنْ السُّرُورِ تَمَائِلُ الْأَشْبَاحِ^٨
شَوْقًا إِلَيْكَ بَوَاسِقُ الْأَدْوَاخِ
تَسْقِي الْبِطَاحَ بِوَابِلٍ سَحَّاحٍ^٩
مِنْ نَسْجٍ مَنُثُورٍ وَوَشْيٍ أَقْلَاحِي^{١٠}
مِنْ صَفْوَةِ الْمَادِيَّ فِي الْأَفْدَاحِ^{١١}

سِرْ يَا هَوَاءُ فَأَنْتِ أَوْطَأُ مَرْكَبٍ
وَأَحْرِضُ عَلَى سِحْرِ الْبَيَانِ وَوَحْيِهِ
جَمَعْتُ مِنَ الزُّهْرِ النَّدِيِّ قَوَافِيَا
دُرُرُ صِحَاحٍ لَوْ تُقَاسُ بِشَبْهَهَا
مَا السَّيْفُ فِي كَفِّ الْمُفْرَعِ قَلْبُهُ
الشَّعْرُ مِنْ سِرِّ السَّمَاءِ فَهَمُّسُهُ
كَمَلْتُ صِفَاتِ الرَّاحِ فِي نَشْوَاتِهِ
وَاهْتَفَ بَصَوْتِ الطَّائِرِ الصَّدَاحِ^{١٢}
وَارْفُقْ بَأَيِّ فِي الْقَرِيضِ فِصَاحٍ
تَسْبِي النِّهَى بِعَبِيرِهَا الْفَوَاحِ
لَبَدْتُ دَرَارِي اللَّيْلِ غَيْرَ صِحَاحِ^{١٣}
كَالسَّيْفِ فِي كَفِّ الْفَتَى الْجَحْجَاحِ^{١٤}
وَحَيَّ النُّفُوسَ وَرَاحَةَ الْأَزْوَاجِ
وَنَجَا فَلَمْ يُوصَمْ بِإِثْمِ الرَّاحِ^{١٥}

سِرْ يَا قَرِيضُ إِلَى الْعُرُوبَةِ مُسْرِعَا
وَأَمْرُجْ بِمَسْكِي الْأَثِيرِ تَحِيَّةً
شَحُوا بِأَنْ تَلِدَ الْمَكَارِمَ غَيْرَهُمْ
جَعَلُوا مِنَ الْفُصْحَى وَمِنْ آيَاتِهَا
الضَّادُ تَجَمُّعُهُمْ وَتَرَابُ صَدْعُهُمْ
دَارَ الْإِذَاعَةِ، لَا تَمْلِي إِنْنِي
حُبُّ الْعُرُوبَةِ قَدْ جَرَى بِمَفَاصِلِي
وَأَنْزِلْ بِأَفَاقِ بِهَا وَنَوَاجِي
لِعَشَائِرِ شَمِّ الْأَنْوَفِ سِمَاحِ^{١٦}
وَهُمْ عَلَى النَّجْدَاتِ غَيْرُ شِحَاحِ
نَسَبًا مُضِيئًا كَالنَّهَارِ الضَّاحِي
سَيَّانَ فِي الْأَفْرَاحِ وَالْأَتْرَاحِ^{١٧}
أَطْلَقْتُ لِلْأَمَلِ الْبَعِيدِ سَرَاجِي^{١٨}
بِالرَّغَمِ مِنْ هَذِرِ الْحَدِيثِ مُلَاجِي^{١٩}

دَارَ الْإِذَاعَةِ، أَنْتِ بِنْتُ ثَلَاثَةِ
كَمْ فِيكَ لِلْقُرْآنِ رَنَّةٌ قَارِي
كَشَفْتُ عَنِ النَّفْسِ الْمَلُولِ جَابَهَا
الْدِّينُ سَلَوَى النَّفْسِ فِي الْإِمَهَا
أَوْدَعْتَهُ حُزْنِي فَلَمْ تَعْبَثْ بِهِ
دَارَ الْإِذَاعَةِ، كَمْ نَشَرْتُ ثَقَافَةً
كَمْ جَارَ صَوْتُكَ مِنْ بَحَارٍ سَجَرَتْ
أَصْبَحَتْ أَسْتَادَ الشُّعُوبِ وَكَافَحَتْ
وَمَلَأَتْ بِالْعِلْمِ الْبِلَادَ فَنُورُهُ
تَتَلَقَّفُ الدُّنْيَا حَدِيثُكَ مِثْلَمَا
مَرَّتْ كَوْمَضِ الْبَارِقِ اللَّمَّاحِ
تَحَلُّوْا لَدَى الْإِمْسَاءِ وَالْإِصْبَاحِ
فَتَوَجَّهَتْ لِلْخَالِقِ الْفَتَّاحِ
وَطَبَّيْبُهَا مِنْ أَدْخَمِ وَجَرَا
شَكْوَى وَلَا صَدَعَ الدَّجَى بَنُوحِ^{٢٠}
جَلَّتْ مَآثِرُهَا عَنِ الْإِفْصَاحِ!
وَفَدَايِدُ شُعْتِ الْفَجَاجِ فِسَاحِ!^{٢١}
نَجْوَاكِ جَيْشَ الْجَهْلِ أَيَّ كِفَاحِ^{٢٢}
فِي كُلِّ مُنْعَطَفٍ وَبُهِرَةِ سَاحِ^{٢٣}
يَتَلَقَّفُ الْأَبْرَارُ وَحْيَ الْوَاجِي

* * *

دَارَ الْإِنْدَاعَةِ، أَنْتِ أَمْرُحُ أَيَّكَةِ
صَاحَتْ بِلَايْلِكَ الْجِسَانَ فَأَخْمَلْتُ
مِنْ كُلِّ شَايِئَةٍ كَأَنَّ حَنِينَهَا
الَلَّيْلُ إِنْ نَادَتْهُ مَاسَ بِعِطْفِهِ
كَمْ فِيكَ مِنْ لَهْوٍ بِهِ رَيُّ النَّهْيِ
النَّفْسُ تَسَامُ إِنْ تَطَاوَلَ جِدُّهَا
صَدَحَتْ فَكَانَتْ أَيَّكَةِ الْأَفْرَاحِ
فِي الْجَوِّ صَوْتُ الْبُلْبُلِ الصَّيَّاحِ
هَمْسُ الْمُنَى لِلْيَائِسِ الْكَدَّاحِ
فَتَرَاهُ بَيْنَ الْمُنتَشِي وَالصَّاحِي
وَفُكَاهَةِ مَحْبُوبَةٍ وَمُزَاحٍ!^{٢٤}
فَاكْشِفْ سَامَةَ جِدِّهَا بِمُبَاحِ

* * *

زُمَرَ الشَّبَابُ، وَلِي مُلَامَةٌ نَاصِحِ
بِالْعِلْمِ «مَرْكُونِي» تَسَلَّقْ لِلْعُلَا
رَجُلٌ عِصَامِي الْأَرْوَمَةِ لَمْ يَنْلُ
تَتَطَلَّعُ الدُّنْيَا إِلَيْهِ وَتَمْتَطِي
إِنَّ التَّفَاخُرَ بِالْقَدِيمِ تَعْلَةٌ
وَالْعِلْمُ مِصْبَاحُ الْحَيَاةِ فَنَقَّبُوا
بِلِي السِّلَاحِ مَعَ الْقَدِيمِ وَعَهْدِهِ
الْيَوْمَ فِكْرَةٌ عَالِمٍ فِي مَصْنَعِ
وَتَصَدُّ كُلُّ كَتِيبَةٍ مَوَارَةٍ
أَمْضُوا الْجُهُودَ وَأَخْلَصُوا لِبِلَادِكُمْ
لَا يُرْتَجَى مِنْ أُمَّةٍ مَفْتُونَةٍ
خَوْضُوا الصَّعَابَ وَلَا تَمَلُّوا إِنَّمَا
قَدْ يُنَجِّدُ اللَّجُّ الْغَرِيقَ بِقَذْفِهِ
الْعَهْدُ مِثْلُكُمْ جَدِيدٌ مُشْرِقٌ
وَمَلِيكُمْ مِثْلُ الشَّبَابِ مُجَمَّلٌ
يَتَفَاءَلُ النِّيلُ الْوَفِيُّ بِعَهْدِهِ
سَارَتْ مَحَامِدُهُ وَسَارَتْ خَلْفَهَا
لَوْ تَسْمَعُونَ نَصِيحَةَ النُّصَاحِ!
وَبِعَزْمَةِ الْوَثَابَةِ الطَّمَّاحِ!^{٢٥}
مَجْدًا «بِأَمُونٍ» وَلَا «بِفَتْاحِ»^{٢٦}
يُكْرَى مَآثِرِهِ مُتُونِ رِيَّاحِ
وَالْجَهْلُ لِلْمَجْدِ الْمُؤْتَلِّ مَاجِي^{٢٧}
مَنْ قَبْلُ أَنْ تَتَّبُوا عَنِ الْمِصْبَاحِ
وَالآنَ صَارَ الْعِلْمُ خَيْرَ سِلَاحِ^{٢٨}
تُغْنِي عَنِ الْأَسْيَافِ وَالْأَرْمَاحِ
خَضِرَاءُ تَقْذِفُ بِالْكُمَاةِ رَدَاحِ^{٢٩}
فِي الْجَهْدِ وَالْإِخْلَاصِ كُلُّ نَجَاحِ
بِاللَّهْوِ وَالتَّسْوِيفِ أَيُّ فَلَاحِ
نَيْلُ الْمُنَى بِالصَّبْرِ وَالْإِلْحَاحِ
حَيًّا فَيَلْقَى الْمَوْتَ فِي الضَّحْضَاحِ^{٣٠}
فَهَلُمَّ لِلْإِنْتِجَاحِ وَالْإِصْلَاحِ
بِخَلَائِقِ غُرِّ الْوُجُوهِ صَبَاحِ^{٣١}
وَبِيْمَنِ طَلَعَتْ وَجْهَهُ الْوَضَاحِ
تَشْدُو بِسَابِغِ فَضْلِهِ أَمْدَاحِ

هوامش

- (١) الساري: السائر في الليل، ولما كان الهواء من الأجسام اللطيفة حسن وصفه بالسري، والمراد أن لطفه يخفيه كما يخفي الليل السائر فيه. المشارف: أعالي الأرض، واحدها مشرف. البطاح: جمع أبطح وهو مسيل واسع فيه دقاق الحصى.
- (٢) المغدى: اسم مكان من الغد وهو السير في أول النهار. المسحب: مصدر ميمي من سحبه كمنعه، جره على وجه الأرض. المراح: اسم مكان من الرواح وهو السير في العشي. الرواح: الذهاب والرجوع.
- (٣) المدى: الغاية. فياح: عظيم الاتساع.
- (٤) يسري: يسير ليلاً. رمته: طلبته.
- (٥) يكبو: ينكب على وجهه. الظليم: الذكر من النعام يُضرب بسرعة عدوه المثل. العداء: العدو والجري. يكل: يُعْيِي ويعجز. الأجرد: الفرس السباق. السباح: الفرس السريع كأنما يسبح بيديه.
- (٦) العوائق: الموانع. الحائل: الحاجز. الصلد: الصلب الأملس من الحجارة. الصفاح: كرمان. ما كان منها عريضاً رقيقاً.
- (٧) دان: قريب. علقت: نشبت واستمسكت. الراح: جمع راحة وهي بطن الكف.
- (٨) الأشباح: جمع شبح وهو الشخص.
- (٩) في هذا البيت إشارة إلى معنى الآية الكريمة: ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ فَتَنُفِّرُ سَحَابًا مِّنْهُ مَبْطُحَةً فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾.
- (١٠) المرقش: المزخرف المزوق. الأقاحي: جمع أقحوان وهو البابونج من نبات الربيع له نور حواليه ورق أبيض ووسطه أصفر.
- (١١) صفوة الشيء: خالصه. الماضي: العسل الأبيض.
- (١٢) مركب وطيء: لين سهل ذلول. الصداح: الذي يرفع صوته بالغناء، ويريد بالشاعر بالطائر الصداح نفسه.
- (١٣) الدرر: جمع درة وهي اللؤلؤة العظيمة. دراري الليل: كواكبه المضيئة وأحدهما دُرِّي.
- (١٤) المفزع: اسم مفعول من فزعه ففزع أي: خاف. الجحجاج: السيد الماجد الشريف الشجاع.
- (١٥) الراح: الخمر. النشوات: جمع نشوة وهي السكر. يوصم: يعاب. الإثم: الذنب.

- (١٦) المسكي: نسبة إلى المسك وهو أفضل أنواع الطيب عند العرب. الأثير: مادة لطيفة جداً منتشرة في أنحاء الفضاء تنقل النور والحرارة الكهربائية والصوت. العشائر: جمع عشيرة وهي القبيلة. شم الأنوف: جمع أشم الأنف، صفة من الشمم وهو ارتفاع قصبه الأنف وحسنها واستواء أعلاها، وذلك كناية عن الأنفة والترفع عن الدنيا، على أن الشمم من صفات العرب الخلقية. سماح: جمع سمح وهو الجواد المعطاء.
- (١٧) يريد بالضاد لغة العرب. ترأب: تصلح وتجبر. الصدع: الشق. الأتراح: جمع ترح وهو ضد الفرح.
- (١٨) السراح: الحرية.
- (١٩) هذر كلامه: من باب فرح أي كثر في الخطأ والباطل. الملاحى: المنازع.
- (٢٠) صدع: شق. الدجى: جمع دجية وهي الظلمة.
- (٢١) جاز المكان: سلكه وسار فيه. سجرت: فجرت وامتلات. الفدافد: جمع فدغد وهو الفلاة. شعث: جمع أشعث من الشعث وهو الانتشار والتفرق. الفجاج: جمع فج وهو الطريق الواسع الواضح بين الجبلين. الفساح: جمع فسيح أي: متسع.
- (٢٢) كافحت: واجهت وحاربت. النجوى: السر.
- (٢٣) منعطف الوادي: حيث ينعطف أي: ينتهي ويميل. البهرة: ما اتسع من الأرض. الساح: جمع ساحة وهي الناحية وفضاء بين دور الحي.
- (٢٤) روى من الماء روى ورى أي: ارتوى. النهى: جمع نهاية وهي العقل.
- (٢٥) المركيز «ماركوني» عالم إيطالي اخترع بعبقريته أجهزة الإذاعة اللاسلكية، وطوق العالم كله بمأثرة خالدة ومنة من أجل المن. توفي في يوليو سنة ١٩٣٧م، ودفن حيث ولد في «بولونيا» من بلاد إيطاليا في شمالها الشرقي.
- (٢٦) العصامي: الشريف النفس المعتمد على همته في كسب المجد وبلوغ الأمل. الأرومة: الأصل. المجد: العز والشرف. و«أمون» و«فتاح» إلهان من آلهة قدماء المصريين.
- (٢٧) التعلة: ما يتعلل به. المؤئل: الأصيل العظيم.
- (٢٨) بلي الثوب: خلق وتمزق. العهد: الزمان.
- (٢٩) مؤارة: سريعة مضطربة لكثرة عددها. خضراء: عظيمة كثيرة السلاح. الكماة: جمع كمي وهو الشجاع المدمج أي: شاكى السلاح. الرдах: الكتبية الثقيلة الجرامة.
- (٣٠) ينجد: يعين. اللج: معظم الماء. الضحضاح: الماء اليسير القليل.
- (٣١) الخلائق: جمع خليفة وهي الطبيعة والخلق. غر: جمع أغر وهو الأبيض.
- صباح: جمع صبيح وهو الجميل.

نقيب

نظم الشاعر هذه الأبيات بمناسبة انتخاب الدكتور علي إبراهيم نقيباً للأطباء عام ١٩٤٣م.

قالوا: «عليُّ» غدا نَقِيباً	قلتُ: متى لم يكن نَقِيباً؟!
المسكُ مسكٌ، فإن تُبَالِغْ	في وَصْفِهِ لم تَزِدْهُ طِيباً
لو اشتكى الدهر من سَقَامٍ	لم يَتَّخِذْ غَيْرَهُ طَبِيباً

وفاء صديق

بعث الشاعر بهذه القصيدة إلى صديقه الدكتور علي توفيق شوشة وكيل وزارة الصحة اعترافاً بفضلته في استئصال الأوبئة بمصر سنة ١٩٤٧م.

نَظَّمْتُ لَأَلَىءَ الْفِرْدَوْسِ عِقْدَا	ومن ذهب الأصيلِ وشيتُ بُردًا ^١
وسار مع النسيم نسيمٌ شعري	فكان أرقُّ أذيالًا وأندى ^٢
غلائله ترفُّ بكلِّ أرضٍ	فتنشرُ حوله مسكًا ونَدًا ^٣
تلقاه الخمائلُ ضاحكاتٍ	تهزُّ معاطفًا وتمدُّ خَدًا ^٤
ويرقُمُ في الغديرِ سطورَ وَحْيٍ	وعاها الطيرُ حين شدا فأشدى ^٥
وكم همست بمسمعه غصونٌ	فردَّد همسها وَلَهَا ووجدًا ^٦
إذا ما الشعرُ كان شعاعَ نورٍ	أعار الشمسَ إشراقًا وخلدًا
يشيبُ فيستردُّ صباهُ غَضًّا	وما أحلى الشبابَ المستردًّا ^٧
طوى الدنيا فليس الوعرُ وعرا	لوثبته، وليس النجدُ نجدًا ^٨
إذا كفَّ الزمانُ رمت رماها	وإن جدَّت به الأحداثُ جدًّا ^٩
وإن بسمت له الدنيا سِمعنا	نشيدًا يملأ الأطيَّارَ حِقْدًا
تمنَّت أن يكونَ لها صداهُ	فصعرَ خدَّه ونأى وصدًا ^{١٠}
وأين لمثلها وترٌ مُرِنٌ	من الإلهامِ إحكامًا وشَدًّا ^{١١}
يغرِّدُ للخلودِ بكلِّ أفقٍ	وما عرفت له الآفاقُ حدًّا
لمستُ جناحه رفقا فوافى	وأغريتُ الودادَ به فودًا ^{١٢}
له حبُّ القلوبِ فليس يطوى	وماءُ المقلتينِ فليس يصدى ^{١٣}

أَدَاعِبُهُ فَيَصْدَحُ عِبْقَرِيًّا
ضَنْنَتْ بِهِ فَلَمْ يَهْتَفْ بِعَمْرٍو
وَصُنْتُ لَهَا تَهْ عَنْ كُلِّ لَغْوٍ
تَلَنَّمُ بِالْإِبَاءِ فَعَاشَ حَرًّا
يَهْزُ حَمِيَّةَ الْفَتَيَانِ نَصَلًا
وَيُشْعِلُ فِي الْقُلُوبِ وَمِضَّ نَارٍ
وَيَشْدُو بِالْمَرْوَةِ إِنْ تَرَاةٍ
تَلَفَّتْ حَوْلَهُ فَرَأَى (عَلِيًّا)
حَوَى هِمَمَ الرِّجَالِ فَكَانَ جَمْعًا
عَزِيمَتُهُ تَرْدُ الْغِمْدَ سَيْفًا
يُحِبُّ دِمَائَهُ وَيُهَابُ خَوْفًا
وَفَاءً لَوْ تَقَسَّمَ فِي اللَّيَالِي
وَعَلِمَ يَمْلَأُ الْآفَاقَ نُورًا
وَصَوْلَةً حَازِمَ مَا حَادَ يَوْمًا
وَفَكْرُ يَلْمَحِ الْأَقْدَارِ حَتَّى
وَوَجْهٌ مَشْرِقُ الْقَسَمَاتِ سَمَحُ
رَأَى الصَّبْحُ مِنْهُ فَزَادَ حُسْنًا
دَنَا كَالشَّمْسِ حِينَ دَنَتْ شَعَاعًا
فَلَمْ نَعْرِفْ لَهُ فِي الْفَضْلِ قَبْلًا
فَتَى مِصْرٍ وَهَلْ تَلْقَى بِمِصْرٍ
تَدَارِكُ مِصْرَ (وَالْمَيْكُرُوبِ) يَطْعَى
طَوَى آجَالِ أَهْلِيهَا هَبَاءً
فَشَدَّ عَلَيْهِ مَقْدَامًا جَرِيئًا
تَحَدَّاهُ وَصَالَ وَلَوْ سِوَاهُ
فَطَهَّرَ أَرْضَهَا وَحَمَى جِمَاهَا
تَطِيرُ بِهَا الْبَعُوضَةُ وَهِيَ تَدْرِي
وَيَمْشِي الْقَمْلُ (وَالِدِي دِي) رَصِيدُ

فَتَمْتَدُّ الرِّقَابُ إِلَيْهِ مَدًّا
وَلَمْ تَسْتَهْوِهِ بَسَمَاتُ سَعْدَى^{١٤}
لَهُ خَدَّ الْفَتَى الْعَرَبِيِّ يَنْدَى^{١٥}
وَلَوْ عَرَفَ الرِّيَاءَ لَمَاتَ عَبْدًا
وَيَحْشُدُ رَابِضَ الْعِزْمَاتِ جُنْدًا
كَنِيرَانِ «الْكَلِيمِ» هُدَى وَرَشْدًا^{١٦}
وَبِالصَّنْعِ الْجَمِيلِ إِذَا تَبَدَّى
وَلَمْ يَبْصُرْ لَهُ فِي الطَّبِّ نَدًّا
وَأَفْرَدَ بِالنَّبُوغِ فَكَانَ فَرْدًا
وَحَكَمَتُهُ تَرْدُ السَّيْفَ غَمْدًا
كَغَمْرِ السَّيْلِ خِيفَ وَطَابَ وَرْدًا^{١٧}
لَمَّا نَقَضْتَ لِرَاجِيهِنَ عَهْدًا
وَزَكَّرُ يَمْلَأُ الْأَيَّامَ حَمْدًا
عَنِ الْقَصْدِ السَّوِيِّ وَلَا اسْتَبْدَا
يَكَادُ يَرُدُّهَا لِلْغَيْبِ رَدًّا
يَفِيضُ بِشَاشَةٍ وَيَلُوحُ سَعْدًا
وَعَارَ الْبَدْرِ مِنْهُ فَزَادَ سُهْدًا
وَحَلَّقَ مَثَلَهَا فِي الْأَفْقِ بُعْدًا
وَلَمْ نَعْرِفْ لَهُ فِي النَّبْلِ بَعْدًا
فَتَى أَمْضَى وَأُورَى مِنْهُ زَنْدًا^{١٨}
وَيَنْفُتُ سُمَّهُ وَيُوْدُّ أَدَا^{١٩}
وَيَبْدُدُ نَسْلَهَا فَتَكَا وَوَأْدًا^{٢٠}
كَمَا هَيَّجَتْ يَوْمَ الرُّوعِ أَسْدًا
أَرَادَ لَمَّا اسْتَطَاعَ وَلَا تَحَدَّى
وَصَانَ شَبَابَهَا وَهَدَى وَأَهْدَى
بِأَنَّ وَرَاءَهَا لِلْمَوْتِ حَشْدًا
يُصَوِّبُ خَلْفَهُ السَّهْمَ الْأَسْدَا^{٢١}

وما طَنَّ الذبابِ سوى نُواحٍ
إذا الحشراتُ في مصرٍ تصدَّتْ
أنسى (الجامبيا) والموتُ فيها
وكاد اليأسُ يُوهِنُ كُلَّ عزمٍ
فخضتْ غَمَارُهَا صَمَدًا هَمَامًا
وأنقذتْ الكِنانةَ مِنْ فناءٍ
نَحْيِي المرءَ إنْ نَجَّى حياةً
فعش للطبِّ والفُصحى إمامًا
مدحتُك كي أُشِيدَ بمجد مصرٍ
وليس ينالُ شَأوكَ وصفُ شعري
ومن أحصى مآثرَك الغوالي
وقد حصدته أيدي العلم حصدا
مُنَاجِزَةً، فأنت لها تصدَّى
يزمجرُ، والقلوبُ تذوبُ كَمَدًا؟^{٢٢}
ومصرُ تصارعُ الخصمَ الألدَّ^{٢٣}
ورُعتَ بها جيوشُ الموتِ جُلْدًا^{٢٤}
وكنتَ لقومك الركنَ الأشدَّ
فكيف إذا نجا الوطنُ المَفدَّى؟
وكن لكليهما عَضْدًا وزندًا^{٢٥}
وأرسمُ للشبابِ النهجَ قَصْدًا^{٢٦}
ولو أفنيتُ عمرَ الشعرِ كَدًّا^{٢٧}
فقد أحصى نجومَ الليلِ عدًّا

هوامش

(١) لآلى الفردوس: درر من الجنة. ذهب الأصيل: المقصود لون الذهب في حمرة مثل لون الشمس في السماء فيما بين العصر والمغرب. وشيت: نسجت. بردًا: كساء تلبسه العرب.

- (٢) أرق أذيالًا: أحسن أطرافًا. أُندي: أسخى.
- (٣) غلائله: الأثواب الشفافة. ترف: تتحرك. ندًا: الطيب.
- (٤) معاطفًا: جوانبًا.
- (٥) يرقم: يكتب. وعاهها: حفظها. أشدى: أجاد الشدو.
- (٦) ولها: شدة الوجد. وجدا: الحب والهيام.
- (٧) غَضًا: طريًا.
- (٨) الوعر: جبل ويقال للشيء الصعب. النجد: ما ارتفع من الأرض.
- (٩) جدت به الأحداث: عظمت به الأمور. جدا: عظم واجتهد.
- (١٠) صعر خده: اسكتبر واستعظم. نأى: بعد. صدا: أعرض.
- (١١) وتر: هو وتر العود. مرن: له صوت رنان.
- (١٢) وافي: أعطى. ودا: أحب.

- (١٣) حب القلوب: سويداؤه وثمرته. يطوي: يجوع. المقلتين: العينين؛ لأن المقلة هي شحمة العين التي تجمع البياض والسواد. يصدى: يعطش.
- (١٤) عمرو وسعدى: أسماء عربية. يقصد أنه ضن بشعره أن ينزلق إلى قصص الغرام وحديث الغزل.
- (١٥) لهاته: اللهاة هي الزائدة اللحمية في سقف الحلق والمقصود حديثه وقوله وشعره. يندى: يبتل. المقصود من العرق خجلًا.
- (١٦) الكليم: سيدنا موسى — عليه السلام — لأنه هو الرسول الذي تكلم الله معه.
- (١٧) كغمر السيل: كماء السيل الكثير. خيف: خيف منه. وردًا: منهلاً للماء.
- (١٨) أورى: يقال: أورى زنده أي: زاد وقوي. زندا: طرف الذراع حتى الكف.
- (١٩) يؤد: يقطع ويميت.
- (٢٠) طوى آجال: قضى على أعمار الناس. وأدا: دفن الحي.
- (٢١) الدي دي: هي مادة ال (د. د. ت) التي تقتل الحشرات برشها في الأماكن الموبوءة.
- (٢٢) الجامبيا: يقصد بعوض الجامبيا وقد اجتاحت جنوب مصر حينئذٍ في وباء شديد إذ تنتقل مرض الملاريا الخبيثة، كمداً: حزناً مكتوماً.
- (٢٣) الألدا: شديد الخصومة.
- (٢٤) صمدا: سيدًا همامًا صامدًا. رعت: أخفت. جلدًا: صلبًا قويًا.
- (٢٥) عضدًا: الساعد. زندا: هو موصل طرف الذراع من الكتف والمقصود عونًا قويًا للطب واللغة العربية.
- (٢٦) النهج: الطريق.
- (٢٧) شأوك: مكانتك. كذا: تعبًا.

رَشِيدُ تَحْيِي الْفَارُوقِ

نظم الشاعر هذه القصيدة في شهر نوفمبر سنة ١٩٣٦ م يحيي فيها الملك فاروق حينما زار مدينة رشيد بلد الشاعر بالمرور عليها بسفينته.

وَأَمْلَأُ مَدَاهَا شَبَابًا	أَغْدِقُ عَلَيْهَا سَحَابًا
لِلْخَيْرِ بَابًا فَبَابًا	وَأَفْتَحُ عَلَى النَّاسِ فِيهَا
تَبْرًا وَكَانَتْ تُرَابًا	جُزْتَ الطَّرِيقَ فَصَارَتْ
وَالسَّعْدُ يَشْدُو إِيَابًا	الْيُمْنُ يَحْدُو ذَهَابًا
تَشْوُقًا وَاجْتَذَابًا	وَالنَّخْلُ مَاسَتْ وَمَالَتْ
كَادَتْ تُجَارِي الرِّكَابًا	قَدْ هَزَّهَا الشَّوْقُ حَتَّى

* * *

بَيْنَ الرِّبَا وَمَلَابَا ^١	وَالزَّهْرُ يَنْضَحُ عِطْرًا
أَنْسَى الْمُحِبَّ الْعُتَابَا	لَهُ ابْتِسَامُ حَبِيبٍ
مِنْ الْكِمَامِ نِقَابَا	يَزْنُو فَيُرْجِي حَيَاءً
عَمَّ الْقُرَى وَالرَّحَابَا	رَأَى شَبَابًا وَضِيئًا
كَالْمِسْكِ طَابَتْ وَطَابَا ^٢	رَأَى خَلَائِقَ زُهْرًا

* * *

مَاذَا أَصَابَ الْهَضَابَا ^٣	تَطَامَنَتْ هَضَبَاتُ
وَالْيَوْمَ تَحْنِي الرِّقَابَا ^٤	كَانَتْ تُسَامِي الثَّرِيَا

رَأَتْ جَلَالًا مَهِيْبًا فَمَا وَنَتْ أَنْ تَهَابَا
وَهَالَهَا مِنْكَ عَزْمٌ لَوْ لَامَسَ الصَّخْرَ ذَابَا

* * *

وَالْبَحْرُ يَذْنُو وَيَعْلُو تَطَلُّعًا وَارْتِقَابًا
لَمَّا تَلَقَّاكَ قُلْنَا: لَأَقَى الْعُجْبَابُ الْعُجَابَا
«فَارُوقُ» أَعْظَمُ نَفْسًا مِنْهُ وَأَسْخَى جَنَابًا^٩
يَزْجِي السَّحَابَ ثِقَالًا وَأَنْتِ تُزْجِي الرِّغَابَا^{١٠}

* * *

وَالنَّيْلُ يَنْسَابُ تَيْهًا بَيْنَ الْمَرْجِ انْسِيَابَا
كَالْخُودِ صَمَّتْ ثِيَابَا عُجْبًا وَأَرْخَتْ ثِيَابَا^{١١}
صَفَا لُجَيْنًا نَقِيًّا وَمَا جَ تَبَرًّا مُذَابَا^{١٢}
أَلْقَى الدَّرَاهِمَ بُشْرَى بِكُمْ فَكَانَتْ حَبَابَا^{١٣}
تَوَثَّبَ الْمَوْجُ فِيهِ لِنَظْرَةٍ ثُمَّ ثَابَا^{١٤}
جَرَى ذُلُولًا بِمَلِكٍ ماضٍ أَدْلُ الصَّعَابَا
إِذَا رَأَى كَانَ حَقًّا أَوْ قَالَ كَانَ صَوَابَا

* * *

وَالنَّاسُ مِنْ كُلِّ صَوْبٍ تَهْوِي إِلَيْكَ انْصِيَابَا
جَاءُوا شُعُوبًا شُعُوبًا حَتَّى أَسَالُوا الشَّعَابَا^{١٥}
يَرْجُونَ مِنْكَ دُنُوءًا فَيَرْجِعُونَ اهْتِيَابَا^{١٦}
وَالشَّمْسُ أَعْلَى مَكَانًا مِنْ أَنْ تُنَالَ اقْتِرَابَا
لَهُمْ دُعَاءُ أَمَاطَتْ لَهُ السَّمَاءُ الْحَجَابَا^{١٧}
إِنْ تَلَقَّاهُمْ تَلَقَّ مَوْجًا إِنْ قَارَبَ الشَّطَّ آبَا^{١٨}
تَلَقَّى عَجِيجًا وَشَوْقًا وَزَفَرَةً وَاصْطِخَابَا^{١٩}
قُلُوبُهُمْ فِي يَدَيْهِمْ تُهْدِي إِلَيْكَ احْتِسَابَا^{٢٠}
وَحُبُّهُمْ فِي وُجُوهِ فَاقْرَأْ فِيهَا كِتَابَا

لَاخَ السَّفِينُ فَهَامَتْ	«رَشِيدُ» تَعْدُو وَثَابَا
وَأَقْبَلَتْ وَهِيَ تَرْنُو	مَاذِنَا وَقَبَابَا
تَوْدُ خَوْضًا إِلَيْهِ	لَوْ اسْتَطَاعَتْ ذَهَابَا
وَالشَّوْقُ إِنْ غَالَ نَفْسًا	لَا تَسْتَطِيعُ غَلَابَا ^{١٧}
أَعْلَامُهَا خَافِقَاتٌ	كَمَا هَزَزَتْ الْقَضَابَا ^{١٨}
قَدْ زَارَهَا مِنْكَ غَيْثٌ	فَانْهَلَّ فِيهَا انْسِكَابَا
وَلَحَتْ فِيهَا فَصَارَتْ	خِصْبًا وَكَانَتْ يَبَابَا ^{١٩}
اللَّهُ أَكْبَرُ عَادَتْ	بَعْدَ الْمَشِيبِ كَعَابَا! ^{٢٠}
إِنْ سُوِّلَتْ عَنْ سَنِيبَا	قَالَتْ: نَسِيتُ الْحِسَابَا
فِيهَا نُهَى ثَاقِبَاتٌ	كَمَا أَضَاءَتْ الثَّقَابَا
كَالتَّبْرِ غَطَاهُ تَرْبٌ	وَالدَّرُّ فِي الْبَحْرِ غَابَا
كَمْ عَامِرَاتٍ عُقُولُ	تَأْوِي الدِّيارُ الْخُرَابَا!
صَحِبْتُ فِيهَا شَبَابِي	فَمَا ذَمَمْتُ الصَّحَابَا
سَقِيًّا لِمَلْعَبِ أَنْسِ	شَابَ الزَّمَانُ وَشَابَا!
إِنْ يَجْرُ فِي الْوَهْمِ يَوْمًا	جَرَتْ دُمُوعِي اكْتِنَابَا
مَنْ غَاضَ مَاءُ صِبَاهُ	رَأَى الْحَيَاةَ سَرَابَا
أَبُوكَ رَاشَ جَنَاجِي	حَتَّى لَمَسْتُ السَّحَابَا ^{٢١}
وَكَانَ يُصْغِي لِشُعْرِي	وَكَانَ شِعْرِي عُجَابَا

* * *

«رَشِيدُ» لَاقَتْ رَشِيدًا	شَهْمًا مُجِيبًا مُجَابَا
سَوَاهُ مَوْلَاهُ نُورًا	صِرْفًا، وَمَجْدًا لُبَابَا
نَالَتْ بِيَمْنِ سَنَاهُ	مِصْرَ الْمُنَى وَالطَّلَابَا

هوامش

- (١) الربا: جمع ربوة وهي ما ارتفع من الأرض. الملب: نوع من الطيب، أو هو الزعفران.
- (٢) الخلائق: جمع خليفة وهي الطبيعة والخلق. زهر: جمع زهراء أي: صافية خالصة غراء. المسك: أفضل أنواع الطيب عند العرب. طاب: جمل وحسن.
- (٣) تطامنت: انخفضت.
- (٤) تسامى: تفاخر وتبارى في السمو. الثريا: اسم لنجوم كثيرة متقاربة يضرب المثل بها في الرفعة والعلو.
- (٥) الجنب: الناحية.
- (٦) يزجي: يسوق سوقاً رقيقاً. ثقال: جمع ثقيلة. الرغاب: جمع رغبة.
- (٧) الخود: المرأة الحسنة الخلق الشابة الناعمة. العجب: الكبر والفخر.
- (٨) اللجين: الفضة. ماج: اضطربت أمواجه. التبر: ما كان من الذهب غير مضروب ولا مصوغ.
- (٩) الحباب: فقايع الماء التي تطفو كأنها الدراهم.
- (١٠) ثاب: رجع.
- (١١) الشعوب: جمع شعب وهو القبيلة العظيمة. الشعاب: جمع شعب بكسر الشين وهو الطريق.
- (١٢) الدنو: القرب. الاهتياب، مصدر اهتابه بمعنى هابه أي: أجله وعظمه.
- (١٣) أماطت: كشفت.
- (١٤) الشط: جانب النهر. آب: رجع.
- (١٥) العجيج: رفع الصوت مصدر عج يعج من باب ضرب. الزفرة: التنفس الطويل الممدود، الاصطخاب: الجلبة والأصوات المختلطة، والعجيج والزفرة والاصطخاب كلها من مظاهر الزحام.
- (١٦) الاحتساب: مصدر احتسب الأجر على الله أي: ادخره عنده لا يرجو ثواب الدنيا.
- (١٧) غاله: أخذه من حيث لم يدر والمراد استولى وسيطر. الغلاب: المغالبة مصدر غالبه.
- (١٨) الأعلام: جمع علم وهو الراية. خافقات: مهتزة. القضاب: السيف القطاع.

رَشِيدُ تَحِيّ الْفَارُوقِ

(١٩) اليباب: الخراب.

(٢٠) الكعاب: الجارية نهّد ثدياها.

(٢١) راشه: جعل فيه الريش.

إلى رُوح داود بركات

جزع الشاعر أشد الجزع لموت صديقه الأستاذ داود بركات، رئيس تحرير جريدة الأهرام،
فرثاه بهذه القصيدة سنة ١٩٣٣م:

ظَنَنْتَ الدَّمْعَ يُسْعِدُ بِالْعَزَاءِ
وَقُلْتَ: بَأَنِّهِ الْمَحْزُونِ أَشْفَى
وَمَنْ يَغْسِلُ بِأَدْمَعِهِ جَوَاهُ
بِنَفْسِي الرَّاحِلِينَ مَضَوْا سِرَاعًا
تَوَلَّى عَهْدَهُمْ وَبَقِيَتْ وَحْدِي
رَتَيْنُهُمْ فَأَذْمَى الْحُزْنَ قَلْبِي
وَكَمْ حَيٍّ يَعْيشُ بِنَفْسٍ مَيَّتٍ
مَضَتْ بِهِمُ النَّجَائِبُ مُضْعِدَاتٍ
تَجَلَّوْا فِي النَّجَادِ ضَحَى صَبَاحٍ
وَقَفْتُ أَرَوْدُ النَّظَرَاتِ مِنْهُمْ
فَلَمْ أَرِ إِذْ نَظَرْتُ سِوَى جَلَالٍ
وَنَادَيْتُ الصَّحَابَ فَبَجَّ صَوْتِي
تُفَرِّقُنَا الْحَيَاةُ فَإِنْ أَرَدْنَا
طَرِيقَ عِبْدَتٍ مِنْ قَبْلِ نُوحٍ
بِهَا الْأَضْدَادُ تَجْمَعُ فِي صَعِيدٍ
إِذَا لَبَسَ الرِّبِيعُ شَبَابَ قَوْمٍ

فَهَلْ أَجْدَى بُكَائُكَ أَوْ بُكَائِي؟
فَأَحْوَجَكَ الشِّفَاءُ إِلَى شِفَاءٍ
أَرَادَ الْبُرْءَ مِنْ دَاءٍ بَدَأَ^١
لِوَرْدِ الْمَوْتِ كَالْهِيمِ الظَّمَاءِ^٢
أَقْلَبُ طَرْفَ عَيْنِي فِي السَّمَاءِ
فَهَلْ نَدْبٌ يَخْفُ إِلَى رِثَائِي؟^٣
طَوَتْ أَمَالَهَا طَيَّ الرَّدَاءِ
وَلِلْبَاكِينَ رَنَاتُ الْحُدَاءِ^٤
وَعَابُوا فِي الْوَهَادِ دُجَى مَسَاءِ^٥
وَأَصْغِي لِلنَّوَادِبِ مِنْ وَرَائِي
يَهْوُلُ وَمَا لَمْسْتُ سِوَى هَبَاءِ
وَعَادَ إِلَيَّ مَكْدُودًا نِدَائِي
لِقَاءَ لَمْ نَجِدْ غَيْرَ الْفَنَاءِ
وَلَمْ تُلَقِ التَّمَائِمُ عَنْ ذُكَايَ^٦
وَفِيهَا يَلْتَقِي دَانَ بِنَاءِ^٧
فَأَسْرَعُ مَا يُفَاجَأُ بِالشِّتَاءِ

وَكُلُّ نَضِيرَةٍ فَإِلَى ذُبُولٍ وَكُلُّ مُضِيئَةٍ فَإِلَى انْطِفَاءٍ
وَهَلْ تَهْوِي ثِمَارُ الرُّوضِ إِلَّا إِذَا أَدْرَكْنَ غَايَاتِ النِّمَاءِ

* * *

أَيَا «دَاوُدَ» وَالذِّكْرَى بَقَاءُ ظَفِرَتْ بِكُلِّ أَسْبَابِ الْبَقَاءِ
نَعَاكَ إِلَيَّ النُّعَاةُ فَقُلْتُ: مَيَّنْ وَكَمْ يَأْسٍ تَشَبَّثَ بِالرَّجَاءِ
نُمَارِي كُلَّمَا فَدَحَتْ خُطُوبُ فَتَزَتْحُ النُّفُوسُ إِلَى الْمِرَاءِ^٨
مَلَكْتُ يِرَاعَةً وَمَلَكْتُ قَلْبًا فَكَانَا سَلَمَيْنِ إِلَى الْعِلَاءِ^٩
شَبَابَةً شَقَّهَا الْبَارِي فَشَقَّتْ طَرِيقًا لِلْمَجَادَةِ وَالسَّرَاءِ^{١٠}
إِذَا مَا أُشْرِعَتْ فِي الْخَطِّ مَالَتْ رِمَاحُ الْخَطِّ مِيلَةً الْإِزْهَاءِ^{١١}
وَإِنْ هِيَ جُرِدَتْ لِمِضَاءٍ عَزَمَ تَوَارَى السَّيْفُ مِنْ هَوْلِ الْمِضَاءِ
وَإِنْ هِيَ لَامَسَتْ يَدَهُ أَضَاءَتْ فَهَلْ أَبْصُرْتُ فِعْلَ الْكُهْرَبَاءِ
كَأَنَّ لُعَابَهَا قَطَعَ اللَّيَالِي تَنْفَسُ عَنْ تَبَاشِيرِ الضِّيَاءِ^{١٢}
كَأَنَّ النُّقْسَ فَوْقَ الطَّرْسِ غَيْثُ أَعَارَ الْأَرْضِ ثَوْبًا مِنْ رُوءَاءِ^{١٣}
بَيَانِكَ وَاضِحَ الْقَسَمَاتِ صَافٍ يَكَادُ يُشِعُّ مِنْ قَرِطِ الصَّفَاءِ
يَكَادُ يَسِيلُ فِي الْقِرْطَاسِ لُطْفًا فَتَحْبِسُهُ عَلَامَةُ الْإِنْتِهَاءِ^{١٤}
بَيَانٌ لَوْ صَدَعَتْ بِهِ اللَّيَالِي رَأَيْتُ الصَّبْحَ مِنْهَا فِي الْعِشَاءِ^{١٥}
لَهُ نُورٌ يَكَادُ يَسِيرُ فِيهِ «رَهِينُ الْمَحْبِسِينَ» بِلَا عَنَاءِ^{١٦}
لَهُ النَّبْرَاتُ نَدَعُوهَا غِنَاءُ فَتَأْبَى أَنْ تُعَدَّ مِنَ الْغِنَاءِ
سُلَافٌ تَنْهَلُ الْأَرْوَاحُ مِنْهُ وَتَحْمِلُهُ السُّقَاةُ بِلَا إِنْءَاءِ^{١٧}
وَرَوْضَاتُ حَلَتْ فِي كُلِّ عَيْنٍ وَأَغْرَتْ بِالْأَزَاهِرِ كُلَّ رَائِي
طَلَبْنِ إِلَى الْغَمَامِ كِسَاءَ حُسْنٍ فَكَلَّفَ قَطْرَهُ وَشَيَّ الْكِسَاءِ
ثُرِيكَ عَجَائِبَ الْأَلْوَانِ شَتَّى كَمَا عَكَسَتْ أَشْعَتَهَا الْمَرَائِي^{١٨}
أَوْ الْعِذْرَاءَ حِينَ رَأَتْ غَرِيبًا فَلَتَّمَتِ الْمَلَاخَةَ بِالْحَيَاءِ

* * *

بَنِي لُبْنَانَ خَطْبُكُمْ جَلِيلُ دَعُونَا نَقْتَسِمُهُ عَلَى السَّوَاءِ
مَضَى شَيْخُ الصَّحَافَةِ أَرْحِيًّا مُبِيدُ الْوَفْرِ جَمَاعَ الثَّنَاءِ^{١٩}

خَلَّالَ كُلِّهَا أَنْفَاسَ رَوْضِ
نُعْزِي فِيهِ لُبْنَانًا وَنُبْكِي
مُصَابِكُمْ - وَقَدْ أَدْمَى - مُصَابِي
لَهُ اهْتَزَّتْ بَوَاسِقُ نَحْلِ مِصْرَ
بَنِي الْقَطْرِ الشَّقِيقِ لَنَا صَلَاتٌ
بَنُو أَعْمَامِنَا أَنْتُمْ وَفِيكُمْ
وَفِي الْفُضْحَى لَنَا نَسَبُ كَرِيمٍ
أَعَدْنَاهَا نِزَارِيَّةً عَرُوبًا
إِذَا خَطَرَتْ بِنَادِي الْقَوْمِ حَلُّوا
تَجَاوَزْنَا بِهَا أَطْلَالَ سُعْدَى
وَجِئْنَا بِالْعَجَابِ يُخَالُ سَحْرًا
وَكَانَتْ قَبْلَ نَهْضَتِنَا نَحَاسًا
قَضَى دَاوُدُ فَلْأَقْلَامَ حُسْرَى
هِيَ الْآيَامُ تَهْدِيهِمْ مَا بَنَتْهُ
حَيَاةُ الْمَرْءِ فِي الدُّنْيَا هَبَاءً
وَمَا لِلْجَارِعِينَ سِوَى اضْطِبَارِ

وَنَفْسُ كُلِّهَا قَطَرَاتُ مَاءٍ
فَمَنْ أَوْلَى وَأَجْدَرُ بِالْعِزَاءِ؟
وَرَزُّ الْعَبْقَرِيَّةِ وَالذِّكَاءِ
وَهَالِ الْأَرْزِ إِرْجَافُ الْفَضَاءِ^{٢٠}
كَرِيمَاتُ عُقْدَنَ عَلَى الْوَفَاءِ
حِفَاطُ لِمَوَدَّةِ الْإِخَاءِ
كَقُرْصِ الشَّمْسِ شَمَاحُ السَّنَاءِ^{٢١}
لَهَا حُسْنُ التِّفَاتِ وَإِنْثَاءِ^{٢٢}
مِنَ الْإِكْبَارِ مَعْقُودَ الْحُبَاءِ^{٢٣}
وَبَدَّلْنَا الْمَقَاصِرَ بِالْخِبَاءِ^{٢٤}
وَكُلُّ السَّحَرِ مِنْ أَلْفِ وَبَاءِ
وَكُنَّا سَادَةً فِي الْكِيمِيَاءِ^{٢٥}
نَوَاكِسُ خَاشِعَاتِ لِلْقَضَاءِ
فَمَاذَا يَبْتَغِينَ مِنَ الْبِنَاءِ؟
وَأَمَالُ الْمُؤْمَلِ مِنْ هَوَاءِ
وَمَا لِلْسَّاخِطِينَ سِوَى الرِّضَاءِ

هوامش

(١) الجوى: الحزن.

(٢) المراد بالورد هنا المورد وهو مأتى الماء وموضع وروده، الهيم: الإبل العطاش،
الظماء: العطاش أو الشديدة العطش.

(٣) الندب: الخفيف في الحاجة.

(٤) النجائب: عتاق الإبل وكرامها التي يسابق عليها، ومفردها نجيب أو نجيبة.
مصعدات: ماضيات من أصد في الأرض بمعنى مضى، وفي الوادي بمعنى انحدر. الرنات:
جمع رنة وهي الصوت. الحداء: سوق الإبل والغناء لها.

(٥) تجلوا: تكشفوا وظهروا. النجاد: جمع نجد وهو ما ارتفع من الأرض. الضحى: حين تشرق الشمس ويمتد النهار. الوهاد: جمع وهدة وهي الأرض المنخفضة. الدجى: جمع دجية وهي الظلمة.

(٦) عبت: ذلت ومهدت. التمائم: جمع تميمة وهي عوذة أو خرزة تعلق على المولود، نكاء: الشمس.

(٧) الأضداد: المختلفون. الصعيد: وجه الأرض، الداني: القريب. النائي: البعيد.

(٨) ماراه يماريه مرأ: جادله وطعن في قوله تزييفاً للقول. فدحت: بهظت وثقلت واشتدت.

(٩) اليراعة: القصبه، والمراد بها القلم وهذا كناية عن أنه كاتب أديب بارع.

(١٠) الشبابة: حد كل شيء والمراد بها هنا طرف القلم وسنه أي: موضع البري منه، وسن القلم مشقوقة عادة. والبارئ، الخالق — عز وجل — اسم فاعل من براه الله من باب عدا أو من برأه من باب قطع، وقد تكون من البريء مصدر برى القلم من باب رمى، ففي هذه الكلمة تورية. المجادة: الشرف والكرم مصدر مجد ككرم. السراء: المروءة والشرف.

(١١) أشرعت: أميلت للكتابة من أشرعت الرماح أي سددت عند إرادة الطعن. والخط الأولى معناها الكتابة. والخط الثانية مرفأ للسفن بالبحرين على خليج فارس شرقي جزيرة العرب تنسب إليه الرماح؛ لأنها تباع فيه. الازدهاء: التيه والفخر.

(١٢) كنى بلعاب الشبابة أو البراعة عن المداد وهو الحبر الذي يكتب به. القطع: ظلمة آخر الليل. وتنفس أصلها تتنفس أي: تتبلج وتشرق، تباشير الصباح: أوائله.

(١٣) النقس: المداد الذي يكتب به. الطرس: الصحيفة. الغيث: المطر. أعار: أعطى على سبيل العارية وهي الثوب ونحوه يستعيره الإنسان من غيره على أن يردده. الرواء: حسن المنظر.

(١٤) القرطاس مثلثة القاف: ورق الكتابة.

(١٥) صدعه كمنعه: شقه.

(١٦) رهين المحبس: هو أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان المعري التنوخي الشاعر الفيلسوف الزاهد، كف بصره وهو في الثالثة من عمره ففضى أكثر حياته مقبياً في منزله، وسمى نفسه رهين المحبسين: محبس العمى ومحبس المنزل.

(١٧) السلاف: الخمر.

(١٨) المرائي: جمع مرأة.

(١٩) أريحي: واسع الخلق يرتاح للندى. مبيد: مهلك مضيع. الوفير: المال الكثير.

(٢٠) بواسق: جمع باسقة أي: طويلة مرتفعة. هال: أخاف وأفزع. والأرض شجر

الصنوبر الذي يمتاز لبنان به كما تمتاز مصر بكثرة نخيلها. والأرجاف مصدر أرجفت الأرض أي: زلزلت.

(٢١) شماخ: عظيم الارتفاع وهي صيغة مبالغة من شمش الجبل ونحوه أي: علا

وارتفع. السناء: الرفعة.

(٢٢) نزارية: بتخفيف ياء النسب لضرورة الشعر نسبة إلى نزار بن معد بن عدنان

جد العرب المستعربة وجد القبائل العدنانية وفيها كان الشعر والفصاحة. العروب: المرأة الضحاكة المتحبة إلى زوجها.

(٢٣) حل معقود الحباء: كناية عن القيام.

(٢٤) سعدى: علم على بعض النساء اللاتي تغزل بهن بعض شعراء الجاهلية

ووقفوا بآثارهن وبكوا أطلالهن. المقاصر: جمع مقصورة وهي الدار الواسعة المحصنة، الخباء: بيت صغير يكون من وبر أو صوف ويرفع على عمودين أو ثلاثة.

(٢٥) يقول: إن اللغة العربية كانت قبل نهضتنا الحاضرة في قيمة النحاس لكثرة

ما اعتورها من عوامل الضعف والتأخر، وكنا نحن سادة فائقين في علم الكيمياء فجعلنا منها معدناً غالياً ثميناً. يشير بذلك إلى ما كان يعتقده المتقدمون من إمكانهم تحويل المعادن الخسيسة إلى ذهب بالكيمياء.

لبنان الشاعر

نظم الشاعر في القصيدة عندما ثار لبنان ثورته الوطنية في أواخر عام ١٩٤٣. ففاز بانتخاب نوابه. وكان الشاعر ينوي زيارة بيروت في ذلك الحين:

هَاجَ شَوْقُ الْوَالِدِ الْمُضْطَرِبِ	حُلُمٌ شَقَّ ظِلَامَ الْحُجُبِ ^١
جَرَدَ اللَّيْلُ عَلَيْهِ غِيْهَبًا	فَتَخَطَّى عَقَبَاتِ الْغَيْهَبِ ^٢
زَارَنِي وَاللَّيْلُ فِي غَفْوَتِهِ	يَتَمَطَّى عَنْ دِثَارِ السُّحُبِ ^٣
طَائِفٌ إِنْ رُمْتَهُ لَمْ تَلْقَهُ	وَهُوَ مِنْ جَفْنِكَ بَيْنَ الْهُدُبِ! ^٤
بَارِعُ الرِّيشَةِ حَتَّى لَتَرَى	غَائِبَ الشَّخْصِ كَأَنْ لَمْ يَغِبْ ^٥
بَسَمَاتُ الرُّوْضِ مِنْ أَلْوَانِهِ	وَسَنَا الْكَأْسِ وَدُرُ الْحَبَبِ ^٦
فِي يَدَيْهِ مِجْهَرٌ مِنْ عَجَبٍ	تُفْتَحُ الْعَيْنُ بِهِ عَنْ عَجَبٍ ^٧
قُلْتُ: هَذِي جَنَّةٌ؟ أَمْ مَا أَرَى؟	أَمْ تَهَاوِيلُ خَيَالٍ كَذِبٍ؟
أَمْ أَنَا غَيْرِي؟ وَإِلَّا مَنْ أَنَا؟	أَمْ هُوَ السَّحَرُ غَدَا يَلْعَبُ بِي؟
مَا الَّذِي يَبْدُو لِعَيْنِي سَامِقًا	يَتَحَدَّى سَبَحَاتِ الْكُوكَبِ؟ ^٨
أَرْضُهُ مِسْكٌ، وَفِي تُرْبَتِهِ	يَنْبُتُ الْفَنُّ مَكَانَ الْعُشْبِ ^٩
وَإِذَا شَادٍ يُغْنِي مَرْحٌ	لَوْلَوِي الصَّوْتُ، حُلُوُ الْمَذْهَبِ ^{١٠}
صَاح: ذَا لُبْنَانٍ فَانْزِلْ سَفْحَهُ	قُلْتُ: مَا لِي غَيْرَهُ مِنْ أَرْبٍ ^{١١}
هُوَ عَرِيْسٌ لَأَسَادِ الْحِمَى	وَكِنَاسٍ لِظُبَاءِ الرُّبْرِبِ ^{١٢}
قَدْ تَمَنَّا هَوَى مِنْ بُعْدٍ	كَيْفَ لَوْ أَبْصَرَهُ عَنْ كَثْبٍ؟!
الْأَزَاهِيرُ بِهِ مِنْ قُبَلٍ	وَالْيَنَابِيْعُ رَحِيقُ الْعِنَبِ

وقَدُودُ الْهَيْفِ فِي رَوْضَاتِهِ
 جُمِعَتْ لَيْلَاتُهُ مِنْ دَعَجِ
 وَسَجَايَا أَهْلِهِ أَنْسَامُهُ
 كَتَبَ الْمَجْدُ لَهُمْ تَارِيخَهُمْ
 كُلُّ شَهِمٍ أَرْيَجِيٍّ أَغْلَبَ
 بَيْنَ عَدْنَانَ وَغَسَّانَ لَهُمْ
 نَصَبُوا فِي كُلِّ أَرْضٍ رَايَهُمْ
 وَأَذَلُّوا الصَّعْبَ فِي رِحْلَاتِهِمْ
 وَطَوُّوا شَرْقًا بِشَرْقٍ، وَجَرَى
 يَنْزَحُ النَّازِحُ مَا فِي رَحْلِهِ
 وَرَجَاءٍ بَرَجَاءٍ يَلْتَقِي
 رَأْسُ مَالِ الْمَرْءِ مَا فِي رَأْسِهِ
 مَلَكُوا الدُّنْيَا فَلَمَّا جَمَحَتْ
 لَيْسَ لِلسَّيْفِ عَلَى حَدِّهِ
 هَذَّبُوا الْفُضْحَى وَلُمُّوا شَمْلَهَا
 جَمَعُوهَا حُلُوةَ الْجَرَسِ كَمَا
 أَنْتَ يَا لُبْنَانُ عَزَمُ وَنُهَى
 كُلَّمَا أَطْلَعْتَ لَيْلًا شَفَقًا
 ظَنَنْتِ الْغَيْدُ وَمَا أَجْرَاهَا!
 سَحَرُ شَعْرِ وَمَجَالِي فِتْنَةٍ
 وَابْتِسَامٌ فِيهِ أَشْرَاكُ الْهَوَى
 أَيْنَ قَلْبِي؟ غَضَبُوه، فَاسْأَلُوا
 وَاشْفَعُوا لِي، وَاحْذَرُوا غَضَبَتَهَا
 ثُمَّ قُولُوا: مُسْتَهَامٌ وَصَبُّ
 طَائِرُ غَرْدٍ فِي دَوْحَتِكُمْ
 طَارَ مِنْ مِصْرَ يُحْيِي أُمَّةً
 قَاهِرِيٍّ أَخْجَلَتْ أَلْحَانُهُ
 قُضِبُ تَمْرَحُ بَيْنَ الْقُضْبِ ١٣
 وَسَنَا إِصْبَاحَهُ مِنْ لَبَبِ ١٤
 كَمْ نَعْمَنَا بِشَذَاهَا الطَّيِّبِ!
 فِي جَبِينِ الدَّهْرِ لَا فِي الْكُتُبِ
 مِنْ كَرِيمٍ أَرْيَجِيٍّ أَغْلَبَ
 نَسَبُ يَرْفَعُ شَأْوَ النِّسَبِ ١٥
 مَا دَرَوْا فِي الْمَجْدِ مَعْنَى النَّصَبِ ١٦
 أَيُّ صَعْبٍ عِنْدَهُمْ لَمْ يُرْكَبْ؟
 سَيَلُّهُمْ يَزَحُمُ شَطُّ الْمَغْرِبِ ١٧
 غَيْرُ إِقْدَامٍ وَعِزُّمِ ذَرْبِ ١٨
 وَكَفَاحٍ لِلِقَاءِ النَّوْبِ ١٩
 مِنْ ذِكَاةٍ، لَا حُطَامُ النَّشْبِ ٢٠
 مَلَكُوهَا بِرَفِيعِ الْأَدَبِ ٢١
 صَوْلَةُ الشَّعْرِ. وَوَحْزُ الْخُطْبِ ٢٢
 بَعْدَ أَنْ كَانَتْ صَدَى فِي سَبَسِ ٢٣
 تَجَمُّعُ النُّحْلَةِ حُلُوَ الضَّرْبِ ٢٤
 لَسْتُ مِنْ صَخْرٍ وَلَا مِنْ حَصَبِ! ٢٥
 مُوَهَّتْ صَفْحَتُهُ بِالذَّهَبِ ٢٦
 أَنَّهُ مِنْ خَدَّهَا الْمُخْتَضِبِ ٢٧
 وَعَيُونُ أُغْرِمَتْ بِاللَّعِبِ
 وَحَدِيثٌ فِيهِ عُذْرُ الْمَذْنَبِ ٢٨
 «جَارَةُ الْوَادِي» عَنِ الْمَغْتَضِبِ ٢٩
 آهَ مِنْ صَوْلَةِ هَذَا الْغَضَبِ!
 وَيَلْتَا لِلْمُسْتَهَامِ الْوَصَبِ ٣٠
 عِلْمُ الْأَطْيَارِ مَعْنَى الطَّرِبِ
 تَوَجَّتْ بِالْمَجْدِ هَامَ الْحَقَبِ ٣١
 رَنَّةُ الْعُودِ، وَشَدْوُ الْقَصَبِ ٣٢

خُلِقْتُ أوتارُهُ قُدْسِيَّةً من حَنانِ الحُبِّ، لا من عَصَبٍ^{٣٣}
 فارحمني مُغْتَرِبًا ليس اسْمُهُ في رُبَا لُبْنَانَ بالمَغْتَرِبِ^{٣٤}
 جاء يَبْغِي الحُبَّ لا الحَبَّ فهل جاوز المسكينُ حَدَّ الطَلَبِ؟^{٣٥}
 فنصبتِ الفَخَّ خَدَّاعَ المُنَى حَشَنَ الكَفِّ، حديدَ المِخْلَبِ^{٣٦}
 وأتى هَيْمَانَ يشدو واثبًا ليته في يومه لم يثب!
 فازتَمي بين جَنَاحِ هائِضٍ وَجَنَاحِ خافِقٍ مضطربِ^{٣٧}
 واجِبَ القلبِ، ولولا نَظْرَةُ عرضتُ لاهِيَةً لم يَجِبِ^{٣٨}
 أطلقِيه وابْعَثِي آمالَهُ وثوابَ اللَّهِ فيه احتسبي^{٣٩}
 هل على الهاتفِ بالحسنِ إذا ما شدا من حَرَجٍ أو عَتَبِ؟
 قد براه السُّقْمُ إِلَّا فَضْلَةً من فَوادٍ حائِرٍ ملتهبِ^{٤٠}

* * *

كم هفا القلبُ لِلْبُنَانِ وكم عاقه صَرَفُ الزمانِ القَلْبُ!
 أصبحَ الحُكْمُ به في نُخْبَةٍ من بنيهِ الكرماءِ النُّجُبِ^{٤١}
 كُلُّهم حَزَّ أبِي يَنْتَمِي في ذُرَا المجدِ إلى حَزِّ أبِي^{٤٢}
 وهبوا الرُوحَ لِلْبُنَانِ فَدَى وَضْنينَ كُلِّ مَنْ لَمْ يَهَبِ^{٤٣}
 خُلِقَ مِثْلُ أَزَاهِيرِ الرُّبَا ضجكتِ للعارِضِ المنسكبِ^{٤٤}
 وسياساتٌ ورأيٌ ساطعٌ يَضَعُ الحَقَّ مكانَ الرِّيبِ^{٤٥}
 قادهم خَيْرُ رُئِيسٍ لِلْعُلا شمريَّ العزمِ عالي الحَسَبِ
 عاشَ لُبْنانٌ وعاشتْ رايَةُ للكرامِ العُربِ فوقَ الشُّهْبِ

هوامش

- (١) هاج: أثار. الحجب: الأستار.
- (٢) غيهبًا: ظلمة.
- (٣) غفوته: نومه. يتمطى: يتثاءب. دثار: غطاء.
- (٤) طائف: ما يجول بالخطر أثناء النوم. رمته: أردته. الهدب: رموش العين.
- (٥) بارع الريشة: ماهر في الرسم والتصوير.

(٦) سنا الكأس: ضوء الكأس. در الحبيب: ما يطفو فوق الماء من فقائيع تشبه الدر.

(٧) مجهر: منظار مكبر.

(٨) سباحات الكوكب: حيث تسبح الكواكب.

(٩) مسك: طيب.

(١٠) حلو المذهب: جميل اللحن والطريقة.

(١١) أرب: مقصد.

(١٢) عريس: غيل الأسد. كناس: بيت الظبي. ظباء الربرب: ظبي القطيع.

(١٣) قضب: أغصان.

(١٤) دعج: سواد العين وسعتها. سنا إصباحه: نور صباحه وإشراقه. لبب: خالص

الشيء.

(١٥) عدنان وغسان: أصل قبائل العرب. شأو: السبق والغاية.

(١٦) النصب: التعب.

(١٧) شط المغرب: دول العرب (المهجر) التي هاجروا إليها.

(١٨) رحله: متاعه. ذرب: حاد ماض.

(١٩) النوب: الشدائد والكوارث.

(٢٠) النشب: المال والعقار.

(٢١) جمحت: شردت وبعدت كالحصان الجامح.

(٢٢) حدته: مضاءه. وخز: طعن.

(٢٣) سبسب: الفلاة، الصحراء.

(٢٤) الضرب: العسل.

(٢٥) حصب: الحصى الصغير.

(٢٦) شفقًا: حمرة الشمس في أول الليل. موهت: طليت. صفحته: جوانبه.

(٢٧) المختضب: الملون بلون الخضاب.

(٢٨) أشراك: مصايد.

(٢٩) جارة الوادي: هو وادي البقاع بלבnan ولشوقي قصيدة رائعة يناجي فيها

حارة هذا الوادي.

(٣٠) مستهام: هائم. وصب: دائم.

- (٣١) هام: قمة. الحقب: السنون.
- (٣٢) قاهري: نسبة إلى القاهرة والشاعر يقصد نفسه. القصب: المقصود المزمар.
- (٣٣) قدسية: طاهرة. عصب: الأعصاب بالجسم.
- (٣٤) ربا: أعالي.
- (٣٥) لا الحب: الحبوب.
- (٣٦) المخلب: الظفر.
- (٣٧) هائض: مكسور.
- (٣٨) واجب القلب: خافق القلب.
- (٣٩) احتسبي: اكتفي.
- (٤٠) براه: أضناه. السقم: المرض. فضلة: بقية. فؤاد: قلب.
- (٤١) نخبة: جماعة منتخبة. النجب: نجباء أشراف.
- (٤٢) أبّي: لا يقبل الضيم. ذرا: علا.
- (٤٣) ضنين: بخيل.
- (٤٤) العارض المنسكب: السحاب الممطر.
- (٤٥) الريب: الشك.

ذِكْرِي الْغَرْبِ

بعض ذكريات الشاعر بعد عودته من أوروبا سنة ١٩١٢م.

يا دارَ فاتِنَتِي حُيِّيتِ مِنْ دَارِ!
رَحَلْتُ عَنْهَا وَلِلْأَشْجَانِ مَا تَرَكْتُ
كَانَتْ مَجَالِ صَبَابَاتٍ لَهَوْتُ بِهَا
أَسْأَلُ الطَّيْرَ عَنْهَا لَوْ تُنَبِّئُنِي
يَنْسَى بِهَا كُلُّ نَائِي الدَّارِ مَوْطِنَهُ
يَلْقَى بِهَا أَيْنَمَا أَلْقَى عَصَاهُ بِهَا
وَفِتْيَةٌ كَرِمَاحِ الْخَطِّ إِنْ خَطَرُوا
بِيضَ الْوُجُوهِ مَسَامِيحَ الْأَكْفِ مَنَا
لَا يَنْزِلُ الضَّيْفُ صُبْحًا عُقْرَ دَارِهِمْ
قَدْ أَمَنُوا بِإِلَهِ الْحُبِّ وَارْتَقَبُوا
وَصُورُوهُ فَتَى أَعْمَى إِذَا رَشَقَتْ
عُزْيَانُ إِنْ مَسَّهُ بَرْدُ الشِّتَاءِ فَمَا
يَغْشَى الْفَتَاةَ وَلَمْ تَرْقُبْ زِيَارَتَهُ
فَطَرَفُهَا خَاشِعٌ مِنْ بَعْدِ زَوْرَتِهِ
تَشْكُو إِلَى أُمِّهَا ضَيْقًا أَلَمَ بِهَا
وَيَصْرَعُ الْفَارِسُ الْمِغْوَارَ إِنْ لَعِبَتْ
فَلَا تَرَاهُ سِوَى شَاكِ لِسَاجِعَةٍ

سَيَّرْتُ فِيكَ وَفِي مَنْ فِيكَ أَشْعَارِي
فِي الْعَيْنِ وَالْقَلْبِ مِنْ مَاءٍ وَمِنْ نَارِ
وَمُسْتَرَاضَ لِبَانَاتٍ وَأَوْطَارِ^١
أَوْ تَنْقُلُ الطَّيْرُ عَنْهَا بَعْضَ أَخْبَارِ!
وَمَا تَجَشَّمُ مِنْ بَيْنِ وَأَسْفَارِ^٢
أَهْلًا بِأَهْلٍ، وَأَضْهَارًا بِأَضْهَارِ
فَدَيْتُ بِالنَّفْسِ مِنْهُمْ كُلَّ خَطَّارِ^٣
جِدَ الصَّرِيخِ سَرَاةً غَيْرَ أَغْرَارِ^٤
إِلَّا وَيُمْسِي عِشَاءً صَاحِبَ الدَّارِ
آيَاتِهِ بَيْنَ إِجْلَالٍ وَإِكْبَارِ^٥
يَدَاهُ بِالنَّبْلِ أَضْمَى كُلَّ جَبَّارِ^٦
لَهُ سِوَى زَفَرَاتِ الْوَجْدِ مِنْ نَارِ
وَحِذْرُهَا بَيْنَ أَغْلَاقٍ وَأَسْتَارِ
وَقَلْبُهَا نَهْبٌ أَوْهَامٍ وَأَفْكَارِ^٧
وَالْأُمُّ إِنْ تَسْتَطِيعُ بَاحَتَ بِأَسْرَارِ
كَفَّاهُ بِالسَّيْفِ أَرْدَى كُلَّ مِغْوَارِ
أَوْ نَابٍ إِثْرَ أَطْلَالٍ وَأَثَارِ^٨

وَيَطْرُقُ الشَّيْخَ فِي الْمِحْرَابِ قَدْ فَنَيْتُ عِظَامُهُ، وَبَرَّتُهُ خَشْيَةُ الْبَارِي
فَلَمْ تَكُنْ لَمْحَةً إِلَّا لِيَفْتِلَهُ مِنْ الصَّلَاةِ وَمَنْ تَرْتِيلِ أذْكَارِ^٩

* * *

يَبْرُزْنَ فِي اللَّيْلِ مِثْلَ الشُّهْبِ سَاطِعَةً مَا بَيْنَ سَيَّارَةٍ تَجْرِي لِسَيَّارِ^{١٠}
مِنْ كُلِّ خُمْصَانَةِ الْكُشْحَيْنِ نَاصِعَةً كَأَنَّهَا دُرَّةٌ فِي جَوْفِ زَخَّارِ^{١١}
تَسْعَى إِلَى أَغْيَدٍ مَا طَرَّ شَارِبُهُ كَأَنَّمَا صَفَحَتَاهُ وَجْهٌ دِينَارِ^{١٢}

* * *

أَرْضُ كَأَنَّ إِلَهَ الْأَرْضِ أَوْدَعَهَا بَدَائِعَ الْحُسْنِ مِنْ عُونٍ وَأَبْكَارِ^{١٣}
أَلْقَوْا خُدُودَ الْعَذَارَى فِي حَدَائِقِهَا وَلَقَبُوهَا بِأَثْمَارٍ وَأَزْهَارِ
وَجَرَّدُوا كُلَّ حُسْنٍ مِنْ قَلَائِدِهِ فَصَرَنَ حَصْبَاءً فِي سَلْسَالِهَا الْجَارِي^{١٤}
لَوْ كَانَ فِي غُنْصِرِي صَلْصَالٍ طَيِّبَتِهَا مَا رَاعَنِي الدَّهْرُ فِي يَوْمٍ بِأَكْدَارِ^{١٥}
أَوْ كُنْتُ أَظْفَرُ فِي الْأُخْرَى بِجَنَّتِهَا غَسَلْتُ بِالْدمْعِ أَثَامِي وَأُوزَارِي

هوامش

(١) المستراض: المكان الفسيح الطيب. اللبانة: الحاجة مع علو الهمة. الوطر: المطلب والمأرب.

(٢) البين: البعد والفرقة.

(٣) رماح الخط نسبة إلى مرفأ السفن بالبحرين؛ لأنه مبيعها لا منبتها، وشبههم بالرماح في فرعهم واعتدال أجسامهم ولدونتها.

(٤) مناجيد الصريخ: أي يسرعون إلى المستغيث بالنجدة والإغاثة. السراة: السادة الأشراف. الأغرار: من لا تجربة لهم بالأمور. الواحد غر (بالكسر).

(٥) تخيل قدماء اليونان آلهة كثيرة منها إله للحب سموه «كيوبد» وصوروه طفلاً أعمى عريان في يديه قوس ونبال يرمي بها عن غير قصد، وهذا مصداق لقول العرب: الحب يرمي ويصم.

(٦) رشقه بالنبل: رماه به. أصماه: رماه فقتله مكانه. الجبار: العاتي.

(٧) الطرف: البصر. خاشع: متكسر مطرق.

- (٨) الساجعة: المغردة من الطير.
- (٩) يفتله: يصرفه. ترتيل الأذكار: إجابة تلاوتها.
- (١٠) الشهب: الكواكب. الساطعة: اللامعة المتألقة. السيارة والسيار: من أوصاف الكواكب وهي التي تجري في مداراتها. ولما جعلهم شهباً جعل مسيرهم ليلاً كجري النجوم في أفلاكها.
- (١١) خمصانة الكشحين: أي ضامرة الخصر دقيقتها. الكشح: هو ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلفية. الزخار: البحر إذا طما وامتلاً.
- (١٢) الأغيد: الغلام مالت عنقه ولانت أعطافه. وما طر شاربه، أي: ما ظهر. ويريد بصفحتيه: خديه.
- (١٣) العون: جمع عوان. وهي من النساء: النصف، لا بكر ولا مسنة. الأبكار: جمع بكر. وهي العذراء.
- (١٤) القلائد: الحلي تجعل في العنق، الواحدة: قلادة. سلسالها الجاري: مياه أنهارها المنسابة.
- (١٥) راعه: أفزعه ونغص عليه.

شروق كوكب

ألقيت هذه القصيدة في الاحتفال بميلاد الملك فاروق آخر ملوك مصر في سنة ١٩٣٤م، حينما كان ولياً للعهد.

لله يومٌ جَرَى بِالْيُمْنِ طَائِرُهُ
يومٌ تَحَلَّى بِحُسْنِ الْوَعْدِ أَوَّلُهُ
تَرَقَّبْتُ مِصْرَ فِيهِ الصُّبْحِ مَبْتَسِمًا
يومٌ أَعَادَ إِلَى الْأَيَّامِ نَضْرَتَهَا
يومٌ تَجَلَّى بِهِ الْفَارُوقُ مُؤْتَلِّقًا
بَدَا فَكَبَّرَتِ الدُّنْيَا لِمَوْلِيدِهِ
سُلَالَةُ الشَّرَفِ الْعَالِي وَصِفُوتُهُ
زَيْنُ الشَّبَابِ لَهُمْ مِنْ هَدْيِهِ قَبَسٌ
أَقَامَ فِي كُلِّ قَلْبٍ فَهُوَ حَبِيبُهُ
رَقَّتْ شَمَائِلُهُ، عَزَّتْ أَوَائِلُهُ
فَارُوقُ يَا ابْنَ الْأَلَى شَادُوا بِهِمَّتِهِمْ
أَثَارُهُمْ تَبَهَّرُ الْأَيَّامَ جِدَّتُهَا
رَاضُوا الْجَمُوحُ فَأَعْطَاهُمْ مَقَادَتَهُ
يَا ابْنَ الْمَلِكِ الَّذِي عَمَّتْ فَوَاضِلُهُ
أَحْيَا لَنَا الْمَجْدَ حَتَّى عَادَ دَارِسُهُ
جَرَتْ عَلَى أَلْسُنِ الْأَيَّامِ مِدْحَتُهُ
وَرُدَّدَتْ فِي فَمِ الدُّنْيَا بِشَائِرُهُ^١
كَمَا تَلَأَّ بِالْإِنْجَازِ آخِرُهُ^٢
يُلُوحُ بِالْخَيْرِ وَالْإِسْعَادِ سَافِرُهُ^٣
كَمَا أَعَادَ جَمَالَ الرُّوضِ مَاطِرُهُ
كَالْبَدْرِ يَجْتَذِبُ الْأَبْصَارَ بَاهِرُهُ
وَاسْتَبَشَّرَ الدِّينُ وَاهْتَزَّتْ مَنَابِرُهُ
وَنُخْبَةُ الْجَوْهَرِ الصَّافِي وَنَادِرُهُ
مَا ضَلَّ فِيهِ طَرِيقَ الْمَجْدِ عَابِرُهُ^٤
وَحَلَّ فِي كُلِّ طَرْفٍ فَهُوَ نَاطِرُهُ^٥
لَاخَتْ مَخَايِلُهُ، طَابَتْ عَنَاصِرُهُ^٦
مُلُكًا عَلَى الدَّهْرِ لَا تَبْلَى مَفَاخِرُهُ^٧
وَالنَّيْلُ يَشْهَدُ مَاضِيَهُ وَحَاضِرُهُ
وَذَلَّلُوا الصَّعْبَ حَتَّى لَانَ نَافِرُهُ^٨
وَكَلَّلْتُ هَامَةَ الدُّنْيَا مَآثِرُهُ^٩
وَأَشْرَقَتْ فِي رُبَا الْوَادِي أَزَاهِرُهُ^{١٠}
حَتَّى تَوَهَّمْتُ أَنَّ الدَّهْرَ شَاعِرُهُ

المُلْكُ فِي ظِلِّهِ طَابَتْ مَشَارِعُهُ وَالذِّينُ فِي عَهْدِهِ قَامَتْ شَعَائِرُهُ^{١١}
 فَاَنْظُرْ تَجِدُ أَمَلًا فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ الْعِزْمُ يَمْلِيهِ وَالْحُسْنَى تُؤَازِرُهُ^{١٢}
 فَارَوْقُ، أَنْتَ لَأَمَالِ الشَّبَابِ حَمَى وَبَاعَتْهُ الْمِثْلُ الْأَعْلَى وَنَاشَرُهُ
 لَمَّا دُعِيَتْ أَمِيرًا لِلصَّعِيدِ زَهَتْ بِهِ الْقِبَائِلُ، وَازْدَانَتْ حَوَاضِرُهُ^{١٣}
 وَعَادَهُ مَجْدُهُ الْخَالِي يَشَافُهُهُ وَجَاءَ تَارِيخُهُ الْمَاضِي يُسَامِرُهُ^{١٤}
 لَا زَلْتَ قَرَّةَ عَيْنِ الْمَلِكِ تَحْرُسُهُ عَيْنُ الْمَهْمِينِ، وَالدُّنْيَا تُظَاهِرُهُ^{١٥}
 وَدَامَ مَلِكٌ فَوَادٍ فِي عَلَا وَسَنًا وَعَاشَ لِلنَّيْلِ مَوْلَاهُ وَنَاصِرُهُ^{١٦}

هوامش

- (١) اليمن: البركة والخير. طائرته: فأله. بشائره: خيره وبركته.
- (٢) تلاًلاً: أنار وزهى. الإنجاز: قضاء الحاجة.
- (٣) سافره: بدون حجاب.
- (٤) قبس: استفادة والقبس نار أو علم.
- (٥) حبته: سويداؤه وقيل: ثمرته.
- (٦) شمائله: صفاته الحسنة. أوائله: المقصود آبأؤه. مخايله: عظمته.
- (٧) الألى: الملوك الأوائل.
- (٨) راضوا: روضوا واستأنسوا. الجموح: الشارد. مقادته: قيادته. لان: رقى. نافره: بعيدة.

- (٩) هامة: أعلى الشيء.
- (١٠) دارسه: الذي يبحث عنه فيهتدي إليه.
- (١١) مشارعه: أموره.
- (١٢) تؤازره: تسانده.
- (١٣) أميرًا للصعيد: لقب لقب به الملك فاروق عندما كان ولياً للعهد.
- (١٤) يشافهه: المشافهة هي المخاطبة. يسامره: يحادثه ليلاً.
- (١٥) المهيمين: الله، سبحانه وتعالى.
- (١٦) سنا: ضوء والمقصود هنا الشرف والرفعة.

مصر تعزي العراق

أنشد الشاعر هذه القصيدة مندوباً عن مصر في حفل تأبين الملك غازي ملك العراق، وكان الحفل يجمع قادة العرب وشعراء البلاد العربية سنة ١٩٣٩ م.

بَكَيْنَا، فَمَا أَغْنَى الْبَكَاءُ وَلَا أَجْدَى^١
من الشوقِ، فازدادت بِتَذْرَافِهِ وَقْدًا^٢
وَجَذْوَةً نَارَ فِي الْحَشَا سُمِّيتَ وَجَدًا^٣
يَحْنُ لَهُ قُرْبًا. فَيُوسِّعُهُ صَدًّا^٤
وَيُرْسِلُ فِي الْأَفَاقِ أَنْفَاسَهُ صَهْدًا^٥
يَعُودُ الْفَتَى لِلطَّبْعِ إِنْ لَمْ يَجِدْ بُدًّا^٦
فَلَنْ يَسْتَطِيعَ الْعَالَمُونَ لَهُ رَدًّا^٧
يُجْمَعُنَا سَهْوًا، وَيَنْثُرُنَا عَمْدًا^٨
وَيَخْبِطُ لَا يُبْقِي مَلِيكًا وَلَا عَبْدًا!

بَكَيْنَا النُّضَارَ الْحُرَّ وَالْحَسَبَ الْعِدًّا^١
بَكَيْنَا لَعْلَ الدَّمْعِ يُطْفِئُ حُرْقَةً^٢
حُشَاشَةً نَفْسٍ صُوِّرَتْ فِي مَدَامِعِ^٣
وَلَوْعَةٍ مَكْلُومِ الْفَوَادِ وَسَادُهُ^٤
يُقَلِّبُ طَرْفًا فِي الظَّلَامِ مِنَ الْأَسَى^٥
بَكَيْنَا وَمَا تَبْكِي الرِّجَالُ، وَإِنَّمَا^٦
هُوَ الْقَدَرُ الْمَاضِي إِذَا أَنْسَابَ سَهْمُهُ^٧
هُوَ الدَّهْرُ، مَا بَضَّتْ بَخِيرٍ يَمِينُهُ^٨
يُجَرِّدُ سَيْفًا فِي الظَّلَامِ مِنَ الرَّدَى^٩

وَهَدَّ مِنَ الْعُلِيَاءِ أَرْكَانَهَا هَدًّا^{١٠}
وَأُطْفَأَ نُورُ الشَّمْسِ وَاخْتَرَمَ الْمَجْدَا^{١١}
شَعَاعًا، تَرَى نُورَ السَّبِيلِ وَمَا تُهْدَى^{١٢}
يَقَاسِمُ حَشْدٌ فِي رَزِيئَتِهِ حَشْدًا^{١٣}
وَفِي كُلِّ دَارٍ أَنَّهُ تَصَدَّعَ الصُّلْدَا^{١٤}

مَصَابُ أَصَابِ الْهَاشِمِيَّةِ سَهْمُهُ^{١٥}
وَعَالَ شَبَابَ الْمُلِكِ فِي عُنْفَوَانِهِ^{١٦}
وَطَارَ بِأَحْلَامِ، وَفَرَّقَ أَنْفَسًا^{١٧}
حُشُودٌ عَلَى الْأَلَامِ وَالْحَزَنِ تَلْتَقِي^{١٨}
فَفِي كُلِّ قَلْبٍ مَاتَمٌ وَمَنَاحَةٌ^{١٩}

وفي كل أرض للعروبة صيحةٌ إذا رددتها أبكت الترك والهندا

فقدناه رِيَّانَ الشبابِ تَضَوَّعتْ
فقدناه والأحداثُ تَغْشَى غُيُومُها
فقدناه والآمالُ تومي بإصْبَعِ
فقدناه أزهى ما نكونُ بمثله
فقدناه سيفًا هاشميًّا. إذا سَطَتِ
حُسامٌ بكفِّ الله كان صياله
ورَوْحٌ سَرَى السارون في نورِ هَديهِ
أطلَّ عليهم من بعيدٍ فشمَّروا
إذا بُعِدت آمالُهم فتردَّدوا
يقودُهم «الغازي» إلى خير غايَةٍ
نسورُ إذا طاروا ليومِ كَريهيةٍ
سَلَّ السيفُ عنهم كيف صال بِكفِّهم
كأنَّ غبارَ النصرِ في لهواتِهم
أولئك أبناءُ الفُتوح التي زها
لهم في سِجْلِ المجد أوَّلُ صفحةٍ
ومَن كتب النصرَ المبينَ بسيفهِ

شمائلُهِ مِسْكَاً وآثارُهِ نَدَا^{١٢}
وتننظُمُ الأفاقُ عابسةً رُبِدا^{١٤}
إليه، وتمتدُّ العُيونُ له مَدَا^{١٥}
وأعلى به كعبًا وأقوى به زَنَدا^{١٦}
سيوفُ الليالي كان أرهفها حدًا
فأصبحت الأرض الطهورُ له غمدا^{١٧}
فلم يُخْطِئوا للمجد نَهْجًا ولا قصدا^{١٨}
إلى قِمَّةِ الدنيا غطارِفَةً جُرَدا^{١٩}
دعاهم إلى الإقدام، فاستقربوا البعدا
فأكْرِمَ به مَلَكًا وأكْرِمَ بهم جُنَدا
وإن بطشوا يوم الوغى بطشوا أَسْدا
شُيُوخًا لهم قلبُ الجلاميد أو مُزدا^{٢٠}
سُلافٌ من الفردوسِ مازجتِ الشَّهدا^{٢١}
بها الدين، واجتاح الممالك وامتدَّا
كفاتحةِ القرآنِ قد مُلِئت حمدا^{٢٢}
على جَبْهةِ الدنيا، فقد كتب الخُلدا

حمامةٌ وادي الرافدين ترفَّقِي
حنانك، إنَّ الصبرَ من زينةِ الفتى
طرحنا رداءَ اليأسِ عنَّا بَواسِلاً
حمامةٌ وادي الرافدين ابغثي الهوى
ففي النيل أرواحٌ ترفُّ خوافِقُ
ظمَاءٌ إلى ماءٍ بِدِجَلَةٍ سَلْسَلِ
إذا مسَّتِ البأساءُ أذْيالَ دِجَلَةٍ

بعثتِ الجوى. ماكان منه وما جدًا^{٢٣}
إذا غاص في ظلماته الأمرُ واشتدَّا
وإن هزنا يومَ العِراقِ وإنَّ أذا^{٢٤}
حنينًا. فما أحلى الحنينَ وما أشدى
تقاسمُكِ التاريخَ والدينَ والودَّ^{٢٥}
تودُّ بنور العين لو رأيتِ الوردًا^{٢٦}
قرأتِ الأسى في صفحةِ النيل والكُمدا^{٢٧}

وإن طُرفَتْ عينٌ ببغدادَ من قَدَى
إخاءٍ على الفصحى توثَّقَ عَقْدُهُ
رأيتَ بمصرٍ أعياناً مُلئتْ سُهداً^{٢٨}
وُشدَّتْ على الإيمانِ أطرافُهُ شداً
زُهينا بها أصلاً. وتاهت بنا ولُداً^{٢٩}
لنا في صميمِ المجد خيرُ أبوةٍ

مضى الهاشمي السَّمْحُ زَيْنُ شبابِهِ
أطَلَّتْ شُموسُ الدينِ من حُجراتِهِم
وأعرقهم خالاً وأكرمهم جدّاً
على الكون، لا وهداً تركن ولا نجداً^{٣٠}
وَإِنْ له في كلِّ جانحةٍ لحداً^{٣١}
فلله ما أُولَى ولله ما أَسَدَى^{٣٢}
فتى تنبتُ الآمالُ من غيثِ كَفِّهِ

أتينا إلى بغدادَ والقلبُ واجفُ
تَطوَّحنا الصحراءَ ليس بعيدها
يَهْزُ جَنَاحاً لا يَقَرُّ ولا يَهْدَا
بدانٍ وَلَمْ نَعْرِفْ لآخرِها حداً^{٣٣}
كأنَّ الرمالَ الجاثماتِ بأرضِها
جِمالٌ أناختْ لا تُساقُ ولا تُحْدَى^{٣٤}
عددنا بها الساعاتِ حتى تركننا
وقد سئمتُ منها أصابعُنا عداً
أَتينا نوْدِيَّ للعروبةِ حَقَّها
يسابقُ وفدٌ في تلَهْفِهِ وفداً
يُحْمِلُنا النِيلُ الوفيُّ تحيةً
ويُهدي من الآمالِ أكرمَ ما يُهدى
عزاءً، مضى «الغازي» كريماً لربِّه
فما أعظمَ الجُلَى، وما أفدَحَ الفقدُ^{٣٥}
عزاءً، ففينا فيصلُ شَبْلُ فيصلِ
نَرَى في ثنايا وَجْهِهِ الأسدَ الورداً^{٣٦}
له في اسمه أوفى اتصالٍ بجده
فيا حسنَه فالاً، ويا صدقَه وعداً^{٣٧}
عهدتم إلى «عبد الإله» وإنه
وأشرق في الأيامِ طالعُه سعداً
إذا رنتِ الآمالُ كانِ ثَمالُها
لأكرمُ من يرعى القِرابَةَ والعهداً^{٣٨}
إِذا رنتِ الآمالُ كانِ لها رُشداً^{٣٩}
سلامٌ على الغازي سلامٌ على الندى
وإن حارتِ الآراءُ كانَ لها رُشداً^{٤٠}
إذا ما بَكَى من بعده التُّرَبُ والنِّداً^{٤٠}

هوامش

- (١) النضار الحر: الذهب الخالص. العدا: القديم.
- (٢) وقدا: اشتعالا.
- (٣) حشاشة: بقية الروح. جذوة: شعلة. الحشا: البطن. وجدا: شوقا.
- (٤) لوعة: حرقة. مكتوم الفؤاد: مجروح القلب.
- (٥) صهدا: بها حرارة النار.
- (٦) الطبع: السجية التي جبل عليها.
- (٧) ما بضت: ما أتت. ينثرنا: يفرقنا.
- (٨) الهاشمية: الأسرة الهاشمية الذي ينتمي إليها الملك غازي.
- (٩) غال: اغتال وأمات. اخترم: استأصل.
- (١٠) شعاعًا: متفرقًا كشعاع الضوء. نور السبيل: نور الطريق. وما تهدى: وما ترشد.
- (١١) رزيقته: مصيبته.
- (١٢) مناحة: حزن وبكاء. أنة: أنين. تصدع: تشق. الصلدا: الصخر القوي.
- (١٣) ريان الشباب: الريان ضد العطشان والمقصود هنا الشباب الكامل. تضوعت: انتشرت. نذًا: طيبًا.
- (١٤) تغشى: غيومها: سحبها المظلمة. ربدًا: مغبرة.
- (١٥) تومي: تشير إلى.
- (١٦) أزهى: مفتخرين به. أعلى به كعبًا: أعلى به شرفًا ومجدًا. زندًا: قوةً وبطشًا.
- (١٧) صياله: تحركه ووثوبه. غمدًا: غمد السيف جرابه والمقصود مقر.
- (١٨) نهجًا: طريقًا. قصدا: مقصدا.
- (١٩) شمروا: استعدوا. غطارفة: جمع غطريف وهو السيد الكريم. والجرد: الخفاف السراع في الأمور.
- (٢٠) الجلاميد: الصخر الأصم. مردًا: صغار السن لم ينبت الشعر بعد في وجوههم.
- (٢١) سلاف: الخمر. الشهدا: العسل.
- (٢٢) فاتحة القرآن: فاتحة الكتاب سورة الفاتحة.
- (٢٣) الرافدين هما نهرا دجلة والفرات والمقصود العراق. الجوى: الحرقة وشدة الوجد.

- (٢٤) طرحنا: تركنا بعيداً، رمينا. بواسلاً: شجعان. يوم العراق: يوم وفاة ملك العراق. أدا: أده الأمر، دهاه وعظم عليه.
- (٢٥) النيل: كناية عن مصر.
- (٢٦) سلسل: عذب. الورداء: المنبع.
- (٢٧) أذيال: أطراف. الكمدا: الحزن المكتوم.
- (٢٨) قذى: مرض بالعين. سهدا: سهرا.
- (٢٩) تاهت بنا: افتخرت بنا.
- (٣٠) وهداً: المكان المنخفض. نجدا: ما ارتفع من الأرض.
- (٣١) لحداً: قبراً. جانحة: الأضلاع.
- (٣٢) ما أولى: ما أنعم. ما أسدى: ما أعطى.
- (٣٣) تطوحنا: تبعدنا. بدان: قريب.
- (٣٤) أناخت: بركت. لا تحدى: لا يغنى لها لتساق أي: لا تسير.
- (٣٥) الجلى: الخطب والأمر الشديد.
- (٣٦) فيصل: الملك فيصل ابن الملك غازي. الورداء: الجريء الشجاع.
- (٣٧) بحده: الأمير فيصل الكبير أبو الملك غازي. فألاً: بشرى بالخير.
- (٣٨) عبد الإله: الوصي على العرش وولي العهد وهو ابن عم فيصل الصغير ملك العراق.
- (٣٩) ثمالها: غياثها وملجؤها.
- (٤٠) الترب: الصديق ومن ولد معه. والندا: المثل والنظير.

صدي أنات حائرة

بعث الشاعر بهذه القصيدة إلى الأستاذ عزيز أباطة عام ١٩٤٤م، حينما كان مديراً للبحيرة عندما أهدى إليه «أنات حائرة»، وهي طائفة من الشعر الحزين في رثاء زوجه:

رَحِمَتَا لِلجَرِيحِ مِنْ أَنْاتِهِ
غَرَبَتْ شَمْسُهُ فقام يَناجِي
إِنَّهَا بَيْنَهُنَّ تَسْمَعُ نَجْوَا
أَرْسَلْتُ مِنْ شَعاعِها ذِكْرياتٍ
ولها في سَمائِها خَفَقاتٍ
سَبَحْتُ في عِوالمِ النورِ «زَيْنُ»
كَمْ يَمُدُّ اليَدَيْنِ أَسْوانَ مُضْنَى
ويسوقُ الأشعارَ في نَبِراتٍ
سَمِعَ الدَّوْحُ نوحَها عِبْقَرياً
مُشْجِياتُ يَودُ كُلِّ ابنِ غِصنٍ
قَلْتُ شِعْراً فلم يَكُنْ غيرَ بحرٍ
وبعثتَ الشُّجونَ في كلِّ صَدْرِ
فاقتسمنا لوعاتِ قَلْبِكَ فانظُرْ
إِنَّ ماءَ الدَموعِ أَطْفَأَ لِلوَجِ
فاسْكُبِ الدَمْعَ وابْعَثِ الشَّعْرَ وَاْمَلَأْ
كُنْتُ قَيْساً بَكَى على قَبْرِ لَيْلَا

ولَسَمَعَ الوِسادِ مِنْ أَهاتِهِ!
ساهَدَتِ النجومُ في لَيْلاتِهِ^١
هُ، وتَبَكَى لِلبُتَّةِ وشَكَاتِهِ^٢
هاجَتِ الكامِناَتِ مِنْ ذِكْرياتِهِ
أَسْرَعْتُ في فِؤادِهِ خَفَقاتِهِ
أَيْنَ مِنْها الغَريقُ في ظُلُماتِهِ؟^٣
فَيفِرُّ الشُّعاعُ مِنْ قَبْضاتِهِ!^٤
ظَنُّها ابنُ الهَدِيلِ مِنْ نَبِراتِهِ^٥
فَتَمَنَّى لو نُحِنَ في عَذباتِهِ^٦
أَنَّ أَنْغامَها جَرَتْ مِنْ لَهاتِهِ^٧
مِنْ دُموعِ طِفْلا بِتَفْعِلاتِهِ
وأثَرَتِ المَكْبُوتَ مِنْ رَفَراتِهِ
هَلْ أَفاقَ المَسْكِينُ مِنْ لُوعاتِهِ؟^٨
بَدَّ، وأشْفَى لِلصَّبِّ في خَلواتِهِ^٩
أُذِنَ الخافِقيْنَ مِنْ آياتِهِ^{١٠}
هُ، ورَوَّى الضَريحَ مِنْ عِبراتِهِ^{١١}

بَي جُرْحُ مَضَى عَلَيْهِ زَمَانٌ
كَلَّمَا صَاحَ نَادِبٌ هَاجَ شَكُّوَا
أَنَا أَبْكِي لِكُلِّ بَاكِ وَنَفْسِي
بَائِعُ الصَّبْرِ، إِنْ يَكُنْ عُشْرُ مَثْقَا
كَلْنَا مَسَّهُ مِنَ الدَّهْرِ ظُفْرُ
وَأَدَّتْنَا بِنَاتُهُ بَرَزَايَا
فَكَرِهْنَا حَتَّى النِّعِيمِ لِأَنَّا
لَذَّةُ الْمَرْءِ مِنْ جَنَى أَلَمِ الْمَرْءِ
مَا حَيَاةُ الْمُحِبِّ بَعْدَ حَبِيبِ
حَسْبُهُ أَنَّهُ إِذَا رَامَ قُرْبَا
عِشَ أَبَا وَائِقٍ لَوَائِقِ الْبَا
حَرْتُ فِي أَمْرِهِ وَأَمْرِ أَسَاتِهِ^{١٢}
هُ، وَمَسَّ الْأَلِيمَ مِنْ نَدْبَاتِهِ^{١٣}
حَسَرَاتٌ تَذُوبُ فِي حَسَرَاتِهِ
لِ بِأَعْلَى مَا فِي الْحَيَاةِ فَهَاتِهِ!
أَهْ مِنْ ظُفْرِهِ وَمِنْ فَتَكَاتِهِ!
هَآ، وَمَنْ ذَا يَسْطِيعُ وَأَدَّ بَنَاتِهِ؟^{١٤}
قَدْ رَأَيْنَا اجْتِمَاعَهُ لَشَتَاتِهِ^{١٥}
ءِ وَتَأْتِي الْأَلَامُ مِنْ لَذَاتِهِ!^{١٦}
قَبَسَ النُّورَ وَالْهَوَى مِنْ حَيَاتِهِ؟^{١٧}
لَمْ يَجِدْ لِلْوَصُولِ غَيْرَ مَمَاتِهِ^{١٨}
كِي، وَلِلنَّكَالَاتِ مِنْ أَخَوَاتِهِ^{١٩}

هوامش

- (١) ساهدات النجوم: النجوم الساهرة.
- (٢) بثه: حزنه.
- (٣) زين: اسم الفقيه حرم الشاعر عزيز أباطة.
- (٤) أسوان: حزين. الشعاع: ضوء الشمس.
- (٥) ابن الهديل: الحمام الصغير المغني بصوت حسن.
- (٦) نحن: بكين بصوت حزين. عذباته: ما تتفوه به النائحات.
- (٧) مشجيات: مغنيات بصوت رخيم جميل. ابن غصن: نسبة إلى الطير. لهاته:
- اللهة هي زائدة لحمية في مؤخر سقف الحلق.
- (٨) لوعات: حرقه.
- (٩) للصب: للمحب المشتاق. خلواته: انفراده.
- (١٠) الخافقين: الليل والنهار. آياته: المقصود شعره.
- (١١) قيساً: المراد قيس بن الملوح صاحب ليلي العامرية.
- (١٢) بي جرح: يشير إلى مصيبته بفقد ابنه البكر. أساته: أطبائه.
- (١٣) نادب: باك يندب الموتى. هاج: أثار. ندباته: آثار الجروح جمع ندبة.

(١٤) وأدنتنا: دفنتنا أحياء. بنات الدهر: مصائبه. برزاياها: بمصائبها.

(١٥) لشتاته: لتفرقة.

(١٦) جنى: حصاد.

(١٧) قبس: شعلة.

(١٨) رام: أراد.

(١٩) واثق: هو محمد واثق أباطة نجل الشاعر عزيز أباطة. الثاكلات: اللائي فقدان

أمهن.

غزل شاعرين

قام الشاعر في هذه القصيدة بتشطير قصيدة للشاعر إسماعيل صبري في عام ١٩٠١ م.

(يا لواء الحسنِ أحزابُ الهوى)
مذ رأوا طَرْفَكَ يبدو ناعسًا
(فرَّقْتَ أهواءهم ثاراتهم)
جمعوا بغضاءهم فافترقوا
(إن هذا الحسنَ كالماء الذي)
والرضابُ الحلو لو جدت به
(لا تذودي بعضنا عن وِردِهِ)
فانظري، ليس الصدى في بعضنا
(وتجلِّي واجعلي قومَ الهوى)
هم فداءً لك، لا، بل كلُّ مَنْ
(أقبل نستقبل الدنيا وما)
أنت كالجنة ضُمّنت الذي
(واسفري تلك حُلَى ما خلقت)
ما رأينا آية الله أنت
(واخطري بينَ الدامي يحلفوا)
أخبرتهم نفحةً منك سرّت
(وانطقي ينثر إذا حدّثنا)

أَجْجوا في الحبِّ نيرانَ الجفاء^١
(أيقظوا الفتنة في ظلّ اللواء)^٢
كلُّ حُبٍّ بين أشواكِ عدا
(فاجمعي الأمرَ وصوني الأبرياء)
راق حتى كاد يخفيه الصفاء
(فيه للأنفس ريٌّ وشفاء)^٣
كلُّنا يشكو الجوى والبرحاء^٤
(دون بعضٍ واعدلي بين الظماء)^٥
للهم فيك وللحسنِ فداء^٦
(تحت عرش الشمس في الحكم سواء)
يملاً الأعين حسناً ورؤاء^٧
(ضُمّنته من معدّاتِ الهناء)
لسوى لثمٍ وضَمٍّ واجتلاء^٨
(لتُواري بلثامٍ وخباء)^٩
أُنك الغصن ازدهاراً واستواء^{١٠}
(أن روضاً راح في النادي وجاء)
لفظك العذبُ عن القلبِ العناء

إنه الدرُّ، فهل يمنحنا
 (وابسمي من كان هذا ثغره)
 فدعيه ينشر الطَّيِّبَ كما
 (لا تخافي شططاً من أنفس)
 إنَّ أجابت دعوة الحبِّ مشت
 (راضت النخوة من أخلاقنا)
 وسمت فوق الهوى أحسابنا
 (فلو امتدت أمانينا إلى)
 أو سرت أنفاسنا في جانبي
 (أنتِ يَمُّ الحسن فيه ازدحمت)
 أنقذتهم بعد يأسٍ مُغْرِقٍ
 (يقذف الشوق بها في مائج)
 فهي تجري والجوى يبعثها
 (شدة تمضي وتأتي شدة)
 لو علت للنجم نفسي لأتت
 (ساعفي آمالُ أنضاء الهوى)
 واكشفي حُجْبَ النوى ينتعشوا
 (أنتِ رُوحانيَّةٌ لا تدَّعي)
 فاسألِي المِرآة هل يومًا رأت
 (وانزعي عن جسمكِ الثوب يَبِن)
 وارفعي شَعْرَكَ عنه ينجلي
 (وَأري الدنيا جَنَاحِي مَلِكٍ)
 نُشِرا في مُجْتَلَى ضوء الضحا

(ناثرُ الدرِّ علينا ما نشاء؟)
 فتن الزهرَ أريجاً وبهاء^{١١}
 (يملاً الدنيا ابتساماً وازدهاء)
 داولت بين خضوع وإباء^{١٢}
 (تعثُرُ الصبوةُ فيها بالحياء)^{١٣}
 فخضعنا وجمحنا كرماء^{١٤}
 (وارتضى آدابنا صدقُ الولاء)
 أسدٍ ما لاث كفاً بدماء^{١٥}
 (مَلِكٍ ما كدّرت ذاك الصفاء)
 زُمِرَ العشَّاقِ كُلُّ بسِقاء^{١٦}
 (سفنُ الآمالِ يُزجِيها الرِّجاء)^{١٧}
 ما له من ساحلٍ إلَّا اللِّقاء^{١٨}
 (بين لَجَيْنِ عناء وشقاء)^{١٩}
 واعتداءٌ للهوى بعد اعتداء
 (تقتفيها شدة، هل من رخاء؟)^{٢٠}
 يقتل الداء إذا عزَّ الدواء^{٢١}
 (بِقَبولٍ من سجايك رُخاء)
 غيرها، فالأمرُ كالصبح جلاء^{٢٢}
 (أنَّ هذا الشكل من طينٍ وماء؟)
 رَبُّ حقٍّ ضاع في ثوب رياء^{٢٣}
 (للملا تكوينُ سكانِ السَّماء)
 منهما تستمنح النورَ دُكَّاء^{٢٤}
 (خلفَ تمثالٍ مصوغٍ من ضياء)^{٢٥}

هوامش

- (١) لواء: علم. أحزاب: أصحاب. أججوا: زادوا إشعاعاً.
- (٢) طرفك: جفنك.
- (٣) الرضاب: الريق. ري: ارتواء.
- (٤) ورده: منهله. البرحاء: الحمى.
- (٥) الصدى: العطش.
- (٦) تجلّ: اظهري وانكشفي.
- (٧) رواء: المنظر الجميل.
- (٨) اسفري: اكشفي عن حسنك. حلّ: زينة وجمال.
- (٩) لتواري: لتخفي. لثام: نقاب. خباء: ساتر.
- (١٠) اخطري: امشي متبخترة. الندامى: الشاربين. استواء: اعتدال.
- (١١) أريجاً: رائحة الطيب الفواحة.
- (١٢) شططا: خروجاً عن المألوف. داوت: دارت وتداولت مرة ومرة.
- (١٣) تعثر: تسقط وتزل. الصبوة: رقة الشوق.
- (١٤) راضت: طوعت. النخوة: الكبر والعظمة. جمحنا: شردنا.
- (١٥) ما لاث: ما لطح وكدر.
- (١٦) يم: ماء. زمر: جماعات. بسقاء: ما يسقى به.
- (١٧) يزجيه: يدفعها ويسيرها.
- (١٨) مائج: مضطرب الموج.
- (١٩) لجين: موجتين عاتيتين.
- (٢٠) تقتفيها: تتبعتها.
- (٢١) ساعفي: ساعدي. أنضاء: رقة.
- (٢٢) روحانية: كالملائكة.
- (٢٣) واترعي: اخلعي أو خففي. رياء: ادعاء كذب وممالئ.
- (٢٤) نكاء: الشمس.
- (٢٥) مجتلى: ظهور. مصوغ: مصنوع.

صبح باسم

نشرت هذه القصيدة بمناسبة احتفال مصر بعيد جلوس الملك فاروق آخر ملوك مصر سنة ١٩٤٥ ميلادية.

بَسَمْتُ تَتِيهَ مُدَلَّةً بِصَبَاحِهَا
نَهَبْتُ مِنَ الْمَسْكِ الْفَتِيقِ سَوَادَهُ
وَتَزِينْتُ بِحَلَى الْكَوَاكِبِ مِثْلَمَا
أَرْخَى غَدَائِرَهَا الْحَيَاءُ كَأَنَّهَا
هِيَ لَيْلَةُ مَزَجِ السَّرُورِ صَبَاحَهَا
نُورَ الْمَلَائِكِ مِنْ سَنِيّ ضِيَائِهَا
نَشَرْتُ جَنَاحَ السَّلْمِ يَخْفِقُ بِالْمُنَى
وَمَضَى بِهَا شَبَحُ الْخُطُوبِ مُفَزَّعًا
فُتِنْتُ بِصَفْحَتِهَا الْقُلُوبُ فَهَلْ رَأَتْ
لَوْ أَنَّهَا عَادَتْ فَكَانَتْ رَوْضَةً
هِيَ لَيْلَةُ الْفَارُوقِ تَتْلُو مَجْدَهُ
قَدْ أَسْفَرْتُ عَنْ صُبْحِ يَوْمٍ بِاسْمِ
يَوْمٍ عَلَى مَصْرِ أَغْرَ مُحَجَّلٌ
مَدَّتْ لَهُ الْأَيَّامُ فَضْلَ عِنَانِهَا
وَسَمَا بِهَا الْفَارُوقُ نَحْوَ مَطَامِحِ
غُصْنٍ مِنَ الْمَجْدِ النَّضِيرِ بِدُوحَةٍ

زَهْرَاءُ يَعْبَثُ عِقْدُهَا بِوِشَاحِهَا
فَأَغَارَ مَوْتُورًا عَلَى أَنْفَاجِهَا^١
تَتَزَيَّنُ الْحُسْنَاءُ فِي أَفْرَاحِهَا
عَذْرَاءُ تَخْلِطُ لَيْنَهَا بِجَمَاحِهَا
بِمَسَائِلِهَا وَمَسَاءَهَا بِصَبَاحِهَا
وَشَذَى جَنَانِ الْخُلْدِ مِنْ أُرُوجِهَا^٢
فَارْتَاخَتْ الدُّنْيَا لَخْفَقِ جَنَاحِهَا
وَلَكُمْ لِقِينَا الْوَيْلَ مِنْ أَشْبَاحِهَا!
فِي لَوْنِ صَفْحَتِهَا عَيُونََ مِلَاحِهَا؟^٣
لَتَغْنَتِ الدُّنْيَا عَلَى أَدْوَاخِهَا
وَالدَّهْرُ وَالْأَيَّامُ مِنْ أَلْوَاخِهَا^٤
بِرَّاقِ سَافِرَةِ الْمُنَى لِمَاحِهَا^٥
لَمَسْتُ بِهِ الْأَمَلَ الْبَعِيدَ بِرَاجِهَا^٦
مِنْ بَعْدِ طَوْلِ نِفَارِهَا وَشِيَاحِهَا^٧
جَازَ الشَّبَابُ بِهَا مَدَى أَطْمَاحِهَا^٨
كَمْ أَصْغَتِ الدُّنْيَا إِلَى أَصْدَاحِهَا^٩

إن أشكلت دُهمُ الأمورِ وأغلقتُ
 تُبْنَى الممالكُ، والبطولةُ أَسْها
 والمجدُ أنْ تَرَدَّ الصَّعَابَ بهمةٍ
 تُلْقَى على الأَحْدَاثِ من بَسَمَاتِها
 وَلَرُبَّ نَفْسٍ ضَمَّهَا صدرُ الفتَى
 شَرَّتِ المكارمَ حُلوةً بجهادها
 والناسَ أشباهَ ولكنَّ العُلا

أبوابُها، فسَلَّوه عن مِفْتَاحِها^{١٠}
 وعزائمُ الأحرارِ من صَفَّاحِها^{١١}
 شُمُّ الرواسي عِنْدَها كِبَاطِها^{١٢}
 ما يُذْهِلُ الأَحْدَاثَ عن إلحاحِها
 ويضيقُ صدرُ الأرضِ عن فيَّاحِها^{١٣}
 مُرًّا، فكان الحمدُ من أرباحِها
 عَرَفَتْ فتى العزَمَاتِ من مَزَاحِها^{١٤}

فاروقُ أنت فتى العُروبةِ وابْنُها
 جَمَّعْتَ فُرْقَتَها فأُضْحِتْ أُمَّةً
 بَسَمَتْ لَهَا الدنيا وأَشْرَقَ وَجْهُها
 وَشَفَى الزَّمانَ جِراحَها، ولطالما
 وتَوَحَّدَتْ رايَاتُها في رايَةٍ
 أُمٌّ لَهَا خُلِقَ السَّماحُ سَجِيَّةً
 في جَبْهةِ التاريخِ مِنْها أُسْطُرُ
 آيَاتٍ مَجْدٍ مُشْرِقاتُ فاسألوا
 نَهَضَتْ بِفاروقٍ فكانت آيَةً
 ورَأَتْ بِشائِرَ يُمْنِها في طَلْعَةٍ
 وَجْهٌ كَأَنَّ البدرَ ألقى فوقَه
 ومضاءُ نَهَاضِ العَشيرةِ باسِلٍ
 هَبَّتْ به مصرُ إلى قِصَباتِها
 رَسَمَ النِّجَاحَ لَهَا فَسارَتْ حُرَّةً
 والناسُ مِنْ هِمَمِ الملوِكِ، وثوبُهم
 وإذا السَّفِينَةُ لَمْ تُبَالِ رَعازِعا

وبشيرُ وُحْدَتِها وَزَنَدُ كِفَاحِها
 أَقْوَى وَأَصْلَبَ مِنْ حديدِ رماحِها
 مِنْ بَعْدِ ما عَبَسَتْ لَطولِ نُواحِها
 ضاقَ الزَّمانُ وَطَبَّهَ بِجِراحِها
 تُزْهِى الرِّياحُ بِعُجْبِها ومِراحِها
 ودِماؤها في الحربِ رَمَزُ سَماحِها^{١٥}
 كَتَبَ الإِباءُ حُرُوفَها بِسَلاحِها
 عَمَرُوا وَسيفَ اللَّهِ عن أَوْضاحِها^{١٦}
 لِلْبَعَثِ بَعْدَ شَتَاتِها وطِراحِها^{١٧}
 تُغْنِي بِها البَسَمَاتُ عن إِفْصاحِها^{١٨}
 لَأَلَاءُ وَالشَّمْسُ نورَ لِياحِها^{١٩}
 حَمَّالِ أَلْيَةِ العُلا كَدَّاحِها^{٢٠}
 رِيحًا تُسابقُ عاصِفاتِ رِياحِها^{٢١}
 مِنْ بَعْدِ ما التَبَسَتْ طَريقَ نِجَاحِها
 مِنْ وَحْيِها، وَصَلاحُهم بِصَلاحِها
 فَاسْأَلْ كَبيرَ الشُّطِّ عن مَلاحِها

عيدَ الجُلوسِ وفي جَبينِكَ آيَةٌ
 لِلسُّلَمِ تُنجي الأرضَ مِنْ أَتْراحِها

حَرْبُ طَوَى الحلفاءُ فيها صَيِّحَةٌ
والحربُ تبدأُ كالْحَصَاةِ بزَاحِرٍ
كم هَزَّتْ الدنْيا صَواعِقُ نارِها
نَفْسِي فداءُ البُسْلِ في حَوَماتِها
تَشْرِي شُعوبُ الحَقِّ فيها مَبْدَأُ
النَصْرِ قَدْ خَفَقَتْ لَهُم أَعْلَامُها
وَعَدَتْ عَلَى الظَّمآنِ لِلدَّمِ غُصَّةٌ
لِلظَلَمِ أَزْعَجَتْ الْوَرى بِنَباحِها^{٢٢}
لَمْ يُدْرَ إِنْ قُذِفَتْ مَدَى مُنْداحِها^{٢٣}
وَأَصَابَ وَجَهَ الْأَرْضِ مِنْ لَوَّاحِها^{٢٤}
وَفَدَى الشَّبَابِ يَسِيلُ فَوْقَ صِفاحِها^{٢٥}
بِالنَّقْدِ مِنْ دِمِها وَمِنْ أرواحِها^{٢٦}
والحربُ قَدْ صَاحَ البَشِيرُ بِسَاحِها
وَجَهَنَّمَا أَخْرَى عَلَى سَفَّاحِها^{٢٧}

* * *

عِيدَ الجُلوسِ ولِلقَوافي رَنَّةٌ
أَرْسَلَتْها مِلءُ الْأَثِيرِ كَأَنما
وَنَثَرَتْها دُرًّا فَوَدَّتْ أَنْجَمُ
عِيدَ الجُلوسِ وَفِيكَ ضاحِكَةُ الْمُنَى
ثَمَلْتُ وَأَغْصَانُ الرِّبيعِ تَمَايَلَتْ
فَارَوْقُ ذِكْرُكَ فِي الْوَرى مُتَجَدِّدٌ
أَجْهَدَتْ سَارِيَةَ الْخِيالِ فَأَجْبَلَتْ
أَلْهَتْ غُصُونَ الدُّوحِ عَنْ صَدَّاحِها
وَحَيَّ السَّمَاءِ اخْتَارَ غُرَّ فِصاحِها^{٢٨}
لَوْ عَدَّهِنَّ الْحَسَنُ بَيْنَ صِاحِها^{٢٩}
دَبَّ السَّرورُ بِروحِها وَبرَاحِها^{٣٠}
فَكَأَنَّهُنَّ شَرِبْنَ مِنْ أَقْداحِها
كَالشَّمْسِ بَيْنَ غُدُوها وَرَواحِها^{٣١}
مَاذا تَقُولُ الْيَوْمَ فِي أَمْداحِها؟^{٣٢}

هوامش

- (١) نهبت: أخذت ما شاءت. الفتيق: المستخرج بشيء تدخله عليه. أنفاحها: رائحتها الفواحة الطيبة.
- (٢) سنى: نور. شذى: رائحتها الذكية. أرواحها: رائحتها الذكية.
- (٣) ملاحها: جمالها وحسبها.
- (٤) ألواحها: صفحها.
- (٥) أسفرت: كشفت. براق: متلألئ. سافرة المنى: ظهور الأمانى. لملاحها: مبصرها.
- (٦) أغر: منير. محجل: بيض قوائمه. براحها: بكفها.
- (٧) فضل عنانها: ما زاد وطال من عنانها والعنان لجام الفرس. نفارها: تجافيتها وبعدها. شياحها: إعراضها، حذرها.

- (٨) سما: ارتفع وعلا. مطامح: المآرب السامية. جاز: سار وتعدى.
- (٩) النضير: الحسن الرونق. أصغت: استمعت. أصداحها: غنائها الحسن.
- (١٠) أشكلت: التبتت. دهم الأمور: الأمور المبهمة الداهمة.
- (١١) أسها: أساسها. صفاحها: الصفاح. حجارة عراض رقاق.
- (١٢) ترد: تخوض. شم الرواسي: عالية الجبال. بطاحها: مسيل واسع فيه حصى.
- (١٣) فياحها: رائحتها الطيبة الذكية.
- (١٤) العزمات: الارادة القوية. مزاحها: أهل اللهو واللعب.
- (١٥) السماح: الجود والكرم. سجية: طبيعة.
- (١٦) عمرو: عمرو بن العاص. سيف الله: خالد بن الوليد. من أشهر قواد العرب في الإسلام. أوضاعها: جمع وضح وهو العزة والتحجيل في قوائم الفرس والمراد أعمال المجد الواضحة المشهورة.
- (١٧) شتاتها: تفرقها. طراحها: اتكالها.
- (١٨) يمنها: بركتها.
- (١٩) لياحها: الياح، الصبح.
- (٢٠) نهاض العشيرة: منجد الناس وقت الشدة. حمال ألوية العلا: حامل أعلام العلا. كداحها: المجد في طلبها.
- (٢١) قصباتها: المقصود مجالات التسابق.
- (٢٢) حرب: المقصود الحرب العالمية الثانية بين الحلفاء إنجلترا وفرنسا وأمريكا ضد دولتي المحور وهما ألمانيا وإيطاليا.
- (٢٣) منداحها: اتساعها. والبيت اقتباس من المثل القائل، ومعظم النار من مستصغر الشرر.
- (٢٤) لواحها: لسعتها ونارها.
- (٢٥) البسل: الشجعان. حوماتها: ميادين القتال. صفاحها: جمع صفح وهو من السيف عرضه والمقصود أرضها.
- (٢٦) تشري: تشري.
- (٢٧) الظمان للدم: المتعطش لإراقة الدماء والمقصود «هتلر» قائد ألمانيا وهو الذي أشعل هذه الحرب. غصة: ما اعترض في الحلق فأشرقه.
- (٢٨) غر: أحسن. فصاحها: بليغها.

صَبْحُ بِاسْم

(٢٩) صاحباها: السليمة الجيدة.

(٣٠) براهاها: مستراهاها أو كفلها والمراد البدن وقيل: الأرض المستوية.

(٣١) الورى: الخلق.

(٣٢) سارية الخيال: الساري هو السائر ليلاً والمقصود هو طائف الشعر لدى

الشاعر. أجبلت: أجبل الشاعر، امتنع عليه القول.

يَوْمُ عَبُوسٍ

نظم الشاعر هذه الأبيات في يوم اشتد فيه البرد بإنجلترا عام ١٩٠٩م، وقد كان موفداً إليها في بعثة تعليمية.

وَيَلَاهُ مِنْ يَوْمِ الْخَمِيرِ	سِ فَإِنَّهُ يَوْمُ عَبُوسٍ
فِيهِ تَحَارَبَتِ الرِّيا	حُ فَلَا تَقُلْ: حَرْبُ الْبُسُوسِ ^١
خَافَتْ غَوَائِلُهُ الْغَرَا	لَهُ، فَالْغَمَامُ لَهَا تُرُوسُ ^٢
يَوْمُ أَحَطْنَا بِاللَّظَى	فِيهِ، وَنَكَّسْنَا الرُّعُوسُ ^٣
فَكَأَنَّنا قُمْنا نُؤَيِّ	يْدُ فِيهِ مُعْتَقَدَ الْمَجُوسِ ^٤

هوامش

- (١) البسوس: اسم امرأة من العرب قامت بسببها الحرب بين قبيلتي بكر وتغلب ابني وائل من قبائل ربيعة وظلت أربعين سنة.
- (٢) غوائله: دواهيته. العزالة: الشمس. الغمام: السحاب المظلم. ترُوس: جمع ترس وهو المجن الذي يتستر به المحارب ويتوقى به ضربات عدوه.
- (٣) اللظى: النار الملتهبة. نكسنا: جعلنا الرُّعُوس إلى أسفل.
- (٤) معتقد المجوس: لأنهم يقدسون النار ويعبدونها وينحنون لها في صلاتهم.

ضَيْفٌ كَرِيمٌ

نشرت هذه القصيدة في يونيو عام ١٩٤٧م، حينما تخلص الأمير محمد عبد الكريم الخطابي من الأسر، ونزل ضيفاً على مصر وملكها السابق فاروق.

وَرَمَى بِالْقَيْدِ فِي وَجْهِ الرِّيحِ	حَلَّقَ النَّسْرُ كَمَا شَاءَ وَصَاحَ
تَجَلَّى الْأَصْدَاءُ عَنْ بَيْضِ الصَّفَاحِ ^١	وَجَلَا عَنْ رِيَشِهِ الْعَارَ كَمَا
تَعَرَّفَ الْجَنُّ مَتَى أَوْ أَيْنَ طَاحَ ^٢	وَأَطَاحَ الْقَفْصَ الْمَشْتُومَ، لَا
جَزَعًا، بَيْنَ أَنْيْنٍ وَنُوحِ	كَمْ قَضَى اللَّيْلَ بِهِ مَسْتَبِئًّا
قَلَقَ الْأَضْلَاعَ، خَفَاقَ الْجَنَاحِ ^٣	وَلَكُمْ حَزْنٌ إِلَى أَوْطَانِهِ
لُجَجٌ خُضِرَ دَمِيمَاتِ شَحَاحٍ ^٤	يُرْسِلُ الْعَيْنَ فَلَا يَلْقَى سِوَى
فَإِذَا غَابَ تَشَكَّى لِلصَّبَاحِ	يَشْتَكِي لِلَّيْلِ فِي وَحْشَتِهِ
رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ! أَيْنَ رَاحَ؟	زَهَبَ الْمَاضِي مَجِيدًا حَافِلًا

وإِبَاءُ الْحَرِّ شَيْءٌ لَا يُبَاحُ؟ ^٥	أَسَارُ الْحَرِّ حَقٌّ سَائِغٌ
هَزَّتِ الْفِتْنَةُ أَطْرَافَ الرَّمَاحِ؟ ^٦	وَإِذَا مُدَّتْ لِإِحْسَانٍ يَدٌ
ضَنْتِ الْأَنْفُسُ بِالْمَاءِ الْقَرَّاحِ؟ ^٧	وَإِذَا جَفَّتْ لَهَا ظَمَأٌ
مَلَأَ الْأَفْوَاهَ شَغْبٌ وَصِيَاحُ؟ ^٨	وَإِذَا مَالَ أَخٌ نَحْوَ أَخٍ
لَطِيبٍ، قِيلَ: لَا تَشْكُ الْجِرَاحِ؟ ^٩	وَإِذَا أَنَّ جَرِيحٌ دَنِفٌ
حَرَجٌ إِنْ رَدَّدَ الشَّكْوَى وَبَاحُ؟ ^{١٠}	هَلْ عَلَى الْمَفْجُوعِ فِي أَوْطَانِهِ

أو على من رام أن يحيا كما يتمنى الحرُّ ذنبٌ أو جُنَاحٌ؟^٩
أو على المعاني ملامٌ إن رنا بعدَ عشرينَ، لإطلاقِ السَّراحِ؟^{١٠}

* * *

ثم قالوا: لم يصُنْ ميثاقُهُ ونبا عن خُلُقِ العُربِ السَّمَحِ^{١١}
أيُّ عهدٍ يرتضيه باسلٌ عربيُّ النُّبعِ، ريفيُّ الجِمَاحِ؟^{١٢}
أيُّ عهدٍ هو أن أذبحَ من غيرِ سَكِينٍ، ولا أشكو الذِّباحِ؟
هو عهدُ الذُّنبِ يُملِيه على شاتِه المِخلَبِ والنابِ الوَقَاحِ!^{١٣}
وهو القوَّةُ، ما أجراها! إن مَشَتْ يوماً إلى الحقِّ الصِّراحِ
كم سلاحَ صالٍ من غيرِ يدٍ ويدٍ تدفَعُ من غيرِ سِلَاحِ!
قصد الفاروقَ يبغِي موئلاً في رحابِ لبني العُربِ فِسَاحِ^{١٤}
همَّةٌ جاءت تناجي همَّةً ويدٌ مُدَّتْ إلى أكرمِ رَاحِ
مَلِكٌ يرنو لعلِّيا مَلِكِ وطِماحٌ يتسامى لِطِماحِ^{١٥}
فثوى في خيرِ غمدٍ آمناً صارِمٌ أرهفه طولُ الكِفَاحِ^{١٦}
لم يجدْ غيرَ بشاشاتِ المُنَى وارتياحٍ للندى أيُّ ارتياحِ!^{١٧}

هوامش

(١) جلا: كشف. الأصداء: الصدى الذي يصيب الحديد. بيض الصفاح: السيوف.

(٢) أطاح: رمى بعيداً عنه. القفص المشئوم: المقصود الأسر.

(٣) خفاق: مضطرب متحرك. الجناح: للطائر كاليد للإنسان.

(٤) لجج: البحر المرتفع الأمواج. دميمات: قبيحات. شحاح: بخلاء.

(٥) أسار: الهمة للاستفهام والاسار بمعنى القيد والأسر. سائغ: جائز.

(٦) الفتنة: الدسيسة والوقيعه. يشير إلى منع الحاكم الفرنسي بتونس الطوافة

المصرية «فوزية» من الوصول إلى ميناء تونس، وكانت تحمل غذاء ومعونة لمنكوبي

المجاعة هناك ومنع رجال الحكم الفرنسي بتونس وصول الماء العذب إلى الطوافة.

(٧) دنف: مريض ثقل عليه المرض.

(٨) المفجوع: المتألم المتوجع الذي فقد شيئاً عزيزاً.

- (٩) رام: رغب وود. جناح: إثم.
(١٠) عشرين: عشرون عامًا في الأسر.
(١١) ميثاقه: عهده. نبا: تباعد عن. إشارة إلى قول الفرنسيين إن الأمير عاهدتهم على ألا يفر.
(١٢) النبع: الأصل. ريفي: نسبة إلى ريف تونس. الجماع: الطباع.
(١٣) شاته: من الغنم. المخلب: الظفر. الناب: السن. الوقاح: الصلب.
(١٤) موئلاً: كنفاً وملاً.
(١٥) طماح: علو وارتفاع.
(١٦) ثوى: أقام. صارم: سيف. أرهفه: رققه، جعله حاداً قاطعاً.
(١٧) بشاشات: طلاقة الوجه والفرحة. الندى: الكرم.

نصل الموت

يرثي الشاعر صديقه الدكتور علي إبراهيم باشا بهذه الأبيات سنة ١٩٤٧م.

إن جرّد الموتُ نصلًا ما صمّدت له
قد كنت تهزّمه في كل مُعْتَرِكٍ
وكان جَرْحُك يأسو كلّ ما جرحَتْ
اليومَ يَثْنُأُرُ، والأيامُ عُدَّتْهُ
لو حزت كلّ حياةٍ ضنّت مُهجَّتْها
ما أقصر العمر في الدنيا لنابغةٍ
سبعون؟! أولها لهوٌ، وآخرها
لقد شربنا بكأس الراح أولها
ليت الشباب الذي أقداحه عَجَبٌ
قد كنت تُصغي لشعري إن صدحتُ به
أَقْضُ موتُك من مصرٍ مضاجعها

فطالما ردّ نصلٌ منك أرواحًا^١
يزاحم الشمس أسيافاً وأرماحا
يدُ الزمان، ويحيي كلّ ما اجتاحا^٢
لا الطبُّ يُجدي، ولا الجراح جراحا
خَلَدَتْ كالشمسِ إشراقًا وإصباحا
إذا تطلّعت الدنيا له راحا!
لو يعرفُ المرءُ لاقى الموتَ مرتاحا
حلوا، فماذا أصاب الكأس والراحا؟^٣
أَبْقَى لفوتِ الصبا والشيبِ أقداحا!
فاليومَ تسمع إن أصغيت أنواحا
وأسكت الخطبَ أطيّارًا وأدواحا

هوامش

(١) نصلًا: حد السيف.

(٢) يأسو: يداوي ويعالج. اجتاحا: أخذ كل ما في طريقه.

(٣) الراح: الخمر.

أفراح مصر

أنشدت هذه القصيدة بدار الأوبرا في حشد اجتمع للاحتفال بزواج الأميرة السابقة فوزية من شاه إيران السابق في سنة ١٩٣٩ م.

وَتَنْشُرُ الْمَسْكُ مِنْ أَنْفَاسِ رِيَّاهَا ^١	خَلُّوا السُّجُوفَ تَذْعُ مَجَلَى مُحَيَّاهَا
النَّبْلُ يَحْرُسُهَا وَاللَّهُ يَرْعَاهَا ^٢	عَقِيلَةٌ فِي جَلالِ الْمُلْكِ نَاعِمَةٌ
بَيْنَ الْكُنُوزِ الْغَوَالِي مِنْ خَبَايَاهَا	وَدُرَّةٌ لَمْ تَرَ الْأَصْدَافُ مُشَبَّهَهَا
بَيْنَ الْأَزَاهِرِ فِي واديه أَشْبَاهَا	وزهرةٌ ما رأى النيل الوفي لها
تَوَدُّ لو قَبَسَتْ مِنْ نورِ مَرَّاهَا ^٣	ترنو إليها نجومُ الأفقِ مُعْجَبَةٌ
فَوْقَ الْخَمَائِلِ طُهْرٌ فِي سَجَايَاهَا ^٤	كَأَنَّمَا قَطَرَاتُ الْمَزْنِ صَافِيَةٌ

بَلَّغَتْ مِنْ ذُرُوعِ الْعِلْيَاءِ أَقْصَاهَا ^٥	أَمِيرَةَ النَّيْلِ، وَالْأَيَّامُ مُسْعِدَةٌ
أَوْ يَسْطَعُ الْمَسْكُ قُلْنَا: الْمَسْكُ حَاكَاهَا ^٦	إِنْ يَسْطَعُ الصَّبْحُ قُلْنَا: الصَّبْحُ أَشْبَهَهَا
بِلَمْحَةٍ مِنْ ثُرَيَّاهِ ثُرَيَّاهَا ^٧	مَجْدٌ تَمَنَّتْ سَمَاءُ الْأَفْقِ لو ظَفِرَتْ
رَبُّ الْبَرِّيَّةِ لِلْحُسْنَى وَزَكَّاهَا ^٨	وَنَفْسٌ طَاهِرَةٌ الْجَدَّيْنِ يَسَّرَهَا
وَالْيَمْنُ يَجْرِي يَمِينًا حَوْلَ يُمْنَاهَا	الْيُسْرُ يَخْتَالُ تَيْهًا حَوْلَ يُسْرَاهَا
بِظِلِّهِ زُمِرُ الْأَمَالِ مَثْوَاهَا ^٩	نَمَتْ بِظِلِّ فَوَادٍ خَيْرَ مَنْ وَجَدَتْ
عَلَى جَبِينِ اللَّيَالِي حِينَ أَحْيَاهَا ^{١٠}	أَحْيَتْ لَهُ مِصْرَ ذِكْرًا خُطًّا مِنْ ذَهَبٍ
إِلَيْهِ بِاسْطَةِ الْأَيْدِي فَأَعْلَاهَا	وَكَانَ عُنْوَانُهَا الْغَالِي الَّذِي اتَّجَهَتْ

أميرة النيل، غَنَى الشعرُ من طَرَبٍ
طافَتْ كُثُوسُ التهاني وهي مُتَرَعَّةٌ
تَجَمَّعَ الأنسُ حتى لم يَدْعُ أَمَلًا
في ليلةٍ من سوادِ العينِ قد خُلِقَتْ
يخالها الفجر فجرًا حين يَطْرُقُها
كأنَّها بَسَمَاتُ الغِيدِ قد ملأتْ
كانت يدًا من أيادي الدهر أرسلها
هنا زفافًا، وفي الأفلاكِ هاتفةً
لها أناشيدٌ في الأسماعِ ساحرةً
لكنها نَفَحَاتُ اللهِ خَصَّ بها
«فوزية» دُرَّةُ التاجِ التي لمعتْ
شُعُوبَ مَصْرَ نُفَذِيهَا ولو نطقتْ

في ليلةٍ غَنَّتِ الدنيا بِبُشْراها
من المُنَى فانتشينا من حَمِيَّاهَا^{١١}
للنفسِ تَبَعَتْ شَوْقًا خَلْفَهُ: وَاها^{١٢}
جَلَّ الذي من سوادِ العينِ جَلَّاهَا!^{١٣}
فيختفي من حَيَاءٍ في ثنايها^{١٤}
بالحبِّ والبِشْرِ أَدَقًا وَأَفْواها^{١٥}
بيضاءَ مُشْرِقةَ النُّعْمَى وأَسْداها^{١٦}
من الملائكِ تدعو ربَّها الله^{١٧}
لو كُنَّ من لُغَةِ الدنيا رَوَيْنَاهَا^{١٨}
من البريةِ أَنْقَاها وَأَصْفاها
فوقَ الجبينِ فحيَّتهُ وحيَّها
للنيلِ أَلْسَنَةً فُضِّحَ لِفْدَاهَا

أميرة النيل، غَنَى الشعرُ من طَرَبٍ
إِنِّي وألحانَ شعري صُنْعُ بَيْتِكُمْ
لولا مدائحُكم ما كان لي قَلَمٌ
تَأَلَّقِي بِسَمَةِ زَهْرَاءَ مُشْرِقةً
كوني بها قُرَّةً للعينِ غاليةً
ومثلي مصرَ والشَّأوَ الذي بلغَتْ

لولا قرآنك ما غَنَى ولا فاها^{١٩}
فكم من الفضلِ أولاني وأولاهَا!
يومًا على الأيِّك وابن الأيِّك تَيَّاهَا^{٢٠}
بأرضِ إيرانَ، أَنْتِ اليومَ دُنْيَاهَا
فَأَنْتِ أَكْرَمُ من لاقْتَهُ عَيْنَاهَا
فَأَنْتِ أَصْدَقُ بُرْهانٍ لدَعْوَاهَا^{٢١}

لقد قطفنا لك الأزهارَ باسمَةِ
وقد جمعنا من الألحانِ أَغْنِيَةً
ولم نَدْعُ من رموزِ السحرِ سائحةً
قد ذَكَّرْتَنَا لياليكِ التي سَطَعَتْ

وفي عقودٍ من الفصحى نظمناها
لو يفهمُ الطيرُ معناها لَغَنَّاها
طافت بِمعنى العُلاِ إِلَّا لمحناها^{٢٢}
أَفْرَاحَ «قَطْرِ النَّدى» والعزِّ والجاهَا^{٢٣}

عُرْسُ الْأَمَانِيِّ أَحْيَا كُلَّ ذِي أَمَلٍ
وَلَيْلَةُ ظَفَرِ الشَّعْبِ الْوَفِيُّ بِهَا
فِي كُلِّ بَيْتٍ أَغَارِيدُ مُرَدَّدَةٌ
وَكُلُّ رَوْضٍ يُرْجِي لَوْ سَعَتْ قَدَمٌ
وَكَمْ تَمْنَى الرَّبِيعِ النَّضْرُ لَوْ سَعِدَتْ
الْبِشْرُ يَضْحَكُ. وَالدُّنْيَا مُصَفَّقَةٌ

وَطَافَ بِالْعُلَّةِ الظَّمْأَى فَرَوَّاهَا^{٢٤}
وَكَمْ عَلَى الدَّهْرِ مَشْغُوفًا تَمَنَّاها
سَرَتْ فَجَاوَزَ نَجْمُ اللَّيْلِ مَسْرَاهَا^{٢٥}
بِهِ لِيَهْدِي مِنَ الْأَزْهَارِ أَزْكَاهَا^{٢٦}
بَحَلَّةِ الْعُرْسِ كَفَاهُ فَوَشَّاهَا^{٢٧}
يَهْتَزُّ مِنْ نَشْوَةِ الْأَفْرَاحِ عَطْفَاهَا^{٢٨}

يَا ابْنَ الْأَمَاجِدِ مِنْ إِيْرَانَ نَلْتَ يَدًا
بَنَيْتُمْ الْمَلِكَ فَوْقَ الشَّمْسِ مِنْ هِمَمٍ
لَمْ يَتَّخِذْ مِنْ مَنَارٍ يَسْتَضِيءُ بِهِ
جَلَالَةٌ كَمْ تَغْنَى الْبُحْتَرِيُّ بِهَا
وَدَوْلَةٌ لِلْعُلَا وَالسَّبْقِ حَاضِرُهَا
لَنَا صِلَاتٌ قَدِيمَاتٌ مُحَبَّبَةٌ
ثِقَافَةُ الْفُرْسِ قَدْ كَانَتْ ثِقَافَتَنَا
تَأَلَّقَتْ فِي بَنِي الْعَبَاسِ آوَنَةٌ

أَصْفَى مِنَ الْكُوكَبِ الدُّرِّيِّ أُمَوَاهَا^{٢٩}
شَمَاءَ مَنْ خَلَقَ الْأَطْوَالَ أَرْسَاهَا^{٣٠}
لَدَى الشَّدَائِدِ إِلَّا الْعَزَمَ وَالشَّاهَا^{٣١}
وَكَمْ تَرَنَّمَ مَهْيَارُ بِذِكْرَاهَا!^{٣٢}
وَلِلْخُلُودِ وَلِلْإِبْدَاعِ أَوْلَاهَا
لِخْدَمَةِ الدِّينِ وَالْفُضْصَى عَقْدَنَاهَا
فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ عَنْهُمْ أَخَذْنَاهَا
مَا كَانَ فِي أَعْصَرِ التَّارِيخِ أَزْهَاهَا^{٣٣}

فَارُوقُ كَمْ لَكَ عِنْدَ النِّيلِ مِنْ مَنَنْ
وَصَلَتْ مِصْرَ بِإِيْرَانَ كَمَا اتَّصَلَتْ
مِصْرُ الْمَجِيدَةِ تَزْهَى فِي جَمَى مَلِكٍ
سَعَى إِلَى الْمَجْدِ نَهَاضًا فَأَنْهَضَهَا
فِي كُلِّ نَفْسٍ لَهُ ذِكْرَى مُخَلَّدَةٌ
شَمَائِلُ السَّلَفِ الْأَطْهَارِ شِيمَتُهُ
سَجِيَّةٌ مِنْ فَوَادٍ فِيهِ قَدْ رَسَخَتْ
فِي سَاحَةِ الْجَيْشِ حَيَّتُهُ فَوَارُسُهُ
لَهُ أَيَادٍ عَلَى الْأَيَّامِ سَابِغَةٌ

كَصَفْحَةِ الشَّمْسِ بِيضٌ لَيْسَ يَنْسَاهَا^{٣٤}
فَرَائِدُ الْعِقْدِ أَغْلَاهَا بِأَغْلَاهَا^{٣٥}
لَوْلَاهُ لَمْ تُشْرِقِ الدُّنْيَا وَلَوْلَاهَا^{٣٦}
لِلَّهِ وَالْحَقُّ مَسْعَاهُ وَمَسْعَاهَا!
وَصُورَةٌ مِنْ جَلَالٍ فِي حَنَائِيهَا^{٣٧}
لَمَّا تَجَلَّتْ بِفَارُوقٍ عَرَفْنَاهَا^{٣٨}
إِذَا دَعَتْ لِلْعُلَا وَالْمَجْدِ لِبَاهَا^{٣٩}
وَفِي الْمَسَاجِدِ حَيَّاهُ مُصَلَّاهَا^{٤٠}
فِي كُلِّ جِيدٍ مِنَ الْأَيَّامِ نُعْمَاهَا^{٤١}

يا أُسْرَةَ الْمُلْكِ صَاغَ الشَّعْرُ تَهْنِئَةً من حَبَّةِ الْقَلْبِ مَعْنَاهَا وَمَبْنَاهَا
أَهْدَى الْوَفَاءَ جَمِيلًا حِينَ أَرْسَلَهَا وَأَرْسَلَ الْوَدَّ مَحْضًا حِينَ أَهْدَاهَا
لَا زَالَ مُلْكُكُمْ جَمًّا بِشَائِرِهِ وَنَالَ مِنْ بَسَمَاتِ الدَّهْرِ أُسْنَاهَا! ٤٢
وَعَاشَ لِلنَّيْلِ رَبُّ النَّيْلِ سَيِّدُهُ وَلِلرَّعِيَّةِ وَالْأَمَالِ مَوْلَاهَا

هوامش

- (١) خلوا: دعوا. السجوف: جمع سجف وهو الشيء بينه وبين ستر آخر فرجة. تدع: تنشر. مجلى: حسن. محياها: وجهها وطلعتها. رياها: ما ترتوي به.
- (٢) عقيلة: كريمة الملك.
- (٣) قبست: أخذت. مرأها: رؤيتها.
- (٤) قطرات المزن: السحاب الأبيض والمقصود المطر. سجاياها: خلقها وطبيعتها الطبية.
- (٥) نزوة: أعلا الشيء. أقصاها: أبعداها.
- (٦) المسك: الطيب.
- (٧) لمحة: نظرة عاجلة. ثرياه: النجم والمقصود هنا من نورها.
- (٨) يسرها: وفقها. زكاها: مدحها.
- (٩) فؤاد: والدها الملك فؤاد. زمر: جماعة. مثواها: مكانها.
- (١٠) جبين: الجبهة.
- (١١) مترعة: مملوءة. حمياها: أولها.
- (١٢) واه: للتعجب بمعنى ما أطيبه.
- (١٣) جلاها: أظهرها.
- (١٤) يطرقها: يأتيها.
- (١٥) أحداق: سواد العين. أفواها: الفم.
- (١٦) مشرقة النعمى: مضيئة النعم ظاهرة. أسداها: أنعم بها.
- (١٧) الأفلاك: مدار النجوم.
- (١٨) رويها: حكيناها.
- (١٩) ولا فاه: ولا تفوه بها.

- (٢٠) الأيك: الحديقة ذات الشجر الكثيف. الملفف الأغصان. ابن الأيك: الطائر المغرد.
تياهاً: مفتخرًا مزهوًا.
- (٢١) الشأو: السبق والغاية. لدعواها: لما تدعيه.
- (٢٢) سانحة: عارضة.
- (٢٣) قطر الندى: الأميرة قطر الندى بنت خمارويه حاكم مصر تزوجت الخليفة العباسي، ويضرب المثل بفرحها في عظمته وبذخه.
- (٢٤) الغلة: حرارة العطش. رواها: أسكن ظمأها بالماء.
- (٢٥) مسراها: سيرها ليلاً.
- (٢٦) يرجى: يأمل.
- (٢٧) وشاها: لونها.
- (٢٨) عطفها: جانبها.
- (٢٩) الكوكب الدرّي: النجم الثاقب المضيء.
- (٣٠) شماء: عالية. الأطواد: الجبال العالية. أرساها: ثبتها.
- (٣١) الشاها: لقب ملوك الفرس.
- (٣٢) البحترى: الشاعر العباسي الشهير وقد مدحهم بقصائد خلدتهم مثل قصيدته السينية المشهورة. ترنم: تغنى. مهيار: مهيار الديلمي الشاعر الفارسي الذي كثيراً ما أشاد بمدينة الفرس.
- (٣٣) آونة: حيناً من الزمن.
- (٣٤) منن: عطايا وهبات.
- (٣٥) فرائد العقد: الدرر الكبار لا مثيل لها التي نظمت في العقد.
- (٣٦) حمى: كنف.
- (٣٧) حناياها: عطفها.
- (٣٨) السلف: المتقدمون السابقون. شيمته: صفاته الطيبة.
- (٣٩) سجية: خلق وطبع. لباه: أجابها.
- (٤٠) مصلاها: المصلون.
- (٤١) سابغة: كاملة وافية.
- (٤٢) أسناها: أرفعها وأشرفها.

الحرب

حينما شبت نار الحرب العالمية الأولى، وشاعت الأخبار بوصف ويلاتها وأرزائها، واقترب الألمان من باريس في أول الأمر ثارت شاعرية الشاعر، واشتدت آلامه لما يصيب الإنسانية في سبيل أطماعها، فأنشأ هذه القصيدة في سنة ١٩١٤م.

مَنْ سَلَبَ الْأَعْيُنَ أَنْ تَهْجَعَا؟
وَمَنْ رَمَى بِالشُّوْكِ فِي مَضْجَعِي
رَوَّعَنِي وَاللَّيْلُ فِي زِيَّهِ
طَاحَتْ بِأَهْلِ الْغَرْبِ نَارُ الْوَعَى
طَافَ عَلَيْهِمْ بِالرَّدَى طَائِفٌ
وَصَاحَ فِيهِمْ لِلتَّوَى صَائِحٌ
فِي الْبَرِّ، فِي الْبَحْرِ، وَمِنْ فَوْقِهِمْ
يَجْمَعُهُمْ جَبَّارُهُمْ عَنُودٌ
يَحْسُو دَمَ الْقَتْلَى، فَأَظْمِئْ بِهِ
لَمْ يَكْفِهِ رُمْحٌ وَلَا مُرْهَفٌ
وَحَبَّ فِيهَا رَاكِبًا رَأْسُهُ
قَدْ غَصَّتِ الْأَرْضُ بِأَشْلَائِهِمْ
وَأَنْ لِلْعِقْبَانِ أَنْ تَكْتَفِي
صَوَاعِقُ الْمُنْطَادِ لَا تُتَّقَى
أُطْلِقُ عِزْرَائِيلَ مِنْ قَدِّهِ
وَيَزُّ ذَاتَ الطُّوقِ أَنْ تَسْجَعَا؟^١
فَبِتُّ مَكْلُومَ الْحَشَا مُوجَعَا؟^٢
مِنْ مُرْجَفَاتِ الْخَطْبِ مَا رَوَّعَا!^٣
وَهَبَّتِ الرِّيحُ بِهِمْ زَعْرَعَاءُ
فَاحْتَرَمَ الْأَنْفُسَ لَمَّا سَعَى^٤
فَصَمَّتِ الْأَسْمَاعُ مَذًى أَسْمَعَا^٥
لَمْ يَتْرُكِ الْمَوْتُ لَهُمْ مَوْضِعَا
وَإِنَّمَا لِلْمَوْتِ مَنْ جَمَّعَا!^٦
وَيَنْهَشُ اللَّحْمَ، فَمَا أَجْشَعَا!^٧
فَاتَّخَذَ الْمُنْطَادُ وَالْمِدْفَعَا
لِلشَّرِّ مَا حَبَّ وَمَا أَوْضَعَا^٨
وَأُضْبِحَ الْبَحْرُ بِهَا مُتْرَعَا^٩
وَأَنْ لِلْحَيَاتَانِ أَنْ تَشْبَعَا^{١٠}
وَصَوْلَةُ الْأَلْغَامِ لَنْ تُدْفَعَا
يَزْتَعُ أَنَّى شَاءَ أَنْ يَزْتَعَا^{١١}

تُطْرِبُهُ الْحَرْبُ بِأَرْجَالِهَا وَيَسْتَبِيهِ السَّيْفُ إِنْ قَعَقَعَا^{١٣}
 كَأَنَّمَا فِي صَدْرِهِمْ غُلَّةٌ أَبَتْ بِغَيْرِ الْمَوْتِ أَنْ تُنْقَعَا^{١٤}
 كَأَنَّهُمْ سَرَبٌ قَطَا عُطْشٍ صَادَفَنْ مِنْ وَرْدِ الرَّدَى مَشْرَعَا^{١٥}
 كَأَنَّهُمْ وَالنَّارُ مِنْ حَوْلِهِمْ جِنُّ تَأَلَّوْا أَنْ يَبِيدُوا مَعَا^{١٦}
 صَارُوا مِنَ الْعِثِيرِ فِي ظُلْمَةٍ لَا تُبْصِرُ الْعَيْنُ بِهَا الْإِصْبَعَا^{١٧}

كَمْ فَارِسٍ يَمْرَحُ فِي سَرْجِهِ يَهْتَزُّ كَالْغُصْنِ وَقَدْ أَيْنَعَا
 كَأَنَّهُ الصَّمْصَامُ إِذْ يُنْتَضَى وَعَامِلُ الرُّمَحِ إِذَا أَشْرَعَا^{١٨}
 مَا ضَنَّ بِالرَّفْدِ عَلَى وَافِدٍ وَلَا لَوَى حَقًّا وَلَا ضَيَّعَا^{١٩}
 تَمْشِي بَنَاتُ الْحَيِّ فِي إِثْرِهِ يَرْشُقْنَهُ بِالزَّهْرِ إِذْ وُدَّعَا^{٢٠}
 مِنْ كُلِّ بَيْضَاءِ الطَّلَى طَفَلَةٌ أَسْطَعَ مِنْ بَدْرِ الدَّجَى مَطْلَعَا^{٢١}
 تَكْفُ غَرْبَ الدَّمْعِ أَنْ يُرْتَأَى وَتَحْبِسُ الزُّفْرَاتِ أَنْ تُسْمَعَا^{٢٢}
 لَجَّ بِهِ الْمَوْتُ فَأَوْدَى بِهِ وَحَزَّ مِنْهُ اللَّيْتُ وَالْأَخْدَعَا^{٢٣}
 مَاتَ فَلَا قَبْرَ لَهُ مِثْلُ وَلَا بَكَى الْبَاكِي وَلَا شَيَّعَا

سَلِّ «لِيَجْ» مَا حَلَّ بِأَرْجَائِهَا فَقَدْ غَدَتْ أَرْجَاؤُهَا بَلَقَعَا^{٢٤}
 وَاسْأَلِ «نَمُورًا» مَا دَهَى أَهْلَهَا فَقَدْ نَعَاها الْبَرْقُ فِيمَا نَعَى^{٢٥}
 وَسَائِلِ الرُّوْضِ ذَوَى نَبْتُهُ وَسَائِلِ الْأَطْلَالِ وَالْأَرْبَعَا^{٢٦}

بَارِيسُ! وَالْعُسْرَى إِلَى يَسْرَةٍ وَغَايَةِ الْعَارِضِ أَنْ يُقْشَعَا^{٢٧}
 أَعَزَّكَ الْخَطْبُ بِأَوْجَالِهِ؟ وَكُنْتَ عَشَّ النَّسْرِ أَوْ أَمْنَعَا^{٢٨}
 كُنْتَ لِطُلَّابِ الْهُدَى مَعَهْدًا وَكُنْتَ رَوْضًا لِلْهَوَى مُمْرَعَا^{٢٩}
 مَا أَحْسَنَ السَّيْنِ وَجِيرَانَهُ وَأَحْسَنَ الْمُصْطَفَا وَالْمَرْبَعَا^{٣٠}
 أَرِيعَتِ الْحَسَنَاءُ فِي خَدْرِهَا؟ نَعَمْ، دَعَاها الذَّعْرُ أَنْ تَهْلَعَا!
 عَهْدِي بِهَا كَأَنَتْ نَوُومَ الضُّحَى مَلُولَةً نَاعِمَةً رَغْرَعَا^{٣١}

ما خَطَبُهَا وَالنَّارُ مِنْ حَوْلِهَا وَالْمَوْتُ لَمْ يَتْرُكْ لَهَا مَفْرَعًا؟^{٣٢}

ضَرَاغِمَ الْمَاءِ ثَبُّوا وَثَبَّةً
دَعَاكُمْ الْجَارُ فَكُنْتُمْ إِلَى
وَسِرْتُمْ لِلْمَوْتِ فِي جَحْفَلٍ
مِنْ كُلِّ شَعْشَاعٍ خَفِيفِ الْخُطَا
لَوْ مَادَّتِ الْأَجْبَالُ مِنْ تَحْتِهِ
سَلُّوا بِحَارِ الْأَرْضِ عَنْ مَجْدِكُمْ
كَانَتْ وَلَا زَالَتْ لَكُمْ سَاحَةٌ
تَهْوِي طُيُورُ الْمَاءِ أَعْلَامَكُمْ
قَدْ طَافَ «نِلْسُن» حَوْلَ أُسْطُولِكُمْ
يُغْضِبُهُ يَا خَيْرَ أَشْبَالِهِ
أَنْ لِهَذَا الْغِيلِ أَنْ يُمْنَعَا!^{٣٣}
دُعَائِهِ مِنْ صَوْتِهِ أَسْرَعَا^{٣٤}
مَا ضَمَّ رَعْدِيدًا وَلَا إِمْعَا^{٣٥}
نِي مِرَّةٍ مُنْجَرِدٍ أَرْوَعَا^{٣٦}
أَوْ خَرَّتِ الْأَفْلَاكُ مَا زُعِرَا^{٣٧}
إِنَّ بِهَا سِرًّا لَكُمْ مُودَعَا
تَبْنُونَ فِيهَا الشَّرَفَ الْأَفْرَعَا^{٣٨}
فَتَقْتَفِيهَا حَوْمًا وَقَعَا^{٣٩}
مُسْتَصْرَحًا غَضْبَانَ مُسْتَفْزَعَا^{٤٠}
أَنْ يَبْلُغَ الْقِرْنَ بِكُمْ مَطْمَعَا^{٤١}

يَا خَالِقَ النَّاسِ طَغَى شَرُّهُمْ
لَمْ يُشَبِّهُوا الْإِنْسَانَ فِي خَلَّةٍ
قَدْ رُفِعَ الْإِحْسَانُ مِنْ بَيْنِهِمْ
لَوْلَا سَنَا هَذِيكَ فِي بَعْضِهِمْ
فَاهِدِ الْحَيَارَى وَاكْشِفِ الْمَهْيَعَا!^{٤٢}
وَأَشْبِهُوا الْحَيَاتِ وَالْأَسْبِيعَا^{٤٣}
وَأَوْشَكَ الْإِيْمَانُ أَنْ يُرْفَعَا
لَدَكَّتِ الْأَرْضُ بِهِمْ أَجْمَعَا

هوامش

- (١) الهجوع: النوم ليلاً. البز: النزاع وأخذ الشيء بجفاء وقهر. ذات الطوق: الحمامة المطوقة أي: التي في عنقها من الريش ما يشبه الطوق، سجع الحمام: صوته وغناؤه.
- (٢) المضجع: وضع الضجوع وهو النوم على الجنب. مكلوم: مجروح. الحشا: ما اشتمل عليه الجوف.
- (٣) روعني: أفزعني. الزي: الهيئة. الخطب: النازلة والمصيبة. مرجفاته: شدائده.
- (٤) طاح يطوح ويطيح: هلك أو أشرف على الهلاك. الوغى: الحرب. ريح زعزع: شديدة تزعزع الأشياء.

- (٥) طاف: دار. الردى: الهلاك. اخترم: أهلك. وفي هذا البيت إشارة إلى الآية الكريمة: ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ (١٩: سورة القلم).
- (٦) صاح: صرخ وصوت. التوى: الهلاك والموت. صمت الأسماع: بطلت.
- (٧) الجبار: العاتي المستكبر، والمراد القائد. عنوة: قهراً.
- (٨) يخسو: يشرب شيئاً فشيئاً.
- (٩) خب: أسرع، والحسب ضرب من العدو. ركب رأسه: مضى على وجهه بغير رؤية لا يطيع مرشداً. الإيضاع: الإسراع في السير.
- (١٠) غصت: امتلأت. الأشلاء: جمع شلو وهو العضو، وأشلاء الإنسان أعضاؤه بعد البلى والتفريق. مترع: مملوء.
- (١١) آن: حان. العقبان: جمع عقاب وهي من جوارح الطير.
- (١٢) عزرائيل: ملك الموت. القد: سير من جلد غير مدبوغ قد يقيد به الأسير. يرتع: يقبض أرواح الناس بكثرة. ورتع في الأصل معناها أكل وشرب ما شاء في خصب وسعة، أو أكل وشرب بشره.
- (١٣) الطرب: خفة تصيب من يشتد به السرور. الأزجال: جمع زجل وهو الجلبة والتطريب ورفع الصوت. يستببه: يأسره ويستميله. القعقعة: حكاية صوت السلاح.
- (١٤) الغلة: حرارة العطش. أبت: امتنعت. تنقع: تسكن. من نقع الماء العطش من باب قطع وخضع أي: سكنه.
- (١٥) السرب: القطيع والجماعة. القطا: ضرب من الحمام، الواحدة قطاة. عطش: جمع عاطش اسم فاعل من عطش. صادفن: وجدن. الورد: الإشراف على الماء وغيره.
- الردي: الهلاك. المشرع: مورد الشاربة أي: الموضع الذي يستقون منه كالمشرفة.
- (١٦) تألوا: حلفوا. يبيد: يهلك.
- (١٧) العثير: الغبار.
- (١٨) الصمصام: السيف لا ينثني. ينتضي: يسل أي يجرد من غمده. عامل الرمح: صدره. أشرع: أميل أو رفع عند القتال.
- (١٩) ضن: بخل. الرغد: العطاء والصلة. وافد: آت ووارد. لوى الحق: جحده.
- (٢٠) الحي: القبيلة أو البطن من بطون العرب، ويراد به هنا قوم الفارس وعشيرته. يرشقنه: يرمينه. ودع: شيع عند سفره.
- (٢١) الطلى: الأعناق أو أصولها. طفلة: رخصة ناعمة. أسطع: أعلى وأرفع، والمراد أبهى وأجمل. الدجى: جمع دجية وهي الظلمة. المطلع: الطلوع.

- (٢٢) تكف: تمنع. غرب الدمع: مسيله أو انهلاله من العين. يرتأى: يرى. الزفرات: جمع زفرة وهي إخراج النفس طويلاً ممدوداً.
- (٢٣) لج به الموت: لازمه. أودى به: أهلكه. حز: قطع. الليت: صفحة العنق. الأخدع: شعبة من عرق الوريد.
- (٢٤) «ليج» إحدى المدن البلجيكية التي استولى عليها الألمان بعد تخريبها بمدافعهم. الأرجاء: جمع رجا وهو الناحية. غدت: صارت. البلقع: الأرض القفر الخالية من أسباب العمران والحياة.
- (٢٥) «نامور» مدينة بلجيكية استولى عليها الألمان عقب استيلائهم على «ليج» في أوائل الحرب العظمى سنة ١٩١٤م.
- (٢٦) الأربع: جمع ربع وهو محلة القوم ومنزلهم.
- (٢٧) باريس: كبرى المدن الفرنسية ومقر الحكومة، وقد كادت تسقط في أيدي الألمان في أوائل الحرب العظمى سنة ١٩١٤م. العسرى: الضيق والشدّة والصعوبة. اليسرة: اسم مرة من يسر الأمر من بابي قرب وتعب أي: سهل واتسع. العارض: السحاب يعترض في الأفق ويراد به هنا الغمة والضيقة. يقشع: ينكشف.
- (٢٨) عذك: غلبك. والهمزة للاستفهام. ويراد بالاستفهام هنا التعجب. الخطب: النازلة الشديدة. الأوجال: جمع وجل وهو الخوف.
- (٢٩) أمرع الوادي: أخصب وأكثر كلؤه.
- (٣٠) السين: نهر مشهور بفرنسا يمر بمدينة باريس. المربع: منزل القوم في الربيع.
- (٣١) نؤوم الضحى: كناية عن الترف والرفاهية ولين العيش. ملولة: من الملل وهو السآمة والضجر. ناعمة: متنعمة. الرعرع: اليافعة الحسنة الاعتدال مع حسن شباب.
- (٣٢) الخطب: الشأن والأمر. المفزع: الملجأ.
- (٣٣) الضراغم: جمع ضراغم وهو الأسد. الوثوب: الطفر والقفز. آن: حان. العيل: الأجمة أي: الشجر الكثير الملتف. والغيل مسكن الأسد عادة. يمنع: يحمي، يريد بضراغم الماء رجال الأسطول الإنجليزي وجنود البحر.
- (٣٤) يريد بالجار مملكة «بلجيكا» من ممالك أوروبا الشمالية، وهي إلى الجنوب الشرقي من الجزائر البريطانية.
- (٣٥) الجحفل: الجيش الكثير. الرعديد: الجبان. الإمع والإمعة: الرجل يتابع كل أحد على رأيه لا يثبت على شيء.

- (٣٦) الشعشاع: الطويل المسرع. الخطا: جمع خطوة. المرة: القوة وشدة العقل.
المنجرد: النشيط ذو الهممة. الأروع: من يعجبك بشجاعته.
(٣٧) مادت: زلزلت وتحركت، الأجبال: جمع جبل. خرت: سقطت. الأفلاك: مدارات
النجوم، والمراد النجوم نفسها. زعزع: اضطرب وتحرك.
(٣٨) الساحة: الناحية وفضاء بين دور الحي. الأفرع: الأعلى.
(٣٩) حوم: دوائر حولها. وقع: حاطات نازلات بها.
(٤٠) «نلسن»: من أبطال الإنجليز وقائد أسطولهم إبان الحرب الفرنسية.
(٤١) القرن: كفؤك في الشجاعة.
(٤٢) المهيع: الطريق البين.
(٤٣) الخلة: الخصلة. الأسبع: جمع سبع وهو المفترس من الحيوان.

يا أبا الأمة

تهنئة سعد زغلول باشا من خطر العدوان عليه، وقد أُلقيت هذه القصيدة في حفل حاشد في ٢١ من يوليو سنة ١٩٢٤م.

يَا أَبَا الْأُمَّةِ يَا مَنْ ذَكَرُهُ
هَزَّ مِصْرًا نَبَأً فَاضَتْ لَهُ
هُرْعُوا نَحْوَكَ كَالْبَحْرِ إِذَا
بَيْنَ شَكٍّ وَبِقَيْنٍ قَاتِلٍ
بِوُجُوهٍ مَرَّةً أَمَلِيَّةٍ
تَرْتَجِي الرَّحْمَنَ فِي مُحَنِّتِهَا
كُلُّهُمْ يَسْأَلُ عَنْ سَعْدٍ وَمَنْ
إِنْ سَعْدًا غَرَسَ النَّبْتَ وَقَدْ
كُلَّمَا رَامُوا بِسَعْدٍ ضَرَرًا
إِنَّ سَيْفًا فِي يَمِينِ اللَّهِ قَدْ
عَشَّ لِمِصْرٍ وَزَّرَا يَكْلُؤُهَا
أَنْتَ مِصْرُ، عِشَّ لِمِصْرٍ إِنَّهَا
بَطْلٌ أَيْقَظَ مِصْرًا بَعْدَمَا
بَعَثَ اللَّهُ بِهِ فَاَنْبَعَثَتْ
وَوَطَوَى اللَّهُ بِهِ عَهْدًا مَضَى
قَادَ جَيْشًا مِنْ قُلُوبٍ حَوْلَهُ

مَلَأَ الدُّنْيَا حَدِيثًا عَطِرًا
عَبَرَاتُ الْقَوْمِ تَجْرِي مَطَرًا
سُجِّرَتْ أُمُوجُهُ أَوْ زَخْرًا^١
يَنْشُرُ الْخَوْفَ وَيَطْوِي الْحَذْرًا^٢
وَهِيَ حِينًا بِاسِرَاتٍ كَدْرًا^٣
ثُمَّ تَخْشَى فِي الْمَصَابِ الْقَدْرَا
عَيْنُهُ مَاءُ الشُّنُونِ أَنْهَمَرَا^٤
شَاءَ رَبِّي أَنْ يَذُوقَ الثَّمَرَا
صَانَهُ اللَّهُ وَكَفَّ الضَّرَرَا
هَزَّهُ بَارئُهُ لَنْ يُكْسِرَا^٥
لَمْ نَجِدْ غَيْرَكَ فِيهَا وَزَرَا^٦
بِكَ تَحْيَا وَتَنَالُ الْوَطَرَا^٧
كَادَ يُزِيدِي أَهْلَهَا طُولُ الْكَرَى^٨
رُسُلُ الْأَمَالِ تَتَرَى زُمْرَا^٩
تَهْلَعُ النَّفْسُ لَهُ إِنْ ذُكِرَا
خَاضَعَاتٍ إِنْ نَهَى أَوْ أَمَرَا

تَرْكَبُ الصَّعْبَ إِلَى مَرْضَاتِهِ وَتُلَاقِي فِي هَوَاهُ الْخَطَرَا^{١٠}
 شَلَّ زَنْدٌ قَدْ رَمَى زَنْدُ الْعَلَا وَحَمَى اللّهُ الرَّئِيسَ الْأَكْبَرَا
 مَحَقَّ اللّهُ أَبَا لَوْلُؤَةَ وَوَقَى مَصْرًا فَأَبْقَى عُمَرَا^{١١}
 إِنْ مِنْ يَحْرُسُهُ بَارئُهُ لَا يُبَالِي بِالرَّدَى إِنْ خَطَرَا^{١٢}
 فَهَنَاءٌ بِنَجَاةٍ كَشَفَتْ غُمَّةَ الْقَطْرِ وَطَابَتْ أَثَرَا^{١٣}
 عَاشَ سَعْدٌ وَالْمَلِكُ الْمُرْتَجَى مَوْتٌ لِّلْأُمَّةِ فِي أَسْمَى الذَّرَا^{١٤}

هوامش

- (١) هرعوا: أَعجلوا وحملهم النبأ العظيم الهائل على الإسراع. تسجير الماء: تفجيره. زخر: ظلما وارتفع وامتلاً.
- (٢) الطي: ضد النشر. الحذر: الاحتراز والتوقي.
- (٣) باسرات: جمع باسرة أي: عابسة. الكدر: ضد الصفو.
- (٤) الشئون: مجاري الدموع إلى العين واحدها شأن. انهمر: انصب وسال.
- (٥) بارئه: خالقه.
- (٦) الوزر: المعقل والملجأ والمعتصم. يكلؤها: يحفظها.
- (٧) الوطر: البغية والحاجة.
- (٨) البطل: الشجاع. يُردي: يهلك. الكرى: النعاس.
- (٩) تترى: متواترة متتابعة. الزمر: الجماعات. واحدها: زمرة.
- (١٠) المرضاة: الرضا. الهوى: الحب. الخطر: الإشراف على الهلاك وخوف التلف والمراد الهلاك والتلف.
- (١١) محق: محا وأهلك. وأبو لؤلؤة فيروز المجوسي عبد المغيرة بن شعبة، وكان قد قتل غدرًا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — طعنه بخنجر وهو قائم يصلي سنة ٢٣هـ. شبه الشاعر سعدًا بعمر بن الخطاب والمعتدي عليه بأبي لؤلؤة.
- (١٢) البارئ: الخالق وهو الله جلَّ وعلا.
- (١٣) الغمة: الكربة والعي الشديد.
- (١٤) موئل: ملجأ. أسمى: اسم تفضيل من السمو وهو الارتفاع والعلو. الذرا: جمع ذروة وهي من كل شيء أعلاه.

ميلادُ الأميرة فريال

أنشدت بدار الأوبرا في الحفلة التي أقامتها دار الإذاعة المصرية ابتهاجاً بمولد الأميرة فريال، أولى بنات الملك السابق فاروق في أول أيام عيد الفطر سنة ١٣٥٧هـ/١٩٣٧م.

بَيْنَ صَحْوِ الْمُنَى وَحُلْمِ الْخِيَالِ
وَمَضَى سَانِحًا يَهْزُ جَنَاحَيْ
لَمَحِ الدَّهْرِ وَهُوَ يَحْبُو مِنَ الْمَهْ
وَأَزَاحِ التَّارِيخِ عَنْ عَيْنِهِ الْحُجْ
وَرَأَى الشَّمْسَ طِفْلةً تُرْسِلُ الْأَضْ
صَفَحَاتُ مِنَ الزَّمَانِ تَوَالِي
وَتَصَاوِيرُ لِلْحَوَادِثِ تَبْدُو
وَإِذَا رَنَّةٌ، كَمَا تَضَحَكَ الْآ
وَقَفَ الشَّعْرُ شَاخِصًا حِينَ مَسَّتْ
نَعَمَاتُ لَمْ يَعْهَدِ الرُّوضُ مِثْلًا
وُلُحُونُ لَهَا مِثَالُ عَجِيبٍ
بَيْنَ عُودٍ كَمْ هَزَّ أَعْطَافَ رَمْسِي
وَدُفُوفِ عَزْفَنَ لَابَنَةِ فِرْعَوُ
وَمَزَامِيرَ أَطْلَقَتْ مِنْ قَمِ السَّحْ
وَرَنْتُ كُلُّ سَرْجَةٍ تَسْرِقُ السَّمْ
وَأَهَازِيحَ رَدَدَتْهَا الْأَزْهَاسُ

سَبَحَ الشَّعْرُ فِي سَمَاءِ الْجَمَالِ
عَلَى شَاطِئِ السَّنِينِ الْخَوَالِي^١
دِ، عَلَيْهِ غَدَائِرُ مِنْ لِيَالِي^٢
بِ، فَمَرَّتْ تَخُوضُ فِي الْأَجْيَالِ
هَوَاءَ فَوْقَ الْكُھُوفِ وَالْأَدْنَالِ
وَهُوَ يَتَلَوُّ سُطُورَهَا بِالتَّوَالِي
فِي شَتِيَةِ الْأَلْوَانِ وَالْأَشْكَالِ^٣
مَالُ، بَعْدَ النُّوَى وَطُولِ الْمِطَالِ^٤
لَهُ بِسَحَرٍ مِنَ الْفُنُونِ حَلَالِ^٥
لِصَدَاهَا بَيْنَ الرِّبَا وَالظَّلَالِ
أَوْ إِذَا شِئْتَ قُلْ بِغَيْرِ مِثَالِ^٦
سِ، وَحَيًّا مَوَاكِبَ الْأَقْيَالِ^٧
نِ، فَمَا سَتَ بَيْنَ الْهُوَى وَالِدَلَالِ
رِ، فَمَا دَتَ لَهَا رَوَاسِي الْجِبَالِ^٨
عِ، وَتَعَطُّوْا بِغُصْنِهَا الْمِيَالِ^٩
رُ، وَغَنَّى بِهَا نَسِيمُ الشَّمَالِ^{١٠}

ذُهِلَ الشَّعْرُ، فاستفاق، فألقى
 ساطعاتُ الشَّمْسِ فيه مَشَاعِبَ
 رَحِمَ الأرضَ بِالْجِيَادِ، وَغَشَى
 وَهَفَتْ رَايَةً عَلَى قِمَّةِ النُّجْمِ،
 مَوْكِبٌ يَجْمَعُ الشُّعُوبَ، وتَمْشِي
 سَارٍ فِيهِ الْمُلُوكُ مِنْ كُلِّ جِيلٍ
 ذَاكَ مِينَا، وَذَاكَ عَمُرُو فَتَى الْعُرُ
 وَبَدَا بَيْنَهُمْ مُحَمَّدٌ الْأَكْبَرُ،
 صَادَعُ الْجَهْلِ، هَادِمُ الظُّلَمِ فِي مِصْدَ
 خَلْفِهِ زِينَةُ الْخُلَافِ إِسْمَا
 وَفَوَائِدُ مُجَدِّدُ الْجِيلِ وَالْآ
 سَأَلَ الشَّعْرُ أَيْنَ يَقْصِدُ هَذَا الرَّ
 فَأَجَابَتْ مِنْ فَوْقِهِ هَاتِفَاتُ
 أَسْرَعُوا نَحْوَ عَابِدِينَ مَقَامِ الْـ
 وَقَفَ الرَّكْبُ عِنْدَ سُدَّةِ فَارُو
 وَرَأَى الشَّعْرُ مَحْفَلًا لِمُلُوكِ الدِّ
 جَلَسُوا جَاذِلِينَ، بَيَّنَّ ابْتِهَاجِ
 ثُمَّ نَادَى ذُو أَمْرِهِمْ: «نَحْنُ فِي يَوْمِ
 «يَوْمٌ يُمْنٌ لِمَصْرَ، لَيْسَ لَهُ مِثْ
 «وُلِدَ الْمَجْدُ، فِيهِ وَالشَّرَفُ السَّ
 «نَجَلَ السَّيِّدُ الْمَمْلُوكُ فِيهِ
 «قَدْ سَعَيْنَا لِسُوجِهِ فَقَضَيْنَا
 بُهَرَ الشَّعْرُ فَاثْنَتْنِي يَلِثُمُ الْأَرْ
 وَشَدَا مِثْلَمَا شَدَتْ بِنْتُ أَيْكَ
 نَعِمَتْ بِالْأَلِيفِ، لَا هُوَ نَاءٍ
 لَمْ تَرَ النَّسْرَ فِي مَخَالِبِهِ الزَّرْ
 تَحْتَهَا الزَّهْرُ فَاتِنُ اللَّوْنِ رَفَا

مَوْكِبًا خُفَّ بِالسَّنَا وَالْجَلَالِ ١١
 لُ، وَأَضْوَاؤُهُ بَنَاتُ الْهَلَالِ ١٢
 صَفْحَةَ الْجَوِّ بِالظُّبَا وَالْعَوَالِي ١٣
 وَرَفَّتْ فَوْقَ السَّحَابِ الثَّقَالِ ١٤
 تَحْتَ أَعْلَامِهِ الْعُصُورُ الْأَوَالِي ١٥
 فِي احْتِفَاءٍ ضَافِي السَّنَا وَاحْتِفَالِ
 بَ، وَهَذَا الْمُعِزُّ جَمُّ النُّوَالِ ١٦
 مُحْيِي الْبِلَادِ مُنْشِي الرِّجَالِ ١٧
 رَ، مُبِيدَ الْقُيُودِ وَالْأَغْلَالِ ١٨
 عَيْلُ، دُخْرُ الْمُنَى أَبُو الْأَشْبَالِ ١٩
 مَالِ، سِرُّ الْعِلَا وَالْإِسْتِقْلَالِ ٢٠
 رُكْبُ، بَعْدَ الطَّوَافِ وَالتَّجْوَالِ؟
 تَمْلَأُ الْجَوَّ، وَاضْحَاتُ الْمَقَالِ
 مُلْكِ وَالنُّبْلِ وَالنَّجَارِ الْعَالِي ٢١
 قِ، فَكَانَتْ نِهَآةَ التَّرْحَالِ ٢٢
 نَهْرٍ مَا مَرَّ مِثْلُهُ بِخِيَالِ
 ضَاحِكٍ كَالْمُنَى وَبَيَّنَّ ابْتِهَالِ ٢٣
 مِ سَعِيدِ الْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ٢٤
 لُ، وَلَا جَالَ لِلدَّهْوَرِ بِبَالِ
 مِي، وَنُورِ الْحِجَا وَنُبْلِ الْخِلَالِ ٢٥
 فَهَنَاءٍ بِأَكْرَمِ الْأَنْجَالِ ٢٦
 حَاجَةً فِي نَفْسِنَا لِلْمَعَالِي ٢٧
 ضَ، وَيَدْعُو بِالْعِزِّ وَالْإِقْبَالِ
 بَيْنَ ظِلٍّ وَكَوْثَرِ سُلْسَالِ ٢٨
 إِنْ دَعَتْهُ يَوْمًا، وَلَا هُوَ سَالِي ٢٩
 قِ، وَلَا رُوْضَتْ بِصَيْدِ حِبَالِ ٣٠
 فَ جَمِيمُ النَّدَى دَمِيثُ الرَّمَالِ ٣١

صَدَحَتْ لِلدُّجَى، وَلِلَّيْلِ حُسْنٌ
صَدَحَتْ لِلصَّبَاحِ يَلْمَعُ فِي الشَّرِّ
حِينَ يَطْوِي الْوُجُودَ فِي سِرْبَالٍ ٣٢
قِ، طَهُورًا كَبَسَمَةِ الْأَطْفَالِ
فَوْقَ طَوْقِ الْجُهُودِ وَالْإِيغَالِ ٣٣

عَرِّدِي كَيْفَ شِئْتِ يَا سَرَحَةَ الْوَا
وَاجْمَعِي الْيَوْمَ كُلَّ ذَاتِ جَنَاحٍ
أَرْسِلِي الْبُلْبُلَ الْفَرِيدَ يُنَادِي
إِنَّ يَوْمَ الْمِيلَادِ يَوْمٌ عَلَى الدَّهْرِ
صَفَقَ النِّيلُ فِيهِ زَهْوًا وَعُجْبًا
سَاحِبًا ذَيْلَهُ يَمُرُّ عَلَى الزَّهْرِ
لَا يُبَالِي، فَقَدْ تَمَلَّكَهُ الْهَمُّ
وَهُوَ لَوْلَا عَذُوبَةُ الْحُبِّ مَا فَاءَ
أَنْتَ مَوْلَاهُ، أَنْتَ عَلَّمْتَهُ الْبَدَأَ
عَمَرْتَنَا نَعْمَاكَ فِي كُلِّ حَالٍ
أَيُّهَا الرَّاكِبُونَ فِي طَلَبِ الْغَيْبِ
لَا تَرِيمُوا، مَكَانَكُمْ، لَا تَرِيمُوا
بِي، وَهَزِّي فَضْلَ الْغُصُونِ الطَّوَالِ ٣٤
إِنَّ يَوْمَ الْفَارُوقِ فِي الدَّهْرِ غَالِي
تَسْتَجِبُهُ الطُّيُورُ فِي أَرْسَالِ ٣٥
رِ قَلِيلُ الْأَنْدَادِ وَالْأَمْثَالِ ٣٦
وَجَرَى فِي تَخَطُّرٍ وَاخْتِيَالِ ٣٧
رِ، فَتَمَضِّي الزَّهْوُورُ فِي الْأَذْيَالِ ٣٨
حُبُّ، وَأَوْحَى إِلَيْهِ أَلَّا يُبَالِي
ضَ بَعْدَ مَنْ النَّمِيرِ زُلَالِ ٣٩
لَ، وَبَذَلَ الْعَبِيدِ فَضْلَ الْمَوَالِي
فَحَمَدُنَا نَعْمَاكَ فِي كُلِّ حَالِ ٤٠
سِثَ سِرَاعًا وَالْغَيْثُ مِلءُ الرِّحَالِ!
سَاحَةُ الْمُلْكِ مَوْرِدُ السُّؤَالِ ٤١

يَا لَهَا فَرْقَدًا أَطْلَعَ عَلَى الدُّنَى
سَطَعَتْ بِالسُّعُودِ، تَسْتَقْبِلُ الْكُورُ
اسْتَهَلَّتْ بِالسَّلَامِ وَالْيَمْنِ وَالْعِيْدِ
أَغْمَدَ السَّيْفُ بَعْدَ طَوْلِ جِدَالِ
أَنَا فِي السَّلَامِ عِبْقَرِي الْقَوَافِي
أَنَا شَعْرِي كَالطَّيْرِ يُفَزَعُهُ الْفَخْ
لَا تَعِيشُ الْفَنُونَ بَيْنَ كِفَاحِ
خَفْتُ إِنَّ أُشْعِلْتَ لَطَى الْحَرْبِ أَنْ
«لَمْ أَكُنْ مِنْ جُنَاتِهَا (عَلِمَ اللَّهُ)
يَا، فَأَمَسَتْ نَجُومُهَا كَالذُّبَالِ ٤٢
نَ فَتَحَظَى بِأَشْرَفِ اسْتِقْبَالِ
بِ، فَكَانَتْ بَرَاةً اسْتَهْلَالَ ٤٣
وَجِدَالِ السُّيُوفِ شَرُّ جِدَالِ
لَيْسَ لِي فِي الظُّبَا وَلَا فِي النَّصَالِ
وَيِرْتَاعُ مِنْ حَفِيفِ النَّبَالِ
رَاكِبٍ رَأْسُهُ، وَبَيْنَ نِضَالِ
نَشِدَ بَيْتًا جَرَى مَعَ الْأَمْثَالِ ٤٤
وَأَنِّي بِحَرِّهَا الْيَوْمَ صَالِي» ٤٥

فَمَتَى تَهْدَأُ الْقُلُوبُ إِلَى الْحُبِّ، وَتُهْدَى النَفُوسُ بَعْدَ ضَلَالٍ؟

أَشْرِقِي عَابِدِينَ، فَالْمُلْكُ زَاهٍ
أَنْتِ أَطْلَعْتِ فِي سَمَائِكَ بَدْرًا
دَوْحَةُ الْمَجْدِ أَنْتِ، كَمْ مِنْ أَصُولٍ
دَوْحَةُ أَرْضِهَا مِنَ الطَّيِّبِ وَالْمِسْـ
كَمْ أَظَلَّتْ مِصْرًا وَحَاطَتْ بَنِيهَا
أَنْتِ يَا عَابِدِينَ خَيْرُ بِنَاءٍ
صَفَّقَتْ مِصْرٌ حِينَمَا جَاءَتْ الْبُشْـ
كَمْ بَسَطْنَا الْأَكْفَ نَضْرَعُ لِلرَّحْـ
وَسَبَقْنَا دَقَّ الْبَشَائِرِ شَوْقًا
وَوَدِدْنَا لَوْ اسْتَقَرَّ التَّمَنِّي
وَإِذَا أَنْعَمُ الْإِلَهِ تَوَالِي
وَإِذَا الْفَجْرُ صَادِقٌ يَمْلَأُ الشَّرْـ
وَإِذَا الْمَهْدُ فِيهِ ذُرَّةُ مَجْدٍ
وَإِذَا مِصْرٌ أَعْيُنًا وَقُلُوبًا
فَهَنَاءٌ مَلِيكَةَ النَّيْلِ، كَمْ حَقْـ
وَهَنَاءٌ مَلِيكَ مِصْرَ الْمُفْدَى
عَشْ، وَعَاشَتْ أَمِيرَةُ الْمُلْكِ وَاسْلَمْ

صَاعِدُ الْجَدِّ، وَالزَّمَانُ مُوَالِي^{٤٦}
عَلَّمَ ابْنَ السَّمَاءِ مَعْنَى الْكَمَالِ
رَاسِيَاتٍ، وَمِنْ فُرُوعِ هِدَالِ^{٤٧}
كَ، وَأَثْمَارُهَا سُمُوطُ اللَّالِي^{٤٨}
مِنْ هَجِيرِ الْخُطُوبِ وَالْأَهْوَالِ
مَدَّ أَفْيَاءَهُ عَلَى خَيْرِ آلِ^{٤٩}
رَى، فَأَهْلًا بِمَوْلِدِ الْأَمَالِ
مِنْ، وَاللَّيْلُ مُسْبِلُ الْأَسْدَالِ^{٥٠}
وَبَعَثْنَا السُّؤَالَ إِثْرَ السُّؤَالِ
وَاسْتَرَحَ الرَّجَاءُ بَعْدَ كَلَالِ^{٥١}
بِعَمِيمِ الْإِحْسَانِ وَالْإِفْضَالِ^{٥٢}
قَ، فَيَمْحُو غِيَاهِبَ الْأَوْجَالِ^{٥٣}
لِكَرِيمِ الْجُدُودِ وَالْأَخْوَالِ^{٥٤}
تَقْبِسُ النُّورَ مِنْ سَنَا «فِرْيَالِ»^{٥٥}
قَقَّتِ لِلنَّيْلِ مِنْ أَمَانِ غَوَالِي
نَلَتْ — فَاشْكُرْ اللَّهَ — خَيْرَ مَنَالِ
لِلْمَعَالِي وَصَالِحِ الْأَعْمَالِ

هوامش

(١) السانح من الطير: ما ولاك ميامنة والعرب تتفاءل به. السنين الخوالي: الأعوام الماضية.

(٢) الغدائر: جمع غديرة. وهي الضفيرة.

(٣) شتيت الأشكال والألوان: أي مفرقتها ومختلفها.

(٤) النوى: البعد. المطال: التسويق.

- (٥) شخص بصره: رفعه.
- (٦) اللحن: جمع لحن.
- (٧) الأقيال: جمع قيل وهو دون الملك الأعلى.
- (٨) مادت: اهتزت وحركت.
- (٩) السرحة: الشجرة العظيمة، العطو: رفع الرأس.
- (١٠) الأهازيج: جمع أهزوجة وهي الأغنية.
- (١١) السنا: الضوء.
- (١٢) بنات الهلال: النجوم.
- (١٣) العوالي: جمع عالية وهي أعلى القناة. الظبا: جمع ظبة وهي حد السيف.
- (١٤) هفت الراية: تحركت والراي جمع راية.
- (١٥) الأوائل: الأوائل.
- (١٦) يقول: كان مينا رسول الفراعنة في هذا الجمع الحاشد وكان مبعوث العرب عمرًا، وكان رسول الفاطميين الجواد الكريم المعز لدين الله.
- (١٧) يقول: وظهر بين هؤلاء الملوك الصيد محمد علي رأس الأسرة العلوية.
- (١٨) الصدع: الشق. الأعلال: جمع غل وهو القيد.
- (١٩) الخلائف: جمع خليفة وهو السلطان الأعظم.
- (٢٠) وسار في هذا الجمع أيضًا فؤاد والد فاروق.
- (٢١) النجار: الأصل.
- (٢٢) السدة: باب الدار أو فناؤها، ويريد بسدة فاروق قصر عابدين.
- (٢٣) جاذلين: فرحين. ابتهال: إخلاص في الدعاء.
- (٢٤) الغدو: جمع غدوة وهي أول النهار. الآصال: جمع أصيل وهو ما بعد العصر.
- (٢٥) الحجا: العقل.
- (٢٦) نجل: أنجب.
- (٢٧) السوح: جمع ساحة وهي الفضاء بين دور الحي.
- (٢٨) شدا: غنى وترنم. الأيك: الشجر الملتف. السلسال: الماء العذب.
- (٢٩) السالي: المتخلص من لواجح الحب.
- (٣٠) المخالب الزرق: الأظفار الحادة الجارحة. روعت: أخيفت.
- (٣١) جميم الندى: كثيره. دميث الرمال: سهلها لينها. رفاف: متحرك.

- (٣٢) الدجى: شدة الظلمة. سربال: قميص، رداء.
- (٣٣) الإيغال: المبالغة والمغالاة.
- (٣٤) سرحة: الشجر العظيم. فضل: بقية الشيء.
- (٣٥) الأرسال: جمع رسل وهو الجماعة من كل شيء.
- (٣٦) الأنداد: جمع ند وهو المثل كالنديد.
- (٣٧) التخطر: التبخر. الاختيال: الزهو والعجب.
- (٣٨) الذيل من الثوب: ما جر على الأرض.
- (٣٩) ماء زلال: عذب بارد صاف.
- (٤٠) غمره الماء: غطاه.
- (٤١) لا تريموا: الزموا أماكنكم.
- (٤٢) الذبال: جمع ذبالة وهي الفتيل. الفرقد: نجم يهتدى به.
- (٤٣) يشير إلى أن مولد الأميرة كان في وقت استبشر الناس فيه بزوال نذر الحرب التي كان يندلع لهيبتها في سبتمبر سنة ١٩٣٨م؛ بسبب أزمة السوديت التي قامت بين ألمانيا وتشكوسلوفاكيا وانتهت باتفاق ميونيخ)، واستقبلوا فيه ليلة القدر وعيد الفطر فكان مولدها بشير خير وفاتحة عهد سعيد.
- (٤٤) لظى الحرب: لهبها.
- (٤٥) يخاف الشاعر إن دارت رحى الحرب واستعرت نيران القتال أن يصطلي بنارها ويجني مر ثمرها وهو لم يقدر زنادها ولم يضرم شررها ولم يكن من دعائها ومثيريها، فيتمثل ببيت الحارث بن عباد (لم أكن من جناتها)، وقد أنشده في حرب البسوس لما أكره على خوض غمارها.
- (٤٦) الموالي: المصافي.
- (٤٧) الهدال: ما تهدل وتثنى من الأغصان. الدوحة: الشجرة العظيمة.
- (٤٨) السموط: جمع سمط وهو الخيط ينظم فيه.
- (٤٩) الأقياء: الظلال.
- (٥٠) الأسدال: جمع سدل وهو الستر.
- (٥١) الكلال: الإعياء والتعب.
- (٥٢) توالي: تتابع.
- (٥٣) غياهب: الظلمات. الأوجال: الخوف.

مِلَادُ الْأَمِيرَةِ فَرِيَال

(٥٤) المهد: الموضع يهياً ويعد للصبي.

(٥٥) تقبس النور: تأخذه وتستمدّه.

ضنَّ الشعر بالمديح (عام ١٩٤٥م)

قد قرأنا الحياة سَطْرًا فسَطْرًا
ورأينا المِقْدَامَ يسمو إلى العِزِّ
ولمحنّا بجانبه أناسًا
إنَّما المَنْصِبُ الكريمُ بمن فيهِ
قد حبَّسنا المديحَ عن كلِّ مُسْتَا
لا تزيّنُ العقودُ جيدًا إذا لم
رُبَّ دُرٍّ لاقى من الصدرِ دُرًّا
لو مدحنا من لا يَحِقُّ له المد
الرسولُ الكريمُ أنطقَ حَسًّا
وابنُ حَمْدانَ لَقَنَ المتنبي
يصدقُ الشعرُ حينما يصدقُ النا
وإذا عزّتِ المكارمُ ولّى
ومضى يشتكي الزمانَ ويبكي
فإذا شئتَ أن أكونَ زهيرًا

وشهدنا صروفها ألوانًا^١
ز ولا يرتضي النجومَ مكانًا^٢
قَتَلُوا ذُلَّةً وماتوا هوانًا
هـ، وليس القَنَاةُ إلّا سِنانًا^٣
م، وأجدرُ بشعرنا أن يُصانًا^٤
يَكُّ، بالحسنِ قبلها مُزدانًا
وَجُمَانٍ في النَحْرِ لاقى جُمَانًا!^٥
حُ لَوَى الشعرُ رأسه فهجانًا
نًا، ولولاه لم يَكُنْ حَسَّانًا^٦
غُرَرَ المدحِ في بني حَمْدانًا^٧
سُ فيشدو بمدحهم نَشوانًا^٨
مُطَرِّقَ الرأسِ واجمًا حَزِيانًا
دارساتِ الطُّلُولِ والأُطْعمانًا^٩
فأعِنِّي وهاتِ لي ابنَ سِنانًا^{١٠}

هوامش

- (١) صروفها: أحداثها.
- (٢) يسمو: يعلو ويرتفع.
- (٣) القناة: الرماح. سنانا: سنان الرمح.
- (٤) حبسنا المديح: منعنا الثناء. مستام: الذليل المهان.
- (٥) در: لؤلوي ثمين. جمان: حبة من الفضة.
- (٦) حسان: حسان بن ثابت شاعر الرسول، عليه الصلاة والسلام.
- (٧) ابن حمدان: سيف الدولة الحمداني. المتنبي: أبو الطيب أحمد المتنبي الشاعر العربي العظيم. غرر: جمع غرة، أوائل.
- (٨) نشواناً: فرحاً.
- (٩) دراسات الطلول: بقايا الأطلال. الأظعانا: المسافرين.
- (١٠) زهيراً: هو زهير بن أبي سلمى الشاعر الجاهلي العظيم مدح هرم بن سنان لكرمه وفضله ومروءته.

نشيد التاج

أنشدته فرقة معهد الموسيقى العربية بقصر عابدين بمناسبة تولية الملك فاروق آخر ملوك مصر سلطته الدستورية سنة ١٩٣٧ م.

بَسَمَتْ لِمَقْدَمِكَ الْأُمَانِي وَنَزَلَتْ أَحْنَاءَ الْقُلُوبِ
وَشَدَتْ لَطَلْعَتِكَ الْأَغَانِي ب، فَكُنْتَ فِي أَوْفَى مَكَانٍ^١
كَمْ نِعْمَةٍ أَسَدَيْتَهَا مَا لِلزَّمَانِ بِهَا يَدَانِ!^٢
الْيَوْمَ تَلَبَّسَ تاجِ مِصْرَ رَ مُمَلَّكًا مِلْءَ الزَّمَانِ
تاج أضاء كَأَنَّهُ مِنْ صُنْعِ أَيْدِيكَ الْحِسَانِ
مَجْدٌ أَنْافَ عَلَى السَّمَاءِ عِ فَمَنْ يُقَارِبُ أَوْ يُدَانِي؟^٣

فَارُوقُ يَا نَجْمَ الْهُدَى دُمِ لِلْعُلَا
أَدْرَكْتَ غَايَاتِ الْمُنَى مُتَمَهِّلًا
الشَّعْبُ يَلْمَحُ نُورَكُمْ مُتَفَائِلًا
مجد أثيل، دهرٌ مُنِيلٌ، مَلِكٌ نَبِيلٌ
زَيْنُ الْحِمَى سَبَطُ الْبَنَانِ

لِلْهِ تَاجُكَ إِنَّمَا قَدْ صِغَ مِنْ حَبِّ الْقُلُوبِ
لَمَحَاتُهُ بِشُرِّ الْأُمَانِي! ب، فَجَلَّ عَنْ حَبِّ الْجُمَانِ^٤
تَ جَلَالَةٌ وَعُلُوشَانِ تَ جَلَالَةٌ وَعُلُوشَانِ
هِيَ أَوَّلُ وَالْبَدْرُ ثَانِي هِيَ أَوَّلُ وَالْبَدْرُ ثَانِي
عِ، وَدُرَّةُ صِدْقِ التَّهَانِي^٥ عِ، وَدُرَّةُ صِدْقِ التَّهَانِي

كَمْ رَحْمَةٍ ضَمَّتْ لَا لِئُهِ لِمَضَرٍ وَكَمْ حَنَانٍ!
 الْيَوْمَ عِيدٌ بِاسْمِ عِيدِ الْأَمَلِ
 تُزْهِى بِهِ مَضَرٌ عَلَى كُلِّ الدُّوَلِ
 مَنْ كَالْمَلِكِ بِنُبْلِهِ ضُرِبَ الْمَثَلُ؟
 نَفَحَاتُهُ، وَصِفَاتُهُ، وَهَبَاتُهُ
 قَدْ أَعْجَزَتْ وَحْيَ الْبَيَانِ
 حَصَّنَتْهُ بِفَوَاتِحِ الْـ قُرْآنِ وَالسَّبْعِ الْمَثَانِي^٧
 نَالَتْ بِهِ مَضَرُ الْمُنَى وَتَفَيَّاتُ ظِلِّ الْأَمَانِ
 مَلِكٌ مَشَى الدَّهْرُ الْجَمُوعُ حُ إِلَيْهِ مَرْجِي الْعِزَّانِ
 أَعْلَى أَبُوكَ بِنَاءَ مِصْرَ رَ وَكَانَ جَدُّكَ خَيْرَ بَانِي
 الْخَيْرُ أَسْبَقُ لِلْبَقَا ءِ مِنْ السَّوَابِقِ فِي الرَّهَانِ
 وَالْبِرُّ فِي آنٍ يُفَا دُ، وَذِكْرُهُ فِي كُلِّ آنٍ
 فَاهُنَا بِمُلْكِكَ إِنَّهُ بِكَ يَحْتَمِي
 وَاسْعُدْ فَكُلُّ مَجَادَةٍ لَكَ تَنْتَمِي
 وَاسْلَمْ لِمَضَرٍ عِمَادَهَا فِي الْمُعْظَمِ
 عَاشَ الْمَلِكُ، عَاشَ الْمَلِكُ، عَاشَ الْمَلِكُ
 بِالْقَلْبِ يُحْمَدُ وَاللِّسَانِ

هوامش

- (١) أحناء: داخل. أوفى: أشمل، أأمن.
- (٢) أسديتها: أديتها.
- (٣) أناف: ارتفع علا حتى قرب من السماء.
- (٤) سبط البنان: حسن الهيئة سخي كريم.
- (٥) حب القلب: سويداؤه. الجمان: حبة من الفضة كالدرة.
- (٦) شذراته: صغار اللؤلؤ.
- (٧) فواتح القرآن: هي بسم الله الرحمن الرحيم. السبع المثاني: فاتحة الكتاب وهي الحمد لله رب العالمين إلى آخر السورة.

تقريظ

بعث الشاعر بهذه القصيدة لأحد أصدقائه الأدباء بمناسبة كتابته لقصة مصرية عام ١٩٠٥ م.

أصبحتَ في الكتابين المُفردَ العَلَمَا^١
ماذا عليكَ إذا سَمَّيْتُهَا كَلِمَا؟^٢
فما أَثِمْتُ، ولا شرَّابُهَا أَثِمَا^٣
وتوقَّظُ الدينَ والآدابَ والكَرَمَا^٤
وفي كتابك شيخًا ينثُرُ الحِكَمَا^٥
فكاد يلمُسُهُ قُرَّاءُوه وهَمَا^٦
وكم حديثٍ تَمَنَّتْ عنده الصَّمَمَا!
من المجيدينَ أَلَّا يَحْمِلَ القَلَمَا^٧
وصُغِتَ فيه كَرِيمَ اللَّفْظِ ملْتَمَمَا^٨
بِدُرٍّ لَفْظُكَ مَنْثُورًا وَمُنْتَظَمَا^٩
بدائعُ الكونِ فيها صُوِّرَتْ نَعَمَا^{١٠}
إذا بَكَى الغَيْثُ في أنحائه ابتسَمَا^{١١}
لا يرهَبُ الحِنْتُ من لَمَ يُخْطِئِ القِسَمَا!^{١٢}

كَفَاكَ، حَسْبُكَ هَذَا، أَغْمِدِ القَلَمَا
مَلَأْتَ لِلشَّرْبِ كَاسَاتٍ مُشْعَشَعَةً
أَهْدَيْتَهَا من عصيرِ الفِكرِ صَافِيَةً
تَفُلُّ من موطنِ الأسرارِ سَوْرَتَهُ
نَراكَ فينا غَلَمًا في غَضَارَتِهِ
بدا الخيالُ به في زِي ذِي شَبَحٍ
مَالَتْ لَهُ أُنْزِي من بعد جَفَوْتِهَا
أَبْدَعْتَ فِيهِ، فَآلَى كُلُّ ذِي قَلَمٍ
وَسُقْتَ فِيهِ حَكِيمَ الرَّأْيِ مَنَاحِلًا
وَرُغْتَ كُلَّ فَتَاةٍ فِي قِلَادَتِهَا
كَأَنَّمَا لَفْظُهُ أَلْحَانُ سَاجِعَةٍ
أَوْ رَوْضُ حَزْنٍ أَعَارَ المِسْكَ نَفْحَتَهُ
أَقْسَمْتُ أَنَّكَ فِي الكُتَّابِ سَيِّدُهُم

هوامش

- (١) حسبك: يكفيك. اغمد: أدخل.
- (٢) للشرب: لجماعة الشاربين. مشعشة: ممزوجة.
- (٣) أثمت: أذنبت. شرابها: شاربوها والمقصود القراء.
- (٤) تفل: تقطع. موطن الأسرار: كناية عن القلب. سورته: حدته.
- (٥) غضارته: الغضارة، النعمة والسعة والنضرة.
- (٦) زي: لباس. ذي شبح: شخص. وهما: غلطا.
- (٧) آلى: أقسم.
- (٨) منتخلًا: مختارًا.
- (٩) رعت: أخفت. قلاذتها: حليها. در: لؤلؤ. لفظك: كلماتك. منثور: نثرًا. منتظمًا: منظومًا شعرًا.
- (١٠) ساجعة: الحمامة المرددة صوتها كالغناء.
- (١١) روض حزن: الحزن ما غلظ من الأرض ورياض أبهى الرياض وأجملها.
- (١٢) الحنث: الحلف في القسم.

تَحِيَّةُ الشَّعْرِ لِلْأَمِيرَةِ

أرادت مدرسة الأميرة فوزية الثانوية للبنات سنة ١٩٣٣م أن تتوج أول جزء من أجزاء مجلتها، فصدرته بهذه القصيدة.

واصدَحَ بخيرِ الأنساتِ	حَيَّ الخِلالِ الطاهراتِ
لِ الْمَلِكِ، باهرةَ الصفاتِ	حَيَّ الأميرةَ في جلا
كِ الصَّيْدِ والغُرِّ السَّراةِ ^١	(فوزيةً) بنتَ المُلُو
أَجْزَلُوا نورَ الحياةِ ^٢	الواهبين لمصرَ فيما
يَخْتالُ بينَ الخافقاتِ ^٣	والناشرين لواءها
من بين أطواء الرِّفاتِ ^٤	والنازعين ترائها
هُ على البلادِ الأخرياتِ	قامتُ بهم مصرُ تَتِي
هِ بالقُطوفِ الدانياتِ ^٥	في حاضرِ كالروضِ زا
جيدَ العُصورِ الخالياتِ ^٦	وجلائلٍ قد زَيَّنتُ
عَ وقِبلةَ المُتعلِّماتِ	يا دُرَّةَ التَّاجِ الرفي
وكلُّ فَضْلٍ منك آتٍ	هذي مجلَّتُنا إليك،
بِقَبُولِها جُهدَ الفتاةِ	جُهدُ الفتاةِ، فشجَّعي
نَ وأنتِ زَيْنُ الناشئاتِ ^٧	(فاروقُ) زَيْنُ الناشئ
تِ وأنتِ أسمى النِّيراتِ ^٨	والشمسُ إحدى النِّيرا
نُبلٍ من بَعْدِ الشَّتاتِ	اللهِ جَمَعَ فيكَ شَمَلَ الن
فَهَزَّ أعطافَ النَّباتِ ^٩	خَلَقَ كما خَطَرَ النَّسيمُ

أُنْقَى مِنَ الدَّرِّ الْفَرِّ	يَدِ يَزِينُ صَدْرَ الْحَالِيَاتِ
وَشَمَائِلُ عَلَوِيَّةُ	أَصْفَى مِنَ الْمَاءِ الْفُرَاتِ ١٠
الطَّالِبَاتُ — كَمَا تَرَّ	يُنَّ — وَأَنْتِ ذَخْرُ الطَّالِبَاتِ
يَبْعَثُنَّ آيَاتِ الْوَلَا	ءِ إِلَى الْأَمِيرَةِ مُخْلِصَاتِ ١١
وَيُطْفَنُ بِالْبَيْتِ الْكَرِّ	يَمُ مَكْبَرَاتِ دَاعِيَاتِ
بَيْتُ بِنَاهُ مَحَمَّدُ	فَوْقَ النُّجُومِ السَّابِحَاتِ ١٢
لِبِنَاتِهِ الْمَجْدُ الْعَرِّ	يُقُ وَصَحْرُهُ خُلُقُ النَّبَّاتِ ١٣
فِيهِ فَوَادٍ بَاعَثُ الْـ	أَمَالِ فَيَاضُ الصَّلَاتِ ١٤
الدَّهْرُ يَزُوي فَضْلَهُ	وَالدَّهْرُ رَاوِيَةُ الرُّوَاةِ
وَالْمَلِكُ مُؤْتَلِقُ السَّنَا	فِيهِ الْعَشِيَّةُ كَالْغَدَاةِ ١٥
عَاشَ الْمَلِيكُ وَعِشْتُمْ	رَمَزَ الْعُلَا وَالْمَكْرُمَاتِ

هوامش

- (١) الصيد: جمع أصيد. وهو المزهو في عز وعظمة. الغر: السادة الشرفاء. الواحد: أغر. السراة: الأجواد الكرماء، الواحد: سرى. وسراة، من الجموع النادرة.
- (٢) أجزلوا: أوسعوا في العطاء وأكثروا.
- (٣) اللواء: العلم. ويريد بنشر لواء مصر: تمكين سلطانها وإعزاز شأنها. يختال: يعجب. الخافقات: الأعلام، يريد أعلام الدول الأخرى، أو الخافقات الرياح الأربع.
- (٤) النازعون: المستخلصون. التراث: ما خلفه الأوائل. الأطواء: الثنايا. الرفات: ما تحطم وبلي.
- (٥) القطوف: ما يقطف من الثمار. الواحد: قطف (بالكسر). دانية: قريبة.
- (٦) جلائل: أي أعمال عظيمة. الجيد: العنق. الخاليات: الماضية.
- (٧) فاروق: ولي العهد إذ ذاك.
- (٨) النيرات: الكواكب المضيئة.
- (٩) خطر: مر. الأعطاف: الجوانب، الواحد عطف.
- (١٠) الشمال: الطباع. الواحدة شمال (بالكسر). الفرات: المفرط في العذوبة.
- (١١) آيات الولاء: مظاهر الإخلاص ودلائل الوفاء.

(١٢) النجوم السابحات: التي تدور في أفلاكها. محمد: أي محمد علي باشا رأس الأسرة العلوية.

(١٣) اللبنة: ما يضرب من الطين للبناء. الواحدة: لبنة.

(١٤) فياض الصلات: كثير العطاء واسع الجود.

(١٥) مؤتلق: متألق متلألئ. السنا: الضوء.

إلى جريدة

عام ١٩٠٦ م

محوّت الليلَ ناصعةَ الجبينِ
وأرسلتِ الصّحائفُ منك نورًا
وكان الحقُّ مذكومًا سجينًا
وكنّتِ صحيفةَ الأبرارِ حقًا
سوادُ مدادك اللّماحُ سحرٌ
أثيري التّربّ عن حقِّ مُضاع
ومُدّي الصوتِ صخبًا جريئًا
وذودي عن حمى الوطنِ المفدّى
وصولي صولةَ الرّئبالِ يعدو
فنحن الآنَ نحيا في زمانِ

فكنّتِ بشائرَ الصّبحِ المبينِ^١
ففرّ الشكُّ من وَضَحِ اليقينِ
فحطّمتِ القيودَ عن السجينِ^٢
تلقّتِ الكنانةُ باليمينِ^٣
تمنّت مثله سودُ العيونِ
فقد طال المُقامُ على الدفينِ!
فمعنى الموتِ من معنى السكونِ!^٤
وردّي حرمةَ الحقِّ المصونِ
على من حام من حوّل العرينِ^٥
تنكّر للضعيفِ المستكينِ!

هوامش

(١) محوت: أزلت. ناصعة: بيضاء. بشائر: أوائل. المبين: الواضح.

(٢) مذكومًا: معييًا.

(٣) الأبرار: المطيعون. الكنانة: مصر.

ديوان علي الجارم

(٤) مدادك: حبرك الذي يكتب به.

(٥) صخاباً: كثير الضوضاء.

(٦) الرئبال: الأسد. العرين: بيت الأسد.

نشيد المعلمين

نشأ الجارم معلماً وأستاذًا، فلا أقل وهو الشاعر المبدع أن يشيد — من خلال شعره
ومن موقع الوفاء — بهذه المهنة الشريفة ويأربابها الشرفاء من معلمي مصر. فكان هذا
النشيد «نشيد المعلمين» عام ١٩٣٨م.

ملكْتُ مصرُ زِمَامَ العالمين — بالعلوم — في حديثٍ للمعالي وقديم^١
ذكرُها حلَّق بين الأولين — للنجوم — ووعاهُ الدهرُ والدهرُ فطيم^٢
كوكبٌ في الظلماتِ — روضةً وسطَ فلاةٍ — رمزُ عزمٍ وحياة^٣
مصرُ أنتِ — مُذْ نشأتِ — صفحة المجدِ سجلُ الخالدين

نحن حِرَّاس على الكنزِ المصون — العقول — كنزُ مصر ومُنَى المستقبلِ
نحنُ للأخلاق في مصرَ حصون — لا تزول — عزَّة الشعبِ بعزِّ المعقل^٤
كم غَرَسْنَا من نبات — عبقرِيَّ النفحاتِ — مُورِقُ داني الجناة^٥
كم جهَدْنَا — كم سهَدْنَا — نهْدُمُ الجهلَ ونبني الناشئين

تلك في الأرضِ حياة الأنبياء — والهُدَاة — شَرَفٌ أعْظَمُ به من شَرَفِ
نحنُ للأرواحِ إن عزَّ الدَّوَاءُ — الأساة — كم وقينا مهجَةً من تلف^٦
وَأَلْنَّا مِنْ قَنَاة — في اعتزامٍ وأناة — بالخلال الطيِّباتِ^٧
كَمْ بَلَّغْنَا — ما أَرَدْنَا — من صلاح النفسِ في رفقٍ ولين

* * *

نرَقُبُ الله ونرجوه الثوابُ — في العَمَلِ — وعُلا مصر المنالُ الأوحْدُ
ما لنا إلا نُهوِض بالشبابِ — مِنْ أَمَلٍ — قُوَّةُ الأوطانِ عقل ويد
حسبنا من حسناتِ — أننا في النَهَضَاتِ — أهلُ جدٍّ وثباتِ
الكفاحِ — والفلاحِ — شيمَةُ الحُرِّ ودأْبُ العامِلينَ^٨

* * *

كم صَنَعْنَا مِنْ عَقُولٍ وَرِجَالٍ — لِلوَطَنِ — عُرِفُوا بالنبلِ فيمن عُرِفَا
ليس فيهم من دعا الحقَّ فَمَالَ — أَوْ وَهَنَ — هو مصريٌّ صميمٌ وكفى^٩
هُوَ من نسلِ الكُماةِ — الأماجيدِ السُّراةِ — من أتوا بالمعجزاتِ^{١٠}
من يُباهي؟ — من يُضاهي؟ — ما لمصرٍ في مدىِ المجدِ قرينُ^{١١}

* * *

منشئُ الأجيالِ أستاذُ الشعوبِ — والأُممِ — قَلَمًا يبلغ في الدنيا مُناهَ
شعلةً تَعْلُو وتخبو وتذُوبُ — في الضَرَمِ — لتَقودَ النشئَ في ليلِ الحياةِ^{١٢}
يا لها من صفحاتٍ — طاهراتٍ ناصعاتٍ — مُلئتِ بالصالحاتِ
كلُّ خَطْبٍ — كُلُّ صَعْبٍ — هَيِّنِ إِنَّ صَحَّ عَزَمُ الصابرينَ

* * *

عاشَ فاروقُ أمانًا وَرَجاءَ — عاشَ عاشَ — رافعُ العَلَمِ ومُحيي الأملِ
بلغتْ مصرٌ به أَوْجَ السَّمَاءِ — عاشَ عاشَ — وَعَدَتْ سَيِّدة في الدُّولِ
عاشَ ربُّ المكرماتِ — والأَيادي السابغاتِ — يُفَتدى بالمهجاتِ
المليكِ — المليكِ — حُبُّه مَلء قلوب المخلصينَ

هوامش

- (١) زمام: قيادة.
- (٢) فطيم: في مرحلة الفطام أي صغير.
- (٣) فلاة: مفازة، صحراء.
- (٤) المعقل: الأصل أو الملجأ. أو الشرف والسيادة.
- (٥) الجناة: الحصاد والجنى.
- (٦) الأساة: الأطباء. تلف: إفساد.
- (٧) قناة: رمح. أناة: تمهل وصبر.
- (٨) دأب: استمرار العمل دون تعب أو كلل وملل.
- (٩) وهن: ضعف.
- (١٠) الكماة: رماة القوس والمقصود المحاربون الشجعان. الأماجد: السادة الأشراف.
- (١١) قرين: شبيهه.
- (١٢) تخبو: تسكن وتهدأ. الضرم: الحطب الذي يسرع اشتعال النار فيه.

الإسكندرية

أنشد الشاعر هذه القصيدة في حفل افتتاح المؤتمر الطبي العربي الذي عقد بحديقة
النزهة بالإسكندرية عام ١٩٤٣م أثناء الحرب العالمية الثانية.

بَدَتْ أَعْلَامُهَا فَهَهَا وَهَامَا	سَلَامًا دُرَّةَ الْوَادِي سَلَامَا ^١
بَعَثْنَا بِالتَّحِيَّةِ خَفَقَ قَلْبُ	يَطِيرُ إِلَيْكَ شَوْقًا وَاضْطَرَامَا ^٢
تَحِيَاتُ إِذَا رَفَّتْ أَثَارَتْ	أَرِيحَ الْمَسْكِ أَوْ رِيحَ الْخُزَامَى ^٣
نَظْمُنَا لَوْلَا الْفِرْدَوْسِ فِيهَا	وَسَمَّيْنَاهُ تَضْلِيلًا كَلَامَا

عُرُوسَ الشَّرْقِ دُونَكَ كُلُّ مَهْرٍ	وَأَيْنَ لِمِثْلِ مَهْرِكَ أَنْ يُسَامَا؟ ^٤
فَجَوْهَرُ ثَغْرِكَ الْفَتَّانِ فَرْدُ	تَأَبَّى أَنْ يَرَى فِيهِ انْقِسَامَا ^٥
بَهَرَتْ بَنِي الزَّمَانِ حُلَى وَحُسْنًا	وَدَلَّهَتْ الْأَوَاخِرَ وَالْقَدَامَى ^٦
«فَمَكْسُكَ» مُشْرِقُ الْبَسَمَاتِ ضَاخ	«وَرَمْلُكَ» جَنَّةٌ طَابَتْ مُقَامَا ^٧
تَرَامَى الْمُؤُجُ فَوْقَ ثَرَاهُ صَبًّا	وَكَمْ صَبٌّ تَمْنَى لَوْ تَرَامَى! ^٨
«وَنَزَهْتِكَ» الْبَدِيعَةُ مَا أَحْيَلَى	وَمَا أَبْهَى اتِّسَاقًا وَانْسِجَامَا ^٩
إِذَا انْتَثَرَتْ أَزَاهِرُهَا نِثَارًا	جَمْعَنَ الْحَسَنَ فَانْتَضَمَ انْتِظَامَا ^{١٠}

جَرَى التَّارِيخُ بَيْنَ يَدَيْكَ طِفْلًا	وَشَمْسُ الْأَفَقِ لَمْ تَعُدْ الْفِطَامَا ^{١١}
وَصَالَ الْبَحْرُ حَوْلَكَ مِنْذُ «مِينَا»	عَظِيمًا يَدْفَعُ الْكُرْبَ الْعِظَامَا ^{١٢}

يحوطُ حماك أبيضَ أخوذياً كما جرّدت من غمدٍ حُساماً^{١٣}
فكم غاز به أمسى رميماً وكم فُلكٌ به أمست حطاماً^{١٤}
يمدُّ يديه نحوك في حنانٍ ويغمرك اعتناقاً واستلاماً^{١٥}
ويشدو في مسامعك الأغاني بلحنِ علمِ السجعِ الحَمَامَا^{١٦}
بعثتِ النورَ من زمنٍ تولّى وكنتِ لنهضةِ العلمِ الدَّعَامَا
وفي فجرِ الزمانِ طلعتِ فجرًا على الدنيا، فأيقظتِ النِّيَامَا

* * *

دهتك نوازلُ لو زُرْنَ «رَضَوَى» لما أبقيْنَ «رَضَوَى» أو «شَمَامَا»^{١٧}
فكم بعثوا على ظمأ غَمَامَا لئيمِ البرقِ قد حجب الغماما!^{١٨}
أبابيلاً نشأْنَ مُلَعَّنَاتٍ تسوقُ أمامها الموتَ الرُّؤَامَا^{١٩}
وأسرابِ الجحيمِ مُحَلِّقَاتٍ إذا ما حومتْ قذفتْ ضَرَامَا^{٢٠}
فلا أمّا تركن ولا رضيعاً ولا شيخاً رجمن ولا غلاما
وخلقك رابضاً جيشُ لُهامٍ يصولُ مُناجراً جيشاً لُهاما^{٢١}
إلى «العلمين» أبدى ناجذيه وزمجرَ غاضباً وسطا وحاما^{٢٢}
وهوّل ما يهوّل واستطارت بُروقُ تنشرُ النبأَ الجُسامَا^{٢٣}
فما أطلقتِ صيحةَ مُستجيرٍ ولا شرّدتِ عن عينِ منامَا^{٢٤}
تحدّيتِ الخطوبَ تزيّدُ هَوًّا فتزدادين صبراً واعتزاما^{٢٥}
إذا عصفت بجوك عابساتٍ ملأتِ الجوَّ هُزْءاً وابتنساما^{٢٦}
«عمودك» في سمائك مُشمخِرٌ عليه السحبُ ترتطمُ ارتطاماً^{٢٧}
«وحصنك» لا يلينُ له حديدُ ولو شهبُ الدُّجَى كانت سهاما^{٢٨}
وصخرُك لا يزال اليومَ صخرًا يفلُّ عزائمًا ويشقُّ هامَا^{٢٩}
أتوك مُناجزين أسودَ غابٍ وشالوا بعد نكبتهم نَعَامَا^{٣٠}
ومن يكن الإلهُ له نصيرًا فحاشا أن يُضَيِّعَ أو يُضَامَا!^{٣١}

* * *

أحقًا أن لي لك صار ليلاً ومغنى اللهو قد أمسى ظلاما؟^{٣٢}
وأن جدادَ لي لك طرّزته دُموعٌ للتواكل واليتامى؟^{٣٣}

وَأَنْ مَلَاعِبًا ضَحِكْتَ زَمَانًا غَدَتْ بِيدِ الْبَلَى طَلَلًا رُكَّامًا؟^{٣٤}
وَأَنْ الْغَيْدَ فِيكَ وَكَنْ زَهْرًا تَخَيَّرَنْ الْخُدُورَ لَهَا كِمَامًا؟^{٣٥}
وَأَنْ الْبَحَرَ لَمْ يَنْعَمْ بِوَجْهِ صَبَاحِي، وَلَمْ يَهْصُرْ قَوَامًا؟^{٣٦}
وَلَمْ تَمْشِ السَّوَاخِرُ فِيهِ صُبْحًا وَلَمْ تَمْلَأْ شَوَاطِئَهُ غَرَامًا؟^{٣٧}
حَنَانًا إِنَّهَا شَيْمُ اللَّيَالِي إِذَا كَشَفْنَ عَنْ غَدْرِ لَثَامًا؟^{٣٨}
وَلَوْلَا صَوْلَةُ الْأَحْدَاثِ فِينَا لَمَا عَرَفَ الْوَرَى حَمْدًا وَذَامًا؟^{٣٩}
وَقَدْ يُخْفِي الْهَلَالَ مُحَاقَ لَيْلٍ لِيُظْهَرَ بَعْدَهُ بَدْرًا تَمَامًا؟^{٤٠}

أَبْنَتَ الْبَحْرِ، وَالذَّكْرَى شُجُونُ إِذَا لَمَسْتُ فَوَادًا مُسْتَهَامًا؟^{٤١}
ذَكَرْتُ صَبَايَ فِيكَ، وَأَيْنَ مِنِّي صَبَايَ؟ إِلَامٌ أَنْشُدَهُ إِلَامًا؟
فَعَذْرًا إِنْ وَصَلْتِ بَعْدَ هَجْرٍ وَمَا هَجَرَ الَّذِي حَفِظَ الذُّمَامَا؟^{٤٢}
فَهَلْ تَدْرِي النَّوَى أَنَا التَّقِينَا كَمَا ضَمَّ الْهَوَى قُبْلًا تُوَامَا؟^{٤٣}
وَأَنَا بَيْنَ عَتَبٍ وَاشْتِيَاقٍ نِنَاغِي الْحَبَّ رَشْفًا وَالتَّزَامَا؟^{٤٤}

سَعَى لِكَ مِنْ حُمَاةِ الطَّبِّ حَشْدُ فَكُنْتُ كَرِيمَةً لَاقَتْ كِرَامًا؟^{٤٥}
إِذَا اخْتَلَفُوا لَوَجْهِ الْحَقِّ يَوْمًا مَشَوْا لِلْحَقِّ فَالْتَأَمُوا التَّامَا
مَلَائِكَةُ إِذَا لَمَسُوا عَلِيًّا أَزَاحُوا الدَّاءَ وَاسْتَلُّوا السَّقَامَا؟^{٤٦}
وَجُنْدٌ فِي شَجَاعَتِهِمْ حَيَاةً إِذَا جَلَبَ الْجَنُودُ بِهَا الْجِمَامَا؟^{٤٧}
فَكَمْ أَوْدَى بِهِمْ دَاءٌ عُقَامُ إِذَا مَا حَارَبُوا دَاءً عُقَامَا؟^{٤٨}
أَمَامًا يَا رَجَالَ الطَّبِّ سَيَرُوا فَإِنَّ لِكُلِّ مَرْحَلَةٍ أَمَامَا
أَقَمْتُمْ مَهْرَجَانَ الطَّبِّ يُخَيِّي مَعَالِمَ دَرْسِهِ عَامًا فَعَامَا
وَطَفْتُمْ حَوْلَ شَيْخٍ عَبْقَرِيٍّ فَأَلْقَيْتُمْ بِكَفِّهِ الزُّمَامَا؟^{٤٩}
دَعَوْنَاهُ أَبَا حَسَنِ «عَلِيًّا» فَقُلْتُمْ: نَحْنُ نَدْعُوهُ الْإِمَامَا؟^{٥٠}

وَفُودَ الْعُرْبِ غَنَّاكُم قَرِيضِي وَحَنَّ إِلَى مَعَاهِدِكُمْ وَهَامَا

رَمَى الشَّرْقُ الغِمامَةَ بعدَ لأَيٍّ وأَلْقَى تحتَ رِجْلَيْهِ الخِطاماً^{٥١}
عَقَدْنَا للعُروبةَ فيه عهداً فلا وهناً نخاف ولا انفصاماً^{٥٢}
تَلُمُ شَتَاتِنَا أَنِّي نزلنا حِجَاراً أو عِراقاً أو شَأماً^{٥٣}
ونمشي إن دعت صَفّاً فصفاً نصافح تحتَ رايَتِها الوِثاماً^{٥٤}

هوامش

- (١) هفا: اشتاق وحن.
- (٢) اضطراما: التهابا.
- (٣) رفت: تحركت. أريج المسك: رائحة المسك النفاذة الذكية. الخزامى: نبت زهره أطيب الأزهار ويستعمل كدواء.
- (٤) يساما: سام المشتري الشيء قدر له ثمناً.
- (٥) تأبى: تمنع.
- (٦) حُلِي: زينة وجمالاً. دلته: جعلتهم يتدلهون في حبك.
- (٧) مكسك: حي المكس الشهير بالإسكندرية. ضاح: واضح. رملك: حي الرمل بالإسكندرية. طابت: حسنت.
- (٨) صباً: مغرماً.
- (٩) نزهتك: حي النزهة بالإسكندرية.
- (١٠) نثاراً: تفريقاً وانتشاراً وهو تأكيد.
- (١١) تعد: تتعدى. الفطام: مرحلة الفطام أي: في الصغر.
- (١٢) مينا: أول ملك من ملوك مصر الفرعونية من الأسرة الأولى وموحد الوجهين (البحري والقبلي).
- (١٣) حماك: كنفك. أبيض: لونه أبيض واسمه الأبيض. أحوذياً: النشيط السريع فيما يعمل. جردت: أخرجت.
- (١٤) غاز: عدو أتى غازياً. رميماً: بالياً. فلك: سفينة.
- (١٥) اعتناقاً: ضمّاً. استلاماً: تقبيلاً.
- (١٦) السجع: الكلام المسجوع، هديل الحمام.

(١٧) دهتك: أصابتك ودهمتك. نوازل: كوارث. رضوى: جبل رضوى الشهير بالمدينة. شماما: جبل. يذكر الشاعر غزو الألمان لمصر من الصحراء الغربية أثناء الحرب العالمية الثانية وما أصاب الإسكندرية من غاراتهم.

(١٨) غماما: سحابا. لثيم البرق: ذو برق خبيث وكريه. والمقصود الطائرات التي كان يرسلها الألمان لضرب الإسكندرية بالقنابل في أعداد كبيرة غطت على السحاب في سمائها.

(١٩) أبابيل: فرقا متجمعة متتابعة وفيها إشارة إلى الطير الأبابيل التي ترمي بحجارة من سجيل كما جاء ذكر ذلك في سورة الفيل. الزؤاما: المختوم.

(٢٠) أسراب: جماعات. حومت: دارت حول الشيء. ضراما: نارا مشتعلة.

(٢١) رابضاً: معسكراً منتظراً. لهام: عظيم كثير العدد. مناجراً: محارباً.

(٢٢) العلمين: موقعة شهيرة وحاسمة في الحرب العالمية الثانية، وسميت بهذا الاسم نسبة إلى البلد التي وقعت فيها حيث انتصر الحلفاء على الألمان، وكان الجيش المصري يحارب مع الحلفاء. أبدى ناجذيه: كثر عن أنيابه. زمجر: صاح غاضباً. سطا: بطش وقهر. حاماً: دار وحارب في ميدان القتال.

(٢٣) هول: أفزع. استطارت: انتشرت. الجساما: العظيم.

(٢٤) مستجير: مستغيث. شردت: بعدت.

(٢٥) اعتزاماً: قوة وصرامة ونفاذ أمر.

(٢٦) هزءاً: سخرية.

(٢٧) عمودك: عمود السواري وهو أحد معالم الإسكندرية. مشمخر: مرتفع شاهق.

(٢٨) حصنك: المقصود قلعة «قايتباي» الشهيرة على البحر. شهب الدجى: نار

تسقط من السماء فتضيء في ظلمة الليل.

(٢٩) يفل: يكسر. هاماً: رأس الشيء وأعلاه.

(٣٠) مناجزين: محاربين. وشالوا: هزموا وقهروا وانقلبوا عائدتين وهم كالنعام أي:

جبناء.

(٣١) يضاماً: يظلم.

(٣٢) مغنى اللهو: مكان اللهو والغناء.

(٣٣) حداد: ثياب المأتم السود. طرزته: شغلته وصنعتة.

(٣٤) غدت: أصبحت. البلى: القدم. طللاً: بقايا البناء. ركاما: تراكمت أحجاره

بعضها على بعض.

(٣٥) الخدور: جمع خدر وهو مكان الإقامة. كاماما: ورق الزهرة الذي يحيط بالثمرة.

(٣٦) صباحي: جميل. يهصر: يضم بقوة.

(٣٧) السواحر: الماشيات في الوقت قليل الصباح.

(٣٨) شيم: عادات، صفات. لثاما: نقابا. وهو الستر الذي يخفي الوجه.

(٣٩) صولة: جولة. الوري: الخلق. زاما: عيباً وذمّاً.

(٤٠) محاق: ثلاث ليال من آخر الشهر العربي والمراد الظلام.

(٤١) مستهام: هائم محب.

(٤٢) حفظ الذماما: رعى حرمتك، ثبت على عهدك.

(٤٣) النوى: البعد وكثرة الأسفار. تؤاما: جمع تؤام وهو المولود مع غيره.

(٤٤) عتب: عتاب. التزاماً: عناقاً.

(٤٥) حماة الطب: المدافعون عنه وهم الأطباء الذين نزلوا بالإسكندرية وشاركوا في المؤتمر.

(٤٦) استلوا: نزعوا، استخرجوا. السقاما: الأمراض.

(٤٧) الحماما: الموت.

(٤٨) أودى: أهلك. داء عقام: داء عضال.

(٤٩) شيخ عبقرى: المقصود الدكتور علي إبراهيم باشا رئيس المؤتمر. الزماما:

القيادة.

(٥٠) أبا حسن علياً: لقب الإمام علي — كرم الله وجهه — وللدكتور علي إبراهيم

باشا نجل هو الأستاذ الدكتور حسن علي إبراهيم الجراح المشهور.

(٥١) الغمامة: ما يوضع على عيني الدابة كي لا ترى. لأي: تعب ومشقة، جهد.

الخطاما: حبل يوضع في فم البعير ليقاد به.

(٥٢) وهنا: ضعفاً. انفصاما: تفرق.

(٥٣) شتاتنا: تفرقنا. شأما: بلاد الشام.

(٥٤) رايتها: علمها. الوثام: الوفاق.

الجزء الثاني

تقديم

بقلم علي الجارم

هذا هو الجزء الثاني من شعري، أضعه بين يدي كل أديب، وأنشر صفحاته أمام كل شاعر، وأرسل صيحاته في سماء مصر وأرجاء العروبة.

شعر كانت أوزانه من نبضات قلبي، وبحوره من قطرات دمعي، هتفت به فكان صدّى لروحي وخفقة لنفسي، ثم أهديته إلى مصر وأبناء مصر، وأشدت فيه بالشرق وأبناء الشرق، وشدوت بالبطولة والأبطال، وحفزت به شباب العرب إلى الاعتزاز بقومهم والتغني بالشرف التالد والمجد القديم.

شعر نصر الفصحى فنصرته، وصان لها ديباجتها فصانته، وخط للناشئين مثلاً فيه نبل القديم وجدة الحديث. وأبان أن العربية تستطيع أن تقول في كل شيء دون أن يمسّها من آفات العجمة شيء.

والشعر لا يقاس بالكثرة، ولا يوزن بالقنطار، وإنما هو فن من أدق الفنون حساً، وأبعدها عن طالبيه منالاً. فليس كل ما صحت تفاعيله شعراً، وليس كل ما حواه إطار فناً.

إنما الشعر على كثرته لا ترى فيه سوى إحدى اثنتين
نفحةٌ قدسيةٌ أو هذرٌ ليس في الشعر كلام بين بين!

محمد رسول الله

ألقى الشاعر هذه القصيدة احتفاءً بالمولد النبوي الشريف سنة ١٣٦٢هـ/ ١٩٤٣م.

ومن قَطَرَاتِ المَزْنِ أَصْفَى وَأَعَذَبُ^١
يكادُ لها فحْمُ الدَجَى يتلَهَّبُ^٢
فيخْفِقُ غِيظًا بِالْجَنَاحِ وَيَضْرِبُ
وَأَنَّ كَمَا أَنَّ السَّجِينَ الْمُعَذَّبُ
ويا رَبِّ جُرْحِ حَارٍ فِيهِ الْمُطَبَّبُ^٣!
فِيَبْعَثُ أَمَالَ الشَّجِيِّ وَيَذْهَبُ
رَأَى الدَّهْرَ يَلْهُو، وَالْأَمَانِيَّ تَكْذِبُ
وَصَبْرِي عَلَى تِلْكَ الْعَجَائِبِ أَعْجَبُ
زَمَانُ بِأَشْوَاكِ الْحَقَائِقِ مُخْصِبُ^٤
وَصَفَّقْ لَهُ فِي دَوْرِهِ حِينَ يَلْعَبُ^٥
مِنَ الْأَمْرِ مَا يَأْتِي وَمَا يَتَجَنَّبُ
أَثَيْتُ، وَمَا يَدْرِيه وَالشَّعْرُ أَشْيَبُ^٦
صُرُوفُ اللَّيَالِي وَالْقَضَاءُ الْمُغَيَّبُ^٧
فَأَيُّ الْمَعَانِي بَعْدَ نَفْسِكَ أَقْرَبُ

تَحِيَّةُ نَاءٍ مِنْ شَذَى الْمَسْكِ أَطْيَبُ
وَتَبْرِيحُ أَشْوَاقٍ إِذَا مَا تَنَفَّسْتُ
وَقَلْبُ يَضِيقُ الصَّدْرُ عَنْ نَبْضَاتِهِ
تَلَفَّتْ فِي الْأَضْلَاعِ حَيْرَانٌ يَائِسًا
تَعَاوَدُهُ الذِّكْرَى فَتَنَنَّا جُرْحَهُ
وَيَخْذَعُهُ طَيْفُ الْخِيَالِ إِذَا سَرَى
وَمَنْ أَبْصَرَ الْأَيَّامَ خَلْفَ قَنَاعِهَا
عَجَائِبُ أَحْدَاثٍ تَلِيهَا عَجَائِبُ
وَلَوْلا حَيَاةُ الْوَهْمِ أَوْدَى بِأَهْلِهِ
تَبَسَّمَ إِذَا مَا الدَّهْرُ قَطَّبَ وَجْهَهُ
يَمُوتُ الْفَتَى مِنْ قَبْلِ أَنْ يَعْرِفَ الْفَتَى
وَسَيَّانُ مَا يَدْرِيه وَالشَّعْرُ فَاحِمُ
وَقَالُوا: حَيَاةُ الْمَرْءِ دَرْسُ فَهْقَهَتِهِ
إِذَا مَا جَهِلَتْ النَفْسُ وَهِيَ قَرِيبَةٌ

وَعَزَّ عَلَى الْأَيَّامِ مَا يَتَطَلَّبُ^٨؟

حَنَانًا لِقَلْبِي كَيْفَ طَاحَتْ بِهِ الْمُنَى

ويختلُّه في مسبحِ الحوت مأرَبُ^٩
 وجيرتُه من صدره يتوثَّبُ
 على لابتَيِّها والعوالمُ غِيْهَبُ^{١٠}
 حياءَ بأهدابِ السحابِ تنقَّبُ^{١١}
 وينفحُها نَشْرُ من الخلد طيِّبُ^{١٢}
 إلى جَنَّةِ الفردوسِ تُعزَى وتُنسَبُ^{١٣}
 من الدِّينِ نهر للهدى ليس ينضبُ^{١٤}
 وإنَّ هو جافِّي الأرض فالخصبُ مجدُّ
 ويزارُ في أذنِ العُتاةِ ويضخَبُ
 له الحقُّ ورْدُ والسماحةُ مَشْرَبُ
 عن الساحةِ الكبرى، ولا القُربُ مُقْرَبُ
 وليس لدى الإسلامِ غَرْبٌ ومَغْرَبُ
 بطيءُ المساعي والشريفُ المهيبُ^{١٥}
 ولا زاد في قدرِ ابنِ أيهم مَنصِبُ^{١٦}
 وإن فَرَّقَتْ أوطانهم وتَشَعَّبُوا^{١٧}
 أجاب على «التاميز» داعِ مُثَوِّبُ^{١٨}
 رأيتُ دموعَ النيلِ حَيْرَى تَصَبَّبُ^{١٩}
 شكَا حاجِرُ منه وأنَّ المَحْصَبُ^{٢٠}

يغازلُه في مطرَحِ النسرِ مأرَبُ
 يكادُ إذا مرَّ الجِجَارُ بذُكْرِهِ
 بلادُ بها الرحمنُ ألقى ضياءه
 تكادُ إذا مرَّتْ بها الشمسُ غُدُوَّةُ
 يجللُها قُدْسُ من الله سابعُ
 إذا نَسَبَ الناسُ البلادَ رأيَتْها
 وإن نَضَبَتْ أنهارُها فَبَحْسِبِها
 إذا ما جَرَى في الأرض فالجذبُ مَخْصِبُ
 يفيضُ على الأقطارِ يُمْنًا ورحمةُ
 تفجَّرَ من نَبْعِ النُّبُوَّةِ ماؤُه
 ووحدَ بين الناسِ، لا البُعدُ مُبْعَدُ
 فليس لدى الإسلامِ شرقٌ ومَشْرِقُ
 همُ الناسِ إخوانٌ سواءَ على الهدى
 فما حَطَّ من قَدْرِ الفَزَارِيِّ فاقَّةُ
 يجمِّعُهم قلبُ على الحقِّ واحدُ
 إذا صاح في «جَيْحُونَ» يومًا مُؤَدِّنُ
 وإن ذَرَفَتْ من جَفْنِ جِلَّةٍ دَمْعَةٌ
 وإن مَسَّ جُرْحُ من فِلَسْطِينِ إصْبَعًا

تتبه به الدنيا ويشرفُ يَعْزُبُ^{٢١}
 ويسطعُ في الليلِ الخُدَّاريِّ كوْكَبُ^{٢٢}
 كما هز أفنانِ الخمائلِ صَيِّبُ^{٢٣}
 فطال عليها صبرُها والترقُّبُ
 وتأتي على اليأسِ المبرحِ أَحْقَبُ^{٢٤}
 عوالمها تشدو بطنه وتَطْرَبُ
 جلالَةُ أنسابِ، ومجدُّ مؤشَّبُ^{٢٥}
 وقد ضاق عن آماله القيقِ سَبَسَبُ^{٢٦}

بنفسي وليدًا في أباطحِ مكة
 أطلَّ عليها مثلما تبسمُ المنى
 وكان لها رمزُ الحياةِ فأشرقتُ
 وكم مدَّتِ الأعناقُ ترقُّبُ لمحَّةُ
 توالَّتْ بها الأيامُ، تذهبُ أَحْقَبُ
 إلى أن بدا نورُ الإلهِ فأقلبتُ
 وليدٌ له عُلْيَا معدَّ ذُؤَابَةُ
 حوته كما اعتاد الأعرابُ جَفَنَةُ

وِيرْعَاهُ مِنْ طَيْفِ النَّبِيِّينَ مَوْكِبُ
قَرَابٍ بِهِ مَاضِي الْغَرَارِ مُشْطَبٌ^{٢٧}
مَنْعُ الصِّيَاصِي، وَالْحَدِيدِ الْمَذْرَبُ؟^{٢٨}
يَثُلُّ عُرُوشَ الْقَاسِطِينَ وَيَسْلُبُ؟^{٢٩}
وَقَالَ لِفَرَسَانِ الْمَلَائِكَةِ: ارْكَبُوا^{٣٠}
وَإِنْ مَلَأُوا الْأَرْضَ الْفَضَاءَ وَأَجْلَبُوا
فِيَّ الْحَسَامِ الْعَضْبِ نَعَمَ الْمُؤَدَّبُ^{٣١}
لِمَنْ سَدَّ أذُنِيهِ الْهَوَى وَالتَّعَصُّبُ
بِأَنَّ مِنَ الْأَشْيَاءِ مَا لَيْسَ يُشْعَبُ^{٣٢}

يَحْيِيهِ مِنْ طَيْفِ الْمَلَائِكِ مَوْكِبُ
فَهَلْ عَلِمَ الرُّومَانُ أَنَّ مَهَادَهُ
وَأَنَّ بِهِ نَفْسًا يُحْطَمُ دُونَهَا
وَأَنَّ بِهِ مِنْ صَوْلَةِ اللَّهِ جَحْفَلًا
لَهُ الْكُونُ مَيِّدَانُ إِذَا سَلَ سَيْفُهُ
يَطِيرُ عِدَاهُ مِنْهُ نُعْرًا وَخَشِيَّةً
وَمَنْ لَمْ يُؤَدِّبْهُ الْبَيَانُ وَهَذِيهِ
فَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ الْحَدِيدَ وَبَأْسَهُ
وَفِي صَدْعَةِ الْإِيوَانِ إِنْذَارُ أُمَّةٍ

تَنَكَّبَتِ الدُّنْيَا بِهِمْ وَتَنَكَّبُوا
فَدَانَ لَهُ سُرُّ الْوُجُودِ الْمَحْجَبُ^{٣٣}
يَمُورُ لَهَا قَلْبُ الْحِيَالِ وَيُرْعَبُ؟^{٣٤}
فَأَيُّ عِبَادِ اللَّهِ يَخْشَى وَيَرْهَبُ؟
مِنَ الصَّبْحِ أَهْدَى أَوْ مِنَ النِّجْمِ أَنْقَبُ؟^{٣٥}
فَإِنَّ مِنَ التَّشْبِيهِ مَا يَتَصَعَّبُ
لَهَا اللَّهُ يُمْلِي وَالْمَلَائِكُ تَكْتَبُ؟
وَهَلْ لَكَ نِدٌّ فِي الْوَرَى حِينَ تَخْطُبُ؟
وَجِئْتَ بِمَا يَغَيَّا بِهِ الْيَوْمَ مُسْهَبُ^{٣٦}
فَقَرْنَا عَلَى الْأَيَّامِ نَشْكَو وَنَعْتَبُ

مُحَمَّدٌ أَنْقَذَتِ الْخَلَائِقُ بَعْدَمَا
وَأُطْلِقَتْ عَقْلًا كَانَ بِالْأَمْسِ مُصَفَّدًا
وَأَرْسَلَتْهَا مِنْ صَيِّحَةٍ نَبَوِيَّةٍ
إِذَا كَانَ صَوْتُ اللَّهِ فِي صَيِّحَةِ الْفَتَى
وَبَلَّغْتَ آيَاتٍ، رَوَائِعُ لَفْظِهَا
كَأَنَّ، وَمَا تُغْنِي كَأَنَّ؟ فَخَلَّهَا
وَمَاذَا يَقُولُ الشُّعْرُ فِي آيِ رَحْمَةٍ
خَطَبْتَ لَنَا يَوْمَ الْوَدَاعِ مُشْرَعًا
فَكَشَفْتَ أَسْرَارَ السِّيَاسَةِ مُوجِرًا
وَأَمْلَيْتَ دُسْتُورًا شَقِينَا بِتَرْكِه

وَحُلُّو الْأَمَانِي وَالرَّجَاءُ الْمَحْبَبُ
تَلُمُ شَتَاتِ الْمُسْلِمِينَ وَتَرَابُ^{٣٧}
وَتَرْفَعُ مِنْ رَايَاتِهِمْ حِينَ تَنْصَبُ^{٣٨}
وَفِي نُورِكَ الْقُدْسِيِّ نَسْعَى وَنَدَابُ^{٣٩}
وَفَاخَرَتِ الدُّنْيَا بِقَبْرِكَ يَثْرِبُ^{٤٠}

إِلَيْكَ رَسُولَ اللَّهِ طَارَ بِنَا الْهَوَى
أَفْضَاهَا عَلَيْنَا نَفْحَةٌ هَاشِمِيَّةٌ
وَتَرْجَعُ فِيهِمْ مِثْلُ سَعْدٍ وَخَالِدٍ
سَنَصْحُو فَقَدْ مَلَّ الطَّرِيحُ وَسَادَهُ
عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ مَا حَنَّ وَاجِدُ

هوامش

- (١) ناء: بعيد. شذى المسك: رائحة المسك الذكية الفواحة. المزن: السحاب الممتلئ بالماء.
- (٢) تبريح أشواق: توهج أشواق. فحم الدجى: المقصود سواد ظلمة الليل. يتلهب: يتقد ويشتعل.
- (٣) تنكأ جرحه: تهيج وتثير جرحه قبل أن يبرأ. المططب: الطبيب المداوي.
- (٤) مخصب: كثير الخير.
- (٥) قطب وجهه: عبس وتجهّم.
- (٦) أثبت: قوي النمو كثير.
- (٧) المغيب: ما غاب عنك وهو المستقبل.
- (٨) حناناً: رحمة. طاحت: ذهب. عز: قل وندر.
- (٩) يغازله: يلاطفه. مطرح النسر: أعالي الجبال. يختله: يخدعه. مسيح الحوت: البحار الكبيرة. الذكر: التذكر.
- (١٠) لابتيتها: اللابة الأرض ذات الحجارة السود وبالمدينة المنورة لابتان تكتنفها. غيب: في علم الغيب.
- (١١) أهداب السحاب: أطراف السحاب. تنقب: تهرب.
- (١٢) نشر: رائحة طيبة.
- (١٣) تعزى: تنتمي وتنسب.
- (١٤) ينضب: يجف.
- (١٥) بطيء المساعي: الرجل ذو الطموح المحدود. المهيب: الذي يهابه الناس.
- (١٦) الفزاري: أعرابي من بني فزارة داس على فضل إزار جيلة بن الأبهم، وهو من عظماء الروم وكان قد دخل في الإسلام فلم يلبث ابن الأبهم الفزاري فشكاه إلى سيدنا عمر بن الخطاب، فحكم له بأن يقتص من جيلة.
- (١٧) تشعبوا: تفرقوا.
- (١٨) جيحون: نهر جيحان ببلاد التركستان في الشرق. التاميز: نهر بإنجلترا في الغرب. داع: يدعو الناس. مثوب: والتثويب يكون في أذان الفجر خاصة، وهو قول المؤذن: «الصلاة خير من النوم» والمقصود الاستجابة للصلاة في جميع أنحاء العالم.
- (١٩) دجلة: نهر دجلة في العراق. تصبب: تنسكب.

- (٢٠) حاجر: نزل للحاج بالبادية. المحصب: موضع رمي الحجارة بمنى.
- (٢١) بنفسى: أفديه بروحي. وليدا: سيدنا محمد ﷺ. أباطح: مسيل واسع فيه حصى. يعرب: أبو العرب.
- (٢٢) الخداري: المظلم.
- (٢٣) صيب: السحاب ذو الصوت أي: الممتلئ بالماء.
- (٢٤) أحقب: سنون.
- (٢٥) عليا: الرفعة. معد: قبيلة عربية ذات سيادة. نؤابة: نؤابة الشيء أعلاه.
- المؤشب: الشجر المتلاصق والمراد بالمجد المؤشب يجمع من كثير من أعمال الفضل والنبل.
- (٢٦) الأعاريب: سكان البادية. جفنة: وعاء أو قصعة يوضع بها الطفل الرضيع.
- سببب: المفازة أو الأرض المستوية البعيدة الواسعة.
- (٢٧) قراب: جراب السيف. الغرار: حد السيف. المشطب: السيف في حده خطوط مجوفة.
- (٢٨) الصياصي: جمع صيصية: الحصن. الحديد المذرب: الحديد الحاد.
- (٢٩) صولة: قوة. يثل: يذهب ملكه أو عزه. القاسطين: الظالمين. يسلب: يختلس.
- (٣٠) سل: أخرجه من غمده.
- (٣١) الحسام العضب: السيف الطاعن.
- (٣٢) صدعة الإيوان: شق إيوان كسرى وهدمه وكسره. يشعب: يصلح.
- (٣٣) مصفدًا: مقيدًا. دان: خضع. المحجب: المستور في علم الغيب.
- (٣٤) يemor: يتحرك ويذهب.
- (٣٥) أثقب: مضىء.
- (٣٦) مسهب: كثير الكلام.
- (٣٧) شتات: تفرق. ترأب: تصلح.
- (٣٨) سعد وخالد: هما بطلا الإسلام سعد بن أبي وقاص وخالد بن الوليد.
- (٣٩) ندأب: نجد ونتعب.
- (٤٠) واجد: حبيب. يثرب: المدينة المنورة.

فلسطين

نظم الشاعر هذه القصيدة عندما توالى انتصارات الجيش المصري في فلسطين عام ١٩٤٨م، إلى أن وصل إلى مشارف «تل أبيب»، فتدخلت أمريكا وفرضت الهدنة على الجانبين من أجل صالح إسرائيل؛ لتجنبها عار هزيمة محققة:

وَاسْتَقْبَلْتُ مَوْكِبَ الْبُشْرَى قَوَافِينَا^١
عَزَّتْ عَلَى الْأَيْكِ إِيْقَاعًا وَتَلْحِينَا^٢
فِي الْهَوْلِ مَا عَرَفْتُ رِفْقًا وَلَا لِينَا
جَرَى بِهِ دُمُ عَدْنَانَ شَرَايِينَا^٣
بِهِ الْمَوَاكِبُ أَوْ خَاضَ الْمِيَادِينَا
وَفِي الْحُرُوبِ إِذَا مَا تَارَ أَتُونَا^٤
وَيَحْسَبُ النَّقْعَ فِيهَا مِسْكَ دَارِينَا^٥
فَمَنْ كَأَبَاتِهِ عُرْبًا فَرَاعِينَا^٦
سِرًّا مِنَ الْمَجْدِ لَا يَنْفَكُ مَكْنُونَا^٧
وَعَذْلُهُمْ كَانَ لِلدُّنْيَا مَوَازِينَا^٨
وَحَكْمُهُمْ مَلَأَ الْأَفَاقَ تَمْدِينَا
لَدَى الصَّرَاعِ وَأَحْمَى النَّاسِ عَرْنِينَا^٩
وَإِنْ سَطَا الْجَوْرُ رَدَّتْهُ مَوَاضِينَا
جِبَاهُنَا تُرْبِيهَا إِلَّا مُصْلِينَا
وَلَا تَمْسُ الظُّبَا إِلَّا نَوَاصِينَا^{١٠}

تَأَلَّقَ النَّصْرُ فَاهْتَزَّتْ عَوَالِينَا
غَنَّى لَنَا السَّيْفُ فِي الْأَعْنَاقِ أَغْنِيَةً
هَزَّتْهُ كَفُّ مِنَ الْفُؤْلَانِ قَبْضَتُهَا
مِنْ صَخْرٍ «خُوفُو» لَهَا دُونَ الْوَرَى عَضْلُ
نَفْسِي فِدَى الْفَارِسِ الْمَصْرِيِّ إِنْ خَطَرْتُ
تَلْقَاهُ فِي السَّلْمِ مَاءٌ رَفٌّ سَلْسَلُهُ
يَرَى الدِّمَاءَ عَقِيقًا سَالَ جَامِدُهُ
مَا بَيْنَ «عَمْرُو» وَ«مِينَا» زَانَهُ نَسَبُ
سَلِّ مِصْرَ عَنْهُمْ سَلِّ التَّارِيخَ إِنْ بِهِ
سُيُوفُهُمْ كُنَّ لِلطُّغْيَانِ مَاحِقَةً
وَجَيْشُهُمْ هَزَّتْ الدُّنْيَا كِتَابِيَّةً
إِنَّا بَنِي الْأَسَدِ أَمْضَى مِخْلَبًا وَيدَا
إِذَا دَعَا الْحَقُّ لِبَتَّتِهِ جَحَافِلُنَا
عِشْنَا أَعْرَاءَ مِلءِ الْأَرْضِ مَا لِمَسَتْ
لَا يَنْزِلُ النَّصْرُ إِلَّا فَوْقَ رَايَتِنَا

الَيْسَ مِنْ أُحْجِيَاتِ الدَّهْرِ قُبْرَةٌ
وتَائِهْ مَا لَهُ دَارٌ وَلَا وَطَنٌ
فِيَا جِبَالُ اقْذِفِي الْأَحْجَارَ مِنْ حُمَمٍ
وَيَا كَوَاكِبُ أَنْ الرَّجْمُ فَاَنْطَلَقِي
وَيَا بَحَارُ اجْعَلِي الْمَاءَ الْأَجَاجَ دَمًا
الْعَهْدُ عِنْدَهُمْ خَلْفٌ وَمَجْحَدَةٌ
مَا ذَلِكَ السَّمُّ فِي الْآبَارِ؟ وَيَلَكُمْ!
مَرَحَى بَدَوْلَتِهِمْ! مَاتَتْ لِمَوْلِيهَا
جَاءُوا مُهَنِّينَ أَرْسَالًا عَلَى عَجَلٍ
وَأَصْ تَصْفِيْقُهُمْ نَوْحًا وَمَنْدَبَةٌ
رِوَايَةٌ مَا أَقَامُوا سَبْكَ حَبْكَتِهَا
قَدْ حَيَّرْتَنَا، أَمَاسَاةٌ؟ أَمَهْزَلَةٌ؟
أَهْلًا بِهَا دَوْلَةٌ ضَاقَ الْفَضَاءُ بِهَا
لَهَا قَوَانِينُ مِنْ عَدَلٍ وَمَرْحَمَةٍ
أَسْطُولُهَا يَمَلُّ الْبَحْرَ الْمَحِيْطَ دَمًا

رَعْنَاءُ تَزَحَّمُ فِي الْوَكْرِ الشَّوَاهِينَا^{١١}
يَسْطُو عَلَى دَارِنَا قَسْرًا وَيُقْصِينَا^{١٢}
وَيَا سَمَاءُ أَمْطِرِي مُهْلًا وَغَسَلِينَا^{١٣}
مَا أَنْتِ، إِنْ أَنْتِ لَمْ تَرَمِ الشَّيَاطِينَا؟^{١٤}
إِذَا عَلَتْ رَايَةً يَوْمًا لَصْهِيُونَا^{١٥}
فَمَا رَأَيْنَاهُمْ إِلَّا مُرَائِينَا^{١٦}
وَمَنْ نُحَارِبُ؟ جُنْدًا أَمْ ثَعَابِينَا^{١٧}
فَكَانَ مِيلَادُهَا حُزْنًا وَتَأْبِينَا
فَحِينَمَا نَطَقُوا كَانُوا مُعْزِينَا
وَأَصْبَحَ الْبَشَرُ تَقْطِيبًا وَتَغْصِينَا^{١٨}
وَلَا أَجَادُوا لَهَا لَفْظًا وَتَلْقِينَا^{١٩}
فَالسُّخْفُ يُضْحِكُنَا وَالْجَهْلُ يُبْكِينَا
فَتَحًا وَغَزَوًا وَإِعْزَازًا وَتَمْكِينَا
قَدْ نَفَذُوا بَعْضَهَا فِي «دَيْرِ يَاسِينَا»^{٢٠}
وَجِيْشَهَا يَمَلُّ الْأَطَامَ تَحْصِينَا^{٢١}

نَفْسِي فِدَاءُ فِلَسْطِينٍ وَمَا لَقِيْتُ
نَفْسِي فِدَاءُ لِأَوَّلَى الْقِبْلَتَيْنِ غَدْتُ
قَلْبُ الْعَرُوبَةِ إِنْ تَطَعْنَهُ زَعْنَفَةٌ
وَقَلْعَةُ الشَّرْقِ إِنْ مُسَّتْ جَوَانِبُهَا
وَأَسْطُرُّ مِنْ تَوَارِيخٍ مُحْخَلْدَةٍ
فَقَبِّلُوا تُرْبَ «حَطَّيْنٍ» فَإِنَّ بِهِ
أَرْضُ بَذَلْنَا بِهَا الْأَرْوَاحَ غَالِيَةً
وَمَسْجِدُ نَزَلَ الْمُخْتَارُ سَاحَتَهُ
أَنْتَرْتَضِي أَنْ نَرَى مِيرَاثِنَا بَدَدًا

وَهَلْ يَنَاجِي الْهَوَى إِلَّا فِلَسْطِينَا؟
نَهَبًا يُزَاجِمُ فِيهِ الذُّنْبُ تَنِينَا^{٢٢}
كُنَّا لَهَا وَلَاشْقَاهَا طَوَاعِينَا^{٢٣}
خُضْنَا لَهَا جُثَّتِ الْقَتْلَى مَجَانِينَا
كَانَتْ لِمَجْدِ بَنِي الْفُصْحَى عَنَاوِينَا
دَمَ الْبُطُولَةِ مِنْ أَيَّامِ «حَطِينَا»^{٢٤}
دَاعِينَ لِلَّهِ فِيهَا أَوْ مُلَبِّينَا
نُمُوتُ فِيهِ وَنَحْيَا مُسْتَمِيتِينَا^{٢٥}
وَنَكْتَفِي بِدَمُوعٍ فِي مَاقِينَا؟!

الله صَوَّرَ فِيهَا الذُّلَّ وَالْهُونَا؟^{٢٦}
 إِذَا تَهَدَّمْ مَا كَانُوا يَشِيدُونَا؟
 إِنْ لَمْ نُجِبْ قَبْلَهُ بِالسِّيفِ غَازِينَا؟^{٢٧}
 مِنْ حَقْدِ سَادَاتِهِمْ مَا كَانَ مَدْفُونَا؟^{٢٨}
 وَالْيَوْمَ تَشَحَّدُ أَمْرِيكَ السَّكَاكِينَا!!^{٢٩}
 فَأَيْنَ فِتْيَانُنَا؟ أَيْنَ الْمَحَامُونَا؟^{٣٠}
 أَسْرَارُهَا عِنْدَ مُوشَى وَابْنِ غُرْيُونَا؟^{٣١}
 وَلَا يَرَى غَيْرَ جَمْعِ الْمَالِ قَانُونَا؟^{٣٢}
 وَبَيْنَ مَا لَسْتُ أَدْرِيهِ مَلَائِينَا
 فَإِنَّ خَالِقَ هَذَا الْمَالِ يَحْمِينَا
 فَإِنْ خَرَجْتُمْ يَعُدُّ كُوهَيْنُ كُوهِينَا

مَا قِيَمَةُ النَّفْسِ إِنْ هَانَتْ لَطَائِفُهُ
 وَمَا نَقُولُ لِأَبْطَالٍ لَنَا سَلَفُوا
 وَمَا نَقُولُ لِعَمْرٍو حِينَ يَسْأَلُنَا
 أَتِلْكَ أُنْدُلُسَ أُخْرَى؟ فَقَدْ نَبِشَتْ
 سُحْقًا لِسُكَّيْنِ «فَرْدِينَانِد» كَمْ ذَبَحَتْ
 قَدْ شَرَّدُوا الْعَرَبَ وَاسْتَأْقُوا حَرَائِرَهُمْ
 مِنْ كُلِّ عَادٍ لَهُ فِي الشَّرِّ فِلْسَفَةٌ
 لَا يَعْرِفُ الرُّزْءَ فِي أَهْلِ وَلَا وَلَدٍ
 الْأَلْفُ تَصْبَحُ فِي كَفَّيْهِ بَيْنَ رَبٍّ
 إِنْ كَانَ يَحْمِيهِمُ الْمَالُ الَّذِي جَمَعُوا
 قَالُوا: أَسْوَدُ. فَقُلْنَا: فِي الْجَحْرِ نَعَمُ

سِيرُوا إِلَى الْمَوْتِ إِنْ الْمَوْتَ يُحْيِينَا
 تَبْقَى حَدِيثُ اللَّيَالِي فِي ذَرَارِينَا^{٣٣}
 فَجَرِّدُوا حَدَّ مَاضِينَا لِآتِينَا
 لِلْسِّيفِ إِنْ يَرْضَ هَاتِيكَ الْقَرَابِينَا^{٣٤}
 وَمَا الَّذِي بَعْدَهُ يَبْقَى بِأَيْدِينَا
 عَنِ الْعَرِينِ أَبَاةً شَمَّرِيْنَا^{٣٥}
 إِنْ الْفَقَاقِيْعَ تَطْفُوْ ثُمَّ يَمْضِيْنَا

بَنِي الْعُرُوبَةِ هَذَا الْيَوْمَ يَوْمُكُمْ
 وَخَلَفُوا لِلْعُلَا وَالْمَجْدِ خَالِدَةً
 لَقَدْ صَدِّدْنَا وَدُونَ الْغَمْدِ مَنَفْسَحُ
 وَقَرَّبُوهُمْ قَرَابِينَا مُحَوَّرَةً
 مَاذَا إِذَا مَا فَقَدْنَا إِرْثَ أُمْتِنَا
 ذُوْدُوا كَمَا يَدْفَعُ الضَّرْعَامُ فِي غَضَبٍ
 لَا تَرَهَّبُوا الْقَوْمَ فِي مَالٍ وَفِي عَدٍ

ضَاعَتْ عُرُوبَتُنَا وَانْفَضَّ نَادِينَا
 اللَّهُ يَكْفِيهِ نَجَاؤُهُمْ وَيَكْفِينَا!!^{٣٦}
 مِنَ السِّيَاسَةِ تَرْمِيهِ وَتَرْمِينَا
 لِلْغَدْرِ وَالْفَتَكِ أَشْكَالًا أَفَانِينَا

إِنْ لَمْ تَصُونُوا فَلِسْطِينَا وَجَبْهَتَهَا
 فَإِنَّ لِلشَّرْقِ أَعْدَاءَ ذَوِي إِحْنٍ
 لَهُمْ سِهَامٌ خَفِيَّاتٌ مَسْمُمَةٌ
 كَمْ نَمَقُوا صُورًا شَتَّى وَكَمْ خَلَقُوا

يا جَيْشَ مِصْرَ ولا أَلَوَكَ تَهْنِئَةً
وَصَلَّتْ آخِرَ عُليانَا بأولِهَا
أَعَدَّتْهَا وَثْبَةً بِدْرِئَةٍ صرَعَتْ
شِجَاعَةً مَزَّقَتْ أَحلامَ سَاسَتِهِمْ
تَسِيرُ من ظَفَرِ حُلُو إلى ظَفَرِ
فِيكَ الملائِكُ أَجْنَادُ مُسَوِّمَةٍ
وفيكِ من مُهْجَاتِ النِيلِ نَاشِئَةٌ
يَمشُونَ للموتِ في شوقٍ وفي جَدَلٍ؛
إنْ شَكَّ في عَزْمَةِ المِصْرِيِّ مُخْتَبِلٌ
لا يَسْتَطِيعُ خَيَالٌ وَصَفَ جُرأتِهِمْ
هُمَ رِياحِينُ مِصرَ نَضْرَةٌ وَشَدًّا
صانَ الإِلَهَ لَجيشِ الشَّرْقِ عِزَّتُهُ

حَقَّقَتْ ظَنَّ اللِّيالِي والمُنَى فِينَا^{٣٧}
فَمَا أَوَاخِرُنَا إِلَّا أَوَالِينَا
نُهاةَ جَيْشِ يَهُودَا والدَّهَاقِينَا^{٣٨}
وَعَلَّمَتْ مُتَرَفِيهِمْ كَيْفَ يَصْحُونَا
مُبَارَكَ الفَتْحِ والرَّايَاتِ مِيمُونَا
أَعْلَامُهَا تَتَهَادَى حَوْلَ جَبْرِينَا^{٣٩}
فِيهَا مَطامِحُنَا، فِيهَا أَمَانِينَا
لأنَّهُمْ في ظِلَالِ اللّهِ يَمشُونَا
فَبَيْنَ فِتْيَانِنَا يَلْقَى البَرَاهِينَا
وَيَعْجُزُ الشَّعْرُ تَصَوِيرًا وتَلْوِينًا
لا أَذْبَلَ اللّهُ هَاتِيكَ الرِّياحِينَا
وَصَانَ أَبْطالُهُ الغُرَّ المِيامِينَا^{٤٠}

هوامش

- (١) تألق: ازدهر. عوالينا: أعاليينا.
 - (٢) الأيك: الشجر الملتف والمقصود الحقائق.
 - (٣) «خوفو» ملك من ملوك مصر القديمة وباني الهرم الأكبر. لها دون الوري:
- انفردت عن الخلق. عدنان: جد العرب.
- (٤) سلسله: عذوبته وصفاءه. أتون: الأخدود من النار.
 - (٥) عقيقًا: نوع من الأحجار الكريمة حمراء اللون. النقع: الغبار. مسك دارينا:
- طيب من منطقة البحرين ينسب إليها المسك.
- (٦) عمرو: هو عمرو بن العاص داهية العرب وفتح مصر في عهد عمر بن الخطاب، رضي الله عنهما. مينا: ملك من ملوك مصر الفرعونية، وهو أول من وحد الوجهين البحري والقبلي لمصر.
 - (٧) لا ينفك: لا يُحل ولا يتفكك. مكنونا: مخزونا.
 - (٨) ماحقة: قضت عليها.
 - (٩) عريننا: أنفًا وكبرياء.

- (١٠) الظبا: الظباء. نواصينا: جهاتنا وأرضنا.
- (١١) قبرة: نوع من الطيور صغير. رعناء: حمقاء. الوكر: العش. الشواهينا: نوع من الطيور الجارحة وهي الصقور المدربة على الصيد.
- (١٢) تائه: ضال وليس له وطن إشارة إلى اليهودي التائه.
- (١٣) حمم: نار ملتهبة. مهلاً: نحاساً مذاباً. غسلينا: ما اغتسل من لحوم أهل النار ودمائهم.
- (١٤) الرجم: القتل وأصله الرمي بالحجارة.
- (١٥) الأجاج: المالح. صهيون: أتباع صهيون من اليهود الذين أقاموا إسرائيل.
- (١٦) خلف: كذب. مجعدة: نكران. مراثينا: منافقين.
- (١٧) كان اليهود يضعون السم في آبار العرب في أوائل حربهم في الأربعينيات.
- (١٨) آض: رجع وأصبح.
- (١٩) سبك حبكتها: إعدادها.
- (٢٠) دير ياسين: قرية في فلسطين قام اليهود بذبح نسائها وشيوخها وأطفالها عندما احتلوها في حربهم الأولى ضد العرب.
- (٢١) الآطام: البيوت المغلقة.
- (٢٢) أولى القبلتين: بيت المقدس وبها المسجد الأقصى.
- (٢٣) زعنفة: جماعة ليس أصلهم واحد. لأشقاها: الشديد العسر. طواعينا: محاربين ومصيبين لهم.
- (٢٤) حطين: اسم بلد في الشام اشتهرت بالمعركة التي انتصر فيها القائد صلاح الدين الأيوبي على الصليبيين.
- (٢٥) مسجد: المسجد الأقصى. المختار: سيدنا محمد، عليه الصلاة والسلام.
- (٢٦) الهونا: الهوان.
- (٢٧) عمرو: عمرو بن العاص القائد العربي الشهير.
- (٢٨) يشير إلى مأساة انهيار حكم العرب في الأندلس.
- (٢٩) فرديناند: قائد من قواد الفرنجة استطاع بالخديعة والدهاء أن يطرد العرب من الأندلس خاصة بعد ضعفهم وانقسامهم.
- (٣٠) استاقوا: أسروا واستعبدوا. حرائهم: نساؤهم الأحرار.
- (٣١) عاد: متجن ظالم. موشى وابن غريونا: هو موسى شرتوك وابن غريون من أوائل وزراء دولة إسرائيل.

(٣٢) الرزء: المصيبة.

(٣٣) ذرارينا: ذريتنا أي: أبنائنا.

(٣٤) قربوهم: قدموهم. قرايينا: ما يتقرب به إلى الرفعة والمجد. محورة: ملونة

بلون الدم.

(٣٥) الضرغام: الأسد. شمريينا: مختالينا.

(٣٦) إحن: حقد.

(٣٧) آلوك: أرسل إليك رسالة.

(٣٨) بدرية: نسبة إلى غزوة بدر التي انتصر فيها المسلمون على الكفار. جيش

يهوذا: جيش اليهود الصهاينة. الدهاقينا: الزعماء في الدين.

(٣٩) جبرينا: سيدنا جبريل.

(٤٠) الميامينا: المباركين.

رثاء شوقي

احتفلت الحكومة المصرية بتأبين المرحوم أحمد شوقي بك، فاجتمع لذلك بدار الأوبرا حفل حاشد في سنة ١٩٣٢م، حضره شعراء بعض الدول العربية، وقد أقيمت هذه القصيدة في هذا الحفل.

أَوْ بَكَيْتُمْ لِمَعْبِدِ الْخَانَةِ^١
بَعْدَمَا قَصَفَ الرَّدَى رِيحَانَهُ!
نَنْ ذُبُولَ الْخَمِيلَةِ الْفَيْنَانَةِ
قَ وَيَنْهَضْنَ لِلْعَلَا شُبَّانَهُ
صَاعِدًا، ضَلَّتِ النُّجُومُ مَكَانَهُ
لَا وَيَبْعَثْنَ هِمَّةً وَهْنَانَهُ
فَبَذَلْنَا دُمُوعَنَا الْهَتَّانَةَ^٢
رُ إِذَا رَجَعَ الصَّدَى تَحْنَانَهُ
دَ بِلَفْظِ تَخَالُهُ تَبْيَانَهُ^٣
بِي وَأَوْحَتْ لِعُصْنِهِ مِيلَانَهُ^٤
صَائِبِ الرَّمْيِ مِنْ سِهَامِ الْكِنَانَةِ^٥
وَأَبْكَ لِلدَّهْرِ قَلْبَهُ وَلِسَانَهُ
مَالِئَاتٍ بِوَحْيِهَا آذَانَهُ^٦
ضُ إِذَا هَزَّ بِالْيِرَاعِ بَنَانَهُ^٧
إِنَّهُ كَانَ فِي الْوَرَى تَرْجُمَانَهُ

هَلْ نَعَيْتُمْ لِلْبُخْتَرِيِّ بَيَانَهُ!
أَوْ رَأَيْتُمْ رَوْضَ الْقَرِيضِ هَشِيمًا
فَزَعَتْ طَيْرُهُ، فَحَوَّ مِنْ يَبْكِي
كُنَّ فِي ظِلِّهَا يُغْنَيْنَ لِلشَّرِّ
كُنَّ فِي ظِلِّهَا يُحْيَيْنَ مَجْدًا
كُنَّ فِي ظِلِّهَا يُنَاغَيْنَ آمَا
أَيُّهَا الطَّيْرُ ضَنْ مَاءِ الْقَوَافِي
مَاتَ يَا طَيْرَ صَارِحَ تَسْجُدُ الطَّيْرِ
نَبَرَاتُ تَخَالُهَا صَوْتُ دَاوُ
عَلِمْتَ الْإِبْتِسَامَ زَنْبَقَةَ الْوَا
مَاتَ شَوْقِي، وَكَانَ أَنْفَذَ سَهْمِ
أَبْكَ لِلشَّمْسِ فِي السَّمَاءِ أَخَاهَا
وَأَبْكَهِ لِلنُّجُومِ، كَمْ سَامَرْتُهُ
وَأَبْكَهِ لِلرَّوْضِ وَاصْفَا يَخْجَلُ الرُّو
وَأَبْكَهِ لِلْخِيَالِ صَفَوْا نَقِيًّا

مَلَأَ الشَّرْقَ مَوْتُ مَنْ مَلَأَ الشَّرَّ
كَمْ يَتِيْمٍ مِنَ الْمَعَانِي غَرِيبٍ
وَشُمُوسَ رَنَا إِلَيْهِ، فَأَلْقَى
وَنُفُورَ أَزْرَى بِصِيَّائِهِ الطَّبِ
نَظْرَةً تَلْتَقِي بِهِ يَنْهَبُ الْوَا
تَسْبِقُ السَّهْمَ عَيْنُهُ، فَتَرَاهُ
ثُمَّ يَخْفَى، فَلَا تَرَاهُ عِيُونُ
أَجْهَدَ الْفَارِسِ الْمُلْحِ، وَأَفْنَى
وَهُوَ يَعْدُو: لَا الرَّأْسَ مَالٍ مِنَ الْأَيْدِ
مَدَّ شَوْقِي إِلَيْهِ نَظْرَةً سَحَرِ
فَأَتَى مَشْيَةَ الْمُقَيَّدِ يَسْعَى

قَ حَيَاةً وَقُوَّةً وَزَكَانَةً^٨
مَسَحَتْ كَفَّهُ عَلَيْهِ فَصَانَهُ^٩
رَأْسُهُ خَاضِعًا وَأَعْطَى عَنَانَهُ^{١٠}
بِ وَأَغْيَا قَسِيَّةً وَسَنَانَهُ^{١١}
بِي، وَأُخْرَى تَرَاهُ يَطْوِي رِعَانَهُ^{١٢}
يَتَلَوَّى تَلَوَّى الْخَيْرُ زَانَهُ^{١٣}
ثُمَّ يَبْدُو، فَلَا تَشْكُ عِيَانَهُ
نَبْلَهُ حَوْلَهُ، وَأَضْنَى حِصَانَهُ
نَ، وَلَا قَلْبُهُ شَكَا خَفَقَانَهُ^{١٤}
عَوَّقَتْ دُونَ شَوْطِهِ جَرِيَانَهُ
بَيْنَ هَوْلٍ وَذِلَّةٍ وَاسْتِغَاثَهُ^{١٥}

غَزَلَ كَالشَّبَابِ يَنْضَحُ أَمَا
تَسْمَعُ الْحُبَّ فِي نَوَاحِيهِ هُمُوسًا
وَتَحْسُ الْهَوَى يَرْفُ حَنَانًا
وَإِذَا جَالَ وَاصِفًا رَاعَكَ الْحُسْ
صُورَ زَيْنُهَا بَيَانُ سَرِي
لَوْ (رُفَائِيلُ) رَاهَا، غَالَهُ الْبَهْ
عَالِمٌ بِالنَّفُوسِ مَا غَاصَ مِيلُ
أَوْدَعَ الدَّهْرُ مَسْمَعِيهِ عَنِ الْكُو
ذَاكَ سِرُّ الْإِلَهِ يَخْتَصُّ مَنْ شَا
وَرِثَاءَ لَوْ كَانَ يَسْمَعُهُ الْمَيِ
عَرَفَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ جَمِيعًا
وَالرَّوَايَاتُ، أَذْهَشَتْ كُلَّ لُبٍّ
يُغْمِضُ الْعَيْنَ فِي اضْطِرَابٍ إِذَا حَسَ

لَا وَيَهْتَزُّ فِي حَلَى فَتَانَهُ
يَتَنَاجَى، وَيَشْتَكِي أَشْجَانَهُ
شَرَكُ الْحُبِّ أَنْ تُحَسَّ حَنَانَهُ^{١٦}
نَ، وَأَكْبَرْتَ فَنَّهُ، وَافْتِنَانَهُ
مَزَجَ اللَّهْ وَحْدَهُ أَلْوَانَهُ^{١٧}
رُ، وَأَلْقَى أَلْوَا حَهُ وَدِهَانَهُ^{١٨}
فِي خَفَايَا النُّفُوسِ حَتَّى أَبَانَهُ
نَ حَدِيثًا فَلَمْ يَطُقْ كِتْمَانَهُ^{١٩}
ءَ بِأَثَارِ فَضْلِهِ سُبْحَانَهُ!
تُ لَأَحْيَا بِسَحْرِهِ جُثْمَانَهُ
وَرَأَى بَعْدَ حَيْرَةٍ بُرْهَانَهُ
ثُمَّ أَرَبْتُ، فَأَذْهَشْتُ شَيْطَانَهُ^{٢٠}
سَ طُرُوقَ الْإِلْهَامِ أَوْ غَشْيَانَهُ^{٢١}

ثُمَّ يُمْلِي كَأَنَّهُ مِنْ كِتَابٍ قَارِئُ فِي سُهولةٍ وَمَرَانَةٍ ٢٢
جَوْهَرِيٍّ وَدَّ الْكَوَاعِبُ لَوْ يَشْرِيبُ نَ يَوْمًا بِحُسْنِهِنَّ جُمَانَةٍ ٢٣
زَانَ مَضْرًا بِلَوْلِيٍّ يَبْهَرُ الْعَيْبُ نَ، وَأَوَّلَى تَارِيخَهَا عِقْبَانَةٍ ٢٤

كَانَ صَبًّا بِمَضْرَ كَمْ هَامَ شَوْقًا بِرُبَاهَا وَبَثَّهَا أَحْزَانَهُ
دَفَنَ اللَّهْوَ وَالصَّبَا فِي ثَرَاهَا وَطَوَى مِنْ شَبَابِهِ غُنْفَوَانَهُ
هِيَ بُسْتَانُهُ، فَعَرَدَ فِيهِ وَحَبَا كُلَّ قَلْبِهِ بُسْتَانَهُ
يُخْرِسُ الْفَنَّ فِي ظِلَالِ نَوَاحِيهِ وَيَرْمِي عَنْ نَوْجِهِ غَرْبَانَهُ
يَعْشُقُ النَّيْلَ، وَالْحَمَائِلُ تَهْـ تَرُ بِشَطِئِهِ خُضْرَةَ وَلَدَانَهُ ٢٥
يَعْشُقُ النَّيْلَ، وَالْجَزِيرَةُ تُغْرِيبُ هِ، وَقَدْ لَفَّ حَوْلَهَا أَرْدَانَهُ ٢٦
يَعْشُقُ الْجِسْرَ، وَالسَّفَائِنُ تَهْفُو حَوْلَهُ كَالْحَمَائِمِ الظَّمَانَهُ ٢٧
وَيُجِبُ السَّوَادَ مِنْ عَيْنِ شَمْسٍ مَالًا مِنْ رُؤْيَاهِ أَجْفَانَهُ ٢٨
كُلُّ شَيْءٍ بِمَضْرَ يَبْهَرُ عَيْنِيـ هِ جَمَالًا، وَيَسْتَثِيرُ جَنَانَهُ ٢٩
كُلَّمَا هَزَّهُ إِلَى الشَّعْرِ شَوْقُ جَذَبَ الْحُبَّ نَحْوَهَا وَجَدَانَهُ
فَشَدَّ بِاسْمِهَا كَمَا تَصْدَحُ الطَّيـ رُ، وَقَدْ شَمَّرَ الدُّجَى طَيْلَسَانَهُ ٣٠
وَجَلَا مَجْدَهَا الْقَدِيمَ جَدِيدًا بَعْدَمَا هَدَمَ الْبَلَى أَرْكَانَهُ ٣١
فِي خُشُوعٍ يُشِيدُ بِاسْمِ (فَوَادٍ) مِثْلَمَا رَدَّدَ الْمُصْلَى أَذَانَهُ ٣٢
مَلِكٌ مَدَّ لِلْفَنِّونِ يَمِينًا عَلَّمَتْ كُلَّ مُحْسِنٍ إِحْسَانَهُ
نَظْرَةً مِنْهُ زَادَتْ الشَّعْرَ زَهْوًا وَأَعَادَتْ لِعَهْدِهِ رَيْعَانَهُ ٣٣
نَحْنُ فِي ظِلِّ تَاجِهِ فِي زَمَانٍ وَدَّ (هَارُونُ) أَنْ يَكُونَ زَمَانَهُ ٣٤

أَوَّلُ السَّابِقِينَ شَوْقِي، إِذَا جَا لَ نَوُو السَّبْقِ يَبْتَغُونَ رِهَانَهُ
شَعْرُهُ حِكْمَةٌ، وَصَدَقَ خَيَالُ وَجَمَالُ، وَرَوْعَةٌ، وَرِصَانَهُ
وَمَعَانِ شَوْقِيَّةٌ، فِي سِيَاقِ بُخْتَرِيٍّ، وَرِقَّةٌ فِي مَتَانَهُ
يَا مُجِيرَ الْفُصْحَى وَقَدْ عَقَّهَا الدَّهْرُ وَأَغْرَى بِقَوْمِهَا جَذَانَهُ! ٣٥
نَزَلَتْ فِي ذَرَاكَ رَوْضًا مَرِيْعًا هَدَلَ النُّورُ وَالْجَنَى أَغْصَانَهُ ٣٦

وَأَسْتَعَاذْتُ حُسْنَ الشَّبَابِ وَكَانَتْ
رَمَقًا بَيْنَ كَبَرَةٍ وَزَمَانَةٍ ٣٧
وَحَمَمْتُهَا يَدَاكَ مِنْ شَرِّ بَاغٍ
فِي زَمَانٍ طَعَنْتَ عَلَيْهِ الرِّطَانَةَ ٣٨
ذَكَّرْنَاهَا رَنَاتُ صَوْتِكَ قَوْمًا
سَلَفُوا مِنْ هَوَاوِينَ وَكِنَانَةٍ ٣٩

رَفَعْتُ مَضْرُ رَايَةَ الشُّعْرِ فِي الشَّرِّ
ق، وَأَوَّلْتُ أَمِيرَهُ صَوْلَجَانَهُ ٤٠
وَمَشَى الدَّهْرُ فِي الْوُفُودِ إِلَى الـ
بَيْعَةٍ يَحْتَثُّ نَحْوَهُ رُكْبَانَهُ ٤١
وَرَأَيْنَا مَجْدًا يُشَادُ لِمَضْرٍ
يَعْجُزُ الْوُهْمُ أَنْ يَنَالَ قِنَانَهُ ٤٢
وَسَمِعْنَا بِكُلِّ أَفْقٍ رَنِينَ
رَدَدَتْهُ الْقَصَائِدُ الرَّنَّانَهُ
هَكَذَا كُلُّ مَنْ يُرِيدُ خُلُودًا
يَجْعَلُ الْكُونَ كُلَّهُ مِيدَانَهُ
هَكَذَا فَلْيَسِرْ إِلَى الْمَجْدِ مَنْ شَاءَ
ء، وَيَرْفَعُ بِذِكْرِهِ أَوْطَانَهُ

خُلِقَ كَالنَّدَى وَقَدْ نَقَطَ الزَّهْ
ر، فَحَلَّى وَشَى الرِّيَاضِ وَرَآنَهُ ٤٣
وَصَبَا، يَمْلَأُ الزَّمَانَ ابْتِسَامًا
وَحَجًّا، يَمْلَأُ الزَّمَانَ رَزَانَهُ ٤٤
وَسَمَاحٌ يَلْقَى الصَّرِيخَ بِوَجْهِ
تَحْسُدُ الشَّمْسُ فِي الضَّحَا لَمَعَانَهُ ٤٥
شَمَمٌ فِي تَوَاضُعٍ، وَحَيَاءٌ
فِي وَقَارٍ، وَفِطْنَةٌ فِي لِقَانِهِ ٤٦
وَجَدِثَ حُلُوءٌ، لَهُ رَوْعَةُ الشُّعْرِ،
فَلَوْ كَانَ ذَا قَوَافٍ لَكَانَهُ
وَيَقِينُ بِاللَّهِ، مَا مَسَّهُ الضَّعْفُ،
وَلَا طَائِفٌ مِنَ الشَّكِّ شَانَهُ
هُوَ فِي الشَّمْسِ وَالْكَوَاكِبِ نُورٌ
وَهُوَ فِي الْأَرْضِ وَالْجِبَالِ رَكَانَهُ ٤٧
مَلِكُ الدِّينِ قَلْبُهُ وَهَوَاهُ
وَجَلَا الشُّعْرُ سَاطِعًا إِيْمَانَهُ
يَمْدَحُ الْمُصْطَفَى، فَتَلَمَّحَ حُبًّا
عَاصِفًا آخِذًا عَلَيْهِ كِيَانَهُ ٤٨
وَتَرَاهُ يَذُودُ عَنِ آلِهِ الْغُرَّ،
وَفَاءٌ لِحُبِّبِهِمْ وَصِيَانَهُ
حَسْبُهُ أَنْ يَجِيءَ فِي مَوْقِفِ الـ
حَشَرٍ فَيَلْقَاهُ مَالًا مِيزَانَهُ ٤٩

طَوَّقْتُ حَوْلَهُ الْمَلَائِكَةُ الطُّه
رُ، وَمَسَّتْ بِطَيْبِهَا أَكْفَانَهُ
إِنْ مَعْنَى الْحَيَاةِ فِيهِ مِنَ الْمَوْتِ
بِ مَعَانٍ، لَوْ يَفْهَمُ الْمَرْءُ شَانَهُ

يُهْدَمُ الْمَرْءُ كُلَّ يَوْمٍ وَيُبْنَى
نَحْنُ حَبٌّ فِي قَبْضَةِ الدَّهْرِ يُلْـ
نَحْنُ فِي دَوْحَةِ الْأَمَانِي زَهْرٌ
إِنْ هَذِي الْحَيَاةَ بَحْرٌ، وَكُلُّ
قَدْ قَضَى اللَّهُ أَنْ نَكُونَ فَكُنَّا
ثُمَّ يَهْوِي فَلَا تَرَى بُنْيَانَهُ
قِيَهُ، وَيَجْنِيهِ مُدْرِگَا إِبَّانَهُ
يَهْصِرُ الْمَوْتُ لِلْبَلَى أَفْنَانَهُ
بَالِغٌ بَعْدَ سَبْحِهِ شُطَّانَهُ
وَقَضَيْنَا، وَمَا قَضَيْنَا لُبَّانَهُ^{٥٠}

أَيُّهَا الرَّاحِلُ الْكَرِيمُ لَقَدْ كُنْـ
نَمْ قَرِيرًا فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ، وَانْعَمْ
وَالْتَمَسْ نَفْحَةَ الرَّسُولِ، وَطَارِخْ
كَيْفَ يُوفِي الشَّعْرُ الَّذِي مَلَكَ الشَّعْـ
وَرِثَاءُ الْبَيَانِ جُهْدٌ مُقِلٌّ
تَ سَوَادَ الْعُيُونِ أَوْ إِنْسَانَهُ^{٥١}
بِرِضَا اللَّهِ، وَاعْتَنِمْ غُفْرَانَهُ^{٥٢}
فِي أَفَانِينَ مَدَحِهِ حَسَّانَهُ^{٥٣}
رَ، وَأَلْقَى لِغَيْرِهِ أَوْزَانَهُ؟
لِلَّذِي خَلَدَ الزَّمَانُ بَيَانَهُ

هوامش

- (١) نعيم: النعي الإخبار بالموت. البحري: شاعر عباسي اشتهر بالرقعة والانسجام وجمال تصوير المعاني. ونقاء الأسلوب. بكيتم لمعبد إلخ: أخبرتم معبدًا بموت ألعانه. ومعبد: مغن مشهور بجمال الصوت وحسن التوقيع، عاش في أوائل الدولة الأموية.
(٢) ضن: بخل. القوافي: جمع قافية، والمراد الشعر، ويراد بماء القوافي جمالها ونضرتها. والهةنة: الهائلة.
(٣) داود: من رسل الله — عليهم السلام — اشتهر بجمال صوته وحسن توقيع مزاميره.

- (٤) الزنيق: الياسمين. والوادي: هو وادي النيل.
(٥) أنفذ: أمضى. والكنانة: جعبة السهام. وهي أيضًا مصر، وفي الأثر: مصر كنانة الله في أرضه.

- (٦) سامرته: حادثته ليلاً.
(٧) اليراع هنا القلم. والبنان: أطراف الأصابع.
(٨) الزكانة: الفهم والفتنة.

- (٩) اليتيم: الصغير الذي مات أبوه. ويقيم المعاني فريدها الذي لا يصل إليه الفكر النفاذ، والمسح على رأس اليتيم كناية عن الرفق والرحمة.
- (١٠) الشموس: الفرس الجامح، ويراد بها المعنى المستعصي على القاتل. رنا: أدام النظر، العنان: سير اللجام.
- (١١) أزرى: احتقر، الطب: الخبر الحاذق، أعيا: أعجز. القسي: جمع قوس وهي آلة للحرب والصيد. والسنان: جمع سن: وهي طرف السهم.
- (١٢) الرعان: جمع رعن وهو الجبل.
- (١٣) العيان: المشاهدة.
- (١٤) الأين: التعب.
- (١٥) فأتى مشية المقيد: أتى يمشي كمشي المقيد، وهي مشية فيها تعثر وبطء.
- (١٦) يرف: رف الطائر حرك جناحيه، وقد يرف الطائر على فرخه رف حنان ورحمة.
- (١٧) سري: شريف.
- (١٨) رفائيل: مصور إيطالي قديم بعيد الشهرة. راءها: رآها. غاله: اغتاله على غرة، البهر: العجب.
- (١٩) المسمع: آلة السمع وهي الأذن.
- (٢٠) يشير إلى ما ابتدعه شوقي من روايات شعرية تمثيلية.
- (٢١) طروق الإلهام: نزوله، والمراد ورود المعنى الشعري إلى نفسه.
- (٢٢) المرانة: اللين.
- (٢٣) كان جوهرياً، جواهره: المعاني الغالية، الكواعب: الفتيات الحسان، جمانه: اللآلئ.
- (٢٤) العقبان: الذهب.
- (٢٥) الخمائل: الأشجار الملتفة. واللدانة: اللين.
- (٢٦) الجزيرة التي يكونها النيل أمام القاهرة حينما يتفرع فرعين، وهي كثيرة الحدائق رائعة المناظر، وتعد من أحسن متنزهات القاهرة. والردن: الكم والمراد هنا الذراع.
- (٢٧) الجسر: المراد به جسر قصر النيل. تهفو: هفا الطائر حرك جناحيه.
- (٢٨) السواد: سواد البلدة قراها التي حولها. وعين شمس: ضاحية من ضواحي القاهرة كان يسكن بها شوقي قبل أن ينتقل إلى الجيزة.

- (٢٩) يستثير جنانه: يثير عواطفه.
- (٣٠) شدا: غنى. والطيلسان: ثوب فضفاض أسود من لباس العجم.
- (٣١) جلا: أظهر.
- (٣٢) فؤاد: هو فؤاد الأول ملك مصر وقت شوقي.
- (٣٣) الريعان: القوة.
- (٣٤) هارون: هو هارون الرشيد، وقد كان عصره أزهى عصور الدولة في العلم والشعر والأدب.
- (٣٥) الفصحى: اللغة العربية. عقها الدهر: ظلمها ولم ينصفها. الحدثان: النوب والمصائب.
- (٣٦) الذرا: الكنف والجانب. مريعًا: مخصبًا ناضرًا. هدل: هدله أرخاه إلى أسفل.
- النور: الزهر. الجنى: ما يجنى ويجمع من ثمر أو نحوه.
- (٣٧) الرمق: بقية الحياة قبل الموت. الكبرة: الشيخوخة والهرم. الزمانة: العاهة، وفعله زمن (كفرج).
- (٣٨) الرطانة: التكلم بالأعجمية.
- (٣٩) هوازن: قبيلة من قيس. كنانة: قبيلة من مضر.
- (٤٠) الصولجان: عصا تجعل شعارًا للملك.
- (٤١) يشير إلى حدث اجتماع شعراء الأقطار العربية في سنة ١٩٢٧م لمبايعة شوقي على إمارة الشعر.
- (٤٢) القنان: جمع قنة بالضم وهي القمة.
- (٤٣) الوشي: نقش الثوب.
- (٤٤) الحجا: العقل. الرزانة: الوقار.
- (٤٥) السماح: الكرم. الصريخ: المستغيث والملتجئ.
- (٤٦) اللقانة: سرعة الفهم.
- (٤٧) الركانة: الثبات والرسوخ.
- (٤٨) المصطفى: نبينا، عليه الصلاة والسلام. تلمح: تنظر. عاصفًا: شديد الهبوب.
- كيانه: وجوده.
- (٤٩) حسبه: كافيه.
- (٥٠) قضى: حكم. وقضينا: متنا. وما قضينا: ما أدركنا. لبانة: غرضًا ومقصداً.

- (٥١) سواد العيون: الدائرة التي يحيط بها بياض العين. إنسانه: أي إنسان السواد.
وهو الحدقة التي بها الإبصار.
- (٥٢) قريرًا: مطمئنًا.
- (٥٣) نفحة الرسول: عطاء الرسول ﷺ وكرمه. أفانين: أنواع. حسانه: حسان بن ثابت.

إسماعيل العظيم

نشرت هذه القصيدة عندما احتفلت مصر في عام ١٩٤٥ م بمرور خمسين سنة على وفاة الخديو إسماعيل.

حُسامٌ له مجدُ الخُلُودِ قِرابُ
وطُودٌ من العِزِّ الأشمِّ عَنَتٌ له
وسرٌّ سماويٌّ ثَوَى في ضريحه
وقبرٌ كمحرابِ الصلاةِ مُطَهَّرُ
وَكُنْزٌ به من جَنَّةِ الخُلْدِ دُرَّةٌ
وزَهْرٌ من الآمالِ رَفٌّ بَرُوضَةٌ
إذا جاوزَتْها للربابِ غمامَةٌ
قلوبُ بني مصرِ خوافقُ حولها
إذا غابَ شخصُ العَبْقَرِيِّ بِرْمَسِهِ
وإن حَجَبَتْ بِيضُ الأيادي مَنِيَّةٌ
وكم من فَتَى جازَ الحياةَ وذكُرُهُ
وما مات مَنْ رَدَّ الحياةَ لأمَّةٍ
إذا المرءُ لم يُخلِدْهُ فضلُ جهادِهِ
وهل مثلُ إسماعيلَ في الناسِ عاهلُ
طموحٌ له في ذِرْوَةِ الدهرِ مَأْرَبُ
إذا صَحَّ عِزُّ المرءِ فالبِحْرُ ضَحْضَحُ

يحوِّمُ شعري حوله فيهابُ
وُجُوهُ، ودانتُ بالولاءِ رِقَابُ^١
له من جَنَاحِي جَبْرَتِيلُ قِبابُ^٢
عليه نعيمٌ وارفٌ وثوابُ
تردُّ ثمينَ الدُّرِّ وهي سِخابُ^٣
بها الأرضُ مسكٌ، والنسيمُ مَلابُ^٤
سقاها من الحبِّ النَّدِيَّ رَبابُ^٥
لها كلُّ حينٍ جَئِنَّةٌ وذَهابُ
فليس لفضلِ العَبْقَرِيِّ غيابُ^٦
فليس على آثارهِنَّ حِجابُ^٧
له كلُّ يومٍ زُورَةٌ وإيابُ^٨
وأحيا بها الآمالَ وهي يَبابُ^٩
«فكلُّ الذي فوق التُّرابِ تُرابُ»
له فوق أحداثِ الزمانِ وثابُ^{١٠}
وفوق مَنَاطِ الفِرْقَدَيْنِ طِلابُ^{١١}
وإنَّ خارَ فالنُّضْحُ اليسيرُ عُبابُ

وليسَت شِباكُ العِزِّ إِلَّا عَزيمةٌ
تَمُدُّ الليالي للجريءِ زَمامَها
وما كُلُّ مَنْ أَرخى العِنانينِ فارسٌ
إذا ما عَدَدْنَا ماثِرَاتِ يَمِينِه
دعاها فسارتْ خَلْفَهُ تُسرِعُ الخُطا
فما الشوكُ في أَقدامِها حينَ صممتْ
إذا وَهَنتْ أَذكى لَطَى رَغباتِها
وإنْ أَظلمتْ طُرُقُ المعالي أَنارَها
رأتْ مصرَ فيه عاهلاً عَزَّ نَدُهُ
حباها أبو الأشبالِ جُرْاةً ضَيِّغُم
وأزلفَها ملءَ النواظِرِ جَنَّةً
وألبسَها من نهضةِ الغربِ حُلَّةً
ففي كلِّ حَيٍّ للعلومِ منابِرٌ
وأيَنَ رَميتْ الطُرْفَ تَلقى مَعالِمًا
عجائبٌ صُنِعَ يصغُرُ الدهرُ دونَها
وجُهدٌ من الفولاذِ ما كَلَّ رَنَدُهُ
وللجُهدِ في الدنيا نِصابٌ وطاقَةُ

وما المجدُ إِلَّا صولَةٌ وِغلاب!
وتعنو له الأيامُ وهي صِعباب^{١٢}
ولا كُلُّ دَاعٍ للنهوضِ مُجاب!^{١٣}
على مصرٍ لم ينفذْ لَهَنَ حساب^{١٤}
وهِمَّتْها للمُعْضِلاتِ رِكاب
بشوكٍ، ولا صُمُّ الهضابِ هِضاب^{١٥}
هَمامٌ له عندَ النجومِ رِغاب^{١٦}
من الرأْيِ منه والذكاءِ شِهاب^{١٧}
ومن أينَ للبدرِ المنيرِ صحاب؟
له ظُفْرٌ يَفري الخطوبَ وناب^{١٨}
تميدُ بها الأغصانُ وهي رِطاب^{١٩}
وكم زانِبِ الغيدِ الملاحِ ثياب!
وفي كُلِّ ركنٍ للفنونِ رِحاب!
سوامِقُها فوقَ السحابِ سحاب^{٢٠}
وكلُّ فِعالٍ الخالدينِ عُجاب!^{٢١}
وصادِقُ عزمٍ ليس فيه كِذاب^{٢٢}
وليس لَجُهدِ العبقريِّ نِصاب!^{٢٣}

أبا مصرَ، هل تُصغي وللشعرِ دَمْعَةٌ
أَتذكُرُ يومًا بالقناةِ وقد سَعَتْ
وأنتِ تَوُمُّ الحُشدَ جِذْلانَ هانئًا
ومصرَ بمحييها تَتِيهَ وتنثني
موائِدُ لو مرَّتْ بأوهامِ حاتمٍ
وموَكِّبُ عِزٍّ ما رَأى النيلُ مثْلَه
تمنَّتْ نجومُ الأفقِ رَوْعَةَ زَهوهِه

بها الحبُّ صَفوٌّ، والوفاءُ مُذاب؟
شُعوبٌ، وسالتْ بالملوكِ شِعباب؟^{٢٤}
ونجمُكُ لم يحجبْ سَناه ضِباب^{٢٥}
كما لعبتْ بالعاشقينِ كِغاب^{٢٦}
رأى أَنَّ مدحَ المادحينِ سَباب^{٢٧}
ولا خَطَه في السابقينِ كِتابٌ
وسالَ لشمسٍ أبصرتهُ لُعاب^{٢٨}

تَفِيَّاتَ ظِلِّ اللّٰهِ خَمْسِينَ حَجَّةً
وَأَدْرَكَ مَصْرًا مِنْ بَنِيكَ صَوَارِمُ
كَرَامٍ إِذَا نُودُوا أَجَابُوا، وَإِنْ هُمْ
وَهْلُ كِفْؤَادٍ فِي الْبَرِيَّةِ مَالِكٌ؟
لَهُ عَزْمَةٌ وَثَّابَةٌ عَلَوِيَّةٌ
إِذَا مَا امْتَرَى فِي الْمَعْجَزَاتِ مَكَابِرُ
وَمَنْ مِثْلُ فَارُوقٍ وَلِلْعَرْشِ عِزَّةٌ
مِضَاءٌ وَإِقْدَامٌ وَجُودٌ وَصَوْلَةٌ
سَعَى لِرَسُولِ اللّٰهِ يَحْدُوهُ شَوْقُهُ
يِنَاجِيهِ فَيَاضُ الْمَدَامِخِ خَاشِعًا
رَأَى فِيهِ رَضْوَى مِثْلَهُ فِي ثَبَاتِهِ
حَصِيفٌ لَهُ فِي مَوْقِفِ الْحَقِّ صَوْلَةٌ
يَجْمَعُ شَمْلَ الْعُرْبِ فِي ظِلِّ وَحْدَةٍ
إِذَا ابْتَسَمُوا فَالْبَاتِرَاتُ بَوَاسِمُ
وَفِي كُلِّ يَوْمٍ مِنَّةٌ بَعْدَ مِنَّةٍ
وَكُلُّ أَيْدِي غَيْرِهِ حُلْمٌ حَالِمُ
عَتَبْنَا عَلَى الدُّنْيَا فَمَذْ أَسْرَقَتْ بِهِ
وَصُغْنَا لَهُ مِنْ كُلِّ مَا تُبْدَعُ النُّهَى
فَلَا زَالٍ مَوْفُورَ الْجَلَالِ مُسَدَّدًا

وَجَنَّاتُهُ لِلْعَامِلِينَ مَثَابٌ^{٢٩}
مَوَاضٍ إِذَا اشْتَدَّ الزَّمَانُ صَلَابٌ^{٣٠}
رَمَوْا جِبْهَةً الرَّأْيِ الْبَعِيدِ أَصَابُوا
وَهْلُ كُلِّ بَابٍ الْمَجْدُ فِيهِ لُبَابٌ؟^{٣١}
تَرْدُ صُرُوفِ الدَّهْرِ وَهِيَ حَرَابٌ^{٣٢}
فَسِيرَتُهُ لِلْمَمْتَرِينَ جَوَابٌ^{٣٣}
وَلِلْمُلُكِ وَالْمَجْدِ الْأَثِيلِ مَهَابٌ؟^{٣٤}
وَأَمَالُ حُرِّ طَامَحٍ وَشَبَابٌ^{٣٥}
وَلِلشَّوْقِ وَالْحَبِّ الصَّمِيمِ جَذَابٌ^{٣٦}
صَمَوْتًا، وَصَمْتُ الْخَاشِعِينَ خُطَابٌ
وَحَيَّاهُ مِنْ رَحْبِ الْبَقِيْعِ جَنَابٌ^{٣٧}
وَرَأْيُ إِذَا غَمَّ الصَّوَابُ صَوَابٌ^{٣٨}
كَمَا جَمَعَ الْأَسَدَ الضَّرَاعِمَ غَابٌ^{٣٩}
وَإِنْ غَضِبُوا فَالْبَاتِرَاتُ غِضَابٌ^{٤٠}
إِذَا مَا انْقَضَى بَابٌ تَفْتَحُ بَابٌ^{٤١}
وَكُلُّ نَوَالٍ مِنْ سِوَاهِ سَرَابٌ^{٤٢}
تَقْضَى خِصَامٌ بَيْنَنَا وَعِتَابٌ^{٤٣}
رَوَائِعُ، لَمْ يُبْدَلْ لَهَنٌ نِقَابٌ^{٤٤}
يُجِيبُ إِذَا تَدَعَوْا الْعُلَا وَيُجَابُ!^{٤٥}

هوامش

- (١) طود: جبل.
- (٢) ثوى: أقام. قباب: أبنية ذات قباب.
- (٣) سخاب: عقد من خرز صنع من الطين.
- (٤) رف: برق وتلألأ. مسك: رائحته ذكية. ملاب: عطر أو نبات الزعفران.
- (٥) جاوزتها: تركتها. للرباب: السحاب الأبيض والأسود. غمامة: سحابة. الندي: المبلل. رباب: السحاب الممتلئ بالماء.

- (٦) رمسه: قبره.
(٧) بيض الأيادي: العطايا والمنن والإحسان.
(٨) جاز الحياة: ترك ومات. زورة: زيارة. إياب: عودة.
(٩) يباب: قفر، خراب.
(١٠) عاهل: ملك. وثاب: ثبات في المكان.
(١١) ذروة: أعالي الشيء. مأرب: غاية. مناط: مجمع الشيء. الفرقدين: نجمان قريبان من القطب. طلاب: أعطاه ما طلبه.
(١٢) زمامها: قيادتها. تعنو له: تخضع له.
(١٣) أرخى العنانين: أرسل مقود الفرس.
(١٤) مآثرات: مآثره.
(١٥) صم: الصخرة الصماء الصلبة. هضاب: المرتفع من الأرض.
(١٦) وهنت: ضعفت. أزكى: أوقد. لظى: النار. رغب: أمر مرغوب.
(١٧) شهاب: شعلة من نار ساطعة.
(١٨) ضيغم: أسد. ظفر: مخلب. يفري: يقطع.
(١٩) أزلفها: قدمها وأظهرها. تميد: تتحرك. رطاب: طرية خضراء.
(٢٠) سوامقها: معالمها العالية المرتفعة.
(٢١) فعال: الفعل الحسن.
(٢٢) كل: تعب. زنده: موصل طرف الذراع إلى الكف.
(٢٣) نصاب: قدر محدود.
(٢٤) سالت: تدفقت. شعاب: طرق.
(٢٥) تؤم: تقود. جذلان: فرحًا.
(٢٦) كعاب: الفتاة التي برز نهدها في أول شبابها.
(٢٧) حاتم: حاتم الطائي ويضرب به المثل في الكرم. سباب: شتيمة.
(٢٨) لعاب: لعاب الشمس: خيوط شعاعية تنحدر من السماء وقت الظهيرة.
(٢٩) مثاب: موضع.
(٣٠) صوارم: السيوف القواطع. مواض: حادة. صلاب: صلابة قوية.
(٣١) لباب: خالص.
(٣٢) علوية: نسبة إلى محمد علي باشا رأس الأسرة العلوية. صروف الدهر: أحداثه.

- (٣٣) امترى: شك فيه.
- (٣٤) الأثيل: العظيم. مهاب: جلال ومخافة.
- (٣٥) صولة: وثوب وشجاعة. طامح: مرتفع نظره إلى العلا.
- (٣٦) يحدوه: يدفعه. جذاب: انجذاب.
- (٣٧) رضوى: جبل رضوى الشهير بالحجاز. رحب: متسع. البقيع: مكان في مكة المكرمة يدفن فيه المسلمون منذ أوائل الإسلام. جناب: فناء.
- (٣٨) حصيف: ذو رأي سديد. صولة: جولة. غم: التبس وخفي.
- (٣٩) الضراغم: العظام. غاب: الأجمة كثيرة الأشجار.
- (٤٠) الباترات: القاطعات.
- (٤١) منة: إحسان. انقضى: انتهى، أغلق.
- (٤٢) سراب: ما يرى كأنه ماء.
- (٤٣) تقضى: انتهى.
- (٤٤) النهى: العقول.
- (٤٥) مسددًا: سديد الخطى.

الحُب

نظمت هذه القصيدة في صيف سنة ١٩١٦ م.

عَاجَ الْخَيَالُ فَلَمْ يَبْلُ أَوَامًا
ما لي وَلِلْكَهَلَاءِ! هَجْتُ عُيُونَهَا
يا قَلْبُ وَيْحَكَ! ما سَمِعْتَ لِنَاصِحٍ
لَعِبْتُ بِكَ الْحَسَنَاءُ، تَذْنُو سَاعَةً
وَالْحُبُّ ما لَمْ تَكْتَنِفْهُ شَمَائِلُ
وَالْحُبُّ أَحْلَامُ الشَّبَابِ هَنِئِيَّةُ
وَالْحُبُّ نازِعَةُ الْكَرِيمِ تَهْزُهُ
وَالْحُبُّ مَلْهَأَةُ الْحَيَاةِ وَطَبُّهَا
وَالْحُبُّ نِيرَانُ الْمَجُوسِ، لَهَيْبُهَا
وَالْحُبُّ شِعْرُ النَّفْسِ إِنْ هَتَفَتْ بِهِ
وَالْحُبُّ مِنْ سِرِّ السَّمَاءِ فَسَمِّهِ
لَوْلَاهُ ما أَضْحَى وَلِيدُ زَبِيبَةٍ
وَلَمَّا رَمَى فِي الْجَحْفَلَيْنِ بِصَدْرِهِ
الْحُبُّ أَلْبَسَهُ الْمُرْوَةَ يافِعًا

وَمَضَى وَخَلَفَ فِي الضُّلُوعِ ضِرَامًا^١
فَمَلَأَ قَلْبِي أَنْصُلًا وَسَهَامًا^٢
لَمَّا ارْتَمَيْتَ، وَلَا اتَّقَيْتَ مَلَامًا^٣
فَتَثِيرُ ما بِكَ، ثُمَّ تَهْجُرُ عَامًا
غُرٌّ يَعُودُ مَعَرَّةً وَأَثَامًا!^٤
مَا أَطْيَبَ الْأَيَّامَ وَالْأَحْلَامَا!
فَيَصُولُ سَيْفًا أَوْ يَسِيلُ غَمَامًا!^٥
وَلَقَدْ تَكُونُ بِهِ الْحَيَاةُ سَقَامًا!^٦
يُحْيِي النَفُوسَ، وَيَقْتُلُ الْأَجْسَامَا!^٧
سَكَتَ الْوُجُودُ وَأَطْرَقَ اسْتِعْظَامَا!
وَحَيًّا إِذَا ما شِئْتَ أَوْ إِلْهَامَا
يَوْمَ التَّفَاخُرِ سَيِّدًا مِقْدَامَا!^٨
لَا يَتَّقِي زُمَحًا وَلَا صَمَصَامَا
وَأَعَدَّهُ لِلْمَكْرُمَاتِ غَلَامَا

يَا شَدَّ ما فَعَلَ الْغَرَامُ بِمُهْجَةٍ ذَابَتْ أَسَى وَصَبَابَةٌ وَهِيَامَا!

كَانَتْ صَوُولًا لَا تُنِيلُ خِطَامَهَا فَغَدْتُ أَدْلَ السَّائِمَاتِ خِطَامًا!^٩
 سَكَنْتُ إِلَى حُلُوِّ الْغَرَامِ وَمُرِّهِ وَرَعْتُ عُهْودًا لِلْهَوَىٰ وَذِمَامًا!^{١٠}
 وَطَوْتُ أَحَادِيثَ الْجَوَىٰ فَطَوْتُ بِهَا دَاءَ يَدُكَ الرَّاسِيَّاتِ عُقَامًا!^{١١}
 نَالَ الضَّنَىٰ مِنْهَا الَّذِي قَدْ نَالَهُ فَعَلَامَ رَوَّعَهَا الصُّدُودُ عَلَامًا؟^{١٢}

* * *

يَا زَهْرَةً نَمَّ النِّسِيمُ بِعَرْفِهَا وَجَرَىٰ بِهَا مَاءُ النَّعِيمِ جَمَامًا!^{١٣}
 يَا جَنَّةً لَوْ كَانَ يَنْفَعُ عِنْدَهَا نُسْكُ لَيْتِنَا سَجْدًا وَقِيَامًا
 يَا طُلْعَةَ الرُّوْضِ النَّضِيرِ تَحِيَّةً! وَمُجَاجَةَ الْمِسْكِ الذِّكِّيِّ سَلَامًا!^{١٤}

هوامش

- (١) عاج عوجًا ومعاجًا: أقام أو وقف. البلل: الندى، بله: نداء. الأوام: حر العطش، والمراد حرارة الشوق. الضرام: اشتعال النار.
- (٢) الكحلاء: المرأة يعلو جفون عينيها سواد الكحل من غير اكتحال، هجت: أثرت ونبهت. الأنصل: جمع نصل وهو حديدة الرمح والسهم والسيف ونحوها.
- (٣) ويح: كلمة رحمة.
- (٤) تكتنفه: تحيط به. شمائل: جمع شمال وهي الطبع والخلق. غر: جمع غراء وهي الشريفة البيضاء. المعرة: الإثم والذنب. الأثام: جزاء الإثم.
- (٥) النازعة: الميل.
- (٦) الملهاة: اللهو. والطب: علاج الجسم والنفوس. السقام: المرض.
- (٧) المجوس: أمة من الناس يعبد أكثرهم النار، ويلقون بأنفسهم فيها معتقدين أنها إذا أحرقت الأجسام فإنها تطهر النفوس وتحييها.
- (٨) الوليد: المولود والصبي والعبد، والمراد به هما عنتره بن شداد العيسي، أحد فرسان العرب وشعرائها المشهورين بالفخر والحماسة، وزبيبة أمه، وكانت أمة حبشية سوداء، سبأها أبوه في إحدى غزواته فأولدها عنتره، وكان من عادات العرب ألا تلحق ابن الأمة بنسبها بل تجعله في عداد العبيد؛ لذلك كان عنتره عند أبيه منبوذًا بين عبدانه، وما زال كذلك حتى أغار بعض العرب على عبس واستاقوا إبلهم، ولحققتهم بنو عبس

وفيهم عنتره، فقاتل قتلاً شديداً حتى هزم القوم واستنقذ الإبل. فحرره أبوه واعترف ببنوته. ومن ذلك الوقت ظهر اسم عنتره بين فرسان العرب وساداتها. وقد عشق عنتره في شبابه بنت عمه «عبله» وكان ذلك قبل أن يحرره أبوه ويدعيه، فأبى عمه أن يزوجه ابنته وهو عبد. فحفزه ذلك للمعالي يتطلبها والمجد ينشده. وهاج ذلك من شاعريته فاجتمع له الشعر السلس القوي، والشجاعة النادرة، والهمة العالية من حسب ونسب وشجاعة ومروءة وغير ذلك.

(٩) الصُّوْل: الوثاب النافر من الإبل، شبه نفسه بالجمال الشرود. الخطام: الزمام أي المقود.

(١٠) سكنت: اطمأنت واستأنست. رعت: حفظت وصانت. الذمام: الحق والحرمة.

(١١) طوت: كتمت وأخفت. الجوى: هوى باطن، والحزن والحرقة وشدة الوجد.

يدك: يهدم. الراسيات: الجبال. داء عقام: لا يبرأ منه.

(١٢) الضنى: المرض المخامر كلما ظن برؤه نكس.

(١٣) نم: أفشى وأظهر. العرف: الريح الطيبة. الجمام: جمع جميم وهو الكثير من

كل شيء.

(١٤) الطلعة: الوجه. والمجاجة في الأصل الريق، ويراد به هنا الفتات أو الخلاصة.

المسك: طيب معروف، وهو عند العرب أفضل الطيب. مسك ذكي وذاك: ساطع ريحه.

مصيف رشيد

أنشد الشاعر هذه القصيدة في احتفال كبير أقيم ببلد الشاعر «رشيد» بمناسبة افتتاح مصيفها سنة ١٩٣٩م.

أرشيدُ لا جُرْحٌ ولا إيْلَامُ	عاد الزمانُ وصَحَّتِ الأحلامُ!¹
وتمثَّلتُ فيكِ الحياةُ فتَيَّبةٌ	من بعدِ ما عبثتُ بكِ الأيامُ²
يا زينةً بينَ الثغورِ وفتنةً	سحرَ الممالكِ ثغرُكِ البِسامُ³
يا وردةً بين الرمالِ نضيرةً	تُزهى بها الأغصانُ والأكمامُ⁴
يا درَّةَ البحرِ التي بوميضها	ضَحِكَ الصبَّاحُ، وأشرقَ الإِظلامُ⁵
يا دَوْحَةً نبتَ القريضُ بأرضها	فأصولُّها وفروعُها إلهامُ⁶
يا روضةَ فتنِ العيونِ جمالها	وتحدَّثتْ بأريجها الأنسامُ⁷
يا همسةَ الأملِ الوسيمِ رِواؤه	لو كانَ للأملِ الوسيمِ كلامُ!⁸
يا صحوةَ المجدِ القديمِ تحدَّثني	طالَ الزمانُ بنا ونحن نيامُ!
يا طلعةً للحسنِ شاع ضياؤها	وانجابَ عنها البحرُ وهو لِثامُ⁹

* * *

أرشيدُ يا بلدي ويا ملهى الصبا	بيني وبين مَدَى الصبا أعوام!¹⁰
أيام لي في كلِّ سَرَجٍ نَغْمَةٌ	وبكلِّ ركنٍ وقفةٌ ولِمامُ¹¹
أيام لا أمسي يَجُرُّ وراءه	أسفاً، ولا يومي عليَّ جَهامُ¹²
ألهو كما تلهو الطيورُ، حديثها	شدُّو، وَرَفُّ جَنَاحِها أنغامُ¹³

متنقّلاتٍ بين أزهارِ الرُّبا الجوّ مَتْنٌ، والنسيمُ زِمَامٌ^{١٤}
ومطالبِي لم تَعُدْ مَدَّةً ساعدي بُعْدًا، فما استعصى عليّ مرام
لهو الطفولة خيرَ أيامِ الفتى إن الحياةَ وكَدَحَها أوهام!

أرشيْدُ، فيكَ لبانتي وصِبايتي والصَّهْرُ والأخوالُ والأعمام^{١٥}
لمستُ حُنُوَّ الحبِّ فيكَ تَمَائِمي ورأيتُ فيكَ الدهرَ وهو غلام^{١٦}
ونشأتُ في ظلِّ النخيلِ يَهْزُنِي شوقٌ إلى أفياءِها وغرام^{١٧}
أرختُ شعورًا للنسيمِ كأنما أظلالُها تحت الغمامِ غمام^{١٨}
تهفو ويمنعها الحياءُ فتَنثَنِي كالغيدِ رَوَّعَ سِرْبِها اللُّوام^{١٩}
إنا كَبِرْنَا يا نخيلُ وحبُّنا بين الجوانحِ شُعْلَةٌ وضرَامُ^{٢٠}
كم طَوَّقَتْ منك القُدودُ سواعدي ولكم هزَرتَ فتاك حين حملته
ولكم هزَرتَ فتاك حين حملته إن يُقْصِنِي عنكَ الزمانُ وأهلُه
إن يُقْصِنِي عنكَ الزمانُ وأهلُه ميسي كأيامِ الطفولةِ وارْفُلي
ميسي كأيامِ الطفولةِ وارْفُلي غنّى لك القلمُ الذي أرهفَته
غنّى لك القلمُ الذي أرهفَته هذا وليدُك جاء يَنشدُ شعرَه
هذا وليدُك جاء يَنشدُ شعرَه أصغى له الوادي، وغنّتْ باسمه
أصغى له الوادي، وغنّتْ باسمه إن قال مال له الوجودُ برأسه
إن قال مال له الوجودُ برأسه ملك العَصِي من القريضِ بسحره
ملك العَصِي من القريضِ بسحره

أرشيْدُ، هل في أن يَبُوخَ أخو الهوى حَرَجٌ، وهل في أن يَحِنَّ ملام^{٢٨}
يا مَرْتَعِ الأرامِ رَنَحَها الصِّبا كيف المراتعُ فيكَ والأرام^{٢٩}
من كلِّ لَفَاءِ المعاطِفِ طَفْلَةٍ جيّدٌ كما يهوى الهوى وقوام^{٣٠}
سترت ملاحظتها الملاءةُ مثلما ستر الغمامِ البدرَ وهو تمام^{٣١}
يدنو الجمالُ بها فيحببها التَّقَى «كظباءِ مكةَ صيدهنَّ حَرام»
فلذا نظرتُ فخذُ لنفسيك جذرها إن العيونَ — كما علمت — سهام

* * *

أرشيدُ، مجدُّك في القديمِ صحيفةٌ
ملأتْ ما ذنكِ السماءَ شوامخاً
كم شاهدتُ قومًا زهتْ أيامُهم
سبحانَ من لا مجدَ إلَّا مجده
خذْ من زمانِكَ ما استطعتْ فما لما
وارضَ الحياةَ نعيمها أو بوّسها
بيضاء، لا لبسٌ ولا إبهامٌ^{٣٢}
بين السحابِ كأنَّها أعلام
حينًا، وجاءت بعدهم أقوام
نَفَنَى وَيَبْقَى الواحدُ العلَّام^{٣٣}
أخذتْ يداك من الزمانِ دوام^{٣٤}
نُعْمى الحياةِ وبوَّسها أقسام^{٣٥}

* * *

أرشيد، لم نسمع لصدرِكَ أنَّه
أجملتَ صبرًا للحوادثِ فانتثنت
اليومَ جدَّدتِ الشبابَ فأقدمي
سعت الوفودِ إلى مصيفِكَ سَبَقًا
النيلُ والبحرُ الخَضَمُ يحوطُه
والتوتُ والصَّفصافُ يهتفُ طيره
والزهرُ في جيدِ الرياضِ قلائدُ
والموجُ كالخيلِ الجوامحِ أَطْلِقَتْ
تجري السفائنُ فوقَه وكأنَّها
ومناظرُ يَغيا القريضُ بوصفِها
والناسُ بين ممازح ومداعب
من شاء في ظلِّ السعادةِ ضَجَعَة
أو رام نسيانَ الهمومِ فها هنا
للنَّازلاتِ الدُّهُمِ وهي جِسام^{٣٦}
إنَّ الكرامَ على الخطوبِ كِرام^{٣٧}
معنى الشبابِ العزمُ والإقدامُ
يتلو الزحامَ إلى سناه زحام^{٣٨}
والباسقاتُ على الطريقِ قيام^{٣٩}
فتردَّدُ الكُتَّبانُ والأكامُ^{٤٠}
والنهرُ في خَصْرِ الرياضِ جِزام^{٤١}
وانحلَّ عنها مِقوودٌ ولجام^{٤٢}
والريخُ تدفع بالشرعِ، حمام^{٤٣}
ويضلُّ في ألوانها الرِّسام^{٤٤}
والأنسُ حتمٌ والسرورُ لِزام^{٤٥}
فهنا تُشادُ صُروحُها وتُقام^{٤٥}
تُنسى الهمومُ، وتذهبُ الآلام^{٤٦}

هوامش

- (١) إيلام: ألم. صحت: تحققت.
- (٢) تمثلت: تشبهت. فتية: شابة. عبثت: لعبت.
- (٣) الثغور: المواني على البحر.
- (٤) تزهى: تفتخر.
- (٥) درة: جوهرة ثمينة. وميضها: نورها ولمعانها.
- (٦) دوحة: الحديقة ذات الشجر العظيم. القريض: الشعر. إلهام: وحي من الله.
- (٧) أريجها: رائحتها الطيبة. الأنسام: الهواء الطيب.
- (٨) الوسيم: الجميل. رواؤه: بهائه.
- (٩) انجلب: انكشف. لثام: ستر ونقاب.
- (١٠) مدى: غاية.
- (١١) سرح: فناء الدار. نغمة: لحن وكلام منغم. لمام: اجتماع.
- (١٢) جهام: السحاب لا مطر فيه والمراد باليوم جهام: اليوم لا خير فيه ولا سرور.
- (١٣) رف جناحها: تحريك جناحها يشبه الألحان الجميلة.
- (١٤) متن: مطية. زمام: مقود.
- (١٥) لبانتي: حاجتي. صبابتي: رقة شوقي وحرارته.
- (١٦) تمائمي: تعاويذي.
- (١٧) أفيأؤها: ظلها.
- (١٨) شعورًا: يقصد سعفها الذي يشبه الشعر مسدل من رأس النخلة. أظلالها: ظلها. الغمام: سحاب.
- (١٩) روع: أخاف. سربها: جماعتها. اللوام: اللاثمون.
- (٢٠) الجوانح: الأضلاع. ضرام: نار.
- (٢١) طوقت: أحاطت. جناك: حصادك.
- (٢٢) يقصني: يبعدني. ذمام: حرمة، توثيق.
- (٢٣) ميسي: تبخترني. ارفلي: انعمي. جمام: كثير.
- (٢٤) نظام: نظم الشعر.
- (٢٥) الوادي: وادي النيل أي: مصر والسودان.

- (٢٦) رنت: نظرت.
- (٢٧) العصي: الشارد من الألفاظ. القريض: الشعر. خطام: زمام.
- (٢٨) أخو الهوى: المحب لك يقصد نفسه.
- (٢٩) مرتع: موضع اللهو واللعب. الآرام: الظباء. رنحها: ميلها.
- (٣٠) لفَاء: لابسة. المعاطف: جمع معطف وهو ما يلبس فوق الملابس. طفلة: رخصة ناعمة.
- (٣١) سترت: أخفت.
- (٣٢) لبس: شك. إبهام: غموض.
- (٣٣) العلام: كثير العلم منذ الأزل وعلم الله — سبحانه وتعالى — صفة أزلية.
- (٣٤) دوام: بقاء.
- (٣٥) ارض: اقنع. أقسام: حظوظ مقدرة.
- (٣٦) أنة: أنين وألم. النازلات: الكوارث. الدهم: السود المظلمة. جسام: كبيرة وشديدة.
- (٣٧) أجملت: أحسنت، تصبرت. انثنت: ذهبت وطويت.
- (٣٨) سناه: نوره.
- (٣٩) الخضم: ذو الأمواج المرتفعة الكبيرة. الباسقات: العالياات يقصد النخل العالي.
- (٤٠) التوت والصفصاف: أنواع من الشجر الكبير العالي. الأكام: التلال المرتفعة.
- (٤١) خصر: الوسط.
- (٤٢) الجوامح: الشاردة. مقود: الذي تقاد به الدبة. لجام: ما يوضع في فم الفرس لقيادته.
- (٤٣) السفائن: السفن.
- (٤٤) يعيا: يعجز. يضل: يتوه.
- (٤٥) تشاد: تبنى. صروحها: مبانيها العالية.
- (٤٦) رام: ابتغى وأراد.

زِيَارَةُ مَلِك

زار السلطان «حسين كامل» دار العلوم في أول ولايته سنة ١٩١٥م، فألقى أمامه هذه الأبيات:

يا مالِكًا مَلِكَ الْقُلُوبِ	بَ وَلَمْ أَشْتَاتِ الرِّعِيَّةَ ^١
لَكَ فِي الْعُلَا كَعْبٌ وَكَفْ	خُفٌ فِي الْمَكَارِمِ حَاتِمِيَّةَ ^٢
لَكَ سِيرَةٌ كَصَحِيفَةِ الْأَ	بُرَارِ طَاهِرَةٍ نَقِيَّةَ ^٣
لَكَ فِكْرَةٌ يَجْرِي الْهُدَى	فِيهَا وَتَكْلُوهَا الرِّوِيَّةَ ^٤
كَالسَّهْمِ لَا تَنْبُؤُ إِذَا	نَظَرْتَ وَلَا تُخْطِي الرَّمِيَّةَ ^٥
الْعِلْمُ طَابَ ثَوَاؤُهُ	فِي ظِلِّ تِلْكَ الْأَرْيَحِيَّةِ ^٦
أَعْلَى أَبُوكَ بِنَاءُهُ	وَعَلَيْكَ إِتِمَامُ الْبَقِيَّةِ ^٧
«دَارُ الْعُلُومِ» تَشْرَفَتْ	بِشُرُوقِ طُلُوعِكَ السَّنِيَّةِ ^٨
فَلَوْ أَنَّهَا نَطَقَتْ لَكََا	نَتَّ تَمَلَّأُ الدُّنْيَا تَحِيَّةَ
فَاهِنًا بِمَا أَوْلَى إِلَهُهُ	وَعِشْ تَعِشْ كُلُّ الْبَرِيَّةِ ^٩

هوامش

- (١) لم أشْتَاتِ الرعية: أصلها وجمع ما تفرق من أمورها.
- (٢) المكارم: جمع مكرمة وهي اسم من الكرم. وحاتمية: نسبة إلى حاتم الطائي أشهر أجداد العرب.
- (٣) الأبرار: جمع بر. وهو الخير الكثير.

- (٤) تكلؤها: تحفظها. والروية: التدبر والتفكر في الأمر.
- (٥) تنبو: تتباعد والرمية: فعلية بمعنى مفعولة وهي ما يرمى من الحيوان وغيره.
- (٦) ثاؤه: إقامته.
- (٧) أبوك: هو الخديو إسماعيل.
- (٨) الطلعة: الوجه. والسنية: ذات السناء وهو الرفعة والشرف.
- (٩) أولاه الأمر: ولاه إياه. والبرية: الخلق.

الشريد

نشرت في صيف سنة ١٩٣٨ م.

أَطَلَّتِ اللَّامُ مِنْ جُحْرِهِ وَلَقَّتِ الْأَسْقَامُ فِي طَمْرِهِ^١
بُرْذَتُهُ اللَّيْلُ، عَلَى بَرْدِهِ وَكُنْهُ الْقَيْظُ، عَلَى حَرِّهِ^٢
مُشَرَّدٌ يَاوِي إِلَى هَمِّهِ إِذَا أَوَى الطَّيْرُ إِلَى وَكْرِهِ^٣
مَا ذَاقَ حُلُوَّ اللَّثْمِ فِي خَدِّهِ وَلَا حَنَانَ الْمَسِّ فِي شَعْرِهِ
وَلَا حَوْتَهُ الْأُمُّ فِي صَدْرِهَا وَلَا أَبُّ نَاغَاهُ فِي جَجْرِهِ
قَدْ صَبَرَ النَّفْسَ عَلَى مَا بِهَا وَانْتَظَرَ الْمَوْعُودَ مِنْ صَبْرِهِ

* * *

الْبَطْنُ مَهْضُومٌ، طَوَاهِ الطَّوَى وَنَامَ أَهْلُ الْأَرْضِ عَنْ نَشْرِهِ^٤
وَالْوَجْهَ لِلْيَأْسِ بِهِ نَظْرَةً يَقْذِفُهَا الْحِقْدُ عَلَى دَهْرِهِ
جَرَّحَهُ الدَّهْرُ، فَمِنْ نَابِهِ تِلْكَ الْأَخَادِيدُ، وَمِنْ ظُفْرِهِ^٥
قَدْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَى خَدِّهِ خَطًّا يَبِينُ الْبُؤْسَ فِي سَطْرِهِ
وِغَارُ ضَوْءِ الْجِسِّ مِنْ عَيْنِهِ وَفَرَّ لَمَحُ الْأَنْسِ مِنْ ثَغْرِهِ
وَالْبَشْرُ، أَيْنَ الْبَشْرِ؟ وَيَحْيٍ لَهُ! يَا رَحْمَةً اللَّهَ عَلَى بَشْرِهِ
يَجُرُّ رِجْلَيْهِ بَطِيءَ الْخَطَا كَالْجَعَلِ الْمَكْدُودِ مِنْ جَرِّهِ^٦
إِنْ نَامَ أَبْصَرَتْ بِهِ كُتْلَةً تَجْمَعُ سَاقِيهِ إِلَى نَحْرِهِ^٧
احْتَبَسَتْ «أَوَاهُ» فِي قَلْبِهِ وَاخْتَنَقَتْ «وَيْلَاهُ» فِي صَدْرِهِ^٨

وجفَّ ماءُ العَيْنِ في مُوقِهَا ماذا أَفَادَ العَيْنَ من هَمِّهِ؟^٩
 سالتُ به نَهْرًا على لُقْمَةٍ فعادَ كالسائلِ في نَهْرِهِ!
 لا يَجِدُ المَأْوَى، ولو رَامَهُ أحوالُهُ الدهرَ على قَبْرِهِ
 هناك يَثْوِي هادئًا آمنًا من شَطَفِ العَيْشِ ومن وَغَرِهِ^{١٠}
 فكم بصدْرِ القَبْرِ من ضُجْعَةٍ أحنى من الدهرِ ومن نُكْرِهِ!^{١١}

* * *

مَتَعَبَةُ الإنسانِ في حِسِّهِ وشَقْوَةُ الإنسانِ من فِكْرِهِ
 كيف يُرَجَّى الصَفْوُ من كائِنٍ الحَمَأُ المَسْنُونُ في ذَرِّهِ؟^{١٢}
 لم يَسْمُ لِلأَمَلِكِ في أَوْجِهَا ولا هَوَى للوَحْشِ في قَفْرِهِ^{١٣}
 رام اللبَابَ المَحْضَ من سَعْيِهِ فلم يَنْلُ منه سِوَى قِشْرِهِ^{١٤}
 يسْعَى، وما يَدْرِي إلى نَفْعِهِ سَعَى حَثِيثًا، أم إلى ضَرِّهِ^{١٥}
 آمَنْتُ بالله! فكم عالِمٍ أعجزه المحجوبُ من سِرِّهِ

* * *

الله في طِفْلِ عِزِّهِ الضَّنَى بأذْهِمِ الخَطْبِ ومُغْبِرِهِ^{١٦}
 في ظُلُمَاتٍ، مَوْجُها زَاخِرُ كأنَّهُ ذو النُّونِ في بَحْرِهِ^{١٧}
 والنَّاسُ بالشَّاطِئِ، من غَافِلٍ أو ساخِرٍ، أَمَعَنَ في سُخْرِهِ
 والمَوْجُ كالذُّوبَانِ حَوْلَ الفَتَى يسدُّ أذُنَ الأفقِ مَنْ زَارِهِ^{١٨}
 نادَى، وما نادَى سِوَى مَرَّةٍ حتَّى طَواهُ اليمُّ في غَمْرِهِ
 تظنُّه طِفْلًا، فإن حَقَّقَتْ عِينَاكَ، لم تَعُثِّرْ على عُشْرِهِ
 كأنَّهُ الشُّكُّ إذا ما مَشَى أو ما يَرَى النَّائِمُ في دُغْرِهِ
 طَغَى به الجوعُ، ففي دَمْعِهِ ما فَعَلَ الجوعُ، وفي نَبْرِهِ

* * *

واهاً لكفَّ لَصِقَتْ بالثَرَى وأُنْتَدَمَتْ بالبُؤْسِ من عَفْرِهِ^{١٩}
 ماذا على الإحسانِ لو رَدَّها نَدِيَّةَ الأطْرَافِ من بَرِّهِ؟^{٢٠}
 ماذا على الإحسانِ لو رَدَّها رَطِيبَةَ الألسُنِ من شُكْرِهِ؟^{٢١}

كَمْ بَسَمَةٍ أَرْسَلَهَا مُحْسَنٌ
 وَلُقْمَةٍ سَدَّتْ فَمَا جَائِعًا
 وَمِنَّةٍ كَانَتْ جَنَاحًا لَهُ
 وَدَمْعَةٍ يُذْرِفُهَا مُشْفِقًا
 لَا تُزْهَرُ الْجَنَّةُ إِلَّا بِمَا
 لَوْ عَرَفَ الْإِنْسَانُ مَا أَجَرَهُ
 يَبْقَى قَلِيلُ الْمَالِ مِنْ بَعْدِهِ
 بَيْضُ أَيَادِي الْمَرْءِ فِي قَوْمِهِ
 وَالْحَرُّ، لَا يَنْعَمُ فِي وَفَرِهِ
 وَالْمَرْءُ، لَا يُعْرِفُ مِقْدَارَهُ
 وَالنَّاسُ كَالْمَاءِ، فَمَنْ ضَخَّضَ
 لَيْسَ الَّذِي يُنْفِقُ مِنْ يُسْرِهِ
 كَمْ دِرْهَمٍ أَلْقَى فِي سِجْنِهِ
 لَمْ يَرَ حُسْنَ الصُّبْحِ فِي شَمْسِهِ
 يَطْمَعُ وَخَزَّ الْجَوْعُ فِي وَصْلِهِ
 وَالْمَالُ كَالْخَمْرِ، إِذَا مَا طَغَى
 مَتَى يَهْبُ الْعَقْلُ مِنْ نَوْمِهِ؟
 مَتَى أَرَى النَّفْسَ، وَقَدْ أُطْلِقَتْ
 مَتَى أَرَى الْحَبَّ كَضَوْءِ الضُّحَى
 مَتَى أَرَى النَّاسَ، وَقَدْ نَزُّهُوا
 أُخُوَّةُ الْغُصْنِ إِلَى صَنْوِهِ
 وَرَحْمَةٌ، رَفَافَةٌ لَمْ تَدَعْ
 لَا يُخَسِّدُ الْجَاهُ عَلَى مَالِهِ
 أَزْهَى مِنَ الرَّوْضِ وَمِنْ زَهْرِهِ!
 رَجَحَتِ الْمِيزَانَ فِي حَشْرِهِ!
 طَارَ بِهِ الذَّائِعُ مِنْ ذِكْرِهِ
 أَصْفَى مِنَ الْمَدْخُورِ مِنْ دُرِّهِ^{٢٢}
 يَسْفَحُهُ الْبَاكِي عَلَى وَزْرِهِ
 مَا ضَنَّ بِالنَّفْسِ عَلَى أَجْرِهِ
 وَيَذْهَبُ الْمَالُ عَلَى كُثْرِهِ
 أَعْلَى مِنَ الْبَيْضِ وَمِنْ صُفْرِهِ^{٢٣}
 حَتَّى يَنَالَ النَّاسُ مِنْ وَفَرِهِ^{٢٤}
 أَوْ تُنْبِئُ الْأَحْدَاثُ عَنْ قَدْرِهِ
 وَمِنْ عَمِيقٍ، جِرْتُ فِي سَبْرِهِ^{٢٥}
 مِثْلَ الَّذِي يُنْفِقُ مِنْ عُسْرِهِ
 وَلَمْ يَنْلُ عَفْوًا مَدَى عُمْرِهِ!^{٢٦}
 وَلَا جَمَالَ اللَّيْلِ فِي بَدْرِهِ
 وَيُرْسِلُ الزَّفَرَاتِ مِنْ هَجْرِهِ^{٢٧}
 ضَاقَتْ فِجَاجُ الْأَرْضِ عَنْ شَرِّهِ^{٢٨}
 أَوْ يَسْتَفِيقُ الْمَالُ مِنْ سُكْرِهِ؟
 مِنْ رِبْقَةِ الْمَالِ وَمِنْ أَسْرِهِ؟^{٢٩}
 كُلُّ أَمْرٍ يَسْبَحُ فِي طُهْرِهِ؟
 عَنْ شَرِّهِ الذُّنْبُ وَعَنْ غَدْرِهِ؟
 وَبَسَمَةُ الزَّهْرِ إِلَى قَطْرِهِ^{٣٠}
 قَلْبًا يُوَارِي النَّارَ فِي صَخْرِهِ^{٣١}
 أَوْ يُنْهَرُ الْبُؤْسُ عَلَى فَقْرِهِ

كَمْ شَارِدٍ فِي مَصْرٍ، يَا كُثْرَهُ
 نَخِيرَةُ الْأُمَّةِ أَبْنَاؤُهَا
 مَاذَا أَفَادَ النَّيْلُ مِنْ سَاعِدٍ
 مَاذَا أَفَادَ النَّيْلُ مِنْ حَضْرِهِ!
 مِنْ عَدَدٍ، يَسْخَرُ مِنْ حَضْرِهِ!
 مَاذَا أَفَادَ النَّيْلُ مِنْ ذُخْرِهِ؟
 أَسْرَعَ مِنْ ضِغْثٍ إِلَى كَسْرِهِ؟^{٣٢}

وأزجل أوهن من هَمْسَةٍ
ومن فتاة، فَجَرُّها لَيْلُها
أَلْقَتْهُ مِصْرٌ هَمَلًا ضَائِعًا
غاص من الآثام في آسن
أسرى من الليل، وأمضى يدًا
كم ضاق من شَقْوَتِهِ عَصْرُهُ
شَبًّا بِحَلْقِ الْوِطَنِ الْمُفْتَدَى
مدرسة النشل وسَلَّ المَدَى
إذا هوى الخلق، وضاع الحِجَا
من يَصْلِحِ الأُشْرَةَ يَصْلِحِ بها
ومن نسيم الصبح في مَرِّهِ
ومن غلام، ضَلَّ في فَجْرِهِ؟
فصال يَبْغِي الثَّارَ من مِصْرِهِ^{٣٣}
يَكْرَعُ مِلءَ الْقَمِّ من مَرِّهِ^{٣٤}
من عَبَثَ الليل، ومن مَكَّرِهِ^{٣٥}
وضاق بالسُّخْطِ على عَصْرِهِ^{٣٦}
وشوكة كالنَّضْلِ في ظَهْرِهِ^{٣٧}
أَسَسَهَا الشَّيْطَانُ في جُحْرِهِ
فكلُّ شَيْءٍ ضاع في إِثْرِهِ^{٣٨}
ما دَمَّرَ الإِفْسَادُ في قُطْرِهِ

* * *

جناية الوالدِ نَبَذَ ابنه
لا تَتْرُكُ الذَّنْبَةَ أَجْرَاءَها
البَيْتُ صَحْرَاءُ إذا لم تَجِدْ
فعاقبوا الآباءَ إن قصَّروا
وأنقذوا الطفلَ، فما ذَنْبُهُ
رَبُّوهُ، يَنْمُو ثَمَرًا طَيِّبًا
وعَلِّمُوهُ عَمَلًا صَالِحًا
رَبُّوهُ في الرِّيفِ، لعلَّ القرى
النَّفْسُ مِرْآةً، وَغُصْنُ النُّقَا
لعلَّ هَمْسَ الغُصَنِ في أَذْنِهِ
لعلَّ أنفاسَ نسيم الرُّبَا
النَّيْلُ يَسْتَنْجِدُ مُسْتَنْصِرًا
لا يذهبُ المعروفُ في لُجَّةٍ
في عُسْرِهِ، إن كان، أو يُسْرِهِ
ولا يَغِيبُ الْكَلْبُ عن وَجْرِهِ^{٣٩}
طفولة تَمَرُّحُ في كِسْرِهِ^{٤٠}
لا بُدَّ لِلسَّائِرِ من رَجْرِهِ^{٤١}
إن جَمَحَ الْوَالِدُ في خُسْرِهِ^{٤٢}
لا ييأسُ الزَّارِعُ من بَذْرِهِ
يَشُدُّ — إن كَافَحَ — من أَزْرِهِ^{٤٣}
تُصْلِحُ ما أَعْضَلَ من أَمْرِهِ
يَطِيبُ أو يَخْبِثُ من جَذْرِهِ
يُنْسِيهِ ما أَضْمَرَ من ثَأْرِهِ!
في صَدْرِهِ، تُبْرِدُ من جَمْرِهِ!
فأسرعوا الخَطْوَ إلى نَصْرِهِ
ولا يَكْفُ الْمِسْكُ عن نَشْرِهِ^{٤٤}

هوامش

- (١) أطلت: أشرفت. الطمر: الثوب البالي.
- (٢) البردة: كساء صغير مربع. الكن: السترة.
- (٣) مشرد: مطرود منفرد. أوى: أقام وسكن.
- (٤) مهضوم: ضامر. الطوى: الجوع. نشره: إحيائه.
- (٥) الأخاديد جمع أخدود: وهو الحفرة في الأرض، والمراد بها الغضون والتجاعيد التي يطبعها البؤس على وجهه.
- (٦) الجعل: دويبة معروفة. المكدود: المتعب.
- (٧) النحر: أعلى الصدر.
- (٨) أواه: يقصد بها الشكوى. ويلاه: يقصد بها الألم.
- (٩) الموق: جانب العين مما يلي الأنف. همر الدمع: انصبابه.
- (١٠) يثوي: يقيم. وعره: صعبه.
- (١١) أحنى: أعطف. النكر: القبح والشناعة.
- (١٢) الحمأ: الطين الأسود. المسنون: المتغير المتن. ذره: الذر أصغر النمل، ويراد به أصل الإنسان وجرثومته.
- (١٣) الأوج: ضد الهبوط. هوى: سقط.
- (١٤) اللباب: قلب الشيء. المحض: الخالص.
- (١٥) حثيثاً: مسرعاً.
- (١٦) أدهم: أسود. أدهم الخطب: أشد المصائب وأفدحها.
- (١٧) موج زاخر: ممتد مرتفع. ذو النون: سيدنا يونس وقد ابتلعه الحوت في البحر، فنجاه الله من الغم وأخرجه.
- (١٨) الذؤبان: جمع ذئب. الزأر: صوت الأسد، ويقصد به هدير الأمواج.
- (١٩) واهًا: اسم لعل للتعجب، ويراد به هنا التفجع. الثرى: التراب الندي. ائتدم: أساغ الخبز بالإدام. العفر: التراب.
- (٢٠) ندية الأطراف: غضة بضة بالإحسان.
- (٢١) رطيبة الألسن: تلهج بالثناء.
- (٢٢) المذخور: المدخر المعد لوقت الحاجة.
- (٢٣) بيض الأيادي: النعم المشهورة. البيض: الدراهم. الصفر: الدنانير.

(٢٤) وفره «في الشطر الأول»: المال الكثير. وفره «في الشطر الثاني»: ما زاد عن حاجته.

(٢٥) الضحضح: الماء القليل. السير: الاختبار.

(٢٦) السجن هنا المكان الذي يدخر فيه البخيل ماله.

(٢٧) الوخز: الطعن بالرمح ونحوه.

(٢٨) فجاج الأرض: طرقاتها الواسعة.

(٢٩) الربكة: العروة في الربق وهو الحبل يشد به.

(٣٠) الصنو: الواحدة من النخلتين في أصل واحد.

(٣١) رفاقة: هفاقة شاملة، ويقال: رف الطائر بسط جناحيه.

(٣٢) الضغث: الحشيش الرطب واليابس.

(٣٣) هملا: متروكا سدى غير راع.

(٣٤) آسن: ماء آجن فاسد. يكرع: يشرب الماء بغيه من موضعه من غير أن يتناوله بكفيه أو بإناء.

(٣٥) أسرى من الليل: أمضى. والسرى: السير بالليل.

(٣٦) شقوته: شقاؤه.

(٣٧) الشجا: ما اعترض في الحلق من عظم ونحوه. النصل: حديدة السهم والرمح والسيف.

(٣٨) هوى: سقط. الحجا: العقل. إثره: بعده.

(٣٩) الأجراء: جمع جرو، وهو صغير كل شيء، وولد الكلب والأسد والذئبة. الوجر: الكهف في الجبل وجحر الضبع.

(٤٠) كسره: جانبه.

(٤١) السادر: الذي لا يبالي ما يصنع. الزجر: المنع.

(٤٢) جمح: ركب هواه.

(٤٣) الأزّر: القوة.

(٤٤) نشره: رائحته الطيبة.

قبر حفني

ألقى الشاعر هذه القصيدة بدار الإذاعة في رثاء العالم الأديب الشاعر حفني ناصف عام ١٩٣٨م.

يا قبرَ حفني أجبني	ماذا صنعتَ بحفني؟
ماذا صنعتَ بعلم؟	وما صنعتَ بفن؟
وما صنعتَ بفكرٍ	ماضي الشَّبابِ وذهن؟ ^١
طويتَ خيرَ مَثابٍ	للطائفين ورُكن؟ ^٢

في كلِّ يومٍ رثاءٌ	لصاحبٍ أو لخدن ^٣
حتَّى لقد كاد شعري	يبكي لضعفي ووَهني ^٤
فإنَّما أنا منه	وإنَّما هو مني
الوزنُ من نَبْضِ قلبي	والبحرُ من ماء جَفني ^٥
رحا المنايا رويدًا	خلطت طَحْنًا بِطحن ^٦ !
وإنَّما الناس ظَعْنُ	يسيرُ في إثرِ ظَعْن ^٧
فما حديدُ بباقي	ولا حِذارُ بِمُغني ^٨
وكلُّ عقلٍ مُضِيءٍ	إلى خُمودٍ وأفن ^٩
يكادُ إن مال غصنُ	يشكو الزمانَ لغصن
تعرَّسًا له، كم نُعزِّي	حينًا، وحينًا نُهني ^{١٠} !

من اجتماعٍ لِعُرْسٍ	إلى اجتماعٍ لدفن
والمرءُ يُحيي الأمانِي	والدهرُ يُبلي وَيُفني
فكم تمنّيتُ لكن	ماذا أفاد التمني؟
دعني أَقْلِبُ طَرْفِي	في ظُلْمَةِ اللَّيْلِ دعني ^{١١}
حيرانَ أَضْرِبُ كَفِي	أَسَى وَأَقْرَعُ سِنِّي ^{١٢}
قد خانني الدهرُ يوماً	يا ليتَه لم يَخُنِّي! ^{١٣}
أَكَلَمَا مَرَّ نَعَشُ	أو طاف نَعْيٌ بأَذُنِي
طار الفؤادُ، فلولا	بقيةً، ندَّ عني ^{١٤}
لولا التَّقَى لم أجده	بجانبي أو يجدني ^{١٥}

* * *

قالوا: أجدت المراثي	فقلتُ: إنَّ، وإنِّي ^{١٦}
دُموعُ عيني قَريضي	وزَفَرَةُ الوَجْدِ لحني ^{١٧}
عَلَيَّ أداوي حَزِينًا	فالحزنُ يُمَحِّي بحزن
أو يشتفي ببكاءٍ	مَنْ شَأْنُهُ مِثْلُ شَأْنِي ^{١٨}

* * *

أَيْنَ النُّبُوغُ تَوَارَى؟	يا قَبَرَ حَفَنِي أَجْبَنِي
أَكَلَمَا لَاحَ بَدْرٌ	رَمَتِه رِيحٌ بَدَجْنُ؟ ^{١٩}
وخلَّفَ الأرضَ حَيْرِي	سهلٌ يَمُوجُ بِحَزْنٍ ^{٢٠}
وربَّ زَهْرٍ شَذَاهُ	يُزْرِي بِأَرْوَاحِ عَدْنٍ ^{٢١}
كَأَنَّمَا مَنَحْتَهُ	أَلْوَانَهَا ذَاتَ حُسْنٍ ^{٢٢}
جَمَالُهُ الْغَضُّ أَغْرَى	أَغْصَانَهُ بِالتَّثْنِي ^{٢٣}
عَذَّتْهُ أَطْبَاءُ طَلٍّ	حِينَئِذٍ، وَأَثْدَاءُ مُزْنٍ ^{٢٤}
تَسْرِي بِهِ الرِّيحُ رَفَقًا	فِي خَشْيَةٍ وَتَأَنِّي ^{٢٥}
كَأَنَّهَا فَمٌ أُمُّ	يَمُرُّ فِي وَجَنَةِ ابْنٍ ^{٢٦}
النَّحْلُ تَرَشُّفُ مِنْهُ	رَحِيقَهُ وَتُغْنِي
تَجْنِي وَلَمْ تَدْرِ يَوْمًا	أَنَّ الرَّدَى سَوْفَ يَجْنِي ^{٢٧}

قبر حفني

طغت عليه سَمومٌ حرّى كَأَنفاسِ جِنَّ^{٢٨}
فغادرتهُ رُكامًا أجفَّ من عودِ تبَن^{٢٩}
والدهر أحرى رفيق بأن يَخونَ ويُخني^{٣٠}

يا قبرَ حفني أجبني وارحم بقيّة سَنِي
قد راعني منك صَمْتُ بحقّه لا ترُعني^{٣١}
ففيكَ أمضى جَنانًا من كلِّ فُصحٍ ولُسَن^{٣٢}
وفيكَ شِعْرٌ نقيٌّ من كلِّ وقصٍّ وخَبَن^{٣٣}
كأنّه بَسَماتٌ للوصلِ بعد التجنّي^{٣٤}
أو نفحةً من «جميلٍ» طافت بأحلام «بُثْن»^{٣٥}
أو رَغوةً من سَلافٍ تفيضُ من رأسِ دَن^{٣٦}
كم نكتةً فيه كادت تخفى على كُلِّ ظن!
مصريّة جالَ فيها ذوقُ الأديبِ المفنّ^{٣٧}

لو كنتَ تعرفُ حفني لقلتَ: زدني وزدني!
نحوُ يَصُكُّ الكِسائي ويزدري بابتِ جَنِي^{٣٨}
وإنْ أثيرَ جدالٌ رأيته خَيْرَ قِرْن^{٣٩}
العلمُ أمضى سلاح له وأوقى مَجَن^{٤٠}
قد كان ضخمًا جَسيمًا يبدو كشامخِ حِصْن
اللحمُ رخوٌ بدينٌ له نُعومةٌ قُطن^{٤١}
والصدرُ رَحْبٌ فسيحٌ ما جاش يومًا بضغن^{٤٢}
في وجهه الجهم حُسْنٌ من روحه المستكَن^{٤٣}

قد زارني ذاتَ يوم في وقتٍ قَيِظٍ وكنّ^{٤٤}
فكان أنسا تدانت به المُنَى بعد ضُنّ^{٤٥}

عَذْبًا وَمَا قَالَ قَطْنِي	فَاضَ الْحَدِيثُ زُلَالًا
وَنَكْتَةً مِنْ لَدُنِّي ^{٤٦}	فُكَاهَةً مِنْ لَدُنْهُ
وَالْكَفَّ قَهْوَةً بُنً ^{٤٧}	فِي الْأَذْنِ قَهْوَةً كَرُمٍ
كَالْدَرِّ وَزَنَا بَوْزَنَ	أَرْوِي وَيَرْوِي الْقَوَافِي
يُذْكَى الْفَوَادَ وَيُضْنِي ^{٤٨}	يَا مَجْلِسًا عَادَ وَجَدًا
مِنْهُ بِصَفْقَةٍ غَبْنٍ ^{٤٩}	ضَاعَ الصَّبَا وَرَجَعْنَا
لِقَلْبِكَ الْمَطْمَئِنِّ	حَفْنِي، سَلَامٌ وَنَوْرٌ
لْخَيْرِ أَهْلٍ وَسَكَنَ	فَارَقْتَ أَهْلًا وَسَكْنًا
أُعْنَقُهَا حِينَ تُثْنِي ^{٥٠}	تَثْنِي إِلَيْكَ الْقَوَافِي

هوامش

- (١) ماضي: نافذ، حد. الشبابة: ما حد طرفه.
- (٢) مثاب: موضع.
- (٣) خدن: صديق.
- (٤) وهني: ضعفي.
- (٥) الوزن: وزن الشعر. البحر: أبحر الشعر ستة عشر بحرًا.
- (٦) راحا المنايا: راحا الموت. رويًا: مهلاً. طحنًا: طحين.
- (٧) ظعن: سائرون، مسافرون.
- (٨) حذار: تحذير وتخويف. مغني: منجي.
- (٩) خمود: سكون. أفن: ضعف في الرأي والعقل.
- (١٠) تعسًا له: هلاكًا.
- (١١) طرقي: عيني.
- (١٢) أقرع: أضرب. سني: أسناني.
- (١٣) يشير الشاعر إلى وفاة نجله البكر في سن الشباب في نوفمبر عام ١٩٣٥م.
- (١٤) الفؤاد: القلب. ند: بعد.
- (١٥) التقى: الصلاح.
- (١٦) إن: نعم. وإني: أي وإني أجيدها.

- (١٧) قريضي: شعري. زفرة الوجد: نفس الشوق والوله.
- (١٨) يشتفي: يشفى ويبرأ.
- (١٩) لاح: ظهر وبدأ. دجن: الغيم المطبق المظلم.
- (٢٠) خلف: يترك. يموج: يضطرب. حزن: بأس أو ما غلظ من الأرض.
- (٢١) شذاه: رائحته النفاذة. يزري: يحتقر. أرواح عدن: الأنفاس في جنات عدن.
- (٢٢) ذات حسن: صاحبة رونق وبهاء وجمال.
- (٢٣) الغض: الطري. التثني: التمايل.
- (٢٤) أطباء: طبقات. طل: المطر الضعيف. أذاء: جمع ثدي. مزن: السحاب به مطر كثير.
- (٢٥) تسري: تسير ليلاً.
- (٢٦) وجنة: جبهة.
- (٢٧) تجني: تقطف، تحصد. الردى: الموت.
- (٢٨) سموم: ريح ساخنة. حرى: ساخنة.
- (٢٩) ركأماً: متراكماً بعضه فوق بعض.
- (٣٠) أحرى: أجدر. يخني: يهلك.
- (٣١) لا ترعني: لا تخيفني.
- (٣٢) أمضى جناناً: أنفذ قلب. فصح: بليغ. لسن: فصيح اللسان واللغة.
- (٣٣) وقص: في نظم الشعر حذف الحرف الثاني المتحرك. خبن: إسقاط الحرف الثاني الساكن في العروض.
- (٣٤) التجني: الادعاء كذباً.
- (٣٥) جميل: هو جميل بن معمر تدله بحب بثينة، ولذلك سمي جميل بثينة. بثن: بثينة صاحبة جميل.
- (٣٦) رغو: فوران. سلاف: خمر. دن: وعاء لشرب الخمر.
- (٣٧) المفن: ذو فنون.
- (٣٨) نحو: علم النحو وهو إعراب الكلام العربي. يصك: يضرب. الكسائي: عالم عربي من علماء النحو واللغة الأفاذ. يزدرى: يستهين. ابن جني: عالم عربي آخر من علماء النحو واللغة.
- (٣٩) القرن: كفؤك في الشجاعة والرأي.

- (٤٠) أوقى: حفظ. مجن: درع.
(٤١) رخو: طري.
(٤٢) ما جاش: ما حمل وفكر. ضغن: حقد وكراهية.
(٤٣) الجهم: المتجهم. المستكن: المستكين.
(٤٤) قيظ: شديد الحرارة. كن: استكانة.
(٤٥) تدانت: قربت: ضن: شح.
(٤٦) لدنه: عنده.
(٤٧) قهوة كرم: خمرة عنب. والقهوة سميت كذلك؛ لأنها تقهي أي: تذهب بشهوة الطعام.
(٤٨) وجدًا: شوقًا. يذكي: يشعل. يضمني: يثقل ويمرض.
(٤٩) غبن: ظلم.
(٥٠) تثني: تحنى، تنقاد.

قبلة

الصغيرة الحسنة (١٩١٢م)

رأيتها في سربها	كالبدْرِ بين أنْجَمٍ ^١
جاءت فقَبَلْتُ يدي	بثغرها المَنْظَمِ ^٢
فليتَ كَفِّي خدُّها	وليتَ ثَغَرها فمي!

هوامش

(١) سربها: جماعتها.

(٢) المنظم: المنسق الجميل.

اللغة العربية

أنشدها الشاعر في افتتاح دور الانعقاد الثالث لمجمع اللغة العربية سنة ١٩٣٤ م.

مَاذَا طَحَا بِكَ يَا صَنَاجَةَ الْأَدَبِ
أَطَارَ نَوْمَكَ أَحْدَاثُ وَجُمْتَ لَهَا
وَالْيَعْرَبِيَّةُ أَنْدَى مَا بَعَثَتْ بِهِ
رُوحٌ مِنَ اللَّهِ أَحْيَتْ كُلَّ نَازِعَةٍ
أَزْهَى مِنَ الْأَمَلِ الْبَسَامِ مَوْقِعُهَا
هَلَّا شَدَوْتَ بِأَمْدَاحِ ابْنَةِ الْعَرَبِ؟^١
فَبِتَّ تَنْفُخُ بَيْنَ الْهَمِّ وَالْوَصَبِ^٢
شَجَّوْا مِنَ الْحُزْنِ أَوْ شَدَّوْا مِنَ الطَّرَبِ^٣
مِنَ الْبَيَانِ وَأَتَتْ كُلُّ مُطَلِّبٍ^٤
وَجَرَسُ الْأَفَاطِهَا أَلْهَى مِنَ الضَّرَبِ^٥

وَسَنَى بِأَخْبِيَةِ الصَّخْرَاءِ يُوقِظُهَا
تُحْدَى بِهَا الْيَعْمَلَاتِ الْكُومُ إِنْ لَغِبَتْ
تَهْتَرُ فَوْقَ بَحَارِ الْأَلِ رَاقِصَةٌ
لَمْ تَعْرِفِ السَّوْطَ إِلَّا صَوْتَ مُرْتَجِزٍ
تُصْغِي إِلَى صَوْتِهِ الْأَطْيَارُ صَامِتَةً
كَأَنَّهُ وَظْلَامُ اللَّيْلِ يَكْنُفُهُ
قَدْ خَالَطَ الْوَحْشَ حَتَّى مَا يُرَوِّعُهَا
يَرْنُو بَعَيْنَ عَلَى الظُّلَمَاءِ صَادِقَةٍ
هُوَ الْحَيَاةُ بِقَفْرِ لَا حَيَاةَ بِهِ
يَبِيتُ مِنْ نَفْسِهِ فِي مَنْزِلٍ خَصِلٍ
وَحْيٍ مِنَ الشَّمْسِ أَوْ هَمْسٍ مِنَ الشَّهْبِ^٦
فَلَا تُحِسُّ بِإِنْضَاءٍ وَلَا لَغَبٍ^٧
وَالنَّصَبُ لِلْنَيْبِ يَجْلُو كُرْبَةَ النَّصَبِ^٨
كَأَنَّ فِيهِ مَزْمَارًا مِنَ الْقَصَبِ^٩
إِذَا تَرَدَّدَ بَيْنَ الْقُورِ وَالْهَضَبِ^{١٠}
غُثَاءَةٌ قَذِفَتْ فِي مَائِجٍ لَجِبٍ^{١١}
إِذَا تَعَرَّضَ لَمْ تَنْفِرْ وَلَمْ تَثِبِ^{١٢}
كَأَعْيُنِ النَّسْرِ أَنْتِ صُوبَتْ تُصَبِّ
كَالْمَاءِ فِي الصَّخْرِ أَوْ كَالْمَاءِ فِي الْحَطَبِ
وَمِنْ شَبَا بِيضِهِ فِي مَعْقِلٍ أَشْبِ^{١٣}

يَهْتَزُّ لِلْجُودِ وَالْمَشْتَاةَ بَاخِلَةً وَالْقُرَّ يَعْقِدُ رَأْسَ الْكَلْبِ بِالذَّنْبِ ١٤

* * *

تَهْفُو إِلَيْهِ بَنَاتُ الْحَيِّ مُعْجَبَةً إِذَا تَنَقَّبْنَ إِذْ يَلْقَيْنَهُ خَفَرًا تَرَاهُ كُلُّ فَتَاةٍ حِينَ تَفْقِدُهُ زَيْنُ الْفَنَاءِ إِذَا مَا حَلَّ حَبَوْتُهُ أَوْ هَزَّ شَيْطَانُهُ أَوْتَارَ مَنْطِقِهِ مَا مَسَّ بِالْكَفِّ أَوْرَاقًا وَلَا قَلَمًا يَطِيرُ لِلْحَرْبِ خَفًّا غَيْرَ مُدْرِعٍ إِذَا دَعَاهُ صَرِيخُ كَانَ دَعْوَتُهُ لَا تَرْهَبُ الْحَبَاةَ الْحَسَنَاءُ نَظَرَتُهُ وَالْحُبُّ يَنْبُتُ بَيْنَ الْعُجْبِ وَالْعَجَبِ ١٥ فَشَوْقُهُنَّ إِلَيْهِ غَيْرُ مُنْتَقِبٍ ١٦ فِي الْبَدْرِ وَالسَّيْفِ وَالضَّرْغَامِ وَالسُّحْبِ ١٧ لِلْقَوْلِ لَبَّاهُ مِنْهُ كُلُّ مُنْتَخَبٍ ١٨ فَاخْشَ الْأَتْيَ وَحَاذِرُ صَوْلَةِ الْعُجْبِ ١٩ وَرَأْيُهُ زَيْنَةُ الْأَوْرَاقِ وَالْكُتُبِ فِي شِدَّةِ الْبَاسِ مَا يُغْنِي عَنِ الْيَلْبِ ٢٠ وَإِنْ دَعَتْهُ دَوَاعِي الذُّعْرِ لَمْ يُجِبْ ٢١ كَأَنَّ أَجْفَانَهُ شَدَّتْ إِلَى طَنْبٍ ٢٢

* * *

جَزِيرَةٌ أَجْدَبَتْ فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ جَدَّبَ بِهِ تَنْبُتُ الْأَحْلَامِ زَاكِیَّةٌ تَوَدُّ كُلَّ رِيَاضِ الْأَرْضِ لَوْ مُنَحَتْ وَتَرْتَجِي الْغَيْدَ لَوْ كَانَتْ لَا لَبْتُهَا وَأَخْصَبَتْ فِي نَوَاجِي الْخُلُقِ وَالْأَدَبِ إِنَّ الْحَبَاةَ قَدْ تَنْشَقُّ عَنْ ذَهَبٍ ٢٣ أَزْهَارُهَا قُبْلَةٌ مِنْ خَدَّهَا التَّرْبِ ٢٤ نَظْمًا مِنَ الشَّعْرِ أَوْ نَثْرًا مِنَ الْخُطْبِ ٢٥

* * *

يَا جِيرَةَ الْحَرَمِ الْمَرْهُوِّ سَاكِئُهُ لِي بَيْنَكُمْ صِلَةٌ عَزَّتْ أَوَاصِرُهَا؛ أَرَى بَعَيْنَ خَيَالِي جَاهِلِيَّتَكُمْ وَأَشْهَدُ الْحَشْدَ لِلشُّورَى قَدْ اجْتَمَعُوا مِنْ كُلِّ مُكْتَهِلٍ بِالْبُرْدِ مُشْتَمِلٍ وَالْمَحُ النَّارَ فِي الظُّلُمَاءِ قَدْ نُصِبَتْ نَارٌ وَلَكِنَّهَا قَدْ صُوِّرَتْ أَمَلًا رَمَزُ الْحَيَاةِ وَرَمَزُ الْجُودِ مَا فَتِنَتْ سَقَى الْعُھُودَ الْخَوَالِي كُلُّ مُنْسَكِبٍ ٢٦ لِأَنَّهَا صِلَةُ الْقُرْآنِ وَالنَّسَبِ ٢٧ وَلِلتَّخِيلِ عَيْنُ الْقَائِفِ الدَّرَبِ ٢٨ وَلَسْتُ أَسْمَعُ مِنْ لَغْوٍ وَلَا صَخَبٍ لِلْقَوْلِ مُرْتَجِلٍ لِلْهَجْرِ مُجْتَنِبٍ ٢٩ لِطَارِقِ اللَّيْلِ وَالْحَيْرَانِ وَالسَّغْبِ ٣٠ بَرْدًا إِذَا خَابَتْ الْأَمَالُ لَمْ يَخِبِ فَوْقَ التَّنْيِاتِ تَرْمِي الْجَوَّ بِاللَّهَبِ ٣١

يَشُبُّهَا أَزِيحِي كُلَّمَا هَدَأَتْ
وَأُبْصِرُ الْقَوْمَ يَوْمَ الرُّوعِ قَدْ حُشِدُوا
يَرْمُونَ بِالشَّرِّ شَرًّا جَيْنَ يَفْجُوهُمْ
وَأَحْضُرُ الشُّعْرَاءَ اللُّسْنَ قَدْ وَقَفُوا
أَبُو بَصِيرٍ لَهُ نَبْرٌ لَوْ اتَّخَذَتْ
إِذَا رَمَاهَا كَمَا يَخْتَارُ قَافِيَةً
أَلْقَى عَلَى جَمْرِهَا جَزْلاً مِنَ الْحَطَبِ ٣٢
لِلْمَوْتِ يَجْتَاحُ، أَوْ لِلنَّصْرِ وَالْغَلَبِ ٣٣
وَرَأَيْهُمْ فَوْقَهُمْ خَفَافَةً الْعَذَبِ ٣٤
وَلِلْبَيَانِ فَعَالُ الصَّارِمِ الذَّرِبِ ٣٥
مِنْهُ السَّهَامُ لَكَانَتْ أَسْهُمُ النُّوبِ ٣٦
دَارَتْ مَعَ الْفَلَكَ الدَّوَارِ فِي قُطْبِ ٣٧

وَأَغْمِضُ الْعَيْنَ حِينًا ثُمَّ أَفْتَحْهَا
نُورٌ مِنَ اللَّهِ هَالِ الْقَوْمِ سَاطِعُهُ
تَكَلَّمْتُ سُورَ الْقُرْآنِ مُفْصَحَةً
وَقَامَ خَيْرٌ قُرَيْشٍ وَابْنٌ سَادَتِهَا
بِمَنْطِقِ هَاشِمِيِّ الْوُشْيِ لَوْ نُسِجَتْ
طَابَتْ بِهِ أَنْفُسُ الْأَيَّامِ وَابْتَهَجَتْ
وَهَزَّتِ الرَّاسِيَّاتُ الشَّمَّ، وَارْتَعَدَتْ
وَأَضْبَحَتْ بِنْتُ عَدْنَانَ بِنْفَحَتِهِ
فَازَتْ بَرْكُنِ شَدِيدٍ غَيْرِ مُنْصَدِعِ
عَلَى جَلَالِ بَنُورِ الْحَقِّ مُؤْتَشِبِ ٣٨
وَلَيْسَ يُحْجَبُ نُورُ اللَّهِ بِالْحُجْبِ ٣٩
فَأَسْكَنْتُ صَخَبَ الْأَزْمَاحِ وَالْقُضْبِ ٤٠
يَدْعُو إِلَى اللَّهِ فِي عَزْمٍ وَفِي دَابِ ٤١
مِنْهُ الْأَصَائِلُ لَمْ تَنْصُلْ وَلَمْ تَغِبِ ٤٢
وَمَرَّ دَهْرٌ وَدَهْرٌ وَهِيَ لَمْ تَطِبِ
لِهَوْلِهِ الْبَاتِرَاتُ الْبَيْضُ فِي الْقُرْبِ ٤٣
تِيهَا تُجَرَّرُ مِنْ أَذْيَالِهَا الْقُشْبِ ٤٤
مِنَ الْبَيَانِ وَحَبْلٍ غَيْرِ مُضْطَرِبِ ٤٥

وَلَمْ تَزَلْ مِنْ جَمَى الْإِسْلَامِ فِي كَنَفِ
حَتَّى رَمَتْهَا اللَّيَالِي فِي فَرَائِدِهَا
وَعَاثَتْ الْعُجْمَةُ الْحَمَقَاءُ ثَائِرَةً
يَقْوَدُهُ كُلُّ وَلَاحٍ أَخِي إِحْنِ
لَمْ يَبْقَ فِيهَا بِنَاءٌ غَيْرَ مُنْتَقِضِ
كَأَنَّ عَدْنَانَ لَمْ تَمَلَأْ بِدَائِعِهِ
مَضَتْ بِخَيْرِ كُنُوزِ الْأَرْضِ جَائِحَةً
لَوْلَا (فَوَادٍ) أَبُو الْفَارُوقِ مَا وَجَدَتْ
أَعَزَّ مِنْهَا جَمَى رِيَعَتِ كَرَائِمُهُ
سَهْلٌ وَمِنْ عِزِّهِ فِي مَنْزِلِ خَصْبِ ٤٦
وَحَرَّ سُلْطَانُهَا يَنْهَارُ مِنْ صَبَبِ ٤٧
عَلَى ابْنَةِ الْبَيْدِ فِي جَيْشٍ مِنَ الرَّهْبِ ٤٨
مُضْمَخٍ بِدِمَاءِ الْعُرْبِ مُخْتَضِبِ ٤٩
مِنَ الْفَصِيحِ وَشَمْلًا غَيْرَ مُنْقَضِبِ ٥٠
مَسَامِعَ الْكُونِ مِنْ نَاءٍ وَمُقْتَرِبِ
وَعَابَتِ اللُّغَةُ الْفُصْحَى مَعَ الْغَيْبِ ٥١
إِلَى الْحَيَاةِ ابْنَةُ الْأَعْرَابِ مِنْ سَبَبِ ٥٢
وَكَانَ مَمْنُوعُهُ نَهْبًا لِمُنْتَهَبِ ٥٣

وَرَدَّ بِالْمَجْمَعِ الْمَعْمُورِ غُرْبَتَهَا وَحَاطَهَا بِكِرِيمِ الْعَطْفِ وَالْحَدَبِ^{٥٤}

* * *

يَا عُصْبَةَ الْخَيْرِ لِلْفُضْحَى وَشِعْيَتِهَا
هَلُمَّ فَالْوَقْتُ أَنْفَاسُ لَهَا أَمَدٌ
فَإِنَّمَا الْمَرْءُ فِي الدُّنْيَا إِقَامَتُهُ
الدَّهْرُ يُسْرِعُ وَالْأَيَّامُ مُعْجَلَةٌ
وَالْمُحَدَّثَاتُ تَسُدُّ الشَّمْسُ كَثُرَتْهَا
وَالْتُرْجَمَاتُ تَشُنُّ الْحَرْبَ لِقَحَّةً
نَطِيرُ لِلْفُظْ نَسْتَجِدِّيهِ مِنْ بَلَدٍ
كَمْهَرِقِ الْمَاءِ فِي الصَّحْرَاءِ حِينَ بَدَا
أَزْرَى بِنْتِ قُرَيْشٍ ثُمَّ حَارَبَهَا
وَرَاخَ فِي حَمَلَةٍ رَعْنَاءَ طَائِشَةٍ
أَنْتَرَكُ الْعَرَبِيَّ السَّمْحَ مَنْطِقُهُ
وَفِي الْمَعَاجِمِ كَنْزٌ لَا نَفَادَ لَهُ
كَمْ لَفْظَةٍ جُهِدَتْ مِمَّا نُكْرَرُهَا
وَلَفْظَةٍ سُجِنَتْ فِي جَوْفِ مُظْلِمَةٍ
كَأَنَّمَا قَدْ تَوَلَّى الْقَارِظَانِ بِهَا
يَا شَيْخَةَ الضَّادِ وَالذُّكْرَى مُحَلَّدَةٌ
هُنَا تَخْطُونَ مَجْدًا مَا جَرَى قَلَمٌ

حَيَّاكَ صَوْبُ الْحَيَا يَا خَيْرَةَ الْعُصْبِ!^{٥٥}
وَلَا أَقُولُ بَأَنَّ الْوَقْتُ مِنْ نَهَبٍ^{٥٦}
إِقَامَةُ الطَّيْفِ وَالْأَزْهَارِ وَالْحَبَبِ^{٥٧}
وَنَحْنُ لَمْ نَذَرْ غَيْرَ الْوَحْدِ وَالْحَبَبِ^{٥٨}
وَلَمْ تَفُزْ بِخِيَالِ اسْمٍ وَلَا لَقَبٍ
عَلَى الْفَصِيحِ فَيَا لِلْوَيْلِ وَالْحَرْبِ^{٥٩}
نَاءٍ وَأَمْثَالُهُ مَنَا عَلَى كَثَبٍ
لِعَيْنِهِ بَارِقٌ مِنْ عَارِضِ كَذِبٍ^{٦٠}
مَنْ لَا يُفَرِّقُ بَيْنَ الذَّبْعِ وَالْغَرَبِ^{٦١}
يَصُولُ بِالْخَائِبِينَ: الْجَهْلُ وَالشُّغْبِ^{٦٢}
إِلَى دَخِيلٍ مِنَ الْأَلْفَافِ مُغْتَرِبٍ؟؟^{٦٣}
لِمَنْ يُمَيِّزُ بَيْنَ الدَّرِّ وَالسُّخْبِ^{٦٤}
حَتَّى لَقَدْ لَهَيْتُ مِنْ شِدَّةِ التَّعَبِ^{٦٥}
لَمْ تَنْظُرِ الشَّمْسُ مِنْهَا عَيْنٌ مُرْتَقِبٍ^{٦٦}
فَلَمْ يُوَوِّبَا إِلَى الدُّنْيَا وَلَمْ تُؤَبِّ^{٦٧}
هُنَا يُؤَسَّسُ مَا تَبْنُونَ لِلْعَقَبِ^{٦٨}
بِمَثَلِهِ فِي مَدَى الْأَذْهَارِ وَالْحِقَبِ^{٦٩}

* * *

لَبَّيْكَ يَا مَلِكَ الْوَادِي وَمُنْشِئُهُ
هَذَا غِرَاسُكَ قَدْ مَاسَتْ بِوَاسِقِهِ
الْمُلْكُ فِي بَيْتِكُمْ كَسْبًا وَمَوْهَبَةً
سَفِينَةٌ أَنْتَ مُجْرِيهَا وَكَالِئُهَا
وَأُمَةٌ أَنْتَ مُجْرِيهَا وَحَافِزُهَا
وَدِيْعَةُ اللَّهِ صِينَتْ فِي يَدَيِ مَلِكٍ

يَا حَارِسَ الدِّينِ وَالْآدَابِ وَالْحَسَبِ^{٧٠}
نُدَاعِبُ الرِّيحَ فِي زَهْوٍ وَفِي لَعِبٍ^{٧١}
يُزْهَى عَلَى كُلِّ مَوْهُوبٍ وَمُكْتَسَبِ^{٧٢}
مِنَ الزَّعَارِعِ لَا تَخْشَى أَدَى الْعَطَبِ^{٧٣}
فِي حَلَاةِ السَّبْقِ لَا تُبْقِي عَلَى الْقَصَبِ^{٧٤}
لِلَّهِ مُرْتَقِبٍ لِلَّهِ مُحْتَسِبِ

بَصِيرَةً كُضِيَاءِ الصُّبْحِ لَوْ لَطَمَتْ
وَعَزَمَتْ كَحَدِيدِ النَّصْلِ لَوْ طَلَبَتْ
قَدْ صَمَّمَتْ فَمَضَتْ عَجَلَى لِمَقْصِدِهَا
فَانْظُرْ تَرَى مِصْرَ هَلْ تَلْقَى لَهَا مَثَلًا
فَتَرَوُهُ مِنْ سَرِيِّ الْعِلْمِ وَاسِعَةً
بَنَى (فُوَادُ) بِنَاءَ الْخَالِدِينَ كَمَا
إِذَا الْغَمَائِمُ جَافَتْ مِصْرَ وَاحْتَجَبَتْ
مَنْ مُبْلَغُ الْعُرْبِ أَنَّ الضَّادَ قَدْ بَلَغَتْ
أَعَادَ مَجْدًا لَهَا مَالَتْ دَعَائِمُهُ
وَحَفَّهَا بِسَيَاحٍ مِنْ عِنَايَتِهِ
إِنْ عَقَّهَا أَهْلُ وَاذِيهَا وَجِيرَتُهَا
رَأَتْ بِرَبْعِكَ عِزَّ الْمُلْكِ فَاَنْصَرَفَتْ
لَاذَتْ بِأَكْبَرِ مَعْوَانٍ لِذِي أَمَلٍ
عِشْ لِلْكِنَانَةِ تَبْلُغْ أَوْجَ عِزَّتِهَا
وَعَاشْ (فَارُوقُ) نَجْمًا فِي تَالِقِهِ

غَيَاهِبَ اللَّيْلِ لَمْ يَظْلِمَ وَلَمْ يُهَبِّ
زُهِرَ الْكَوَكِبِ نَالَتْ غَايَةَ الطَّلَبِ
تَحْتُو التُّرَابَ بِوَجْهِ الشَّكِّ وَالرَّيْبِ
فِي صَوْلَةِ الْمُلْكِ أَوْ فِي قُوَّةِ الْأَهْبِ
وَتَرَوُهُ مِنْ سَرِيِّ الْجَاهِ وَالنَّشَبِ
بَنَى الْغَطَارِيفُ مِنْ آبَائِهِ النُّجُبِ
فَإِنْ بِرَّ يَدِيهِ غَيْرُ مُحْتَجِبِ
يَقْرُبُ صَاحِبِ مِصْرَ أَرْفَعَ الرَّتَبِ
فَيَا لَهَا قُرْبَةً مِنْ أَعْظَمِ الْقُرْبِ
كَمَا تَحَفُّ جُفُونُ الْعَيْنِ بِالْهُدْبِ
فَأَنْتِ أَحْنَى عَلَيَّهَا مِنْ أَخٍ وَأَبِ
عَنْ ذِكْرِ لُبْنَى وَذِكْرَى رَبْعِهَا الْخَرْبِ
نَاءً وَأَشْرَفَ عُنْوَانٍ لِمُنْتَسِبِ
وَلِلْعُلَا وَالنَّدَى وَالْعِلْمِ وَالْأَدَبِ
سَعْدُ السُّعُودِ وَفِيهِ مُنْتَهَى الْأَرْبِ

هوامش

- (١) طحا بك: صرفك، وذهب بك في كل مذهب. الصناجة: اللاعب بالصنح وهو آلة تتخذ من الصفر. وكان أعشى قيس يلقب بصناجة العرب لحسن رنين شعره. ابنة العرب: اللغة العربية.
- (٢) وجمت: سكت حزنًا. تنفخ: ترسل نفسًا طويلاً. الهم: الحزن. الوصب: المرض.
- (٣) اليعربية: اللغة العربية نسبة إلى يعرب بن قحطان الذي ينتسب إليه عرب اليمن، وهم العرب العاربة. أُنْدَى: أبعد صوتًا. الشجو: الحزن.
- (٤) نازعة من البيان: من قولهم: عنده نزعة إلى كذا أي: ميل إليه والمراد عاطفة بيانية. آتت: أعطت. مطلب: مطلوب، وأصله متطلب: أدغمت التاء في الطاء.
- (٥) جرس: صوت. الضرب: العسل.
- (٦) وسنى: نائمة، من السنة وهي النوم. أخبية. خيام: جمع خباء. الشهب: النجوم. جمع شهاب.

- (٧) تحدى: الحداء هو ضرب من الغناء يكون وراء الإبل. اليعملات: النياق السريعة.
الكوم: جمع كوماء، وهي العظيمة السنام. لغبت: تعبت وأعياها السير. إنضاء: هزال.
(٨) الآل: السراب. النصب: ضرب من الحداء. الذيب: جمع ناب وهي الناقة المسنة.
يجلو: يكشف.
(٩) السوط: ما يضرب به من الجلد. مرتجز: مغن بالأراجيز. والرجز من أوزان
الشعر يوافق وقع سير الإبل.
(١٠) القور: جمع قارة وهو الجبل الصغير.
(١١) يكنفه: يحيط به. الغثاءة: الزبد والوسخ ونحوهما مما يجيء فوق السيل.
مائج: بحر مضطرب الموج. لجب: لأواجه جلبه وضوء.
(١٢) يروعاها: يخيفها. تنفر: تفر مستوحشة. تثب: تند فرقاً ورعباً.
(١٣) خضل: ند. شبا: جمع شباة وهي حد السيف. والبيض: السيوف. معقل:
حصن. أشب: ملتف الشجر كثيره، أي حصين.
(١٤) يهتز: ينشط. المشتاة: زمن الشتاء أو مكانه حيث يقل الخير. القر: البرد.
يعقد: يشد.
(١٥) تهفو: تميل. العجب: الصلف والزهو. العجب: بالتحريك الدهشة والاستغراب.
(١٦) تنقبن: احتجن. خفرا: حياء.
(١٧) الضرغام: الأسد.
(١٨) الحبوة: أن يجمع الجالس بين ظهره وساقيه بعمامة أو حبل أو نحوهما،
وكان ذلك ضرورياً للعربي لانعدام ما يسند إليه ظهره. لباه: أطاعه.
(١٩) هز: حرك. الأتي: السيل. الععب: المياه المتدفقة، وهي مفرد.
(٢٠) خفا: خفيفاً غير مثقل. مدرع: لابس الدرع. البأس: الشدة والقوة. البلب:
الدروع.
(٢١) صريخ: ملهوف مستغيث. الذعر: الخوف.
(٢٢) الطنب: الحبل (المعنى) أنه عفيف النظر.
(٢٣) الأحلام: العقول، جمع حلم. زاكية: نامية متزايدة.
(٢٤) الترب: الكثير التراب.
(٢٥) الغيد: الحسان جمع غادة.
(٢٦) المزهو: المتكبر المفتخر. العهود الخوالي: العصور الماضية.

- (٢٧) عزت: قويت. أوأصرها: روابطها.
- (٢٨) القائف: من يعرف الآثار. الدرب: المتدرب.
- (٢٩) المكتهل: من علاه الشيب. مشتمل: ملتحف بالكساء حتى لا تظهر يده.
- مرتجل: متكلم على البديهة من غير تهئية للكلام. الهجر: فاحش القول وذميمة.
- (٣٠) الطارق: من يأتي ليلاً، السغب: الجائع.
- (٣١) رمز: عنوان ودليل. الثنيات: طرق الجبل.
- (٣٢) يشبها: يوقدها. أريحي: كريم. جزلاً: حطباً يابساً غليظاً.
- (٣٣) الروع: الفزع، وهو يوم الحرب. يجتاح: يهلك.
- (٣٤) يفجؤهم: يباغتهم. رايعهم: أعلامهم. العذب: الأطراف: جمع عذبة.
- (٣٥) اللسن: الفصحاء، مفرده لسن. الصارم: السيف. الذرب: الحاد.
- (٣٦) أبو بصير: هو الأعشى القيسي صاحب الملق. النوب: المصائب، جمع نائبة.
- (٣٧) القافية: آخر كلمة في البيت، والمراد هنا القصيدة. قطب: مدار.
- (٣٨) مؤتشب: ملتف.
- (٣٩) هال: أدهش.
- (٤٠) صخب: جلبلة. القضب: السيوف الدقيقة.
- (٤١) خير قريش: كناية عن النبي ﷺ. دأب: جد.
- (٤٢) الوشي: النقش. الأصائل: جمع أصيل وهو ما بين العصر والمغرب. تنصل: يتغير لونها.
- (٤٣) الراسيات: الجبال. الشم: المرتفعات. الباترات: القاطعات. القرب: الأغمد.
- جمع قراب.
- (٤٤) بنت عدنان: كناية عن موصوف هو اللغة العربية. تيهًا: زهواً وكبراً. القشب: الجديدة، جمع قشيب.
- (٤٥) منصعد: منشق.
- (٤٦) كنف: جانب. الخصب: الخصيب.
- (٤٧) خر: سقط. صبب: منحدر.
- (٤٨) عاثت: أفست. ابنة البيد: اللغة العربية. الرهب: الخوف.
- (٤٩) ولاغ: شارب شرب الكلب. إحن: أحقاد جمع إحنة. مضمخ: ملطخ.
- (٥٠) منتقض: متهدم. منقضب: منقطع.

- (٥١) جائحة: مصيبة مبيدة. الغيب: ما غاب، جمع غائب.
- (٥٢) ابنة الأعراب: اللغة العربية.
- (٥٣) حمى: ما يجب أن يحمى. ريعت: أفزعت.
- (٥٤) المجمع: مجمع اللغة العربية الذي أنشئ في عصره، وكان الشاعر من أعضائه.
- الحذب: العطف.
- (٥٥) عسبة: جاعة بين العشرة والأربعين. صوب الحيا: نزول المطر.
- (٥٦) هلم: تعالوا: اسم فعل أمر. أمد: نهاية.
- (٥٧) الطيف: الخيال الطائف في المنام. الحبيب: فقايق الماء والخمر.
- (٥٨) الوخد: سعة الخطو. الخبب: السرعة.
- (٥٩) تشن: تثير. لاقحة: شديدة. الويل: العذاب. الحرب: الهلاك.
- (٦٠) كمهرق: كمن يصب الماء. عارض: سحاب معترض في الأفق.
- (٦١) أزرى: أهان وعاب. النبع: شجر صلب ينبت على رءوس الجبال. الغرب: نبات رخو ينمو على الأنهار.
- (٦٢) رعناء: حمقاء. طائشة: مخطئة. يصول: يحارب. الشغب: التهويش.
- (٦٣) السمع: السهل. مغرب: غريب.
- (٦٤) المعاجم: كتب اللغة. السخب: جمع سخاب وهو العقد من الودع ونحوه.
- (٦٥) لهث: أخرج لسانه تعبًا.
- (٦٦) مظلمة: حفرة عميقة مظلمة.
- (٦٧) القارطان: رجلان من بني عنتره خرجا في طلب القرظ فلم يرجعا. يثوب: يعود.
- (٦٨) الضاد: اللغة العربية. عقب: من يأتون بعدكم.
- (٦٩) الحقب: العصور.
- (٧٠) لبيك: إطاعة لك وإجابة. الحسب: مفاخر الآباء.
- (٧١) ماست: تمايلت زهوًا. بواسقه: طواله.
- (٧٢) كسبا: إصابة واجتهادًا. موهبة: منحة من الله.
- (٧٣) كالئها: حافظها. الزعازع: العواصف. العطب: الهلاك.
- (٧٤) حافزها: دافعها. حلبة السبق: جماعة الخيل في ميدان السباق. القصب: ما يركز عليه الغاية في السباق. والمراد الفوز.

- (٧٥) بصيرة: فطنة. غياهب: ظلمات. يهب: يخاف منه.
- (٧٦) كحديد النصل: كالسيف الحاد المشحوذ.
- (٧٧) صممت: أصرت. تحثو: تثير.
- (٧٨) الأهب: جمع أهبة وهي عدة الحرب.
- (٧٩) النشب: المال.
- (٨٠) الغطاريف، جمع غطريف: السيد الشريف. النجب: الكريم.
- (٨١) جفت: بعدت.
- (٨٢) دعائمه: عمده جمع دعامة. قربة: بر يتقرب به إلى الله تعالى.
- (٨٣) ربك: دارك. لبنى: من فتيات الجاهلية.
- (٨٤) الكنانة: مصر. أوج: علو.

حَنِينُ طَائِرٍ

نظمت هذه القصيدة في سنة ١٩١٥ م.

طَائِرُ يَشْدُو عَلَى فَنَنٍ
قَامَ وَالْأَكْوَانُ صَامِتَةً
هَاجَ فِي نَفْسِي وَقَدْ هَدَأَتْ
هَزَّهُ شَوْقٌ إِلَى سَكَنٍ
وَيْكَ لَا تَجْزَعُ لِنَازِلَةٍ
قَدْ يَرَاكَ الصُّبْحُ فِي حَلَبٍ
أَنْتَ فِي خَضْرَاءَ ضَاحِكَةٍ
أَنْتَ فِي شَجَرَاءَ وَارِفَةٍ
عَابِثٌ بِالزَّهْرِ مُغْتَبِطٌ
فِي ظِلَالٍ حَوْلَهَا نَهْرٌ
فِي يَدَيْكَ الرِّيحُ تُرْسِلُهَا
جَدَدَ الذِّكْرِى لَذِي شَجَنٍ
وَنَسِيمُ الصُّبْحِ فِي وَهْنٍ
لَوْعَةٌ لَوْلَاهُ لَمْ تَكُنْ
فَبَكَى لِلْأَهْلِ وَالسَّكَنِ
مَا لَطِيرَ الْجَوِّ مِنْ وَطَنٍ^١
وَيَرَاكَ اللَّيْلُ فِي عَدَنٍ^٢
مِنْ بُكَاءِ الْعَارِضِ الْهَتَنِ^٣
تَارِكُ غُصْنًا إِلَى غُصْنٍ
نَاعِمٌ فِي الْحُلِّ وَالظُّعْنِ^٤
غَيْرُ مَسْنُونٍ وَلَا أُسْنِ^٥
كَيْفَمَا تَهْوَى بِلَا رَسَنِ^٦

يَا سُلَيْمَانَ الزَّمَانِ أَفْقُ
وَابْعَثِ الْأَلْحَانَ مُطَرِبَةً
غَنِّ بِالْدُّنْيَا وَزِينَتِهَا
وَبِقِيعَانٍ هَبَطَتْ بِهَا
لَيْسَ لِلذَّاتِ مِنْ ثَمَنِ^٨
يَا حَيَاةَ الْعَيْنِ وَالْأُذُنِ
وَنِظَامِ الْكُونِ وَالسُّنَنِ^٩
وَبِمَا شَاهَدْتَ مِنْ مُدُنٍ^{١٠}

وبأزهار الصِّباح وَقَدْ نَهَضْتُ مِنْ غَفَوَةِ الْوَسَنِ ١١
وبِقَلْبٍ شَفَّهُ وَلَهُ حَافِظٌ لِلْعَهْدِ لَمْ يَخُنْ ١٢
كُلُّ شَيْءٍ فِي الدُّنَا حَسَنٌ أَيُّ شَيْءٍ لَيْسَ بِالْحَسَنِ ١٣
خَالِقُ الْأَكْوَانِ كَالنُّهَا وَاسِعُ الْإِحْسَانِ وَالْمِنَّنِ ١٤

كَانَ لِي إِلْفٌ فَأَبْعَدَهُ قَدَرٌ عَنِّي وَأَبْعَدَنِي ١٥
أَنَا مَدَّ الدَّهْرِ أَذْكَرُهُ وَهُوَ مَدَّ الدَّهْرِ يَذْكَرُنِي ١٦
قَدْ بَنَيْنَا الْعُشَّ مِنْ مُهَجٍ غُسِلْتُ مِنْ حَوْبَةِ الدَّرَنِ ١٧
مِنْ لَدُنْهُ الْوُدُّ أَخْلَصُهُ وَالْوَفَا وَالطُّهَرَ مِنْ لَدُنِي
كَانَتْ الْأَطْيَارُ تَحْسُدُهُ جَنَّةَ الْمَأْوَى وَتَحْسُدُنِي
وَوَظَنَّا أَنْ نَعِيشَ بِهِ عَيْشَةَ الْمُسْتَعْصِمِ الْأَمَنِ
فَرَمْتُ كَفَّ الزَّمَانِ بِهِ فَكَاَنَّ الْعُشَّ لَمْ يَكُنْ
طَارَ مِنْ حَوْلِي وَخَلَّفَنِي لِلْجَوَى وَالْبَثِّ وَالْحَزَنِ ١٨
وَنَأَى عَنِّي وَمَا بَرِحْتُ نَازِعَاتُ الشَّوْقِ تَطْرُقُنِي ١٩
وَمَضَى وَالْوَجْدُ يَسْبِقُهُ وَدُمُوعُ الْعَيْنِ تَسْبِقُنِي ٢٠

إِنْ تَزُرْ يَا طَيْرُ دَوْحَتَهُ بَيْنَ زَهْرٍ نَاضِرٍ وَجَنِي ٢١
وَشَهِدْتُ «التَّمَسَّ» مُضْطَرِبًا وَاثِبًا كَالصَافِنِ الْأَرْنِ ٢٢
عَبِثْتُ رِيحَ الشَّمَالِ بِهِ فَطَغَى غَيْظًا عَلَى السُّفَنِ
فَأَنشُدِ الْأَطْيَارَ وَاحِدَهَا فِي الطَّلَى وَالْحُسَنِ وَالْجَدَنِ ٢٣
وَتَرَيْتُ فِي الْمَقَالِ لَهُ قَدْ يَكُونُ الْمَوْتُ فِي اللَّسَنِ! ٢٤
صِفْ لَهُ يَا طَيْرُ مَا لَقِيتُ مُهْجَتِي فِي الْحَبِّ مِنْ غَبَنِ ٢٥
صِفْ لَهُ رُوحًا مُعَذِّبَةً ضَاقَ عَنْ آلِمِهَا بَدَنِي
صِفْ لَهُ عَيْنًا مُقَرَّحَةً لِأَيِّ الدَّمْعِ لَمْ تَصُنْ

يا خَلِيلِي وَالْهَوَىٰ إِحْنٌ لا رَمَاكَ اللَّهُ بِالْإِحْنِ^{٢٦}
 إِنَّ رَأَيْتَ الْعَيْنَ نَاعِسَةً فَتَرَقَّبْ يَقْظَةَ الْفِتَنِ^{٢٧}
 أَوْ رَأَيْتَ الْقَدَّ فِي هَيْفٍ فَاتَّخِذْ مَا بَشَّتْ مِنْ جُنَنِ^{٢٨}
 قَدْ نَعِمْنَا بِالْهَوَىٰ زَمَنًا وَشَقِينَا آخِرَ الزَّمَنِ!

هوامش

- (١) ويك: عجباً لك. والجزع: نقيض الصبر. والنازلة: الشديدة من شدائد الدهر تنزل بالناس.
- (٢) حلب: بلدة سورية بالقرب من حدودها الشمالية. وعدن: بلد على ساحل الخليج المسمى باسمها جنوبي جزيرة العرب.
- (٣) العارض: السحاب المعترض في الأفق. والهتن: المنصب الهطل.
- (٤) أرض شجراء: كثيرة الشجر.
- (٥) الحل: مصدر حل المكان وحل به أي نزل به. والظعن بسكون العين وفتحها مصدر ظعن أي: سار وارتحل.
- (٦) مسنون: منتن. والأسن من الماء: الآجن وهو المتغير الطعم واللون.
- (٧) تهوى: تحب. الرسن: الحبل تربط به الدابة.
- (٨) سيدنا سليمان بن سيدنا داود — عليهما السلام — والمعنى أن الله قد سخر لك الريح كما سخرها من قبل لسليمان.
- (٩) السنن: جمع سنة وهي الطبيعة.
- (١٠) القيعان: جمع قاع وهو المستوي من الأرض.
- (١١) الغفوة: النومة الخفيفة. الوسن: النعاس.
- (١٢) شفة الهم: هزله. الوله: الهم والحزن والحيرة.
- (١٣) الدنا: جمع دنيا.
- (١٤) كالؤها: حافظها. المنن: جمع منة وهي النعمة.
- (١٥) الإلف: الأليف والحبيب. القدر: ما يقدره الله — عز وجل — ويقضي به.
- (١٦) مد الدهر: مداه وطوله.
- (١٧) المهج: جمع مهجة وهي النفس والروح. الحوبة: الإثم والذنب. الدرن: الوسخ.

- (١٨) الجوى: الحرقه وشدة الوجد. البث: أشد الحزن.
(١٩) نأى: بعد. النازعات: جمع نازعة وهي ميل النفس الشديد. تطرقني: تجيئني.
والطروق في الأصل المجيء ليلاً.
(٢٠) الوجد: الحزن والحب.
(٢١) الجنى: ما يجنى من الشجر ما دام غُضًّا.
(٢٢) التمس: نهر مشهور في إنجلترا. الصافن: من الخيل ما قام على ثلاث قوائم
وطرف حافر الرابعة. الأرّن: النشيط مصلت الأذنين.
(٢٣) الحلى: جمع حلية وهي الصفة، والحلية أيضًا الحي وهو ما تتزين به المرأة
من المصوغات والجواهر ونحوها. الجدن: حسن الصوت.
(٢٤) تريث: اتئد وتمهل. المقال: القول. اللسن: الفصاحة.
(٢٥) المهجة: النفس. الغبن: مصدر غبته في البيع ونحوه يغبنه أي: خدعه.
(٢٦) الخليل: الصاحب. والهوى: الحب. الإحن: جمع إحنة وهي الحقد والغضب.
(٢٧) عين ناعسة: فاترة، والفتور من صفات الحسن في عيون النساء.
(٢٨) القد: اعتدال القامة وحسن التقطيع. الهيف: ضмор البطن ورقة الخاصرة.
والجنن: جمع جنة وهي السترة وكل ما وقى.

عِيدُ جُلُوسِ الْمَلِكِ فُؤَاد

في سنة ١٩٣٤ م

واليوم من نَسَجَ السَّحَابِ أَنْصَرُ^١
فَالْعُودُ عُودٌ وَالْأَزَاهِرُ مَزْهَرُ^٢
صُعْدًا، وَتَجَذِبُهُ الْغُصُونُ فَيَنْفِرُ
فَالْوَرْدُ مِلءَ رِدائه والعَبْهَرُ^٣
فَالْيَوْمَ يَذْرُجُ مَا يَشَاءُ وَيَخْطِرُ^٤
عَرِدًا يُصَفِّقُ بِالْجَنَاحِ وَيَطْفِرُ^٥
نُعْمَى الْحَيَاةِ وَعِزُّ مِصْرَ الْأَوْفَرِ^٦
أَمْلُ الْوُجُوهِ الْمُشْرِقُ الْمُسْتَبْشِرُ
مِيلَادَهُ، وَرَنْتَ إِلَيْهِ الْأَعْصُرُ^٧
مَنْ بَعْدَ هَذَا الْيَوْمِ لَا تَنْعَثِرُ
وَاهْتَرَّ مِنْ شَوْقٍ إِلَيْهِ الْمُنْبَرُ^٨
خَفَرًا، وَيَزْهَوُهَا الْجَمَالُ فَتَسْفِرُ^٩
يَنْهَى كَمَا يَرْضَى إِلَهُ وَيَأْمُرُ
فَبِمِثْلِهِ يُزْهَى الزَّمَانُ وَيَفْخَرُ^{١٠}
وَالْعِزُّ فِي جَنَابَاتِهِ مُتَبَخَّرُ^{١١}
يَخْلُو عَلَى الْأَيَّامِ حِينَ يُكَّرَّرُ

الْعَيْشُ مُخْضَلُّ الْجَوَانِبِ أَخْضَرُ
وَالرَّوْضُ يَصْدَحُ بِالْبَشَائِرِ أَيْكُهُ
يَجْرِي النَّسِيمُ بِهِ فَيَجْتَازُ الرُّبَا
كَمْ زَهْرَةٍ عَلِقَتْ بِفَضْلِ رِدائه
إِنْ ضَجَّ مِنْ أَبٍ وَحَرٍّ وَثَاقِهِ
يَطْفُو عَلَى وَجْهِ الْجَدَاوِلِ طَائِرًا
فِي كَفِّهِ الْبُشْرَى، وَفِي هَمْسَاتِهِ
وَالشَّمْسُ ضَاكِكَةٌ، كَأَنَّ شِعَاعَهَا
تَخْتَالُ فِي يَوْمِ تَرَقَّبَتِ الْعُلَا
نَهَضَتْ بِهِ آمَالُ مِصْرَ وَأَقْسَمَتْ
فَلَكُمْ تَمْنَى الدِّينِ طَالِعِ صُبْحِهِ
تَمْشِي الْمُنَى فِيهِ تَجُرُّ خِمَارَهَا
فَازَتْ بِهِ مِصْرُ بِخَيْرِ مُتَوَجِّجٍ
يَوْمٌ إِذَا زُهِىَ الزَّمَانُ بِمِثْلِهِ
السَّعْدُ فِي سَاعَاتِهِ مُسْتَوْتُنْ
هُوَ فِي فَمِ الدُّنْيَا حَدِيثُ خَالِدٍ

هو طَلْعَةُ الرَّوْضِ النَّضِيرِ وَظِلُّهُ
أَمْلُ الْبِلَادِ تَمَسَّكَتْ بِحِبَالِهِ
وَنَمِيرُهُ وَنَسِيمُهُ الْمُتَعَطَّرُ ١٢
فِي الْحَادِثَاتِ وَعِيدُ مَصْرَ الْأَكْبَرِ

* * *

عِيدُ بَأْنُورِ الْجَلَالِ مُتَوَجِّجٌ
هُوَ صُورَةُ لِلْبِشْرِ أَحْكَمَ رَسْمُهَا
لَأَنْتَ بِهِ الدُّنْيَا وَأَخْصَبَ عَيْشُهَا
وَشَدَّتْ لِمَطْلَعِهِ الْقُلُوبُ كَأَنَّهَا
هُوَ فِي كِتَابِ الدَّهْرِ سَطْرٌ مَجَادَةٌ
وَتَبَّتْ بِهِ مِصْرٌ وَقَدْ طَالَ الْكَرَى
وَعَلَتْ بِفَضْلِ مَلِكٍ مِصْرَ مَكَانَةٍ
تُتَقَطَّعُ الْأَمَالُ دُونَ بُلُوغِهَا
تَرْنُو لَهَا الْجَوَازَاءُ نَظْرَةَ حَاسِدٍ
وَإِذَا سَمَا الْمَلِكُ الْهُمَامُ لَغَايَةٍ
وَبِمُنَّةِ النَّصْرِ الْعَزِيزِ مُؤَذَّرٌ ١٣
لَوْ أَنَّ أَيَّامَ السُّرُورِ تُصَوِّرُ
وَبِيْمُنِهِ اخْضَرَ الزَّمَانُ الْمَقْفَرُ ١٤
طَيْرٌ تَعَرَّدَ لِلرِّيَاضِ وَتَصْفِرُ ١٥
خَشَعَتْ لِهَيْبَةٍ مَا حَوَاهِ الْأَسْطُرُ ١٦
وَمَضَتْ إِلَى قَصَبِ الْفَخَارِ تُغْبِرُ ١٧
لَمْ تَقْتَعِدْهَا فِي السَّمَاءِ الْأَنْسَرُ ١٨
وَتَوَدَّ رُؤْيَيْتَهَا الْعُيُونُ فَتَحْسُرُ ١٩
وَيَذْكُرُهَا تَلْهُو النُّجُومُ وَتَسْمُرُ ٢٠
فَالصَّعْبُ هَيْنٌ وَالْعَسِيرُ مُيسَّرُ ٢١

* * *

عِيدَ الْجُلُوسِ وَأَنْتَ عِزَّةُ أُمَةٍ
غَنَّاكَ شِعْرِي فَاسْتَمِعْ لِغَنَائِهِ
مَا كُلُّ مَنْ عَرَكَ الْمَزَاهِرَ مَعْبُدٌ
إِنْ الرِّمَاحَ حَدَائِدُ مَنْبُودَةٌ
حَبِثَ طَلَائِعُكَ الْقَوَافِي هُتَفًا
وَالشَّعْرُ مَرَاةُ النُّفُوسِ وَصُورَةٌ
يَا عِيدُ كَمْ بَكَ مِنْ جَمَالٍ زَاهِرٍ
كَمْ مِنْ مَوَاكِبَ وَارِدَاتٍ تَرْتَجِي
وَالشَّعْبُ يَزْحَمُ بِالْمَنَاكِبِ طَامِعًا
ضَاقَتْ بِهِ السَّاحَاتُ حَتَّى أَصْبَحَتْ
حَتَّى إِذَا ظَهَرَ الْمَلِكُ كَأَنَّهُ
فِي بُرْدِهِ أَمْلُ الْكِنَانَةِ بِاسْمٍ
تَعْلُو بِمَوْلَاهَا الْعَظِيمِ وَتَكْبُرُ
إِنَّ الْبَلَابِلَ فِي الْخَمِيلَةِ نُدْرُ
يَوْمًا وَلَا كُلُّ الْمَوَاضِعِ عَبَقَرُ ٢٢
حَتَّى يُثَقِّفَ جَانِبَيْهَا سَمْهَرُ ٢٣
وَشَدَّتْ لِمَقْدَمِكَ الْكَرِيمِ الْأَسْطُرُ ٢٤
مَحْسُوسَةٌ مِمَّا تُكِنُّ وَتَشْعُرُ ٢٥
يَبْهَى بِإِشْرَاقِ الْمَلِكِ وَيَبْهَرُ! ٢٦
شَرَفَ الْمُثُولِ وَمِنْ مَوَاكِبَ تَصْدُرُ ٢٧
فِي نَظْرَةٍ تُحْيِي الْقُلُوبَ وَتَجْبُرُ ٢٨
كَالْبَحْرِ يَقْذِفُ بِالْعُبابِ وَيَزْخَرُ ٢٩
بَدْرٌ بِهِ انْجَابَ الظَّلَامُ الْأَخْذَرُ ٣٠
وَيُوجِّهُهُ نَوْرُ الْجَلَالَةِ مُسْفِرُ ٣١

شَخِصْتُ لَهُ الْأَمَالَ تُسْرِعُ حَطُوهَا
تَرْنُو الْعُيُونُ فَتَجْتَلِي مِنْ نوره
وَالنَّاسُ بَيْنَ مُسَبِّحٍ وَمُكَبِّرٍ
وَالْبِشْرُ قَدْ مَلَأَ الْوُجُوهَ نَضَارَةً
وَالْقَطْرُ يَهْتَفُ أَنْ يَعِيشَ فُؤَادُهُ
فِي مَوْكِبٍ لَمْ يَلَقَ (كِسْرَى) مِثْلَهُ
قَدَرُوا مَآثِرَكَ النَّبِيلَةَ قَدَرَهَا
أَحْسَنْتَ لِلشَّعْبِ الْكَرِيمِ رِعَايَةً
اللَّهُ قَدْ خَلَقَ الْمَكَارِمَ وَالنَّدَى
إِنَّ الَّذِي مَلَكَ الْقُلُوبَ بَعَطْفَهُ
وَدَنَا لِرُؤَيْتِهِ الْعِيدِ الْأَكْثَرُ^{٣٢}
فَيْضًا وَيَغْلِبُهَا السَّنَا فَتَحِيرُ^{٣٣}
لَبَّى نِدَاهُ مَسْبُوحٌ وَمُكَبَّرُ^{٣٤}
فَتَكَادُ مِنْ فَرْطِ النَّضَارَةِ تَقْطُرُ
وَالشَّعْبُ يَجْهَرُ بِالِدَعَاءِ وَيَجَارُ^{٣٥}
فِي السَّابِقِينَ وَلَمْ يَنْلَهُ قَيْصَرُ^{٣٦}
وَكَذَلِكَ مَحْمُودُ الْمَآثِرِ يُقَدَّرُ
فَشْدًا بِنِعْمَتِكَ الَّتِي لَا تُكْفَرُ
شَجَرًا يُظِلُّ فِي الْهَجِيرِ وَيُثْمَرُ^{٣٧}
أُولَى بِتَمْجِيدِ الْقُلُوبِ وَأَجْدَرُ

شُعْرِي اسْتَبَقَ فِي الْحَاشِدِينَ مُبَادِرًا
وَانْزِلْ (بِرَأْسِ النَّيْنِ) وَاحْشَعْ مُطَرِّقًا
فَهَنَّاكَ الْمَجْدُ الْمُؤْتَلُّ سَامِقًا
هَذَا (ابْنُ إِسْمَاعِيلَ) فَاثْنُرْ حَوْلَهُ
سَاسَ الْبِلَادَ بِحُكْمَةٍ عَلَوِيَّةٍ
عَزَمَ كَمَا صَالَ الْحُسَامَ وَهَمَّةً
وَمَضَاءً رَأَى لَوْ رَمَى حَلَكَ الدُّجَى
بَلِغْتَ بِهِ مِصْرَ مَنَازِلِهَا الْعَلَا
تَمْضِي، كَمَا يَمْضِي الشَّهَابُ، مُجْدَّةً
مَلَأَ الْبِلَادَ عَوَارِفًا وَمَعَارِفًا
وَأَعَادَ مَجْدَ الْخَالِدِينَ بِنَهْضَةٍ
فَتَلَفَّتِ التَّارِيخُ مَشْدُوهُ النَّهْيِ
لَا تَدْهَشِ الدُّنْيَا، فَصَوْلَةُ عَزَمِهِ
الْخَالِدُونَ عَلَى الزَّمَانِ جَدُودُهُ
النَّهْضَةُ الْكِبْرَى إِلَيْهِمْ تَنْتَمِي
دَرْجُوا وَأَمَّا مَجْدُهُمْ فَمُخْلَدٌ
لَا يُدْرِكُ الْأَمَالَ مَنْ يَتَأَخَّرُ
مِمَّا تُحِسُّ مِنَ الْجَلَالِ وَتُبْصِرُ^{٣٨}
وَالْمَلِكُ حَوْلَكَ وَاسِعٌ مُسْتَبْجِرُ^{٣٩}
دُرًّا تَدُومُ عَلَى الزَّمَانِ وَتَذْخَرُ^{٤٠}
بَسَادِهَا تَعْتَزُّ مِصْرُ وَتُنْصَرُ^{٤١}
أَسْمَى مِنَ النَّجْمِ الْبَعِيدِ وَأَبْهَرُ
لَمْضَى الدُّجَى مُتَعَتِّرًا يَتَقَهَّقِرُ
يَوْمِي إِلَيْهَا طَرْفُهُ فَتُشَمِّرُ^{٤٢}
لَا يَبْلُغُ الشَّأَوُ الْبَعِيدَ مَقْصَرُ^{٤٣}
تُزْجِي إِلَى أَقْصَى الْبِلَادِ وَتُنْشَرُ^{٤٤}
تَحْتَاجُ شَمَّ الرَّاسِيَاتِ وَتُقَهَّرُ^{٤٥}
وَتَطْلَعُ مِنْ حُجْبِهِنَّ الْأَدْهَرُ^{٤٦}
أَقْوَى عَلَى كَبْحِ الصَّعَابِ وَأَقْدَرُ^{٤٧}
وَالسَّابِقُونَ قَبِيلُهُ وَالْمَعْشَرُ^{٤٨}
وَجَلَائِلُ الْأَثَارِ عَنْهُمْ تُذَكَّرُ
بَاقٍ، وَأَمَّا ذِكْرُهُمْ فَمُعَمَّرُ^{٤٩}

* * *

أَفْؤَادُ عَشِّ لِلنَّيْلِ ذُخْرًا إِنَّمَا
 قَدْ فَاضَ فِي طُولِ الْبِلَادِ وَعَرْضِهَا
 يَتَبَرَّكُ الْوَادِي بَلَثُمُ بَنَانِهِ
 الْخِصْبُ وَالْإِغْدَاقُ فَيَضُ يَمِينَهُ
 تَبَرُّ إِذَا غَمَرَ الْبِلَادَ رَأَيْتَهَا
 وَالْأَرْضُ وَشْيَ طُرُزَتْ أَفْوَافُهُ
 أَنَّى جَرَى هَمَسُ الْخَمَائِلِ بِاسْمِهِ
 وَسَرَتْ بِمَقْدَمِهِ الْبِشَائِرُ حَوْمًا
 إِنْ أَصْبَحَتْ مَصْرُ الْخَصِيْبَةِ جَنَّةً
 عِشْ فِي حِمَى الرَّحْمَنِ جَلَّ جَلَالُهُ
 وَهَنَاءُ بَعِيدِكَ إِنَّهُ فَالُ الْمُنَى
 لَا زِلْتَ تَرْفُلُ فِي مَطَارِفِ صَحَّةٍ
 وَاسْلَمَ لِمَصْرَ فَأَنْتَ أَنْتَ فَوَادُهَا

بِنْدَاكَمَا تَحْيَا الْبِلَادُ وَتَنْصُرُ^{٥٠}
 لَكِنَّهُ فِي جَنْبٍ فَيَضُكَ يَصْغُرُ
 فَيَعُودُ وَهُوَ الْمَغْشَبُ الْمُخْضُوضُ^{٥١}
 وَالْمَسْكُ كُدْرَةُ مَائِهِ وَالْعَنْبَرُ^{٥٢}
 وَالْدُرُّ مِلءُ نُحُورِهَا وَالْجَوْهَرُ
 وَالزَّهْرُ مِنْهُ مُدْرَهْمٌ وَمُدَنَّرُ^{٥٣}
 وَتَبَسُّمُ النَّسْرِينَ وَالنَّيْلُوفَرُ^{٥٤}
 السُّحْبُ تُنْبِئُ وَالنِّسَائِمُ تُخْبِرُ
 فِي عَهْدِكَ الْعُمَرِيُّ فَهُوَ الْكَوْثَرُ^{٥٥}
 تَرَعَاكَ عَيْنٌ لَا تَنَامُ وَتَخْفَرُ^{٥٦}
 فَبَيْمَنَهُ تَعْلُو الْبِلَادُ وَتُظْفَرُ
 هِيَ كُلُّ مَا يَرْجُو الزَّمَانُ وَيُؤَثَّرُ^{٥٧}
 وَحَيَاتُهَا وَلُبَابُهَا الْمَتَخَيَّرُ^{٥٨}

* * *

فَارُوقُ زَيْنُ النَّاشِئِينَ الْمُرْتَجَى
 مَجْدُ الشَّبَابِ مَنَاطُ آمَالِ الْعُلَا
 أَنْبَتَهُ خَيْرَ النَّبَاتِ يَزِينُهُ
 الْفَضْلُ يَلْمَعُ فِي وَضْيِ جَبِينِهِ
 إِنَّ الصَّعِيدَ لَمُزْدَهُ بِأَمِيرِهِ
 لَوْ تَسْتَطِيعُ الْبَاسِقَاتُ بِأَرْضِهِ
 عَاشَ الْمَلِكُ وَعَاشَ فَارُوقُ الْحِمَى

كَرُمْتَ أَوَائِلُهُ وَطَابَ الْعُنْصُرُ^{٥٩}
 وَسَنَا الْحَيَاةِ وَنَجْمُ مَصْرَ النِّيرِ^{٦٠}
 خُلِقَ كَأَمْوَاهِ السَّحَابِ مُطَهَّرُ
 زَهْوًا كَمَا ابْتَسَمَ الرِّبِيعُ الْمُبَكِّرُ
 جَذْلَانُ يَصْدُحُ بِالْتِنَاءِ وَيَجْهَرُ^{٦١}
 سَغِيًّا لَجَاءَتْ نَحْوَ بَابِكَ تَشْكُرُ^{٦٢}
 يَزْهَوُ بَطْلَعَتِهِ الْوُجُودُ وَيُزْهَرُ^{٦٣}

هوامش

- (١) المخضل: الندّي الوصب. نسج السحائب: النبات والأزهار.
- (٢) العود: «الأول» الغصن من أغصان الشجر والعود «الثاني» تلك الآلة المعهودة. الأزهار: جمع أزهار، وأزهار: جمع زهر، وهو نور كل نبات. والمزهر (بالكسر): الدف يضرب عليه.
- (٣) فضل الرداء: زيادته وما ينسحب على الأرض منه. العبهر: الياسمين.
- (٤) آب: شهر من شهور السنة الشمسية، وهو يقابل شهر أغسطس. حيث يشتد الحر. الوثاق: ما يشد به من قيد أو حبل أو غيره. يدرج: يسير. يخطر: أي يختال ويتبختر.
- (٥) يطفر: يثب مرتفعاً.
- (٦) الأوفر: الكامل.
- (٧) ترقبت: انتظرت. ورنا إليه يرنو: أدام النظر. الأعصر: الدهور.
- (٨) طالع صبحه: أي ظهور صبحه.
- (٩) الخمار: هو ما تغطي به المرأة رأسها. الخفر: شدة الحياء. ويزهوها: يستخفها. تسفر: تكشف قناعها فتيين.
- (١٠) زهى به: تاه وتكبر.
- (١١) مستوطن: أي ملازم لا يبرح. الجنبات: النواحي.
- (١٢) النضير: الحسن الزاهي. النمير: الماء الناجع في الري.
- (١٣) المنة (بالضم): القوة. ومؤزر: أي إن النصر له عدة ومنعة.
- (١٤) اليمن: البركة. المقفر: المجدب المحل.
- (١٥) شدت: غنت. صفر الطائر: غرد.
- (١٦) المجادة: الرفعة والشرف.
- (١٧) الكرى: النوم والنعاس. قصب الفخار: أمدّه وغايته. وذلك أنهم كانوا ينصبون في حلبة السباق قسبة. فمن سبق واقتلعها وأخذها ليعلم أنه السابق الذي أدرك الغاية. تغبر: أي تسبق، وذلك لأن المجدد المسرع يثير الغبار خلفه.
- (١٨) يقال: اقتعده، إذا اتخذته مقعداً. وخص النسر؛ لأنها تختار الأماكن المرتفعة أوكاراً لها.
- (١٩) حسرت العين تحسر: كلت لطول مدى وغاية.

(٢٠) رنا له يرنو: أدام النظر إليه. الجوزاء: برج في السماء يضرب به المثل في العلو والارتفاع.

(٢١) الهين (بالتخفيف): الهين (بالتشديد).

(٢٢) المزهار: جمع مزهر وهو العود. عركها: لوى مفاتيحها. معبد: مغن معروف، وكان إمام أهل المدينة في الغناء. عاش في أوائل دولة بني أمية، ومات بدمشق في أيام الوليد بن يزيد. عبقر: أي موضع يملك عليك إعجابك بحسه وجماله. العبقر (في الأصل): مكان كانت العرب تزعم أنه كثير الجن. ثم نسبوا إليه كل شيء تعجبوا من حذقه أو جودة صنعته أو قوته.

(٢٣) تثقيف الرمح: تقويمه وتسويته. سمهر: رجل اشتهر هو وزوجته ردينة بتثقيف الرماحه فنسبت إليهما.

(٢٤) يريد (بالطلائع): كواكب الفرسان التي تتقدم ركب الملك. هتفاً: هاتفة. الأشطر: جمع شطر، وهو نصف البيت من الشعر، يريد القصائد.

(٢٥) تكن: تخفى وتستتر.

(٢٦) يبهى: يحسن ويظرف. يبهز: يشرق ويضيء.

(٢٧) تصدر: ترجع.

(٢٨) يزحم بالمنالك: يدفع بعضه بعضاً بمنالكه. تجبر: تصلح.

(٢٩) عباب البحر: معظمه وموجه. زخر: طما وارتفع.

(٣٠) انجاب الظلام: انكشف وانقشع. الأخضر: الساتر الموارى.

(٣١) مسفر: مضيء مشرق.

(٣٢) شخصت: اتجهت.

(٣٣) ترنو: تديم النظر. تجتلي: تستبين وتكشف. السنا: النور. فتحير: أي فتتحير.

(٣٤) لبي: أجاب وردد. الندى (بالماء وقصر للشعر): الدعاء.

(٣٥) يجأز: يرفع صوته بالدعاء.

(٣٦) كسرى: لقب لملك الفرس. قيصر: لقب لملك الروم.

(٣٧) الندى: الجود. الهجير: الهاجرة حيث يشتد الحر.

(٣٨) يريد «برأس التين»: سراي رأس التين بالإسكندرية. وهي مقر الملك في هذا

البلد.

(٣٩) المؤئل: الذي له أصل قديم. السامق: العالي المرتفع. مستبحر: متسع ممتد.

- (٤٠) يريد بابن إسماعيل: الممدوح أحمد فؤاد الأول. تذخر: تجمع وتدخر.
- (٤١) علوية: نسبة إلى رأس الأسرة محمد علي. السداد: الرشاد والإصابة في الأمور.
- (٤٢) يومي: يشير. الطرف: العين. تشمر: تجد وتسرع.
- (٤٣) الشأو: الغاية والمدى.
- (٤٤) تزجي: تبعث وتحمل.
- (٤٥) تجتاج: تستأصل وتذك. وشيم الراسيات: الجبال المرتفعة الثابتة الراسخة.
- (٤٦) مشدوه النهى: أي حائر العقل مذهولاً. الأدهر: جمع دهر.
- (٤٧) الصولة: السطوة والمضاء. كبج الجماح: تذليلها والتغلب عليها.
- (٤٨) قبيله والمعشر: أقاربه وأهله.
- (٤٩) درجوا: مضوا وذهبوا.
- (٥٠) الذخر: ما يدخر للحاجة. الندى: الجود. تنخر: تصير ذات نضرة أي: حسن وبهاء ونعمة.
- (٥١) المخضوضر: المخضر.
- (٥٢) الإغداق: كثرة الخير والنعمة. الفيض: الإعطاء. ويريد بكثرة مائه: الغرين الذي يجلبه النيل معه فيفيد مصر خصباً. وشبهه بالمسك والعنبر في لونهما ونفاستهما.
- (٥٣) الوشي: الثوب المنقوش. الأقواف: نوع من البرود اليمنية مخطط، الواحد، فوف. مدرهم ومندر: أي كالدراهم والدنانير في استدارتها وألوانها.
- (٥٤) النسرين: ورد أبيض عطري قوي الرائحة. النيلوفر: ضرب من الرياحين ينبت في المياه الراكدة له أصل كالجزر وساق أملس.
- (٥٥) العمري: نسبة إلى سيدنا عمر بن الخطاب. الكوثر: نهر في الجنة.
- (٥٦) ترعك وتخفرك: تحفظ وتحرسك.
- (٥٧) ترفل: تجر الذيل. والمطارف: جمع مطرف وهو رداء من خز مربع ذو أعلام.
- يؤثر: يختار ويفضل.
- (٥٨) الفؤاد: القلب أو العقل. وفي هذا اللفظ تورية ظاهرة. اللباب: المختار الخالص من كل شيء.
- (٥٩) فاروق: ولي العهد إذ ذاك. العنصر: الأصل.
- (٦٠) مناط الآمال: موضع الرجاء ومحط المنى. المناط (في الأصل): اسم موضع التعليق. السنا: الضوء. النير: المنير.

ديوان علي الجارم

(٦١) الصعيد: الوجه القبلي من مصر.

(٦٢) الباسقات: الأشجار العالية المرتفعة.

(٦٣) الحمى: ما تجب عليك حمايته ومنعه. ويريد به هنا مصر. يزهر: يشرق

ويضيء.

الجامعة العربية

أنشدت هذه القصيدة في حفل حاشد أقيم بالقاهرة تكريمًا لزعماء الأقطار العربية سنة ١٩٤٤م، بمناسبة إنشاء جامعة الدول العربية بالقاهرة.

سَنَا الشَّرْقَ، مِنْ أَيِّ الْفَرَادِيسِ تَنْبُعُ؟
وَفِي أَيِّ أَطْوَاءِ الْقُرُونِ تَنْقَلْتُ
طَلَعْتَ عَلَى الْأَهْرَامِ وَالْكُونُ هَامِدٌ
طَلَعْتَ شُعَاعًا عِبْقَرِيًّا كَأَنَّمَا
وَجَمَعْتَ أَسْرَارَ الْعُقُولِ فَهَلْ دَرْتُ
وَجَمَلْتَ أَفْقَ الشَّرْقِ وَالْأَرْضُ كُلُّهَا
أَذَاكَ ابْتَسَامُ الْغَيْدِ مَا أَشْرَقْتَ بِهِ
رَأَيْتَ ابْنَ عِمْرَانَ عَلَى الطُّورِ شَاخِصًا
وَأَبْصَرْتَ عَيْسَى يَنْشُرُ الرِّفْقَ وَالرِّضَا
وَشَاهَدْتَ وَسْطَ الْجَحْفَلَيْنِ مُحَمَّدًا
إِذَا صَالَ فَالْدُنْيَا مَجْرُ رِمَاحِهِ
أَلَمْ تَرَهُ فِي بُرْدَةِ اللَّيْلِ سَاجِدًا
وَمِنْ أَيِّ آفَاقِ النُّبُوءَةِ تَلَمَعُ؟^١
بِمَصْبَاحِكَ الدُّنْيَا يَشُبُّ وَيَسْطَعُ^٢
وَأَشْرَقْتَ بِالْإِلْهَامِ وَالنَّاسُ هُجَّعُ^٣
مِنْ الْحَقِّ أَوْ نُورِ الْبَصَائِرِ تَطْلُعُ
مَخَابِيءُ فِرْعَوْنَ بِمَا كُنْتَ تَجْمَعُ؟^٤
سُهُوبٌ تَضِلُّ الْعَيْنُ فِيهِنَّ بَلْقَعُ^٥
ثَنَائِكَ، أَمْ زَهْرُ: الرَّبِّاءِ الْمَتَضَوِّعُ؟^٦
يُهَيِّبُ بِهِ الْوَحْيُ الْكَرِيمُ فَيَسْمَعُ^٧
وَيَسْتَلُّ أَحْقَادَ الْقُلُوبِ وَيَنْزِعُ^٨
وَبَيْنَ هُدَى الْإِيمَانِ وَالشَّرِكِ مَضْرَعُ^٩
وَإِنْ قَالَ فَالْأَيَّامُ عَيْنٌ وَمَسْمَعُ^{١٠}
وَمِنْهُ دُرُوعُ الرُّومِ حَيْرَى تَفْرَعُ؟^{١١}

سَنَا الشَّرْقَ، أَسْرَقَ وَابْعَثَ النُّورَ سَاطِعًا
أَعَدَّ شَمْسَكَ الْأَوَّلَى إِلَى الْأَفْقِ مِثْلَمَا
يُشَقُّ دِيَاغِيرُ الظَّلَامِ وَيَصْدَعُ^{١٢}
أَعَادَ ضِيَاءَ الشَّمْسِ لِلْأَفْقِ يُوشِعُ^{١٣}

نَزَفْنَا دُمُوعَ الْمُقْلَتَيْنِ تَفْجُّعًا
وَعَشْنَا بِأَمَالٍ كَأَطْيَافِ نَائِمٍ
شِعَاعُكَ تَارِيخٌ، وَنُورُكَ حِكْمَةٌ
إِذَا ضَيَّعَ التَّارِيخُ أَبْنَاءَ أُمَّةٍ
أَبَى الدَّهْرُ أَنْ يَنْقَادَ إِلَّا لِعَزْمَةٍ
وَسَرُّ الْعِلَا نَفْسٌ كَمَا شَاءَتِ الْعِلَا
وَمَنْ يَتَجَنَّبُ فِي الْحَيَاةِ زَحَامَهَا
فَهَلْ مَرَّةً أُجْدَى عَلَيْنَا التَّفْجُّعُ؟
يُرْوَعُهَا مِنْ دَهْرِنَا مَا يُرْوَعُ^{١٥}
وَلِمَحُكِ أَمَالٍ، وَنَهَجِكَ مَهْيَعٍ^{١٦}
فَأَنْفُسُهُمْ فِي شِرْعَةِ الْحَقِّ ضَيَّعُوا!^{١٧}
يَخِرُّ لَهَا الدَّهْرُ الْعَتِيَّ وَيَخْنَعُ^{١٨}
طُمُوحٌ، وَرَأْيِي مِنْ شَبَا السَّيْفِ أَقْطَعُ^{١٩}
فَلَيْسَ لَهُ فِي سَاحَةِ الْمَجْدِ مَشْرَعُ!^{٢٠}

خُذِي مِصْرَ أَسْبَابِ السَّمَاءِ لِمَوْطِنٍ
سَحَرَتْ عَيُونََ الْخَافِقِينَ كَأَنَّمَا
قَبَابُ تَرُومِ السُّحْبِ إِدْرَاكِ شَأُوهَا
وَأَثَارُ عِرْفَانٍ تُضْيِيءُ كَأَنَّمَا
دَعُونَا نَبَاهِي بِالْحَيَاةِ فَطَالَمَا
خَلَعْنَا رِدَاءَ رَثٍّ مِنْ طُولِ لُبْسِهِ
صَحَا الشَّرْقُ وَانْجَابَ الْكَرَى عَنْ عَيُونِهِ
إِذَا كَانَ فِي أَحْلَامِ مَاضِيهِ رَائِعًا
تَوَحَّدَ حَتَّى صَارَ قَلْبًا تَحْوِطُهُ
وَأَرْسَلَهَا فِي الْخَافِقِينَ وَثِيقَةً
لَقَدْ كَانَ حُلْمًا أَنْ نَرَى الشَّرْقَ وَحْدَةً
إِذَا عُدَّتْ رَايَاتُهُ فَهِيَ رَايَةٌ
فَلَيْسَتْ حَدُودُ الْأَرْضِ تَفْصِلُ بَيْنَنَا
تَذُوبُ حُشَاشَاتِ الْعَوَاصِمِ حَسْرَةً
وَلَوْ صُدِّعَتْ فِي سَفْحِ لُبْنَانَ صَخْرَةً
وَلَوْ بَرَدَى أَنْتَ لَخَطَبِ مِيَاهِهِ
وَلَوْ مَسَّ رَضْوَى عَاصِفِ الرِّيحِ مَرَّةً
أَوَّلُكَ أَبْنَاءَ الْعُرُوبَةِ مَا لَهُمْ
هُمْ فِي ظِلَالِ الْحَقِّ جَمْعٌ مُوَحَّدٌ
مِنَ الْعَزِّ لَا يَسْمُو إِلَيْهِ التَّطْلُعُ^{٢١}
بَأَرْضِكَ سَحَرٌ لِلْفَرَاعِينَ مُودَعُ^{٢٢}
وَمِنْ دُونِهِ أَعْنَاقُهُنَّ تَقَطَّعُ!^{٢٣}
تَنَاطَرُ حَوْلَ النِّيلِ عِقْدُ مَرْصَعٍ
طَوَى أَمَمِ الشَّرْقِ الْحَيَاءُ الْمُقَنَّعُ!^{٢٤}
وَكُلُّ رِدَاءٍ رَثٍّ بِاللُّبْسِ يُخْلَعُ^{٢٥}
وَلَيْسَ لِمَنْ رَامَ الْكَوَاكِبَ مَضْجَعُ!^{٢٦}
فَنَهَضَتْهُ الْكُبْرَى أَجَلٌ وَأُرُوعُ!
قُلُوبٌ مِنَ الْعُزْبِ الْكَرَامِ وَأَضْلَعُ
لَهَا الْحُبُّ يُمْلِي وَالْوَفَاءُ يَوْقَعُ
وَلَكِنْ مِنَ الْأَحْلَامِ مَا يُتَوَقَّعُ
وَأَنْ كَثُرَتْ أَوْطَانُهُ فَهِيَ مَوْضِعُ
لَنَا الشَّرْقُ حَدٌّ، وَالْعُرُوبَةُ مَوْقِعُ
إِذَا دَمِيَّتْ مِنْ كَفِّ بَغْدَادِ إِضْبَعُ!^{٢٧}
لَدَكَ ذُرَا الْأَهْرَامِ هَذَا التَّصَدُّعُ!^{٢٨}
لَسَالَتْ بَوَادِي النِّيلِ لِلنِّيلِ أَدْمَعُ!^{٢٩}
لَبَاتَتْ لَهُ أَكْبَادُنَا تَتَقَطَّعُ!^{٣٠}
عَنِ الْفَضْلِ مَنَاءً، أَوْ عَنِ الْمَجْدِ مَنَزَعُ^{٣١}
وَعِنْدَ التَّقَاءِ الرَّأْيِ فَرْدٌ مُجْمَعُ

وقد يُدركُ الغاياتِ رأيٌ مُدرّع
لهم أملٌ لا ينتهي عند مطلبٍ
غُبارٌ رَحَى الهيجاءِ في لهواتهم
إذا لم يكن جِلْم الحليمِ بنافع
سلوا عنهم عَمْرًا وَسَعْدًا وخالدًا
تحدّثتِ الدنيا بهم في شبابها

إذا ناء بالأمر الكميّ المدرّع^{٣٢}
لقد ذلّ من يُعطى القليلَ فيقنع
من الشهدِ أخلّى، أو من المسكِ أضوع^{٣٣}
فإنّ صدامَ الجهلِ بالجهلِ أنفع!
ومُلْكَاً له يرنو الزمانُ فيخشع^{٣٤}
وجاءت إلى أبنائهم تتطلّع

فيا زعماء الشرق، والشرق أمّة
نزلتم كأطيايف الربيع بشاشة
وخلفتُم أهلاً كراماً وأزبُعاً
هنا علّم الشرق الذي في يمينكم
فسيروا بحمدِ الله للحقّ عُصبة
ففي همّة الفاروق أفياء عِزّة
دعانا إلى الجلى فأكرم بمنّ دعا
ملك له عزمٌ هو السيفُ ماضياً
أعاد إلى الشرقِ الشباب وقد مضى
فلا زال دَوْحاً للعروبة وارفاً

على الدهر لا تفنى ولا تتضعَضُ
يُضاحِكُكم من روض النيلِ مُمرّع^{٣٥}
فحيّاكم أهلُ كرامٍ وأزبُع^{٣٦}
ستعنو له الأيامُ والدهرُ أجمَع!
وإنّ أسرعَت دُهمُ الليالي فأسرعوا^{٣٧}
وركنُ على اللاؤاء لا يتزعزع^{٣٨}
إلى الوحدة الوثقى وأعزّز بمنّ دُعوا!^{٣٩}
ورأيي إذا ما أظلم الشكُّ ألمع^{٤٠}
وأياس ما يُرجى الشبابُ المودّع^{٤١}
يُغني بذكره الزمانُ ويسجّع^{٤٢}

هوامش

- (١) سنا: ضوء. الفردائيس: جمع فردوس، الجنة. آفاق النبوة: نواحي النبوة وفي البيت إشارة إلى أن الشرق مهبط الرسالات السماوية.
- (٢) أطواء القرون: مرور السنين. يشب: يوقد. يسطع: يلمع ويضيء.
- (٣) هامد: ساكن. الإلهام: الوحي. هجع: نائمون ليلاً.
- (٤) شعاعاً: من الضوء. عبقرياً: عجباً وهو نسبة إلى أرض الجن وتسمى عبقر كما يقال.
- (٥) فرعون: اسم حكام مصر القديمة.

- (٦) سهوب: جمع سهب (بالفتح) وهو الفلاة. بلقع: الأرض القفر التي لا شيء بها.
- (٧) المتضوع: المنتشر الرائحة.
- (٨) ابن عمران: سيدنا موسى عليه السلام. الطور: جبل الطور المشهور بسيناء. شاخصًا: فاتحًا عينيه.
- (٩) يستل: يخرج.
- (١٠) الجحفلين: يقصد المجموعتين. الشرك: الإشراف بالله. مصرع: مقتل.
- (١١) صال: وثب وهاجم. مجر: مسار.
- (١٢) بردة: كساء أسود تلبسه العرب. تفرع: خائفة.
- (١٣) دياجير: شدة الظلام. يصدع: يفرق ويشتت.
- (١٤) يوشع: هو سيدنا يوشع فتى سيدنا موسى — عليهما السلام — وجاءته النبوة بعد موسى ووعده الله بالانتصار على القوم الجبارين قبل غروب الشمس وقاربت الشمس على الغروب ولم يحدث، فدعا ربه فأمر الله غروب الشمس وأنزل الملائكة تحارب معه حتى انتصر عليهم.
- (١٥) أطياف: الخيال في النوم. يروعا: يخيفها.
- (١٦) نهجك: طريقك. مهيع: طريق واسع بين.
- (١٧) شرعة الحق: شريعة الحق.
- (١٨) ينقاد: يتبع. عزمة: عزيمة وإرادة. يخر: يسقط ويقع ويستسلم. العتي: القاسي المعتدي. يخنع: يخضع.
- (١٩) شبا: حد طرفه.
- (٢٠) مشرع: مورد الماء.
- (٢١) أسباب السماء: نواحي وطرق السماء. المتطلع: الناظر إلى الأمام، الطموح.
- (٢٢) الخافقين: أفقا المشرق والمغرب؛ لأن الليل والنهار يخفقان فيهما. الفراعين: لقب ملوك مصر القدماء. مودع: محفوظ.
- (٢٣) تروم: تريد. شأوها: غايتها وأمدتها.
- (٢٤) المقنع: واضعًا قناع يقصد الحياء الزائف.
- (٢٥) رث: بالي.
- (٢٦) الكرى: النوم. رام: أراد. مضجع: موضع النوم.
- (٢٧) حشاشات: موضع القلب من الجسم. دميت: أصيبت بالجراح.

- (٢٨) صدعت: تشققت. دك: كسر وهدم. ذرا: قمم، أعالي.
- (٢٩) بردى: نهر بسوريا.
- (٣٠) رضوى: جبل رضوى الشهير بالحجاز.
- (٣١) منأى: مكان بعيد. منزع: مقتلع الشيء من مكانه.
- (٣٢) مدرع: محمي، مستعد. ناء: كل وتعب. الكمي: الشجاع المحارب. المدرع: لابس درع الحرب.
- (٣٣) رحى: حومة. الهيجاء: الحرب. لهواتهم: جمع لهاة وهي الزائدة اللحمية في مؤخر سقف الحلق يقصد في حلقهم. أضوع: منتشر الرائحة.
- (٣٤) عمرًا: عمرو بن العاص. سعد: سعد بن أبي وقاص. خالد: خالد بن الوليد والثلاثة من أشهر قواد العرب في الحروب في فجر الإسلام. يرنو: ينظر. يخشع: يخضع.
- (٣٥) أطيايف الربيع: أحلام الربيع. بشاشة: بشرًا وسرورًا. ممرع: كثير المرعى أي: به خضرة.
- (٣٦) أربعًا: جمع ربع وهو الحي — المكان — محل.
- (٣٧) عصبة: جماعة. دهم: ظلمة.
- (٣٨) الفاروق: فاروق ملك مصر حينئذ. أفياء: ظل. اللأواء: الشدة.
- (٣٩) الجلى: عظيم الأمور. أعزز: أكرم.
- (٤٠) ماضيًا: حادًا.
- (٤١) المودع: الذاهب.
- (٤٢) دوحًا: شجرة عظيمة. وارفًا: مظلاً. يسجع: يتكلم كلامًا مقفى وسجع الحمام: صوت الحمام.

خلود

نظم الشاعر هذه القصيدة في ذكرى الشعارين أحمد شوقي وحافظ إبراهيم عام ١٩٤٧ م.

ضلَّ شعري وندَّ عني بياني	ما على الشعارين لو أرشداني ^١
ضاع في ظُلْمَةِ المشيبِ أنينًا	وبكى في الصبا بياضَ الأمانِ
مَزْهُرٌ أنَّ في قِفَارِ فِلاَةٍ	وابنُ غُصْنٍ شدا بلا أغصان! ^٢
بين قومٍ ما رنَّ في سمعهم أحـ	لَى نَشِيدًا من أَصْفَرِ رنَّان ^٣
صدَفَتْهم عن خالِدِ الفنِّ أضغَا	ثُ وَزْهُوٌ من كاذِبِ العيشِ فاني ^٤
هَاتِ سَمْعًا أَسْمِعَكَ رَائِعَ أَنْغَا	مي، وإلاَ فاذهبْ ودعني وشاني
أنا في أمةٍ بها جدولُ الضر	بِ طَغَى سَيْلُهُ على الأذْهَانِ
إن رأوا صفحةً بها بيتُ شعرٍ	تركوه يبكي على كلِّ باني
صَحَتْ فيهم فعاد صوتي مع الريد	ح، وعادت حزينَةً أَلْحَانِي
في كسادِ القريضِ أخفيتُ دُرِّي	وَحَزَنْتُ الغريبَ من مَرْجَانِي ^٥
وَتَمَنَّيْتُ كُلَّ شَيْءٍ على الله	سوى أن أعيشَ من أوزاني ^٦
كلُّ شَيْءٍ بِمَصْرٍ خُصِبَ على الهَرَا	ج، جَدِبُ الثرى على الفَنَّان! ^٧

سَكَّتَ العندليبُ في وحشةِ الدَّوْ	ح، وَغَنَّتْ نَوَاعِقُ الغُرْبَانِ ^٨
فسمعنا من النشوزِ أفانيـ	نَ يُرَوِّعَنَ صَادِحَ الأفْئَانِ ^٩
أَسْمَعُونَا برغمنا فصبرنا	ثم ثَرْنَا غَيْظًا على الآذَانِ

جلبوا للقريض ثوبًا من الغر
ثم قالوا: مُجدُّون فأهلاً
لا تثوروا على تراث امرئ القيد
واتركوا هذه المعاولَ بالله،
واحفظوا اللفظَ والأساليبَ والذو
ما لسانُ القريض من عربي
إنَّما الشعرُ قطعةٌ منك ليست
كلُّ فنٍّ له مكانٌ وأهلٌ
إن رأيتُم أخوةَ العودِ للجَزْ
لا يهزُّ النخيلَ إلاَّ حنانُ الند
وجَهةُ الشرقِ غيرها وجهُ الغر

ب، ولم يجلبوا سوى الأكفان!
بصناديد أخريات الزمان!^{١٠}
س، وصونوا ديباجةَ الذُّبْياني^{١١}
فإني أخشى على البنيان^{١٢}
ق، وهاتوا ما شئتُم من معاني
كلسانِ القريض من طُمُطُماني!^{١٣}
من دماء اللاتين واليونان^{١٤}
إن غدا العلمُ ما له من مكان
بند، فابكوا سُلالةَ العيدان^{١٥}
خاي، في صمتِ ليلةٍ من حنان!
ب، فأنى وكيف يلتقيان!

* * *

أين عهدُ الشباب واللَّهو يا شع
ذبلُ الوردُ وانقضى مَوْسَمُ الرب
وانطوى مجلسُ الصحابِ بمن فيه
كان أشهى للنفس من حَسوةِ الكأ
لم تدُرْ كأسه على واغلٍ فدُ
يُنثَرُ الشعرُ فيه كالزهرِ رِيّا
كان فيه «شوقي» وكان «أبو الحف
و«إمامُ العبد» الذي كان رمزًا
كان شوقي يُضْغِي وما كان يُضْغِي
كلُّما مدَّ رأسه يرقُبُ الوحـ
ثم يُغْضِي مُهمهمًا مثلما جرَّ
ينظُمُ الشعرَ وهو يلقي الأحاديـ
رُوحه في السماء، وهو على الأر
هو شوقي جِسْمًا يَرَى ويُناجِي
شركسي أعياء على العُزْبِ مَاتَا

ر؟ وأين الهوى؟ وأين المغاني؟
حان، وا حسرتا على الريحان!
ه وما فيه من أمانٍ لدان^{١٦}
س، وأحلى من صادحاتِ الأغاني^{١٧}
م، ولا واكلٍ عن المجدِ واني^{١٨}
ن، بلحنٍ من الصبا رِيان^{١٩}
ظ، و«حفني» وجملَةُ الإخوان^{٢٠}
لتأخي المصريِّ والسوداني^{٢١}
هو في عالمٍ من الفنِّ ثاني!
ي، رأيتَ العينينِ تختلجان
بتَ بالَجَسِّ شادياتِ المثاني^{٢٢}
ث، فيأتي بآبداتِ البيان^{٢٣}
ض، كِلا العالَمَيْنِ مختلفان
وهو في الشعرِ طائِفٌ نوراني
ه، فحَسَّان ليس بالحَسَّان^{٢٤}

ه ابن عَبْدَان في بني حَمْدَان^{٢٥}
فارسي، في منطق عدناني
ليس من «مَسْقَط» ولا من «عُمان»^{٢٦}
ذلك النوع نَدَّ عن إمكاني^{٢٧}
ل لديه مِثْل له فاسألاني^{٢٨}
رَى، فقد نالني الذي قد كفاني
لأراه كعهده ويرانني
ت، وفي حضرة «الأمير» دعاني^{٢٩}
ر نضير الصِّبا طليق العنان^{٣٠}
وحسان، مضى زمان الحسان^{٣١}
ر، وغصن الشباب في ريعان
ن، ومن أين مثله للغواني؟
ن مغيظاً مُسائلاً مَنْ حكاني؟
فمن أين جاء للإنسان؟
ز حواليه هزة النشوان^{٣٢}
ها كما شاء مُبدِع الألوان^{٣٣}
ن شعاراً لصادق الإيمان^{٣٤}
وأياي «العباس» بيض دواني^{٣٥}

وله في المديح ما لم يُدانيه
حكمة مَشْرِقيَّة، في خيال
ينثر الدرَّ عبقرياً عجيباً
أنا بالدرِّ أخبرُ الناس لكن
فاسلاً كلَّ جوهريِّ فإن قا
يا خليلي لا تهيجا لي الذك
ناولاني بالله ديوان شوقي
ثم سيرا على الأصابع في صم
مرةً ألتقي به أمد العو
بين راح وروضة وغدير
ووجهه الآمال أزهى من الزه
غزل أذهل الغواني عن الحس
حين يشدو يُصغي له الطير حيرا
ذاك صوت به خُصصت من الله
يصف الجسرَ والجزيرة تهت
في ثياب من الطبيعة وشأ
ويرى حُبّه لدولة عثما
ذاك شعر الشباب والدار دار

فُيثير الكمينَ من أشجاني
ح فيُبكيه مثلاً أبكاني^{٣٦}
ر، وعيق الشادي عن الطيران^{٣٧}
لي، فنادى بصوته الخافقان^{٣٨}
إن أردتم منافذ البركان
دوس يأبى مَسيسه بالبنان
حدا وعاد الغريب للأوطان^{٣٩}
رًا لأوتار عوده المِزنان^{٤٠}

ثم ألقاه وهو في الأسر يشكو
وُناجي شعره «نائح الطل
زُجمت مصر بالْبُغاث من الطي
أسروه ليحبسوا صوته العا
احبسوا السيل إن قَدَرْتُمْ وسُدُّوا
ودعوا الشعر فهو طير من الفر
ثم طار الهزار للعش غري
عاد «زرياب» بعد أن زاد أوتا

فتغنّي بمصرَ في موكبِ الشر
 وشدا بالشُّموسِ من عبدِ شمسٍ
 ألهب العزم في بني مصرَ نارًا
 ودعا بالشبابِ فابتدروا السب
 والرواياتُ أعجزتُ كلَّ شيطا
 حكمةُ الشَّيبِ في مراسِ التجاريـ
 جنتِ السنُّ ما جنت غير عقلٍ
 كلما هدَّت الليالي قواه
 شعرُ شوقي وديعةُ الزمنِ البا
 ق، وعزَّ التاجينِ والصُولجان
 والغطاريفِ من بني مروان^{٤١}
 أيُّ خيرٍ في هذه النيران!
 ق، وآمالُ مصرَ في الشَّبَّانِ^{٤٢}
 ن، وأعيت في وصفها شيطاني^{٤٣}
 ب، وفكرُ أمضى شَبًّا من سنان^{٤٤}
 زاد بالسَّنِّ صَوْلُهُ ولسان^{٤٥}
 بلغ الشعرُ قِمَّةَ العُنفوان
 قي، وشوقي وديعةُ الرحمن!

قد شُغلنا عن حافظٍ بأمير الشعـ
 كان يجري على أَعَنَّةِ شوقي
 لا الجوادانِ في النجارِ سواءٍ
 يُلهبُ الشعرُ حافظُ أرعنَ السو
 ليت شعرَ القريضِ أيُّ سباق
 حافظُ زَيْنَ القريضِ بفنٍ
 لفظه في يديه يختار منه
 ولكم قد أعاد بيتًا مرارًا
 يتقرَّى في الشعرِ ميل الجماهـ
 جال في حومةِ السياسةِ وثًا
 ورمى الاحتلالَ حرًّا جريئًا
 في زمانٍ قد ذلَّ كلُّ إباءٍ
 وظفَّوه فأسكتوه فألقى
 ويح هذا الكروان! هل راقه الحب
 هَشَمُوا نابيَّ «ابن بُردٍ» وحالوا
 كان شوقي وحافظُ إن دجى الخطـ
 «فهما في أواخرِ الليلِ فجرا
 ر، ويلي! لو كان يدري لحاني^{٤٦}
 ويُعاني من ركضه ما يُعاني^{٤٧}
 حين تبلوهما ولا الفارسانِ^{٤٨}
 ط، وشوقي في آخرِ الميدان!
 بين شعريَّهما؟ وأيُّ رهان؟!
 بُحْتُرِّي عذبَ رشيْق المبانـ^{٤٩}
 صَحْفَةُ الدرِّ في يَدَيِ دِهْقان^{٥٠}
 باحثًا عن فريدةٍ من جُمان^{٥١}
 ر، ليحظى بصيحةِ استحسان^{٥٢}
 بًا، فأذكى حماسةَ الفتيانِ^{٥٣}
 وتحَدَّى «العميد» ثَبَّتَ الْجَنانِ^{٥٤}
 فيه، وانقاد كلُّ صعبِ الحِرانِ^{٥٥}
 شَعْرُهُ في مَهامِهِ النُّسيانِ^{٥٦}
 سُسْ وأغراه عسجدُ القضبانِ؟^{٥٧}
 بين كاسِ الطلا وبين ابنِ هاني!^{٥٨}
 ب، شعاعينِ في الدُّجَى يلمعان^{٥٩}
 ن، وفي أوليَّاتِهِ شَفَقانِ^{٦٠}

* * *

أيها الشاعران قد صَوَّحَ الدُّوْ
وخلا الرُّبْعُ لا قراعُ كئوس
وتولَّى القُطَّانُ لم يبق إلا
ومضَى الرُّكْبُ بالرفاقِ وخلاً
أيها الشاعران في جَنَّةِ الخُلـ
مَهْدًا لي إلى جِواركما مَثـ
حُ، وولَّتْ بشاشةُ البُسْتانِ! ٦١
ضاحكاتٍ، ولا رنينِ قِيَّانِ! ٦٢
حسراتٍ لفرقةِ القُطَّانِ! ٦٣
ني وحيداً أبكي على خلَّاني
د، هَناءً بالخُلْدِ والرُّضوانِ
سوى، إذا آن للرحيلِ أواني ٦٤

هوامش

- (١) ضل: تاه وضاع.
- (٢) مزهر: العود الذي يضرب به. أن: أخرج صوتاً هو أنين الحزن. قفار: أرض لا نبات فيها. فلاة: صحراء. ابن غصن: المقصود الطير المغرد. شدا: غنى.
- (٣) أصفر رنان: الذهب ورنينه والمقصود النقود عامة.
- (٤) صدقتهم: ألتهتهم — أبعدتهم — أمالتههم. أضغاث: أحلام. زهو: تكبر. فاني: زائل.
- (٥) كساد: بوار. القريض: الشعر. دري: نسبة الدر أي الجواهر. خزنت: حفظت في الخزائن. مرجاني: حجر كريم نادر وثمان.
- (٦) أوزاني: نسبة إلى أوزان الشعر.
- (٧) الهراج: المهرج. جذب الثرى: أرض قحط لا نبات فيها ولا ثمر.
- (٨) العندليب: طائر مغرد والشاعر يقصد نفسه. وحشة: الخلوة المخيفة. نواعق: صوت الغراب. الغربان: جمع غراب وهو الطائر المعروف.
- (٩) النشوز: الخروج عن المألوف. يروعن: يخفن. صاوح الأفنان: المغني بين الأغصان والمقصود الطيور ذات الصوت الجميل.
- (١٠) صناديد: السادة الشجعان الشرفاء والمقصود هنا التهكم.
- (١١) تراث: ما ورثناه من مجد سالف. امرؤ القيس: شاعر جاهلي كبير أحد أصحاب المعلقة السبع. ديباجة: مقدمة والمقصود الشعر. الذبياني: هو النابغة الذبياني الشاعر الجاهلي العظيم، وهو أيضاً أحد أصحاب المعلقة.

- (١٢) المعاول: جمع معول وهو الذي يستعمل في الهدم.
- (١٣) لسان القريض: قول الشعر. طمطماني: صاحب الكلام غير المفهوم.
- (١٤) اللاتين واليونان: يقصد كل ما هو غير عربي.
- (١٥) العود: هو آلة موسيقية من آلات الموسيقى الشرقية. الجازبند: آلة موسيقية غربية. سلالة: نسل.
- (١٦) لدان: قريبة.
- (١٧) حسوة: امتلاء الكأس بالشراب. صادحات: المغنيات بصوت مرتفع.
- (١٨) واغل: مسرف في الشراب. قدم: عبي وغبي. واكل: معتمد على الغير. واني: مقصر.
- (١٩) ريان: مرتوي.
- (٢٠) شوقي: أحمد شوقي الشاعر الكبير. أبو الحفظ: كناية عن الشاعر حافظ إبراهيم. حفني: هو الشاعر الأديب حفني ناصف.
- (٢١) إمام العبد: أحد ظرفاء مصر وأدبائها وشعرائها وكان معاصرًا للشاعر.
- (٢٢) المثاني: العظام.
- (٢٣) آبدات: العويص، البعيد.
- (٢٤) شركسي: إشارة إلى أصله من بلاد الشركس. مأتاه: ما أتى به من البيان العربي الأصيل. حسان: هو حسان بن ثابت شاعر الرسول، عليه الصلاة والسلام.
- (٢٥) ابن عبدان: شاعر مدح بني حمدان.
- (٢٦) مسقط وعمان: إشارة إلى شهرة البلدين في صيد اللؤلؤ.
- (٢٧) ند: شرد.
- (٢٨) جوهري: تاجر الجواهر والأحجار الكريمة.
- (٢٩) الأمير: إشارة إلى لقب الشاعر أحمد شوقي «أمير الشعراء».
- (٣٠) أملد: ناعم. العود: القد. طليق العنان: غير مقيد.
- (٣١) راح: الخمر.
- (٣٢) الجسر: المقصود جسر قصر النيل. الجزيرة: حي الجزيرة عنده.
- (٣٣) وشاها: لونها ونقشها.
- (٣٤) دولة عثمان: الدولة العثمانية؛ لأنها دولة إسلامية.
- (٣٥) العباس: خديوي مصر وقت شوقي. دواني: قريبة العطاء.

- (٣٦) نائح الطلح: باكي أرض الوطن. إشارة إلى قصيدة شوقي: «يا نائح الطلح أشباه عوادينا نأسى لواديك أم تأسى لوادينا» كتبها في المنفى معارضاً للشاعر ابن زيدون القائل: «أضحى التنائي بديلاً عن تدانينا وناب عن طيب لقيانا تجافينا».
- (٣٧) زحمت: ازدهمت. البغاث: الضعيف المتهافت. عيق: منع وحبس.
- (٣٨) الخافقان: أفقا المشرق والمغرب؛ لأن الليل والنهار يخفقان فيهما.
- (٣٩) الهزار: طائر من الطيور المغردة.
- (٤٠) زريب: مغنٍّ عظيم في العصر العباسي. المرنان: الرنان.
- (٤١) الشموس: الملوك. عبد شمس: قدماء المصريين. الغطاريف: السادة النجباء.
- بني مروان: ملوك الدولة الأموية في الأندلس.
- (٤٢) ابتدروا: بادروا. السبق: السباق والتطلع نحو المجد.
- (٤٣) الروايات: إشارة إلى روايات شوقي الشعرية. شيطان: المقصود شيطان الشعر. أعيت: أتعبت.
- (٤٤) مراس: الممارسة والمعالجة. التجاريب: حنكة الأمور وتجربتها. أمضى: أحد.
- شبا: كل شيء حد طرفه. سنان: سنان الرمح.
- (٤٥) جنت: حصلت، حصدت. السن: العمر والسنون. صولة: وثبة.
- (٤٦) لحاني: لأمني.
- (٤٧) أعنة: يد اللجام للفرس. ركضه: جريه.
- (٤٨) النجار: الأصل. تبلوهما: تختبرهما.
- (٤٩) بحتري: نسبة إلى البحتري الشاعر العباسي العظيم.
- (٥٠) صحيفة الدر: وعاء الدر. دهقان: تاجر الجواهر.
- (٥١) جمان: حبات تصنع من الفضة كالدرر.
- (٥٢) يتقرى: يختار، يسعى.
- (٥٣) جال: طاف: حومة السياسة: معظم الميدان.
- (٥٤) الاحتلال: الاستعمار الإنجليزي لمصر. العميد: المعتمد البريطاني الذي كان يعتبر الحاكم الفعلي لمصر حينئذ. ثبت الجنان: ثابت القلب.
- (٥٥) إباء: عزة وأنفة. انقاد: تبع. صعب الحران: لا ينقاد بسهولة.
- (٥٦) مهامه: المفازات البعيدة.
- (٥٧) عسجد: الذهب.

(٥٨) نابي: أسنان. ابن برد: الشاعر العباسي بشار بن برد ويقصد بالشاعر حافظ إبراهيم. كأس الطلا: كأس الخمر. ابن هاني: الشاعر الأندلسي الكبير وكان مشهوراً بوصف الخمر.

(٥٩) دجي: أظلم. الدجي: الظلمة.

(٦٠) شفقان: مثنى شفق وهو ضوء الشمس وحمرتها قبل الغروب.

(٦١) صوح: جف، يبس. الدوح: الشجر العظيم. ولت: ذهب.

(٦٢) الربع: الحي، المكان. قراع: صوت كئوس الشراب عندما تتخبط. قيان: الإماء المغنيات.

(٦٣) القطان: المقيمون بالمكان.

(٦٤) مثنوى: مكان ينام فيه.

الشباب

نشرت هذه القصيدة بمجلة الهلال في سنة ١٩٤٧م.

أهْبْتُ بالشعر أن يعودا	إلى الصبا ناعماً رغيذاً ^١
يذكرُ ما مرَّ من عهودٍ	لله ما أنضرَ العهودا!
في كل يوم أرى فَنَاءً	وهو يرى حوله خلودا
طار حثيثاً بكل أفقٍ	لَمَّا مشت خُطُوتي وثيذا
وصَوَّحتُ دوحتي ومالت	ولم يزل صادحاً غريداً ^٢
يأخذُ ما أبقت الليالي	ويبتغي فوقه مزيدا
تجاربي الباقيات عادت	تجري بأوتاره نشيدا
في حكمة الشيب لي عزاءُ	وكم وعيدٍ حوى وعودا! ^٣
كادت أياديه وهي بيضُ	تُنسى حُلِيَّ الشبابِ سوداءُ

علوتُ طودَ الزمان حتَّى	رأيتُ من فوقه الوجودا ^٥
وبان ما لم يَبْنِ لغيري	وكان عن عينه بعيدا
كان شبابي رفيقَ عمري	فَعَشْتُ من بعده وحيدا
غاب فلمَّا مضى وولَّى	جعلتُ شعري له بريدا
أبعثُ بالشوق كلَّ يوم	ويبعثُ الهجر والصدودا ^٦
وكم محوت السطورَ لثُمَّ	أَحَسَّهَا للصبا خدودا

فأَبْصِرُ الْغَيْدَ فِيهِ غِيْدَا	يُصَوِّرُ الْحَبَّ فِي إِطَارٍ
كَعَهْدِهِ بِاسْمًا سَعِيدَا	وَيَرْسُمُ الْمَاضِيَ الْمَوَلِّيَّ
أَلْمَحْ شَخْصًا بِهِ جَدِيدَا	أَلْمَحْ شَخْصِي بِهِ كَأَنِّي
مَاذَا دَهَى الْكَأْسِ وَالْوُرُودَا؟	أَيْنَ وَرُودِي وَأَيْنَ كَأْسِي؟
يُجِيدُ مَا يَشَاءُ أَنْ يَجِيدَا	لَمْ يَبْقَ مِنِّي سِوَى لِسَانٍ
وَحِكْمَةٍ نَظَّمْتُ عَقُودَا ^٧	وَفِكْرَةٍ صُوِّرَتْ نُضَارًا

* * *

شَرَّخَ الصَّبَا قَبْلَ أَنْ يَبِيدَا ^٨	فِيَا شَبَابَ الْبِلَادِ صَوْنُوا
وَذَاهِبُ الْعَمْرِ لَنْ يَعُودَا	يَعُودُ فِي الْكَوْنِ كُلُّ شَيْءٍ
فَحَرِّمُوا حَوْلَهُ الْوُرُودَا ^٩	إِنْ اشْتَكَى النِّيلُ مَسَّ ضَمِيمٍ
فَمَا لَنَا نَلْمَحُ الْقَيُودَا؟ ^{١٠}	تِجَارَةُ الرِّقِّ قَدْ تَوَلَّتْ
كُنَّا لِنَبْرِيهِ وَنَقُودَا	قَدْ نَهَبَ الْعَمْرُ فِي جِدَالٍ
مَثَابِرٍ يَقْرَعُ الْحَدِيدَا	لَا يَدْرِكُ السُّؤْلُ غَيْرَ عَزَمٍ
فَإِنَّهَا مَلَّتِ الرِّقُودَا	فَأَيَّقُظُوا مَصْرَ مَنْ جَدِيدٍ
فَالْمَجْدُ لَا يَعْرِفُ الْحُدُودَا	لَا تَرْسُمُوا لِلطُّمُوحِ حَدًّا
فَجَرِّدُوا نَحْوَهُ الْجُهُودَا	الْعِلْمُ أَمْضَى مِنَ الْمَوَاضِي
وَأَوَّلُ النُّجُحِ أَنْ تَرِيدَا	مَصْرَ تَرِيدُ السَّمَاءَ وَثَبًا

هوامش

- (١) أهبت: دعوت.
- (٢) صوحت: جفت. دوحتي: الدوحة الشجرة الكبيرة. مالت: انثنت.
- (٣) وعيد: تهديد. حوى: اشتمل. وعودا: بالخير.
- (٤) حلي: زينة.
- (٥) طود: الجبل العظيم.
- (٦) الصدود: الإعراض.
- (٧) نضارا: الذهب وقيل: هو الخالص من كل شيء. نظمت عقودا: انتظمت في هيئة عقد وهو الذي تتحلى به النساء.

الشباب

- (٨) شرخ الصبا: أول الشباب. يبيدا: يذهب ويندثر ويباد.
(٩) ضيم: ظلم. الورودا: إتيان الماء من منهل.
(١٠) الرق: العبودية.

في الزيارة الملكية

أنشدت أمام الملك فؤاد بمدينة أسيوط في ٢١ من ديسمبر سنة ١٩٣٠م، حينما زار المدينة لزيارة معاهدها العلمية.

وَأَشْرَقَتْ مِثْلَ النَّجْمِ فِي الْأَفْقِ يَلْمَعُ^١
فَلَمْ يَخُلْ مِنْ آثَارِ مَجْدِكَ مَوْضِعَ
عَلَى الدَّهْرِ رَمْسِيسَ الْعَظِيمِ وَخَفَّرَعَ^٢
وَأِنَّكَ تَبْنِي لِلْحَيَاةِ وَتُبْدِعُ
وَتَطْوِي ظِلَامَ الْجَهْلِ مِنْ حَيْثُ تَسْطَعُ^٣
كَمَا كَانَ (إِسْمَاعِيلُ) لِلْبَيْتِ يَرْفَعُ^٤
فَأَنْتَ بِأُخْرَى سَاهِرُ الطَّرْفِ مُوَلِّعُ^٥
مَضَوْا ثُمَّ أَبْقَوْا ذِكْرَهُمْ يَتَضَوُّعُ^٦
تُظِلُّنَا مِنْهُ غُصُونُ وَأَفْرُعُ
تُعِيدُ إِلَى مِصْرَ الشَّبَابِ وَتَرْجِعُ؟
تَخِرُّ لَهَا شُمُ الْجِبَالِ وَتَخْشَعُ؟^٧
فَلَمْ يَبْقَ فِي مِصْرٍ بِيَمْنِكَ بَلْقَعُ^٨
فَمَا سَالَ إِلَّا وَهُوَ بِالتَّبْرِ مُتْرَعُ^٩
وَأَنْتَ لِأَمَالِ الرِّعِيَّةِ مَشْرَعُ^{١٠}
لَهُ الْمَجْدُ تَاجٌ بِالْجَلَالِ مُرْصَعُ
تَخِرُّ لَهَا الْأَعْنَاقُ طَوْعًا وَتَخْضَعُ

طَلَعْتَ فَأَبْصَارُ الرِّعِيَّةِ خُشَعُ
وَأَقْبَلْتَ تَبْنِي الْمَجْدَ فِي كُلِّ مَوْضِعِ
خَوَالِدُ آثَارِ تَمَنَّى مِثَالَهَا
بَنَوْهَا لِمَا بَعْدَ الْحَيَاةِ وَأَبْدَعُوا
مَعَاهِدُ عِلْمٍ تَنْشُرُ النُّورَ وَالْهُدَى
وَأَثَارُ فَضْلِ فِي الْبِلَادِ رَفَعَتْهَا
إِذَا تَمَمَّتْ مِنْ فَيْضِ جَدِّكَ نِعْمَةٌ
جَرَيْتَ عَلَى آثَارِ آبَائِكَ الْأَلَى
هُمْ غَرَسُوا دَوْحَ الْحَضَارَةِ وَارْفًا
أَفِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ نَدَاكَ صَنِيعَةٌ
أَفِي كُلِّ يَوْمٍ لِلْمَلِكِ عَزِيمَةٌ
مَلَكَتْ زِمَامَ النَّيْلِ يَا شَبَّهَ فَيْضِهِ
وَعَلِمَتَهُ مِنْ جُودِ كَفَيْكَ خَلَّةٌ
عَلَوَتْ مَطَاهُ وَهُوَ لِلْأَرْضِ مَشْرَعُ
فَسَالَ يَجْرُ الذَّيْلُ تِيهًا بِمَالِكِ
وَأَشْرَقَ إِقْلِيمُ الصَّعِيدِ بِطَلْعَةِ

بَدَتْ مِثْلَ مِصْبَاحِ السَّمَاءِ تَعَاوَنْتُ
لَدَى مَوْكِىٍّ مَا سَارَ فِيهِ ابْنُ مُنْذِرٍ
يُحِيطُ بِهِ نُورُ الْإِلَهِ وَنَصْرُهُ
سَمِعْتُ بِهِ حَتَّى إِذَا مَا رَأَيْتُهُ
وَلِلشَّعْبِ قَلْبٌ حَوْلَ رُكْبِكَ خَافِقُ
يَزَاجِمُ كَيْ يَحْظَى بِنَظَرَةٍ عَاجِلٍ
هُتَافٌ مِنَ الْحُبِّ الصَّمِيمِ أَنْبَعَاثُهُ
مَلَكْتَهُمْ مُلْكُ الْكَرِيمِ فَأَخْلَصُوا
فَخَارَا (سُيُوطُ) فِيكَ خَيْرٌ مَمْلَكٍ
بَدَا مِثْلَ مَا يَبْدُو الرَّبِيعُ بِشَاشَةٍ
فَمَاؤُكَ سَلَسَالٌ، وَطَيْرُكَ صَايْحُ
(فُؤَاد) أَبَقَ لِلْقَطْرِ الْخَصِيبِ تَحَوُّطُهُ
وَعَاشَ بِكَ (الْفَارُوقُ) فِي ظِلِّ نِعْمَةٍ
عَلَى تِمِّهِ فِي الْأَفْقِ عَشْرٌ وَأَرْبَعٌ^{١١}
وَلَا نَالَه فِي سَالِفِ الدَّهْرِ تُبْعٌ^{١٢}
وَتَحَرَّسُهُ عَيْنُ الْإِلَهِ وَتَمْنَعُ^{١٣}
(رَأَيْتُ بِعَيْنِي فَوْقَ مَا كُنْتُ أَسْمَعُ)^{١٤}
وَرَأَيْ عَلَى الْإِخْلَاصِ وَالْوَدِّ مُجْمَعٌ^{١٥}
فَبَيَّهَرُهُ مِنْ نُورِ شَمْسِكَ مَطْلَعُ
تُرَدَّدَهُ أَصْدَاؤُهُ وَتُرَجَّعُ
وَقُدَّتَهُمْ نَحْوُ الْمَعَالِي فَاسْرَعُوا
نَحْجُ لَهُ أَمَالُ مِصْرَ وَتُهْرَعُ^{١٦}
وَوَافَى كَمَا وَافَى الرَّجَاءُ الْمُمْنَعُ
وَغُضُنْكَ رِيَّانُ، وَوَادِيكَ مُمْرَعٌ^{١٧}
وَتَدْفَعُهُ نَحْوَ الْحَيَاةِ فَيُدْفَعُ
يَلْمُ شَتَاتَ الْمَكْرُمَاتِ وَيَجْمَعُ^{١٨}

هوامش

- (١) خشع: مطرقة هيبية وخشية.
- (٢) رمسيس وخفرع: من فراعنة مصر الأقدمين.
- (٣) تطوي الظلام: تذهب به وتزيحه.
- (٤) رفعتها: أعليت بنيانها. إسماعيل: هو نبي الله إسماعيل بن إبراهيم، عليهما السلام. البيت: الكعبة.
- (٥) فيض جدواك: عميم كرمك وواسع جودك. ساهر الطرف: لا يغمض لك جفن حتى تنجزها.
- (٦) يتضوع: تنتشر رائحته الطيبة.
- (٧) تخر وتخشع: تقع وتنهد. وشم الجبال: ما علا منها وارتفع.
- (٨) الزمام: ما تقاد به الدابة. ملك زمام النيل: القدرة على توجيهه وتصريفه. فيض النيل: ما يفيض به على البلاد من حياة وخصب. البلقع: الأرض الجرداء لا نبات فيها.

- (٩) الحالة: الخصلة والشيمة. مترع: مملوء فياض.
- (١٠) مطاه: متنه وظهره. مشرع: مورد.
- (١١) مصباح السماء: القمر. يريد البدر في تمامه وذلك في الليلة الرابعة عشرة من الشهر.
- (١٢) ابن منذر: هو النعمان بن المنذر، من المناذرة ملوك الشام، وكان ذا حول وطول، وهو الذي شاع ذكره في شعر النابغة. تبع: التبابعة ملوك اليمن، وكان لهم فيها السلطان الواسع.
- (١٣) تمنع: تدفع.
- (١٤) الشطر الثاني من شعر ابن هاني في مدح جوهر الصقلي.
- (١٥) خافق: يهتز بحبك.
- (١٦) تحج: تقصد. تهرع: تسرع.
- (١٧) سلسال: صاف خالص مما يشوبه. ريان: ناضر. ممرع: مخصب.
- (١٨) فاروق، كان ولي العهد إذ ذاك. شتات المكرمات: ما تفرق منها.

المجمع اللغوي

ألقيت في الاحتفال بالدورة الثانية لمجمع اللغة العربية سنة ١٩٣٤ م.

ذِكْرِيَّاتُ رَدَدَ الذَّهْرُ صَدَاهَا
وَصَلَ الْعَرْبُ الْغَطَارِيفُ إِلَى
وَجَرُوا صَوْبَ الْعُلَا فِي طَلَقٍ
تَقِفُ الْأَوْهَامُ حَسْرَى دُونَهُ
مَرَّ بِالشَّمْسِ فَلَمْ تَشْعُرْ بِهِ
أُمُّ الصُّحْرَاءِ أَقْوَى جَلْدًا
صَخْرُهَا أَوْحَى إِلَيْهَا عَزْمَةً
وَسُكُونُ الْبَيْدِ فِي رَهْبَتِهَا
رُبَّ صَدْرٍ نَافَسَ الْحِلْمُ بِهِ
وَحِلَالِ أَنْبَتِ الْجَدْبِ بِهَا
أَبَتِ الضَّيْمَ فَمَا مَدَّتْ يَدًا
تَحْفَظُ الْعِرْضَ مَصُونًا نَاصِعًا
أُمُّ إِنْ يَهْلِكَ الْمَالُ، فَإِنْ
رَدَدَتْ أَشْعَارَهَا شَمْسُ الضُّحَا
آيَةٌ مِنْ نَفْحَةِ اللَّهِ، فَلَوْ
رَوْضَةٌ قَدْ لَقَّبُوهَا كَلِمًا
كَمْ حَكِيمٍ أَوْتِيَ الْحُكْمَ فَتَى
وَعُھُودٌ يَحْسُدُ الْمِسْكَ شَدَاهَا
غَايَةً، لَا تَبْلُغُ الطَّيْرُ ذُرَاهَا^١
رَاحِمَ الْأَنْجَمِ وَاجْتَارَ مَدَاهَا
لَاهِثَاتٍ قَصَرَ الْأَيْنُ خُطَاهَا^٢
إِنْ جَرَى إِلَّا ظَنُونًا وَاشْتَبَاهَا
مِنْ مَهَارِيبِهَا وَأَهْدَى مِنْ قَطَاهَا^٣
مِنْ بَنِي رَضْوَى وَتَهْلَانِ بَنَاهَا^٤
جَرَدَ الرُّوحَ وَبِالنُّورِ كَسَاهَا^٥
كُلَّ صَحْرَاءَ بَعِيدٍ مَنُتْهَاهَا
عِزَّةَ الْيَأْسِ فَمَا لَأَنْتَ قَنَاهَا^٦
لِذَوِي النُّعْمَى وَلَمْ تَغْفِرْ جِبَاهَا^٧
وَالِى الطَّرَاقِ مَبْذُولٌ قَرَاهَا^٨
لُمِسْتُ أَعْرَاضَهَا حَلَّتْ حُبَاهَا^٩
وَسِرَاجُ اللَّيْلِ لَمَّا أَنْ تَلَاهَا^{١٠}
كَانَ لِلنَّسِيَّانِ كَفٌّ مَا مَحَاهَا
تُخَجِّلُ الْحُسْنَ إِذَا الْحُسْنُ رَأَاهَا
وَفَتَاةٌ مَلَأَ التَّبْيَانُ فَاهَا^{١١}

تُرْسَلُ الْأَمْثَالَ تَسْرِي شَرِّدًا
قَفَّ عَلَى الْأَطْلَالِ وَأَذْكَرُ أَمَّةً
بَعَثَ اللَّهُ بِهَا نُورَ الْهُدَى
أَشْرَقَ الصُّبْحُ عَلَى الدُّنْيَا بِهِ
وَجَرَى فِي الْأَرْضِ يَنْبُوعُ هُدًى
قَلَّدَ الْفُضْحَى حُلًى قُدْسِيَّةً
وَبَيَانًا هَاشِمِيًّا لَوْ رَمَى
أُسْهُمُ مِنْ كَلِمٍ مَسْنُونَةٍ
كُلَّمَا صَاحَ بِهَا فِي طَيْبَةٍ
يَزْعُمُ الشَّعْرُ سَفَاهًا أَنَّهُ
نَزَلَ الْقُرْآنُ بِالضَّادِ فَلَوْ
حَسِبُهَا أَنْ صَوَّرْتَ مِنْ آيِهِ
وَبَنُو مَرْوَانَ لِلَّهِ هُمْ
رَبُّ مَاثُورٍ لَهُمْ وَدَّ لَهُ
خُطْبُ هَزَلٍ لَهَا مِنْبَرُهُمْ
وَقَوَافِ سَلِّ أَبَا حَزْرَتِهَا
طُفَّ بِبَغْدَادٍ وَسَلِّ آثَارَهَا
كُلُّ رَسْمٍ قَدْ وَعَى نَادِرَةً
مَشَتْ الدُّنْيَا إِلَيْهَا تَتَّقِي
وَأَبُو الْمَأْمُونِ فِي مَمْلَكَةٍ
بَلَغَتْ بِنْتُ قُرَيْشٍ ذُرْوَةً
بَيْنَ شَعْرِ كَأَزَاهِيرِ الرُّبَا
هُوَ دَلٌّ رَدَّدَتْهُ قَيْنَةٌ
وَعُلُومٌ تُرْجِمَتْ وَاسْتَنْبَطَتْ
أَبْدَاتُ الْقَوْلِ وَلَتْ بَعْدَهُمْ
يَا بَنِي الْعَبَّاسِ فِي مَضْرَعِكُمْ
أُطْفِئِ النُّورَ وَدَالَتْ دَوْلَةُ

لَا تُبَالِي أَيْنَمَا كَانَ سُرَاهَا
خَلَّدَ الْأَطْلَالَ مَاثُورٌ بُكَاهَا^{١٢}
مَنْ قُرَيْشٍ فَاصْطَفَاهُ وَاصْطَفَاهَا^{١٣}
بَعْدَ أَنْ طَالَ عَلَى الدُّنْيَا دُجَاهَا
بَعْدَ أَنْ حَرَّقَهَا حَرٌّ صَدَاهَا^{١٤}
فَزَهَاها مِنْ حَلَاهَا مَا زَهَاها^{١٥}
قُلِّلَ الْأَجْيَالَ لَأَنْهَدَتْ قُوَاهَا^{١٦}
جَاهَدَتْ فِي اللَّهِ وَاللَّهُ بَرَاهَا^{١٧}
مُسْتَتِيرًا رَدَّدَتْهَا لِابْتِنَاهَا^{١٨}
لَوْ عَفَّتْ عَنْهُ الْقَوَافِي لَحَاها^{١٩}
لَمْ يَكُنْ فِيهَا سِوَاهُ لَكَفَاهَا^{٢٠}
مُعْجَزَاتٍ عَظُمَتْ أَنْ تَتَنَاهَى^{٢١}
عُدَّةُ الْفُضْحَى وَحُرَّاسُ جِمَاهَا^{٢٢}
صَدَفُ اللَّوْلُؤِ لَوْ كَانَ شِفَاهَا^{٢٣}
يَقْذِفُ الْهَوْلَ دِرَاكًا مَنْ رَمَاهَا^{٢٤}
وَسَلِّ الْأَخْطَلَ كَيْفَ ابْتَدَعَاهَا^{٢٥}
أَيُّ سِرٍّ كَتَمَتْهُ شَفَتَاهَا!^{٢٦}
لَوْ جَرَى النُّطْقُ عَلَيْهِ لَحَاها^{٢٧}
سُخِطَ بِغَدَادٍ وَتَسْتَجِدِّي رِضَاهَا
يَتَحَدَّى الْمُزْنَ أَنْ تَعْدُو قَرَاهَا^{٢٨}
بِبَنِي الْعَبَّاسِ صَعْبًا مُرْتَقَاهَا^{٢٩}
عَكَّفَ الْغَيْثُ عَلَيْهَا فَسَقَاهَا
وَهُوَ وَجَدَ فَاضٍ مِنْ نَفْسِ فَتَاهَا^{٣٠}
وَفُصُولُ بَهَرِ الدُّنْيَا جِجَاهَا^{٣١}
طَيِّبَ اللَّهُ ثَرَاهُمْ وَثَرَاهَا!^{٣٢}
عِظَةُ الْكُونِ وَعَاها مِنْ وَعَاها
وَطَوَى الدَّهْرُ الْمُنَى حِينَ طَوَاهَا

شَدَّ هَوْلًا كَوَّ عَلَى أَرْبَابِهَا
 وَجَرَى مِنْ حَوْلِهِ عِقْبَانُهُ
 لَهْفَ نَفْسِي بِنْتُ عَدْنَانَ هَوْتُ
 سَائِلُوا بِجَلَّةٍ عَمَّا رَاعَهَا
 قَذَفَ الْكُتُبَ بِهَا طَاغِيَةً
 فَتَأَمَّلْ إِذْ جَرَى آذِيَّتُهَا
 ذَهَبَ الْعَسْفُ بِآثَارِ النَّهْيِ
 طَارَتِ الْفُصْحَى لِمِصْرٍ تَبْتَغِي
 بَقِيَّتَ فِيهَا تُلَاقِي شَطْفًا
 ثُمَّ هَبَّتْ حَوْلَهَا عَاصِفَةٌ
 وَإِذَا نَجْمٌ بَدَا مُؤْتَلِقُ
 وَإِذَا مُنْقِذُ مِصْرٍ مَائِلُ
 وَإِذَا الْعِلْمُ يَدْوِي صَوْتُهُ
 ظَفِرَتْ بِالْعَبْقَرِيِّ الْمُرْتَجَى
 دَوْلَةُ الْعِلْمِ بِهِ رُدَّتْ إِلَى
 مَنْ كَاسِمَاعِيلَ فِي آلِيهِ
 زُهِيتْ مِصْرُ جَمَالًا وَسَنًا
 تَخَجَّلِ السُّحْبُ إِذَا مَا وَازَنْتْ
 غَرَسَ الْعِلْمُ بِمِصْرٍ دَوْحَةً
 سَمَتِ الْأَدَابُ وَالذُّنْيَا بِهِ
 يَا ابْنَ إِسْمَاعِيلَ يَا ذُخْرَ النَّهْيِ
 كُلُّ أَشْتَاتِ النَّدَى إِنْ فُرِّقَتْ
 هِمَّةٌ شَادَتْ بِمِصْرٍ دَوْلَةً
 مَسَحَتْ مِصْرُ بِهِ عَيْنَ الْكَرَى
 وَتَبَّتْ وَتَبَّتْهَا دَائِبَةٌ
 أَيْنَمَا أَبْصَرْتَ تَلْقَى نَهْضَةً
 وَقُصُورًا لِإِمْعَاتٍ كَالضُّحَا

شَدَّةَ الذُّؤْبَانَ أَبْصَرَنَ شَيْهَا^{٣٣}
 كُلَّمَا أَطْعَمَهَا هَاجَ ضَرَاهَا^{٣٤}
 وَأَسْوَدَ الْغِيلِ قَدْ دَيْسَ شَرَاهَا^{٣٥}
 أَوْ دَعُوها فَكَفَاهَا مَا دَهَاها^{٣٦}
 هَلْ دَرَى مَا كَنَزَتْهُ دَفَّتَاهَا؟
 أَتَرَى فِيهِ عُقُولًا أَمْ مِيَاهَا؟^{٣٧}
 كَيْفَ تَحْيَا أُمَّةٌ ضَاعَتْ نَهَاها؟^{٣٨}
 نَاعِمَ الْعَيْشِ خَصِيْبًا فِي دَرَاهَا^{٣٩}
 فِي أَحَابِيْن، وَفِي حِينِ رَفَاهَا^{٤٠}
 خَلَطَ الذُّعْرُ ضُحَاهَا بِمَسَاهَا
 شَخَصَتْ نَحْوَ سَنَاهُ مُقْلَنَاهَا^{٤١}
 وَإِذَا مِصْرُ وَقَدْ شُدَّتْ عُرَاهَا^{٤٢}
 وَإِذَا الضَّادُ أَضَاعَتْ صَفَحَتَاهَا^{٤٣}
 فَاسْتَجَابَتْ لِلْعُلَا لَمَّا دَعَاهَا
 عَرْشُ مِصْرٍ بَعْدَ أَنْ طَالَ نَوَاهَا^{٤٤}
 يَنْفُذُ الْقَوْلُ وَلَا يَفْنَى جَدَاهَا؟^{٤٥}
 بِأَبِي الْأَشْبَالِ، وَاهْتَزَّتْ رُبَاهَا^{٤٦}
 مَرَّةً بَيْنَ نَدَاهُ وَنَدَاهَا^{٤٧}
 كُلَّمَا أَخْضَلَهَا طَابَ جَنَاهَا^{٤٨}
 وَبَدَتْ تَخْطُرُ فِي أَرْهَى حُلَاهَا^{٤٩}
 جَدَّدَتْ مِصْرُ بِكُمْ عَهْدَ صِبَاهَا^{٥٠}
 فَلِإِلَى بَابِ فُؤَادٍ مُلْتَقَاهَا^{٥١}
 صَانَهَا الْإِنْصَافُ وَالْعِلْمُ وَقَاهَا
 بَعْدَ أَنْ طَالَ عَلَى مِصْرٍ كَرَاهَا^{٥٢}
 كُلَّمَا أَجْهَدَهَا السَّعْيُ رَجَاهَا^{٥٣}
 تَمَلَّأُ الْعَيْنَ، وَإِقْبَالًا وَجَاهَا
 رَدَّدَ الْعِرْفَانَ فِي مِصْرَ صَدَاهَا

يَا نَصِيرَ الْعِلْمِ فِي مَمْلَكَةٍ كُلُّ يَوْمٍ لَكَ حَفْلٌ لِلْعُلَا
وَجَدْتُ بِنْتُ قُرَيْشٍ مَوْيَلًا لُغَةُ الْقُرْءَانِ تُزْهِى شَرْفًا
حِكْمَةُ الْمَأْمُونِ عَادَتْ دَارُهَا مَجْمَعُ الْفُصْحَى تَجَلَّى مُشْرِقًا
هُوَ فِي مِصْرَ مَنَارٌ كُلَّمَا رَأَتْ الْبَصْرَةُ فِيهِ حَفْلَهَا
مَنْ رَسُولِي لِأَعَارِبِ اللَّوَى؟ أَنْ مِصْرًا بَعَثَتْ آدَابَهَا
وَبَنَى الْيَوْمَ عُكَاظًا ثَانِيًا هَلْ حَبَا الْآدَابَ تَاُجٌ مِثْلَمَا
أَنْهَضَ التَّأْلِيفَ مِنْ كَبُوتِهِ كَمْ كِتَابٌ دَوَّنَتْ أَخْبَارُهُ
رَحَلَ الْأَعْلَامُ فِي الْغَرْبِ إِلَى فَرَأُوا مَمْلَكَةً وَثَابَةً
دُمُ فُؤَادِ الْقَطْرِ، تَحْيَا أُمَّةٌ وَسَمَا الْفَارُوقُ نَجْمًا سَاطِعًا
بَلَغَتْ بِالْعِلْمِ غَايَاتٍ مُنَاهَا^{٥٤} وَأَيَادٍ تَبْهَرُ الدُّنْيَا لَهَاهَا^{٥٥}
فِي ذَرَا الْمُلْكِ وَحِصْنًا مِنْ عِداها^{٥٦} أَنْ حَامِي الدِّينِ وَالْمُلْكِ حَمَاهَا
بِابْنِ إِسْمَاعِيلَ مِنْ بَعْدِ بِلَاهَا^{٥٧} فِي سَمَاءِ الْمَجْدِ مُجْتَازًا سُهَاهَا^{٥٨}
أَرْسَلَ الْأَضْوَاءَ فِي مِصْرَ هَدَاهَا وَرَأَتْ بَغْدَادَ فِيهِ مُنْتَدَاهَا^{٥٩}
أَيْنَ أَعْرَابُ اللَّوَى أَيْنَ لِوَاهَا؟^{٦٠} وَأَبَا الْفَارُوقَ قَدْ أَحْيَا لُغَاهَا
تَاهَ إِعْجَابًا بِهِ الدَّهْرُ وَبَاهَى^{٦١} صَاحِبُ التَّاجِ بِمِصْرَ قَدْ حَبَاهَا؟^{٦٢}
فَسَقَى الْأَحْلَامَ رُشْدًا وَعَظَاهَا^{٦٣} مِنْنًا، كَانَ فُؤَادٌ مُبْتَدَاهَا^{٦٤}
سُدَّةٍ يَسْطَعُ بِالْعِلْمِ سَنَاهَا^{٦٥} وَمَلِيغًا بِهِدَى اللَّهِ رِعَاهَا
لَمْ يَكُنْ إِلَّاكَ يَوْمًا مُرْتَجَاهَا^{٦٦} لِبَنِي مِصْرَ وَعُنْوَانٌ عَلَاهَا

هوامش

(١) الغطاريف: السادة الشرفاء، الواحد: غطريف. الذرا: جمع ذروة، وهي من كل

شيء أعلاه.

(٢) الأوهام: خطرات القلوب. حسرى: كليلة منقطعة من طول المدى. الأئين: الإعياء.

(٣) يريد بأمة الصحراء: العرب بنزولهم البوادي والصحاري. الجلد: الأيد والقوة.

المهاري: الإبل المهرية، نسبة إلى مهرة بن حيدان، حي من العرب امتازت إبله عما سواها، ويضرب بالإبل المثل في الجلد وقوة الاحتمال. القطا: ضرب من الطير عرف بقوة اهتدائه إلى مكانه.

- (٤) يريد بصخرها: أكامها وجبالها. رضوى وثعلان: جبلان ببلاد العرب.
- (٥) البيد: جمع بيداء، وهي الصحراء، الرهبة: الخشية والسكون، جرد: خلصها مما يشغلها وجعلها صافية، وبالنور كساها: أي جعلها من الحق على صلة ومن الهداية والتوفيق على بيئة.
- (٦) القناة: الرمح. لينها: كناية عن الضعف والاستكانة.
- (٧) الضيم: الذل والصغار. ذوو النعمى: ذوو اليسار. وعفر الجباه: كناية عن الضعة والمهانة.
- (٨) الطارق: الطارقون الذين ينزلون طلباً للضيافة. القرى: ما يقدم للضيف.
- (٩) الأم: الهين السهل. حل الحبا: كناية عن التحول للحرب والغارة والاحتباء (في الأصل) أن يجمع الرجل بين ظهره وساقيه برباط، فإذا تهيأ للقيام أزاله.
- (١٠) سراج الليل: القمر.
- (١١) التبيان: البيان والإفصاح.
- (١٢) الأطلال: جمع طلل، وهو ما بقي من آثار الديار. والمأثور: ما يحفظ ويؤثر من كل مליح.
- (١٣) يريد «بنور الهدى»: رسول الله ﷺ. قریش: قبيلته. اصطفاه: اختاره من بين خلقه وخصه برسالته.
- (١٤) حرقها: أجف أوراقها وأبيس عودها. حر الصدى: حرقه العطش.
- (١٥) يريد بالفصحى: اللغة العربية. قدسية: ربانية مقدسة. فزهاها: ملأها عجباً وزهواً.
- (١٦) هاشمياً: نسبة إلى بني هاشم، آل رسول الله ﷺ. وقلل الأجيال: قممها، الواحدة: قلة.
- (١٧) براها: هياها للمرمى.
- (١٨) طيبة: مدينة الرسول ﷺ. مستثيراً: مثيراً وموقظاً. لابتها: حرتها. الحرة: الأرض ذات حجارة سود. وبالمدينة لابتان. ورددتها لابتها: أي كررت صوتها ليسمعه العالم.
- (١٩) سفهاها: ضللاً وغروراً. عفت عنه القوافي: سامحته في التقيد بها. حكاها: ماثلها.
- (٢٠) بالضاد: أي باللغة العربية. وسميت بلغة الضاد، لخلو اللغات الأخرى عنها.

(٢١) آية: آيات القرآن. وعظمت أن تتناهى: أي جلت عن أن تنتهي إلى غاية من الإعجاز والقوة.

(٢٢) بنو مروان: ملوك الدولة الأموية. والحمى: ما يجب عليك حياطته والذود عنه.

(٢٣) تود الأصداف لو قامت له مقام الشفاه.

(٢٤) دراكًا: متتابعًا، يدرك بعضه بعضًا.

(٢٥) أبو حزرتها: جرير. وهو والأخطل شاعران أمويان معروفان. وأبتدعاها:

خلقاها.

(٢٦) بغداد: عاصمة العراق، وقديمًا كانت مقر الدولة العباسية فشهدت عهدًا من

أزهى العهود.

(٢٧) الرسم: ما بقي من آثار الدار. نادرة: قصة طريفة مفردة.

(٢٨) أبو المأمون، هو الرشيد. المزن: السحاب، يشير إلى قول الرشيد حين رأى

سحابة عارضة فقال: أمطري حيث شئت أن تمطري، فلن تمطري إلا حيث سلطاني وملكي.

(٢٩) بنت قريش: هي اللغة العربية. الذروة من كل شيء: أعلاه. مرتقاها: الرقي

إليها.

(٣٠) الدل: التمتع مع رغبة، القينة: الجارية أو المغنية. والوجد: الشوق.

(٣١) الحجا: العقل، ويريد أثره.

(٣٢) أبدات القول: نوادره وبدائعه.

(٣٣) هولاكو: هو الزعيم التتري الذي ثل عرش الدولة العباسية. الأرباض: جمع

ربض وهو ما حول المدينة، الشياه: جمع شاه.

(٣٤) العقبان: جمع عقاب، وهو من الطيور الجارحة المعروفة بنهمها. ضراها: ما

فيها من ولع ونهم بالعدوان والشراسة.

(٣٥) بنت عدنان: اللغة العربية. عدنان: جد من أجداد العرب. هوت: سقطت.

الغيل: الشجر الملتف وإليه تأوي الأسود. الشرى: جبل بتهامة وطريق في سلمى، وكلاهما معروف بكثرة أسده وشراستها.

(٣٦) دجلة: نهر معروف، وهو والفرات يرويان العراق. راعها: أفزعها. دهاها:

أصابها.

(٣٧) الآذي: الموج. ويريد بالعقول: نتاجها الذي حوته الكتب.

المجمّع اللُّغَوِيّ

- (٣٨) العسف: الظلم. النهي: العقول، ويريد آثارها.
- (٣٩) طارت: خفت. ذراها: نواحيها.
- (٤٠) الشظف: سوء العيش وخشونته. رفاها: رفاهية ونعيمًا.
- (٤١) مؤتلق: منير متلألئ. سناه: ضوءه. المقلتان: العينان.
- (٤٢) يريد بمنقذ مصر: محمد علي باشا. مائل: حاضر. العرا: جمع عروة، وهي أخت الزر. وشد العرا كناية عن القوة.
- (٤٣) يدوي صوته: يرتفع عاليًا. وصفحتها: وجهها، وللوجه صفحتان.
- (٤٤) نواها: بعدها.
- (٤٥) الآلاء: النعم. الجدى: العطية والمنحة.
- (٤٦) زهيت: تاهت ودلت. السنا: الإشراق والتلألؤ. أبو الأشبال: إسماعيل.
- (٤٧) نده: كرمه وجده. نداها: مطرها.
- (٤٨) أخضلها: أرواها. الجنى: ما تجنيه من الثمر، ويريد ثمار العلم.
- (٤٩) سمت: نهضت. تخطر: تختال مزهوة مدلة.
- (٥٠) ابن إسماعيل: هو الملك أحمد فؤاد. النهي: العقول. نخرها: أنفس ما عندها.
- (٥١) الندى: الكرم. وأشتاته: ألوانه وأنواعه.
- (٥٢) الكرى: النعاس. ومسح عين الكرى: كناية عن النهوض والانتعاش.
- (٥٣) دائبة: غير منقطعة السعي. أجهدها: أضناها وأتعبها. زجاها: ساقها ودفعها.
- (٥٤) غايات مناها: منتهى ما تصبو إليه.
- (٥٥) لهاها: عطاياها ومنحها.
- (٥٦) بنت قريش: اللغة العربية. الموثل: الحصن والملجأ. وفي ذرا الملك: في كنفه.
- (٥٧) البلى: الفناء. يشير إلى دار الحكمة التي كانت قائمة أيام المأمون شبه بها المجمع.

- (٥٨) تجلى: ظهر وبدا. السهى: نجم يضرب به المثل في العلو.
- (٥٩) البصرة وبغداد: مدينتان لهما تاريخهما الزاهر بالحضارة العربية. المنتدى: مجتمع القوم للسمر والتشاور.
- (٦٠) يريد «بأعاريب اللوى» العرب في باديتهم. اللوى: منعطف الوادي.
- (٦١) عكاظ: سوق للعرب معروفة، كانوا يتناشدون فيها الأشعار ويخطبون.
- (٦٢) حبا: أعطى ومنح. تاج، أي: صاحب تاج، ويريد: ملكًا.

- (٦٣) الكبوة: العثرة والسقطة. الأحلام: العقول. الرشد: الهدى والصلاح. غذاها: أمدّها بما ينميها وينشئها.
- (٦٤) المنن: العطايا. مبتدأها: أصلها.
- (٦٥) للسدة: بيت الملك. السنا: الضوء.
- (٦٦) مرتجأها: أملها ورجاؤها.

مَصْرُ الْوَالِهَةِ

في رثاء الملك فؤاد المتوفى في الثامن والعشرين من أبريل سنة ١٩٣٦ م.

جَلَلٌ، هَزَّ كُلُّ رُكْنٍ وَهَدًا
كُلُّ صَدْرٍ بِهِ أُنِينٌ وَوَجْدٌ
عَبْرَاتٌ، مِنْ سَاكِبٍ لَيْسَ تَرَقَّا
وَنَشِيْجٌ، أَقْضَ مِنْ مَضْجَعِ اللَّيْلِ
وَمَصَابٌ، رَمَى الْقُلُوبَ فَأَرْذَى^١
مُرْسَلٌ خَلَفَهُ أُنِينًا وَوَجْدًا
وَوَجِيبٌ، مِنْ خَافِقٍ لَيْسَ يَهْدَا^٢
لِ، وَمَا جَتْ لَهُ الْكَوَاكِبُ سُهْدَا^٣

فَزَعَتْ مَصْرٌ فَرْعَةً طَارَ فِيهَا
هَرَعَتْ سَاعَةُ الْوَدَاعِ تُفِيضُ الدَّمَ
أُمَّةً هَالَهَا الْمُصَابُ فَهَامَتْ
خَرَجَتْ مِنْ خِبَائِهَا كُلُّ حَوْدٍ
أَعْجَلَتْهَا مُصِيبَةُ الْوَطَنِ الْمَفِ
زُمَرٌ تَلْتَقِي عَلَى الْحُزَنِ وَالْيَأْ
وِبَحَارٍ مِنَ الْأَنْسَاءِ مَا جَتْ
وَجِبَالٌ تَسِيرُ فِي يَوْمٍ حَشِرٍ
فَوْقَ سَطْحِ الْبُيُوتِ كَالنَّحْلِ فَاَنْظُرْ
كُلُّ بَيْتٍ قَدْ عَافَ أَحْجَارَهُ الصَّمْ
وَالْمَيَّادِينَ كُلُّهَا أُمٌّ تُزْ
كُلُّ عَقْلٍ عَنِ الرَّشَادِ، وَنَدَاً^٤
عَ بَحْرًا، وَتُرْسِلُ الشَّوْقَ وَقْدَاً^٥
تَسْتَحِثُّ الْخُطَا، شُيُوخًا وَمُرْدَا^٦
لَمْ تُقْنِعْ رَأْسًا، وَلَمْ تُخَفِ خَدَا^٧
جُوعٍ أَنْ تَخْتَبِي، وَأَنْ تَتَرَدَّى^٨
سَ، وَحَشْدٌ بَاكِ يُزَاجِمُ حَشْدَا
مُزِيدَاتٍ، يَحِشْنَ جَزْرًا وَمَدَاً^٩
كُلُّ فَنَدٍ تَرَاهُ يَتَّبِعُ فَنْدَا^{١٠}
ثُمَّ إِيَّاكَ أَنْ تُحَاوِلَ عَدَا
مَ، وَأُضْحَى دَمًا وَلَحْمًا وَجِلْدَا^{١١}
جَى، كَمَا تُكَدُّ السَّحَابُ رُبْدَا^{١٢}

فإذا شئت أن ترى الأرض أرضاً
نفس واحد جميعاً، وقلب
ودعاء يمر بالصدر برقاً
وخشوع من الجلال تراءى
حملوه، وإنما حملوا آ
حملوا حامى الحقيقة والديـ
حملوا كوكبا أشع على مصـ

كنت ممن يحاول الأمر إذا^{١٣}
(لفؤاد) يئز شوقاً وصهداً^{١٤}
فإذا انسأب منه أصبح رعداً
وجلال من الخشوع تبدى
مال شعب، بزهرها الغض تندى
ن، كما تحمل الملائك عهداً
ر سناً مبصراً وهدياً وسعداً^{١٥}

ما على الدهر مرة لو توانى؟
لفحت ريحه أزهير أما
وعدت كفه على دوحة كا
وجدت مصر في ذراها سلاماً
قد نعيننا فرداً به كان عصراً
دولة فاقت الكواكب نوراً
علمت كل مالِك كيف تُرعى

أو على الدهر ساعة لو تهدأ؟^{١٦}
ل، ملأن الوجود مسكاً ونذاً^{١٧}
نت تمد الظلال في مصر مدا
وطوت في ظلها العيش رعداً^{١٨}
وفقدنا عصراً به كان فرداً
وأناقت على الكواكب بُعداً^{١٩}
أم حاطها الملوك وتهدى

رفع الشرق رأسه (بفؤاد)
ومضى يسبق الخواطر وثباً
وأنت كل أمة ترتجي (مصـ
كعبة حجت الوفود إليها
حفزتها لعرش (مصر) أمان
قرأت حزم جاهد لن يبارى
أبصروا الملك في جلالة معنا
أبصروا دولة وملكا كبيرا
همة تفرع النجوم، وعزم
ومضاء في الحادثات برأى

ونضا عنه يأسه فاستجدأ^{٢٠}
وجرى يجهد الأمانى وخدا^{٢١}
ر) ودادا، وتنهل العلم ورداً^{٢٢}
تستحي الرقاب وفداً فوفداً^{٢٣}
بنشيد الولاء والحب تحدى^{٢٤}
ورأت جهد حازم لن يحدأ
ه، يباهي السماء عزاً ومجدا
ومراساً يعيي الزمان وجهداً
سلب السيف حده والفرنأ^{٢٥}
فضح الصبح نوره وتحدى

يَسْتَمِدُّ الْإِلَهَامَ مِنْ عَالِمِ الْغَيْبِ ب، وَأَجْدِرُ بِمِثْلِهِ أَنْ يُمَدِّدَا

دَفَعَ الشَّعْبَ لِلْسَّبِيلِ فَكَانَتْ مِنْ سَنَا هَذِيهِ أَمَانًا وَرُشْدًا^{٢٦}
 مُلْهِبًا عَزْمَهُ إِذَا اجْتَارَ غَوْرًا مُسْتَحِثًّا إِذَا تَسَلَّقَ نَجْدًا^{٢٧}
 كُلَّمَا خَارَ أَجْزَأَتْ بِسَمَةٍ مِنْ ه، فَمَدَّ الْخُطَا حَثِيثًا وَجَدًا^{٢٨}
 وَمَضَى كَالْقَضَاءِ يَهْوِي لِمَرْمًا هُ، جَرِيئًا مُجَمِّعَ الْقَلْبِ جَلْدًا^{٢٩}
 يَبْهَرُ الصَّخْرَ أَنْ يَرَى مِنْهُ صَلْدًا أَدْمِي الرُّوَاءِ، يَقْرَعُ صَلْدًا^{٣٠}
 لَا يُبَالِي إِذَا سَعَى لِلْمَعَالِي خَبَطَ الشُّوْكَ، أَمْ تَوَطَّأَ وَرْدًا؟^{٣١}
 وَ(فَوَادُ) أَمَامَهُ خَيْرُ هَادٍ قَادَ لِلْغَايَةِ الْبَعِيدَةِ جُنْدًا
 كَانَ لِلْمُقَدِّمِينَ رُوحًا وَقَلْبًا وَلِرُكْبِ السَّارِينَ كَفًّا وَرَنْدًا^{٣٢}
 لَوْ دَعَاهُمْ إِلَى النُّجُومِ لَسَارَوْا خَلَفَهُ يُزْمِعُونَ لِلنَّجْمِ قَصْدًا
 وَإِذَا الْيَأْسُ مَسَّهُمْ كَانَ عَطْفًا وَسَلَامًا عَلَى الْقُلُوبِ وَبَرْدًا^{٣٣}
 نَظْرَةً مِنْهُ تَبْعُثُ الْأَمَلَ الْوَا نِي، وَتُحْيِي مِنْهُ الَّذِي كَانَ أَوْدَى^{٣٤}

كَانَ رِدْءًا لِمِصْرَ إِنْ جَارَ دَهْرُ وَصَمَامًا لِأَمْنِهَا إِنْ تَعَدَّى^{٣٥}
 سَاسَ بِالْحِكْمَةِ الْبِلَادَ، فَكَانَتْ مِنْ عَوَادِي الزَّمَانِ يَرْعَا وَسَدًا
 فَهُوَ إِنْ شَاءَ صَيَّرَ الْغَمْدَ سَيْفًا وَإِذَا شَاءَ صَيَّرَ السَّيْفَ غَمْدًا
 قَدْ أَعَدَّتْهُ رَحْمَةُ اللَّهِ لِلْحُكْمِ سَم، كَرِيمًا مُبَارَكًا، فَاسْتَعَدَّا
 وَرَعَى اللَّهُ فِي الرِّعْيَةِ وَالْمَلِكِ لِك، فَوَفَّى حَقَّ الْإِلَهِ وَأَدَّى
 أَيْنَمَا سِرَتْ مَشْرِقًا تَلَقَّ شُكْرًا أَوْ تَوَجَّهَتْ مَغْرِبًا تَلَقَّ حَمْدًا
 وَإِذَا اللَّهُ رَامَ إِصْلَاحَ شَعْبٍ سَلَكَ الْقَائِدُ الطَّرِيقَ الْأَسَدَا
 إِنَّمَا النَّاسُ بِالْمُلُوكِ، وَأَعْلَى الـ مُلْكُ شَاوًا مَا كَانَ حُبًّا وَوُدًا^{٣٦}

رَدَ بِالْحَزْمِ كُلَّ خَطْبٍ سِوَى الْمَوْتِ، وَلِلْمَوْتِ صَوْلَةٌ لَنْ تُرَدَّ^{٣٧}
 وَالْفَتَى فِي الْحَيَاةِ رَهْنُ عَوَادٍ لَا يَرَى دُونَ مُلْتَقَاهُنَّ بُدًا^{٣٨}

حَكَمَ الموتُ فِي الأَنَامِ فَسَوَّى لَمْ يَدَعْ سَيِّدًا، وَلَمْ يُبْقِ عَبْدًا
بَيْنَمَا يَسْحَقُ المَالُ تَرَاهُ بِاسِطًا كَفَّهُ لِيَقْنِصَ أُسْدًا

يَا مَلِيكِي، وَالْحُزْنَ يَطْحَنُ نَفْسِي!
أَيْنَ عِزُّ المُلِكِ الَّذِي كَانَ لَلْأَ
أَيْنَ تِلْكَ الهَبَاتُ لِلْعِلْمِ تُزْجِي
أَيْنَ أَيْنَ القُصَادُ فِي سَاحَةِ القَصْدِ
أَيْنَ ذَاكَ الجَبِينُ يَنْضَحُ نُورًا؟
قَدْ فَقَدْنَاهُ وَالْمَصَابُ جَلِيلٌ
نَحْنُ لِلْهِ رَاجِعُونَ، وَكُلُّ
غَيْرِ أَنَّ الفَتَى يُغَالِبُهُ الدَّمُ
كُلُّ مَهْدٍ يَصِيرُ مِنْ بَعْدِ حِينٍ
كَلَّمَا قُلْتُ: خَفَّ. قَالَ: سَأَبْدَا
مَالٍ فِي سَوْجِه مَرَّاحٍ وَمَعْدَى؟^{٣٩}
كُلُّ رِفْدٍ فِيهَا يُزَاجِمُ رِفْدًا؟^{٤٠}
رِ؟ وَأَيْنَ الصَّلَاتُ تُعْطَى وَتُسَدَّى؟
أَيْنَ ذَاكَ الحَدِيثُ يَقْطُرُ شَهْدًا؟
وَجَمِيلُ العَزَاءِ بِالْحُرِّ أَجْدَى
بَالِغٌ فِي مَجَالَةِ العُمَرِ حَدًّا؟^{٤١}
عُ، فَلَا يَسْتَطِيعُ لِلدَّمْعِ صَدًّا
قَصْرَ العُمَرِ أَوْ تَطَاوَلَ لَحْدًا

قَدْ مَلَأْتُ الوُجُودَ شَدْوًا بِمَدْحِيكَ،
خَالِدَاتٍ مِنَ الجَلَائِلِ أَوْلَتْ
كَتَبَ اللّهُ أَنْ يَعُودَ رَثَاءٌ
قَدْ نَظَّمْتَ العُلَا قِلَادَةً دُرٌّ
وَهَلْ غَيْرُ مِزْهَرِي بِكَ أَشَدَّى؟^{٤٢}
شِعْرِي المُزْدَهِي بِوَصْفِكَ خُلْدًا؟^{٤٣}
وَبُكَاءٌ يَذْمِي العِيُونَ وَكَمْدًا
فَنَظَّمْتُ الدُّمُوعَ أَرْتِيكَ عِقْدًا؟^{٤٤}

أَمَلِ الشَّعْبِ فِي خَلِيفَتِكَ الْفَا
قَرَأَ الشَّعْبُ فِي مَلَامِحِهِ الغُرَّ
وَرَأَى فِيهِ نُبْعَةَ المَجْدِ والنُّبِّ
لَمْ يَجِدْ لِلْعُلَا سِوَاهُ مَثِيلًا
رَحْمَةُ اللّهِ لِلْمَلِكِ المُسَجَّى!
رُوقِ أَحْيَا أَمَالَهُ وَأَجْدًا؟^{٤٥}
رِ سَطُورِ المُنَى وَأَبْصَرَ جَدًّا؟^{٤٦}
لِ: أَبَا مُفَرَّدِ الجَلَالِ وَجَدًّا؟^{٤٧}
وَلِبَدْرِ السَّمَاءِ إِلَّا نِدًّا
وَرَعَتْ عَيْنُهُ المَلِكِ المُفْدَى؟^{٤٨}

هوامش

- (١) جلل: خطب عظيم. كل ركن: كل ناحية. أردى: أفنى وأهلك.
- (٢) ترقا: تجف وتنقطع. الخافق: القلب.
- (٣) النشيح: البكاء يغص به الباكي في حلقه من غير انتخاب. ماجت الكواكب: اضطرب سيرها واختلف.
- (٤) ند: نفر وذهب.
- (٥) وقدًا: أي حارًا بنار الحزن.
- (٦) المرء: جمع أمرد. وهو الشاب لم يطر شاربه ولم تنبت لحيته.
- (٧) من خبائها: أي من خدرها. الخباء (في الأصل): ما يعمل من وبر أو صوف أو شعر، ويكون على عمودين أو ثلاثة ويريد هنا مكنها وبيتها. الخود: المرأة الشابة.
- (٨) تتردى: تضع عليها رداءها.
- (٩) ماجت: اضطربت. مزيدات: قاذفات بالزبد، وذلك لا يكون إلا في ثورة البحر وهيجانه. يجشن: يهجن ويضطربن. مد البحر وجزره: ارتفاعه واستطالته إلى ناحية مرة، ثم رجوعه عنها مرة أخرى.
- (١٠) الفند: الجبل العظيم. وفيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾.
- (١١) عاف: مل وكره.
- (١٢) تزجى: تساق وتدفع. تكدس، أي: يركب بعضها بعضًا. الربدة: الغيرة.
- (١٣) الإد: الأمر العظيم.
- (١٤) النفس: الزفرة ينفثها المحزون. أزيز القدر: صوتها عند غليانها.
- (١٥) أشع: نشر ضوءه. سنا مبصرًا: أي نورًا يهدي الناس به ويبصرون.
- (١٦) توانى: لم يبادر ولم يتعجل. وتهدا: أي تمهل وأبطأ.
- (١٧) لفح الرياح: حرها. الأزاهير: الأزهار. الند: العنبر، وقيل: هو عود يتبخر به.
- (١٨) الذرا (بالفتح) الكنف والجانب.
- (١٩) أنافت: زادت.
- (٢٠) نضا عنه يأسه: رمى به وطرحه. فاستجدا: أي فعاد جديدًا بما صار إليه.
- (٢١) الخواطر: ما يخطر بالقلب ويهيجس في النفس. الوخد: ضرب من المشي فيه إسرار وإهرار.

- (٢٢) تنهل: تشرب. الورد: مورد الشاربة.
- (٢٣) الكعبة: البيت الحرام بمكة.
- (٢٤) حفزتها: أعجلتها وأسرعت بها. تحدي: من الحداء، وهو أن تغني للإبل تدفع بذلك عنها ملال السير.
- (٢٥) تفرع: تعلو. فرند السيف: وشبه وجوهه.
- (٢٦) السبيل: الطريق. سنا هديه: أي نور هدايته.
- (٢٧) ملهباً: مثيراً مهيجاً. الغور: ما انخفض من الأرض. مستحناً: حاضاً.
- (٢٨) خار: ضعف وفتن. أجزأت: نابت وأغنت.
- (٢٩) الجلد: القوي الشديد.
- (٣٠) يبهره، أي: يفوقه بقوته فيدهشه. الصلد: الصلب. وأدمي الرواء: أي في صورة الأدميين. يقرع: يضرب.
- (٣١) خبط الشوك: وطئه وداسه. ومثله في ذلك، توطأ.
- (٣٢) المقدمون: الجادون. الزند: موصل طرف الذراع في الكف. الزند أيضاً: العود الأعلى الذي تقتدح به النار.
- (٣٣) برداً: راحة وطمأنينة.
- (٣٤) الواني: الفاتر الواهي. أودى: أي فني وذهب.
- (٣٥) الردء: العون والناصر. حار: بغى.
- (٣٦) الشأو: الغاية والمدى.
- (٣٧) الخطب: المكروه. الصولة: السطوة والقهر.
- (٣٨) العوادي: جمع عادية. وهي ما يلم بالإنسان من مكروه.
- (٣٩) السوح: جمع ساحة. وهي النايحة. ومراح ومغدى: أي رواح وغدو.
- (٤٠) الرغد: الصلة والعطاء.
- (٤١) المجالة: الساحة والميدان يجال فيهما ويطاف. شبه بها فسحة العمر وحياة الإنسان.
- (٤٢) شدواً: ترنماً. المزهر: العود يضرب به. أشدى: أي أحسن شدواً وتطريباً.
- (٤٣) أولت: أعطت ووهبت.
- (٤٤) القلادة: ما يجعل في العنق من الحلي. نظمها: تأليف حباتها وجمعها.
- (٤٥) وأجدا: أي صيره جديداً.

- (٤٦) الملامح: ما بدا من محاسن الوجه. الغر: الجميلة الحسنة. سطور المنى: ما ينطق بتحقيق الرجاء. الجد (بالفتح): الحظ والسعد.
- (٤٧) النبعة (في الأصل): واحدة النبع، وهو شجر تتخذ منه القسي ومن أغصانه السهام.
- (٤٨) المسجى: الميت قد مد عليه غطاء. المفدى: الذي يفدى بكل عزيز.

إلى الأستاذ الإمام

قيلت هذه القصيدة والشاعر طالب بالأزهر سنة ١٩٠١م، وكان يتلقى دروس البلاغة والتفسير على الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده. فمدحه بهذه القصيدة ونحا فيها منحى الشعراء المتقدمين في الوصف والأسلوب. وندّ عن الذاكرة عدد غير قليل من أبياتها.

الْمَجْدُ فَوْقَ مَتُونِ الضَّمْرِ الْقُودِ
إِذَا رَمَتْ غُرُضَ صَيْهُودٍ مَنَاسِمُهَا
أَوْ مَزَقَتْ طَيْلَسَانَ اللَّيْلِ مِنْ حَبَبٍ
تُذْنِي مِنَ الْمَجْدِ إِنَّ شَطَّ الْمَزَارِ بِهَا
الْمَجْدُ بِالسَّيْفِ إِنْ عَزَّتْ وَسَائِلُهُ
فَكَمْ شَقَقَتْ فُؤَادَ الْبِيدِ مُنْصَلِتًا
تَرْمِي التَّنُوفَةَ بِي أُخْرَى بِجَانِبِهَا
كَأَنَّنِي الْكَأْسُ بَيْنَ الشَّرْبِ مُتَرَعَّةً
فِي كُلِّ بِهِمَاءٍ لَمْ يَغْبِرْ مَنَاقِبَهَا
لَا يُرْسِلُ الطَّرْفَ فِي مِيدَانِهَا قَدَمًا
إِذَا بَدَا الْفَجْرُ ظَنَنْتُهُ ضَرَاغِمُهَا
وَأَقْبَلْتُ لِغَدِيرِ الْمَاءِ وَاثِبَةً
فَكُنْتُ بَيْنَ مَرُوعِ الْقَلْبِ مُرْتَجِفٍ
أَطْوِي الدُّجَى فَإِذَا مَا الْيَأْسُ أَذْرَكْنِي
ذَكَرْتُ عَزْمًا مِنَ الْأُسْتَاذِ فَاتَّجَهْتُ
تَطْوِي الْفَلَاحَ بَيْنَ إِيْجَافٍ وَتَوْخِيدٍ^١
رَمَتْ إِلَيْهَا اللَّيَالِي كُلَّ مَقْصُودٍ^٢
كَسَتْ خَيَالَ الْأَمَانِي ثَوْبَ مَوْجُودٍ^٣
فَحَبَبًا هُوَ تَقْرِيْبٌ بِنَبْعِيدٍ^٤
لَا يُغْمِدُ الْحَقُّ سَيْفٌ غَيْرُ مَغْمُودٍ
مَنْ يَطْلُبُ الْمَجْدَ لَا يَبْخُلُ بِمَجْهُودٍ
وَأَقْطَعُ الْبِيدَ بَعْدَ الْجَهْدِ لِلْبِيدِ^٥
يُدِيرُهَا الْقَوْمُ مِنْ بِنْتِ الْعِنَاقِيدِ^٦
طَيْفٌ مِنَ الْجَنِّ إِلَّا خَافَ أَنْ يُودِيَ^٧
إِلَّا بِزَجَرٍ وَإِعْيَادٍ وَتَهْدِيدِ^٨
سَيْفًا فَكَّرَتْ إِلَيْهِ كَرَّ صَنِيدٍ
تَظُنُّهُ لَأَمَّةً مِنْ نَسَجِ دَاوُدَ^٩
كَأَنَّنِي صَارِمٌ فِي كَفِّ رِعْدِيدِ^{١٠}
وَقَلَّ عَزْمِي بِسَيْفٍ مِنْهُ مَحْدُودِ^{١١}
عَزِيمَتِي بَيْنَ إِقْدَامٍ وَتَسْدِيدِ^{١٢}

وَسِرْتُ مِثْلَ قَضَاءِ اللَّهِ لَيْسَ لَهُ
مَوْلَايَ عَلَّمْتَنِي كَيْفَ الثَّبَاتِ إِذَا
عَلَوْتُ فَازْدَدْتُ بَيْنَ النَّاسِ مَعْرِفَةً
وَأَصْبَحَ الدِّينُ تَيَّاهًا بِنَاصِرِهِ
دَعِ الْحُسُودَ، أَمَّا يَكْفِيكَ أَنْ لَهُ
نَقْضٌ وَلَا سَهْمُهُ يَوْمًا بِمَرْدُودٍ
لَمْ يَتْرُكِ الرُّعْبُ قَلْبًا غَيْرَ مَرْءُودٍ^{١٣}
وَالنَّجْمُ يَغْلُو فَيَبْدُو شَبَهُ مَفْقُودٍ!
وَالضَّادُ تَزْهَى بِتَجْمِيلٍ وَتَجْدِيدٍ
نَفْسًا تَفُورُ، وَحَظًّا غَيْرَ مَجْدُودٍ؟^{١٤}

* * *

يَا فَارِسَ الشَّعْرِ لَا تَجْزَعْ لِنَازِلَةٍ
فَنَظَرَةً مِنْهُ لَوْ مَسَّتْ ظِلَامَ دُجَى
إِذَا دَعَوْتَ إِلَيْهَا فَارِسَ الْجُودِ^{١٥}
مَا زُمَلِ اللَّيْلُ فِي أَثْوَابِهِ السُّودِ^{١٦}

هوامش

(١) المجد: العز والشرف. المتون: جمع متن وهو الظهر. الضمر: جمع ضامر وهو الناقة أو الجمل الذي أصابه الضمور والهزال من كثرة الأسفار. القود: جمع أقود وهو البعير الشديد العنق. الفلا: جمع فلاة وهي القفز، أو المفازة لا ماء فيها. وطى الفلوات اجتيازها وقطعها بالسير فيها. الإيجاف: ضرب من سير الإبل والخيول. التوخيد: ضرب آخر من سير الإبل، وهو الإسراع أو سعة الخطوة، أو أن يرمي البعير بقوائمه كمشي النعام.

(٢) عرض الشيء: ناحيته وجانبه. الصيهود: الفلاة لا ينال مأوها، المناسم: جمع منسم وهو خف البعير.

(٣) الطيلسان: من لباس العجم كساء مدور كان يلبسه الخواص من العلماء. الخبب: ضرب من العدو، أو كالرمل، أو أن ينقل الفرس أيامنه جميعاً وأياسره جميعاً. أو أن يراوح بين يديه، أو هو السرعة.

(٤) تدنى: تقرب. شط: بعد. المزار: الزيارة.

(٥) التنوفة: المفازة. أو الأرض الواسعة البعيدة الأطراف، أو الفلاة لا ماء بها ولا أنيس.

(٦) الشرب: جمع شارب. مترعة: مملوءة. بنت العناقيد: كناية عن الخمر.

(٧) البهماء: الفلاة لا يهتدى فيها. المناكب هنا: الأنحاء. يودي: مضارع أودى أي:

هلك.

- (٨) الطرف: الفرس الكريم. الإيعاد: الوعيد لا يكون إلا في الشر.
- (٩) اللأمة: الدرع وقد اشتهر نبي الله داود — عليه السلام — بصنع الدروع.
- (١٠) الروع: الفزع، مروع القلب: خائف فزع. مرتجف: مضطرب. الصارم: السيف القاطع.
- (١١) الدجى: جمع دجية وهي الظلمة. فله: ثلمه وكسره. محدود: مسنون قاطع.
- (١٢) التسديد: التوفيق للسداد وهو الصواب والقصد من القول والعمل.
- (١٣) المزدود: المذعور الخائف.
- (١٤) فارت القدر: جاشت وغلت. غير مجدود: غير سعيد.
- (١٥) يريد بفارس الشعر نفسه. جزع: ضد الصبر. النازلة: الكارثة والشديدة من شدائد الدهر. الجود: السخاء.
- (١٦) زمله في ثوبه: لفه.

رثاء الزهاوي

أقامت الحكومة العراقية حفلاً جامعاً لتأبين شاعرها الكبير «جميل صدقي الزهاوي»، دعت إليه شعراء الأقطار العربية ومن بينهم الشاعر. وقد أُلقيت هذه القصيدة ببغداد في ١٢ من فبراير سنة ١٩٣٧م.

وَعَادَرَهُ قَفَرُ الْخُمَائِلِ طَائِرُهُ^١
مُصَوِّحَةً أَثْمَارُهُ وَأَزَاهِرُهُ^٢
وَأَيْنَ مَجَالِيهِ، وَأَيْنَ بَوَاكِرِهِ؟^٣
إِذَا صَدَحَتْ فَوْقَ الْغُصُونِ مَزَاهِرُهُ؟^٤
وَأَذْهَلَهَا عَنْ عَابِسِ الْعَيْشِ نَاضِرُهُ
تَوَثَّبَ زَهْرُ الرُّوْضِ وَاهْتَزَّ عَاطِرُهُ^٥
إِذَا مَا عَلَتْ مَتْنُ النَّسِيمِ مَزَامِرُهُ^٦
وَإِنْ سَكَّتَتْ أَعْيَا بَيَانِكَ آخِرُهُ
يُسَايِرُهَا فِي لَحْنِهَا وَتُسَايِرُهُ^٧
بِأَنْفَسٍ مَا ضَمَّتْ عَلَيْهِ بَنَاصِرُهُ^٨
إِذَا عَزَفَتْ فَلْيُسْكِتِ الْعُودَ وَاتِرُهُ^٩
كَمَا فَسَّرَ الْحُلْمَ الْمَحْجَبَ عَابِرُهُ
فَتَفَتَّرُ عَنْ زَهْرِ النُّجُومِ مَشَافِرُهُ^{١٠}
إِلَى شَعْرِهِ الدَّاجِي فَطَالَتْ غَدَائِرُهُ
وَطَاشَ بِهِ نَائِي الطَّرِيقِ وَجَائِرُهُ^{١١}

جَفَا الرُّوْضُ مُغْبَرَّ الْأَسَارِيرِ مَا طِرُهُ!
ذَوَى نَبْتُهُ بَعْدَ الْبَشَاشَةِ وَارْتَمَتْ
تَلَفَّتْ: أَيْنَ الرُّوْضُ، أَيْنَ مَكَانُهُ
وَأَيْنَ الَّذِي لَمْ يَطْرُقِ الْأُذُنُ مِثْلُهُ
حَمَائِمُ الْهَاهَا النَّعِيمِ عَنِ الْبُكََا
إِذَا أُرْسَلَتْ أَلْحَانُهَا فِي خَمِيلَةٍ
لَهَا صَوْتُ دَاوُدَ وَحُسْنُ رَيْنِهِ
إِذَا بَدَأَتْ أَشْجَاكَ أَوَّلُ صَوْتِهَا
وَإِنْ هَتَفَتْ فِي الدُّوْحِ مَالَ كَأَنَّمَا
تَحَدَّثَتْ فُنُونُ الْمُوَصِّلِيِّ وَطَوَّحَتْ
أُولَئِكَ أَوْتَارُ الْإِلَهِ وَصُنْعُهُ
أَلَمْتُ بِأَسْرَارِ النُّفُوسِ فَتَرَجَمْتُ
يُصِيخُ إِلَيْهَا أَسْوَدُ اللَّيْلِ بِاسِمًا
يَوَدُّ لَوْ أَنَّ الْغَيْدَ ضَمَّتْ شُعُورَهَا
وَيَرْجُو لَوْ أَنَّ الْفَجْرَ غَوَّقَ خَطْوَهُ

فَطَوَّحَهُ فِي غَمْرَةِ الْيَمِّ زَاخِرُهُ ١٢
مَتَى رَوَّعْتَ أَطْلَاؤُهُ وَجَادِرُهُ؟ ١٣
لِذِي الْغَلَّةِ الصَّادِي وَطَابَتْ مَصَادِرُهُ؟ ١٤
يَمَانِي بُرِّدْ أَذْهَلَ التَّجَرَّ نَاشِرُهُ ١٥
فَرَقَّتْ حَوَاشِيهِ، وَطَالَتْ مَازِرُهُ ١٦
وَلَمْ تَدْرِ أَنَّ الدَّهْرَ دَارَتْ دَوَائِرُهُ! ١٧
سَوَى أَنَّهُ يُلْهِي بِهَا الْحُزْنَ قَاهِرُهُ
تُطَارِحُ مَطْوِيَّ الْأَسَى وَتُحَاوِرُهُ ١٨
فِيَطْعَى، وَدَمْعُ الْعَيْنِ يَنْهَلُ بَادِرُهُ ١٩
سَوَى حَاجَةٍ يَقْضِي بِهَا الْحَقَّ نَازِرُهُ ٢٠
خَمِيسُ اللَّيَالِي حِينَمَا تَارَ تَائِرُهُ ٢١
حَزِينُ النَّوَاجِي، عَابَسَ الْوَجْهَ بَاسِرُهُ ٢٢
وَأُطْفِئَتْ الْأَنْوَارُ، وَانْقَضَّ سَامِرُهُ ٢٣
وَسَارَتْ عَلَى رَغَمِ الْمَنُونِ سَوَائِرُهُ ٢٤
وَحَلَّى نَدِيَّ الْعَبْقَرِيَّةِ شَاعِرُهُ ٢٥
فَقَدْ غَابَ عَنْهُ طِيلَةُ الدَّهْرِ سَاجِرُهُ
لَجَلَّى عَلَى بَرْقِ السَّمَوَاتِ خَاطِرُهُ! ٢٦
فَيَا عَجَبًا أَنْ حَرَّرَ الشَّعْرَ أَسِرُهُ ٢٧
وَرَفَّتْ عَلَى أَجْيَادِهِنَّ جَوَاهِرُهُ
شَبِيهٌ بِمَا ضَمَّتْ عَلَيْهِ مَحَابِرُهُ ٢٨
وَقَدْ صَفَّقُوا مَشْمُولَهَا، لَا تَنَاطِرُهُ ٢٩
وَتَقَرُّوهُ أُخْرَى، فَيَسْبِيكَ سَائِرُهُ ٣٠
أَخَاطَتْ بِأَسْرَارِ الْحَيَاةِ بَصَائِرُهُ
كَمَا غَاصَ تَحْتَ الْمَاءِ لِلدُّرِّ ذَاخِرُهُ ٣١
إِذَا عَقَلُهُ الْجَبَّارُ مَارَتْ مَوَائِرُهُ ٣٢
تَدَانِي لَهُ صَعْبُ الْقَرِيضِ وَنَافِرُهُ ٣٣
بِنَفْسِ هَوَى إِلَّا وَطَرَفُكَ نَاطِرُهُ ٣٤

وَزَلَّتْ بِشُطْرَانِ الْمَجَرَّةِ رِجْلُهُ
سَلِ الرَّوْضِ إِنْ أَصْغَتْ إِلَيْكَ رَسُومُهُ
وَأَيْنَ الْغَدِيرُ الْعَذْبُ طَابَ وَرُودُهُ
إِذَا فَاضَ بَيْنَ الزَّهْرِ تَحَسَّبُ أَنَّهُ
تَأَزَّرَ مِنْ أَثَوَائِهِ الرَّوْضُ وَاكْتَسَى
تَدَوَّرَ بِهِ جَمُّ الْبَلَابِلِ مُطَّرَقًا
وَتُصْغِي، فَلَا يَجْتَازُ سَمْعَكَ نَغْمَةً
وَتَدْعُو، فَلَا تُلْقَى مُجِيبًا سِوَى النَّوَى
وَقَفْتُ بِهِ، وَالْقَلْبُ يَحْبِسُ وَجْدَهُ
وَمَا وَفَّقْتِي بَيْنَ الرِّيَاضِ وَقَدْ عَفْتُ
أَرَى! مَا أَرَى إِلَّا غُبَارًا أَتَّارَهُ
مَضَى الطَّائِرُ الصَّدَاحُ فَلَالَقُ مُوحِشُ
وَأَوْدَى (الزَّهَاوِي) فَانْتَهَى مَلْعَبُ النَّهَى
أَقَامَ عَلَى رَغَمِ النُّبُوغِ بِحُفْرَةٍ
وَعَادَرَ عَرْشَ اللُّوْذَعِيَّةِ رَبُّهُ
دَعَا ذِكْرَ إِعْجَازِ الْبَيَانِ وَسِرُّهُ
لَهُ خَاطِرٌ لَوْ سَابَقَ الْبَرْقُ فِي الدُّجَى
تَمَلَّكَ حُرَّ الشَّعْرِ سِنَّ يَرَاعِهِ
تَمَنَّى الْعَذَارَى لَوْ تَقَلَّدَنَ دُرُّهُ
وَيُزْهِمِي الْعُيُونُ الدُّعْجَ أَنْ سَوَادَهَا
وَمَا جَاسَتْ الصَّهْبَاءُ إِلَّا لِأَنْهَا
تَمَرُّ بِهِ مَرًّا فَيَسْبِيكَ بَعْضُهُ
تَرَى فِيهِ هَذَا الْكُونِ صُورَةَ حَازِقِ
وَتَلْمُحُ فِيهِ الرَّأْيِ فِي بُعْدِ غَوْرِهِ
وَتَلْقَى بِهِ الْإِذْيَ فِي ثَوْرَانِهِ
لَهُ قَلَمٌ لَوْ لَامَسَ الطُّرْسَ مَرَّةً
لَقَدْ كَانَ مِنْظَارَ النُّفُوسِ فَلَمْ يَجُلْ

وحاضِرُ تاريخِ الحَيَاةِ وَغَابِرُهُ ٣٥
تَهَابَ الرُّوَاسِي حَدَّهُ وَتَحَاذِرُهُ ٣٦
ذِنَابُ الدَّنَايَا شَرْدًا وَهُوَ شَاهِرُهُ ٣٧
يُصَاوِلُ مَنْ يَزُمِي بِهَا وَيُغَاوِرُهُ ٣٨
يَقُولُ الْفَتَى مَا لَمْ تُرِدْهُ سَرَائِرُهُ ٣٩
مَظَاهِرُهُ نَفْسٌ، وَنَفْسٌ مَخَابِرُهُ ٤٠
وَفِي الْحَانَ قَدْ نَمَتْ عَلَيْهِ سَتَائِرُهُ ٤١
رِيَاءً، وَمِنْ خَلْفِ اللِّسَانِ جَرَائِرُهُ ٤٢
فَمَاذَا يُفِيدُ الْمَرْءَ فِي الْحَرْبِ بَاتِرُهُ؟
وَكَيْفَ ثَوَى بَعْدَ التَّلْهَفِ حَائِرُهُ؟ ٤٣
كَثِيرِ التَّظَنِّي أَنْصِرِ الصُّبْحِ سَاهِرُهُ؟ ٤٤

يَلُوحُ بَعِيدُ الرَّأْيِ خَلْفَ رُجَاغِهِ
بَرَاهُ إِلَهُ الْخُلُقِ عَزْمًا وَجَزَاءً
وَصَوَّرَهُ غَضَبًا تَفَرُّ لِهَوْلِهِ
كَأَنَّ عَصَا مُوسَى أُعِيدَتْ بِكَفِّهِ
يَقُولُ جَرِيئًا مَا يُرِيدُ، وَرُبَّمَا
وَكَمْ مِنْ فَتَى يَقْضِي بِنَفْسَيْنِ عَيْشُهُ
تَرَاهُ مَعَ النَّسَاكِ فِي خَلَوَاتِهِمْ
لِسَانُ كَمَا طَالَ الْجَرِيرُ مُسَبِّحُ
إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الْحَرْبِ قَلْبُكَ بَاتِرًا
حَنَانًا لَهُ! كَيْفَ اسْتَقَرَّتْ بِهِ النَّوَى؟
وَهَلْ بَعْدَ لَيْلٍ فِي الْحَيَاةِ مُؤَرَّقِ

تُرَاوِحُهُ آلَامُهُ وَتُبَاكِرُهُ ٤٥
كَطِيفِ خَيَالِ أَرْقِ الصَّبِّ زَائِرُهُ
وَلَوْلَا الْمُئَنَى لَمْ يَبْذُرِ الْحَبَّ بَاذِرُهُ ٤٦
وَفَكَّرَ فِي غَايَاتِهِنَّ - مَقَابِرُهُ ٤٧
يُسَاوِرُنِي حِينًا وَحِينًا أُسَاوِرُهُ ٤٨
لِيَلْقَاهُ فِيهَا أَهْلُهُ وَعَشَائِرُهُ
وَسَالِفُهُ الزَّاهِي الْمَجِيدُ وَحَاضِرُهُ ٤٩
فَسَارِ مَسِيرِ الشَّمْسِ فِي الْأَفْقِ سَائِرُهُ
تَسَاوَتْ بِهِ آصَالُهُ وَهَوَاجِرُهُ ٥٠
وَزَاهِرُ مُلْكِ الْفَاتِحِينَ وَبَاهِرُهُ ٥١
فَهْذِي مَغَانِيهِ، وَهْذِي مَنَايِرُهُ! ٥٢
كَمَا لَمَعَتْ فِي جُنْحِ لَيْلٍ زَوَاهِرُهُ ٥٣
وَدَوَّتْ بِأَفَاقِ الْبِلَادِ مَفَاخِرُهُ ٥٤
وَأَغَزَرَ مِنْ مَاءِ السَّحَابِ هَامِرُهُ ٥٥
فَجَلَّتْ مَرَامِيهِ، وَطَابَتْ عَنَاصِرُهُ ٥٦

شَقَقْتُ إِلَيْكَ الطَّرِيقَ وَالْقَلْبَ خَافِقُ
تَذَكَّرَ الْأَقْبَا أَلْمُوا فَوَدَّعُوا
وَنَحْنُ حَيَاءُ، وَالْحَيَاةُ إِلَى مَدَى
وَأَنَّ الْمُهَوَّدَ الزُّهْرَ - لَوْ عَلِمَ الْفَتَى
سَمَوْتُ إِلَى بَغْدَادِ وَالشُّوقُ نَحْوَهَا
كِلَانَا نَأَى عَنْ أَهْلِهِ وَعَشِيرِهِ
حَبِيبَ إِلَى نَفْسِي الْعِرَاقُ وَأَهْلُهُ
دِيَارُ بِهَا الْإِسْلَامُ أَرْسَلَ ضَوْءَهُ
وَمَدَّتْ بِهَا الْأَدَابُ ظِلًّا عَلَى الْوَرَى
تَجَلَّى بِهَا عَهْدُ الرَّشِيدِ وَعِزُّهُ
إِذَا شِئْتَ مَجْدَ الْعُرْبِ فِي عُنفَوَانِهِ
أَطْلُتْ عَلَى الدُّنْيَا فَأَبْصُرْتَ الْهُدَى
تَفَاخَرُ بِالْعَازِي الَّذِي سَارَ ذِكْرُهُ
هُوَ الْمَلِكُ أَمْضَى مِنْ شَبَابِ السَّيْفِ عِزُّهُ
نَمَاهُ بِنَاءُ الْمَجْدِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ

أَعَادَ إِلَى عَهْدِ الْبَيَانِ شَبَابَهُ فَهَبْ فَتِيًّا يَنْفُضَ التُّرْبَ دَاثِرَهُ^{٥٧}
يُريكَ بِهِ الْمَنْصُورَ مَا تُورُ حَزْمَهُ وَتُذَكِّرُكَ الْمَهْدِيَّ فِيهِ مَا ثَرَهُ^{٥٨}
ذَكَرْنَا اسْمَهُ طُولَ الطَّرِيقِ فَذَلَّلَتْ مَصَاعِبُ مَتْنِيهِ وَضَاءَتْ دَيَاجِرُهُ^{٥٩}

* * *

جَمِيلٌ، نِدَاءٌ مِنْ أَخٍ يَقْدُرُ النُّهْيَ وَإِنْ لَمْ يَمْتَعْ بِاجْتِلَاكِ نَازِرُهُ
عَرَفْتُكَ فِي أَثَارِكَ الْغُرِّ مِثْلَمَا تُنْبِئُ عَنْ وَجْهِ الصَّبَاحِ بِشَائِرِهِ^{٦٠}
عَرَفْتُ (جَمِيلًا) فِي جَمِيلِ بَيَانِهِ يُشَاطِرُنِي وَجْدَانَهُ وَأُشَاطِرُهُ
تُجَاوِرُنِي فِي دَوْحَةِ النَّبِيلِ رُوحَهُ وَرُوحِي بِدَوْحِ الرَّافِدَيْنِ تُجَاوِرُهُ^{٦١}
إِذَا اجْتَمَعَ الْقُلُوبَانِ فَالْكُونُ كُلُّهُ مَكَانٌ، وَإِنْ شَقَّتْ وَطَأَتْ مَعَابِرَهُ^{٦٢}
لَنَا نَسَبٌ فِي الْمَجْدِ يَجْمَعُ بَيْنَنَا تَعَالَتْ أَوَاسِيهِ، وَشَدَّتْ أَوَاصِرُهُ^{٦٣}
أَلْسِنًا حُمَاةَ الْقَوْلِ فِي كُلِّ مَحْفَلٍ تَتِيهِ بِنَا فِي كُلِّ أَرْضٍ مَنَابِرُهُ؟

* * *

صَبَبْتُ عَلَيْكَ الدَّمَعَ سَحًّا، وَمَدَمَعِي غَزِيرٌ، وَلَكِنْ أَجُودُ الدَّرِّ نَادِرُهُ^{٦٤}
وَأَرْسَلْتُ فِيكَ الشَّعَرَ لَوْعَةً مُوجِعَ تَتْنُ قَوَافِيهِ، وَتَبْكِي صَدَائِرِهِ^{٦٥}
عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ نُورًا وَرَحْمَةً وَغَادَتُكَ مِنْ سَيْبِ الْإِلَهِ مَوَاطِرُهُ^{٦٦}

هوامش

- (١) الأسارير: الخطوط في الوجه. اغبرار الأسارير: كناية عن العبوس والتجهم. ويريد بالطائر: الفقيد.
- (٢) ذوى: ذبل. ويريد بالبشاشة: اخضرار النبات وتفتح أزهاره. مصوحة: يابسة ذابلة. الأزاهر: الأزهار.
- (٣) مجاليه: ما تجتليه وتستمتع به من محاسن الروض. البواكر: أول ما يدرك من الثمر والزهر.
- (٤) المزاهر: هو العود يضرب به.
- (٥) الخميلة: الشجر الكثير الملتف. عاطر الزهر: الرائحة العطرة منه.

- (٦) داود: هو نبي الله داود — عليه السلام — وقد وهب الله له صوتاً عذباً رخيماً.
المتن: الظهر. مزامره: ما كان يترنم به من الأدعية والأناشيد.
- (٧) الدوح: العظيم من الشجر. الواحدة، دوحة.
- (٨) يريد بالموصلي إبراهيم أو ابنه إسحاق، وكلاهما له في الغناء والضرب شهرة واسعة. طوحت: نبذت وطرحت. البناصر: جمع بنصر، وهي الأصبع التي بين الوسطى والخنصر.
- (٩) واطر العود: الذي يشد أوتاره ليضرب عليها.
- (١٠) يصيخ: يلقي إليها بسمعه هادئاً ساكناً. وتفتر: تنفرج. زهر النجوم: الوضاعة المتلألئة. المشافر: الشفاة وهي في الأصل للبعير، ثم استعملت للإنسان.
- (١١) جائره: غير السوى.
- (١٢) الشطآن: جمع شاطئ. المجرة: نجوم كثيرة لا تدرك بمجرد البصر، وإنما ينتشر ضوءها فيرى كأنه بياض مختلط، والعرب تشبها بالنهر. زاخره: مياهه الطامية.
- (١٣) رسومه: ما بقي من آثاره. والأطلاء: أولاد الأطباء. الواحد. طلا (بالتحريك). الجاذر: أولاد البقر الوحشي. الواحد: جؤذر.
- (١٤) الورود والمصادر: إتيان الماء والرجوع عنه.
- (١٥) البرد اليماني: نوع من الثياب مخطط موشى. التجر: التجار. الواحد تاجر.
- (١٦) تأزر: لبس الإزار، وهو الثوب. الحواشي: جوانب الثوب، ويكنى برقة الحواشي عن الحسن والجمال، كما يكنى بطول المئزر عن التيه والدلال.
- (١٧) البلابل: الوسائوس والهم الشديد.
- (١٨) النوى: الفرقة والشتات. المطارحة: المحاوراة. مطوي الأسى: الحزن الكمين.
- (١٩) الوجد: شدة الحزن. ينهل: ينصب في شدة. بادر الدمع: ما يسبق منه.
- (٢٠) عفت: درست وانمحت. وناذر الحق: من أوجب على نفسه قضاءه والوفاء به.
- (٢١) الخميس: الجيش. خميس الليالي: شذائدها وهمومها التي تكرر بها وتعدو.
- ثار ثائرته: هاج هائج.
- (٢٢) عابس الوجه بأسره: أي إن صفحته قد حالت من إيناع وازدهار إلى ذبول وجفاف.
- (٢٣) أودى: مات. النهى: العقول، الواحدة: نهية. ملعب النهى: حيث تتبارى العقول في الإتيان بكل عجيب. السامر: الجماعة من الناس يسمرون ليلاً.

- (٢٤) سوائره: أي ما سار وذاع مما يؤثر له ويحفظ.
- (٢٥) اللوذعية: الفصاحة والبيان. ربه: أي صاحب العرش. الندى: مجتمع القوم.
- العبقرية: النبوغ وبلوغ الغاية. ويريد بندي العبقرية: مجتمع رجالها اللسن.
- (٢٦) الدجى: الظلام. جلى عليه: سبقه.
- (٢٧) اليراع: جمع يراعة، وهي القلم. تحرير الشعر: تخليصه من شوائبه وعيوبه.
- (٢٨) يزهي العيون: يجعلها مزهوة فخورة. الدعج: السود.
- (٢٩) جاشت: اضطربت. ويريد فورة الخمر في الكأس. الصهباء: الخمر. التصفيق: تحويل الشراب من إناء إلى إناء ليصفو. المشمولة: الخمر، أو الباردة منها؛ لأنها تشمل الناس بريحها، أو لأن لها عصفة كعصفة ريح الشمال.
- (٣٠) يسبيك: يأسرك بسحره وجماله. السائر: البقية.
- (٣١) الغور: العمق. الذاهر: الذي يجمع الدر ويحفظه.
- (٣٢) الأذني: الموج. ومارت موائره: ثار ثائره وهاج هائجه.
- (٣٣) الطرس: الصحيفة يكتب فيها. نافره: ما استعصى على الذهن وند عن خاطر.
- (٣٤) المنظار: آلة مكبرة. لم يجل: لم يخطر ولم يمر.
- (٣٥) يلوح: يظهر. بعيد الرأي: خفيه غير البين منه. الغابر: الماضي.
- (٣٦) براه: سواه. وبري القلم معروف. الرواسي: الجبال الثابتة شموخاً وعظمة. حده: سنه.
- (٣٧) العضب: القاطع من السيوف. ذئب الدنيا: أي الدنيا التي هي كالذئب عدواناً على الفضيلة وافتراساً للخصال الحميدة. شرداً: متفرقة مشتتة. وشاهره: رافعة للقتال.
- (٣٨) موسى: هو نبي الله موسى بن عمران — عليه السلام — ومعجزته في عصاه مشهورة. يصاول: من الصول، وهو الاستطالة والغلبة. يغاوره: من الإغارة.
- (٣٩) السرائر: جمع سريرة، وهي ما يبطنه المرء.
- (٤٠) يقضي عيشه: يصرف حياته.
- (٤١) النساك: جمع ناسك، وهو العابد الزاهد في متاع الحياة. الحان: حيث تباع الخمر. الواحدة حانة. نمت: أذاعت وفضحت.
- (٤٢) الجريز: حبل يجعل للبعير، ويريد الحبل عامة. الجرائز: الشرور والآثام، الواحدة جريرة.

- (٤٣) النوى: البعد والفرقة. ثوى: هداً واستقر، ويريد بحائره: فكره، ووصفه بالحيرة؛ لأنه كان صاحب رأي وفلسفة كثير الشك في حقائق الكون.
- (٤٤) مؤرق: يأرق فيه الإنسان. التظني: الظن والشك. ويريد بالصبح: نور الحق. ساهره: أي الذي يسهر الليل ولا ينام فيه أرقاً.
- (٤٥) خافق: مضطرب حزناً ووجداً. تراوحه وتباكره: أي تعاوده صباحاً ومساءً.
- (٤٦) المدى: الغاية.
- (٤٧) المهود: جمع مهد، الزهر: ذوات البهجة والحسن.
- (٤٨) سموت إلى بغداد: أي قصدت إليها، وفي تعبيره عن القصد بالسمو دليل على رفعتها وشرف مكانتها.
- (٤٩) سالفه: ماضيه. الزاهي: الحسن اللامع بمجده وحضارته.
- (٥٠) الآصال: جمع أصيل، وهو الوقت قبل الغروب. الهواجر: حيث يشتد الحر عندما ينتصف النهار.
- (٥١) تجلّى: ظهر وأشرق. الرشيد: هو الخليفة العباسي هارون الرشيد.
- (٥٢) عنفوانه: مقتبل عهده وأول عزه وبهجته. والمغاني: جمع مغنى، وهو المنزل غني به أهله. منائره: جمع منارة.
- (٥٣) جنح الليل (بالكسر والضم): الطائفة منه. زواهره: كواكبه المضيئة.
- (٥٤) الغازي: هو ملك العراق في ذلك الوقت. دوت مفاخره: أي علت أصوات الناس بذكرها، فسمع لهم كالدوي لكثرتهم.
- (٥٥) شبا السيف: حده. الهامر: الهاطل المنصب.
- (٥٦) نماه، أي: ارتفع بالانتساب إليهم. آل هاشم: نسبة إلى جدهم هاشم بن عبد مناف، أحد أجداد الرسول ﷺ. جلت: عظمت. مراميه: غاياته. العناصر: الأصول.
- (٥٧) فتياً: قوياً، الدائر: الدارس البالي.
- (٥٨) المنصور والمهدي: من خلفاء الدولة العباسية، وقد تبوأ الدولة في عهد الأول مكاناً عالياً، وعرف ثانيهما بالجود والعطاء. مأثور حزمه: حزمه الذي يؤثر عنه ويخلد. مآثره: أعماله الباقية على الزمن.
- (٥٩) متنا الطريق: ناحيته، وهما اللذان يكون السير فيهما. دياجره: ظلماته، الواحدة ديجور.
- (٦٠) الغر: الناصعة البيضاء. البشائر: جمع بشارة، وهي الإخبار بخبر محبوب ترغب فيه.

- (٦١) دوحة النيل: رياض مصر، الدوحة (في الأصل): الشجرة العظيمة المتسعة
الظل. الرافدان: دجلة والفرات.
- (٦٢) شقت: صعبت وامتنعت على السالك. المعابر: الطريق يعبر فيها.
- (٦٣) الأواسي: الدعائم. الواحدة: آسية. الأواصر: جمع آصرة، وهي القرابة والصلة.
- (٦٤) سحا: مدرارًا.
- (٦٥) يريد بالقوافي والصدائر: أواخر الأبيات وأوائلها.
- (٦٦) غاداه: باكره. السيب: العطاء. المواطر: السحب الماطرة. والعرب إذا دعت
لميت بالرحمة سألت الله أن يمطر قبره.

افتتاحُ الإذاعة

ألقيت بدار الإذاعة يوم الاحتفال بافتتاحها في ٣١ من مايو سنة ١٩٣٤ م.

وَيَمْلَأُ الْأَفْقَ تَغْرِيدًا بِأَلْحَانِي
بَدَائِعُ الْحُسْنِ مِنْ آيَاتِ عَدْنَانِ^١
مِنَ الرِّيَّاحِ فَقَدْ أَلْقَتْ بِأَرْسَانِ^٢
وَنَاحَ مَا شَتَّتَ مِنْ وَرْدٍ وَرِيحَانِ
فَأَمْلَأَ مَدَاهُ بِصَوْتٍ مِنْكَ رَنَّانِ
صَوْبُ الْحَيَا وَنَدَى كَفِّهِ سَيَّانِ^٣
مِنْ (عَابِدِينَ) فَطَفُ مِنْهَا بِأَرْكَانِ^٤
ضَافِي الْمَهَابَةِ عَالِي الشَّأْوِ وَالشَّانِ^٥
فَلَمْ يُطَاوِلْ غُلَاهُ أَيُّ بُنْيَانِ
فِي بُهْرَةِ الْمُلْكِ مِنْ صَرْحٍ وَإِيوانِ^٦
لَا مَا يَرَى النَّاسُ مِنْ صَخْرٍ وَصَوَّانِ
يُزْهِى بِهِ الشَّعْبَ فِي سِرٍّ وَإِعْلَانِ
مَا ضَمَّهُ الْقَلْبُ مِنْ نُبْلِ وَإِيمَانِ^٧

يَا سَارِي الشُّعْرِ يَطْوِي الْجَوَّ فِي آنٍ
يَخْتَالُ فِي بُرْدَةِ الْفُضْحَى وَتُسْعِدُهُ
سِرُّ أَيُّهَا الشُّعْرُ وَارْكَبْ كُلَّ نَاجِيَةٍ
سِرِّ بِالرِّيَاضِ وَخُذْ مِنْهَا نَضَارَتَهَا
الْكُونُ أَذُنٌ لِمَا تُلْقِيهِ وَاعِيَةٌ
وَبَلِّغِ الْأَرْضَ أَنَا فِي حِمَى مَلِكٍ
وَإِنْ تَزُرُّ كَعَبَةَ الْأَمَالِ مُشْرِقَةً
وَقِفْ وَأَطْرِقْ خُشُوعًا أَنْتَ فِي قُدْسٍ
فَصُرْ بِنَاهُ بِنَاةَ الْمَجْدِ مِنْ هِمَمٍ
فَأَيْنَ كِسْرَى وَمَا أَعْلَى مَشَارِفُهُ
أَسَاسُهُ عَزَمَاتُ جَلٍّ خَالِقُهَا
يُطِلُّ مِنْهُ عَلَى آمَالِنَا مَلِكٌ
فِي وَجْهِهِ قَسَمَاتٌ قَدْ دَلَّلْنَ عَلَى

وَأَيَّقُظُوا مِنْ بَنِيهَا كُلَّ وَسْنَانِ^٨
تَعْدُوا إِلَى الْمَجْدِ فِي جِدٍّ وَإِمْعَانِ^٩

يَا ابْنَ الْأَلَى بَعَثُوا مَصْرًا لِنَهْضَتِهَا
وَأَرْسَلُوهَا إِلَى الْعُلِيَاءِ فَانْطَلَقَتْ

كَأَنَّهَا تَبْتَغِي فِي الشَّمْسِ حَاجَتَهَا
آثَارُهُمْ فِي ضِفَافِ النَّيْلِ مَائِلَةٌ
كَأَنَّهَا وَهْيَ فِي الْوَادِي قَدْ انْتَثَرَتْ
جَاءُوا بِمَا عَزَّ فِي الْأَذَانِ مَسْمَعُهُ
فِي بَاحَةِ السَّلَمِ كَانُوا رَحْمَةً وَهْدَى
قَدْ حَاوَلُوا الصَّعْبَ حَتَّى دَلَّ شَامِسُهُ
أَوْ أَنَّهَا أَوْدَعَتْ سِرًّا لَكَيْوَانَ^{١٠}
أَبْقَى عَلَى الدَّهْرِ مِنْ رُضْوَى وَثْلَانِ^{١١}
عَقْدٌ تَنَازَرَ عَنْ دُرٍّ وَعِقْيَانِ^{١٢}
عَنِ الْمُلُوكِ وَلَمْ تُبْصِرْهُ عَيْنَانِ
وَفِي الْكَرِيهَةِ كَانُوا أَسَدَ خَفَانِ^{١٣}
وَمَالَ بِالرَّأْسِ عَنْ يُسْرِ وَإِمْكَانِ^{١٤}

غَفَرَا (فُؤَادُ) أَبَا (الْفَارُوقِ) إِنْ عَجَزَتْ
حَاوَلْتُ تَصْوِيرَهَا جَهْدِي فَمَا اتَّسَعَتْ
وَالْبَحْرُ تُبْصِرُ جُزْءًا حَوْلَ سَاحِلِهِ
فِي كُلِّ يَوْمٍ لَكُمْ فِي مَضَرِّ عَارِفَةٍ
نَشَرْتُ فِيهَا رُبُوعَ الْعِلْمِ زَاهِرَةٌ
غَرَسَتْهُ دَوْحَةٌ غَنَاءً وَارِفَةٌ
وَسَاسَنَا مِنْكَ رَأْيِي زَانَهُ خُلِقَ
الدِّينَ زَاهٍ وَوَجْهَهُ الْمُلْكُ مُؤْتَلِقُ
رَدَدْتُ لِلُّغَةِ الْفُصْحَى بِشَاشَتِهَا
قَدْ ذَكَّرْتُهَا أَيَادِيكَ الَّتِي عَظُمَتْ
أَوْلَيْتَهَا (مَجْمَعًا) طَابَتْ مَشَارِعُهُ
أَعَادَ فِي مَضَرِّ عَهْدٍ لِلرَّشِيدِ مَضَى
سَعَتْ لِسَاحَتِكَ الدُّنْيَا وَيَمَّمَهَا
عَنْ عَدِّ آلَتِكَ الْغُرَاءِ أَوْزَانِي^{١٥}
لِبَعْضِ ذَلِكَ الْوَاحِي وَالْوَانِي
وَلَيْسَ فِي دَرْكِهِ طَوْقٌ لِإِنْسَانٍ
فِي طَيِّهَا مِنْ نَدَاكُمُ أَلْفُ بُرْهَانِ^{١٦}
جَلَالَةُ الْمُلْكِ فِي عِلْمٍ وَعِرْفَانِ^{١٧}
قَرِيبَةَ الْمُتَمَنَّى ذَاتَ أَفْنَانٍ
قَدْ صَاغَهُ اللَّهُ مِنْ رَفَقٍ وَإِحْسَانٍ
كَالرَّوْضِ جَادٍ تَرَاهُ صَوْبَ هَتَّانِ^{١٨}
مِنْ بَعْدِ أَنْ هَجَرْتَهَا مِنْذُ أَرْمَانَ
مَنَازِلَ الْعِزِّ فِي دَارَاتِ قَحْطَانِ^{١٩}
وَبَلَّ مِنْهُ صَدَاهُ كُلُّ صَدْيَانِ^{٢٠}
أَيَّامَ أَشْرَقَتِ الدُّنْيَا (بِبَغْدَانِ)^{٢١}
جَهَابِذُ الْقَوْمِ مِنْ قَاصٍ وَمِنْ دَانِي^{٢٢}

هَذِي الْإِذَاعَةُ يَا مَوْلَايَ قَدْ نَطَقْتُ
مِنْ قَبْلِهَا سَارَ سَيْرُ الشَّمْسِ ذَكْرُكُمْ
أَنْشَأَتْهَا جَنَّةٌ غَنَّتْ بَلَابِلُهَا
فِيهَا الثَّقَافَاتُ أَلْوَانُ مُنَوَّعَةٌ
قَدْ أَصْبَحَتْ مَنْهَلًا يَسْعَى لِطَالِبِهِ
بِمَا بَذَلْتَ بِإِفْصَاحٍ وَتَبْيَانِ
يَطْوِي الْجَوَاءَ بِأَقْطَارٍ وَبُلْدَانِ^{٢٣}
وَعَرَدَتْ بَيْنَ أَوْرَاقٍ وَأَغْصَانِ
تُزْجِي إِلَى الشَّعْبِ مِنْ آنٍ إِلَى آنِ^{٢٤}
فَاعْجَبْ إِلَى مَنْهَلٍ يَسْعَى لِظَمْآنِ^{٢٥}

عِشْ لِلْبِلَادِ (أبا الفاروق) نُورَ هُدًى
وَعِاشَ فَارُوقَ لِلدُّنْيَا يُجَمِّلُهَا
لَمَّا دَعَوْهُ أَمِيرًا لِلصَّعِيدِ سَمَا
لَا زَالَ زِينَةُ عَهْدٍ طَابَ مَوْرِدُهُ
وَأَعْلَى رَايَتَهَا فِي كُلِّ مَيْدَانٍ
وَيَزِدُّهَا بِمَحَيَّاهُ الْجَدِيدَانِ^{٢٦}
بِهِ الصَّعِيدِ وَأَضْحَى جَدَّ جَذْلَانٍ
مُجَمَّلٍ بِجَلَالِ الْمُلْكِ مُزْدَانٍ

هوامش

- (١) البردة: الثوب. الفصحى: اللغة العربية، عدنان: من أجداد العرب الذين تنتهي إليهم العربية ويعرفون بالفصاحة.
- (٢) الناجية: الناقة السريعة تنجو بمن ركبها. شبه بها الرياح في حملها الأخبار حافظة لها أمينة عليها. الأرسان: جمع رسن (بالتحريك) وهو الزمام. وإلقاء الرياح بالأرسان كناية عن لينها وسهولة قيادها.
- (٣) الحيا: المطر. صوبه: انصبابه ونزوله. ندى كفيه: عطاؤهما وبذلهما.
- (٤) الكعبة: البيت الحرام بمكة وإليه يتجه المسلمون حجاً وصلاة. عابدين: قصر الملك في القاهرة.
- (٥) الشأو: الغاية والمدى. الشان (بالتسهيل): الشأن (بالهمزة).
- (٦) كسرى (بكسر الكاف وفتحها): لقب لملك الفرس. ويريد بمشارفه: ما بني من قصور عالية. البهرة من كل شيء: وسطه. الصرح: القصر وكل بناء عال. الإيوان: الصفة العظيمة، وكانت تتخذ لجلوس الملك (الصفة: بناء ذو ثلاثة حوائط).
- (٧) القسماط: جمع قسمة (بكسر السين وفتحها) وهي ما تنطق به أسارير الوجه وملامحه من حسن وجمال.
- (٨) الوسنان: النائم الغافل.
- (٩) الإمعان في السير: الإسراع.
- (١٠) كيوان: اسم زحل (بالفارسية).
- (١١) ضفاف النيل: شواطئه ويريد مصر. رضوى وثهلان: جبلان بالحجاز.
- (١٢) العقيان: الذهب الخالص.
- (١٣) الباحة: الساحة. الكريهة: الحرب وشدتها. خفان (كحسان): مأسدة قرب الكوفة يضرب المثل بأسادها في البطش والقوة.

- (١٤) الشامس: الفرس الجموح. مال بالرأس: أي خضع.
- (١٥) الآلاء: النعم. الغراء: الحسنه المشهوره. أوزاني: أي قصائدي.
- (١٦) العارفة: العطية والمعروف. الندى: الكرم.
- (١٧) ربوع العلم: دوره.
- (١٨) الهتان: المطر فوق الهطل. صوبه: انصبابه.
- (١٩) الدارات جمع دارة. وهي المحل يجمع البناء والعرصة. وتطلق أيضًا على القبيلة وكلاهما مراد هنا. قحطان: هو ابن عابر، وهو جد عرب اليمن. وفيهم كان للعربية مجدها الأول.
- (٢٠) يريد بالمجمع: مجمع اللغة العربية الذي أنشأه الملك فؤاد الأول سنة ١٩٣٣م.
- المشارع: موارد الشاربه. الواحد: مشرع ومشرعة (بفتح الراء). وبـل صـداه: أروى ظمأه وشفى غلته. الصديان: العطشان.
- (٢١) الرشيد: هو هارون الرشيد الخليفة العباسي الذي بلغت بغداد في عهده غايتها في الحضارة والعلوم. بغدان: اسم لبغداد.
- (٢٢) يم: قصد. جهاـبـذ لقوم: نقادهم العارفون بتمييز الجد من الرديء.
- (٢٣) الجواء: جمع جو.
- (٢٤) تزجي: تساق وتـخـمـل.
- (٢٥) المنهل: المورد ينهل منه الظامئون.
- (٢٦) المحيا: الوجه. الجديدان: الليل والنهار. ولا يفردان فلا يقال للواحد منهما جديد.

ميلاد الفاروق

تهنئة الملك فاروق الأول بعيد مولده، وقد قيلت هذه القصيدة في الحادي عشر من فبراير سنة ١٩٣٧م.

بَهَرُ الْوُجُودِ بِلَوْلُؤِي ضِيَائِهِ
لَبِسَ الْمَسَاءُ بِهِ غِلَالَةَ مُسْفِرٍ
وَتَطَامَنْتْ زُهْرُ الْكَوَكِبِ هَيْبَةً
هَيْهَاتَ! أَيْنَ ضِيَائُهَا مِنْ ضَوْئِهِ
عَجَبًا! يَزِيدُ ظُهُورَهُ بَعْلُوهُ
مَا جَالَ فِي الْأَفَاقِ أَصْدَقُ جَوْهَرًا
يَلْقَاكَ نُورُ الْحَقِّ فِي لَمَحَاتِهِ
أَيْنَ النُّجُومُ جَلَالُهَا وَرُؤَاؤُهَا
نَجْمٌ تَأَلَّقَ فِي بَدِيعِ سَمَائِهِ
حَتَّى كَأَنَّ الصُّبْحَ مِنْ أَسْمَائِهِ^١
لِلْمُشْرِقِ الْوَضَّاحِ فِي عَلَيَّائِهِ^٢
وَسَنَاوُهَا مِنْ بَعْدِ أَوْجِ سَنَائِهِ؟^٣
وَالنَّجْمُ يُعْرِفُ إِنْ عَلَا بِخَفَائِهِ
مِنْهُ وَأَصْفَى مِنْ نَقْيِ صَفَائِهِ^٤
وَيَفِيضُ مَاءَ الْبِشْرِ مِنْ لَأْلَائِهِ^٥
مِنْ عَبَقَرِيَّ جَلَالِهِ وَرُؤَائِهِ؟^٦

* * *

نَجْمٌ أَطَّلَ عَلَى الْوُجُودِ فَكَبَّرَتْ
وَرَنْتَ لَهُ الْأَمَالَ ظُمَأَى حَوْمًا
وَالنَّيْلُ سَارَ يَجُرُّ مِنْ أَذْيَالِهِ
يَخْتَالُ مَا بَيْنَ الرِّيَاضِ وَكُلُّهَا
وَيُفْتَحُ الْأَزْهَارَ فِي أَكْمَامِهَا
يُضْغِي إِلَيْهِ يَهْزُ أَعْطَافَ الدُّجَى
زُمُرُ الْوُجُودِ وَهَلَلْتَ لِلِقَائِهِ^٧
مَعْقُودَةً أَبْصَارُهَا بِرَجَائِهِ^٨
تِيهًا وَيَمْرَحُ فِي مَدَى خَيْلَائِهِ
مِنْ نَسَجِ كَفْيِهِ وَمِنْ إِيحَائِهِ
وَيُنَبِّئُ الْقُمْرِيَّ مِنْ إِنْغِفَائِهِ^٩
وَيَجِدُّدُ الْأَمَالَ سِحْرُ غِنَائِهِ^{١٠}

(إِسْحَاقُ) لَمْ يُوهَبْ عُذُوبَةَ صَوْتِهِ
 أَيْنَ الصَّنَاعَةُ وَالْفُنُونُ وَمَا حَوَتْ
 النَّيْلُ بِالْفَارُوقِ أَعَذَبَ مُورِدًا
 عَلَّمْتَهُ صِدْقَ الْوَفَاءِ فَأَصْبَحَتْ
 وَمَنْحَتَهُ خُلُقَ الْعَطَاءِ فَعَزَدَتْ
 لَمَّا عَلَوَتْ مَطَاهُ صَفَقَ مَوْجِهِ
 يَبْدُو السَّفِينُ بِهِ كَمَا تَبْدُو الْمُنَى
 أَوْ كَالْحَيَاةِ تَدِبُ فِي جِسْمِ امْرِئٍ
 أَوْ كَالصَّبَاحِ لِمُدْلِجِ حَبَطِ الدُّجَى
 أَوْ كَالْغَمَامِ رَأَتْهُ أَزْهَارُ الرُّبَا
 أَوْ كَابْتِسَامِ السَّعْدِ بَعْدَ قُطُوبِهِ
 يَجْرِي السَّفِينُ وَفَوْقَهُ الْمَلِكُ الَّذِي
 الدِّينَ وَالْأَخْلَاقُ مِلءُ جَنَانِهِ
 يَهْتَزُّ فِي بُرْدِ الشَّبَابِ كَأَنَّهُ
 وَالنَّيْلُ يَجْتَازُ الْمُرُوجَ مُبَشِّرًا
 وَخَمَائِلُ الْوَادِي تَمُدُّ غُصُونَهَا
 قَالُوا لَهَا: جَاءَ الْغَمَامُ فَأَقْبَلَتْ
 وَالزُّهْرُ يَخْتَرِقُ الْكِمَامَ لِنَظَرِهِ
 قَدْ كَانَ يُزْهِى فِي الرِّيَاضِ بِحُسْنِهِ
 وَرَأَى نُضَارًا مِنْ شَبَابٍ يَنْحَنِي
 سَعِدَ (الصَّعِيدُ) وَأَهْلُهُ بِزِيَارَةِ
 سَأَلَتْ إِلَيْكَ بِهِ الْمَدَائِنُ وَالْقُرَى
 سَدُّوا الشَّعَابَ وَأَقْبَلَتْ أَرْسَالُهُمْ
 مَا بَيْنَ حَامِلِ قَلْبِهِ بِبِمِينِهِ
 فَاظْطَرُّ إِلَى الْوَادِي الْفَسِيحِ فَهَلْ تَرَى
 كُلُّ دَعَاةِ الشُّوقِ فَاانْتَهَبَ الْخُطَا
 وَطَلَعَتْ كَالْأَمَلِ الْوَسِيمِ يَحْفُهُ

و(عِنَانُ) لَمْ تُمْنَحْ جَمَالَ أَدَائِهِ ١١
 فِي جَنْبِ صُنْعِ اللَّهِ فِي أَحْيَائِهِ؟
 مَاءُ الْحَيَاةِ ثُمَالَةٌ مِنْ مَائِهِ ١٢
 تَتَحَدَّثُ الدُّنْيَا بِصِدْقِ وَفَائِهِ ١٣
 صَدَاحَةُ الْوَادِي بِفَضْلِ عَطَائِهِ
 بِشْرًا وَأَسْكَتَ وَجْدَهُ بَرُغَائِهِ ١٤
 لِلْيَائِسِ الْحَيْرَانِ فِي ظُلُمَائِهِ
 أَفْنَتَ شِكَايَتَهُ فُنُونِ إِسَاءَتِهِ ١٥
 فَطَوَاهُ وَادِي التِّيهِ فِي أَحْشَائِهِ ١٦
 مِنْ بَعْدِمَا احْتَرَقَتْ لَطُولُ جَفَائِهِ ١٧
 أَوْ كَانَقِيَادِ الدَّهْرِ بَعْدَ إِبَائِهِ ١٨
 صَفِرَتْ يَدُ الْإِيَّامِ مِنْ نَظْرَائِهِ ١٩
 وَجَلَالَةُ الْأَمْلَاقِ مِلءُ رَدَائِهِ ٢٠
 سَيْفٌ يُدِلُّ بِمَائِهِ وَمَضَائِهِ ٢١
 فَتَرْدُدُ الْأَطْيَارُ مِنْ أَصْدَائِهِ
 وَتَوَدُّ لَوْ فَازَتْ بِلَمَحِ ضِيَائِهِ
 تَسْتَقْبِلُ الْأَمَالَ فِي أُنْدَائِهِ ٢٢
 فَيَرُدُّهُ لِلِكِمِ فَرَطُ حَيَائِهِ ٢٣
 فَرَأَى بَهَاءً فَوْقَ حُسْنِ بَهَائِهِ
 أَزْهَى الْغُصُونِ نَضَارَةَ بِلَازَائِهِ
 بَلَّتْ غَلِيلَ الشُّوقِ فِي أَرْجَائِهِ
 وَالْبَدْرُ يُغْرِي الْعَيْنَ بِاسْتِجْلَائِهِ ٢٤
 كَالزَّائِرِ الْهَدَّارِ فِي ضَوْضَائِهِ ٢٥
 وَمُتَوِّبٍ هَزَّ الرُّبَا بِدُعَائِهِ ٢٦
 إِلَّا قُلُوبًا فِي فَسِيحِ فَضَائِهِ؟
 فِي نَظَرَةِ تَشْفِيهِ مِنْ بُرَحَائِهِ ٢٧
 نُورُ الْمَهَابَةِ فِي جَلَالِ جَلَائِهِ

كَالْبَدْرِ فِي إِشْرَاقِهِ، وَالرَّوْضِ فِي
فِي مَوْكِبٍ بِهِرَ الزَّمَانِ فَحَيَّرَتْ
عَجَزَ الْمُؤَرِّخِ أَنْ يَرَى أَشْبَاهَهُ
مَا نَالَهُ (الْمَنْصُورُ) فِي (بَغْدَادِهِ)
وَالذَّيْلُ) لَمْ يَشْهَدْ جَلَالَه حَفْلِهِ
إِزْهَارِهِ، وَالْغَيْثِ فِي إِسْدَائِهِ
عَيْنَاهُ بَيْنَ جَمَالِهِ وَسَرَائِهِ^{٢٨}
فِيمَا طَوَاهِ الدَّهْرِ مِنْ أَنْبَائِهِ
يَوْمًا وَلَا الْأَمْلَاكِ مِنْ خُلَفَائِهِ^{٢٩}
فِي عَهْدِ (حَقَرَعِهِ) وَلَا (مِينَائِهِ)^{٣٠}

أَرَأَيْتَ آثَارَ الْمُلُوكِ وَمَا بَنَوْا
وُلِدُوا وَشَمْسُ الْأَفْقِ فِي رِيْعَانِهَا
دَرَسُوا كِتَابَ الْكُونِ أَوَّلَ طَبْعَةٍ
وَأَتَوْا مِنَ الْإِعْجَازِ مَا تَرَكَ النَّهْيُ
ذَهَبُوا وَلَمْ تَذْهَبْ صَحَائِفُ مَجْدِهِمْ
الْمَجْدُ فِي الدُّنْيَا سَجِلٌ خَالِدٌ
مِمَّا يَضِيقُ الْجَنُّ عَنْ إِنْشَائِهِ؟
وَالدَّهْرُ يَرْفُلُ فِي ثِيَابِ صِبَائِهِ
وَوَعَوْهُ مِنْ أَلْفِ الْوُجُودِ لِيَائِهِ
حَيْرَى فَلَمْ تَمْلِكْ سِوَى إِطْرَائِهِ
وَطَوَاهُمُ الْمِقْدَارُ فِي أَطْوَائِهِ^{٣١}
تَتَعَاقَبُ الْأَجْيَالُ مِنْ قُرَائِهِ

(فَارُوقُ) أَنْتَ مَنَاطُ آمَالِ الْجَمَى
أَعْلَى أَبُوكَ بِنَاءً (مُصَرِّ) فَرَاحِمَتْ
وَأَرَى (فُؤَادًا) فِيكَ فِي قَسَمَاتِهِ
تَبْدُو أَيْدِي الْغَيْثِ فِي زَهْرِ الرُّبَا
أَشْرَقَ عَلَى الْوَادِي فَأَنْتَ حَيَاتُهُ
أَحْيَيْتَ دِينَ اللَّهَ فِي مَحْرَابِهِ
وَوَقَفْتَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَقَفَّةً خَاشِعٍ
الدِّينُ طِبُّ النَّفْسِ مِنَ الْآلِمِهَا
مَا أَجْمَلَ التَّوْفِيقُ فِي شَرْحِ الصَّبَا
وَسُلَالَةَ الْأَمْجَادِ مِنْ نُصْرَائِهِ^{٣٢}
زُهِرَ الْكَوَكِبِ رَاسِيَاتُ بِنَائِهِ^{٣٣}
وَمَضَائِهِ وَذَكَائِهِ وَسَخَائِهِ^{٣٤}
وَيَعِيشُ سِرُّ الْمَرْءِ فِي أَبْنَائِهِ
وَعِمَادُ نَهْضَتِهِ وَمَجْدُ لَوَائِهِ^{٣٥}
شُكْرًا عَلَى مَا تَمَّ مِنْ نِعْمَائِهِ^{٣٦}
يَرْجُو مَثُوبَتَهُ وَحُسْنَ جَزَائِهِ
وَهْدَايَةُ الْحَيْرَانِ فِي بَيْدَائِهِ
وَالْعُمُرُ فَيَاضُ السَّنَى بِقَتَائِهِ^{٣٧}

لِلَّهِ مَوْلِدُكَ السَّعِيدُ وَيَوْمُهُ
يَوْمٌ بِهِ بَسَطَ السُّرُورُ شُعَاعَهُ
وَتَسَابِقُ الْأَمَالِ فِي أَجْوَائِهِ
وَأَعَارُ ثَوْبَ صَبَاحِهِ لِمَسَائِهِ

يَوْمٌ أَغْرُ كَأَنَّ صَفْوَ سَمَائِهِ صَفْوُ النَّعِيمِ بِظِلِّهِ وَرَخَائِهِ
يَوْمٌ سَرَتْ فِيهِ الْبَشَائِرُ حَوْمًا تُفْضِي إِلَى الدُّنْيَا بِسَرٍّ عَلَائِهِ

* * *

مَوْلَايَ عَهْدُكَ فِي الْبِلَادِ مُؤَزَّرٌ بِالْيُمْنِ فَاهُنَا فِي مَدِيدِ هَنَائِهِ
قَطَفْتَ بِهِ (مَصْرُ) جَنَى اسْتِقْلَالِهَا وَأَظْلَلَهَا الْمُمْتَدُّ مِنْ أَفْيَائِهِ^{٣٨}
وَأَطْلَحْتَ الْقَيْدَ الْعَنيفَ وَطَالَمَا عَادَتْ بِرَبِّ النَّاسِ مِنْ إِيْدَائِهِ^{٣٩}
وَالشُّكْرُ فِي السَّرَّاءِ يَعْظُمُ كُلَّمَا ذَكَرَ الْفَتَى مَا مَرَّ مِنْ ضُرَائِهِ^{٤٠}
مَوْلَايَ، عِشْ لِلْمُلْكِ نَجْمَ سُعُودِهِ وَارْفَعْ لِيَوَاءِ الْمَجْدِ فِي أَنْحَائِهِ^{٤١}
أَنْتَ الَّذِي تَحْيَا الْمُنَى بِحَيَاتِهِ وَتَسُودُ (مَصْرُ) وَتَعْتَلِي بِبَقَائِهِ

هوامش

- (١) الغلالة (بالكسر): شعار يلبس تحت الثوب. المسفر: المضيء المشرق.
- (٢) تطامنت: ذلت وخضعت. زهر الكواكب: الكواكب المشرقة الوضاعة.
- (٣) هيهات: اسم فعل ماض بمعنى بعد. السناء (بالمد): الرفعة. الأوج: العلو.
- (٤) جوهر الشيء: مبناه ومتكونه.
- (٥) اللمحات: جمع لمحة. وهي (هنا) بمعنى الضوء والنور. اللألاء: النور.
- (٦) الرواء: حسن المنظر.
- (٧) الزمر: جمع زمرة. وهي الفوج والجماعة.
- (٨) رنت: أدامت النظر إليه. حومًا: عطاشًا.
- (٩) الأكمام: جمع كم (بالكسر)، وهو وعاء الطلع وغطاء النور. القمري: ضرب من

الحمام.

- (١٠) الأعطاف: جمع عطف، وهو الجانب والناحية. الدجى: الظلام.
- (١١) إسحاق: هو ابن إبراهيم الموصلي، وهو مغن عباسي معروف بجودة الغناء والضرب. عنان: جارية للناطقي مولدة من مولدات اليمامة، وبها نشأت وتأديت، وكانت جميلة مليحة الأدب والشعر، سريعة البديهة، وكانت مغنية مشهورة بحسن أدائها. ماتت بخراسان في عهد الرشيد. الأداء: التوقيع.

- (١٢) ثمالة من مائه: أي فضلة منه.
- (١٣) الوفاء: إنجاز الوعد. وفاء النيل: زيادة مائه.
- (١٤) المطا: المتن والظهر. رغاؤه: صوت أمواجه يشبهها برغاء البعير. يشير إلى رحلة (الفاروق) إلى الوجه القبلي سنة ١٩٣٧م في النيل، وهي السنة التي قال فيها الشاعر هذه القصيدة.
- (١٥) الإساء: جمع آس. وهو الطبيب.
- (١٦) المدلج: الذي يسير في أول الليل. وقد يستعمل لمن يسير في آخره. خبط الدجى: أي سار في ظلام الليل على غير هدى. التيه: ما يتيه فيه الإنسان ويضل.
- (١٧) الربا: جمع ربوة، وهو المرتفع من الأرض.
- (١٨) القطوب: العبوس والتجهم. إباؤه: امتناعه وشموسه.
- (١٩) صفرت: خلت.
- (٢٠) الجنان: القلب. الأملاك: الملوك، الواحد. ملك.
- (٢١) برد الشباب: إهابه. والبرد (في الأصل): الثوب. يدل: من الدلال. وهو التيه والعجب. ماء السيف: بريقه ولمعانه. مضائه: حدته وسرعة قطعه.
- (٢٢) الأنداء: جمع ندى. وهو المطر.
- (٢٣) الكمام: جمع كم (بالكسر) وهو وعاء الطلع وغطاء النور.
- (٢٤) يريد «بسيلان المدى والقرى»: كثرة من وفدوا وحضروا إلى لقائه منها. استجلاؤه: أي النظر إليه.
- (٢٥) الشعاب: أي الطرق والمنافذ. الأرسال: الجماعات، الواحد: رسل (بالتحريك). الزاخر الهدار: البحر على الأمواج.
- (٢٦) المثوب: الهاتف الداعي.
- (٢٧) انتهب الخطأ: أسرع عدواً. البرحاء: ما يعانیه المشوق من شدة الشوق والوجد.
- (٢٨) السراء: الشرف والرفعة.
- (٢٩) المنصور: هو أعظم خلفاء العباسية والمؤسس الحقيقي لها، وفي عصره صارت بغداد أزهى مدن الدنيا، وانتشرت بها الحضارة وارتقت العلوم. وولد المنصور سنة ٩٥٥هـ، وولي الخلافة سنة ١٣٦هـ، وتوفي بمكة سنة ١٥٨هـ.
- (٣٠) خفرع: هو أحد فراعنة مصر ومشيد هرم الجيزة الثاني. ويريد «بمينائه»: مينا، أول الجالسين على عرش مصر بعد توحيد كلمتها وضم مصر السفلى إلى العليا.

- (٣١) المقدار: القدر (بالتحريك). أطواؤه: ثناياه.
- (٣٢) مناط الآمال: حيث تتجه وتجتمع.
- (٣٣) الراسيات: الثابتة المكيّنة.
- (٣٤) القسّمات: جمع قسمة وهي الحسن. المضاء: حدة العزم، والنفاز في الأمور.
- (٣٥) اللواء: العلم.
- (٣٦) المحراب: مقام الإمام في المسجد.
- (٣٧) شرخ الصبا: أوله وريعانه. الفتاء: الشباب.
- (٣٨) جنى استقلالها: أي ثمرته. الأفياء: الظلال، الواحد: فيء.
- (٣٩) أطاحت القيد: حطّمته وألقت به. عاذت: استعازت وامتنعت.
- (٤٠) السراء: نعيم العيش. الضراء: ضده.
- (٤١) نجم سعوّده: أي طالع يمنه وسعادته. وللعرب نجوم سعد يتفأل بها ويتيمن. وسعود النجوم عندهم عشرة، منها: سعد السعود. ويقال فيه: إذا طلع سعد السعود نضر العود.

الشَّيْخُ الْغَزَلُ

عام ١٩٢٤م

لنا شَيْخٌ تَوَلَّى أَطْيَبَاهُ يَهِيْمُ بِحُبِّ رَبَّاتِ الْقُدُودِ^١
يَغَاظِلُ إِذْ يَغَاظِلُ مِنْ قِيَامٍ وَإِنْ صَلَّى يُصَلِّي مِنْ قُعُودِ!^٢

هوامش

(١) تولى: ذهب. أطيباه: الشباب وسعة العيش.

(٢) قعود: جلوس.

رثاء محمود فهمي النقراشي باشا

رئيس من رؤساء وزراء مصر السابقين عُرف بنزاهته ووطنيته، كان زميلًا للشاعر في بعثة إلى إنجلترا عام ١٩٠٨م إلى أن استشهد في ديسمبر من عام ١٩٤٨م، فحزن الشاعر عليه حزنًا كبيرًا ورثاه بهذه القصيدة التي أنشدتها نجله الأستاذ الشاعر بدر الدين علي الجارم في احتفال كبير أقيم بمناسبة ذكرى الأربعين بقاعة الجمعية الجغرافية مساء ٨ فبراير سنة ١٩٤٩م، ولكن المنية عاجلت شاعرنا الكبير وهو يستمع إلى شعره ينشد في هذا الحفل الكبير.

ماءُ العيونِ على الشهيدِ ذَارِفٌ	لو أَنَّ فيضًا من مَعينِكَ كافي ^١
إِنَّ لم يَفِ الدَّمْعُ الهَتُونُ بسِيِّه	فلمن يَفِي بعدَ الخليلِ الوافي؟ ^٢
شيئانِ مَا عِيبَ البكاءِ عليهما	فقدُ الشبابِ، وفُرْقَةُ الأُلفِ ^٣
أَغْرَقْتُ همي بالدموعِ فخانني	وطفًا، فويلي من غريقِ طَافِي!
وإذا بَكَى القلبُ الحزينُ فما له	راقٍ ولا لبكائه من شافي ^٤
والدمعُ تهمي في الشدائدِ سُحْبُهُ	ومن الدموعِ مُماطلٌ وموافي ^٥
حَارَتْ به كفي تَحاولُ مَسْحُهُ	فكأنَّها تُغْريه بالإيكاف ^٦
وأجلُّ ما يَلْقَى الشريفُ ثوابه	إِنْ غَسَلَتْهُ مَدَامُ الأشرافِ ^٧

طيرُ المنيةِ صَحَتْ أشأمُ صيحةٍ	وهززتْ شرَّ قِوادمِ وخوافي ^٨
وَعَلَّقتْ بالأملِ العزيزِ مُحْصَنًا	بظِوامي الأرماحِ والأسيافِ ^٩

والجندُ والأعوانُ ترعى موكبًا
يَفْدُونَ بالمهجّات مهجّةً قَائِدِ
رَأْنَ الذَّهولُ، فكلُّ عقلٍ حائرٍ
والموتُ أعمى في يديه سهامُهُ
والموتُ قد يُخفي حمأً بنسمةٍ
يغشى الفتى ولو اطمأنَّ لموئِلِ
ويحُ الكنانةُ بعد نزحِ شغافِها

ما حازه سابُورُ ذو الأكتافِ ١٠
في كلِّ منعرجٍ وكلِّ مطافٍ ١١
وجرى القضاء، فكل طرفٍ غافي ١٢
يرمي البريةَ من وراءِ سِجافٍ ١٣
هَفَافَةٍ، أو في رحيقِ سُلَافٍ ١٤
في الجوِّ أو في غمرةِ الرِّجافِ ١٥
أَتعيشُ في الدنيا بغيرِ شَغافٍ ١٦

* * *

قد عاشَ يحملُ رُوحَه في كَفِّهِ
يلقى الكوارثَ باسمًا متألِّقًا
والموتُ يكشرُ عن نِيوبِ مَشانِقِ
بينَ الرياحِ الهُوجِ يزأُرُ مثلها
يَرِنو إلى استقلالِ مصرٍ كما رنّتْ
ما ارتاعَ مِنْ حبسٍ ولا أسِرٍ ولا
وإذا دهتْ الحادثاتُ بفادحِ
هابتْهُ أسبابُ المنيةِ جَهْرَةً
مَوْتُ الكرامِ البيضِ فوقَ جِياهِمِ
فلکم تمنّی «ابنُ الوليد» مَنِيَّةً

ما قَالَ في هولِ النضالِ كفافٍ ١٧
والدهرُ يعصفُ والخطوبُ سَوافي ١٨
غُبرِ الوجوهِ دميمةِ الأطرافِ ١٩
ويثورُ في غَضَبٍ وفي إغفافٍ ٢٠
عينِ المحبِّ لطارقِ الأطيافِ ٢١
زَجِرٍ، ولا قتلٍ، ولا إرجافٍ ٢٢
لم تَلقِ إِلَّا هِزَّةً استخفافٍ
فَرَمَتْهُ خائنةُ بِموتِ زُؤافٍ ٢٣
لا فَوْقَ نُمرِقَةٍ وتحتَ طِرافٍ ٢٤
بينِ الصواهِلِ والقنا الرِّعافِ ٢٥

* * *

ذهبَ الجريءُ النَّدْبُ نُحْرُ بلادهِ
خُلِقَ كأموهِ السحابِ مُطَهَّرُ
وتبسّمُ للمعضلاتِ كأنَّه
ونقاءُ سُكَّانِ السماءِ يحوطه
ونزاهةُ سَيَقَتْ لها الدنيا فما
عُمِرَ حوى الدنيا ولم يملكِ سَوَى
والمرءُ إنْ يَخْشَ الدنيّةَ في الغنى

عَوْتُ الصريخِ ونُجعةُ المُعتافِ ٢٦
وسريرةُ كلالِئِ الأصداِفِ
إِشراقُ وجهِ الروضةِ المئناِفِ ٢٧
رَبُّ السماءِ بعزّةٍ وعِفافِ
ظَفِرَتْ بغيرِ تنكُّرٍ وعِياِفِ ٢٨
شاءَ كأعوادِ القسيِّ عِجافِ ٢٩
يَقْنَعُ بِعيشٍ في الحياةِ كفافِ ٣٠

قد كَانَ في غير التَحَرُّجِ مَنفَعْدُ سَهْلٌ إِلَى الآلَافِ والآلَافِ
مَهْمَا يَقْلُ من خَالَفُوهُ فَإِنَّهُ فِي نُبْلِهِ فَرْدٌ بِغَيْرِ خِلَافِ

وَعَزِيمَةٌ لَا الصَّعْبُ فِي قَامُوسِهَا وَإِذَا أَرَادَ فَكَلْ شَيْءٍ أَلَّةُ
يَزْدَادُ فِي ظُلْمِ النِّوَازِلِ بِشَرِّهِ عَدْلٌ لَدَى الْإِرْهَابِ وَالْإِرْهَافِ^{٣٢}
يُخْشَى وَيُرْهَبُ كَالْمَنْيَةِ مُرْهَفًا سَهْلَ الرَّحَابِ مُوْطَأً الْأَكْنَافِ^{٣٣}
فَإِذَا طَلَبْتَ الْحَقَّ مِنْهُ وَجَدْتُهُ رَاحَ الْنَفُوسِ وَرَاحَةُ الْمُسْتَاغِ^{٣٤}
ذَكَرَى كَحَالِيَةِ الرِّيَاضِ شَمِيمُهَا فَإِذَا ذَهَبْنَ فَكُلَّ شَيْءٍ «مَا فِي»
إِنَّ الْفَتَى مَا فِيهِ مِنْ أَخْلَاقِهِ وَلَوْ انْتَمَى لِسِرَاةِ عَبْدٍ مَنَافِ^{٣٥}
مَا زَانَهُ الشَّرْفُ الْمَنِيفُ بِغَيْرِهَا حَتَّى سَتَمْنَا عِشْرَةَ الْأَسْلَافِ^{٣٦}
عِشْنَا عَلَى الْأَسْلَافِ طَوْلَ حَيَاتِنَا لَا صَنَعَ أَسْمَاءٍ وَلَا أَوْصَافِ
الْعَبْقَرِيُّ حَيَاتُهُ مِنْ صُنْعِهِ دَرَسَ الْعُصُورِ وَقُدُوءَ الْأَخْلَافِ^{٣٧}
يَكْفِيهِ مِنْ شَرِّ الْمَجَادَةِ أَنَّهُ

عَابُوا السَّكُوتَ عَلَيْهِ وَهُوَ فَضِيلَةٌ لَغَطُ الْحَدِيثِ مَطِيَّةُ الْإِسْفَافِ^{٣٨}
صَمْتُ الْهَمَامِ النَّجْدِ أَوْ إِطْرَاقِهِ خُطْبُ مُجَلِّجَلَةٍ بِغَيْرِ هُتَافِ^{٣٩}
قَوْلُ الْفَتَى مِنْ قَلْبِهِ أَوْ عَقْلِهِ فَإِذَا سَمَحْتَ فَلَا تَبِعْ بِجُزَافِ^{٤٠}
حَسْبُ الَّذِي أَلْقَى اللَّجَامَ لِسَانُهُ مَا جَاءَ مِنْ رَجَرٍ بِسُورَةِ «قَافِ»^{٤١}
خَاضَ السِّيَاسَةَ مَلَأَ جُعْبَتَهُ هَوَى مَصِرٍ وَمَحَوُ الظُّلْمِ وَالْإِجْحَافِ^{٤٢}
مَا كَانَ فِي الْجُلَى بِحَابِسٍ سَرَجِهِ عَنْ هَوْلِهَا يَوْمًا وَلَا وَقَافِ^{٤٣}
يَمْضِي وَيَتْبَعُهُ الشَّبَابُ كَمَا جَرَتْ جُرْدُ الْمَذَاكِ فِي غُبَارِ خَصَافِ^{٤٤}
نَانَى مُلْحًا بِالْجَلَاءِ مَنَاجِرًا مَاذَا وَرَاءَ الْوَعْدِ وَالْإِخْلَافِ^{٤٥}
وَدَعَا بَوَادِي النِّيلِ غَيْرَ مَقْسَمٍ سُودَانَ مَصَرَ كَشَاطِي الْمُصْطَافِ^{٤٦}
يَا يَوْمَ أَمْرِيكَ وَكَمْ بِكَ مَوْقِفٌ أَعْيَا النُّهَى وَبِرَاعَةِ الْوَصَافِ^{٤٧}
هِيَ صِيحَةٌ لَمْ يَرْمِهَا مِنْ قَبْلِهِ بَطْلٌ بَوَجْهِ السَّادَةِ الْأَخْلَافِ^{٤٨}

صَوْتُ إِذَا هَزَّ الْأَثِيرَ جَهِيرُهُ
فِي كُلِّ أذنٍ مِنْهُ شَنْفٌ زَانِهَا
أَصْغَى لَهُ جَمْعَ الدِّهَاءِ وَأَطْرَقُوا
سَمِعُوا بَيَانًا عِبْقَرِيًّا مَا بِهِ
وَجْدَالٌ وَثَابُ الْبَدِيهَةِ ثَابِتٌ
وَصِرَاحَةٌ بَهَرَتْ عَيُونََ رَجَالِهِمْ
فَلَكُمْ بِمَصْرِ هَزٍّ مِنْ أَعْطَافٍ^{٤٩}
مَا أَجْمَلَ الْأَذَانَ بِالْأَشْنَفِ^{٥٠}
شَتَّانَ بَيْنَ السَّمْعِ وَالْإِنْصَافِ!^{٥١}
فِي الْحَقِّ مِنْ شَطَطٍ وَلَا إِسْرَافٍ^{٥٢}
فِي يَوْمٍ مَلْحَمَةٍ وَيَوْمٍ ثِقَافٍ^{٥٣}
لَمَّا بَدَتْ نُورًا بِلَا أَسْدَافٍ^{٥٤}

* * *

قَالُوا: الرِّثَاءُ، فَقُلْتُ: دَمْعٌ مُحَاجِرِي
شِعْرٌ مِنَ الذَّهَبِ النُّضَارِ حُرُوفُهُ
«مَحْمُودٌ»، قَدْ لَقِيَ الْمَجَاهِدُ رَبَّهُ
نَمْ هَادِدًا إِنَّ الْغِرَاسَ وَرِيفَةً
وَانْزِلْ إِلَى مَثْوَى الصَّدِيقِ تَجِدْ بِهِ
قَبْرَ الشَّهِيدِ سَمَاحَةً فَيَّاحَةً
مَا مَاتَ مَنْ كَتَبَ الْخُلُودَ رِثَاءَهُ
حَيِّيَّتٌ مِنْ مَزْنِ الْعَيُونِ بَوَابِلِ
بِحَرْ، وَأَنَاتِ الْحَزِينِ قَوَافِي^{٥٥}
وَلَكُمْ بِسَوْقِ الشَّعْرِ مِنْ زَيَّافٍ
فِي جَنَّةِ النِّفَحَاتِ وَالْأَلْطَافِ^{٥٦}
تُزْهِى بِأَكْرَمِ تُرْبَةٍ وَقُطَافٍ^{٥٧}
مَا شَتَّتَ مِنْ حُبٍّ وَمِنْ إِسْرَافٍ^{٥٨}
وَمَدِيدُ ظِلٍّ حَدَائِقُ الْفَافِ^{٥٩}
وَوَشَى لَهُ حُلَّ الثَّنَاءِ الضَّافِي^{٦٠}
وَمِنْ الْحَنَانِ بِنَاعِمِ رَقَافٍ^{٦١}

هوامش

- (١) ماء العيون: الدموع. ذراف: تذرف بشدة. فيضًا: كثيرًا. معينك: مما تملكه.
- (٢) يف: يوفي. الهتون: المصبوب. بسيبه: بعطائه.
- (٣) الألاف: الأحباب.
- (٤) راق: مُسَكِّنٌ لبكائه.
- (٥) سحبه: سحابه والمقصود شدة البكاء وكثرة دموع العين. مماطل: مسوف.
- (٦) الإيكاف: الهطول، الزيادة.
- (٧) ثوابه: جزاءه. غسلته: صببت عليه الماء عند اغتساله. دماع: دموع.
- (٨) طير المنية: الموت. قوادم: المقاديم ريش الطير الأول وهي عشر في كل جناح.
- خوافي: ما دون الريشات المذكورة في الطير.
- (٩) علقت: تشبثت. بظوامي: بعطاشي.

- (١٠) سابور ذو الأكتاف: أحد ملوك الهند.
- (١١) المهجات: الأرواح. منعرج: منعطف. مطاف: مكان.
- (١٢) ران: غلب. طرف: عين. غافي: نائم.
- (١٣) البرية: الخلق. سجاف: ساطر.
- (١٤) حماه: سم العقرب. رحيق سلاف: صفوة الخمر.
- (١٥) يغشى: يداهم. موئل: مكان يحتوى به. الرجاف: البحر المضطرب الأمواج.
- (١٦) الكنانة: مصر. شغافها: غشاء القلب.
- (١٧) كفاف: بمعنى كفى والمعنى أنه لم يظهر كلاً ولا مللاً.
- (١٨) سوافي: مهلكة.
- (١٩) يكشف: يظهر. نيوب: الأسنان الأمامية. غير الوجوه: سود الوجوه.
- (٢٠) الهوج: السريعة الحقام. يزأر: يرفع صوته كصوت الأسد. إعناف: شدة.
- (٢١) يرنو: ينظر، يتطلع. طارق الأطياف: ما يتخيله من الخيال والأحلام أثناء النوم.
- (٢٢) ما ارتاع: ما خاف. إرجاف: اضطراب.
- (٢٣) جهرة: علناً. زؤاف: عاجل.
- (٢٤) نمركة: وسادة. طراف: أردية. أو غطاء من حرير.
- (٢٥) ابن الوليد: خالد بن الوليد البطل الإسلامي المشهور. الصواهل: الخيل. القنا: الحراب. الرعاف: الدم السائل والمقصود الحراب الملطخة بالدماء.
- (٢٦) النذب: قاضي الحاجات. زخر: ما يدخر لوقت الحاجة. غوث الصريخ: معيذ المحتاج. نجعة المعتاف: طلاب الكلاء.
- (٢٧) المئناف: الطيب الرائحة.
- (٢٨) عياف: كراهية.
- (٢٩) شاء: من الغنم. أعواد القسي: شجر صلب تصنع منه الرماح. عجاف: هزال.
- (٣٠) الدنية: النقيصة. كفاف: بسيطه، ما أغنى عن الناس.
- (٣١) النوازل: الملمات. كدرة: عدم الصفاء. النمير: عين الماء العذبة.
- (٣٢) مرهقاً: حاداً، رقيقاً.
- (٣٣) سهل الرحاب: يتسامح في سعة. موطأ الأكناف: موفق الجوانب.
- (٣٤) حالية الرياض: الرياض الجميلة المزهرة. شميمها: رائحتها الطيبة. المستاف: المسرور.

- (٣٥) المنيف: الزائد. عبد مناف: قبيلة قديمة يضرب بها المثل في الشراء.
- (٣٦) الأسلاف: الآباء المتقدمون. سئمنا: مللنا.
- (٣٧) المجادة: المجد والشرف. الأخلاف: من يأتون بعده.
- (٣٨) مطية: مركب.
- (٣٩) النجد: المعين وقت الشدة. مجلجلة: مرفوعة الصوت ومسموعة.
- (٤٠) بجزاف: بحدس وتخمين.
- (٤١) قاف: سورة من سور القرآن الكريم فيها زجر كثير.
- (٤٢) جعبته: صدره. هوى: حب. الإجحاف: الظلم.
- (٤٣) الجلى: الحلبة قبل الحرب. حابس سرجه: مانع فرسه، كناية عن الإسراع.
- هولها: شدتها. ولا وقاف: ولا مقلع عنه.
- (٤٤) جرد: الذين يجدون في الشيء. المذاكي: حدة القلب. خصاف: نعل.
- (٤٥) بالجلء: بخروج الإنجليز من مصر وكانوا يحتلونها. مناجزًا: مقاتلاً.
- (٤٦) شاطئ المصطاف: البلاد الواقعة على شاطئ البحر الأبيض المتوسط شمال مصر.
- (٤٧) يوم أمريكا: يشير إلى سفر الفقيد ممثلًا لمصر إلى هيئة الأمم المتحدة من أجل جلاء الإنجليز وقال قولته المشهورة: أيها القراصنة، اخرجوا من بلادنا. النهى: العقل.
- (٤٨) السادة الأخلاف: دول الحلفاء وهي إنجلترا وفرنسا وأمريكا، وكان ذلك لقبهم في أثناء الحرب العالمية الثانية ضد دولتي المحور وهما ألمانيا وإيطاليا.
- (٤٩) جهيره: إعلانه. أعطاف: جوانب.
- (٥٠) شنف: ما علق في أعلى الأذن.
- (٥١) جمع الدهاة: جماعة العقلاء ذوو الآراء الحصيفة والمقصود ممثلو الدول في اجتماع هيئة الأمم المتحدة.
- (٥٢) شطط: خروج.
- (٥٣) ملحمة: الوقفة العظيمة. ثقاف: تسوية الرماح. والمقصود يوم لقاء المحاربين.
- (٥٤) أسداف: ظلمة.
- (٥٥) محاجري: عيني.
- (٥٦) النفحات: الرائحة الذكية. الألطاف: التوفيق من الله والعصمة.
- (٥٧) الغراس: ما غرست من الشجر والمقصود ما أدت من أعمال عظيمة. وريفة: مظلة لأن فروعها وورقها وثمرها كثير. تزهى: تفخر. قطاف: ما يجمع من الثمار.

وعندما وصل نجل الشاعر عندما كان يلقي القصيدة إلى هذا البيت مالت رأس الشاعر على صدره — وقد كان جالساً في أحد الصفوف الأمامية، وفارق الحياة إلى جوار ربه سبحانه وتعالى — ثم نقلوه إلى خارج القاعة ومنها تم نقله إلى منزله.

(٥٨) مثنوى: مكان. الصديق: يقصد أحمد ماهر باشا صديقه ورئيس وزراء مصر قبله، ودفن معه في نفس المدفن بشارع رمسيس بالقاهرة.

(٥٩) فياحة: تفوح منه رائحة المسك. ألفاف: أشجار يلتف بعضها ببعض.

(٦٠) الضافي: السابغ.

(٦١) وزن العيون: دمع العيون. وابل: مندفع شديد منهمر. ناعم رفاف: ثياب خضر حريرية ملساء. وقد يكون المقصود العلم المصري، وقد كان حينئذ أخضر اللون يتوسطه هلال وثلاث نجوم بيضاء اللون.

الزَّفَافُ الْمَلِكِي

بمناسبة زفاف الملك فاروق ملك مصر حينئذ في يناير سنة ١٩٣٨ م.

انْظِمِ الدَّرَّ تَوْءَمًا وَفَرِيدًا
وَإِذَا مَرَّ بِالنُّجُومِ خَيَالٌ
أَنْ يَا شَعْرُ أَنْ تُغْنِي فَأَرْسِلْ
أَسْكِتِ الصَّاحِحَاتِ يَهْتَفْنَ فِي الدَّوْ
حَفِظْتَ رَنَّةً وَقَدْ رَدَدَتْهَا
وَاضْعِدِ الْجَوَّ لِلسَّمَوَاتِ وَأَنْقُلْ
نَعَمَاتٍ مِنَ الْمَلَائِكِ تَسْرِي
صَفَقَ الْكَوْثَرِ الطُّهُورُ لِمَسْرَا
وَسَعَتْ صَوْبَ هَمْسِهَا كُلُّ حَوْرَا
وَالْتِهَالِيلُ تَمْلَأُ الْمَلَأَ الْأَعْمَ
فَرَحٌ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ بِالْفَا
غَنَ يَا شَعْرُ بِالْأَمَانِي حِسَانًا
أَجِدِ الْقَوْلَ مَا اسْتَطَعْتَ وَإِلَّا
عَجَزَ النَّايُ فَابْتَكِرْ مِنْ قَوَا
وَتَخَيَّرْ مِنَ الْخَمَائِلِ أَنْدَا
هَاتِهَا مَوْصِلِيَّةَ تَمْلِكُ السَّمِ
وَابْعَثِ الرُّوْضَ مِنْ كَرَاهُ وَقَبْلُ

وَأَمْلَأُ الْأَرْضَ وَالسَّمَاءَ نَشِيدًا^١
فَتَخَيَّرْ مِنَ النُّجُومِ عُقُودًا^٢
مِنْ قَوَافِيكَ مَا يَهْزُ الْوُجُودَا
ح وَكُنْ فِي عِشَاشِهَا تَغْرِيدَا
فَابْعَثِ اللَّحْنَ «جَارِمِيًّا» جَدِيدَا
لُغَةَ الْخُلْدِ إِنْ مَلَكَتْ صُعُودَا
فِي الْفَرَادِيسِ مَا عَرَفْنَ حُدُودَا
هَآ وَجَرَ الذُّيُولِ يَمْشِي وَثِيدَا^٣
ء تَدَانِي رَأْسًا وَتَعَطِفْ جِيدَا^٤
لَى وَتَعْنُو لِقُدْسِهِ تَمْجِيدَا^٥
رُوقِ فَازَتْ بِهِ الْبَشَائِرُ عِيدَا
ضَاحِكَاتٍ وَبِالزَّمَانِ وَدِيدَا^٦
فَمَتَى يَا نُرَى تَكُونُ مُجِيدَا
فِيكَ وَرَنَاتِهِنَّ نَايَا وَعُودَا
هَآ وَرَدَّدْ خِلَالَهَا تَرْدِيدَا^٧
ع وَطَرَّبْ بِهَا وَغَنَ «الرَّشِيدَا»^٨
وَجَنَاتٍ مِنْ زَهْرِهِ وَخُدُودَا^٩

وَتَمَلَّ نَحْوَكِ الْعُصُونُ قُدُودًا ١٠
يَا وَتَبَقَى عَلَى الزَّمَانِ خُلُودًا
أَنْتِ أُخْرَى بَأْنَ تَذِلُّ الْقِيُودًا ١١
نَفْسًا يَمَلُّ الْفَضَاءَ مَدِيدًا ١٢
رُ وَتَنْفِي عَنْ مُقْلَتِيهِ الرُّقُودَا
مِثْلَمَا هَزَّتِ الْفَتَاةُ الْوَلِيدَا
إِنْ رَنَا مُصْغِيًا يُرِيدُ الْمَزِيدَا
مِثْلَمَا يَنْقُدُ الشَّحِيحُ النُّقُودَا ١٣
رَ فَأَضَحَتْ لَهُ الْمَعَانِي عَبِيدَا ١٤
ءِ وَأَشْهَى مَسَاغَةَ وَوُودَا
رَ وَنَهَجًا مِنَ الْبَيَانِ سَدِيدَا ١٥
وَطَوَى الْأَرْضَ مَا يَمَلُّ وَخِيدَا ١٦
أَوَّلَ الدَّهْرِ مَا عَرَفْنَ الصُّدُودَا
وَرَأَهُ مَنْ لَا يُحِسُّ قَصِيدَا ١٧
رَ وَيَطْوِي ابْنَ هَانِي وَالْوَلِيدَا ١٨
هَ تَمَنَّى مُتَابِعُ أَنْ يُعِيدَا
رَ فَرِيدُ، فَهَاتِ قَوْلًا فَرِيدَا
كَتَمْتُهُ الْكُفَّانُ عَهْدًا عَهِيدَا ١٩
وَأَنْسَجَ الرُّوْضَ فِي الرَّبِيعِ بَرُودَا
فَلْتَكُنْ أَنْتِ فِي الْبَيَانِ وَحِيدَا

وَتَرْتَمِ تَجِبُ صَدَاكَ الْقَمَارِي
أَرْسِلِ الصَّوْتَ رَنَّةً تَمَلُّ الدَّنْ
لَا تُبَالِ الْقِيُودُ مِنْ فَاعِلَاتُنْ
سِرْ خَفِيفًا مَعَ النِّسَائِمِ وَابْعَثْ
يُنْصِتُ اللَّيْلُ حِينَ تُنْشِدُ يَا شَع
ضُمَّهُ بَيْنَ سَاعِدَيْكَ وَغَرِّدْ
لَا تَدْعُ فِي لَهَاةِ فَنِّكَ صَوْتًا
قَدْ نَقَدْنَا لَكَ الْقَوَافِي صَحَا حَا
وَجَمَعْنَا حُرَّ الْكَلَامِ الَّذِي عَزَّ
وَحَشَدْنَا الْأَلْفَاظَ أَنْقَى مِنَ الْمَا
وَبَعَثْنَا الْخَيَالَ سِحْرًا مِنَ السَّحْ
طَارَ فِي الْجَوِّ مَا يَمَلُّ زَفِيفًا
رَقَّةً لَوْ جَرَتْ بِسَمْعِ الْغَوَانِي
قَدْ رَأَاهُ مُتَقَفُّ الْجِسِّ وَحْيًا
سَارَ يَحْثُو التُّرَابَ فِي وَجْهِ بَشَا
كَلَّمَا قَامَ مُنْشِدُ الْقَوْمِ يَتْلُو
إِنَّ يَوْمَ الْفَارُوقِ يَوْمٌ عَلَى الدَّهْ
وَتَخَيَّرَ مِنْ سِحْرِ «مَنْفِيسٍ» سِرًّا
وَصُغَ الشَّمْسُ فِي الْأَصَائِلِ تَاجًا
إِنَّ «فَارُوقَ» فِي الْمُلُوكِ وَحِيدُ

يَلْقَى لَهُ بَيْنَ دَفَّتَيْهَا نَدِيدَا
وَمَدَى رَأْيِهِ تَرَاهُ بَعِيدَا
لَوْ مَشَتْ حَوْلَ سُدَّتِيهِ جُنُودًا ٢٠
لَوْ غَدَا فِي سَمَاءِ مِصْرَ بُنُودَا ٢١
يَرْهَبُ الدَّهْرُ سَيْفَهُ مَغْمُودَا
وَيَفُتُّ الصَّخْرَ الْأَصَمَّ الصُّلُودَا ٢٢

بَحَثَ الْمَجْدُ فِي الْعُصُورِ فَلَمْ
مَلِكُ فَضْلُهُ تَرَاهُ قَرِيبًا
خَدَمْتُهُ الْأَقْدَارُ حَتَّى تَمْنَتْ
وَتَمَنَّى اخْضِرَارُ كُلِّ نَبَاتٍ
هَمَّةٌ تَمْتَطِي السَّمَاءَ وَعَزْمٌ
وَتَبَاتَ يُدْمِي جَبِينِ اللَّيَالِي

مَكْرُمَاتٍ سَارَتْ بِكُلِّ مَسَارٍ مَثَلًا يَسْبِقُ الرِّيحَ شُرُودًا

يَا لِيَوَاءِ الْبِلَادِ أَيُّ لِيَوَاءِ لَا يُفَدِّي لِيَوَاكَ الْمَعْقُودَا؟^{٢٢}
صَانَهُ اللَّهُ فِي يَدَيْكَ فَخُذْهُ وَتَقَدَّمْ بِهِ قَوِيًّا جَلِيدَا^{٢٤}
وَجَدَ النَّصْرُ فِي ذُرَاهُ مَقِيلًا فَأَبَى أَنْ يَرِيمَ أَوْ أَنْ يَحِيدَا^{٢٥}
وَرَأَتْ مِصْرُ فِيهِ عِزًّا مَنِيعًا وَمَتَابًا رَحْبًا وَرُكْنًا شَدِيدَا^{٢٦}
أَنْتَ مِنْ مَعْشَرِ بَنَوِ فَارِعَ الْمَجْدِ بِدِ فَأَمْسَى بِمِصْرَ صَرْحًا مَشِيدَا^{٢٧}
عَرَفَ السَّيْفُ أَنَّهُمْ جُنْدُهُ الْبُسُ لُ إِذَا صَافَحَ الْحَدِيدُ الْحَدِيدَا^{٢٨}
أَسْعَدُوا شَعْبَهُمْ فَكَانُوا سَحَابًا وَحَمَوْا عَرْشَهُمْ فَكَانُوا أُسُودَا^{٢٩}
وَمَضَوْا لِلْعُلَا سِرَاعًا وَخَلَوْا أَنْجُمَ اللَّيْلِ جَاثِمَاتٍ هُجُودَا^{٣٠}
مَلَكُوا مِقْوَدَ اللَّيَالِي صِعَابًا وَلَوُوا هَامَةً الزَّمَانِ عَنِيدَا^{٣١}

يَوْمَ «فَارُوق» دُمَ عَلَى صَفْحَةِ الدِّ نَهَرَ حَفِيلًا بِالْبُشْرِيَّاتِ مَجِيدَا^{٣١}
لَبَسَتْ فِيكَ مِصْرُ أَرْهَى حُلَاهَا وَرَأَتْ فِيكَ يَوْمَهَا الْمَشْهُودَا^{٣٢}
عَبْدُهَا الدَّهْرُ وَاللَّيَالِي إِمَاءٌ وَالْأَمَانِي تُرِيدُهَا أَنْ تُرِيدَا^{٣٣}
فِي ظِلَالِ الْمَلِكِ عَزَتْ وَطَالَتْ وَاسْتَعَادَتْ فِرْدَوْسَهَا الْمَفْقُودَا^{٣٤}
وَعَدَتْ حَلَقَةً مِنَ الْمَجْدِ حَتَّى قَدْ ظَنَّنَا الطَّرِيفَ مِنْهُ تَلِيدَا^{٣٥}
أَقْبَلْتُ نَحْوَ سُدَّةِ الْمَلِكِ الْعَا لِي وَفُودًا تَتَلَوُ إِلَيْهِ وَفُودَا^{٣٦}
مَلَكُوا سَاحَةَ الْإِمَامَةِ حَتَّى خَافَتْ الْأَرْضُ مِنْهُمْ أَنْ تَمِيدَا^{٣٧}
وَاسْتَحَثُّوا الْخَطَا فَكَانُوا بَرُوقًا وَعَلَا صَوْتُهُمْ فَكَانُوا رُعُودَا^{٣٨}
وَالسُّرُورُ السُّرُورُ يَلْعَبُ بِالشَّعْرِ بِ كَمَا هَزَّتِ النِّسَائِمُ عُودَا^{٣٩}
ضَحِكَاتٌ تَهْفُو إِلَى ضَحِكَاتٍ وَوَعُودٌ بِالصَّفْوِ تَلْقَى وَوَعُودَا^{٤٠}
كُلُّهُمْ يَجْأَرُونَ بِالْعِزِّ لِلْفَا رُوقٍ وَالْعَيْشِ نَاضِرًا وَرَغِيدَا^{٤١}
كَبَّرُوا جِينَمَا رَأَوْكَ مُطِلًّا وَأَبْحُوا أَصْوَاتَهُمْ تَحْمِيدَا^{٤٢}
أَبْصَرُوا طَلْعَةً إِذَا مَا تَبَدَّتْ خَرَّتِ الشَّمْسُ وَالنُّجُومُ سُجُودَا^{٤٣}
وَرَأَوْا سَيِّدًا يُضِيءُ شَبَابًا بِاسْمًا كَالْمُنَى، وَيَهْتَزُّ جُودَا^{٤٤}

قَدْ عَرَسْتَ الْوَلَاءَ فِي كُلِّ قَلْبٍ فَتَفَيَّأُ فِي ظِلِّهِ مَمْدُودًا^{٣٩}

إِنَّ عَرْشًا أَسَاسَهُ مُهَجُّ الشَّعْبِ
فَانْظُرِ الشَّعْبَ لَا تَرَى غَيْرَ قَلْبٍ
مَا رَأَتْ مِصْرُ مِنْذُ أَيَّامِ عَمُرُو
قَدْ نَثَرْنَا لَكَ الْوُرُودَ قُلُوبًا
وَحَفِظْنَا لَكَ الْوَدَادَ نَضِيرًا
بِخَلِيقٍ بَأَنَّ يَكُونَ وَطِيدًا^{٤٠}
نَابِضٌ يَحْفَظُ الْوَلَاءَ الْأَكِيدَا
مِثْلُ أَيَّامِكَ الْحَسَانَ عُهُودًا^{٤١}
وَنَثَرْنَا لَكَ الْقُلُوبَ وَرُودَا
وَأَذَعْنَا لَكَ الثَّنَاءَ نَضِيدًا^{٤٢}

مَوْكِبٌ يَبْهَرُ الشُّمُوسَ وَمَجْدٌ
لَمْ يُشَاهِدْ سِوَاهُ بَعْدَ ابْنِ دَا
وَمَلِيكَ يَرْعَى إِلَهَهُ وَيَخْشَا
أَكْمَلَ الدِّينَ بِالزَّوْجِ فَأَسَدَى
فَرَحٌ شَامِلٌ بِهِ بَلَغَتْ مِصْرُ
كُلُّ بَيْتٍ بِهِ غِنَاءٌ وَشَدُو
تَتَمَنَّى الْأَغْصَانُ لَوْ رَقِصَتْ فِيهِ
وَتَوَدُّ النُّجُومُ لَوْ كُنَّ فِيهِ
حَمَلَقَ الدَّهْرُ مُذْ رَأَهُ سُمودًا^{٤٣}
وَدَّ سَنَا مُشْرِقًا وَمُلْكََا عَتِيدًا^{٤٤}
هُ وَيُعْلِي الْإِيمَانَ وَالتَّوْحِيدَا
مَثَلًا — لَوْ ذَرَى الشَّبَابُ — رَشِيدًا^{٤٥}
رُ مَنَاهَا وَحَظَّهَا الْمُنْشُودَا
عَلَّمَ الطَّيْرَ — إِنْ شَدَتْ — أَنْ تُجِيدَا
بِهِ مَكَانَ الْحَسَانِ هَيْفًا وَغِيدًا^{٤٦}
بَدَلًا مِنْ سَنَا الشُّمُوعِ وَقُودَا

يَا لِيَالِي الْفَارُوقِ كَوْنِي لِمَوْلَا
لَمَعَتْ فِي عِلَاكِ دُرَّةٌ خَدِرُ
بَلَغَتْ قِمَّةَ الْجَلَالِ فَأَمْسَى
مِنْ مِهَادِ النُّبْلِ السَّنِيِّ أَضَاءَتْ
وَزَهَتْ فِي مَقَاصِرِ الْمُلْكِ زَهْرَا
لِكَ رِفَاءٍ وَلِلْبِلَادِ سُعودًا^{٤٧}
كَرُمَتْ نَشَاءً وَطَابَتْ جُدُودًا^{٤٨}
كُلُّ مَجْدٍ لِمَجْدِهَا مَرْجُودَا
فَعَلَتْ كَوُكَبًا وَعَزَّتْ مُهُودَا^{٤٩}
ءَ فَرَّانَتْ مَقَامَهُ الْمَحْمُودَا^{٥٠}

يَا مَلِيكَ الْبِلَادِ فَاهِنًا بِمَا نِلَ
قَدْ أَشَدَّنَا بِفَضْلِكَ الْوَافِرِ الْجَمُّ
تَ سَعِيدًا جَمَّ الثَّنَاءِ حَمِيدَا
مَ إِذَا اسْطَاعَ شَاعِرٌ أَنْ يُشِيدَا

أَجْهَدَ الشَّعْرَ أَنْ يَرَى عَزَمَاتٍ يَعْجِزُ الْوَصْفُ دُونَهَا وَجْهُوْدَا
وَمَعَانِيكَ لَا تُحَدُّ فَمَادَا يَعْمَلُ الشَّعْرُ قَاصِرًا مَحْدُودًا؟
وَإِذَا مَا الْبَيَانَ عَقَّ لَبِيدًا فِي الْمَقَامِ الْمَهِيْبِ فَاغْزُرْ لَبِيدًا^{٥١}
عَشَّ وَحِيدَ الْجَلَالِ وَالْمَجْدِ وَأَسْعَدُ أَمَلُ الْمَجْدِ أَنْ تَعِيشَ سَعِيدًا
وَأَبْقَ لِلدِّينِ مَوْئِلًا وَعِمَادًا وَأَبْقَ لِلشَّرْقِ سَيِّدًا وَعَمِيدًا^{٥٢}

هوامش

- (١) الدر: اللآلئ العظيمة، الواحدة درة. التوعم: اسم لولد يكون معه آخر في بطن واحد، ويقال: توعم للذكر وتوعم للأنثى والجمع توائم، وهما توأمان وتوعم. وتوائم اللآلئ: ما تشابك منها. وفريدًا: واحدًا فرديًا، والفريد أيضًا: الدر الذي يفصل بين الذهب في القلادة المفصلة، فالدر فيها فريد.
- (٢) العقود: جمع عقد وهو القلادة.
- (٣) الكوثر: نهر في الجنة.
- (٤) صوب: جهة. الهمس: الصوت الخفي. حوراء: صفة من الحور وهو شدة بياض العين في شدة سوادها، تداني: تقرب. تعطف: تميل وتنثني. الجيد: العنق.
- (٥) التهاليل: جمع تهليل مصدر هلل أي قال: لا إله إلا الله. أو هو جمع تهليلة اسم مرة منه. والملا في الأصل: الجماعة، والمراد بالملا الأعلى هنا أهل السموات. تعنو: تخضع. القدس: الطهر. التمجيد: الإعظام والإجلال والثناء.
- (٦) الأمانى بالياء المشددة وقد خففت هنا لضرورة وزن الشعر: جمع أمنية وهي ما يحبه الإنسان ويتمناه. وديدًا: محبًا.
- (٧) الخمائل: جمع خميلة وهي الشجر الكثيف. أُنْدَى: اسم تفضيل من ندي بمعنى ابتل. والمراد أنضرها وأجملها.
- (٨) موصلية: نسبة إلى إسحاق بن إبراهيم الموصلی مغني الرشيد والمضروب به المثل في تجويد الغناء وتنويعه والتفنن فيه وهو فارسي الأصل، وقد أخذ الغناء عن أبيه وأمه إذ كانا مغنيين مشهورين. الرشيدا: هارون الرشيد خامس خلفاء بني العباس ومن أعظمهم شهرة وأبعدهم صيتًا. تولى الخلافة من سنة ١٧٠هـ إلى سنة ١٩٣هـ.
- (٩) الكرى: النعاس. الوجنات: جمع وجنة وهي من الإنسان ما ارتفع من لحم خده.

(١٠) القماري: جمع قمري أو قمرية لنوع من الحمام كأنه منسوب إلى القمرة وهي لون إلى الخضرة أو بياض فيه كدرة، وقد خففت ياء القماري هنا لضرورة وزن الشعر. القدود: جمع قد. وهو قامة الإنسان وحسن اعتداله.

(١١) فاعلاتن: من أجزاء الشعر وتفاعيله التي يوزن بها وتتألف منها بحوره. أخرى: أجدر وأحق.

(١٢) خفيفًا: صفة من الخفة. والخفيف أيضًا أحد بحور الشعر. وأجزاؤه فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن مرتين، والقصيدة من هذا البحر، ففي هذه الكلمة تورية لطيفة. مديدًا: صفة لنفسًا بمعنى ممدود منبسط طويل. والمديد أيضًا ثاني بحور الشعر، وأجزاؤه فاعلاتن أربع مرات وهو مجزوء وجوبًا، وفي مديد تورية أيضًا.

(١٣) نقد الدراهم من باب نصر: أخرج منها الزيف أو نظرها ليعرف جيدها وزيفها.

(١٤) يريد بحر الكلام: جيده.

(١٥) النهج: الطريق الواضح. البيان: الفصاحة واللسن. سديد: الصواب والقصد والاستقامة.

(١٦) الزفيف: مصدر زف الطائر يزف بكسر الزاي زفًا وزفيفًا إذا بسط جناحه وأسرع في طيرانه. وطى الأرض: كناية عن السير فيها. الوخيد: نوع من سير الإبل وهو الإسراع أو أن يرمي البعير بقوائمه كمشي النعام أو سعة الخطو.

(١٧) الوحي: الإلهام. القصيد: جمع قصيدة، أو القصيدة من الشعر ما تم شطر أبياته، وليس إلا ثلاثة أبيات فصاعدًا أو ستة عشر فصاعدًا.

(١٨) يحثو التراب: يقبضه بيده ثم يرميه، وهذا كناية عن الازدراء والتحقير. وبشار بن برد: من الشعراء المخضرمين في الدولتين الأموية والعباسية. كان نابغة زمانه في الفصاحة والشعر، وهو أول من جمع في شعره بين جزالة العرب ورقة المحدثين ومهد طريق الاختراع والبديع للمتفنين وقد مات مقتولاً سنة ١٦٧هـ بعد أن نيف على التسعين. وابن هانئ: هو أبو نواس الشاعر المبدع وقد أجاد في كل فنون الشعر، وبرع في المجون والغزل ووصف الخمر ومجالسها، مات سنة ١٩٦هـ والوليد: هو أبو عبادة الوليد بن عبيد الطائي البحثري من أشهر شعراء الدولة العباسية، وأحد الذين سارت بذكرهم الركبان وخلد شعرهم الزمان. ولد سنة ٢٠٦هـ بناحية «منبج» بين حلب ونهر الفرات، ولازم وهو فتى أبا تمام الشاعر المشهور وعليه تخرج واقتبس طريقته في البديع

من غير إفراط. ثم اتصل بالخليفة العباسي جعفر المتوكل على الله ووزيره الفتح بن خاقان ومدحهما وأقام في خدمتهما إلى أن قُتلا، فرجع إلى «منيج» وبقي يختلف أحياناً إلى رؤساء بغداد وسر من رأى حتى مات سنة ٢٨٤هـ.

(١٩) «منفيس»: مدينة قديمة أنشأها الملك «ميناً» أول الفراعنة الذين جلسوا على عرش مصر قبل ميلاد المسيح بنحو ثلاثة آلاف وخمسمائة سنة، وكانت حاضرة البلاد المصرية في ذلك العهد ومقر الملك وموطن السحر والعظمة والبهاء والجلال، وموقعها الآن البدرشين وميت رهينة وعلى مقربة منها أهرام سقارة ودهشور وفي شمالها الغربي أهرام الجيزة المشهورة. وبقيت منف رقيقة القدر عالية الشأن بعيدة الصيت إلى أن انقرضت الدولة المصرية القديمة بانقراض الاسرة الثامنة حوالي ٢١٦٠ ق.م.

(٢٠) السدة: باب الدار، أو فناء البيت.

(٢١) البنود: جمع بند وهو العلم الكبير، وفيه إشارة إلى اللون الأخضر لعلم مصر حينئذ.

(٢٢) الأصم: الصلب المصمت. الصلود: الصلب الأملس.

(٢٣) اللواء: العلم.

(٢٤) جليداً: قوياً شديداً صبوراً.

(٢٥) الذرا: الكنف والستر. الم قيل: اسم مكان من قال من باب باع أي نام في الظهيرة، والمراد بالم قيل هنا المستقر والمكان الذي يجد فيه الإنسان راحته وطمأنينته. يريم: يبرح. يحيد: يميل ويعدل وينصرف.

(٢٦) منيعاً: قوياً عزيزاً مكيناً. المثاب: مجتمع الناس بعد تفرقهم، أو هو المرجع. الركن: الجانب الأقوى، وما يقوى به من ملك وجند وغيره.

(٢٧) الفارع: الرفيع العالي. الصرح: القصر وكل بناء عال. مشيداً: مطلياً بالشيد وهو ما طلي به حائط من جص ونحوه.

(٢٨) حماه: دفع عنه ومنعه وصانه.

(٢٩) خلوا: تركوا. جاثمات: جمع جاثمة اسم فاعل من جثم الطائر ونحوه إذا تلبذ بالأرض. هجوداً: نائمات.

(٣٠) المقود: الحبل تقاد به الدابة. صعباً: جمع صعبة، وهي حال من الليالي. لوى رأسه: أماله. الهامة: الرأس. عنيداً: حال من الزمان وهي صفة من العناد بمعنى الخلاف والعصيان.

- (٣١) حفيلاً: ممتلئاً.
- (٣٢) الإماء: جمع أمة. الأمانى: جمع أمنية وهي ما يتمناه الإنسان ويريده.
- (٣٣) الطريف: الجديد المستحدث. التليد: القديم.
- (٣٤) السدة: باب الدار أو فناؤها.
- (٣٥) الساحة: الفضاء المتسع أمام الدار. تميد: تتحرك وتهتز.
- (٣٦) استحثوا الخطا: أسرعوا.
- (٣٧) تهفو: تذهب وتسرع.
- (٣٨) يجأرون: يرفعون أصواتهم بالدعاء ويتضرعون.
- (٣٩) الولاء: الحب. تفيأ بالشجرة: استظل بها.
- (٤٠) المهج: جمع مهجة وهي دم القلب أو النفس والروح. وطيد: ثابت مستقر مكين.
- (٤١) عمرو بن العاص: أحد دهاة العرب وساستهم وقوادهم الذين سارت بذكرهم الركبان، وخلص مجدهم الزمان، وقد فتح مصر بإذن من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب سنة ٢٠هـ/ ٦٤٠م، ثم كان والياً عليها من قبله فأقام فيها ميزان العدل ونشر في ربوعها الأمن والطمأنينة والرخاء.
- (٤٢) نضيداً: كثيراً منظوماً يتبع بعضه بعضاً. وأصلها من نضد متاعه إذا وضع بعضه على بعض.
- (٤٣) سموذاً: حيرة وولهاً.
- (٤٤) ابن داود: هو سيدنا سليمان — عليه السلام — وقد أشاد القرآن بجلال ملكه وعظمته في سورة ص وغيرها ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ * فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ * وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَعَوَّاصٍ * وَأَخْرَيْنَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ * هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٥-٣٩ سورة ص﴾. السناء: الضوء. العتيد: العظيم.
- (٤٥) أسدى إليه معروفاً: اتخذه عنده. رشيد: صفة من الرشاد وهو الهدى والصواب.
- (٤٦) هيف: جمع هيفاء وهي المرأة الضامرة البطن والخاصرة. غيد: جمع غيداء، وهي المرأة الناعمة المتثنية لينا.
- (٤٧) مولاك: صاحبك وسيدك. الرفاء: الوفاق والالتئام وجمع الشمل.

(٤٨) الدرة: اللؤلؤة العظيمة شبه بها الشاعر الملكة «فريدة». الخدر: الستر، ويطلق

الخدر على البيت.

(٤٩) المهود: جمع مهد.

(٥٠) المقاصر: جمع مقصورة وهي الحجرة. زهراء: حسناء بيضاء نضيرة.

(٥١) البيان: الفصاحة واللسن والبلاغة. عصى: لبيد: هو أبو عقيل لبيد بن

ربيعة العامري كان في الجاهلية سيّدًا شاعرًا مجيدًا، وفارسًا حكيمًا شريفًا. وهو من

بني عامر بن صعصعة إحدى بطون هوزان من مضر، وأمه عبسية، وهو من أصحاب

المعلقات، وقد عمر حتى ظهر الإسلام فأسلم وتنسك وحفظ القرآن كله وهجر الشعر.

(٥٢) موئلاً: ملجأ. العماد: الأبنية الرفيعة واحدها عمادة. العميد: السيد والرئيس.

تمثال سعد

احتفلت الحكومة المصرية برفع الستار عن تمثال سعد زغلول باشا بالقاهرة والإسكندرية في صيف سنة ١٩٣٨م.

وَتَرَفَّقَ بِهَامَةِ الْجَوَزَاءِ^١
 لَى تَجَلَّى مُحَلَّقًا فِي السَّمَاءِ^٢
 وَتَرَكَ الْعُيُونُ لَمَحَ رَجَاءِ^٣
 بَ فَتَمَضِي فِي رَهْبَةٍ وَحَيَاءِ
 ضِ فَقَارَتْ بِهِ طِبَاقُ الْجَوَاءِ^٤
 شَمَاءَ أُولَى بِالْقِمَّةِ الشَّمَاءِ؟^٥
 هِ فَيَجْتَازُ مُسْتَسِرَّ الْخَفَاءِ^٦
 مِنْ ضِيَاءٍ لَا مِنْ حُرُوفِ الْهَجَاءِ
 جَلَّ مَكْنُونُهُ عَنِ الْإِفْشَاءِ^٧
 قُ وَمَدَّ الْأَعْنَاقَ لِلْإِضْغَاءِ
 حُرْمَتُهُ مَقَاوِلُ الْبُلْغَاءِ
 عَنِ قُيُودِ الْأَفْعَالِ وَالْأَسْمَاءِ^٨
 بَالٌ أَنْ يَحْتَوِيهِ جَوْفُ إِنَاءِ^٩
 تَجِدُ الْغَيْبَ كُلُّهُ فِي الْوِعَاءِ^{١٠}
 وَمَعْنَى ضَخْمٍ قَصِيرِ الرِّدَاءِ
 أَخْمَدَتُهُ فَهَامَةُ الْفَأَفَاءِ^{١١}

أَمَلِ الْأُنُقَ مِنْ سَنًا وَسَنَاءِ
 وَأَسْمُ نَحْوِ السَّمَاءِ كَالْمَثَلِ الْأَعِ
 تَجْتَلِيكَ النُّفُوسُ طَالِعِ سَعْدِ
 رَافِعُ رَأْسُهُ يَشْقُ بِهِ السُّحِ
 شَمِّمْ عَافَ أَنْ يَعِيشَ عَلَى الْأَرْ
 مِنْ سَوَى ذِي الْمَضَاءِ وَالْهَمَّةِ الشَّ
 نَاطِرُ يَعْبُرُ الْوُجُودَ بِلَحْظِيهِ
 تَتَجَلَّى لَهُ الْحَيَاةُ سَطُورًا
 وَيَرَى مِنْ وَرَائِهَا كُلَّ سِرِّ
 وَاقِفُ كَالْخَطِيبِ فَاَنْتَبَهَ الشَّرُّ
 رَبُّ صَمِتٍ مِنَ الْبَيَانِ رَهِيْبِ
 وَإِذَا جَلَّتِ الْمَعَانِي تَسَامَتْ
 يَتَأَبَّى السَّيْلُ الَّذِي يَصْدَعُ الْأَجْ
 وَإِذَا لَمْ تَعِ الْمَعَانِي فَتَنْقَبِ
 بَيْنَ مَعْنَى قَزَمٍ يَجُرُّ رِدَائِيهِ
 رَبُّ فِكْرٍ فِي النَّفْسِ وَهُوَ مُضِيءٌ

* * *

كَانَ فِي مَوْتِهِ مِنَ الْخُلْدِ مَعْنَى
عِشْتُ حُرًّا، فَكَانَ خَيْرَ قَرِينٍ
تَزِدْهُي الطَّيْرُ بِالزَّعِيمِ وَتَهْفُو
كُلَّمَا غَنَّتِ الْبِلَادُ بِسَعْدٍ
وَهُوَ عَالٍ كَذِكْرِهِ، مَلَأَ الْأَرْضَ
إِنَّ مَنْ لَمْ يُبَالِ بِالمَوْتِ حَيًّا
فَوْقَ مَعْنَى الْحَيَاةِ وَالْأَحْيَاءِ
لَكَ بَعْدَ الْحَيَاةِ طَلُقَ الْهُوَاءُ^{١٢}
بِجَنَاحَيْنِ مِنْ هَوَى وَوَفَاءٍ
رَدَدْتُ فِي السَّمَاءِ لَحْنَ الْغِنَاءِ
ضً، وَاللَّوَى بِعَاصِفَاتِ الْفَنَاءِ^{١٣}
فَارَ مَنْ بَعْدَ مَوْتِهِ بِالبَقَاءِ

* * *

فِي صَفَاءٍ مِنَ الطَّبِيعَةِ كَالْحَقِّ
تَقْبِسُ الشَّمْسُ نُورَهَا مِنْهُ فِي الصُّبِّ
فِي حَفِيفٍ مِنَ النَّسِيمِ رَفِيقٍ
لَا يُبَالِي الْأَنْوَاءِ مِنْ بَعْدِ مَا عَا
تَحْتَهُ النَّيْلُ فِي الْخَمَائِلِ يَمْشِي
سَارَ يُزْهِى بِشَاطِئِهِ طَلِيقًا
يَرَارُ الْمَوْجُ فِيهِ غَضَبَانِ أَنْ ضَا
هُوَ مَجْرَى مِنَ الْبَشَائِرِ وَالْآ
هُوَ جِينًا حَوْلَ الرُّبَا مِنْ نُضَارٍ
قَبْلَتَهُ الْأَزْهَارُ وَهُوَ أَبُوهَا
ق، إِذَا لَمْ يَشْنُهُ ثَوْبُ الرِّيَاءِ^{١٤}
ح، وَزُهِرُ النُّجُومِ عِنْدَ الْمَسَاءِ^{١٥}
وَجَمِيمٍ عَذْبٍ مِنَ الْأَنْدَاءِ^{١٦}
شَ حَيَاةً كَثِيرَةً الْأَنْوَاءِ
خَافِضًا طَرْفَهُ عَلَى اسْتِحْيَاءِ
نَحْنُ أَدْرَى بِنِعْمَةِ الطَّلَاقِ
قَ بِمَا يَسْتَحِقُّ مِنْ إِطْرَاءِ
مَالٍ مُثْلَنٍ فِي غَرِينٍ وَمَاءِ^{١٧}
وَهُوَ جِينًا مِنْ فِضَّةٍ بَيْضَاءِ
كَمْ حَنَانٍ فِي قُبْلَةِ الْأَبْنَاءِ!

* * *

قَفْ كَمَا شَدَّتْ وَقَفَةً اللَّيْثُ يَا سَعْدَ
مِصْرُ غِيلِ الشَّرْقِ الَّذِي عَلَّمَ الْأُسْدَ
نَابَهَا الْحُجَّةَ الضَّرُوسَ، وَأَظْفَا
رَأَرْتُ مِصْرَ فَاسْتَطَارَ لَهَا الشَّرُّ
وَأَمَاطَ الْحِجَابَ عَنْ نَاطِرِيهِ
قَفْ مُشِيرًا إِلَى الْفَضَاءِ، فَذَكَرَا
دُ، قَلِيلَ الْأَنْدَادِ وَالنَّظَرَاءِ
دَ صَيَانَ الْحِمَى، وَفَنَكَ الضَّرَاءِ^{١٨}
رُ يَدِيهَا عَزِيمَةَ الْبُسْلَاءِ^{١٩}
قُ، وَلَبَّى مُثَوَّبًا لِلنَّدَاءِ^{٢٠}
وَمَضَى يَسْتَخِفُّ بِالْأَزْرَاءِ^{٢١}
كَ مَدَى الدَّهْرِ مِلءُ هَذَا الْفَضَاءِ

حَفِظْتُهَا الْإِبْنَاءُ أَنْشُودَةَ الْمَهْـدِ، وَكَانَتْ عَقِيدَةَ الْآبَاءِ

قَفْ وَشَاهِدْ مَصْرَ الطَّلِيقَةِ تَجْرِي
نَحْنُ أُخْرَى بِالرَّسْمِ مِنْ أَلْفِ مَثَا
ذَهَبَ الْقَيْدُ فِي الرِّيَّاحِ وَوَلَّى
لَيْسَ يَدْرِي حَلَاوَةَ النُّجُجِ إِلَّا
وَنَعِيمُ السَّرَّاءِ يَجْهَلُ مَعْنَا
مَرْحَبًا بِالشَّدَايِدِ الدُّهْمِ، يَتَلَوُ
عَلَّمْتَنَا أَلَّا نَبِيتَ عَلَى ضِيءٍ
وَأَرْتَنَا أَنَّ النِّهَايَةَ لِلصَّبِّ
كِبْرِيَاءُ الشُّعُوبِ سِرٌّ غَلَاهَا

شَوَّطَهَا، فِي تَوْتُبٍ وَمَضَاءٍ
لِ، وَأَدْرَى بِشِيْمَةِ النُّبَغَاءِ
وَبَدَا وَجْهَهَا وَضِيءَ الرُّوَاءِ ٢٢
كَادِحٌ ذَاقَ فِيهِ مَرُّ الْعَنَاءِ
هُ فَتَى لَمْ يَمَسَّ بِالضَّرَاءِ
هَآ صَبَاحٌ مِنْ نِعْمَةٍ وَرَخَاءِ
مِ، وَلَا نَبْكَى بُكَاءَ الْإِمَاءِ ٢٣
رِ إِذَا حَاطَهُ كَرِيمُ الْإِبَاءِ
لَمْ تَسُدْ أُمَّةٌ بِلَا كِبْرِيَاءِ

إِنَّ تَمَثَالَكَ الَّذِي هُوَ رَمَزُ
بَارِزٍ فِي الضَّمِيرِ مِنْ كُلِّ نَفْسٍ
قَدْ أَجَادَ الْمَثَالَ مَا تَصْنَعُ الْكَفْ
غَيْرَ أَنَّ النَّفْسَ الْكَبِيرَةَ خَلَقَ
مَنْ تَرَى يَسْتَطِيعُ تَصْوِيرَ فِكْرٍ
مَنْ تَرَى يَسْتَطِيعُ تَصْوِيرَ رَأْيٍ
أَيْنَ مَنْ يَرِسُّ الشَّهَامَةَ وَالْحَقَّ
أَيْنَ مَنْ يَرِسُّ الْإِبَاءَ عَزِيزًا
صَوَّرُوا شَخْصَهُ وَخَلَّوْا الْمَعَانِي
يَصْعَدُ الشَّعْرُ حَيْثُ لَا تَصِلُ الشَّمْـ
هُوَ حُطُّ الْجَمَالِ فِي صَفْحَةِ الْكُوْ

لِلْأَمَانِي، وَالْهَمَّةُ الْقَعَسَاءُ ٢٤
بَاعَتْ نُورَهُ إِلَى كُلِّ رَائِي
نَفْ، وَمَا يَسْتَطِيعُ وَحْيُ الذِّكَا
فَوْقَ طَوْقِ التَّصْوِيرِ وَالْإِيحَاءِ ٢٥
لَكَ أَمْضَى مِنْ رَجْعَةِ الْأَصْدَاءِ؟
أَلْمَعْيِ كَالْكُوكِبِ الْوَضَاءِ؟ ٢٦
قَ وَضِيءَ السَّنَا بَعِيدَ السَّنَاءِ؟ ٢٧
وَجَلَالَ الْهُدَى وَنُبْلَ السَّرَّاءِ؟ ٢٨
وَدَعُوَهَا لِرِيْشَةِ الشُّعْرَاءِ
سُ، وَيَبْقَى عَلَى مَدَى الْآثَاءِ
نِ، فَهَلْ لِلْجَمَالِ مِنْ قُرَّاءِ؟

شَرْفًا سَعْدُ، قَدْ لَقِيتَ مِنَ الْفَا
رُوقٍ مَا أَنْتَ أَهْلُهُ مِنْ حَفَاءِ

مَلِكٌ يَقْدُرُ الرِّجَالَ، وَتَعْلُو فِي حِمَاهُ مَرَاتِبُ الْعُظَمَاءِ
كُلَّمَا أَثْنَتِ الْمَعَالِي عَلَيْهِ كَانَ فَوْقَ الْعُلَا وَفَوْقَ الثَّنَاءِ
حُبُّهُ جَمَعَ الْقُلُوبَ كَمَا تَج مَعَ بَلُورَةِ شَتِيتِ الضِّيَاءِ
حِكْمَةُ زَانِهَا الشَّبَابُ فَأُضْحَتْ قَبَسًا لِلْهُدَاةِ وَالْحُكَمَاءِ^{٢٩}
وَجَلَالُ لِمِثْلِهِ يَخْشَعُ الطَّرُ فُ، وَتَعْنُو الْقُلُوبُ بِالْإِيمَاءِ^{٣٠}
قَدْ قَدَيْنَا لِوَاءَهُ فِي يَدَيْهِ وَقَدَيْنَاهُ حَامِلًا لِلَّوَاءِ^{٣١}
هَتَفَ الْمَجْدُ بِاسْمِهِ وَاسْتَضَاءَتْ بِسَنَاهُ زَعَامَةُ الزُّعَمَاءِ
قَدْ مَلَأَتْ الْوُجُودَ شِعْرًا بِمَدْحِهِ هِ، وَمَا زِلْتُ بَيْنَ بَاءٍ وَتَاءٍ
يَنْتَهِي جُهْدُ كُلِّ مَدْحٍ وَوَصْفٍ وَمَدَى فَضْلِهِ بِغَيْرِ انْتِهَاءِ

هوامش

- (١) سنا: ضوء. سناء: رفعة وشرف. هامة: رأس كل شيء وجمعه الهام. الجوزاء: برج في السماء.
- (٢) اَسْمُ: اَعْلُ.
- (٣) تجتليك: تستبينك وتراك.
- (٤) الشمم: الأنفة والإباء. عاف: كره ومل. طباق: طبقات. الجواء: جمع جو.
- (٥) المضاء: النفاذ والإرادة القوية. السماء: العالية.
- (٦) يعبر: يجتاز. اللحظ: مؤخر العين. مستسر: مستتر.
- (٧) جل: عظم واستعصى. مكنونه: مستوره.
- (٨) جلت: عظمت. تسامت: تعالت وعظمت.
- (٩) يصدع: يشق.
- (١٠) لم تع: لم تستبين. نقب: ابحث.
- (١١) أخدمته: أخفته. فهاهة: عي. الفأفاء: مردد الفاء في كلامه من العي.
- (١٢) قرين: مثيل ونظير.
- (١٣) ألوى بعاصفات الفناء: ذهب بها وسحقها.
- (١٤) لم يشنه: لم يعبه. الرياء: إظهار خلاف الباطن.
- (١٥) تقبس: تستمد وتأخذ. زهر النجوم: الكواكب المشرقة.

- (١٦) الأنداء: جمع ندى.
- (١٧) مثلن: صورن. الغرين: ما يحمله ماء النيل من الطين.
- (١٨) الغيل: الشجر الكثير الملتف وهو موضع الآساد. صيان: حفظ. الحمى: ما يحمى ويحافظ عليه كالوطن. الضراء: جمع ضرو كذئب وهو الحيوان الضاري.
- (١٩) الضروس: الطاحنة.
- (٢٠) استطار: أسرع. مثنوياً: مقبلاً أو مردداً الإجابة.
- (٢١) أماط: نحى وأبعد. الأرزاء: جمع رزء وهو المصيبة.
- (٢٢) الرواء: حسن المنظر.
- (٢٣) ضيم: ذل وظلم. الإماء: جمع أمة وهي الجارية.
- (٢٤) القعساء: العالية.
- (٢٥) طوق: قدرة. الإيحاء: الإلهام.
- (٢٦) الرأي الأملعي: الرأي السديد الواضح.
- (٢٧) وضيء السنا: ظاهر الوضوح. بعيد السناء: عظيم العلو.
- (٢٨) نبيل السراء: عظمة الشرف.
- (٢٩) قَبَسًا: شعلة من النار.
- (٣٠) تعنو: تخضع. الإيماء: الإشارة.
- (٣١) اللواء: العلم.

الدكتور علي إبراهيم باشا

أنشدت هذه القصيدة في قاعة الاحتفالات الكبرى بجامعة القاهرة في حفل تكريم الجراح علي إبراهيم باشا بمناسبة بلوغه سن الستين عام ١٩٤١م، وكان وزيراً للصحة حينئذ.

ذُؤَابَةٌ مَجِيدٍ مَا أَجَلٌ وَمَا أُسْمَى
وماذا يقولُ الشعرُ والوهمُ جُهِدُهُ
وَأَنْنَى يَمْدُ ابْنِ الْقَوَافِي جَنَاحَهُ
يَضِيقُ الْبَيَانُ الْعَبْقَرِيَّ مَهَابَةً
يَهْمُ فَيَعْرِوهُ الْقُصُورُ فَيَنْثَنِي
وَمَنْ رَامَ تَصْوِيرَ الْمَلَائِكِ جَاهِدًا
رُؤْيَدَكَ قُلْ يَا شَعْرُ مَا تَسْتَطِيعُهُ
إِذَا الْيَمُّ أَعْيَا أَنْ تُلِمَّ بِحَدِّهِ
وَيَكْفِيكَ أَنْ تَدْعُو أَبَا الطَّبِّ بِاسْمِهِ
فَقُلْ وَانْتَرِ الْأَزْهَارَ فَوْقَ مَنَاقِبِ
وَحُذْ مَنْ قَمَ الدُّنْيَا الثَّنَاءَ فَطَالَمَا
وَحَدَّثَ بِهِ الْأَفَاقَ إِنْ شِئْتَ، إِنَّهَا

وَوُثْبَةٌ شَأُو كَادَ يَسْتَبِقُ النُّجْمَا^١
وَقَدَّرَ «عَلِيٌّ» يَبْهَرُ الشَّعْرَ وَالْوَهْمَا؟
إِلَى رَقْمَةٍ شَمَاءَ أَعْجَزَتِ الْعُصْمَا؟^٢
إِذَا لَمَحَ الْآثَارَ وَالْحَسَبَ الضُّخْمَا
وَقَدْ كَانَ يَقْتَادُ النُّجُومَ إِذَا هَمَّا^٣
فَكَيْفَ لَهُ أَنْ يُحْكِمَ النُّقْشَ وَالرُّسْمَا؟^٤
وَعَرَّدَ بِمَا لَا تَسْتَطِيعُ لَهُ كُتْمَا
فَيَكْفِيكَ عِنْدَ الشَّطِّ أَنْ تَصِفَ الْيَمَّا^٥
فَإِنَّ الْعُلَا صَارَتْ لَهُ لَقَبًا وَاسْمَا^٦
تَمَاتْلُهَا حُسْنًا، وَتَشَبَّهُهَا شَمَّا^٧
أَشَادَتْ بِهِ نَثْرًا، وَغَنَّتْ بِهِ نَظْمَا
وَقَدْ عَرَفْتَهُ، لَنْ تَزِيدَ بِهِ عِلْمَا

دَعُونِي أَوْفِي بِالْقَرِيضِ دِيُونَهُ
سَمَوْتُ إِلَيْهِ، وَالظَّلَامُ يُلْفَنِي
فَقَدْ عَادَ غُرْمًا مَا تَوَهَّمْتَهُ غُنْمَا
فَيَمْلُونِي رُغْبًا، وَأَمْلُوهُ هَمًّا^٨

أسيرُ وفي قلبي من الحزن لوعةٌ
تركتُ بيتي جُثَّةً أدميةً
شكتُ سُقمها حتى بكاهها وسادها
يمزقها الموتُ العنيفُ صراعهُ
ففي البطن قَرْحٌ لا يَكْفُ لهيبهُ
إذا قلبَتْها العائداتُ حَسِبْنها
وقد وقف الطبُّ الحديثُ حيالها
وغادرها جَمْعُ الأساةِ كأنهم
فلم يبقَ إلَّا اليأسُ، واليأسُ قاتلُ
فقلتُ: «عليّ» ليس للأمر غيره
أبو الحسنِ الجَرَّاحُ فخرُ بلاده
فَزُرْ داره يلقاك قبل ندائه
فما سرتُ نحو البابِ حتى رأيته
وقد فهمتني عينه وفهمته
وجاء وجِبْرِيلُ الأمينُ أمامهُ
وجسَّ مكانَ الداءِ أوَّلَ نظرةٍ
فما هو إلَّا مَبْضَعُ في يمينه
وردَّ إلى أهلي حياةً عزيزةً
متى ذكروه في خُشوعٍ تذكروا
إذا ما امرؤُ أهدى الحياةَ لميِّتِ

تكادُ تُذيبُ الصَّمَّ لو مسَّتِ الصُّمَّ^٩
كأنَّ هلالَ الشكِّ كان لها جسمًا^{١٠}
وكاد عليها يشتكي السُّهْدُ والسُّقْمَا
بأظفاره حُمْرًا، وأنْيابه سَحْمًا^{١١}
وفي الرأسِ نارٌ لا تبوُّخُ من الحُمَّى^{١٢}
خيالًا، فلا عَظْمًا يَرَيْنَ ولا لحمًا^{١٣}
عَييًا، يكادُ العجزُ يقتله غمًا^{١٤}
طيورٌ رمى الرامي بدوْحَتِها سَهْمًا^{١٥}
وأقتلُ منه نيَّةً لم تجدُ عَزْمًا
إذا ما أدار الدهرُ صفحتَه جَهْمًا^{١٦}
وأكرمُ مَنْ يُرْجَى، وأشرفُ مَنْ يُسْمَى
فَنَمَّ الذي ترجوه من أملٍ ثَمًّا^{١٧}
تقدَّمَ بَسَامُ الأسايرِ مُهْتَمًّا
وكان بحمدي الله أَسْرَعُنا فهما
يَمُدُّ جَنَاحًا من حنانٍ ومن رُحْمَى
كأنَّ له عِلْمًا بموضِّعه قَدَمًا^{١٨}
أطاح بَنابِ الموتِ، واستأصلَ السَّما^{١٩}
وبدَّلهم من بُؤسِ أيامهم نُعْمَى
مأثَرَهُ الجُلَى، ونائلَهُ الجَمَّا^{٢٠}
فذلك قد أهدى الوجودَ وما ضَمًّا

* * *

له مَبْضَعُ تجري الحياةُ بحدِّه
أَحَنُّ على المجروحِ من أمٍّ واحدٍ
تعلَّم منه البرقُ سُرْعَةً حَظْفِهِ
تكادُ وقد شاهدتَ وَمَضَ مَضَائِهِ
كأنَّ به نورًا من الله ساطِعًا
أصابعُ أَجْدَى خِبْرَةٍ من أشعَّةِ

يُصيبُ حُشاشاتِ المنونِ إذا أَدْمَى^{٢١}
وأرفقُ من طِفْلِ إذا داعبَ الأمَّا
إذا ما جرى يستأصلُ اللحمَ والعظما
تظنُّ الذي شهدتَ من عَجَبٍ حُلْمًا^{٢٢}
يُضيءُ له نَهْجُ الطَّرِيقِ إذا أَمَّا^{٢٣}
وأصدقُ إنْ مرَّتْ على جَسَدٍ حُكْمًا

فَكَمْ مِنْ حَيَاةٍ فِي أَنْامِلِهَا التِّي
وَكَمْ مِنْ يَدٍ أَسَدَتْ، إِذَا شَتَّتَ وَصَفَهَا
زَهَا الشَّرْقُ إِعْجَابًا بِهِ وَبِمِثْلِهِ
إِذَا قَسَمَ اللَّهُ الْكَرِيمُ لِلَّامَةِ
تَكَادُ شِفَاهُ الطَّبِّ تَلِثُمُهَا لَثْمًا^{٢٤}
ضَلِلَتْ بِهَا كَيْفًا، وَأَخْطَأَتْهَا كَمَا^{٢٥}
وَقَدْ عَاشَ دَهْرًا قَبْلَهُ يَشْتَكِي الْعُقْمَا^{٢٦}
بِنَابِغَةِ فَرْدٍ، فَقَدْ أَجْزَلَ الْقَسْمَا^{٢٧}

هَنِيئًا لَكَ الْعَمْرُ السَّعِيدُ فَإِنَّهُ
بَلَغْتَ بِهِ عُلْيَا السَّنِينَ وَكُلُّهَا
كَأَنَّكَ مِنْهُ فَوْقَ زُرُوقِ شَامِخِ
زَمَانٍ مَضَى فِي الْجَدِّ مَا مَسَّ شُبْهَةً
بَنَيْتَ بِهِ عِرَا لِمَصْرَ فَأَيْنَمَا
بَذَلْتَ لَهَا مِنْ صِحَّةٍ وَرَفَاهَةٍ
وَأَلْهَمْتَهَا مَعْنَى الثَّنَاءِ وَلَفْظُهُ
إِذَا كَانَ لِلرَّحْمَنِ فِي النَّاسِ آيَةٌ
تَلَأْلُؤُ رَأْيٍ يَسْلُبُ الشَّمْسَ ضَوْءَهَا
فَإِنْ كَرَّمْتِكَ الْيَوْمَ مَصْرُ فَإِنَّمَا
فَقُلْ لِلَّذِي يَبْغِي لِحَاقَكَ جَاهِدًا:
إِذَا مَا رَأَى النَّاسُ الْمَكَارِمَ حِلْيَةً
فَعِشْ وَامْلَأِ الدُّنْيَا حَيَاةً وَذُكْرَةً
عُصَارَةً دَهْرٍ ضَمَّتِ الْعِزَمَ وَالْحِزْمَا
مَدَارُجُ مَجْدٍ تَفْرَعُ الْقِمَمَ الشُّمَّا^{٢٨}
تَرَى مِنْ أُمُورِ الدَّهْرِ أَبْعَدَهَا مَزْمَى^{٢٩}
وَلَا وَصَلْتَ كَفُّ الزَّمَانِ بِهِ دَمًا^{٣٠}
تَلَقَّتْ تَلَقَّى صَرْحَهُ سَامِقًا فَخُمَا^{٣١}
فَأُولَتْكَ حُبًّا مَا أَبَرَ وَمَا أَسْمَى^{٣٢}
كَرِيمًا، فَخُذْهُ الْيَوْمَ مِنْ قِمَمِهَا نَعْمَا
فَإِنَّكَ بَيْنَ النَّاسِ آيَتُهُ الْعُظْمَى^{٣٣}
وَكَامِلُ خُلُقٍ عَلَّمَ الْقَمَرَ التَّمَا^{٣٤}
تُكْرِمُ مِنْ أَبْنَائِهَا رَجُلًا شَهْمَا
رُؤْيَدَكَ حَتَّى يَدْخُلَ الْجَمَلَ السَّمَا^{٣٥}
فَأَنْتَ تَرَاهَا فِي الْعُلَا وَاجِبًا حَتْمَا
فَمَثْلُكَ يُعْلِي ذِكْرَهُ الْعُرْبُ وَالْعُجْمَا^{٣٦}

هوامش

- (١) نؤابة كل شيء: أعلاه. شأو: الغاية والأمد.
- (٢) ابن القوافي: الشاعر. شماء: عالية مرتفعة. العصما: جمع أعصم وهو الظبي في ذراعيه أو إحدهما بياض، وهو أقدر الحيوان على تسلق الجبال.
- (٣) يعروه: يصيبه. يقتاد: يقود.
- (٤) يحكم: يتقن. النقش: الزخرفة.
- (٥) اليم: البحر. تلم: تحيط.

- (٦) أبا الطب: الدكتور علي إبراهيم باشا.
(٧) شما: شم الطيب، تنفس رائحته بهدوء.
(٨) يقص الشاعر هنا ما أصاب إحدى قريباته من مرض عضال، وما كان من عناية الممدوح بها حتى شفيت.
(٩) الصم: الحجارة الصلبة الملساء.
(١٠) هلال الشك: هو يوم استطلاع هلال أول الشهر العربي حيث يكون الهلال دقيقاً ويكاد لا يرى.
(١١) صراعه: قتله. سحما: سودا.
(١٢) قرح: ألم الجراح. لا تبوخ: لا تطفأ ولا تسكن.
(١٣) العائدات: زائراتها اللاتي يعطفن عليها.
(١٤) عيياً: عاجزاً.
(١٥) الأساة: الأطباء.
(١٦) أدار الدهر صفحته: قلب وجهه. جهماً: كالح الوجه عابساً.
(١٧) فثم: فهناك.
(١٨) قدما: قديماً.
(١٩) مبضع: مشرط.
(٢٠) الجُلى: الظاهرة الواضحة. نائله: عطاياه. الجما: الكثيرة.
(٢١) بحده: بنصله. حشاشات: ما بداخلها. أدمى: أنزل الدم.
(٢٢) ومض: لمعان. مضائه: سرعته وهمته.
(٢٣) نهج: الطريق أبانه وأوضحه. أمّا: قصد.
(٢٤) أناملها: أطراف الأصابع. تلتئها: تقبلها.
(٢٥) ضللت: لم تهتد إليه. كمّاً: عدداً.
(٢٦) زها: افتخر. العقما: عدم الإنجاب.
(٢٧) أجزل: أكثر له العطاء.
(٢٨) تفرع: تزيد ارتفاعاً. شما: العالية.
(٢٩) ذروة: قمة الشيء وأعلاه. شامخ: شاهق.
(٣٠) وصلت: اتصلت. ذمّاً: ضد المدح.
(٣١) صرحه: البناء العالي الشامخ. سامقاً: عالياً.

(٣٢) رفاهة: سعة من العيش. أولتك: أعطيتك.

(٣٣) آية: علامة.

(٣٤) تَلَأَلُوْا: إضاءة. يسلب: يسرق. التما: الكمال.

(٣٥) رويدك: مهلاً. الجمل: هو الحيوان المعروف أو الحبل الغليظ. السما: الثقب

وهنا اقتباس من الآية الكريمة: ﴿حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾.

(٣٦) ذكره: ذكرى.

ليلة وليلى

١٩١٧م

وَلَيْلَةٌ حَالِغَةُ الْجُلُبَابِ أَغْطَشَ مِنْ خَافِيَةِ الْغُرَابِ^١
كَأَنَّهَا صَحِيفَةُ الْمُغْتَابِ أَوْ حَظُّ مَحْدُودٍ مِنَ الْكُتَابِ^٢
أَوْ غَمَرَاتُ الزَّائِرِ الْخِضَمِّ^٣
وَقَفْتُ فِيهَا وَقْفَةَ الْمُلتَاحِ أَسْأَلُ النَّجْمَ عَنِ الصَّبَاحِ^٤
فَقَالَ: سَلْ عَنْهُ عَتِيقَ الرَّاحِ أَوْ وَجَنَاتِ الْخُرْدِ الْمِلَاحِ^٥
فَلَيْسَ لِي بِشَأْنِهِ مِنْ عِلْمِ
إِنِّي رَأَيْتُ الْعُرْبَ الْجَسَانَا يَضْبَغْنَ مِنْهُ الْخَدَّ وَالْبَنَانَا^٦
وَرَاهِبًا، أَظْنُهُ فُلَانَا أَخْضَرَ بِالْأَمْسِ هُنَا دِنَانَا^٧
وَرَاحَ وَهْيَ مُفْعَمَاتٍ تَهْمِي^٨
يَا سَارِقَاتِ الصُّبْحِ طَالَ لَيْلِي! فَدَيْتُكُنَّ بَعْضَ هَذَا الدَّلِّ!
هَلْ جَازَ فِي دَيْنِ الْغَرَامِ ذُلِّي؟ مَنْ لِي بَأْنُ أَلْقَى الصَّبَاحَ مَنْ لِي؟
بِاللَّمَحِ أَوْ بِاللَّمْسِ أَوْ بِاللَّثْمِ
فَيَكُنَّ ذَاتُ حَسَبٍ وَدَيْنِ مُشْرِقَةُ الطَّلَعَةِ وَالْجَبِينِ
كَأَنَّهَا إِحْدَى الظُّبَاءِ الْعَيْنِ مَنْ عَازِرِي فِيهَا، وَمَنْ مُعِينِي؟^٩
عِيلَ بِهَا صَبْرِي وَطَاشَ حِلْمِي^{١٠}
عَلِقْتُهَا صَامِتَةً الْحَجَلَيْنِ أَنْصَعَ مِنْ سَبِيكَةِ اللُّجَيْنِ^{١١}

حَوْرَاءَ مِلءَ الْقَلْبِ، مِلءَ الْعَيْنِ كَأَنَّهَا اللَّقَاءُ بَعْدَ الْبَيْنِ^{١٢}
 أَوْ عَوْدَةُ الشِّفَاءِ بَعْدَ السُّقْمِ
 حَدِيثُهَا سُلَافَةُ النَّدِيمِ وَخُلُقُهَا تَوَاضُعُ الْيَتِيمِ^{١٣}
 فَدَيْتُهَا مِنْ مَلِكٍ كَرِيمٍ! تَعْرِفُ فِيهَا نَضْرَةَ النَّعِيمِ
 أَنْقَى وَأَصْفَى مِنْ نِطَافِ الْغَيْمِ^{١٤}
 أَبْرَزْنَهَا يَوْمًا فَقُلْتُ: وَاهَا! قُتِلْتُ إِنْ شَبَّتُ فِي سِوَاهَا!
 كَأَنَّهَا، وَالْحُسْنَ قَدْ جَلَّاهَا لَوْلَا، تَبَهَّرُ مَنْ رَأَاهَا^{١٥}
 أَلْقَى بِهَا الْغَوَاصُ قُرْبَ الْيَمِّ
 لَيْلَايَ يَا مَضِيئَةَ اللَّيْلَاتِ! يَا مَلَكَ الرَّحْمَةِ وَالنَّجَاةِ!
 عَرَفْتُ مِنْكَ كَرَمَ الصِّفَاتِ وَقِيَمَةَ الْحَيَاةِ فِي الْحَيَاةِ
 إِنْ كَانَ لِي نَعْمٌ فَأَنْتِ نُعْمِي^{١٦}

هوامش

- (١) أغطش: أظلم. وخافية الغراب: واحدة الخوافي وهي ريشات إذا ضم الطائر جناحيه خفت، أو هي الأربع اللواتي بعد المناكب، أو هي سبع ريشات بعد السبع المقدمات، أو هي ما دون الريشات العشر من مقدم الجناح.
- (٢) المغتاب: الذي يذكر غيره بما يكره.
- (٣) الغمرات: جمع غمرة وهي كثرة الماء. الزاخر: الطامي الممتلئ. الخضم: البحر.
- (٤) الملتاح: المتغير من هم أو سفر أو نحوهما.
- (٥) العتيق: القديم. الراح: الخمر. الخرد: جمع خريدة وهي البكر لم تمس، أو الخفرة الطويلة السكوت الخافضة الصوت المستترة.
- (٦) العرب: جمع عروب وهي المرأة الضاحكة المتغزلة.
- (٧) الراهب: عابد النصارى. الدنان: جمع دن وهو وعاء الخمر.
- (٨) راح: رجع. مفعمات: مملوءات. تهمي: تسيل.
- (٩) العين: جمع عيناء وهي الحسنه العينين الواسعتهما.
- (١٠) عيل صبري: غلب. الحلم: الأناة والعقل.
- (١١) علققتها: هويتها وأحببتها. الحجل: الخلخال، وصامته الخلخالين أي: لا يسمع لهما حس، وذلك كناية عن امتلاء ساقيهما. اللجين: الفضة.

- (١٢) حوراء: صفة من الحور وهو شدة بياض العين في شدة سوادها. البين: الفراق.
- (١٣) السلافة: الخمر. النديم: من ينادمك أي يجالسك على الشراب.
- (١٤) النطاف: جمع نطفة وهي الماء الصافي. الغيم: السحاب.
- (١٥) جلاها: كشفها وأوضحها. تبهر: تغلب بحسنها.
- (١٦) نعم: اسم فتاة شبيب بها عمر بن أبي ربيعة.

عيد جلوس الفاروق في السودان

حينما زار الشاعر السودان في سنة ١٩٣٧م، واحتفى السودان حكومته وشعبه بعيد جلوس الفاروق، أنشد الشاعر هذه القصيدة في حفل رسمي حاشد.

وَعَدَكَ بِالْمُنَى وَصَدَقْتَ وَعْدِي	عِيدَ الْجُلُوسِ صَدَقْتَ
فَغَرَّدَتْ بِحَنِينٍ وَجِدِي ^١	عَلَّمْتُ طَيْرَ الْوَادِيَيْنِ
كَأَنَّ لَجِيدِكَ خَيْرَ عَقْدِ ^٢	وَنَظَّمْتُ فَيْكَ فَرَائِدًا
وَوَجَّهَ الرُّوضُ يُبْدِي	الشَّعْرَ يُبْدِي فَيْكَ زِينَتَهُ،
دَ نَضِيرَةً وَنَثَرْتُ وَرْدِي	نَثَرُ الرَّبِيعِ بِكَ الْوُرْدُ
وَأَنْتَقَى لَكَ خَيْرَ بُرْدِ ^٣	وَوَشَى الْبُرُودَ مِنَ الْأَزْهَرِ
وَتَنَيْنَ مِنْ جِيدٍ وَقَدْ ^٤	فِيهِ الرِّيَاضُ تَبَرَّجَتْ
فِيهَا وَمِنْ ثَغْرِ وَحْدِهِ	كَمْ مِنْ عُيُونٍ غَضَّةٍ
أُرْدَانٍ مِنْ مِسْكٍ وَنَدِّ ^٥	وَجَرَى النَّسِيمُ مُضْمَخَ الـ

ذَكَرَكَ مِنْ عِزٍّ وَمَجْدٍ	عِيدَ الْجُلُوسِ وَكَمْ حَوَتْ
نَ وَصَرْتُ فِي الشُّعْرَاءِ وَحْدِي	أَصْبَحْتَ وَحْدَكَ فِي الزُّمَا
نُ وَأَيْنَ إِنْ لَمْ تُلَفَ عِنْدِي ^٧	عِنْدِي لَكَ الدُّرُّ الْحَسَا
رُ ذَخِيرَةً وَأَعَزُّ بَنْدِ ^٨	الشَّعْرُ لِلْأَمْلَاقِ خَيْـ
تَاجِينَ مِنْ مَجْدٍ وَخُلْدِ ^٩	صَاغَتْ سَوَائِرُهُ لَهُمْ

وَلَرَبِّ قَافِيَةٍ بِهَا مَا شِئْتَ مِنْ خَيْلٍ وَجُنْدٍ
تَسْرِي فَلَا صَغْبٌ بَصْعَ بٍ لَا وَلَا بُعْدٌ بِبُعْدٍ
تَثْبُ الْجِبَالِ وَمَا لَهَا بَيْنَ الْكَوَاكِبِ مِنْ مَصْدٍ
الشَّعْرُ زَنْدٌ لِلْقَوِي وَغَدَّةٌ لِلْمُسْتَعِدِّ ١٠
كَمْ زَانَ مِنْ مُلْكٍ كَمَا اِزْ دَانَ الْمُهَنْدِ بِالْفِرْنِدِ ١١

عِيدَ الْجُلُوسِ وَأَنْتَ فِي الـ أَعْيَادَ فَرْدُ أَيُّ فَرْدٍ!
الْفَى بِكَ الْأَمَلُ الْبَعِيدِ دُ لِمَضَرَ أَكْرَمَ مُسْتَمَدِّ ١٢
وَتَوَاتَرَتْ نِعَمُ الْإِلـ هِ تَجَلُّ عَنْ حَضِرٍ وَعَدِّ

«فَارُوقُ» يَا أَسَّ الرجا ءِ وَمُلْتَقَى الرَّكْنِ الْأَشَدِّ ١٣
جُمَلْتُ بِالْقَوْلِ السَّيِّدِ دِ وَسَاطِعِ الرَّأْيِ الْأَسَدِّ
وَهَبْتُ لَكَ الدُّنْيَا مَفَا تَحَ مَجْدِهَا مِنْ غَيْرِ رَدِّ ١٤
وَضَمَمْتُ بُرْدَ شَبَابِكَ الزَّا هِي عَلَى جَدٍّ وَجَدِّ ١٥
خُلُقٍ كَأَزْزَارِ النَّسِيمِ تَفَتَّحَتْ عَنْ نَفْحِ رَنْدِ ١٦
وَعَزِيمَةً لَوْ لَاطَمَتْ أَحَدًا مَضَتْ أَيَّامُ أَحَدِ ١٧
طَهَّرْتُ مِنَ الصَّلَفِ الذَّمِـيـ مِ وَعُنْفُوانِ الْمُسْتَبِدِّ ١٨
تَجَرِّي عَلَى سَنَنِ الْمُهَيـيـ مِ بَيْنَ إِيْمَانٍ وَرُشْدِ ١٩
مَنْ سَارَ فِي نُورِ الْإِلـ هِ سَعَى إِلَيْهِ كُلُّ قَصْدِ ٢٠
وَمَضَى فَعَادَ الْوَهْدُ مُسـ حَتَوِيًا وَطَاطَأَ كُلُّ نَجْدِ ٢١
الْمَجْدُ وَهُوَ مُنَى الْحَيَا ةِ أَعَدَّ لِلْبَطَلِ الْمُجْدِ
حَسَنَاءُ دُونَ حِبَابِهَا رَصْدَانِ مِنْ هَجَرٍ وَصَدِّ ٢٢
تَقِفُ الْعُيُونُ حِيَالَهَا حَيْرَى عَلَى شَغَفٍ وَسُهِدِ
مَهْرُ الْبُطُولَةِ مَا أَجَلُ لَ فَمَنْ يُؤْفَى أَوْ يُؤْدَى!
لَا تَبِكْ إِنْ عَزَّ السَّبِيـ لُ فَإِنَّ نَوْحَكَ غَيْرُ مُجْدِ
وَأَعْمَلْ بِجَهْدِكَ مَا اسْتَطْعَ تَ فَلَنْ تَفُوزَ بِغَيْرِ جُهِدِ

فالسَّيْفُ غَمْدٌ مَا أَقَا مَ وَلَمْ يُفَارِقْ جَوْفَ غَمْدِ

«فَارُوقُ» فَرَدُّ فِي الْجَلَا لِ يَجِلُّ عَنْ وَصْفٍ وَحَدِّ
الْعَبْقَرِيَّةُ أَنْ تَحَلَّ لَقَ لِلنُّجُومِ بَغِيرِ نَدِّ
وَتَنَالَ قَسْرًا مِنْ فَمِ الدِّ نِيَا حَلَاوَةً كُلَّ حَمْدِ

مَنْ كَالْمَلِكِ إِذَا انْتَمَى بَهَرَ الْعُلَا بِأَبٍ وَجَدِّ؟
كَانَا لِمِضَرٍّ وَأَهْلِيهَا عَضْدًا يَصُولُ بِخَيْرِ زَنْدِ
رَكِبَا الْعَزَائِمَ لِلْعَظَا يَمُ بَيْنَ إِيجَافٍ وَشَدِّ^{٢٣}
مَلَكًا خِطَامَ الْحَادِثَا تَ وَمَقْوَدَ الدَّهْرِ الْأَكْدِ^{٢٤}
وَتَحَدِّيَا قَصَبَ السَّبَا قِ فَأَذَعَنْتَ عِنْدَ التَّحَدِّيِ^{٢٥}
شَرَفُ إِذَا اخْتَارَ الْمُقَا مَ أَقَامَ فِي عَلِيَا مَعْدِ^{٢٦}
فَلَكَمُ تَنْقَلٌ فِي الْعُلَا مِنْ مَهْدٍ مَكْرَمَةٍ لِمَهْدِ
مِنْ كُلِّ أَرْوَعَ صَادِقِ الرَّ مَيَاتِ كَالْوَتْرِ الْعُرْدِ^{٢٧}
جَعِدَ أَبِي يَنْتَمِي لِمُوثِقِ الْعَزَمَاتِ جَعِدِ^{٢٨}
جَلْدٍ، وَهَلْ خَضَعَ الزَمَا نٌ لِعِغْرِ صُلْبِ الْعُودِ جَلْدِ؟^{٢٩}

إِنِّي نَزَلْتُ بِجِيْرَةٍ بُسِّلَ عَلَى النَّجَدَاتِ حَشْدِ
أُنْسَيْتُ أَهْلِي بَيْنَهُمْ وَسَلَوْتُ إِخْوَانِي وَوُلْدِي
الضَّيْفُ فِي سَاحَاتِهِمْ يَجْتَازُ مِنْ رَفْدٍ لِرَفْدِ^{٣٠}
عَقَدُوا خَنَاصِرَهُمْ عَلَى صِدْقِ الْوَفَاءِ أَشَدَّ عَقْدِ^{٣١}
وَمَضَتْ أَوَاصِرُنَا تَمَدُّ إِلَى الْعُرُوبَةِ خَيْرَ مَدِّ^{٣٢}

«فَارُوقُ» عَشَ نَجْمًا يُضِيءُ بِئِمْنٍ إِقْبَالَ وَسَعْدِ
قَدْ كَانَ عَهْدُكَ فِي عُھُو دِ الْمَالِكِينَ أَجَلٌ عَهْدِ

بَلَغَتْ بِهِ مِصْرُ الْمَدَى وَتَخَلَّصْتُ مِنْ كُلِّ قَدٍّ ٢٣
خُذْهَا عَجَالَةً شَاعِر تُغْنِي عَنِ الْقَوْلِ الْمُعَدِّ
سَلَكْتُ سَبِيلًا لَيِّنًا سَهْلًا وَجَافَتْ كُلَّ صُلْدٍ ٢٤
وَالرَّوْضُ إِنْ صَدَحْتَ بَلَا بِلُهُ صَدَحَنْ بِغَيْرِ كَدٍّ
فَاهُنَّا بِعَيْدِكَ فِي نَعِي سَمِ مُشْرِقِ الْبَسَمَاتِ رَغْدٍ
تَفْدِيكَ مِصْرُ وَنِيلُهَا عَاشَ الْمُفْدَى وَالْمُفْدَى!

هوامش

- (١) يريد بالواديين مصر والسودان.
- (٢) الفرائد: جمع فريدة وهي الجوهرة النفيسة. الجيد: العنق. العقد: القلادة.
- (٣) وشيت الثوب: رقمته ونقشته. البرود: جمع برد وهو ثوب مخطط.
- (٤) الجيد: العنق. القد: القوام وهو القامة وحسن الطول.
- (٥) غضة: ناضرة ذات حسن ورونق.
- (٦) ضمخه بالطيب: لطخه به. الأردان: جمع ردن وهو أصل الكم. المسك: طيب معروف وهو أفضل الطيب عند العرب. الند: نوع من الطيب أو هو العنبر. أو عود طيب الرائحة يتبخر به.
- (٧) الدرر: جمع درة وهي اللؤلؤة العظيمة. تلفى: توجد.
- (٨) الأملاك: جمع ملك. البند: العلم الكبير.
- (٩) السوائر: جمع سائرة أي: ذائعة منتشرة.
- (١٠) الزند: موصل طرف الذراع في الكف، وهو من مكامن القوة في الإنسان.
- (١١) المهند: السيف المطبوع من حديد الهند. الفرند: جواهر السيف ووشبه وبريقه.
- (١٢) ألقى: وجد. المستمد: المكان الذي يطلب منه المدد، أو الزمان الذي يطلب فيه.
- (١٣) الأس: الأساس والأصل. الركن: زاوية البناء، وهي أقوى ما فيه وأشدّه.
- (١٤) المجد: العزم والشرف. وقوله: «من غير رد» احتراس جميل؛ لأن الهبة يصح أن تسترد.
- (١٥) البرد: الثوب. الجد بالكسر: الاجتهاد في الأمر. الجد بالفتح: السعد والعظمة.
- (١٦) أزار القميص وأحدهما زر. النسيم: الريح الطيبة. الرند: شجر طيب الرائحة من أشجار البادية.

- (١٧) أحد: جبل بقرب مدينة النبي ﷺ وكانت به الغزوة الشهيرة المعروفة بغزوة أحد.
- (١٨) الصلف: التكبر. عنفوان الشيء: أوله، والمراد شدته. المستبد بالأمر: المتفرد به من غير مشارك له.
- (١٩) السنن: الطريقة والسنة. المهيمن: من أسماء الله تعالى بمعنى الرقيب والحافظ.
- (٢٠) القصد: بمعنى المقصود.
- (٢١) الوهد: الأرض المنخفضة. طأطأ رأسه: طامنه وخفضه. النجد: ما ارتفع من الأرض.
- (٢٢) الرصد: القوم يرصدون ويرقبون، يستوي فيه الواحد والجمع. الهجر: ضد الوصل. الصد: الانصراف والإعراض.
- (٢٣) الإيجاف: مصدر أوجف الراكب بعيره أو فرسه أي: حمله على الوجيف وهو العدو. الشد: العدو.
- (٢٤) الخطام: الزمام وهو المقود أي: الحبل الذي تقاد به الدابة. الألد: الشديد الخصومة.
- (٢٥) القصب: كل نبات تكون ساقه أنابيب وكعوبًا. الواحدة قصب، وقصب السباق أصله أنهم كانوا ينصبون في حلبة السباق قصبًا، فمن سبق اقتلعها وأخذها ليعلم أنه السابق من غير نزاع. أذعنت: خضعت وذلت.
- (٢٦) معد بن عدنان: أبو العرب.
- (٢٧) الأروع: الوسيم الشجاع. الوتر: شرعة القوس ومعلقها. العرد: القويّ المتين الصلب.
- (٢٨) الجعد: الكريم. الأبي: العف الغني النفس الذي يأبى الدنيا ويكرهاها. ينتمي: ينتسب. الموثق العزمات: القوي الإرادة المحكم التدبير.
- (٢٩) الجلد: صفة من الجلد وهو الصلابة.
- (٣٠) الرغد: العطاء والصلة.
- (٣١) الخناصر: جمع خنصر وهي الأصبع الصغرى، وعقد الخناصر على الشيء كناية عن شدة الحرص عليه.
- (٣٢) الأواصر: جمع أصرة وهي الرحم والقرابة.
- (٣٣) المدى: الغاية. القد بالكسر: سير يقدر من جلد غير مدبوغ يقيد به الأسير ونحوه.

ديوان علي الجارم

(٣٤) جافت: باعدت. والصلد: الصلب.

رثاء أمين

يبكي الشاعر في هذه القصيدة صديق شبابه الأستاذ محمد أمين لطفي، وكان وكيلاً مساعداً بوزارة المعارف، وقد أنشدت هذه القصيدة في جمع حافل بدار الأوبرا في آخر يناير سنة ١٩٣٦م.

وَمَنْ ودَّعْتُ يَوْمَ الرَّجِيلِ وودَّعُوا
وَلَكِنْ إِذَا ضَاقَ الْفَتَى كَيْفَ يَصْنَعُ؟^١
وتدركنا رُحْمَى إِلَهٍ فَتَخَضَّعُ^٢
فَلَا الْحَزْمُ يَنْتِيهِ، وَلَا الْكَفُّ تَدْفَعُ
وننثرُ من آمالنا، وهو يَجْمَعُ^٣
يَطِيرُ بِهِ الْأَمْسُ الَّذِي لَيْسَ يَرْجِعُ^٤
وَزَالَ كَمَا زَالَ الْخَيَالُ الْمودَّعُ^٥
(وما بين قيد الرمح والرمح إضبع)^٦
فهل بَقِيَتْ إِلَّا جُفُونٌ وأدمع؟
يصيحُ به في كل رَوْضٍ ويسجعُ^٧
ويستخبرُ الأمواه، والطيرُ شُرَّعُ^٨
ويعلو فيعلو النجمُ منه تَطْلُعُ^٩
إِذَا هَمَسَتْ مِنْهُ غُصُونٌ وَأَفْرَعُ
فَيَحْبِسُ مِنْ زَفَرَاتِهِ ثُمَّ يَسْمَعُ^{١٠}
وملأ صمخ الليل ممَّا يُرْجَعُ^{١١}

أَنْذِرِي الْعَلَا مَنْ شَيَّعَتْ جَيْنَ شَيَّعُوا؟
بَكَيْنًا، فَلَمْ يَشْفِ الْبُكَاءُ حُرْقَةَ النَّوَى
تَهْيِجُ بِنَا الذِّكْرَى، فَيَغْلِبُنَا الْأَسَى
هُوَ الْمَوْتُ سَهْمٌ فِي يَدِ اللَّهِ قَوْسُهُ
نَرُوحُ إِلَى حَاجَاتِنَا، وَهُوَ رَاصِدٌ
بِنَفْسِي أَمِينًا فِي ثِيَابِ شَبَابِهِ
أَقَامَ كَمَا تَبَقَّى الْأَزَاهِيرُ لَمْحَةً
فَقَدَّنَاهُ فَقَدَانِ الْكَمِيِّ سِلَاحَهُ
فَقَدَّنَاهُ، حَتَّى قَدْ فَقَدْنَا وَجُودَنَا
فَقَدَّنَاهُ، فَقَدَانِ الْأَلْيَفِ أَلْيَفَهُ
يَسْأَلُ عَنْهُ الْأَفْقُ، وَالطَّيْرُ حَوْمٌ
يَدْفُ فَيَحْوِي الْأَرْضَ مِنْهُ تَأْمَلُ
يَظُنُّ خَفِيفَ الدَّوْحِ خَفَقَ جَنَاحِهِ
وَيَحْسَبُ تَحَنَانِ الْغَدِيرِ هَدْيِلَهُ
لَقَدْ مَلَّتِ الْغَابَاتُ مِمَّا يَجُوسُهَا

له أُنْتُ المَجْرُوحِ أَعْيَا طَبِيبَهُ
كَأَنَّ جَنَاحَيْهِ شَرَاوُحَ سَفِينَةٍ
تُضَاحِكُهُ الْأَمَالُ حِينَما فِيرْتَجِي
لَدَى كُلِّ عُشٍّ صَاحِبَاهُ، وَعُشُّهُ
عَزَاءً عَزَاءً أَيُّهَا الطَّيْرُ إِنَّمَا
فَأَيْنَ مِنَ الطَّيْرِ الْهَدِيلُ وَوُلْدُهُ؟
طَوَاهِمُ خِصَمٌ لَا يُنَادِي وَلِيدُهُ
وَضَجٌّ لَمَّا يَشْكُو وَسَادٌ وَمَضْجَعٌ
دَهْتَهَا مِنَ الْأَرْوَاحِ نَكْبَاءٌ رَعَزَعٌ^{١٢}
وَيَجْبُهُهُ الْيَأْسُ الْعَبُوسُ فَيَخْشَعُ^{١٣}
خَلِيٌّ مِنَ الْأَلْفِ قَفَرٌ مُصَدَّعٌ^{١٤}
لِكُلِّ أَمْرٍ فِي سَاحَةِ الْعَمْرِ مَضْرَعٌ
وَأَيْنَ مِنَ الْأَمْلَاقِ كِسْرَى وَتُبْعٌ؟^{١٥}
يَطْوَحُهُمْ أَذْيُهُ الْمَتَدَفِّعُ^{١٦}

رَمَتْنِي اللَّيَالِي قَبْلَ نَعْيِكَ رَمِيَّةً
نِصَالٌ جِدَادٌ قَدْ أَلِمْتُ لَحْمِهَا
فَلَمَّا رَمَانِي سَهْمُكَ الْيَوْمَ وَانطَوْتُ
أَمِنْتُ عَلَى قَلْبِي السَّهَامَ فَلَمْ يَعُدْ
عَرَفْتُ بِهَا كَيْفَ الْقُلُوبُ تَقَطَّعُ^{١٧}
وَأَعْلَمُ أَنِّي هَالِكٌ حِينَ تُنْزَعُ^{١٨}
عَلَيْهِ جُنُوبٌ خَافِقَاتٌ وَأَضْلَعُ^{١٩}
بِهِ بَعْدَ خَطْبِ الْأَمْسِ وَالْيَوْمِ مَوْضِعُ

أَنْسَى أَمِينًا، وَالشَّبَابُ يَحْفَنُنَا
بَارِضٌ إِذَا غَصَّ النَّهَارُ بِغَيْمِهَا
نَسِيْتُ بِهِ أَهْلِي، وَيَا رَبُّ صَاحِبِ
يَغَالِبَنِي شَوْقٌ إِلَى الْفَنِّ رَائِعُ
نَرُوحُ وَنَغْدُو لِأَهْيَيْنِ، وَلَمْ نَكُنْ
وَنَضْحَكُ لِلدُّنْيَا لِلْعُوبِ وَزُورِهَا
وَكُنَّا نَرَى الْأَيَّامَ أَحْلَامَ نَائِمٍ
وَكَانَتْ غِنَاءً كُلُّهَا ثُمَّ أَصْبَحَتْ
جَدِيدًا، وَرَوْضُ الْوَدِّ بِالْوَدِّ مُمْرَعٌ^{٢٠}
فَوَجَّهُ أَمِينٍ أَيْنَمَا لَاحَ يَسْطَعُ^{٢١}
أَبْرٌ مِنْ ابْنِ الْأُمِّ قَلْبًا وَأَنْفَعُ
وَيَجْذِبُهُ مَيْلٌ إِلَى الْعِلْمِ أَرْوَعُ
نَخَافُ رَزَايَا الدَّهْرِ أَوْ نَتَوَقَّعُ^{٢٢}
وَنَمْرَحُ فِي زَهْوِ الشَّبَابِ وَنَرْتَعُ
فَأَيْقِظُنَا مِنْهَا الْأَلِيمُ الْمُرَوَّعُ^{٢٣}
وَلَيْسَ بِهَا إِلَّا الرِّثَاءُ الْمَفْجَعُ^{٢٤}

أَتَذَكَّرُ إِذْ نَمَشِي إِلَى الدَّرْسِ بُكْرَةً
وَقَدْ حَجَبَ الشَّمْسُ الضَّبَابُ كَأَنَّمَا
بِلَادٌ كَأَنَّ الشَّمْسَ مَاتَتْ بِأَفْقِهَا
بِنُوتِنِجْهَامٍ، تَسْتَحِثُّ فَاسْرِعْ^{٢٥}
تَلَا اللَّيْلَ لَيْلٌ عَاكِرُ اللَّوْنِ أَسْفَعُ^{٢٦}
فَظَلَّتْ عَلَيْهَا أَعْيُنُ السُّحْبِ تَدْمَعُ

سَيُوفُ وَغَى فِي ظُلْمَةِ النَّقْعِ تَلَمَعُ^{٢٧}
صَحِيفَتُكَ الْبَيْضَاءُ بَلْ هِيَ أَنْصَعُ
وَقَدْ رَقَّ مَعْنَاهُ الرِّحِيقُ الْمُشْعَشَعُ^{٢٨}
وَأَنْضَرُ مِنْ وَشْيِ الرِّيَاضِ وَأَضْوَعُ^{٢٩}
وَإِنِّي بِأَخْلَاقِ الْكَرَامِ لِمَوْلَعُ^{٣٠}
فَلَا الرَّأْيُ مَأْفُونٌ وَلَا الْقَوْلُ مُقْذَعُ^{٣١}
زُلَّالًا مِنَ الْعِلْمِ الصَّحِيحِ وَتَكْرَعُ^{٣٢}
وَلَيْسَ لَهُ فِيهَا سِوَى الْمَجْدِ مَطْمَعُ
وَسَعْيُ صَغِيرِ النَّفْسِ لِلنَّفْسِ مُخْضَعُ
وَعَزْمُ حَدِيدِ النَّصْلِ لَا يَتَزَعَزَعُ
دَنَا الصَّعْبُ، وَانْقَادَ الْعَسِيرِ الْمُتَمَنِّعُ
بِغَيْرِ جَلِيلَاتِ الْمَطَالِبِ تَقْنَعُ
وَأَشْرَفُ عُثْوَانٍ لِمِصْرَ وَأَرْفَعُ
فَأَبْدَعْتُ فِيمَا قَدْ رَسَمْتُ وَأَبْدَعُوا
سِوَى سِيرَةِ الْأَبْطَالِ فِي النَّاسِ مَهْيَعُ^{٣٣}

كَأَنَّ الْمَصَابِيحَ الْخَوَافِقَ حَوَّلْنَا
كَأَنَّ بَيَاضَ الثَّلَجِ يُنْتَرُّ فَوْقْنَا
تُنَاقِلُنِي حُلُوَ الْحَدِيثِ كَأَنَّهُ
خِلَالُ كَرِيمَاتٍ أَرْقُ مِنَ الصَّبَا
وَلِعْتُ بِهَا عُمْرِي، وَأَكْبَرْتُ رَبِّهَا
وَقَدْ كُنْتَ عَفَّ النَّفْسِ وَاللَفْظِ وَالنَّهْيِ
تَكْدُ كَمَا كَدَّ النَّمَالُ، وَتَرْتَوِي
فَتَّى طَلَبَ الدُّنْيَا كَرِيمًا فَنَالَهَا
وَسَعْيُ كَبِيرِ النَّفْسِ لِلنَّفْسِ مُكْبِرُ
وَأَعْظَمُ أَخْلَاقِ الْفَتَى هِمَّةُ الْفَتَى
إِذَا وَقَّقَ اللَّهُ أَمْرًا فِي طَلَابِهِ
قَنَعْنَا بِمَا دُونَ الْقَلِيلِ، وَلَمْ تَكُنْ
وَعُدْتَ وَفِي يَمْنَاكَ أَسْمَى شَهَادَةٍ
رَسَمْتَ لَشَبَّانِ الْبِلَادِ طَرِيقَهُمْ
وَمَنْ طَلَبَ الْمَجْدَ الْمَنِيعَ فَمَا لَهُ

تَزِينُكَ فِي الدُّنْيَا خَلَائِقُ أَرْبَعُ
وَعَزْمُ كَمَا تَرْضَى الْعُلَا، وَتَرْفَعُ^{٢٤}
وَتُدْفِي مَنْ قَلْبِ الْجَبَانِ فَيَشْجَعُ
مَوَدَّتُهُ الْعَهْدِ الَّذِي لَا يُضَيِّعُ
فَقَدْ قَرَأَ الْأَوْرَاقَ لِلرَّأْيِ أَلْمَعُ
فَلَيْسَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَالْعَدْلِ تَصْدَعُ^{٢٥}

وَقَدْ كُنْتُ فِي كُلِّ الْمَنَاصِبِ سَيِّدًا
فَحَزَمْتُ كَمَا تَرْضَى الْعُلَا، وَتَوَاضَعُ
لَكَ الْبِسْمَةُ الزَّهْرَاءُ تَلَمَعُ كَالضَّحَى
حَرِيصٌ عَلَى وَدِّ الصَّدِيقِ كَأَنَّمَا
إِذَا قَرَأَ الْأَوْرَاقَ لِلرَّأْيِ فَاتَّيَدُ
وَإِنْ صَدَعْتَ بِالْحُكْمِ يَوْمًا شَفَاهُهُ

وَأَرْجَاؤُهُ مِنْ شَاسِعِ الْبِيدِ أَوْسَعُ^{٢٦}
تَوَارَى، وَنَجْمٌ عَنْ قَلِيلٍ سَيَطْلُعُ^{٢٧}
إِلَى الْغُصْنِ فِي رِيْعَانِهِ وَهُوَ مُونَعُ^{٢٨}

عَجِبْتُ لَصَدْرِ ضَاقَ بِالْدَاءِ حِلْمُهُ
مَرَضْتُ، فَقُلْنَا: مَشْرِفِي بِغَمِّهِ
وَلَمْ نَدْرِ أَنَّ الْمَوْتَ بَاسِطٌ كَفَّهُ

وَأَنَّ النَّوَى الْحَمَقَاءَ شَدَّتْ رِحَالَهَا وَأَنَّ الْمَعَالِي وَالْمَكَارِمَ وَالْحِجَا
وَأَنَّ قَضَاءَ اللَّهِ حُمًّا، فَمَا لَنَا
إِذَا بَرَعَ الطَّبُّ الْحَدِيثُ فَقُلْ لَهُ:
وإنَّ الْفَتَى مَاضٍ وَمَاضٍ طَبِيبُهُ
وَأَنَّ أَمِينَ الرَّكْبِ لِلْبَيْنِ مُزْمِعٌ^{٣٩}
سَيُضْمِنُهَا قَفْرٌ مِنَ الْأَرْضِ بُلْقَعٌ^{٤٠}
مَحِيصٌ، وَلَا مِمَّا قَضَى اللَّهُ مَفْرَعٌ^{٤١}
يَدُ الْمَوْتِ أَمْضَى مِنْ يَدَيْكَ وَأَبْرَعُ
وعائده مِنْ بَعْدِهِ وَالْمُشَيِّعُ

أَمِينُ، وَظِلُّ الْمَوْتِ يَفْصِلُ بَيْنَنَا
وَنَرْجِعُ لِلْحُسْنَى كَمَا كَانَ عَهْدُنَا
وَمَا مَاتَ مَنْ أَبْقَى ثَنَاءً مُخَلَّدًا
إِذَا ذَهَبَ الْمِسْكُ الذِّكْرِيُّ فَإِنَّهُ
سَبَقَتْ، وَإِنِّي عَنْ قَلِيلٍ سَأَتَّبِعُ^{٤٢}
فَلَا نَشْتَكِي هَمًّا وَلَا نَتَوَجَّعُ
وَذِكْرًا يُسَامِي النِّيَرَاتِ وَيَفْرَعُ^{٤٣}
يَزُولُ وَيَبْقَى نَشْرُهُ الْمُتَضَوِّعُ^{٤٤}

هوامش

- (١) النوى: الفرقة والبعد. حرقه النوى: لذعتها.
- (٢) تهيج: تثور.
- (٣) راصد: مترقب بنا الدوائر ينتهز الوقية. نثر الآمال: تشعبها وتعدد مناحيها.
- (٤) بنفسى أمنيًا: أي أفدي أمنيًا بنفسي.
- (٥) الأزاهير: جمع الأزهار. ويضرب المثل في القصر بأعمارها.
- (٦) الكمي: الشجاع.
- (٧) الأليفان من الحمام: الذكر والأنثى. تسجع: تغرد نائحة.
- (٨) يقال: حوم الطائر: وذلك إذا دوم في طيرانه. شرع: أي مجتمعة حول الماء لتشرب.
- (٩) يقال: دف الطائر: وذلك إذا مر فوق الأرض. ويحوي الأرض ... إلخ أي: يحيط تأمله بجميع ما على الأرض وذلك لقربه منها في طيرانه.
- (١٠) تحنان الغدير: خريز مياهه. هديل الحمام: سجعه. زفراته: أنفاسه.
- (١١) يجوسها: يذهب خلالها ويجيء. الصماخ: خرق الأذن حيث تنحدر منه إليها المسموعات. الترجيع: ترديد الصوت في الحلق.

- (١٢) دعتها: أصابتها. الأرواح: الرياح. والنكباء الريح تنحرف عن مهبها. الزعزع: الريح العاصفة.
- (١٣) تجبهه: تواجهه بما يكره.
- (١٤) قفر: خال. مصدع: أي قد تفرق جمع ساكنيه وتشتت شملهم.
- (١٥) الهديل: فرخ من الحمام كان على عهد نوح يقال إنه مات عطشاً. كسرى: لقب ملوك الفرس. تبع: لقب ملوك اليمن.
- (١٦) الخضم: البحر. الآذي: الموج.
- (١٧) يشير بهذا البيت والأبيات الثلاثة بعده إلى خطب (الشاعر) في ابن له انتزعه القدر من بين يديه ناشئاً صغيراً، ورحل عنه في نوفمبر ١٩٣٥ م عن عشرين عاماً.
- (١٨) النصال: جمع نصل. وهو حديدة السكين والسيوف والرمح. حداد: حادة.
- (١٩) انطوت عليه: انضمت عليه. وخافقات: مضطربات همّاً وحزناً.
- (٢٠) ممرع: مخصب معشب.
- (٢١) بأرض: يقصد بلاد الإنجليز وقد اشتهرت بغيومها واحتجاب شمسها.
- (٢٢) رزايا الدهر: أرزاؤه وما يصيب به مما يعيا بحمله الإنسان.
- (٢٣) المروع: المفزع.
- (٢٤) المفجع: الموجد المؤلم.
- (٢٥) بكرة: أول النهار. نوتنجهام: إحدى مدن إنجلترا. وكانت فيها الجامعة التي تلقى فيها الشاعر والفقيه علومهما. تستحث: تحفزني للإسراع وتستنهضني.
- (٢٦) الأسفع: الأسود المشرب حمرة.
- (٢٧) الخوافق: المضطربة. الوغى: الحرب. النقع: الغبار تثيره الحرب.
- (٢٨) الرحيق: أطيب الخمر وخالصها. المشعشع: المزوج منها. وهو أشد أثراً ولعباً بالرءوس.
- (٢٩) الصبا: ريح باردة منعشة. وشي الرياض: ألوان زهرها المختلفة. أضوع: أكثر رائحة وأذكى.
- (٣٠) ولعت: أغرمت وشغفت بها.
- (٣١) المأفون: الضعيف الفاسد الرأي. المقذع: المفحش.
- (٣٢) الزلال: العذب الصافي. تكرر: تشرب.
- (٣٣) المهيع: الطريق البين الواضح.

- (٣٤) النهى: جمع نهية. وهي العقل، وسمي العقل بها؛ لأنه ينهى عن كل مردول قبيح.
- (٣٥) صدعت بالحكم: نطقت به وجهرت.
- (٣٦) البيد: جمع بيداء، وهي الفلاة الواسعة. يشير إلى موته بعلة الصدر ويعجب كيف أن صدره الرحب لم يتسع لمثل هذا الداء.
- (٣٧) المشرفي: السيف، منسوب إلى المشارف، وهي قرى من أرض اليمن، وقيل: من أرض العرب تدنو من الريف. غمد السيف: جفنه.
- (٣٨) ريعانه: اكتماله وتمام قوته. مونغ: قد أدرك ونضج.
- (٣٩) النوى: الفرقة، ويريد بها الموت. الرحال: جمع رحل، وهو ما يوضع على الراحلة. شد الرحال: كناية عن الأهبة للرحيل. أمين الركب: هو الفقيد. مزعم: عازم.
- (٤٠) الحجا: العقل والفطنة. البلقع: التي لا أنيس بها.
- (٤١) حم القضاء: وقع. ما لنا محيص: أي ليس لنا عنه محيد ولا منه مهرب. مفزع: أي مكان نلجأ ونفزع إليه فننتقي به ما وقع.
- (٤٢) ظل الموت: حجابه.
- (٤٣) يسامي: يباريها في السمو والرفعة. النيرات: الكواكب المضيئة المشرقة. يفرع: يعلو.
- (٤٤) الذكي: الذي تسطح رائحته. نشره: ما ينبعث عنه من رائحة طيبة. المتضوع: المنتشر.

وزارة سعد

ألقيت أمام سعد زغلول، حينما زار وزارة المعارف سنة ١٩٢٤م وكان رئيسًا للوزراء.

الْيَوْمُ يَوْمُكَ مِصْرُ	لِلَّهِ حَمْدٌ وَشُكْرُ
فَلَنْ يَرُوعَكَ رِقُّ	وَلَنْ يَمَسَّكَ أَسْرُ
وَكُلُّ مَا فِيكَ صَفْوُ	وَكُلُّ مَنْ فِيكَ حُرُّ
سَعْدٌ يَحُوطُ بَنِيهِ	وَهُوَ الْأَعَزُّ الْأَبْرُ
دَعْتَهُ مِصْرُ فَلَبَّى	وَالْوَجْهَ يَعْلُوهُ بَشْرُ
فِي سَاعَةٍ لَيْسَ فِيهَا	مِنَ الْفِرَارِ مَفْرُ ^١
الْمَوْتُ يَخْصُدُ حَصْدًا	وَالسَّجْنُ لِلْحُرِّ قَبْرُ ^٢
وَالْأَرْضُ تَهْتَزُّ رُعْبًا	فَمَا لَهَا مُسْتَقَرُّ
يَسْرِي مَعَ اللَّيْلِ هَمٌّ	وَيَخْنُقُ الشَّمْسَ دُغْرُ
تَحَدَّثُ النَّاسُ هَمْسُ	كَأَنَّمَا هُوَ فِكْرُ
وَمِصْرُ تَرْقُبُ سَطْرًا لِلـ	مَوْتِ يَتْلُوهُ سَطْرُ
إِذَا نِدَاءُ جَهِيرُ	يَهْزُ مِصْرَ وَزَارُ
رَأَى الْهَزْبَ الْمُقَدَّى	سَعْدٍ وَنِعَمَ الْهَزْبِ ^٣
دَعَوْتُ قَوْمَكَ حَتَّى	أَسْمَعْتَ مَنْ فِيهِ وَقْرُ
وَقُمْتَ فِيهِمْ خَطِيبًا	لَهُ عَلَى الْقَوْلِ أَمْرُ
مُفَصَّلَاتٍ قِصَارُ	لَهَا رَيْنٌ وَنَبْرُ
وَحِكْمَةٌ فِي بَيَانٍ	إِنَّ الْبَيَانَ لِسِحْرُ

قَلْبُ أَبِي شَمُوسٍ	عَلَى الْخُطُوبِ وَصَدْرُ ^٦
وَعَزْمَةٌ مِنْ حَدِيدٍ	لَهَا عُرَامٌ وَأَزْرُ ^٧
أَبْتُ عَلَى الدَّهْرِ لِينًا	سَيَّانِ عُسْرٌ وَيُسْرُ
بَانِي الْجِبَالِ بَنَاهَا	مَنْيَعَةً لَا تَخْرُ
فَلَمْ يَكُنْ غَيْرَ سَعْدٍ	لِمَصْرَ رِئْءٌ وَذُخْرُ ^٨
فَلَمْ يَكُنْ غَيْرَ سَعْدٍ	لِلنَّاسِ وَرْدٌ وَذُكْرُ ^٩
جَاءُوا إِلَيْكَ سِرَاعًا	لَهُمْ أَزِيْرٌ وَهَذْرُ
الشَّيْخُ يَتْلُوهُ قَسٌّ	وَالْقَسُّ يَتْلُوهُ حَبْرُ
وَدِينُهُمْ حُبٌّ مِصْرٍ	وغيرُ ذلكُ كُفْرُ
فِي كُلِّ قَلْبٍ يَقِيْنُ	وَحُسْنُ عَزْمٍ وَصَبْرُ
وَلَيْسَ فِي الْكَفِّ بِيَضٌ	وَلَيْسَ فِي الْكَفِّ سُمْرُ ^{١٠}
فَقَدْتُهُمْ نَحْوَ فَخْرٍ	لِمِصْرَ يَتْلُوهُ فَخْرُ
رُوحٌ مِنَ اللَّهِ جَاءَتْ	مِنَ السَّمَاءِ وَنَصْرُ
وَنَهْضَةٌ كَانَ فِيهَا	لِلَّهِ قَبْلُكَ سِرُّ
سِرٌّ بِالسَّفِينَةِ هَوْنًا	فَلَيْسَ نَمَّةٌ صَخْرُ
الْبَحْرِ صَافٍ أَمِيْنُ	وَأَنْتَ بِالسَّفْرِ بَرُّ
تَعِيشُ مِصْرُ وَتَبْقَى	فَقَرَّةُ الْعَيْنِ مِصْرُ

هوامش

- (١) يشير بهذا البيت والذي قبله إلى قيام سعد بالمطالبة بحق مصر في وقت كان يحجم غيره عن التقدم ويولي خوفًا.
- (٢) يصف حال مصر إبان ثورتها سنة ١٩١٩م.
- (٣) الهزبر: الأسد.
- (٤) الوقر: الصمم.
- (٥) مفصلات قصار: أي كلمات بيّنة الدلالة وافية بالإبانة على قصرها. النبر: ارتفاع الصوت.
- (٦) الأبي: الذي يأبى الدنيا كبرًا. شمس على الخطوب: أي لا يذل لها ولا يخضع.

- (٧) العرام: الشدة والحدة. الأزر: القوة.
(٨) الردء: العون والناصر. الذخر: ما تعده لوقت الحاجة.
(٩) الورد: ما يتلوه الإنسان ويردده.
(١٠) البيض: السيوف. السمر: الرماح.

إلى نادي المعلمين

نشرت هذه الأبيات في سنة ١٩٤٧م بعد أن منحت الدولة المعلمين نادي العلمين؛ ليكون نادياً لهم.

يا نَادِيَّ «الْعَلَمِينَ» صرْتَ لفتية	كانت مواقفهم بِمِصْرَ مشرّفة ^١
قد تَوَجَّحَ النطق «الكريم» جهادهم	وسما بمن يبني العقولَ وأنصفه
زادوك «ميمًا» فازدهيت بحسنها	تيها، ولم تُكْ غيرَ «ميم المعرفة» ^٢

هوامش

(١) العلمين: بلد غرب الإسكندرية حدثت به معركة فاصلة بين دول الحلفاء (إنجلترا وفرنسا وأمريكا) ودولتي المحور (ألمانيا وإيطاليا) في الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩-١٩٤٤م)، وانهزم فيه القائد الألماني الشهير روميل. وقد سمي النادي باسمه؛ لأن جنود الحلفاء كانوا يجعلونه منتدى لهم فلما منحت الدولة للمعلمين غيروا اسمه وسموه نادي المعلمين بدلاً من العلمين.

(٢) ميمًا: حرف الميم في الحروف الهجائية.

تهنئة الملك بالعيد (فاروق الأول)

عيد الفطر المبارك سنة ١٣٥٧هـ / ١٩٣٧م

أَسْمِعْتَ شَدَوَ الطَّائِرِ الْغَرِيْدِ
وَبَدَا عَمُودُ الصُّبْحِ أَبْيَضَ نَاصِعًا
أَوْ كَالْيَدِ الْبَيْضَاءِ تَنْضَحُ بِالْندَى
أَوْ كَأَقْتِبَالِ الْحُسْنِ بَعْدَ تَحْجُبٍ
وَإِذَا لَمَحْتَ الشَّرْقَ خِلْتَ عَرَائِسًا
يَرْفُلْنَ فِي ضَافِي الضِّيَاءِ نَوَاعِمًا
وَدَمُ الشَّبَابِ لَهُ رَوَائِعُ نَشْوَةٍ
مَا بَيْنَ طَرْفٍ بِالْخَدِيعَةِ نَاعِسٍ
هَزَجًا يُنَاغِي فَجَرَ يَوْمِ الْعِيدِ؟^١
كَالسَّلْسَلِ الضَّخْخَاحِ فَوْقَ جَلِيدٍ^٢
وَالْغَيْثِ، أَوْ جِدِّ الْعَذَارَى الْغِيدِ
أَوْ كَابْتِسَامِ الدَّلِّ بَعْدَ صُدُودٍ^٣
مَا سَتْ بِثَوْبٍ كَالشَّبَابِ جَدِيدٍ^٤
فِي سِحْرِ أَنْغَامٍ، وَلَيْنَ قُدُودٍ^٥
مَا نَالَهَا يَوْمًا دَمُ الْعُنُقُودِ^٦
تَمِلُ، وَآخِرُ فِي الْهَوَى عَرَبِيدِ

وَدَّعْتُ أَيَّامَ الشَّبَابِ حَوَافِلًا
فَإِذَا خَطَرَنْ، فَهُنَّ رُؤْيَا نَائِمٍ
أَرْنُو إِلَى عَهْدٍ لَهُنَّ كَأَنَّمَا
وَأَرَى الْحَيَاةَ بِلَا شَبَابٍ مِثْلَمَا
مِنْ بَعْدَمَا عَصَفَ الْمَشِيبُ بِعُودِي
وَإِذَا هَمَسْنَ، فَهُنَّ رَجْعُ نَشِيدٍ
أَرْنُو لِنَجْمٍ فِي السَّمَاءِ بَعِيدٍ
لَمَعَ السَّرَابُ بِمُقْفِرَاتِ الْبِيدِ^٧

إِنَّ الشَّبَابَ رَحِيقُ أَزْهَارِ الرُّبَا
وَمَطِيَّةُ الْأَمَالِ فِي رِيْعَانِهَا
وَبَشَاشَةُ الدُّنْيَا إِذَا مَا أَقْبَلَتْ
هُوَ فِي كِتَابِ الْعَمْرِ أَوَّلُ صَفْحَةٍ
وَرَبِيعُ أَيَّامِ الْحَيَاةِ تَبَسَّمَتْ
أَهْدَى لَهَا الْوَسْمَ نَسَجَ غَلَائِلُ
وَسَرَى النَّسِيمُ بِهَا يُغَازِلُ أَغْنَا
إِنَّ الشَّبَابَ، وَمَا أُحْيَلَى عَهْدَهُ!
تَلْقَى بِهَا مَاءً وَظِلًّا حَوْلَهُ

وَحَفِيفُ غُصْنِ الْبَنَانَةِ الْأَمْلُودِ^٨
وَسِرَاجُ لَيْلِ السَّاهِدِ الْمَجْهُودِ
وَنَجَاةٌ وَعْدٌ مِنْ أَكْفٍ وَعِيدِ
بُذِئْتُ بِبِسْمِ اللَّهِ وَالتَّحْمِيدِ
رَوْضَاتُهُ عَنْ ضَاحِكَاتِ وَرُودِ
وَأَتَى الْوَلِيُّ لَهَا بَوْشَى بُرُودِ^٩
مَنْ نَرْجِسُ وَيَشْمُ وَرَدَّ خُدُودِ
كَالْوَاخَةِ الْخَضْرَاءِ فِي الصَّيْهُودِ^{١٠}
جَدَبُ الْجَفَافِ وَقَسْوَةُ الْجُلُودِ^{١١}

إِنِّي طَرَحْتُ مِنَ الشَّبَابِ رِدَاءَهُ
وَاخْتَرْتُ مِنْ صُحُفِ الْأَوَائِلِ صَاحِبِي
وَمَرَرْتُ بِالتَّارِيخِ أَمْلًا نَاطِرِي
كَمْ عَالَمٌ قَابَلْتُ فِي صَفْحَاتِهِ
وَإِذَا التَّمَسَّتْ مِنَ الدُّهُورِ رِسَالَهُ
أَحْنُو إِلَى قَلَمِي كَأَنَّ صَرِيرَهُ
وَأَعِيشْ فِي دُنْيَا الْخِيَالِ؛ لِأَنَّنِي
كَمْ لَيْلَةٍ سَامَرْتُ شِعْرِي لِأَهْيَا
حِينًا يُرَاوِعُنِي فَأَنْظُرُ ضَارِعًا
وَلَقَدْ أَغَرَّدُ بِالْقَرِيضِ فَيَنْثُنِي
طَهَّرْتَهُ مِنْ كُلِّ مَا تَأْبَى النُّهَى
وَبَعَنْتُ فِيهِ تَجَارِبًا مَذْخُورَةً
وَجَعَلْتُ تَشْبِيبِي بِمَضَرٍّ وَمَجْدَهَا

وَتَنَيْتُ عَنْ لَهْوِ الصَّبَابَةِ جِيدِي^{١٢}
وَجَعَلْتُ مَأْثُورَ الْبَيَانِ عَقِيدِي^{١٣}
مِنْهُ وَأُحْيِي بِالْفَنَاءِ وَجُودِي
وَلَكَمْ ظَفَرْتُ بِفَاتِحِ صَنْدِيدِ!^{١٤}
فَصَحَائِفُ التَّارِيخِ خَيْرُ بَرِيدِ
فِي مَسْمَعِي الْمَكْدُودِ رَنَّهُ عُوْدِ^{١٥}
أَخْطَى بِهَا بِالْفَائِتِ الْمَفْقُودِ
وَالنَّجْمُ يَلْحَظُنَا بَعِينَ حَسُودِ
فَيَلِينُ بَعْدَ تَنْكُرٍ وَجُحُودِ
فَأَنَالُ قَادِمَتِيهِ بِالتَّغْرِيدِ^{١٦}
وَيَعَافُهُ سَمْعُ الْحِسَانِ الْخُودِ^{١٧}
هِيَ كُلُّ أَمْوَالِي وَكُلُّ رَصِيدِي
وَشَمَائِلِ «الْفَارُوقِ» بَيْتُ قَصِيدِي^{١٨}

مَلِكُ زَهَا الْإِسْلَامِ تَحْتَ لَوَائِهِ
إِنَّ فَاتَ عَهْدِ الرَّاشِدِينَ فَقَدْ رَأَى

وَأَوَى لِرُكْنٍ مِنْ جِمَاهُ شَدِيدِ
فِي دَوْلَةِ «الْفَارُوقِ» خَيْرُ رَشِيدِ

قَرَنْتَ مَنَابِرُهُ جَلَائِلَ سَعْيِهِ
وَصَغَتْ مَسَاجِدُهُ لِتَرْيِدِ اسْمِهِ
مَنْ يَجْعَلِ الْإِيمَانَ صَخْرَةً مُلْكِهِ
كَمْ وَقْفَةٍ لَكَ فِي الْمَحَارِبِ جَمَلَتْ
سَجَدَتْ لَكَ الْأَيَّامُ حِينَ تَلَفَّتَتْ
وَتَطَّلَعَ الْإِسْلَامُ فِي أَمْصَارِهِ
وَجَهَادِهِ بِشَهَادَةِ التَّوْحِيدِ
فَكَأَنَّمَا يَخْلُو عَلَى التَّرْيِيدِ^{١٩}
رَفَعَ الْبِنَاءَ عَلَى أَشْمٍ وَطِيدِ^{٢٠}
عَزَّ الْمُلُوكُ بِخَشْيَةِ الْمَعْبُودِ^{٢١}
فَرَأَتْكَ بَيْنَ تَشْهَدٍ وَسُجُودٍ
يَهْفُو لِظِلِّ لَوَائِكَ الْمَعْقُودِ

سَعَدَ الصِّيَامُ وَشَهْرُهُ بِمُجَاهِدٍ
فَنَهَارُهُ لِلصَّالِحَاتِ، وَلَيْلُهُ
حَيَّيْتَ فِي الْمَذْيَاعِ أَوَّلَ لَيْلَةٍ
جَمَعَ السِّيَاسَةَ كُلَّهَا فِي أَحْرَفٍ
وَكَقْطَرَةِ الْعِطْرِ الَّتِي كَمْ جَمَعَتْ
قَوْلُ بِهِ الْحِكْمُ الْعَوَالِي نُسَقَتْ
أَصْغَى إِلَيْهِ الشَّرْقُ يَسْمَعُ دَعْوَةَ
وَزَهَتْ بِهِ الْعِزَمَاتُ بَعْدَ ذُبُولِهَا
لِلَّهِ صَوْتُكَ فِي الْأَثِيرِ فَإِنَّهُ
لَبَّيْكَ يَا مَلِكَ الْقُلُوبِ! فَمُرْ نَكُنْ
عَبَقَ الْوُجُودِ بِذِكْرِهِ الْمَحْمُودِ^{٢٢}
لِلْبَاقِيَّاتِ وَلِلنَّدَى وَالْجُودِ^{٢٣}
مِنْهُ بِقَوْلِ مُحْكَمِ التَّسْدِيدِ
كَالْعَقْدِ أَلْفَ بَيْنَ كُلِّ فَرِيدٍ
مِنْ نُورِ أَغْوَارٍ وَزَهْرٍ نُجُودِ^{٢٤}
مَا بَيْنَ مَنْثُورٍ وَبَيْنَ نَضِيدِ^{٢٥}
قُدْسِيَّةٍ لِلْبَعْثِ وَالتَّجْدِيدِ^{٢٦}
وَصَحَّتْ بِهِ الْأَمَالُ بَعْدَ رُقُودِ
أَخَذَ الْهُدَى وَالْحُسْنَ عَنْ دَاوُدَ!
لَكَ طَاعَةٌ، وَاللَّهُ خَيْرُ شَهِيدِ

إِنَّا بِدَرَسِ الدِّينِ أَبْصَرْنَا الْهُدَى
وَبَدَأَ الْمَلِكُ بِهِ يُمَجِّدُ رَبَّهُ
أَبْصَرْتُهُ وَالشَّعْبُ حَوْلَ بِسَاطِهِ
مَا أَسْمَحَ الْإِسْلَامُ! يَجْمَعُ رَحْبُهُ
حَرَسْتَهُ أَفْئِدَةً تُفَدِّي عَرْشَهُ
إِنَّ الْجُودَ بِهِ تَلَوُذٌ وَتَحْتَمِي
يُضْغِي وَيُنْصِتُ لِلْكِتَابِ وَأَبِيهِ
يَا قُدْوَةَ الْجِيلِ الْجَدِيدِ وَذُخْرَهُ
نُورًا يُشْعُ بِجَمْعِهِ الْمَحْشُودِ
لِلَّهِ مِنْ نُسْكِ وَمِنْ تَمْجِيدِ!
كَالطَّيْرِ رَفَ لِيُوزِيهِ الْمَوْرُودِ^{٢٧}
فِي اللَّهِ بَيْنَ مُسَوِّدٍ وَمَسُودِ
وَالْحُبِّ أَقْوَى عُدَّةٍ وَعَدِيدِ
وَلَكُمْ عُرُوشٌ تَحْتَمِي بِجُنُودِ!
فِي سَمْتِ مَوْفُورِ الْجَلَالِ حَمِيدِ
عَشَ لِلْمُنَى فَرْدًا بِغَيْرِ نَدِيدِ

* * *

حَارَ الْقَرِيضُ وَكَيْفَ أُلْبَغَ غَايَةً هِيَ فَوْقَ طَوْقٍ يَرَاعَتِي وَجْهُوْدِي؟
أَعَدَدْتُ أَلْوَانِي لِأَرْسَمَ صُورَةً أَيْنَ السُّهَاءِ مِنْ سَاعِدِي الْمَكْدُودِ؟^{٢٨}
حِلْمٌ كَمَا تُغْضِي الْأُسُودُ تَكْرُمًا وَعَزَائِمٌ فِيهَا نِجَارُ أُسُودِ^{٢٩}
وَقَرَّاسَةٌ سَبَقَتْ حَوَاثِ دَهْرَهَا حَتَّى كَأَنَّ الْعَيْبَ كَالْمَشْهُودِ^{٣٠}
وإِرَادَةٌ تَفْرِي الصُّعَابَ شَبَاتُهَا وَتَهْدُ عَزَمَ الصَّخْرَةِ الصَّيْخُودِ^{٣١}
وَذِكَاؤُ قَلْبٍ لَوْ رَمَى حَلَكَ الدُّجَى لَمْضَى يُهْرُولُ فِي الْمُسُوحِ السُّودِ^{٣٢}

* * *

مَوْلَايَ! إِنَّ الشُّعْرَ يَشْهَدُ أَنَّهُ بَلَغَ الْمَدَى فِي ظِلِّكَ الْمَمْدُودِ
أَلْفَى خِلَالًا لِقَنْتَهُ بَيَانُهُ فَأَعَادَهَا كَالصَّادِحِ الْغَرِيدِ^{٣٣}
فَلَكُمْ بَعَثْتُ مَعَ الْأَثِيرِ وَجِيدَةً فِي فَنِّهَا تَشْدُو بِمُلْكٍ وَحِيدِ
فَاهِنًا بِمِيلَادِ الْأَمِيرَةِ إِنَّهَا عُنوانٌ مَجْدٍ طَارِفٍ وَتَلِيدِ^{٣٤}
وَانْعَمُ بِعِيدِ الْفُطْرِ وَاسْعُدْ بِالْمُنَى فِي طَالِعِ ضَافِي النِّعِيمِ سَعِيدِ

هوامش

- (١) هزجًا: مترنمًا. يناعي: يداعب.
- (٢) السلسل: الماء العذب أو البارد، الضحضاح: الماء اليسير لا غرق فيه. الناصع: الخالص من كل ما يشوبه.
- (٣) الدل: دل المرأة ودلالها.
- (٤) ماست: تبخترت في عجب.
- (٥) رفل في ثيابه: أطالها وجرها متبخترًا.
- (٦) النشوة: أول السكر. دم العنقود: كناية عن الخمر.
- (٧) السراب: ما يرى في البعيد ماء وليس بماء. مقفرات البعيد: الصحاري المجردة.
- (٨) الرحيق: صفوة الخمر. والمراد هنا خلاصة الأزهار الأرجة. الأملود: اللين الناعم.
- (٩) الوسمى: مطر الربيع الأول. الولي: مطر الربيع الثاني. البرود الموشاة: الثياب المنقوشة.

تهنئة الملك بالعيد (فاروق الأول)

- (١٠) أحيلي: تصغير أحلى. الصيهدود: الصحراء لا ماء فيها ولا نبات.
- (١١) الجلمود: الصخر الأصم.
- (١٢) ثنيت: حولت. الصبابة: رقة الشوق وحرارته.
- (١٣) عقيدي: حليفي ومعاهدي.
- (١٤) الصنديد: السيد الشجاع.
- (١٥) أحنو: أميل. صريره: صرير القلم. صوته عند الكتابة. المكدود: المتعب. رنة عود: صوته.
- (١٦) ينثني: ينعطف ويميل. قادمته: القادمتان: ريشتان في مقدم جناح الطائر.
- (١٧) الخود: جمع خوداء وهي الشابة الجميلة الناعمة.
- (١٨) تشبيبي: التشبيب الغزل بالنساء.
- (١٩) صغت: مالت.
- (٢٠) أشم: مكان عال. وطيد: ثابت.
- (٢١) المحراب: صدر المجلس، والمراد محراب المسجد.
- (٢٢) عبق الطيب: انتشر شذاه.
- (٢٣) الندى: العطاء والجود.
- (٢٤) النور: الزهر. أغوار: جمع غور وهو المطمئن من الأرض. نجود: جمع نجد ما ارتفع منها.
- (٢٥) نضيد: من نضد المتاع وضع بعضه على بعض.
- (٢٦) قدسية: طاهرة. البعث: الإيقاظ والتنبيه.
- (٢٧) رف الطائر: بسط جناحيه. ورف للماء: سعى إليه.
- (٢٨) السهي: كوكب خفي يمتحن الناس به أبصارهم.
- (٢٩) النجار: الأصل.
- (٣٠) فراسة: هي المعرفة ببواطن الأمور.
- (٣١) تفري: تمزق. الشبابة: الحد. الصخرة الصيخود: الشديدة.
- (٣٢) حلك الدجى: سواد الظلمة. يهرول: يمشي مسرعًا. المسوح: جمع مسح وهو ثوب من الشعر غليظ.
- (٣٣) ألفى: وجد.
- (٣٤) الطارف: الجديد. التليد: القديم. الأميرة: الأميرة فريال أولى بنات فاروق.

عبد العزيز جاویش

يرثي الشاعر في هذه القصيدة أستاذه وصديقه الشيخ «عبد العزيز جاویش». وقد توفي في يناير سنة ١٩٢٩م.

على راحلِ نائي المَزَارِ قَرِيبٍ؟^١
تُرَاعُ بِصَوْتٍ فِي الظَّلَامِ رَهِيْبِ
وَكَمْ مِنْ يَقِيْنٍ فِي الْحَيَاةِ مُرِيبِ^٢
فَلَمْ نَسْتَمِعْ مِنْ فَيْكَ غَيْرَ نَعِيبِ
صِرَاعُ لَيَالٍ، وَاصْطِلَاحُ خُطُوبِ^٣
نُدُوبٌ لَطَعَنِ الدَّهْرِ فَوْقَ نُدُوبِ
عَلَى ابْنِ سُرَى حَامِي الذِّمَارِ وَثُوبِ^٤
شَعُوبًا لِهَذَا النَّاسِ مِثْلَ شَعُوبِ^٥
وَتَشْفِي لَهِيْبًا لِلْجَوَى بِلَهِيْبِ^٦
وَتَنْسَى أَرِيْبًا بِأَدْكَارِ أَرِيْبِ^٧
فَمَا مُخْطِئٌ فِي قَوْلِهِ كَمُصِيبِ
بِفَقْدِ كَرِيْمٍ، أَوْ فِرَاقِ حَبِيبِ
فَقَالَ: مَضَى، قُلْنَا: بَغِيْرَ ضَرِيْبِ^٨
وَأَخْفَى نَشِيْجًا تَحْتَ طِيٍّ نَحِيْبِ^٩
نَصِيْبُ امْرِئٍ فِي الرُّزْءِ فَوْقَ نَصِيْبِي
نَهَايَةُ هَذِي الشَّمْسِ غِيْرَ مَغِيْبِ

دُمُوعُ عُيُونٍ أَمْ بِمَاءِ قُلُوبِ
نَعَاهِ لَنَا النَّاعِي فَأَفْزَعَ مِثْلَمَا
فَقُلْنَا: أَبْنِ — رُحْمَاكَ — طَارَتْ عُقُولُنَا
شَكَّكُنَا، وَكَانَ الشُّكُّ أَمْنًا وَرَاحَةً
حَنَانِكَ، إِنَّا أُمَّةٌ هَدَّ رَكْنَهَا
إِذَا كَشَفَتْ عَنْهَا الْقَمِيصَ بَدَتْ بِهَا
وَإِنْ أُرْسِلَتْ فِي ذِمَّةِ اللَّهِ عَبْرَةً
دَهَتْهَا اللَّيَالِي فِي سَوَاهِ، وَلَا أَرَى
تَدَاوَى مِنَ الْإِعْوَالِ بِالْبَثِّ وَالْبُكََا
وَتَمْسَحُ دَمْعًا كِي تَجُودَ بِمِثْلِهِ
فِيَا أَيُّهَا النَّاعِي، إِذَا قُلْتَ فَاتَّئِدْ
حَنَانَكَ، قُلْ مَا شِئْتَ إِلَّا فَجِيْعَةً
فَقَالَ: قَضَى، قُلْنَا: قَضَى حَاجَةُ الْعُلَا
فَهَرَّ اعْتِلَاجُ الْحُزْنِ أَضْلَاعَ صَدْرِهِ
وَقَالَ: قَضَى عَبْدُ الْعَزِيزِ وَلَمْ يَكُنْ
فَوَا حَسْرَتَا! مَاتَ الْإِمَامُ وَلَمْ تَكُنْ

وفاض مَعِينُ كان رِيًّا ورحمةً
فَمَنْ لِكتابِ الله يَلْمَحُ نُورَهُ
وَمَنْ يَدْفَعُ العادي على دينِ أحمدٍ
وقد كُنْتَ يا عبدَ العزيزِ إذا دَجَتْ
وكلُّ مَعِينٍ صائرٌ لَنُضُوبٍ! ١٠
بعينٍ بصيرٍ بالبيانِ لبيب؟
بعزمٍ كَمَسْنُونِ الحِرابِ صَليب؟ ١١
وقد قيل: «أما بَعْدُ» خيرَ خطيب ١٢

بنفسي مَن عانى الحياةَ مُشَرَّدًا
غريبًا تقاضاه الليالي حُشاشةً
يطوفُ بأقطارِ البلادِ كأنه
ويطوي وراءَ البِشْرِ نفسًا جَريحةً
أيشكو لئيمِ القومِ كَظًّا وبطنَةً
لأميرِ غدا ما حَوْلَ مكةَ مُقَفِرًا
يَجُوبُ من الآفاقِ كُلِّ مَجُوبٍ ١٣
ولكنَّه للفضلِ غيرُ غريب ١٤
خيالٌ مُلِمٌّ، أو خيالٌ أديبٍ
وأعشارُ قلبٍ بالهُمومِ خَضيب ١٥
ويشكو فتى الفَتَيانِ مَسَّ سُغُوبٍ؟ ١٦
جَدِيبًا، وباقي الأرضِ غيرُ جَدِيب

تَقَتَّلْنَا الأيامُ وهي حياتنا
فما جِيلتي إن كان بالماءِ غُصَّتي
كَأَنَّ جِبَالَ الشمسِ كِفَّةً حابِلِ
نَروُحُ بها، والموتُ ظمآنٌ ساغِبُ
على الشَّفَقِ المُحَمَّرِ مِنْ فَتَكَاتِهِ
هل الدَّهْرُ إِلَّا ليلَةٌ طال سَهْدُها
وليس ترابُ الأرضِ غيرَ تَرائِبِ
سَلُّوا وَجَناتِ الغِيدِ في ذِمَّةِ الثَّرى
وكانت شِباكَا للعيونِ فأصبحت
وتُعْطِي، وما أَبْصَرْتُ غيرَ سَليب ١٧
وداني إذا عَزَّ الدَّواءُ طَبِيبِي؟ ١٨
تُحِيطُ بنا من شَمالٍ وَجَنُوبٍ ١٩
يُلاحِظُنَا في جَيئَةٍ وَذُهوِبٍ ٢٠
بَقايا دَمٍ للذاهِبِينَ صَبِيب ٢١
تَنفَسُ عن يومٍ أَحَمَّ عَصِيب؟ ٢٢
وغيرَ عُقولٍ حُطِّمَتْ وَقُلُوبٍ! ٢٣
أَتَرْهَى بحسَنِ أَمِ تُدِلُّ بطيب؟
ولستَ تَرى فيهنَّ غيرَ شُحُوب

فَيَا مَنْ رَأَى عبدَ العزيزِ تَنوُشَه
طَريحًا على أيدي الأَساةِ كأنَّه
فَيَا وَيْحَ للصَدْرِ الرَّحِيبِ الَّذِي غدا
نُيُوبٌ لعادي الموتِ أَيُّ نُيُوبٍ ٢٤
جَمالَةٌ عَضِبَ أو رِشاءَ قَلِيبٍ ٢٥
بِمُزْدَحِمِ الأَلامِ غيرَ رَحِيب

تَدِبُّ فِيهِ فِي مَوْطِنِ الْحَلَمِ عِلَّةٌ
تَرَى الْقَلْبَ مِنْهَا وَاجِبًا أَنْ تَمَسَّهُ
أَصَابَتْ نِظَامًا لِلْمَعَالِي فَبَدَّدَتْ
لَهَا كَالصَّلَالِ الرُّقْشِ شَرُّ دَبِيبٍ^{٢٦}
فَتَتْرَكُهُ قَلْبًا بِغَيْرِ وَجِيبٍ^{٢٧}
وَمَقْصِدَ آمَالٍ وَمَجْدَ شُعُوبٍ

لَقَدْ كُنْتَ تُعَلِّي فِي الْحَيَاةِ قِصَائِدِي
فَهَاكَ نِدَاءً، أَنْ يَجِدَ مِنْكَ سَامِعًا
رِثَاءً يَكَادُ الْمَيِّتُ يَحْيَا بِلَفْظِهِ
فَطَارِحَ بِهِ الْخَنَسَاءَ إِنْ جُزَّتْ دَارَهَا
تَمَنَيْتُ لَوْ أُرْسِلْتُ شَعْرِي مَعَ الْبُكَاءِ
وَصَيَّرْتُ أَنَا تِي تَفَاعِيلَ بَحْرِهِ
فَإِنِّي رَأَيْتُ الشَّعْرَ تَنْفِرُ طَيْرُهُ
تَهَابُ الْقَوَافِي أَنْ تَمَسَّ جَلَالَهُ
عَلَيْكَ سَلامٌ اللَّهُ مَا نَاحَ طَائِرٌ
وَتَهْتَزُّ عُجْبًا إِنْ سَمِعْتَ نَسِيبِي
وَهَاكَ رِثَاءً إِنْ يَفُزُ بِمُجِيبٍ
وَيَحْبِسُ شَمْسَ الْأَفْقِ دُونَ غُرُوبٍ
وَنَافِسٌ بِهِ — إِنْ شَتَّتْ — شَعَرَ حَبِيبٍ^{٢٨}
بِغَيْرِ قَوَافٍ، أَوْ بِغَيْرِ ضُرُوبٍ^{٢٩}
وَجِئْتُ بَوَازٍ فِي الْقَرِيضِ عَجِيبٍ
إِذَا دُهِمْتُ مِنْ فَادِحٍ بِهَبُوبٍ
لِذِي شَمَمٍ ضَافِي الْجَلَالِ مَهِيبٍ^{٣٠}
عَلَى غُصْنٍ غَضُّ الْإِهَابِ رَطِيبٍ^{٣١}

هوامش

- (١) نائي المزار: بعيد مكان الزيارة.
- (٢) النعيب: صوت الغراب، وهو مما يتشاءم به ويتبرم بسماعه.
- (٣) اصطلاح الخطوب: تتابعها.
- (٤) الذمار: ما يلزمك حفظه والدفاع عنه.
- (٥) شعوبا: مصدعا ومفرقا. شعوب: الموت.
- (٦) البث: الحزن. الجوى: حرقته.
- (٧) الأريب: ذو العقل والدهاء. الادكار: الذكر.
- (٨) قضى (الأولى): مات. قضى (الثانية): أنجز وأتم. الضريب: النضير والمثل.
- (٩) اعتلاج الحزن: اضطرابه وثورانه. النشيج: البكاء يغص به الحلق. النحيب: أشد البكاء.
- (١٠) غاض المعين: ذهب مأؤه. الري: الارتواء. النضوب: الجفاف.

- (١١) صليب: قوي لا يلين.
- (١٢) دجت: أظلمت، ويريد بالإظلام أوقات الشدة.
- (١٣) بنفسى: أفدى بنفسى. المجوب: المعمور من البلاد، الذي يجوبه الناس، يرحلون إليه.
- (١٤) تقاضاه: تتقاضاه. الحشاشة: الفؤاد.
- (١٥) الأعشار: الأجزاء. خضيب: مخضوب.
- (١٦) الكظ والبطنة: امتلاء البطن. السغوب: الجوع مع التعب. مس سغوب: ما يشعر الإنسان به من ألم الجوع.
- (١٧) السليب: المسلوب.
- (١٨) الغصة: ما تشعر به عند اعتراض شيء في الحلق. عز: امتنع.
- (١٩) الحابل: الصائد. كفته: حبالته التي يصيد بها.
- (٢٠) الساغب: الجائع.
- (٢١) صبيب: منصب.
- (٢٢) السهد: الأرق وعدم النوم. تنفس: تتكشف وتسفر. الأحم: الشديد السواد.
- (٢٣) الترائب: عظام الصدر.
- (٢٤) تنوشه: تتناوله تمزيقاً. نيوب: أي أنياب قوية حادة.
- (٢٥) الأساة: الأطباء. واحده آس. العضب: السيف القاطع. القليب: البئر. رشاؤه: حبله.
- (٢٦) الصلال: الحيات. الرقش: المنقطة، ويريد بموطن اللحم: الصدر.
- (٢٧) واجباً: خافقاً. الوجيب: خفقان القلب.
- (٢٨) الخنساء: شاعرة عربية. حبيب: هو الشاعر العربي المشهور أبو تمام.
- (٢٩) الضروب: جمع ضرب، وهو عجز البيت.
- (٣٠) الشمم: الإباء. ضافي الجلال: عميمه مبسوطه.
- (٣١) ما ناح طائر: ما بقيت الدنيا. رطيب: طري.

الصلح بين القبائل

حينما زار الشاعر بغداد في سنة ١٩٣٩م، مع صديقه حمد الباسل باشا. وُقِّعَ لعقد الصلح بين قبائل شمر والعبيد، بعد أن استمر العداء بينهما زمناً طويلاً. وقد أقيمت بهذه المناسبة حفلة بدار السفارة المصرية أنشد الشاعر فيها هذه القصيدة.

أجابتُ نداءَ الحقِّ سُمُرُ العواسِلِ	وعادتُ إلى الأعماد بيضُ المناصلِ ^١
وقرَّتْ قلوبٌ جازعاتٌ خوافِقُ	وخالطَ دمعُ البشرِ دمعَ الثواكلِ ^٢
وطافت على الشرِّ المناجِزِ حكمةٌ	أطاحتُ بما قد حاكه من حبائلِ ^٣
وأطفأ نيرانَ العداوةِ وابلٌ	من الحِلْمِ، حَيًّا صَوَّبَه كُلُّ وابلٍ ^٤
وصفَّقَ بالبشرى الفُراتُ وِدْجِلَةً	على نغماتِ الساجعاتِ الهوادلِ ^٥
وحطَّمتِ السلمُ الحُسَامَ فلمْ تَدَعْ	به بَعْدَ طولِ الفتكِ غيرَ الحمائلِ ^٦
فليت زُهَيْرًا بيننا بعدما خَبِتْ	لظَى الحربِ وانجابتْ غيومُ القساطِلِ ^٧

* * *

هو السيفُ أطفى ما خضعتُم لحكمه	إذا ما انتضاه الحقدُ في كفٍّ جاهلٍ ^٨
يُقطِّعُ أوشاجًا علينا عزيزةً	ويبتُرُ جبَّارًا كريمَ الوصائلِ ^٩
يسيلُ دمُ القُرْبَى عليه مطهرًا	أعزَّ وأزكى من نجيع الأصائلِ ^{١٠}
أخي، أنتِ درعي إن أَلَمْتُ مُلِمَّةٌ	وإن فدحتُنِي عابساتُ النوازلِ ^{١١}
أخي، أنتِ من نفسي، دماؤك من دمي	«فإن كنتُ مأكولًا فكنْ خيرَ أكلٍ»
أأرمي أخي؟ يا ويلَ ما صنعتُ يدي!	فيا لتها كانتُ بغيرِ أناملِ!

إذا مَسَّنِي خُطْبٌ فَأُولُ رَاكِبٍ
أَكَلْتُ دَمًا إِنْ لَمْ أَزِدْ عَنْ حَيَاضِهِ
أَضَاحِكُهُ وَالْقَلْبُ مَا عَيْثُ بِهِ
وَأَبْسَطُ كَفِّي نَحْوَهُ غَيْرَ جَافِلٍ
إِذَا الْبَيْدُ لَمْ تَنْبِتْ نَبَاتًا فَحَسْبُهَا
وَقَدْ عَلَّمْتَنَا أَنْ يَكُونَ إِخَاؤُنَا
أَلْسِنَا الْكَرَامَ الْغُرَّ مِنْ آلٍ يَغْرُبُ
حَمَيْنَا بِحَمْدِ اللَّهِ أَنْسَابُ قَوْمِنَا
وَمَا خَلَقْتُ إِلَّا لِعَزْمِ نَفُوسِنَا
إِذَا افْتَرَقَتْ أَهْوَاءُ قَوْمٍ تَشْتَتُوا
عَزِيزٌ عَلَى الْوَطَانِ أَنْ شَجَاعَةٌ
حَمَانَا كِتَابُ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ فُرْقَةٍ
وَصَالَتْ بِنَا مِنْ قُوَّةِ الْبَاسِ وَحْدَةٌ
فَنَلَّتْ عُرُوشُ، وَاسْتَطَارَتْ أَسْرَةٌ

يَخُوضُ لِي الْجُلَى، وَأَسْرَعُ نَازِلٌ
كَرِيمًا، وَأَدْفَعُ عَنْهُ كَيْدَ الْغَوَائِلِ
لِئَامِ الْمَسَاعِي، أَوْ سَمُومِ الدِّخَائِلِ
وَيَبْسُطُ نَحْوِي كَفَّهُ غَيْرَ جَافِلٍ
فَقَدْ أَنْبَتَتْ فِينَا كَرِيمَ الشَّمَائِلِ
كَشَامِخِ رَضْوَى رُكْنُهُ غَيْرُ زَائِلٍ
لَدَى الرَّوْعِ، أَوْ عِنْدَ التَّقَافِ الْمَحَافِلِ
وَصُنَّا عَلَى الْأَيَّامِ مَجْدَ الْأَوَائِلِ
كَأَنَّا خَلَقْنَا مِنْ غُبَارِ الْجَافِلِ
وَلَمْ يَرْجِعُوا إِلَّا بَعَارِ التَّخَاذُلِ
تُمَزَّقُهَا الشَّحْنَاءُ فِي غَيْرِ طَائِلِ
فَكُنَّا لِدِينِ اللَّهِ خَيْرَ الْمَعَاقِلِ
عَلَى الْكَوْنِ، لَمْ تَتْرُكْ مَصَالًا لِمَاقِلِ
مِنَ الدُّعْرِ فِي أَعْوَادِهَا وَالزَّلَازِلِ

جَمَعْنَا عَلَى الْحُبِّ الْقُلُوبَ فَأَشْرَقَتْ
وَعِغْنَا وَرَوَدَ الْمَاءُ أَكْدَرَ آسِنَا
وَعَادَتْ إِلَى الْحَسَنِ «الْعَبِيدُ» وَ«شَمْرُ»
وَأَصْغَوْا إِلَى الرَّأْيِ السَّدِيدِ وَأَنْصَتُوا
إِلَى «حَمْدٍ» تَرْنُو الْمَعَالِي مُدَلَّةً
عَرَفْنَاهُ وَرَدًّا لِلْنَدَى غَيْرَ نَاضِبٍ
وَقَدْ دَفَنَ الْقَوْمُ التُّرَاثَ وَأَقْبَلُوا
وَسَلُّوا لِإِعْلَاءِ الْعِرَاقِ عَزَائِمًا
يُفْدُونَ بِالْأَرْوَاحِ وَالْأَهْلِ «فَيْصَلًا»

كَمَا أَشْرَقَتْ بِالْغَيْثِ زُهْرُ الْخَمَائِلِ
وَحَنَّتْ حَنَايَانَا لِعَذَابِ الْمَنَاهِلِ
وَسَارَ بِشِيرُ السَّلْمِ بَيْنَ الْقِبَائِلِ
لِنَصِيحِ نَصِيرٍ لِلْعُرُوبَةِ «بَاسِلِ»
وَتُلْقِي بِأَسْبَابِ النُّهْيِ وَالْفَضَائِلِ
لِرَاجٍ، وَعِزْمًا لِلْعَلَا غَيْرَ نَاكِلِ
إِلَى الْحَقِّ يَمْحُو ضَوْؤُهُ كُلَّ بَاطِلِ
أَسَدٌ وَأَمْضَى مِنْ سِنَانِ الذُّوَابِلِ
مَنَاطُ الْمُنَى مِنْ كُلِّ رَاجٍ وَأَمَلِ

هوامش

- (١) نداء الحق: يراد هنا السلام. سمر العواسل: الرماح. الأعماد: جمع غمد وهو الجراب الذي يوضع فيه السيف. بيض المناصل: السيوف.
- (٢) قرت: هدأت وسكنت. جازعات خوافق: خائفات مضطربات. الثوكل: النساء اللاتي فقدن أبناءهن.
- (٣) المناجز: المقاتل. حاكه: صنعه.
- (٤) وابل: المطر الشديد.
- (٥) الفرات ودجلة: نهران بالعراق. الساجعات الهوادل: الحمام.
- (٦) الحسام: السيف. الحمائل: علاقة السيف.
- (٧) زهيرًا: هو زهير بن أبي سلمى الشاعر الجاهلي العظيم وأحد أصحاب المعلقات في الجاهلية واشتهر بحبه للسلام وكراهيته للحرب، له معلقة مشهورة مطلعها:

أمن أم أوفى دمنة لم تكلم بحومانة الدراج فالمتثلم

دعا فيها للسلام ونفّر من الحرب وويلاتها إذ قال:

وما الحرب إلا ما علمتم وذقتمو وما هو عنها بالحديث المرجم
متى تبعثوها تبعثوها ذميمة وتضر إذا ضريرتموها فتضرم

- القساطل: جمع قسطل وهو غبار الحرب.
- (٨) أطغى: جاوز الحد.
- (٩) أوشاجًا: جمع وشج وهو صلة القرابة.
- (١٠) نجيع: الدم من الجوف. الأصائل: الأصيل.
- (١١) الدرع: ما يقي الإنسان أثناء الحرب. ألت ملمة: نزلت نازلة. فدحتني: أصابتني بمصاب كبير. عابسات النوازل: شدة الكوارث.
- (١٢) الجلى: حلبة القتال ويقصد المخاطر والأهوال.
- (١٣) أكلت دمًا: دعاء على نفسه. أزد: أدافع. حياضه: أراضيه. كيد: مكر. الغوائل: الذين يقفون له بالمرصاد لإهلاكه.
- (١٤) الدخائل: الدخلاء المفسدون.

- (١٥) غير جافل: غير خائف.
- (١٦) البيد: الصحراء.
- (١٧) رضوى: جبل رضوى الشهير بالحجاز.
- (١٨) آل يعرب: يقصد العرب نسبة إلى يعرب بن قحطان وهو أبو العرب. الروع: الفزع والهول.
- (١٩) غبار الجحافل: غبار الجيوش الكبيرة.
- (٢٠) عفنا: كرهنا، تجنبنا. أكدر آسنًا: متغير اللون والطعم والرائحة. عذب المناهل: الماء العذب. وفي البيت طباق.
- (٢١) العبيد وشمر: القبيلتان المتحاربتان بالعراق.
- (٢٢) أصاخوا: استمعوا. باسل: هو حمد الباسل باشا وكان هو والشاعر أعضاء الوفد الذي أسهم في إصلاح ذات البين بين القبيلتين المتحاربتين.
- (٢٣) وردا: موردا. الندى: الكرم. غير ناضب: غير منقطع، وافر. ناكل: راجع عن.
- (٢٤) التراث: الأحقاد التي أدت بهم إلى الحرب.
- (٢٥) سلوا: أخرجوا. سل السيف: أخرجه من غمده استعدادًا للقتال. الذوايل: الرماح.
- (٢٦) فيصلًا: الملك فيصل الثاني ملك العراق حينئذ. راج: مرتجي، مؤمل.

ثَقِيل!!

عام ١٩٣٠ م

تَبَّأْ لَهُ مِنْ ثَقِيلٍ دَمًا وَرُوحًا وَطِينَهُ!
لَوْ كَانَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ لَمَّا رَكِبْتُ السَّفِينَةَ^١

هوامش

(١) السفينة: يقصد بها سفينة سيدنا نوح كما جاء ذكرها في القرآن الكريم.

ذكرى الزفاف الملكي

بمناسبة ذكرى زواج الملك السابق فاروق إلى الملكة السابقة فريدة يناير ١٩٣٩م.

والثَمَّ الحَسَنَ في جَبِينِ الصَّبَاحِ^١
ونافسَ به ذواتِ الجَنَاحِ^٢
واسرِقَ السُّحْرَ من عُيُونِ المِلاحِ
نَ طَلِيقَ الهَوَى جَمِيمِ المِراحِ
قد سئَمنا مرارةَ الأقداحِ^٣
فصرنا رُوحًا بلا أشباحِ^٤
عزَّ على كلِّ باحثٍ كدَّاحِ
فوق طوقِ البَيانِ والإيضاحِ^٥
حِ تعالى عن جَفَوَةِ الألواحِ^٦
وأصغِنا لهمسِ الغُصونِ في الأدواحِ^٧
ضِ فتَهفُو لها تُغورُ الأقاحي^٨
في الدنيا إذا ضاقَ بي فسيحُ البَراحِ
وجَبِينِ مَسَحَتَ بعدَ كِفاحِ!
وأطْلُقَ إلى الخَيالِ سَراحي
بعدَ نَأْيٍ وبعدَ طُولِ جمَاحِ^٩
وبعطفِ الزَّمانَ بعدَ شِياحِ^{١٠}
ضِ وَيَعْطُو بِمِئزَرٍ ووُشاحِ^{١١}

أقبِسِ النورَ من شُعاعِ الرَاحِ
وأُبْعِثِ اللَّحْنَ من سَمائِكَ يا شَعْرُ
وانهَبِ الحَسَنَ من خُدودِ العَذاري
وتَنَقَّلْ بَيْنَ الخَمائِلِ جَذلاً
واسقِنَا من سُلَافِكَ العَذَبِ إِنَّا
كم ثملنا بِرَشْفَةٍ منك يا شَعْرُ
ورأينا من الحَقائِقِ ما
وقرأنا في كلِّ شيءٍ رُموزًا
ورَسَمنا بدائعَ الكونِ في لَوِ
وفهِمنا لُغى الطُّيُورِ
ورأينا البُرُوقَ تضحَكُ في الرُّوِ
إِيه يا شَعْرُ أَنْتَ سَلَوَايِ
كم عناءٍ كَشَفْتَ بعدَ نِضالِ
لا تَدْعُنِي يا شَعْرُ في ليلةِ الذِّكْرى
غَنَّنِي بِالْمُنَى تَرِفُ حَنانًا
غَنَّنِي باللقاءِ بعدَ شَتاتِ
غَنَّنِي بالربيعِ يَخْطُرُ في الرُّوِ

وَنَبَا مِزْهَرِي عَنِ الْإِفْصَاحِ^{١٢}
وَيَطْفُو بِهِ مِنَ الْأَفْرَاحِ؟^{١٣}
يَا شَعْرُ وَغَرْدُ بِصَوْتِكَ الصَّدَاحِ
قَ وَبُعْدَ الْمَدَى عَنْ ابْنِ رَبَّاحِ^{١٤}
رَجَعْ أَنْغَامِهِ جَمِيعُ النَّوَاحِي
بِي وَأَزَحَتْ شُعُورُهَا لِلرِّيَّاحِ^{١٥}
رَ وَيَهْفُو بِتَغْرِهِ الْفَوَّاحِ^{١٦}
يَمْلَأُ السَّمْعَ وَهُوَ نَشْوَانُ صَاحِي^{١٧}
هَلْ عَلَى الزَّهْرِ فِي الْهَوَى مِنْ جُنَاحِ؟^{١٨}

غَنَنِي غَنَنِي فَقَدْ عَيَّ نَابِي
كَيْفَ تَحْوِي الْأَوْتَارُ مَا يَغْمُرُ الْقُلُوبَ
غَنٌّ فِي لَيْلَةِ الْبَشَائِرِ
وَحُذِّ الْفَنِّ مِنْ تِرَانِيمِ إِسْحَا
وَأَمْلَأَ الْأَفَقَ بِالنَّشِيدِ تَرَدُّدُ
مَاسَتْ الْبَاسِقَاتُ فِي ضِفَّةِ الْوَا
وَرَنَا الزَّهْرُ بِاسْمَا يَنْشُرُ النُّو
أُسْكِرَتْهُ الذُّكْرَى فَأَصْغَى وَأَصْغَى
مَالَ تَيْهَهَا كَمَا تَمِيلُ الْعَذَارَى

تَمَلَّأُ النَّفْسَ مِنْ مُنَى وَارْتِيَا
وَاسْتَنَارَتْ بِنُورِهَا الْوَضَّاحِ
وَمَجْدُ مِنَ الصَّمِيمِ الصُّرَاحِ^{١٩}
الْمِسْكُ وَفِي ظِلِّ عَزَّةٍ وَسَمَاحِ
فَغَضَّتْ مِنَ الدَّرَارِي الصُّحَا^{٢٠}
وَيَا يُمْنُ نَجْمِهِ اللَّمَّاحِ^{٢١}
وَتَمْضِي بِعَزْمَةٍ وَطَمَاحِ^{٢٢}
وَعَرَسَتْ الْإِحْسَانَ فِي كُلِّ رَاحِ^{٢٣}
مِنْ عَطَاءِ الْمُهَيَّمِنِ الْفَتَّاحِ^{٢٤}
شَرَفٌ مُشْرِقُ الْأَسَارِيرِ ضَاحِي^{٢٥}
وَكَبَتْ دُونَ وَصْفِكُمْ أُمْدَاحِي^{٢٦}
مَا لِمَا خُطَّ فِي السَّمَوَاتِ مَا حِي
رَايَةَ الدِّينِ بِالظُّبَا وَالرَّمَا^{٢٧}
وَأِبَاءُ يَغْشَى الْوَعَى بِصِفَاحِ^{٢٨}
وَسَرَى ذِكْرُهُ بِكُلِّ مَرَّاحِ^{٢٩}
وَمَنَارًا لِلْبَرِّ وَالْإِصْلَاحِ^{٣٠}
لُ حَيَاةِ النَّفُوسِ وَالْأَرْوَاحِ^{٣١}

إِنَّ ذَكَرِي الزَّفَافِ أَسْعَدُ ذَكَرِي
سَعِدْتُ مَصْرَ بِالْمَلِيكَةِ فِيهِ
شَرَفٌ بَاذِخٌ يَتِيهِ عَلَى الدُّنْيَا
نَبَتَتْ فِي مَنَابِتِ أَرْضِهَا
وَبَدَتْ دُرَّةً مِنَ النَّبْلِ وَالْمَجْدِ
فَهَنَاءُ فَارُوقُ يَا مَوْئِلَ النَّيْلِ
أَنْتَ أَنْهَضْتَ مَصْرَ تَسْتَبِقُ الْخَطُوبَ
وَبَعَثْتَ الْأَمَالَ فِي كُلِّ قَلْبِ
ذَاكَ سِرُّ الْبَيْتِ الْكَرِيمِ وَفِيضُ
أَلْ بَيْتِ الْمُلْكِ الْمَوْئِلِ أَنْتُمْ
عَجَزَ الشَّعْرُ أَنْ يَنَالَ مَدَاكُمُ
كَتَبَ اللَّهُ فِي الْخُلُودِ غَلَاكُمُ
جَدُّكُمْ أَنْقَذَ الْبِلَادَ وَأَعْلَى
حِكْمَةً تَأْسُرُ الْقُلُوبَ بِصَفْحِ
كَمْ تَغْنَى بِفَضْلِهِ كُلُّ مَغْدَى
عَاشَ فَارُوقُ وَالْمَلِيكَةُ نُحْرًا
وَلْتَعِشْ قُرَّةُ الْبَصَائِرِ فَرْيَا

هوامش

- (١) قبس النور: أخذه. القبس: الشعلة. الراح: الخمر. اللثم: التقبيل والمراد بالنور: شعاع الخمر.
- (٢) اللحن: الغناء. ذوات الجناح: الطيور.
- (٣) السلاف: الخمر.
- (٤) ثمل: انتشى. الرشفة: المرة من الشرب. الأشباح: الأشخاص.
- (٥) الرمز: الإيماء، والمراد به هنا المعنى الخفي. الطوق: الطاقة.
- (٦) البدائع: الطرائف، الجفوة: الغلظ.
- (٧) لغى: جمع لغة. الأدواح: ومفرده دوحه وهي الشجرة العظيمة.
- (٨) الأقاحي: جمع أقحوان وهو زهر أصفر الوسط أبيض الأوراق مسننها.
- (٩) ترف: ترفرف. النأي: البعاد. الجماح: الشرود.
- (١٠) الشتات: التفرق. الشياح: الإعراض.
- (١١) العطو: رفع الرأس. المئزر: الملحفة. الوشاح: حلية مرصعة بالجواهر.
- (١٢) عي: عجز. نبا: كل. الناي: آلة النفخ. المزهري: العود.
- (١٣) يغمر: يغطي. يطفو: يعلو.
- (١٤) ترانيم: جمع ترنيم وهو تطريب الصوت. المدى: الغاية. إسحاق: هو ابن إبراهيم الموصلي كان هو وأبوه من أشهر مغني الدولة العباسية. ابن رباح: هو بلال مؤذن رسول الله ﷺ.
- (١٥) ماس: مال تيهًا. الباسقات: جمع باسقة وهي النخيل.
- (١٦) رنا: نظر. هفا: مال. الثغر: الفم. الفواح الذي يتضوع أريجًا.
- (١٧) النشوان: الغائب عن الوعي بتأثير الخمر. الإصغاء: الإماله ويستعمل كثيرًا في التسمع.
- (١٨) التيه: الدلال. الجناح: الإثم.
- (١٩) بانخ: عال. الصراح: الخالص.
- (٢٠) غص منه: وضع من قيمته. الدراري: النجوم اللامعة.
- (٢١) موئل: ملجأ. اليمن: البركة. لماع: لماع.
- (٢٢) الاستباق: التسابق. والمراد يسابق بعضها بعضًا. الطماح: التطلع، والمراد التطلع إلى المعالي.

- (٢٣) الراح: بطون الأيدي مفرده راحة.
- (٢٤) السر هنا: الأصل وكرم النسب.
- (٢٥) المؤئل: الأصيل. الأسارير: محاسن الوجه. الضاحي: البادي الظاهر.
- (٢٦) كبا: عثر.
- (٢٧) الظبا: جمع ظبة وهي شفر السيف وحده، والجد المشار إليه هو: محمد علي باشا رأس الأسرة العلوية.
- (٢٨) الصفح: الغفران، وهو أيضاً عرض السيف وجمعه صفاح. غشيان الوغى: اقتحام الحرب.
- (٢٩) مغدى ومراح: اسما مكاني الغدو والرواح بمعنى الذهاب والمجيء أو اسما زمنيتهما، والمعنى مستقيم على كلا الاعتبارين.
- (٣٠) الذخر: ما يدخر للمستقبل، والمنار: ما ينصب لهداية السفن.
- (٣١) القرة: البرد، البصائر: جمع بصيرة والمراد بها القلب.

رثاء عاطف

أنشدت في حفل تأبين عاطف بركات باشا وكيل وزارة المعارف سنة ١٩٢٤م.

العَيْنُ عَبْرَى، والنُّفُوسُ صَوَادِي
أَرْجَاءَ ذَا الْوَادِي الْخَصِيبِ جَنَابُهُ
سَهْمُ رَمَاكَ بِهِ الْحَمَامُ مُسَدَّدٌ
وَقَضَى عَلَى الْأَمَالِ فِي أَفْنَانِهَا
وَأَصَابَ مِنْ قَبَسِ الزَّكَانَةِ شُعْلَةً
وَطَوَى حُسَامًا مِنْكَ فِي جَفْنِ الثَّرَى
صَحْفُ الْحَيَاةِ، وَأَنْتَ أَصْدَقُ قَارِيٍّ
وَالْوَرْدُ يَزْهُو نَاضِرًا فَوْقَ الرُّبَا
وَالْمَاءُ يَجْتَذِبُ النُّفُوسَ نَمِيرُهُ
مَا هَذِهِ الدُّنْيَا؟ أَمَا مِنْ نِعْمَةٍ
قَدْ حَيْرَتِ شَيْخَ الْمَعْرِةِ حَقْبَةً
تَعْبُ الْحَيَاةِ يَجِيءُ مِنْ لَذَاتِهَا
يَطْوِي بِسَاطَ الْعُرْسِ فِيهَا مَأْتَمٌ
قَدْ كَانَ فِي رُزْءِ الْحَسَيْنِ بَكْرَبَلًا

مَاتَ الْحَجَا، وَقَضَى جَلَالَ النَّادِي¹
مَاذَا أَصَابَكَ يَا رَجَاءَ الْوَادِي²؟
أَوْدَى بِأَيِّ رَوِيَّةٍ وَسَدَادٍ!
فَذَوْتُ وَلَمْ تُمْهَلْ لَوْقَتِ حَصَادٍ
وَهَاجَةً، فَغَدَتِ فَتَيْتَ رَمَادٍ³
قَدْ كَانَ يُسْتَعَصَى عَلَى الْأَغْمَادِ
لِسُطُورِهَا، تُطَوَى إِلَى مِيعَادٍ
وَيَعُودُ حِينًا وَهُوَ شَوْكُ قَتَادٍ⁴
وَلَقَدْ يَكُونُ الْمَاءُ غُصَّةً صَادِي⁵
فِيهَا الْغَيْرُ تَشْتَتِ وَنَفَادٍ!
فِي نَوْحِ بَاكِ أَوْ تَرْنَمِ شَادِي⁶
وَلِذِيذِهَا يُجْنَى مِنَ الْإِجْهَادِ
فِي إِثْرِهِ عِيدٌ مِنَ الْأَعْيَادِ
عِيدُ الْيَزِيدِ وَعِيدُ آلِ زِيَادٍ⁷

أَيُّمُوتُ عاطفُ، والكَنَانَةُ تَرْتَجِي
وَتَبَاتِهِ، وَالْيَوْمُ يَوْمُ جَلَادٍ؟

أَيَمُوتُ فِي الْمَيِّدَانِ، لَمْ يُغَمَدْ لَهُ
 أَيَمُوتُ، وَالنَّصْرُ الْمُبِينُ مُلَوَّحٌ
 وَيَغِيضُ مَاءً كَانَ أَيْسَرُ قَطْرَةً
 عُمُرٌ إِذَا قَلَّتْ سَنُوهُ، فَإِنَّمَا
 كَالْعِطْرِ تَجْمَعُ قَطْرَةٌ مِنْ مَائِهِ
 كَمْ مِنْ فَتًى فِي التُّرَابِ، وَخَلَفَهُ
 وَمُعَمَّرٌ عَبَّرَ الْوُجُودَ، فَمَا رَنَا
 عُمُرُ الرِّجَالِ يُقَاسُ بِالْمَجْدِ الَّذِي
 سَيْفٌ، وَلَمْ يُخْلَعْ نِيَابُ نَجَادٍ؟^٨
 بِلَوَائِهِ لَطَلَّائِعُ الْأَجْنَادِ؟
 مِنْهُ حَيَاةٌ خَلَائِقُ وَبِلَادٍ؟
 آثَارُهُنَّ كَثِيرَةٌ التَّعْدَادِ
 زَهْرًا، يَنْوَأُ بَغْضَنِهِ الْمَيَّادِ
 ذَكَرُ يُزَاحِمُ مِنْكَبِ الْآبَادِ!^{١٠}
 طَرْفٌ إِلَيْهِ وَلَا بَكَى لِبَعَادِ
 شَادُوهُ، لَا بِتَقَادُمِ الْمِيلَادِ

عَزَّ (المعارف) مُطَرِّقًا فِي عَاطِفِ
 لِلْعِلْمِ وَالْأَخْلَاقِ كَانَ مُعَاضِدًا
 مَا زَالَ يَكْدُحُ، وَالْخُطُوبُ بِمَرْصِدِ
 لَمْ تُثْنِهِ الْأَلَامُ عَنْ غَايَاتِهِ
 فَالْغَيْلُ مُوَصَّلٌ بِيَوْمٍ حَافِلِ
 وَكَأَنَّمَا نُصْحُ الطَّبِيبِ بِسَمْعِهِ
 وَهَبَ الْحَيَاةَ كَرِيمَةً لِبِلَادِهِ
 وَإِذَا بَذَلْتَ لِمَصْرَ كُلِّ عَزِيزَةٍ
 زَيْنِ الْفَنَاءِ وَسَيِّدِ الْأُنْدَادِ
 فَطَوَى الْحَيَاةَ وَفَتَّ فِي الْأَعْضَادِ!^{١١}
 وَالِدَاءُ يَطْغَى، وَالزَّمَانُ يُعَادِي
 أَوْ تَلَوِّهِ الْأَسْقَامُ دُونَ مُرَادِ
 وَالْيَوْمُ مَعْقُودٌ بِلَيْلِ سُهَادِ
 هَذَرُ الْوُشَاةِ، وَزُفْرَةُ الْحُسَّادِ
 وَمَضَى إِلَى الْأُخْرَى صَرِيحَ جِهَادِ
 إِلَّا الْحَيَاةَ، فَأَنْتَ غَيْرُ جَوَادِ

حَمَلُوا عَلَى الْأَعْوَادِ خَيْرَ وَدِيعَةٍ
 فِي رُكْبِهِ زَمَرُ السَّمَوَاتِ الْعُلَا
 وَالصَّبْرُ نَاءٌ، وَالرُّعُوسُ خَوَاشِعُ
 حَمَلُوا عَلَى النُّعْشِ الْكَرِيمِ، سَلَالَةَ الـ
 وَتَحَمَّلُوا لِيَذْفِنُوا تَحْتَ الثَّرَى
 حَفَّ الشَّبَابُ بِهِ، وَفِي عَبْرَاتِهِمْ
 (أَعْلَمْتَ مَنْ حَمَلُوا عَلَى الْأَعْوَادِ؟)^{١٢}
 تَحَدُّوْا مَطِيئَتَهُ لِخَيْرِ مَعَادِ!^{١٣}
 وَالِدَمْعُ جَارٌ، وَالْقُلُوبُ صَوَادِي^{١٤}
 حَسْبِ الْكَرِيمِ، وَصَفْوَةِ الْأَمْجَادِ
 شَمَمَ الْأَبَاةِ، وَصَوْلَةَ الْأَسَادِ!^{١٥}
 كَمَدَ الْجَنُودِ لِمَصْرَعِ الْقَوَادِ

يا رامي الأمل البعيد بهمة
وعقيدة لو صوّرت بمماثل
لم يزُها ضافي المديح، ولم تكن
وعزيمة لا الزجرُ نهنه همّها
كادت تدور مع الكواكب دورها
كانت أحزّ من المدى، وأحد من
وثقت بخالقها القدير فشمرت
«سيشيل» منه رأت هصوراً يزدرى
لهفى عليه، والديار بعيدة
متوثباً نحو المحيط كأنه
ما دكّه عصفُ الخُطوب ولا ونى
لا تعجّبوا، من كان سعداً خالهُ
سعد الذي غرس المهيمن حبه

شمّاء تُذكر غاية الأبعاد
كانت تكون رصانة الأطواد^{١٦}
في الحق ترهبُ صولة النقّاد^{١٧}
يومًا ولا فُلتت، من الإيعاد^{١٨}
بالنّحس آونةً وبالإسعاد
عزب الطّبي يسألن يوم طراد^{١٩}
محمودة الإصدار والإيراد^{٢٠}
ألم الإسار، وقسوة الأصفاد^{٢١}
وخيالٍ مضرّ مروّح ومغادي
صقرُ الفلاة بكفة الصّياد^{٢٢}
لزعازع الإبراق والإزعاد
ألقت له الأخلاق كلّ قياد
في كلّ جارحة وكلّ فؤاد

مُحيي القضاة رماه في ريعانه
وثبت عليه من المنون غوائل
شيّدت داراً للقضاء فأصبحت
لو لم تجئ يوم الحساب بغيرها
وبثنت رُوحك في الشيوخ، فكلهم
وبنيت بالأخلاق منهم دولة
الدين سَمَح، إن سَلَكْتَ سَبِيلَهُ
فَلَكُمْ رَأِينَا فِي الْمَعَابِدِ أَشْعَبَا

سَهْمُ القضاء، فما له من فادي^{٢٣}
وعدت عليه من الزّمان عوادي
للدين والأخلاق خيرَ عماد
لسموت فوق منازل العباد^{٢٤}
داع إلى نور النبوة هادي
بلغت بحولك أبعد الآماد^{٢٥}
للخير، لا للشّرّ والإفساد
للختل يلبس بُردة الزّهاد^{٢٦}

فزعّت لك الأفلام فوق طروسها
وتكادُ تلتهبُ المنابرُ حسرةً
والشّعُرُ أضحتْ هاطلات دُموعه

ومن المِدادِ لبسنَ ثوبَ جِداد^{٢٧}
لما رحلت، على خطيب إياد^{٢٨}
بحراً، فنّاح عليك في الإنشاد

مَنْ لِي، وَظِلُّ المَوْتِ دَاخٍ بَيْنُنَا
مَنْ لِي بِذَاكَ الوجهِ، بَيْنَ غُضُونِهِ
يَا طَالِبًا نُورَ اليَقِينِ حَيَاتُهُ
وَأَمْلًا جُفُونَكَ بالكَرْى فِي غِبْطَةٍ
وَاخْلَعُ ثِيَابَ الداءِ عَزَّ دَوَاؤُهُ
وَاذْهَبْ كَمَا ذَهَبَ الشَّبَابُ مُسَيِّعًا
سَحَتْ عَلَيْكَ مَعَ الْجَنُوبِ رَوَائِحُ
بِضِيَاءِ ذَاكَ الْكُوكِبِ الْوَقَادِ! ٢٩
أَسْطَارُ أَسْرَارِ الْحَيَاةِ بِوَادِي!
جَاءَ اليَقِينُ، فَسَرَّ بِأَوْفَرِ زَادٍ
قَدْ كُنْتَ أَحْوَجَ سَاهِدٍ لِرُقَادٍ
وَالْبَسَ بَعْدَ أَنْفَسِ الْأَبْرَادِ ٣٠
بِدَمِ الْجُفُونِ وَحُرْقَةِ الْأَكْبَادِ
وَهَمَّتْ عَلَيْكَ مَعَ الشَّمَالِ غَوَادِي ٣١

هوامش

(١) عبري: يجري دمعها حزناً. صوادي: ظمأى من حرقة الحزن ولهيبه.

(٢) الجناح: الناحية.

(٣) القبس: الشعلة تقتبس من معظم النار. الزكّانة: الفراسة والبصر بالأمور.

(٤) الربا: ما ارتفع من الأرض. القتاد: شجر صلب له شوك كالإبر.

(٥) نميره: الصفي العذب منه. الغصة: ما يعترض في الحلق فيتأذى به الإنسان.

الصادي: العطشان.

(٦) شيخ المعرة: أبو العلاء المعري الشاعر المعروف بزهد. الحقبة: المدة. ويشير

بالشطر الثاني من هذا البيت إلى قصيدة أبي العلاء التي مطلعها:

غير مجد في ملتي واعتقادي نوح باك ولا ترنم شاد

(٧) الرزء: المصيبة. كربلاء: حيث قتل الحسين، عليه السلام. اليزيد: هو ابن

معاوية. زياد: هو ابن أبي سفيان. ويريد بأله الشيعة الأموية التي خرجت على يد علي

بن أبي طالب.

(٨) النجاد: حمالة السيف. نياط الشيء: ما يعلق به ويشد. الواحد نوط.

(٩) ينوء: يعيا ويكل. المياد: المتثنى ليناً.

(١٠) الآباد: جمع أبد (بالتحريك) وهو الدهر.

(١١) معاضداً: ناصراً ومؤازراً. فت في الأعضاء: أوهن وأضعف مشيراً إلى مرض

السرطان الذي مات به الفقيد.

- (١٢) الأعواد: النعش. والشطر الثاني مطلع قصيدة للشريف الرضي.
- (١٣) الزمر: الجماعات. ويريد «بزمرة السموات» الملائكة. تحدو: تسوق وتدفع. ويريد «بالمطية» نعشه.
- (١٤) صوادي: جافة من حرقة الحزن ولهيبه.
- (١٥) تحملوه: حملوه. والشمم: العزة والامتناع. والأبأة: جمع أبي وهو الذي يأبى الضيم والذلة. وصوله الآساد: بطشها وقوتها.
- (١٦) الرصانة: الرسوخ. الأطواد: جمع طود، وهو الجبل العظيم.
- (١٧) لم يزهها: لم يبطرها. الصولة: السطوة.
- (١٨) نهنه: خفف ولطف. قلت: تكسرت. الإيعاد: التهديد.
- (١٩) أحز من المدى: أحد وأقوى قطعاً. غرب الظبي: حد السيف. يسللن: ينتزعن من أغمادهن. يوم الطراد: الحرب.
- (٢٠) شمزت: جرت متجهة إلى ما تريد. الإصدار والإيراد: الفعل والترك.
- (٢١) سيشل: إحدى الجزر التابعة لإنجلترا حينئذ وتقع إلى الشرق من إفريقية. وإليها نفي الفقيه مع المغفور له سعد زغلول باشا وغيرهما. الهصور: الأسد. يزدرى: لا يعبأ. الإسار: الأسر. الأصفاد: القيود.
- (٢٢) كفة الصياد: حبالته.
- (٢٣) محيي القضاء يشيد بأياده على مدرسة القضاء الشرعي التي أنجبت قضاة أخذوا بيد القضاء ونهضوا به.
- (٢٤) سموت: علوت وارتفعت.
- (٢٥) الآماد: الغايات، الواحد: أمد.
- (٢٦) أشعب: طماع يضرب به المثل في شدة الطمع والنهم. الختل: الخداع والأخذ على غرة.
- (٢٧) الطروس: الصحف.
- (٢٨) خطيب إياد: هو قس بن ساعدة الإيادي، خطيب العرب في جاهليتها.
- (٢٩) داج: مظلم يحجب ما بيني وبينك.
- (٣٠) عدن: الجنة التي وعد الله بها عباده المتقين. أنفاس الأبراد: لباس التقوى.
- (٣١) سحت: أمطرت في غزارة. الجنوب: الريح تهب من الجنوب. الروائح: السحب الرائحة. همت: أمطرت. الغوادي: السحب الغادية.

عيدُ دارِ الإذاعة

أذيعت هذه القصيدة في ٣١ من مايو سنة ١٩٣٨م، حينما احتفلت دار الإذاعة بانتهاء العام الرابع من إنشائها.

فَتَاةُ الْقَرِيضِ، اهْبِطِي مِنْ عَلٍ
كَبَا بِفَتَى الشَّعْرِ طُولُ الصُّعُودِ
يَحْنُ إِلَيْكَ حَنِينَ الْمَشِيبِ
سَلَا بِكَ لَيْلَى وَأَتْرَابَهَا
شَغَلَتْ فَتَاكِ بِسِحْرِ الْبَيَانِ
يَرَاكِ مِنَ اللَّيْلِ فِي بَدْرِه
وَفِي كُلِّ آهٍ رَمَاهَا الْهَوَى
وَيَلْقَاكِ فِي كُلِّ وَجْهِ صَبِيحٍ
وَمَنْ فِيكَ يَسْمَعُ نَجْوَى الْغُصُونِ
تَعِيشِينَ فِي زَاخِرٍ مِنْ ضِيَاءٍ
تَحُومُ الْمَلَائِكُ مِنْ فَوْقِهِ
رَوِينَا بِهِ فَنَسِينَا الْحَيَاةَ
وَدَقْنَا سَلَاً أَبْتُ أَنْ تَرِفَ
إِذَا قَتَلْتَ أَحْيَيْتِ الشَّارِبِينَ
كَأَنَّ الْحَبَابَ عَلَى وَجْهِهَا
عِدِينِي عِدِينِي فَتَاةُ الْقَرِيضِ

مَدَدْتُ يَدَيَّ، فَلَا تَبْخَلِي
فَإِنْ كُنْتُ رَاحِمَةً فَأَنْزِلِي^١
إِلَى ضَحَكَاتِ الصَّبَا الْمُخْضَلِ^٢
وَنَامَ عَنِ الْعَذْلِ وَالْعَذْلِ
وَلَوْلَا عُيُونُكَ لَمْ يُشْغَلِ^٣
وَفِي شَعْرِهِ الْفَاجِمِ الْمُسْبَلِ^٤
عَلَى شَطِّ مَدْمَعِهِ الْمُرْسَلِ
بَغِيرِ الْمَلَاخَةِ لَمْ يُضْقَلِ
وَيُضْغِي إِلَى هَمْسَةِ الْجَدُولِ
تُصَفِّقُ بِالْأَمَلِ الْمُقْبِلِ
كَمَا حَامَ طَيْرٌ عَلَى مَنْهَلٍ
وَمَا دِيفَ فِيهَا مِنَ الْحَنْظَلِ^٥
بِكَفِّ النُّوَاسِيِ وَالْأَخْطَلِ^٦
فَكَيْفَ إِذَا هِيَ لَمْ تُقْتَلِ^٧
وَعُودٌ حَصَلَنَ وَلَمْ تُحْصَلِ^٨
وَأَيَّاكِ إِيَّاكِ أَنْ تَمْطُلِي

تَعَالِي نَقَبْلُ وَجَهَ الرِّبْعِ
وَنَجْمَعُ مِنْ زَهْرِهِ مَا نَشَاءُ
تَعَالِي تَطِيرُ بِرَيْشِ الْأَثِيرِ
نَمُرُّ كَمَا مَرَّ طَيْفُ الْخَيَالِ
فَبَيْنَا نَحْدُثُ أَهْلَ الْحِجَازِ
نُحْيِي بَنِي الْعَرَبِ الْأَوْفِيَاءِ
أُولَئِكَ قَوْمِي بِنَاءَ الْفَخَارِ
وَلَوْلَا الْإِذَاعَةُ عَاشَ الْكِرَامُ
بَشِيرُ الْمُنَى وَمُنَى الْمُجْتَلِي^٩
وَنَرْفُلُ فِي ثَوْبِهِ الْمُخْمَلِ
وَنَعْلُو بِهِ حَيْثُمَا يَغْتَلِي
أَلَمْ لَمَامًا وَلَمْ يَحْلُلِ
إِذَا صَوْتُكَ الْعَذْبُ فِي الْمَوْصِلِ^{١٠}
وَنُسْمِعُهُمْ غَرْدَ الْبُلْبُلِ
وَزَيْنُ الْمَحَافِلِ وَالْجَحْفَلِ^{١١}
حُمَاةَ الْعَرُوبَةِ فِي مَعَزِلِ

أَدَارَ الْإِذَاعَةَ مِنْ مُخْلِصٍ
هَنَاءٍ بِأَعْوَامِكِ الْمُشْرِقَاتِ
وُلِدَتْ وَلِلْعِلْمِ أَسْرَارُهُ
بَذَلْتَ الثَّقَافَةَ لِلظَّامِئِينَ
وَنَبَّهْتَ وَسَنَانَ جَفْنِ الصَّبَاحِ
وَعَنَيْتِ حَتَّى تَعَزَّى الْحَزِينَ
تَرَانِيمُ مَا سَمِعَتْهَا الْفُنُونُ
وَكَمْ قَدْ هَزَلَتْ لَتَشْفِي النُّفُوسَ
عَنِ الْوُدِّ وَالْعَهْدِ لَمْ يَنْكُلِ
وَأَيَّامِ نَهَضَتِكَ الْحَقْلِ
وَقَدْ كُنْتُ مِنْ سِرِّهِ الْمُعْضَلِ
وَلَوْلَا يَمِينُكَ لَمْ تُبْدَلِ
بِأَيِّ مِنَ الْكَلِمِ الْمُنْزَلِ^{١٢}
وَقَرَّ الشَّجِيُّ وَهَامَ الْخَلِي
بِأَوْتَارِ إِسْحَاقٍ أَوْ زُلْزُلِ^{١٣}
فَكَانَ مِنَ الْجِدِّ أَنْ تَهْزِلِي

مَضَتْ مِصْرُ تَصْعَدُ نَحْوَ السَّمَاءِ
وَأَضْحَتْ مِنَ الْعِلْمِ فِي رَوْضَةٍ
تَتِيهِ بِتَارِيخِ أَمْجَادِهَا
وَتَسْمُو عَلَى مَسْبَحِ الْأَجْدَلِ^{١٤}
وَمِنْ عِزَّةِ الْمُلْكِ فِي مَعْقِلِ
وَتُزْهِى بِفَارُوقِهَا الْأَوَّلِ

هوامش

- (١) كبا: انكب على وجهه وسقط.
- (٢) المخضل: الندى الناعم. أخضل: ندي.
- (٣) المراد بالعيون هنا: خيار الشعر وما كان منه معجباً ساحراً، ففي هذه الكلمة تورية.
- (٤) الفاحم: الأسود. أسبل الأزرار والستر ونحوهما: أراحاه.
- (٥) الحنظل: نبت مر.
- (٦) السلاف: الخمر. ترف: تبرق وتتلألأ. النواسي: هو أبو نواس الحسن بن هانئ شاعر فارسي الأصل، ولد بقرية من قرى خورستان شرقي البصرة سنة ١٤٥هـ، ومات ببغداد سنة ١٩٩هـ ومدح الرشيد وابنه محمد الأمين من خلفاء الدولة العباسية. وهو أشهر الشعراء المحدثين بعد بشار، وأكثرهم تفنناً، وقد امتاز بقصائده الخمرية ومقطعاته المجونيات. الأخطل: هو أبو مالك غياث بن غوث التغلبي من الشعراء المتقدمين في الدولة الأموية، وقد اشتهر بالتعمق في وصف الخمر وانفرد بذلك دون شعراء عصره. مات سنة ٩٥هـ.
- (٧) قتلت: مزجت بالماء.
- (٨) الحباب: بفتح الحاء: النفاخات التي تعلو الماء ونحوه.
- (٩) المجتلي: اسم فاعل من اجتليت الشيء بمعنى نظرت إليه.
- (١٠) الموصل: من بلاد العراق في شمالها على نهر دجلة.
- (١١) الجحفل: الجيش الكثير.
- (١٢) الوسنان: صفة من الوسن وهو النعاس.
- (١٣) إسحاق بن إبراهيم الموصلي كان مغنياً ذائع الصيت في عهد هارون الرشيد وابنه عبد الله المأمون، وهو فارسي الأصل، وقد ورث الولوع بالغناء عن أبيه وأمه إذ كانا مغنيين مشهورين، وتعلم الضرب بالعود من «زلزل»، وكان إلى جانب شهرته بالغناء فقيهاً عالمًا صادقاً عفيفاً. زلزل: مغن بغدادي مشهور، كان يضرب المثل بضربه العود (وهو أول من أحدث العيدان)، واسمه منصور وأصله من سواد أهل الكوفة، وقد تعلم الغناء من إبراهيم الموصلي.
- (١٤) الأجدل: الصقر وهو أقوى جوارح الطير وأرفعها طيراناً.

تكريم

ألقيت هذه القصيدة في حفل لتكريم الدكتور علي توفيق شوشه، وكيل وزارة الصحة بمناسبة الإنعام عليه برتبة الباشوية عام ١٩٤٥ م.

نَغْمُ الشُّعْرِ فِي رُبَا جَنَاتِهِ	أَسَكَتَ ابْنَ الْغُصُونِ فِي دُوحَاتِهِ ^١
مَا لَ سَمْعُ الدُّنْيَا إِلَيْهِ وَأَصْغَتْ	هَاتِفَاتُ الْمُنَى إِلَى هَاتِفَاتِهِ ^٢
وَتَرُّ صَاغِهِ إِلَالُهُ وَالْقَى	نَعَمَاتِ الْفِرْدَوْسِ فِي نَعَمَاتِهِ ^٣
وَرْنِيْنٌ مِنَ السَّمَاءِ تَمْنَى	كُلُّ طَيْرٍ لَوْ أَنَّهُ مِنْ لَهَاتِهِ ^٤
صُنَّتُهُ أَنْ يَهُونَ، وَالْفَنُّ يَسْمُو	حِينَ تَسْمُو بِهِ نَفُوسُ حُمَاتِهِ ^٥
وَتَقَلَّدَتْهُ حَسَامًا لِمَصْرِ	تَتَوَقَّى الْخَطُوبُ وَقَعَ شَبَاتِهِ ^٦
وَهَزَزْتُ الشَّبَابَ لِلْسَّبْقِ فَاثَتْ	أَلَوْ سِرَاعًا عَلَى هُدَى مَشْكَاتِهِ ^٧
مَا مَدَحْتُ الْكَرِيمَ إِلَّا لِأَدْعُو	بِمَدِيحِي إِلَى كَرِيمِ صِفَاتِهِ
أَنَا بِالْمَجْدِ مُوَلَّعٌ وَبِأَهْلِيهِ	هَ، وَبِالْبَاقِيَاتِ مِنْ ذِكْرِيَاتِهِ
أَعَشَقْتُ النُّبْلَ فِي جَلَالَةِ مَعْنَا	هَ، وَأَهْوَى الْإِقْدَامَ فِي عَزَمَاتِهِ
قَدْ رَأَيْتُ الْعَلَاءَ فِي اسْمِ «عَلِيٍّ»	وَرَأَيْتُ «التَّوْفِيقَ» خَيْرَ سِمَاتِهِ ^٨
فَشَدَا بِاسْمِهِ قَرِيضِي كَمَا يَشْ	دَو طَلِيقُ الْجَنَاحِ فِي رَوْضَاتِهِ ^٩
وَإِذَا كَرَّمَ الرِّجَالَ ابْنَ تَوْفِيهِ	قِي فَقَدْ كَرَّمُوا النَّبُوْعَ لِذَاتِهِ

بَسَمَاتُ الرَّبِيعِ فِي بَسَمَاتِهِ وَسَنَا الصَّبْحِ مِنْ سَنَا قَسَمَاتِهِ^{١٠}

كوكبِي الذكاء لو صَدَعَ اللَّيْلُ
باحث لا يَصِيدُ في مَهْمِهِ العِلْمُ
رَأْيُهُ مَجْهَرٌ فما غابَ أَمْرٌ
لَمَحَاتُ كَأَنَّهَا خَاطِفُ الْبَرِّ
إِنْ رَمَى الشَّكَّ رَأْيُهُ فَرَّ حَيْرًا
ما رَأَى عَبَقْرٌ ولا جِنٌّ وادِيـ

لَ لَجَلَى بنورِهِ ظُلُمَاتِهِ^{١١}
مِ سَوَى الشَّارِدَاتِ مِنْ أَبْدَاتِهِ^{١٢}
كَيْفَمَا دَقَّ عَنْ مَدَى نَظَرَاتِهِ^{١٣}
قِ، وَأَيْنَ الْبُرُوقُ مِنْ لِمَحَاتِهِ؟^{١٤}
نَ، يَجُرُّ الذُّيُولَ مِنْ شُبُهَاتِهِ^{١٥}
هَ كَهَذَا الذِّكَاءِ فِي مُعْجَزَاتِهِ^{١٦}

وشبَابُ كَأَنَّهُ نَاضِرُ الرِّيحِ
صَانَهُ النُّبْلُ أَنْ يُمَسَّ لَهُ ذِيـ
غَرَسَ اللَّهُ نَبْتَهُ فَنَمَا نَضُـ
يَمْتَطِي الْعَبْقَرِيُّ نَاجِيَةَ الْعِزِّ
لَا يَرَى الطَّرْفُ مِنْهُ إِلَّا غُبَارًا
يَتَمَنَّى الشُّيُوخُ لو بذلُوا الْعُمـ
عُمُرُ الْمَرءِ بِالْجَلِيلِ مِنَ الْأَعـ
بُورَةِ الضَّوءِ كَمَ بِهَا مِنْ شُعَاعِ
وَرَحِيقِ الْأَزْهَارِ كَمَ ضَمَّ مِنْ رَوْ

إِنْ فِي حُسْنِهِ وَفِي نَفَحَاتِهِ
لُ، وَأَدَّى الْإِيمَانَ فَرَضَ ذِكَاثِهِ^{١٧}
رَاءَ، وَأَتَى الشَّهْيَ مِنْ ثِمَارَتِهِ^{١٨}
مِ حَثِيثِ الْخُطَا إِلَى غَايَاتِهِ^{١٩}
عَجَزَ الطَّرْفُ أَنْ يَرَى قَصَبَاتِهِ^{٢٠}
رَ لِقَاءَ الْقَلِيلِ مِنْ سَاعَاتِهِ
مَالٍ لَا بِالكَثِيرِ مِنْ سَنَوَاتِهِ
مَلَأَ الْأَقْفَ فِي جَمِيعِ جِهَاتِهِ!
ضِ شَذِي الشِّمِيمِ فِي قَطَرَاتِهِ^{٢١}

جَمَعَ الْفَضْلَ حِينَ فَرَّقَهُ النَّاـ
دَائِرَاتُ الْمَعَارِفِ اجْتَمَعَتْ فِيـ
كَمْ لُغَاتٍ جَرَى بِهَا لَفْظُهُ الْعَذُ
هُوَ فِي الطَّبِّ مِنْ كِبَارِ نُحَاتِهِ
وَهُوَ فِي حَلَبَةِ الْبَيَانِ أَدِيبُ
وَهُوَ إِنْ شَتَّتْ حَافِظُ لُغَوِيٍّ
نَسَخَةُ «لِلْسَانَ» فِي صَدْرِهِ الْوَاـ
يَعْرِفُ الْإِيْهُقَانَ وَالثُّوْلَ وَالذَّعـ
أَنَا أَخْشَى جِدَالَهُ كُلَّمَا صَا

سُ، وَأَوَاهَ بَعْدَ طَوْلِ شَتَاتِهِ
هَ فَفَتَّشَ عَنْهُنَّ فِي صَفَحَاتِهِ^{٢٢}
بُ سَلِيمًا كَأَنَّهَا مِنْ لُغَاتِهِ
وَهُوَ فِي النَحْوِ مِنْ كِبَارِ أُسَاتِهِ^{٢٣}
تَسْمَعُ السَّحَرُ فِي رُقَى نَفَقَاتِهِ^{٢٤}
كَلِمَاتُ «الْقَامُوسِ» مِنْ كَلِمَاتِهِ^{٢٥}
عِي، سَمَا طَبَعَهَا عَلَى طَبْعَاتِهِ^{٢٦}
لُوقِ وَالسَّيْسَبَى وَنَوْعِ نَبَاتِهِ^{٢٧}
لَ عَنِيفَ الْجِدَالِ فِي صَوْلَاتِهِ

تكريم

مجمعُ الضادِ يرفعُ الرأسَ في زهوٍ بآرائه وصدق أناته^{٢٨}
حَسْبُ دهرٍ جَنَى على الناسِ أَنْ كا ن «عليّ» يُعَدُّ من حَسَنَاتِهِ^{٢٩}
«معملُ المَصْلِ» وهو فتحٌ مبينٌ بعضُ ما نال مصرَ من مَأْثُرَاتِهِ^{٣٠}
فَتَكَاتُ المكروبِ أَلْقَتْ سَلاحًا للسريعِ السديدِ من فَتَكَاتِهِ
يصرَعُ الموتُ ثابِتَ العزمِ مِقْدَا مَا جَرِيئًا في عزمِهِ وثباتِهِ
كم حبا الناسَ من حياةٍ، أمدَّ الله للمجدِ والعُلا في حياته!^{٣١}
نال أسمى الألقابِ والفضلُ فضلٌ كيفما قد رفعتَ من درجاتِهِ!

هوامش

- (١) ربا: جمع ربوة. ابن الغصون: الطائر المغرد. دوحاته: أشجاره الكبيرة.
 - (٢) هاتفات المنى: صائحات بالأمني.
 - (٣) صاغه: صنعه. الفردوس: حديقة في الجنة.
 - (٤) لهاته: اللهاة زائدة لحمية في مؤخرة سقف الحلق والمقصود حنجرته.
 - (٥) حماته: المدافعون عنه.
 - (٦) تقلدته: حملته. حسامًا: سيفًا. وقع شباته: ضرب طرفه الحاد.
 - (٧) هززت: أثرت وحركت. انثالوا: جاءوا من كل وجه. مشكاته: مصباحه.
 - (٨) العلاء: الشرف والمجد. سماته: صفاته.
 - (٩) طليق الجناح: الطيور الحرة المغردة.
 - (١٠) سنا: نور. قسماته: ملامحه.
 - (١١) كوكبي: نوره كالنجم. صدع: شق. جلى: كشف.
 - (١٢) مهمه: الفلاة يقصد اتساع العلم. الشاردات: يقصد أموره الشاردة الغريبة.
- آبداته: عويصات.
- (١٣) مجهر: المنظار المكبر. مدى: غاية ونهاية.
 - (١٤) لمحات: نظرات. خاطف البرق: البرق السريع.
 - (١٥) شبهاته: الشكوك والظنون، الالتباس.
 - (١٦) جن واديه: الجن من المخلوقات التي لا ترى، وقد زعم العرب أن لها واديًا هو وادي عبقور.

- (١٧) نكاته: طهارته.
- (١٨) نبته: غرسه. آتى: أثمر. الشهى: ما يشتهى لحلاوته.
- (١٩) يمتطي: يركب. ناجية: سريعة. حثيث: سريع. غاياته: مراده وهدفه.
- (٢٠) الطرف: العين. قصباته: القصب الذي يوضع في حلبة السباق.
- (٢١) شذيّ الشميم: ذكي الرائحة.
- (٢٢) دائرات المعارف: جمع دائرة المعارف وهي الموسوعة العلمية.
- (٢٣) نحاته: علماء اللغة. أساته: أطباؤه.
- (٢٤) حلبة: مكان السباق. رقى: تعاويز.
- (٢٥) القاموس: يقصد القاموس المحيط.
- (٢٦) نسخة للسان: المراد باللسان كتاب لسان العرب وهو معجم لغوي ضخمة.
- سما: علا.
- (٢٧) الأيهقان: عشب يطول ساقه وله وردة حمراء وورقه عريض ويؤكل وهو الجرجير البري. الثول: شجر الحمض. الذعلوق: بقل كالكرات. والسيسبي: السيسبان.
- (٢٨) مجمع الضاد: هو مجمع اللغة العربية والممدوح كان عضواً به.
- (٢٩) حسب دهر: يكفي الزمن.
- (٣٠) معمل المصل: معمل المصل واللقاح وكان الممدوح يشرف عليه. مآثرته: مآثره وحسناته.
- (٣١) حبا: أعطى، اختص.

من أخبر الجمل؟!

كتب الشاعر هذه الأبيات في مناسبة فرار جمل من جزّاره والتجائه إلى قصر عابدين سنة ١٩٤٤م.

عابدين كعبةٌ مصرٍ رُكْنُها حَرَمٌ	للخائفين إذا خطُبُ بهم نَزَلًا ^١
تَهْوِي إليها وفودُ الأرض ضارعةً	ترجو بها الأمن، أو تُحْيِي بها الأملًا ^٢
أمرٌ وعاه بنو الإنسانِ وَحْدَهُمْ	فَمَنْ بربِّكَ قلّ لي أخبر الجملا؟! ^٣

هوامش

- (١) حرم: أمان والمقصود من دخله كان آمنًا كالبيت الحرام.
- (٢) تهوي: تذهب، تَفِد. ضارعة: داعية إلى الله.
- (٣) وعاه: عرفه.

هجاء ...

عام ١٩٠٦ م

إِنَّ نَبَا خَذُكَ الْمُصَعَّرُ عَنِّي
فَبَجْهَلٍ قَابِلَتْ مَا كَانَ مِنِّي
وَلَوْ اسْتَطَعْتُ لَابْتَدَعْتُ كُفُوفًا
وَلِفَكَّكْتُ مِنْ أَسَارِيرِكَ الْكِبِ
إِنَّنَّا مَعْشَرٌ نَرَى الذَّلَّ فِي الْوِ
قْدَ رَأَيْنَا فِي الْمَالِ وَالذَّلَّ فَقَرًا
مُذْ نَبَا هَجَوِي الْمُبْرَحُ عَنكَ^١
وَبِحِلْمٍ قَابِلَتْ مَا كَانَ مِنْكَ
مِنْ هِجَاءٍ، تَصُكُّ وَجْهَكَ صَكًا^٢
رَ يَقُولُ مِنْ وَخْزَةِ الْمَوْتِ أَنْكِي^٣
دٌ لَغَيْرِ اللَّهِ الْمَهِيْمِنِ شِرْكَاءُ^٤
وَرَأَيْنَا فِي الْعِزِّ وَالْفَقْرِ مُلْكَاءُ

هوامش

- (١) نبا: تجافى وبعد. المصعر: مائل كبيرًا. هجوي: هجاء، ضد المدح. المبرح: الشديد.
- (٢) تصك: تضرب.
- (٣) وخزة الموت: طعنة مميته. أنكى: أصعب.
- (٤) المهيمن: المتصرف في الأمور. شركًا: أي نجعل منه شريكًا وهو كفر.

رثاء أنطون الجميل باشا

ألقيت هذه القصيدة في الحفل الذي أقامه مجمع اللغة العربية لتأبين الأستاذ أنطون الجميل عضو المجمع عام ١٩٤٨م.

حَنُّ شِعْرِي إِلَى اللَّقَاءِ وَأَنَا
ضَرَبْتُ بَيْنَنَا الْمَنُونُ بِسُورٍ
تَتَلَاقَى بِهِ الدَّمُوعُ حَيَارَى
كَمْ حَوَى مِنْ وَرَائِهِ زَهْرَاتٍ
كَمْ حَوَى مِنْ وَرَائِهِ عِبْقَرِيَا
كَمْ حَوَى مِنْ صَحَائِفٍ لَمْ تُنَمِّمْ
وَأَمَانَ زُغَبٍ تَطِيرُ إِلَى الْقَبْرِ
حَجَبُ السُّورِ خَلَفَهُ لِي رَجَاءٌ
أَسَكَّتَهُ قَوَارِعُ الْمَوْتِ لَحْنًا
هُوَ فِي الْبَدْرِ حِينَمَا يَطْلُعُ الْبَدِ
مَا بُكَاءُ الْأَطْفَالِ أَجْدَى عَلَيْهِ
فِيهِ أَسْعَدْتُ كُلَّ بَاكِ بِدَمْعِي
كَلَّمَا مَرَّتِ النُّوَادِبُ صُبْحًا
يَا شَبَابًا فَقَدْتُ فِيهِ شَبَابِي
قَدْ وَادْتُ الرَّجَاءَ فِي هَذِهِ الدُّ
وَحَنَقْتُ السَّنِينَ أَوْ مَا علاها

أَيْنَ الْقَاكَ لَيْتَ شِعْرِي؟ وَأَنْتَى؟^١
حَجَبْتَهُ الْعُقُولُ عَنْهَا وَعَنَّا
وَتَغُوصُ الظُّنُونُ فِيهِ فَتَضْنَى^٢
وَعُصُونًا رَيَّا الْمَعَاطِفِ لُدْنَا^٣
تِ، وَرَأْيَا عَضَبَ الشَّبَابَةِ وَهْنًا^٤
وَأَنَاشِيدَ لَمْ تَعِشْ لَتُغْنَى!
رِ، خِمَاصَ الْحَشَى، فُرَادَى وَمَثْنَى^٥
خَانَهُ الدَّهْرُ فِي صِبَاهُ وَأُخْنَى^٦
وَلَوْتُهُ زَعَاذُ الْمَوْتِ غُصْنَا^٧
رُ، وَفِي الرُّوضِ حِينَمَا يَتَثَنَّى
لَا، وَلَا الصَّبْرُ وَالتَّجَلُّدُ أَغْنَى
وَأَعَرْتُ التَّكْلَى الْحَزِينَةَ جَفْنَا^٨
ضَرَبَ الْقَلْبُ بِالْجَنَاحِ وَحْنًا^٩
أَدْرِكِ الْوَالَةَ الشَّجِيَّ الْمُعْنَى!^{١٠}
دُنْيَا، فَلَا أُرْتَجِي وَلَا أَتَمْنَى^{١١}
فَرَأَيْتُ الْمِيلَادَ مَوْتًا وَدَفْنَا

مَنْ يُعَمِّرُ يَجِدْ أَخْلَاءَهُ فِي الْأَرْضِ
يَذْهَبُ الْأَمْسُ بِالرِّجَالِ فَيُنْسُو
رِيْشَتَهُ فِي مَهَامِهِ الْبَيْدِ طَارَتْ
وَجُضْمُ الْمَاضِي يَعْجُجُ بَمَنْ فِيهِ
وُظْعُونُ الْمَنُونِ مِنْذُ سَلِيلِ الطَّيْرِ
سُفْنٌ تَلْتَقِي عَلَى شَاطِئِ الْغَيْدِ
مَا لَنَا غَيْرَ أَنْ نَقُولَ حَيَارَى
لَا تَقُلْ: إِنَّ صَالِحَ الذِّكْرِ يَبْقَى
مَا غَنَائِي بِالذِّكْرِ يَبْقَى جَمِيلًا
مَا رَجَائِي وَالسَّيْفُ أَضْحَى حُطَامًا

ضِ أَوْفَى مِمَّنْ عَلَيْهَا وَأَحْنَى!^{١٢}
نَ، وَتَمْضِي الْقُرُونُ قَرْنًا فَقَرْنَا
أَيَّنَ طَارَتْ؟ اللَّهُ أَعْلَمُ مِنَّا!^{١٣}
هَ، وَيَغْشَى قَوْمًا، وَيَغْمُرُ مُدْنَا!^{١٤}
نَ تَطْوِي الصَّحْرَاءَ ظِلْعًا فَظِلْعًا!^{١٥}
بِ، لَتَلْقَى هُنَاكَ سُفْنًا وَسَفْنًا
بِلِسَانِ الدَّمُوعِ: كَانُوا وَكُنَّا
كُلُّ شَيْءٍ فِي الدَّهْرِ يَبْقَى لِيَفْنَى
حِينَ أَمْسَى تَحْتَ الصَّفَائِحِ رَهْنًا؟^{١٦}
أَنْ أَرَى بَعْدَهُ نِجَادًا وَجَفْنًا؟^{١٧}

قَدْ فَقَدْنَا «أَنْطُون» بِالْأَمْسِ وَالْحَزْ
أَخَذَتْهُ فُجَاءَةُ الْمَوْتِ أَخَذًا
مَا حَنَى الرَّأْسَ مَرَّةً لِعَظِيمِ
أَنْجَمٍ أَشْرَقَتْ فَأَطْفَأَهَا الْمَوْتُ
مَا عَلَى الدَّهْرِ لَوْ تَرِيتَ حِينًا
كُلَّ يَوْمٍ نَرْتِي وَنَنْدُبُ حَتَّى
وَرَحَا الْمَوْتِ لَا تَنِي تَمْلَأُ الْأَرْضَ
نَيْسَى الشَّعْرِ فِي صِرَاعِ الرِّزَايَا
شَغَلَتْهُ مَاتَمٌ وَنَعُوشُ
كَمْ سَلَوْنَا عَنْ صَاحِبِ بَحْبِيبِ
نَدَاوَى مِنْ لَاعِجِ الشَّوْقِ بِالشَّـ

نُ عَلَى فَقْدِهِ يُجَدِّدُ حُزْنَا
رِيْعَ مَنْ هَوَلَهُ الصَّبَاحُ وَجُنَّا!^{١٨}
فَأَبَى أَنْ يَرَاهُ لِلْسَّنِّ يُحْنَى
تُ، كَمَا تُطْفَأُ الْمَصَابِيحُ وَهَنَا!^{١٩}
أَوْ عَلَى الدَّهْرِ مَرَّةً لَوْ تَأْتَى!
صَارَ نَدْبُ الرِّجَالِ فِي مِصْرٍ فَنَّا
ضَ ضَجِيحًا وَتَنْثُرُ النَّاسَ طَحْنًا!^{٢٠}
رَنَّةَ الْكَأْسِ وَالْغَزَالِ الْأَغْنَا!^{٢١}
عَنْ هَوَى زَيْنَبٍ، وَعَنْ وَعْدِ لُبْنَى
فَإِذَا بِالْحَبِيبِ يُخْلِفُ ظَنًّا!^{٢٢}
وَقِ وَنَطْوِي أَسَى لِنَنْشُرِ شَجْنًا!^{٢٣}

مَاتَ «أَنْطُونُ» وَانْقَضَتْ دَوْلَةُ الْمَجْدِ
وَعَدَا عَبَقَرُ وَوَادِيهِ أَضْغَا
وَرَأَيْنَا الْأَقْلَامَ يَشْقُقْنَ صَدْرًا

دِ، وَكَانَتْ بِهِ تَعِزُّ وَتَغْنَى
ثًا، وَعَادَتْ رَجَاحَةُ الْعَقْلِ أَفْنًا!^{٢٤}
بَعْدَهُ حَسْرَةٌ وَيَقْرَعُنْ سِنًا!^{٢٥}

نندبُ الكاتبَ الذي يُرسلُ القو
لا ترى لفتةً به تجبهُ الذو
موجِزُ زاده الوُضوحُ جمالاً
أين ذاك الخُلُقَ السميعَ؟ كأن لم
والبشاشاتُ أين مِنِّي سناها؟
والسياساتُ؟ والدهاءُ الذي كا
أين ذاك الصدرَ الذي يحملُ العب
كم غزتهُ الخُطوبُ دُهمَ النواصي
لَ قوَيَّ الأداءِ مَعْنَى وَمَبْنَى
قَ، ولا لفظَةً تُخَدِّشُ أَذْناً
والتخلي عن الفضالاتِ وزناً^{٢٦}
يكُ بالأمسِ يملأُ الأرضَ حُسناً
والأفاكيةُ مِنْ هُنَاكَ وَهُنَا^{٢٧}
نَ سِلاحاً حيناً وحيناً مِجَنّاً؟^{٢٨}
ءَ، عَظيماً، وليس يحملُ ضِغْناً؟^{٢٩}
وهو أصفى من الصباحِ وأسنَى^{٣٠}

يا أخي، هل يليقُ أن تدخلَ البا
قفًا! تأخر، قد كنت تُعلي مكانِي
كنتُ بالأمسِ، كنتُ بالأمسِ رُوحاً
كنتُ مَعْنَى من الشبابِ وإن
تملأُ الأرضُ والزمانُ حياةً
تبذلُ الخيرَ لم يُكَدَّرَ بمنُّ^{٣١}
بَ أُمَامِي، وأنت أصغرُ سِنّاً!
ما جرى؟! ما الذي نَبَا بك عَنَّا؟^{٣٢}
مَرِحاً ضاحِكاً، وصَوْتاً مُرِنّاً^{٣٣}
شَاخَ، وعِزْماً لم يعرفِ الدهرَ وَهْنًا^{٣٤}
هادئِ النفسِ وادِعاً مطمئنّاً
وكثيرِ مَنَّا إذا مَنَّ مَنَّا

مجمعُ الضادِ كنتَ للضادِ فيه
كنتَ مصباحنا المنيرَ إذا غم
كنتَ يومَ الجِدالِ بالحُجَّةِ البيضاء
عَقَّةً في اللِّسانِ صَيَّرتِ الأيـ
تبُلُغُ الغايةَ القصيَّةَ ما أد
كلُّ قَرْنٍ لدى النضالِ يرى فيـ
عَلَمًا يُحسِرُ العيونَ ورُكْنًا^{٣٥}
مَتَ سبيلٌ، وطالَ ليلٌ وجَنّا^{٣٥}
ءَ تمحو سحائبَ الشكِّ وكُنّا^{٣٦}
يَامَ تشدو بمدحِكَ اليومَ لُسْناً
مَيَّتَ جُرْحاً، ولا تعمدتَ طَعْنًا^{٣٧}
لَكَ لمعنى الوفاءِ للحقِّ قِرْناً^{٣٨}

حَسَرَتَا للفتى إذا قاربَ الشو
كلُّما مدَّ للكمالِ يديه
طَ طوْتُهُ المنونُ غَدْرًا وَغَبْنًا^{٣٩}
صَدَّ عَنْهُ الكمالُ كِبَرًا وَضَنًّا^{٤٠}

إِنْ قَوِينَا عَقْلًا ضَعُفْنَا جُسُومًا ورأينا في الموتِ بُرءًا وأمنا^{٤٥}
 وشئوُنُ الحياةِ شَتَّى ولكنْ حُبُّنا للحياةِ أعظمُ شأنًا
 لو يعيشُ الإنسانُ عُمُرَ السُّلْحفا لَأَغْنَى هذا الوجودَ وأقْنَى^{٤٦}
 ما الذي نرتجيه والعُمُرُ طَيْفٌ إِنْ فَتَحْنَا العَيْنينِ بَانَ وَبِنَا؟^{٤٧}
 نحنُ في هذه الحياةِ ثِمَارٌ كُلُّ شيءٍ إِنْ أَدْرَكَ النَّضَجَ يُجْنَى^{٤٨}

* * *

يا أخي، هل تُجِيبُ إِنْ هَتَفَ الشَّوْ قُ حَبِيبًا صَدَقَ الوَفَاءَ وَخَدْنَا؟^{٤٩}
 إِنْ أَكُنْ فِيكَ دَانِي الْقَلْبِ بِالْأَمِّ سِ، فروحي لروحِكَ اليومِ أَذْنَى^{٥٠}
 أَتُرَانِي إِنْ حَانَ حَيْنِي قَمِينًا أَنْ أَرَى فِي ذِرَاكِ ظِلًّا وَسَكْنًا^{٥١}
 نَمَّ قَرِيرًا، فَإِنَّ فِي ضَجْعَةِ الْقَبْرِ سِرَ سَلَامًا لِلْعَامِلِينَ وَيُمْنًا^{٥٢}
 وَجَدَ السَّاهِرُ الْمَجْدُ وَسَادًا وَرَأَى الطَّائِرُ الْمَحَلَّقُ وَكُنَا^{٥٣}
 إِنْ يَكُنْ فِي الْحَيَاةِ مَعْنَى مِنَ الصَّفِّ وَفَمَا لِلْحَيَاةِ بَعْدَكَ مَعْنَى

هوامش

- (١) أنا: أصدر أنني. أنى: أين.
- (٢) تضنى: تتعب.
- (٣) ريا: مرتوية. المعاطف: الجوانب. لدنا: لينة.
- (٤) غضب: كالسيف. الشبابة: حاد الطرف.
- (٥) زغب: صغار. والزغب هو أول ما يغطي جلد صغار الطيور بعد فقسها.
- (٦) أحنى: أتى عليه وأهلكه.
- (٧) قوارع: نوازع ودواهي. زعازع: زعزعة الشيء.
- (٨) أعرت: أقرضت. الثكلي: التي فقدت ابنها، جفنا: جفن العين. يقصد عيناً دامعة.
- (٩) النوادب: الباكيات على الميت الذكرات لمحاسنه.
- (١٠) الواله: المحب الحيران. الشجي: الحزين. المعنى: الذي يقاسي.
- (١١) وأدت: دفنت. أرتجي: أرجو وأمل.
- (١٢) أخلاءه: إخوانه. أوفى: أخلص. أحنى: عطوفاً.

- (١٣) مهامه البيد: الصحراء الممتدة الواسعة.
- (١٤) خضم: البحر ذو الأمواج المرتفعة. يغطي: يغطي.
- (١٥) ظعون: أسفار. سليل الطين: المخلوق من الطين والمقصود سيدنا آدم عليه السلام.
- (١٦) الصفائح: الألواح. رهناً: مرهوناً يقصد موجوداً باقياً.
- (١٧) حطاماً: متكسراً ومتحطماً. نجاداً: حمائل السيف. جفنًا: غمد السيف.
- (١٨) ريع: خاف وفزع.
- (١٩) وهناً: ضعفاً.
- (٢٠) رحا: المطحنة.
- (٢١) الرزايا: المصائب. الأغنا: الذي يعيش في الأرض المعشبة المليئة بالشجر.
- (٢٢) سلونا: نسينا.
- (٢٣) لاعج: شدة. شجنا: حزناً.
- (٢٤) عبقّر: صاحب وادي الجن الذي ادعى العرب وجوده. أضغاثًا: أحلام لا يصلح تأويلها لاختلاطها. أفنا: ضعف في العقل والرأي.
- (٢٥) يقرعن سنا: يضرين ضرّاً كناية عن الحسرة.
- (٢٦) الفضالات: النواقص.
- (٢٧) البشاشات: طلاقة الوجه وسروره. سناها: ضوءها. هنا: للتقريب.
- (٢٨) مجنا: الدرع الواقى.
- (٢٩) العبء: الحمل الثقيل. ضغنًا: حقداً.
- (٣٠) دهم النواصي: سود الرؤوس. أسنى: أكثر ضياء.
- (٣١) نبا: بعد وجافى.
- (٣٢) مرناً: له رنين مسموع.
- (٣٣) شاخ: كبر وهرم. وهناً: ضعفاً.
- (٣٤) مجمع الضاد: مجمع اللغة العربية والفقيد كان عضواً به. يحسر: تكل العيون من كثرة التطلع إليه.
- (٣٥) غمت: اسودت. أظلمت. جنا: أظلم.
- (٣٦) وكنا: متمكنا.
- (٣٧) القصية: البعيدة. ما أدميت: ما أسلت دماً.

- (٣٨) قرن: ند.
(٣٩) غبنا: ظلما.
(٤٠) ضنا: شُحًا وبخلًا.
(٤١) براء: شفاء. أمانًا: أمانًا.
(٤٢) أقنى: أعطى.
(٤٣) نرتجيه: نأمله ونريده. طيف: خيال. بان: ظهر.
(٤٤) يجنى: يحصد ويجمع.
(٤٥) خدنا: صديقًا.
(٤٦) داني: قريب.
(٤٧) قمينًا: جديرًا. ذراك: كنفك. سكنًا: إقامة.
(٤٨) قريزًا: هادئًا ساكنًا. في ضجعة: في وضع جنبه على الأرض. يمنًا: بركة.
(٤٩) وكنا: عُشًا.

لبنان

ألقيت هذه القصيدة في حفل إفتتاح المؤتمر الطبي ببيروت في صيف عام ١٩٤٤م.

أَلْقَيْتُ لِلْغَيْدِ الْمَلَا حِ سِلَاحِي
وَلَمَحْتُ رِيحَانَ الصُّبَا فَرَأَيْتُهُ
كَانَ الشَّبَابُ طِمَاحَ لَاعِجَةِ الْهَوَى
مَنْ لِي وَقَدْ عَيْثَ الْمَشِيبِ بِلَمَّتِي
قَدْ كَانَ لِلذَّاتِ أَسْرَعُ نَاصِحٍ
لَوْ أَسْتَطِيعُ لَبِعْتُ عَمْرِي كُلَّهُ
أَيَّامَ أَوْتَارِي تَغَرُّدُ وَحْدَهَا
أَيَّامَ شِعْرِي لِلْفَوَاتِنِ رُقِيَّةٌ
«دُوجِينَ» لَمْ يَجِدِ الْفَتَى مِصْبَاحَهُ
الْفَلَسَفَاتُ وَمَا حَوَتْ فِي نَظَرِهِ
تُغْرِي الْهَوَى وَتُصَدِّهُ لَمَحَاتُهَا
وَالنَّظَرَةُ الْبَهْمَاءُ أَفْتَكُ بِالْفَتَى
فَخَذُوا الْيَقِينَ وَنَوْرَهُ لِعُقُولِكُمْ

وَرَجَعْتُ أَغْسَلُ بِالْدمُوعِ جِرَاحِي
ذُبُلْتُ نَضَارَتُهُ عَلَى الْأَقْدَاحِ^١
فَالْيَوْمَ يَرْفَعُ سَاعِدِيهِ طِمَاحِي^٢
بِضِيَاءِ ذَاكَ الْفَاجِمِ اللَّمَاحِ؟^٣
فَغَدَاً عَلَى الشُّبُهَاتِ أَوَّلَ لَاحِي^٤
لَمْنَى الصُّبَا وَأَرِيْجُهُ النَّفَّاحِ!^٥
وَتَكَادُ تَسْكُرُ فِي الزُّجَاجَةِ رَاحِي^٦
تَسْتَلُّ كُلَّ تَدَلُّلٍ وَجِمَاحِ^٧
وَأَبَانَ أَسْرَارَ الْهَوَى مِصْبَاحِي^٨
مِنْ لَحْظٍ سَاجِيَةِ الْعَيُونِ رَدَاحِ^٩
فَيَحَارُّ بَيْنَ تَمَنُّعٍ وَسَمَاحِ
مِنْ كُلِّ وَاضِحَةِ الْمَرَامِ وَقَاحِ^{١٠}
وَدَعُوا شُكُوكَ الْحُبِّ لِلْأَرْوَاحِ

سِرِّ يَا قَطَارُ فَنَفِي فَوَادِي مَرْجَلُ
لَوْ كُنْتُ شِعْرِي كُنْتُ أَسْبَقُ طَائِرِ
يُزْجِيكَ بَيْنَ مَتَالَعٍ وَبِطَاحِ^{١١}
يَكْفِيهِ لِلْقُطْبَيْنِ خَفَقُ جَنَاحِ

قالوا: هنا لُبْنَانُ، قلتُ: وهل سوى
يبدو أَشَمُّ على البِطَاحِ كأنَّه
نَسَجَتْ له سُحُبُ السماءِ مطارِفاً
طُرُقُ كما التوت الظنونُ، وقمةُ
النبعِ خمرٌ، والحدائقُ نشوةُ
لُبْنَانٍ ملعبٌ صبوتي ومِراحي^{١٢}
عَلِمَ بكفِّ الفارسِ الجَحْجَاحِ^{١٣}
وحَبَّتْهُ زُهْرُ نجومِها بوشاحِ^{١٤}
قامت كحَقِّ للشعوبِ صُراح
والجوُّ من مِسْكٍ ومن تُفَاحِ^{١٥}

لُبْنَانِ دَوْحُ الشعرِ أنتِ، تعلَّمتُ
شِعْرٌ له فِعْلُ السُّلَافِ فلو أتى
ونضيرُ أَلْفَاظِ كأزهارِ الرُّبا
وخمائلُ من أَحْرَفِ قُدْسِيَّةِ
الفنِّ من سرِّ السماءِ ونَفْحَةِ
والعبقريَّةِ أَنْ تُحَلِّقَ وادِّعَا
منكَ الهديلَ سواجِعُ الأدواحِ^{١٦}
قبلَ الشرائعِ كان غيرَ مُباح
يبسمن غِبُّ الغارِضِ السَّحَّاحِ^{١٧}
أَخْمَلْنَ صَوْتَ الطائرِ الصَّدَّاحِ^{١٨}
من فَيْضِ نورِ الواهبِ الفَتَّاحِ!^{١٩}
فتفوتُ جُهْدَ الناصبِ الكَدَّاحِ^{٢٠}

لُبْنَانُ، أنتَ من العزائمِ والنَّهْيِ
أبطالِكَ الصيدُ الكُماةُ مَنَاصِلُ
شَحُّوا على مُتَعِ الحِياةِ بلحظةِ
قهرِوا الزمانَ، ولن تضيعَ كرامةُ
المجدِ بابٌ إن تعاصى فتحه
دَقُّوا فما أودى بعزمِ أَكْفَهم
ومن الحِفاظِ المُرِّ ما يُعْغِي الفتى
كم صابروا عَنَتِ الحِياةِ وعُسَرِها
نزحوا عن الأوطانِ في طَلَبِ العُلا
وسرُّوا مع الرِّيحِ الهَبُّوبِ فلا ترى
لم يستكينوا للزمانِ ووعدِهِ
في أرضِ «كُولُمْبٍ» بَنَوْا فيما بَنَوْا
وبكلِّ جَوْ رَايَةً هَفَافَةً
ما أنتَ من صَخِرٍ ولا صَفَّاحِ^{٢١}
طُبِعَتْ ليومَ كَرِيهَةٍ وتلاحِي^{٢٢}
ومشوا لَوْرِدِ الموتِ غيرَ شِاح
للحَقِّ بينَ أَسْنَةٍ ورماح
فاسألُ كتائبَهم عن المِفْتَاحِ^{٢٣}
بأسِ الحديدِ وقسوةِ الأَلواحِ^{٢٤}
ليست تكاليفُ العُلا بمزاحِ!^{٢٥}
بخلائقِ غُرِّ الوجوهِ صِباحِ^{٢٦}
والعزمِ مِلءُ حَقَائِبِ النُّزَّاحِ^{٢٧}
إِلَّا رِياحًا زُوِّجِمَتْ بِرِياحِ^{٢٨}
فالدَّهْرُ أَكْذَبُ من نَبِيِّ سَجَاحِ^{٢٩}
شَمَمَ الأبِّيَّ وعزيمةَ المِلْلاحِ^{٣٠}
تهتَزُّ كالمِتحايلِ المِيّاحِ^{٣١}

لو أبصروا في الشمس موضع مهجر
والنفس إن عظمت يضيق بسعيها
للناس ناحية تلم شتاتهم
يمشي الجريء على العباب مخاطراً

لتسلقوا لسعيها اللواح^{٣٢}
صدر الفضاء برحبه الفيّاح^{٣٣}
والعبقري له الوجود نواحي^{٣٤}
وأرى الجبان يموت في الضحضاح^{٣٥}

لبنان، صنّت الضاد في لأوائها
في البدو لوحها الهجير فلم تجد
جمعت رجالك زهرها في طاقة
نظموا لها عقداً يرف شعاعه
وحموا كتاب الله — جلّ جلاله —
فانظر إلى «البستان» هل تلقى به

من شرّ ماح أو هوى مجتاح^{٣٦}
إلا ظلالك نجعة الملتاح^{٣٧}
عبق الوجود بنشرها الفواح
بلائي ملء العيون صباح^{٣٨}
من لغو قدم أو هراء إباحي^{٣٩}
إلا وروداً أو ثغور أقاحي؟^{٤٠}

لبنان، والفردوس أنت لقيته
وتركت للهو العنان وأطلقت
وشهدت فيك الحور تسبح في السنا
طاوعت في نجلائهن صابتي
ما الفتنة الشعواء إلا أعين
دافعت بالغزل الحنون لحاظها
وبعثت أناتي وقلت: لعلها
فتجاهلت لغة الغرام وتابعت
عادت إليّ حبايل فلممتها
لم يبق مني الوجد غير حشاشة
أشكو، وما الطب الحديث براحم
هل بين مؤتمر الأساة مجرب
والطب لا يصل المدى إن لم تصل

فطرحت عند لقاءه أتراحي^{٤١}
أيدي الزمان العاتيات سراحي
نفسي فداء ضيائها السباح!
وعصيت ما تهذي به نصاحي^{٤٢}
سود، تلالاً في وجوه ملاح^{٤٣}
شتان بين سلاحها وسلاحي^{٤٤}
تغني إشارتها عن الإفصاح!
خطواتها في عزّة وشياح^{٤٥}
ورضيت من ضحك الهوى بنواحي^{٤٦}
لولا التعلل أذنت برواح^{٤٧}
شجوي، ولا متسمّع لصياحي^{٤٨}
شاف لأدواء الصبابة ماحي؟^{٤٩}
جدواه للأرواح والأشباح^{٥٠}

مَرْحَى بِمَوْتَمِرِ تَبَلُّجِ نَوْرِهِ
 زُمَرُ مِنَ الْبَشَرِ الْمَلَأَتْ كَمَ لَهُم
 بَذَلُوا النَفُوسَ، فَكَمَ شَهِيدِ جِرَاحَةٍ
 وَتَفَهَّمُوا سِرَّ الْحَيَاةِ وَلَمْ يَكُنْ
 دَهَتْ الْبِلَادَ بِعَوْضَةٍ أَجْمِيَّةٍ
 دَقَّتْ لَغَيْرِ تَرْحُلِ أَطْنَابِهَا
 وَعَدَّتْ عَلَى الْمَاءِ الْقِرَاحِ جِيُوشُهَا
 السُّمُّ أَقْوَى فِي شَبَا خَرْطُومِهَا
 كَالْجَنِّ تَهْوَى اللَّيْلَ فِي وَثْبَاتِهَا
 فِي الشَّرْقِ، مِثْلَ تَبَلُّجِ الْإِصْبَاحِ^{٥١}
 فِي الطَّبِّ مِنْ غُرَرٍ وَمِنْ أَوْضَاحِ^{٥٢}
 مِنْهُمْ، وَكَمْ مِنْهُمْ شَهِيدُ كِفَاحِ
 سِرِّ الْحَيَاةِ لَغَيْرِهِمْ بِمُبَاحِ
 جَاءَتْ عَلَى قَدَرٍ لِمَصَرٍ مُتَاحِ^{٥٣}
 وَرَمَتْ مِرَاسِيهَا لَغَيْرِ بَرَاكِ^{٥٤}
 فَعَدَا النَّمِيرُ الْعَذْبُ غَيْرَ قِرَاحِ^{٥٥}
 مِنْ حَدٍّ كُلِّ مُهَنَّدٍ سَفَّاحِ^{٥٦}
 وَتَفَرُّ ذُعْرًا مِنْ بُزُوغِ صَبَاحِ^{٥٧}

يَا خَيْرَةَ الشَّرْقِ الْمُدِلِّ بِقَوْمِهِ
 الْمَجْدُ فَوْقَكُمْ دَنْتُ أَفْنَانُهُ
 وَتَرَسَّمُوا سَنَنَ الرَّئِيسِ وَهَدِيَهُ
 وَأَنْفُوا عَنِ الطَّبِّ الرِّطَانَةَ إِنَّهَا
 كَمْ فِي جَمَى الْفُصْحَى وَبَيْنَ كُنُوزِهَا
 مَا أَنْكَرْتُ أُمَّ لِسَانَ جُدُودِهَا
 هَذَا أَوَانُ الْبَعِثِ وَالْإِصْلَاحِ^{٥٨}
 فَتَلَقَّفُوا ثَمَرَاتِهِ بِالرَّاحِ^{٥٩}
 شَيْخِ الْأَسَاةِ «عَلِيٍّ» الْجِرَاحِ^{٦٠}
 نَمَشَ يَعْيِثُ بِوَجْهِهِ الْوَضَّاحِ^{٦١}
 مِنْ مُشْرِقَاتٍ بِالْبَيَانِ فَصَاحِ!^{٦٢}
 يَوْمًا وَسَارَتْ فِي طَرِيقِ فَلَاحِ

لُبْنَانُ، مُذْ حَلَّتْ ذَرَاكَ رِكَابُنَا
 الْأَرْزُ فَيْكَ وَنَخَلُ مَصَرٍ كِلَاهُمَا
 وَالنَّيْلُ مِنْكَ، فَلَوْ بَكَيْتُ لِفَدَاحِ
 لُبْنَانُ، أَنْ لَكَ الْفَخَارُ بِسَادَةِ
 مَجْدٍ إِذَا مَا أَشْرَقَتْ صَفْحَاتُهُ
 حَلَّتْ مِنَ الدُّنْيَا بِأَكْرَمِ سَاحِ^{٦٣}
 أَخْوَانِ فِي الْأَتْرَاحِ وَالْأَفْرَاحِ^{٦٤}
 غَمَرُ الشُّطُوطِ بِدَمْعِهِ النَّضَّاحِ^{٦٥}
 غُرْبُ كِرَامِ الْمُنْبَتِّينِ سِمَاحِ^{٦٦}
 أَزْرَتْ بِمَوْتَلِقِ النَّهَارِ الضَّاحِي^{٦٧}

هوامش

- (١) ربحان الصبا: رائحة الشباب الذكية. نضارته: حسنه ورونقه.
- (٢) طماح: مرتفع. لاعجة الهوى: الحب. يرفع ساعديه: كناية عن الاستسلام.
- (٣) لمتي: الشعر الذي يلي شحمة الأذن.
- (٤) لاحي: لائم.
- (٥) أريجه: رائحته النفاذه.
- (٦) راحي: خمري.
- (٧) الفواتن: جمع فاتنة. رقية: تعويذة. تستل: تخرج. جماع: شرود.
- (٨) دوجين: فيلسوف يوناني قديم يحمل مصباحاً باحثاً عن الحقيقة.
- (٩) ساجية: ساكنة. رداح: مرأة رابية الجسم.
- (١٠) البهماء: التي لا يعرف مقصدها. المرام: المقصد. وقاح: البين الواضح.
- (١١) قطار: القطار الذي سافر به من القاهرة إلى بيروت عبر فلسطين وكان الوسيلة المعتادة للسفر حينئذ. مرجل: غلاية. يزجيك: يسوقك ويدفعك. متالع: الروابي.
- بطاح: جمع بطحاء وهو المسيل المنبسط.
- (١٢) صبوتي: صباي.
- (١٣) أشم: عالي. البطاح: المسيل الواسع. الججاج: المسارع إلى الكلام.
- (١٤) مطارفاً: أردية من حرير. حبته: منحه. بوشاح: شيء يصنع من نسيج عريض ويرصع بالجواهر، وقد تشده المرأة بين عاتقها وكشحتها.
- (١٥) النبع: ما ينبع منه الماء. مسك: طيب.
- (١٦) دوح: حديقة. الهديل: صوت الحمام.
- (١٧) غب: غب كل شيء عاقبته. العارض: السحاب المعترض في الأفق. السحاح: المطر.
- (١٨) أخملن: جعلته خاملاً ضعيف الذكر.
- (١٩) فيض: جود وكرم.
- (٢٠) تفوت: تترك. الناصب: المتعب. الكداح: الذي يسعى ويكد في عمله.
- (٢١) صفاح: حجارة عريض رقاق.
- (٢٢) الصيد: رافعي الرأس. الكماة: الشجعان. مناصل: سيوف. طبعت: صنعت، جبلت. يوم كريةة: يوم الحرب. تلاحى: نزاع.

- (٢٣) تعاصى: استعصى.
- (٢٤) أودى: أوهن. بأس: شدة وقوة.
- (٢٥) الحفاظ: الإياء والأنفة. يعيى: يتعب.
- (٢٦) عنت: الأمر الشاق. عسرها: شدتها. غر الوجوه: بيض الوجوه. صباح: عليهم نور كنور الصبح.
- (٢٧) نزحوا: تركوا وهاجروا.
- (٢٨) سروا: مشوا. الهبوب: المثيرة للأتربة. والمقصود الشديدة.
- (٢٩) سجاح: امرأة ادعت النبوة وادعى النبوة أيضًا مسيلمة الكذاب الذي تزوجته.
- (٣٠) كولب: هو كريستوفر كولبس مكتشف القارة الأمريكية والمقصود بأرض كولب الولايات المتحدة الأمريكية. شمم: علو وأنفة. الأبي: الشريف. عزمة: عزيمة.
- الملاح: الملح في طلب الشيء.
- (٣١) هفاقة: مرفرفة. المتخايل: المعجب بنفسه. المياح: المعجب المتمايل.
- (٣٢) مهجر: مكان يهاجر إليه. لسعيرها: لنارها. اللواح: الذي يغير لون وجهه.
- (٣٣) برحبه: بسعته. الفياح: المنتشر.
- (٣٤) ناحية: جهة، مكان. شتاتهم: تفرقهم.
- (٣٥) العباب: الموج المرتفع. الضحضاح: القليل الماء.
- (٣٦) الضاد: اللغة العربية. لأوائها: شدتها. ماح: مبيد. مجتاح: يريد اجتياحها وإبادتها.
- (٣٧) البدو: البادية. لوحها: غير لون وجهها. الهجير: شدة حرارة الشمس. ظلالك: ظلك. نجعة: طلب الكلاء. الملتاح: المتغير من نصب أو سفر.
- (٣٨) يرف: يتحرك. صحاح: صحيحة، سليمة.
- (٣٩) لغو: باطل. فدم: أحرق. هراء: عبث، استهزاء. إباحي: متصف بالرديلة.
- (٤٠) أقاحي: زهر له ورق أبيض ووسطه أصفر.
- (٤١) طرحت: تركت. أتراحي: أحزاني.
- (٤٢) نجلأهن: عيونهن الواسعة. صبابتي: رقة الشوق وحرارته.
- (٤٣) الشعواء: المتفرقة. تلاًلاً: تضيء.
- (٤٤) لحاظها: عيونها. شتان: هيهات، بُعد ما بينهما.
- (٤٥) شياح: حذر.

- (٤٦) حبائلي: حيلي. نواحي: بكائي.
(٤٧) الوجد: الشوق. برواح: بذهاب.
(٤٨) شجوي: حزني.
(٤٩) مؤتمر الأساة: المؤتمر الطبي. أدواء: أمراض. ماحي: مزيل.
(٥٠) المدى: الهدف. جدواه: فائدته، عطاياه. للأرواح: للأنفس. الأشباح: الأشخاص.
(٥١) تبلج: أشرق وأضاء.
(٥٢) زمر: جماعات. غرر: سيادة وشرف.
(٥٣) أجمية: نسبة إلى الأجمة وهي الغابة والمقصود بها بعوضة «الجامبيا» التي غزت مصر، وفكتت بالكثير من أبناء الصعيد ولم تنج مصر من شرها إلا بعد نحو أربع سنوات. متاح: مهياً.
(٥٤) أطنابها: حبالها الطويلة. مراسيها: ما تثبت به.
(٥٥) عدت: اعتدت. القراح: الصافي الذي لا يشوبه شيء.
(٥٦) شبا: طرفه الحاد. خرطومها: أنفها. مهند: السيف.
(٥٧) بزوغ: طلوع. إشارة إلى أن البعوض يكثر ليلاً، وكذلك إلى أن حماها لا تزور المريض إلا ليلاً في الغالب.
(٥٨) المل: المفتخر، المباهي.
(٥٩) أفنانه: أغصانه. الراح: الكف.
(٦٠) ترسموا: تتبعوا. سنن: طريق، أسلوب، منهاج. الرئيس: رئيس المؤتمر الدكتور علي إبراهيم باشا. هديه: إرشاده. الأساة: الأطباء.
(٦١) انفوا: اطرءوا، ابعءوا. الرطانة: الكلام بالأعجمية. نمش: نقط بيض وسود. يعيث: يفسد.
(٦٢) حمى: كنف. الفصحى: اللغة العربية. فصاح: بليغة.
(٦٣) حلت: نزلت. ذراك: كفك. ساح: المكان الذي يسبح منه الماء والمقصود أرض لبنان.
(٦٤) الأرز: شجر الأرز وهو الشجر المشهور لبنان بزراعته واتخذوه علماً لهم.
(٦٥) النضاح: الكثير.
(٦٦) سماح: كرام.
(٦٧) أزر: تمسكت بقوة. مؤتلق: إشراق.

برنادوت

رجل عمل من أجل السلام، فكان من أوائل ضحاياه مما حرك أحاسيس الشاعر فكانت هذه الأبيات عام ١٩٤٨ م.

حَسَرَتَا لِلْكُونَتِ بَرْنَا	دُوت لَوْ تَنْفَعُ حَسْرَةُ ^١
رَامَ أَنْ يَسْتَنْقِدَ الْكُؤُ	نَ وَيَسْتَأْصِلَ شَرَّهُ ^٢
قَتَلُهُ جُبْنٌ وَخُذْلًا	نُ وَلُؤْمٌ وَمَعَرَّةُ
طَلَبَ الْكَفَّ عَنْ الْحَرْ	بَ، فَمَنْ نَقَذَ أَمْرَهُ؟
خَرَقَ الْهُدْنَةَ أَبْنَا	ءٌ يَهُودًا أَلْفَ مَرَّةٍ ^٣
وَهُوَ لَا يُؤْمِنُ حَتَّى	سَلَبُوهُ الرُّوحَ جَهْرَةً
أُتْرَى أَمَنْ لَمَّا	خَرَقَ الْأَنْذَالَ صَدْرَهُ؟
رُبَّمَا يَحْفِرُ ذُو الْآ	مَالٍ بِالْأَمَالِ قَبْرَهُ

هوامش

(١) برنادوت: هو الكونت قولاك برنادوت مسئول هيئة الأمم المتحدة. عمل من أجل السلام بين العرب والإسرائيليين، ولكنه قتل في حادث سقوط طائرته وأشارت أصابع الاتهام حينئذ إلى اليهود عندما ظهر تفهمه للحق العربي.

(٢) رام: أراد.

(٣) أبناء يهوذا: اليهود.

(٤) جهرة: علنا.

الملك

نشرت هذه القصيدة في مناسبة عيد جلوس الملك فاروق آخر ملوك مصر سنة ١٩٣٦ م.

اقتبالُ الربيعِ في بَسَمَاتِهِ
يَنْثُرُ الزَّهْرُ كالِدنانيرٍ غُضًّا
قَدْ سَيِّمْنَا دُجَى الشِّتَاءِ فَجئْنَا
وخلعنا الدُّثَارَ مثلَ أُسِيرٍ
قد ظنناه في الشِّتَاءِ وَقَاءً
تبخلُ الكَفُّ أن تُشيرَ من البرِّ
جَمَدَتْ صَوْلَةُ اللِّسانِ وكادتْ
واختفى الطيرُ واختفى كُلُّ صوتٍ
ورأينا الأشجارَ يسلبها الحسَّ
مالَ فيها برأسه كلَّ فَرْعٍ
يهرمُ الدهرُ في الشِّتَاءِ وَيَلْقَى
هو تَخْتُ الوجودِ غنىً به الطيرِ
سَايَرَتْهُ الأزهارُ تهفو يمينًا
وإذا صفَّقَ الغديرُ انثنى الغصْبُ

نَبَّهَ الكَوْنَ بَعْدَ طَوْلِ سُبَاتِهِ^١
أَيْنَ حُرِّ النُّضَارِ مِنْ زَهْرَاتِهِ؟^٢
نَرشُفُ النُّورَ مِنْ سَنَا لِمَحَاتِهِ^٣
حُلٌّ مِنْ قَيْدِهِ وَمِنْ وَخَزَاتِهِ^٤
فَجَعَمْنَا الشِّتَاءَ فِي طَيَّاتِهِ^٥
دِ، وَيَخْشَى المَقْرورُ مِنْ لَفَاتِهِ^٦
تَجْمَدُ الهَاتِفَاتُ مِنْ كَلِمَاتِهِ^٧
مُؤْصِلِي الأَدَاءِ فِي لَهَوَاتِهِ^٨
نُ سَنَا حَلِيهِ وَسَحَرِ شِيَاتِهِ^٩
بَاحِثًا فِي التُّرَابِ عَنْ وَرَقَاتِهِ
مَا مَضَى فِي الرَّبِيعِ مِنْ صَبَوَاتِهِ^{١٠}
رُ فَهَزَّ الغُصُونِ فِي دَوْحَاتِهِ^{١١}
وَشِمَالًا عَلَى هَوَى نَغَمَاتِهِ
نُ نَضِيرَ الشَّبَابِ فِي رَقْصَاتِهِ

هَاتِ عَهْدَ الشَّبَابِ إِنْ غَاصَ فِي المَا ءَ وَإِنْ غَابَ فِي السَّمَاءِ فَهَاتِهِ!

هَمَسَاتُ الشَّبَابِ فِي النَّفْسِ أَحْلَى
نَارُهُ تَطْرُدُ الْهَمُومَ فَتَمْضِي
نَارُهُ تَصْهَرُ الْعَزِيمَةَ سَيْفًا
مَا أَحْيَلَى وَثُوبَهُ وَهُوَ مَاضٍ
نَفَحَاتُ الشَّبَابِ أَيْنَ تَوَلَّتْ؟
قَدَحٌ قَدْ حَلَّتْ أَوَائِلُهُ رَشَدٌ
مَا أَرَانِي مِنْ غَيْرِهِ غَيْرِ ثَوْبٍ
رُبَّ شَيْخٍ فِي عَالَمِ الطَّبِّ حَيٌّ
الشَّبَابُ الشَّبَابُ نَوْرٌ مِنَ اللَّهِ

مِنْ حَدِيثِ الْهَوَى وَمِنْ هَمْسَاتِهِ
خَافَقَاتِ الْجَنَانِ مِنْ جَمْرَاتِهِ^{١٢}
تَتَوَقَّى السَّيُوفُ وَقَعَ شَبَابُهُ^{١٣}
يَتَحَدَّى الزَّمَانَ فِي فَتَكَاتِهِ^{١٤}
لَهْفَ نَفْسِي عَلَى شَذَى نَفَحَاتِهِ^{١٥}
سَفَا، وَدُقْنَا الْمَرَيْنِ فِي أُخْرِيَاتِهِ^{١٦}
ضَمَّ أُرْدَانَهُ عَلَى عِلَاتِهِ^{١٧}
وَيَرَاهُ الزَّمَانُ مِنْ أَمْوَاتِهِ
وَرِيحُ تَهَبُّ مِنْ جَنَاتِهِ

يَا شَبَابَ الْحِمَى وَيَا جُنْدَهُ الْأَحَدِ
زَاحِمُوا فِي وَلِيمَةِ الدَّهْرِ أَرْسَا
الطُّمُوحُ الْحَيَاةُ، وَالْمَجْدُ فِي الدَّنْ
لَا يِنَالُ الْفَتَى مَدَى الْمَجْدِ إِلَّا
الذَّرَاعُ الْأَزْلُ وَالسَّاعِدُ الْمَفْ
تَسْخَرُ الرِّيحُ بِالضَّعِيفِ مِنَ النَّبِ
اُمْلِكُوا الدَّهْرَ إِنَّهُ لَا يُوَاتِي
عَلَّمْتُنَا الْأَيَّامُ أَنَّ الَّذِي يُحَدِّثُ
نَهَبَ النَّوْمُ، فَالَّذِي يُغْمَضُ الْعَيْنُ
أَسْرِعُوا فَالزَّمَانُ مَاضٍ وَكَمْ مِنْ
وَاطَرَقُوا الْبَابَ، كُلُّ بَابٍ كَفِيلٌ
قَدْ يَطُولُ السَّرَى عَلَى الْمَدْلَجِ السَّارِ
لَا تُنَالُ الْعُلَا «بَلَيْتُ» «وَلَكِنْ»
آلَةُ الْفَوْزِ هِمَّةٌ تَطْحَنُ الصَّخْرَ
ابْتَنُوا لِلْعُلَا وَلِلنَّيْلِ مَجْدًا

رَارَ إِنْ فَتَّشَ الْحِمَى عَنْ كُمَاتِهِ^{١٨}
لَا، وَلَا تَكْتَفُوا بِجَمْعِ فُتَاتِهِ^{١٩}
يَا مُبَاخٍ لِطَالِبِي قَصَبَاتِهِ^{٢٠}
بِمَضَاءٍ يُرْبِي عَلَى وَتَبَاتِهِ^{٢١}
تُؤَلُّ دُخْرُ الشَّبَابِ فِي أَزْمَاتِهِ^{٢٢}
تِ وَتَخْشَى الْقَوَى مِنْ بَاسِقَاتِهِ^{٢٣}
غَيْرَ عَزَمٍ يَفْلُ مِنْ عَزَمَاتِهِ^{٢٤}
سَنُ يَلْقَى الْجَزَاءَ عَنْ حَسَنَاتِهِ
خَيْنٍ، يَا تَعْسَهُ وَيَا وَيَلَاتِهِ
مُبْطِئٍ قَدْ طَوَاهُ فِي عَجَلَاتِهِ
بُولُوجٍ لِمَنْ دَرَى دَقَاتِهِ^{٢٥}
رِي فِيْئِدْنِيهِ مِنْ مَدَى غَايَاتِهِ^{٢٦}
وَعُكُوفِ الْفَتَى عَلَى مِرَاتِهِ^{٢٧}
رَ وَتَسْمُو لِلنَّجْمِ فِي سَبَاحَاتِهِ^{٢٨}
وَاسْكُبُوا مِنْ حَيَاتِكُمْ فِي حَيَاتِهِ

لَكُمْ فِي مَلِيكِكُمْ خَيْرٌ دَاعٍ
قُدُوءٌ لِلشَّبَابِ، قَدْ عَرَفَ الْجَبِ
مِرَّةً سَامِقًا عَلَى صَهْوَةِ الْخَبِ
لَمْ نَرَ الْبَدْرَ قَبْلَهُ يَعْتَلِي الْعَرْ
أَوْ شَهِدْنَا نَوْرًا عَلَى الْأَرْضِ يَمْشِي
أَوْ عَهِدْنَا تَاجًا عَلَى مَفْرَقِ الشَّمِ
كُنْ كَمَا شِئْتَ أَيُّهَا الشَّعْرُ فَنَّا
هُوَ خَلَقَ مِنَ الْكَمَالِ الْمَصْفَى
النَّدَى وَالْحَنَانُ فِي بَسْمَاتِهِ
يَا مَلِيكًا أَعْلَى الْحَدِيثِ مِنَ الْمَجِ
إِنْ عِيدَ الْجُلُوسِ أَشْرَقَ فِي الْكُو
الْمَنَى الْيَانِعَاتُ مِنْ ثَمَرَاتِهِ
يَزْدَهِي النِّيلُ بِالْمَلِكِ الْمَرْجَى
إِنْ تَكُنْ مَصْرُ قَبْلَهُ هِبَةَ النَّبِ
تَسْتَجِيبُ الْمَنَى إِلَى دَعَوَاتِهِ
لُ طَرِيقَ الْحَيَاةِ مِنْ خُطُواتِهِ
يَلِ، وَأُخْرَى مُطَامِنًا فِي صَلَاتِهِ^{٢٩}
شَ وَيُمَسِّي الْجَلَالَ مِنْ هَالَاتِهِ^{٣٠}
الْهَدَى وَالْيَقِينُ مِنْ مِشْكَاةِهِ^{٣١}
سِ يَشْعُ الْإِيمَانُ مِنْ حَرَزَاتِهِ^{٣٢}
نَا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لِمَحِ صِفَاتِهِ^{٣٣}
مَنْ رَأَاهُ رَأَى الْكَمَالَ بِذَاتِهِ
وَالْعُلَا وَالْجَلَالَ فِي قَسَمَاتِهِ^{٣٤}
بِ، وَأَحْيَا قَدِيمَهُ مِنْ رُفَاتِهِ
نِ شُرُوقِ الرَّبِيعِ فِي رَوْضَاتِهِ
وَجَمَالَ الزَّمَانِ فِي لِحَظَاتِهِ
خَيْرِ أَبْطَالِهِ وَحَامِي حُمَاتِهِ^{٣٥}
لِ، فَقَدْ صَارَ نَيْلُهَا مِنْ هِبَاتِهِ

هوامش

- (١) سباته: نومه.
- (٢) حر النضار: الذهب الخالص.
- (٣) دجى: ظلمة. سنا: ضوء. لمحاته: اختلاس النظر إليه.
- (٤) الدثار: غطاء ثقيل يقي برد الشتاء. وخزاته: طعناته.
- (٥) طياته: ثنياه.
- (٦) المقرور: المصاب بشدة البرد.
- (٧) صولة: تحرك ونشاط.
- (٨) موصلي: نسبة إلى إسحاق الموصلي المغني المشهور. لهواته: جمع لهاة وهي اللحم المشرفة على الحلق في أقصى سقف الفم.
- (٩) سناء: ضوء. حليه: زينته. شياته: جمع شية وهو اللون في الشيء يخالف بقية لونه.

- (١٠) يهرم: يشيخ. صبواته: أيام الصبى والشباب.
- (١١) دوحاته: الشجر العظيم.
- (١٢) خافقات الجنان: مضطربات القلوب. جمراته: ناره وحرارته.
- (١٣) شباته: طرفه الحاد.
- (١٤) ما أحيل: ما أحلى.
- (١٥) نفحات: رائحة.
- (١٦) حلت: طعمها حلو. المرين: مثنى مر.
- (١٧) أردانه: أكمامه. علاته: أمراضه.
- (١٨) كماته: شجاعانه.
- (١٩) أرسلأ: مناضلين. فتاته: ما تكسر منه وبقي.
- (٢٠) قصباته: التي يتسابقون لنيلها.
- (٢١) مدى: غاية. بمضاء: نفاذ وعزيمة. يربي: يزيد. وثباته: همته وخطاه.
- (٢٢) الأزل: السريع القوي. المفتول: الملفوف القوي. زخر: معين، مدخر.
- (٢٣) باسقاته: العالية القوية.
- (٢٤) يفل: يكسر.
- (٢٥) كفيل: ضامن. ولوج: دخول.
- (٢٦) السرى: السير. المدلج: السائر في أول الليل. الساري: الماشي ليلاً. مدى: غاية.
- غاياته: مأربه.
- (٢٧) عكوف: وقوف مستمر.
- (٢٨) تسمو: تعلو على. سبحاته: يقصد الكون حيث تسبح النجوم والكواكب.
- (٢٩) سامقأ: طويلاً. صهوة الخيل: ظهورها. مطامناً: ساكناً.
- (٣٠) يعتلي العرش: يجلس على العرش. يمسي: يبيت. هالاته: الدوائر المنيرة حول القمر.
- (٣١) مشكاة: مصباح.
- (٣٢) مفرق الشمس: وسط الشمس. خرزاته: الذي ينظم عقوداً.
- (٣٣) لمح صفاته: التلميح بصفاته.
- (٣٤) قسماته: شكله وملامحه.
- (٣٥) حماته: المدافعون عنه.

فارس الصحافة

تلقى الشاعر نبأ وفاة الأستاذ جبرائيل تقلا صاحب جريدة «الأهرام»، وهو في طريقه إلى الإسكندرية، فكتب هذه الأبيات في القطار وأرسلها إلى الجريدة عام ١٩٤٨م.

سَدَّ الْقَضَاءُ مَنَافِذَ الْأَسْمَاعِ	ماذا يقولُ إذا نَعَاكَ النَاعِي؟
بُهِتَ الْقَرِيضُ فَمَا يُبَيِّنُ، وَأَذْهَلَتْ	نُوبُ الْخُطُوبِ نَوَادِبَ الْأَسْجَاعِ ^١
وَتَنَكَّرَتْ صُورُ الْبَيَانِ وَعَقَّنِي	عَنْ أَنْ أَبُوحَ كَمَا أَشَاءُ يِرَاعِي ^٢
تَمَحَوِ سَوَاجِمُهُ الْمِدَادَ، فَخَطُّهُ	أَسْطَارُ مَلْتَهَبِ الْحَشَا مُلْتَاعِ ^٣
وَالشَّعْرُ إِنْ عَقَدَ الْمُصَابُ لِسَانَهُ	فَسَكَوْتُهُ ضَرْبٌ مِنَ الْإِبْدَاعِ ^٤
نَعْيُ الْكَرِيمِ الْعَبْقَرِيِّ لَأُمِّهِ	نَعْيُ الْغَمَامِ إِلَى رِيَاضِ الْقَاعِ ^٥
وَيَلَّ الْمَنُونِ تَطَاوَلَتْ أَحْدَاثُهَا	فَلَوَتْ قَنَاةَ الْأَرْوَاعِ الشَّعْشَاعِ ^٦
وَطَغَتْ عَوَاصِفُهَا فَغَالَ هُبُوبُهَا	أَضْوَاءَ ذَاكَ الْكُوكِبِ اللَّمَّاعِ ^٧
بَكَتِ الصَّحَافَةُ فِيهِ أَشْجَعُ فَارِسٍ	وَأَعَزَّ مَدْعُوٌّ وَأَكْرَمَ دَاعِي ^٨
قَدْ كَانَ «جَبْرَائِيلُ» مُلْهَمٌ وَحِيهَا	يِرْعَى جَلَالَهَ قُدْسِهَا وَيُرَاعِي
فَإِذَا جَفَانِي الشَّعْرُ يَوْمَ رِثَائِهِ	فَلَقَدْ رَثْتُهُ مَآثِرٌ وَمَسَاعِي ^٩
وَإِذَا فَرَزْتُ مِنَ الْوُدَاعِ وَهَوْلِهِ	فَلَقَدْ بَعَثْتُ مَعَ الدُّمُوعِ وَدَاعِي

هوامش

- (١) نوابد الأسجاع: من يعددون مناقب الميت.
- (٢) تنكرت: جحدت. عقني: جافاني. يراعي: قلمي.
- (٣) سواجهه: دموعه الهاطلة. ملتهب الحشا: متقد البطن بالحرارة. ملتاغ: محترق الفؤاد.
- (٤) عقد: ربط. ضرب: صنف.
- (٥) الغمام: السحاب. رياض القاع: الحقائق المستوية.
- (٦) المنون: الموت. لوت: ثنت. قناة: رمح. الأروع: الشجاع. الشعشاع: الطويل.
- (٧) غال: أخذ.
- (٨) مدعو: من يدعي.
- (٩) جفاني: بعد ونأى عني.

إلى علي إبراهيم باشا

وقد أبلّ الطبيب الجراح من مرض ألمّ به عام ١٩٤٤م.

زَهَتْ دَوْلَةُ الطَّبِّ لَمَّا شُفِيَتْ وَعَاوَدَهَا الْأَمْلُ النَّاهِضُ
فَلِلطَّبِّ أَنْتَ وَتَيْنُ الْحَيَاةِ وَأَنْتَ لَهُ قَلْبُهُ النَّابِضُ^١

هوامش

(١) وتين: الشريان الأعظم الذي يخرج من القلب، ويتفرغ إلى أعضاء الجسم المختلفة وهو الأورطى.

الوباء

انتشر وباء الهيضة المعوية (الكوليرا) برشيد سنة ١٨٩٥ م وحصد الأرواح، فراع الشاعر الصغير ما رأى، وأثار عاطفته الشعرية، فقال هذه القصيدة:

أَيُّ هَذَا (الْمَكْرُوبِ) مَهْلًا قَلِيلًا
لَسْتَ كَالْوَاوِ، أَنْتَ كَالْمَنْجَلِ الْحَصَا
مَا غَلَبَتْ النُّفُوسَ بِالْعَزَمِ لَكِنْ
أَنْتَ فِي الْهَنْدِ فِي مَكَانٍ خَصِيبٍ
أَنْتَ كَالشَّيْبِ إِنْ دِهَمْتَ ابْنُ أَنْتَى
حَارَ «بَنْشَنَج» فِيكَ يَا ابْنَ شَعُوبٍ
عَقَدَ الْأَمْرَ فَايْتَكَّرْتَ لَهُ الْحَلَّ
قَامَ يَغْرُوكَ بَيْنَ جَيْشِ الْقَوَا
وَتَرَكْتَ الْحُمُوضَ تَجْرَعُهَا الْأُرَّ
«وَبِمَوْشَى» أَرَادَ حَضْرَكَ بِالْجُنْدِ
يَا ثَقِيلَ الظَّلَالِ أَذَيْتَ بِالْمَا
مَنْ يَبْتَ عِنْدَهُ الْهَزْبُ نَزِيلًا
رُبُّ طِفْلِ تَرَكْتَ مِنْ غَيْرِ تَذِي
وَفَتَاةٍ طَرَقَتْهَا لَيْلَةُ الْعُرِّ
كَحَلُّوا جَفَنَهَا فَكَحَلَّتْ فِيهَا
خَضَبَتْهَا يَدُ الْمَوَاشِطِ صُبْحًا
قَدْ تَجَاوَزْتَ فِي سِرَاكِ السَّبِيلِ!
دِ، إِنْ أَحْسَنُوا لَكَ التَّمَثِيلَ^١
هَكَذَا يَغْلِبُ الْكَثِيرُ الْقَلِيلَ
فَلِمَاذَا رَضِيتَ هَذَا الْمُحُولَ؟^٢
لَمْ تُزَايِلْ جَنْبِيهِ حَتَّى يَزُولَ^٣
وَنَقَضْتَ الْمُجَرَّبَ الْمُعْقُولَ^٤
لَ، وَمَا كَانَ عَقْدُهُ مَحْلُولًا
رِيرِ فَوَلَّى بِجَيْشِهِ مَخْذُولًا
ضُ، وَجَرَّعْتَنَا الْعَذَابَ الْوَبِيلَ^٥
دِ، وَهَلْ تَحْصُرُ الْجُنُودُ السَّيُولَ؟^٦
لِ وَبِالنَّفْسِ فَالْرَحِيلِ الرَّحِيلَا
كَانَ مِنْ قَبْلِ زَادِهِ مَأْكُولًا^٧
يَضْرِبُ الْأَرْضَ ضَجَّةً وَعَوِيلًا!
سِ وَقَبْلَ الْحَلِيلِ كُنْتَ الْحَلِيلَا^٨
كُلَّ جَفْنٍ أَسَى وَسُهِدًا طَوِيلَا
فَمَحَاهُ الْمُطَهَّرُونَ أَصِيلَا^٩

ما رَحِمْتَ الْعُيُونَ تِلْكَ اللَّوَاتِي تَرَكْتُ كُلَّ عَاشِقٍ مَذْهُولًا
لَوْ رَأَاهَا جِبْرِيلُ — أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ — لَأَلْهَتْ عَنْ وَحْيِهِ جِبْرِيلًا^{١٠}
يَا قَتِيلَ (الْفِينِيكَ) يَكْفِيكَ قَتْلًا كَ فَاعْمِدْ حُسَامَكَ الْمَسْلُولا^{١١}
إِنَّ فِي مِصْرَ غَيْرَ مَوْتِكَ مَوْتًا تَرَكَ الْأَرْوَاعَ الْأَعَزَّ ذَلِيلًا^{١٢}
فَارْتَحِلْ بَارِدَ الْفُؤَادِ قَرِيرًا مَرْوِيًّا مِنْ دَمِ الْعِبَادِ الْغَلِيلَا^{١٣}

هوامش

- (١) يشير إلى شبه المكروب: بحرف «الواو».
- (٢) خصب: صفة من الخصب وهو النماء والبركة، والخصب أيضًا ضد الجذب. المحول: الجذب.
- (٣) دهمت: غشيت وفاجأت. تزايل: تفارق. يزول: يذهب ويهلك.
- (٤) حار: تحير في أمرك. بنشنج: اسم لمدير الصحة بمصر في ذلك الزمن، شعوب: اسم للمنية وهو الموت، وكنى هذا المكروب بابن شعوب لشدة فتكه بالناس، نقضت: هدمت وأبطلت.
- (٥) الحموض: جمع حمض، والمراد به هنا العقاقير التي كانت قد أعدت للقضاء على هذه الجراثيم. تجرعها: تبتلعها، وذلك أنهم إذا أرادوا تطهير بيت مثلًا صبوا العقاقير على أرضه وجدرانه. جرعتنا: سقيتنا. الوبيل: الوحيم الثقيل.
- (٦) «موشى»: بلدة من أعمال أسيوط ظهر فيها هذا الوباء أول ما ظهر.
- (٧) الهزبر: الأسد القوي. النزيل: الضيف. الزاد: طعام يتخذ للسفر.
- (٨) طرقتها: نزلت بدارها، الحليل: الزوج.
- (٩) خضبت اليد خضبًا من باب ضرب بالخضاب وهو الحناء ونحوه. والمواشط جمع ماشطة وهي التي تحسن تطرية العروس وتجميلها ومشط شعرها أي تسريحه.
- (١٠) جبريل: ملك الوحي. ألهاه: شغله.
- (١١) «الفيينيك» كلمة أعجمية تطلق على بعض السوائل المطهرة القاتلة لجراثيم الأرض، وأغمدت السيف إغمادًا جعلته في غمده. الحسام: السيف القاطع. المسلول: المنتزع من غمده.
- (١٢) الأروع: من يعجبك بشجاعته. الأعز: اسم تفضيل من العز وهو ضد الذل. وفي هذا البيت إشارة إلى المستعمر الإنجليزي الذي كان يحتل مصر في ذلك الوقت.

الوباء

(١٣) بارد الفؤاد: ريان القلب. قرير: مسرو. الغليل: حرارة العطش.

رضا اليأس

عام ١٨٩٧ م

كان الشاعر يسير على جسر قصر النيل فرأى سُراة القاهرة، وهم في عجلات فخمة تجرها
سوابق الجياد، فقال:

أيركَبُها هذا فَتَنَّتْهُبُ الثَّرَى وتنهَبُ رِجْلِي الحَصَى والجنادِلُ؟!
رَضِيتُ رِضاءَ اليأسِ، واليأسُ راحةٌ وأتعبُ خَلْقَ اللَّهِ في الناسِ أَمَلُ!

هوامش

(١) تنتهب: تطوي الأرض مسرعة. الجنادل: الحجارة.

عيد الأعياد

نشرت هذه القصيدة يوم احتفال البلاد بمولد الملك فاروق آخر ملوك مصر سنة ١٩٣٩ م.

خَفَقَتْ بِسَاحَتِكَ الْبَشَائِرُ
يا يَوْمَ مَوْلِدِهِ وَمَا
جَاهِرَ بِنُبْلِكَ فِي الزَّمَانِ
لَكَ أَوَّلُ فِي الْمَكْرُمَاتِ
أَشْرَقَتْ فِي أَفْقِ الْقُلُوبِ
وَجُمِعَتْ مِنْ ضَوْءِ الْمُنَى
لَكَ بَيْنَ أَعْيَادِ الزَّمَانِ
شَفَقَاكَ خَدَا غَايَةِ
مَا أَنْتَ فِي الدُّنْيَا سِوَى
هَذَا الْجَمَالِ كَأَنَّهُ
سَحَرُ الْعُيُونِ بِحُسْنِهِ
الصَّبْحُ بِسَامِ السَّنَا
يا يَوْمَ فَارُوقٍ وَكَمْ
شَهِدَتْ بِمَطْلَعِكَ الْحَيَا
وَرَأَتْ جَبِينًا كَالصَّبَا
وَرَأَتْ مُنَى قَدْسِيَّةٍ
وَرَأَتْ مَخَايِلَ دَوْلَةٍ
وَسَرَتْ بَرِيَّانَكَ الْأَزَاهِرُ^١
لَكَ فِي جَمَالِكَ مِنْ مُفَاخِرِ
نِ فَحَقُّ مِثْلِكَ أَنْ يُجَاهِرُ
تَ، وَمَا لِفَيْضِ يَدَيْكَ آخِرُ
بِ، وَدُرَّتْ فِي فَلَكِ الضَّمَائِرِ
وُخِلِقَتْ مِنْ نَوْرِ الْبَصَائِرِ
نِ سَنًا عَلَى الْأَعْيَادِ بَاهِرُ
وُدْجَاكَ أَحْدَاقُ النُّوَاطِرِ^٢
أَمَلٍ وَضِيءِ الْحُسْنِ سَافِرُ
قَدْ صِيغَ مِنْ خَطَرَاتِ شَاعِرِ
وَالْحُسْنُ لِلْأَبْصَارِ سَاحِرِ
وَاللَّيْلُ مَصْقُولُ الْغَدَائِرِ
لَكَ عِنْدَ مَصِيرٍ مِنْ مَآثِرِ
ة تَفِيضُ بِالنَّعَمِ الذَّوَائِرِ^٣
حِ أَضَاءُ مُعْتَكِرِ الدِّيَاغِرِ
دَقُّ الزَّمَانِ لَهَا الْبَشَائِرُ^٤
فَوْقَ النُّجُومِ لَهَا مَعَابِرُ

ورأت رجاء النيل في
ورأت بَوادِرَ هَمَّةٍ
ورأت سَرِيرَةَ خاشعٍ
وتَطَلَّعَ المِخْرَابُ في
واستَبَشَرَ الدينُ الحنيـ
نادى البشيرُ به، فيا
ومشت ملائكةُ السما
فالأفقُ مِسْكُ عاطرٍ
هتفت لمولِدِ كابرٍ
هتفت بفاروقِ أَجَلِـ
خطَّ المِثَالُ وفضله
والناسُ بينَ مُكَبَّرٍ
ملأوا القلوبَ بحُبِّه
فاروقُ فَرَّدَ في الجلا
هذي بَواكِـره فكيـ
ينهى ويأمرُ هاديـا
فَرُعُ من الدَّوْحِ الكر
وقديمُ ماضٍ في العـلا
وسُلالَةُ الأمجادِ أبنا
من كلِّ مِسْعَرِ غارَةٍ
يُجْري الحصانَ مُخاطرًا
أَمْضَى لدعوةِ صارخٍ
يأبى عليه نِجارُه
للنَّقْعِ فوقَ جَبِينِه
المجدُ لا يُلقِي العِنا
السابقِ الوَثابِ طَلًّا
مَنْ لا يُحاذِرُ إنْ دَعَا

ثوبٍ من الإيمان طاهرٍ
أَعْظَمُ بهاتيكَ البَوادرِ!٦
سَجَدَتْ لخشيتِه السرائِرُ٧
جَذَلَ وأشرقَتِ المنابرُ٨
يفُ بخيرٍ من يُحيي الشعائرُ
بُشِّرَى المدائنِ والحواضرُ!
ءِ تَهَزُّ في الجوّ المباحِرُ٩
والمَهْدُ مثلُ المِسكِ عاطرُ
لَمْطَهَرِ الأنسابِ كابرُ١٠
لِ مَمْلَكٍ وأعزُّ ناصرُ
مَثَلُ يُباري الرِّيحَ سائرُ١١
داعٍ. ومولي الحمدِ شاكرُ
وبِذِكْرِه ملأوا الحناجرُ
لِ فلا شبيهُ ولا مُناظرُ
ف يكونُ ما بعدَ البواكرُ١٢
أَفْديهِ من ناهٍ وأمرُ!
يم مُبارَكِ النَّفحاتِ زاهرُ
ءِ يزيْنُه في النُّبْلِ حاضرُ
ءِ المواضي والبَواتِرُ١٣
والموتُ مُحَمَّرُ الأظافرُ١٤
فوقَ الجماجمِ والمغافرُ١٥
من لمح كَرَّاتِ الخواطرُ١٦
وإِباؤُه أَلَّا يُبادِرُ١٧
مِسْكُ يُضَمِّخُ كلَّ ظافرُ١٨
نَ لغيرِ ذي العزمِ المُثابِرُ
عِ الثَّنِيَّاتِ المصابِرُ
هُ حِفْاظُه أَلَّا يُحاذِرُ١٩

عَشِقَ المَخَاطِرَ مُرَّةً	فَجَنَى الشَّهَادَ من المَخَاطِرِ ^{٢٠}
من كَالَأَسَاوِرَةِ البَوَا	سِلِّ وَالْقَسَاوِرَةِ الخَوَاوِرِ؟ ^{٢١}
أَجْدَادِ فاروقِ كِرَا	مِ الْمُنْتَمَى طُهْرَ الأَوَاصِرِ
بَعَثُوا ثَرَاثَ الْأَوَّلِي	نَ، وَوَطَّدُوا مَجْدَ الْأَوَاخِرِ ^{٢٢}
تُزْهِى بِهِمْ مَصْرُ كَمَا	زُهِيتَ بِفَتْيَتِهَا تُمَاضِرُ ^{٢٣}
دَعَهَا تُكَاثِرَ بالذي	أَسَدُوا، نَعَمْ دَعَهَا تُكَاثِرُ ^{٢٤}
فاروقُ أَشْرَقَ بالمنى	يَسْمُو لِضَوْئِكَ كُلِّ حَائِرُ
مَصْرُ وَأَنْتَ يَمِينُهَا	عَقَدْتَ عَلَى الحَبِّ الخَنَاصِرُ ^{٢٥}

هوامش

- (١) سرت: مشت ليلاً. بريك: فيضك. الأزاهر: النبات المزدهر.
- (٢) شفقك: الشفق هو لون السماء قبل غروب الشمس. خدًا: مثني خد. دجك: سواد ليلك. أحداق: جمع حدقة العين.
- (٣) الذواخر: الكثيرة.
- (٤) معتكز: مختلطة بالظلمة. الدياجر: الليالي المظلمة.
- (٥) منى: أمني.
- (٦) بوادر: أوائل.
- (٧) سريرة: ما يسره في نفسه.
- (٨) جذل: فرح.
- (٩) المباخر: الذي توضع فيه البخور ذو الرائحة الحسنة.
- (١٠) لمطهر الأنساب: ذو النسب الطاهر.
- (١١) خط المثل: وضع وضرب المثل. يباري: ينازل.
- (١٢) بواكره: أوائل أعماله.
- (١٣) البواتر: القواطع.
- (١٤) مسعر: مشعل. غارة: من الإغارة على العدو. محمر الأظافر: من إراقة الدماء.
- (١٥) المغافر: جمع مغفر وهو زرد يلبس على الرأس في الحروب.
- (١٦) لمح: المقصود سرعة. الخواطر: ما يطرأ على خاطر.

(١٧) نجاره: أصله.

(١٨) النقع: الغبار. يضمن بالمسك: يمسح جلده بالمسك.

(١٩) حفاظه: أنفته.

(٢٠) مرة: صعبة وعسرة. جنى: حصد وحصل. الشهاد: الشهد الحلو.

(٢١) الأساورة: جمع أسوار. القائد: القساورة: جمع قسورة وهو الأسد. الخوادر:

المسترة.

(٢٢) وطفوا: ثبتوا.

(٢٣) تماضر: هي الشاعرة العظيمة الملقبة بالخنساء وكانت تزهر وتفتخر بأولادها،

وقد أسلمت وحضرت الرسول — عليه الصلاة والسلام — وكان يعجب بشعرها. ولما

بلغها نبأ استشهاد أولادها الأربعة في معركة أحد لم تجزع، وقالت قولتها المشهورة:

الحمد لله الذي شرفني باستشهادهم وأرجو الله أن يجمعني وإياهم في الجنة.

(٢٤) أسدوا: أعطوا.

(٢٥) يمينها: يدها اليمنى التي تعتمد عليها أي وأنت عمادها. عقدت: عاهدت.

الخناصر: جمع الإصبع الخنصر.

صديقٌ عدو وعدو صديق

عام ١٩٢٠م

أصديقي يَودُّ أني أُساء؟! وعدويّ يُظن فيه الوفاء؟!
عُكس الحال لا محالة لكن ربّما أنجد الغريقَ الماء!

الوَطَنُ

نَشِيدُ الْكَشَّافَةِ ١٩٣٧ م

مِصْرُ اسْلَمِي واسْلَمِي وَسُوْدِي يا اَلْفَ الْكَوْنِ والْوُجُوْدِ^١
نَهَضْتِ والْأَرْضُ فِي دُجَاهَا والشمسُ والبدرُ فِي الْمُهُودِ^٢

* * *

قَدْ كُنْتَ والدهرُ فِي صِبَاهُ نَجْمَ هُدًى ساطِعًا سَنَاهُ^٣
تَعْنُو لِسُلْطَانِكَ الْجِبَاهُ مَرْفُوعَةَ الرَّأْسِ والْبُنُوْدِ^٤

* * *

يا بَسْمَةً فِي فَمِ الزَّمانِ وَمَوْطِنَ الْعِزِّ والأَمَانِ
نَيْلُكَ أَحْلَى مِنَ الأَمَانِي جَنَى وَأَذْكَى مِنَ الْوُرُوْدِ^٥

* * *

الأَرْضُ أَنَّى خَطَوْتَ تَبْرُ وَزَهْرُهَا جَوْهَرٌ وَدُرُ
عَقْدُ، وَهَذَا الْوُجُوْدُ نَحْرُ قَدْ يَجْمَلُ النَحْرُ بالعُقُوْدِ!^٦

* * *

كَمْ نِلْتِ بِالْعِلْمِ مِنْ مَقَامٍ وَنِلْتِ بِالْحِدِّ مِنْ مَرَامٍ^٧
إِلَى الْأَمَامِ إِلَى الْأَمَامِ إِلَى الْمَعَالِي إِلَى الْخُلُودِ

* * *

يَا مِصْرُ نَحْنُ الْفِدَاءُ نَحْنُ مَا مَسَّنَا فِي الْخُطُوبِ وَهْنُ
أَرْوَاحُنَا فِي يَدَيْكَ رَهْنُ وَعَهْدُنَا أَصْدَقُ الْعُهُودِ

* * *

أَبَاؤُنَا قَادَةُ الدُّهُورِ قَدْ أَنْطَقُوا صَامِتَ الصُّخُورِ
مِنْ كُلِّ وَتَابَةِ جَسُورِ كَأَنَّهُ صَائِلُ الْأُسُودِ^٨

* * *

يَا مِصْرُ فَارُوقُكَ الْمَرْجَى إِلَيْهِ تَرْنُو الْمُنَى وَتُزَجَى^٩
بِئْمَنِهِ قَدْ بَلَغْتَ أَوْجَا وَعِشْتَ فِي قِمَّةِ السُّعُودِ^{١٠}

* * *

بِفَضْلِهِ صِرْتَ فِي الشُّعُوبِ مَهِيْبَةً الْقَدْرِ فِي الْقُلُوبِ
فَمِنْ وَثُوبٍ إِلَى وَثُوبٍ وَمِنْ صُعُودٍ إِلَى صُعُودٍ

* * *

نُكْرِرُ الشُّكْرَ مُخْلِصِينَ لِمَنْ أَعَادَ الْحَيَاةَ فِينَا
لِمَصْدَرِ النُّورِ لِلْبَنِينَا وَالْمَنْهَلِ الْعَذْبِ لِلْوُرُودِ^{١١}

* * *

مِصْرُ اسْعِدِي وَارْذَهِي وَتَبِيْهِ دَعَاكَ لِلنَّصْرِ فَاتَّبَعِيْهِ
مَا لَكَ فِي الْمَجْدِ مِنْ شَبِيْهِ وَمَا لِحَدَوَاهُ مِنْ حُدُودِ^{١٢}

* * *

عَاشَ مَلِيْكُ الْبِلَادِ زَنْدًا وَسَاعِدًا مُسْعِدًا أَشَدًّا^{١٣}

فَارُوقَ الْمُزْتَجَى الْمُفَدَّى مُوَفَّقَ الرَّأْيِ وَالْجُهُودِ
مِصْرَ اسْلَمِي واسْلَمِي وَسُودِي يَا أَلْفَ الْكَوْنِ وَالْوُجُودِ

هوامش

- (١) سودي: أمر من السيادة وهي العز والمجد والشرف، ويراد بالأمر هنا الدعاء أو التمني، والألف أول الحروف الهجائية والمراد بألف الكون والوجود أنها أول البلاد التي عرفها التاريخ بالحضارة والعمران.
- (٢) الدجي: الظلمة. المهود: جمع مهد.
- (٣) ساطعًا: عاليًا. السنّا: الضوء.
- (٤) تعنو: تخضع وتذل. البنود: جمع بند وهو العلم.
- (٥) الجنى: ما يجنى من الثمر. أذكى: أطيب رائحة. الورود: جمع ورد.
- (٦) العقد: القلادة. النحر: موضعها من الصدر.
- (٧) الجد: الاجتهاد. المرام: المطلب.
- (٨) صائل: اسم فاعل من صال أي: سطا وهجم.
- (٩) تزجى: تدفع وتساق.
- (١٠) الأوج: الرفعة.
- (١١) المنهل: المورد وهو عين الماء التي يُستقى منها.
- (١٢) الجدوى: العطية.
- (١٣) الزند: موصل طرف الذراع في الكف، وهو من مكامن القوة والمراد ينبوع قوة للبلاد، والساعد من الإنسان ما بين المرفق والكف.

نجيب متري

يرثي الشاعر صديقه المرحوم نجيب متري صاحب مكتبة المعارف، وقد توفي سنة ١٩٢٨ م.

قُمْ وَانْثُرِ الزَّهْرَ عَلَى لَحْدِهِ	وَابِكِ مَضَاءَ الْعِزِّ مِنْ بَعْدِهِ ^١
هَذَا «نَجِيبٌ» قَدْ تَوَى مُفْرَدًا	كَأَنَّهُ الصَّمْصَامُ فِي غَمْدِهِ ^٢
مَقْصَدُهُ ضَاقَ بِهِ جِسْمُهُ	وَنَفْسُهُ أَكْبَرُ مِنْ قَصْدِهِ ^٣
كَانَ عِصَامِيًّا بَعِيدَ الْمَدَى	لَا يَبْلُغُ الطَّرْفُ مَدَى حَدِّهِ
يَعْمَلُ كَالنَّحْلَةِ لَا يَنْتَنِي	وَكَمْ جَنِينًا الْحُلُوَّ مِنْ شَهْدِهِ ^٤
مَلَّ نَهَارُ الْقَيْظِ مِنْ كَدِّهِ	وَضَحَّ نَجْمُ الصُّبْحِ مِنْ شَهْدِهِ
رَأَيْ يُرِيكَ اللَّيْلُ شَمْسَ الضُّحَى	وَهَمَّةً كَالنَّجْمِ فِي بُعْدِهِ
وَطَهَّرُ نَفْسٍ إِنْ تَرَدَّ وَصَفَهُ	فَانْظُرْ إِلَى الطَّلِّ عَلَى وَرْدِهِ ^٥
كَانَ أَبًا بَرًّا يَعَافُ الْكَرَى	لَوْ مَرَّتِ الرِّيحُ عَلَى وَلْدِهِ ^٦
عَلَّمَهُمْ كَيْفَ يُحِبُّونَهُ	وَكَيْفَ يَبْكُونَ عَلَى فَقْدِهِ
لَا بَرَحَتْ ذِكْرَاهُ مِلءَ النَّهَى	وَلَا خَلَا مَغْنَاهُ مِنْ مَجْدِهِ ^٨

هوامش

- (١) اللحد: الشق في جانب القبر، والمراد القبر نفسه. المضاء: النفاذ والحدة. العزم: الإرادة القوية.
- (٢) ثوى: أقام. الصمصام: السيف الصارم القاطع الذي لا ينتهي.
- (٣) المقصد والقصد مصدر قصدت الشيء وله وإليه أي: طلبته بعينه.
- (٤) عصاميًّا: معتمدًا على نفسه عظيمًا بأعماله. المدى: الغاية. الطرف: العين. حد الشيء: منتهاه.
- (٥) لا ينتهي: لا ينصرف عن غايته.
- (٦) الطل: الندى يكون في الصباح فوق أوراق الزهر والشجر.
- (٧) الكرى: النعاس.
- (٨) النهى: جمع نهية وهي العقل. المغنى: المنزل.

تغريد

غنت السيدة «أم كلثوم» هذه الأبيات احتفالاً بزواج الإمبراطورة فوزية من عاهل إيران الذي أقيم بدار الأوبرا سنة ١٩٣٩م.

لَمَحَ الْبِشْرُ بِاسْمًا بِالْأُمَانِي	وشدا الصفوً صادقًا بالأغاني
طَرَبَ هَزَّ كُلَّ عِطْفٍ وَجِيدٍ	فكأنَّ الوجودَ من ألحان ^١
ازْدَهَى مِصرُ، وَاُمْلِئِي الْكَوْنَ تِيهَا	بالأمير النبيل من إيران ^٢
أُمَّةٌ مَجْدُهَا أَطْلُ عَلَى الشَّمْسِ	س، فحيا سناءه الفرقدان ^٣
قَهَرَتْ صَوْلَةَ الزَّمَانِ وَكَانَتْ	قَبَسَ النُّورِ فِي شَبَابِ الزَّمَانِ ^٤
إِنَّ مِصرًا وَإِنَّ إِيْرَانَ فِي الْمَجْدِ	د تليدًا وطارفًا أخوان ^٥
أَكْبَرَ ابْنُ الْحُسَيْنِ أَهْرَامَ مِصرِ	وشدا البُحْتَرِيَّ بِالْإِيْوَانِ ^٦
سَعِدَا بِالْقِرَانِ فِي عِزَّةِ الْمَلِكِ	ك، وفي ظلِّ دُوحِهِ الْفَيْنَانِ ^٧
فَالْتَقَى بِالرِّضَا وَبِالْفُوزِ تَاجَا	ن، وبِالْوُدِّ وَالصِّفَا أُمَّتَانِ ^٨
دُرَّةٌ مِنْ كَنْوَزِ مِصرَ أَضَاءَتْ	فوق تاج الملوك من ساسان ^٩
وَنَبَاتٌ زَكَا بِرُوضِ فِؤَادٍ	بين ظِلِّينِ مِنْ نَدَى وَحْنَانٍ
إِنَّ عَهْدَ الْفَارُوقِ عَهْدُ سُعودٍ	باسمُ الثَّغْرِ نَاضِرُ الْأَقْنَانِ ^{١٠}
مَلِكُ زَانِهِ الْجَلالِ وَطَافَتْ	حوله هالةٌ من الإيمان
قَدْ سَرَى حُبُّهُ إِلَى كُلِّ قَلْبٍ	وجرى حمده بكلِّ لسان

هوامش

- (١) عطف: جانب. جيد: العنق.
- (٢) تيهًا: افتخارًا. الأمير النبيل: محمد رضا بهلوي شاه إيران.
- (٣) سناءه: ضوءه. الفرقدان: نجمان قريبان من القطب.
- (٤) قبس: شعلة النور.
- (٥) تليدًا: قديمًا. طارفًا: حديثًا.
- (٦) ابن الحسين: الشاعر أبو الطيب المتنبي. البحري: الشاعر العباسي الشهير. الإيوان: إيوان كسرى ملك الفرس.
- (٧) دوحه: شجره العظيم. الفينان: الطويل الحسن ذو الأغصان الوارقة.
- (٨) بالرضا: القبول ويجوز أن يكون المقصود رضا بهلوي والفوز إشارة إلى فوزية.
- (٩) ساسان: بلدة بإيران وإليها نسبت الدولة الساسانية.
- (١٠) سعود: يمن وبركة وسعادة.

ذكري وتاريخ

أنشدت هذه القصيدة بدار المعارف سنة ١٩٤٥م، بمناسبة احتفالها بمرور عامين على إصدار سلسلة «اقرأ»:

كَبَحَ الشَّيْبُ والنُّهْيُ من عَنَانِهِ^١
سَاقَهُ يَأْسُهُ إِلَى سُلْوَانِهِ^٢
مَ، لَعَجَزَ النَفُوسِ عن إِتْيَانِهِ^٣
بِ، فَمَنْ لِي بِالْحَبِّ أَوْ رِيحَانِهِ؟^٤
هُوَ فِي بَوَاجِهِ وَفِي كَتَمَانِهِ!^٥
نَ، وَمَدَّ الْخَبِيثُ طَرْفَ لِسَانِهِ^٥
شُرُفَاتُ يَهْوِينَ من بَنِيَانِهِ
ضَنَّ بِالْمَلْتَقَى عَلَى وَسْنَانِهِ^٦
هَ، وَفُوتُ الشَّبَابِ قَبْلَ أَوَانِهِ^٧
طَاحَ، عَشْنَا فِي ذِكْرِيَاتِ زَمَانِهِ^٨
ضِ، شَجَا الْحَالِيَاتِ من أَغْصَانِهِ^٩
لَوْ خَضَبْنَ الْبَنَانَ من أَلْوَانِهِ^{١٠}
لَمَحَّةَ الْحَسَنِ من سَنَا لِمَعَانِهِ^{١١}
هَ؟ وَأَيْنَ الرَّخِيمُ من أَلْحَانِهِ؟^{١٢}
هَلْ يَعُودُ الشَّادِي إِلَى جَوْلَانِهِ؟^{١٣}
رُكُّ لِقَلْبِي مِنْهُ سَوَى خَفْقَانِهِ^{١٤}

لَسْتُ مِنْ شَأْنِهِ وَلَا بَعْضُ شَأْنِهِ
فَازْهَبِي، مَا سَلَ الْفَوَاضِلُ وَلَكِنْ
وَبِدَارِ الْفَرْدُوسِ مِنْ جَانِبِ الْإِثْ
قَدْ تَوَلَّى الشَّبَابُ رِيحَانَةَ الْحَبِّ
أَهْ مِنْ حَيْرَةِ الْمَشْيِبِ: سَوَاءٌ
إِنْ كَتَمْنَا قَهْقَرَهُ الدَّهْرُ جَذَلًا
أَوْ أَبْحَنَاهُ رَاعِنًا كُلَّ يَوْمٍ
وَرَأَيْنَا الْغَيْدَ الْأَمَالِيدَ حُلْمًا
كُلُّ شَيْءٍ لَهُ أَوَانٌ يَوْفِيهِ
كَمْ نَعْمْنَا بِهِ زَمَانًا فَلَمَّا
طَائَرُ كَانَ إِنْ تَغَنَّى إِلَى الرُّو
عَسْجِدِي الْجَنَاحِ وَدَّ الْعَذَارَى
وَتَمَنَّى الْأَصِيلُ لَوْ نَالَ يَوْمًا
أَيْنَ تَصْفِيْقُهُ؟ وَأَيْنَ مَجَالِيهِ
جَالَ فِي الْأَفْقِ جَوْلَةً ثُمَّ وَلَّى
وَمَضَى خَافِقَ الْجَنَاحِ وَلَمْ يَتَـ

وحواه الماضي الخضم وأبقى
مرة تستريح شوقاً لذكرنا
أنا عزمي من آل صخر، ورأسي
ولنفسى منى الشباب، وإن أذ
ذكريات تطفو على شطآنه
ه، حيناً نجد في نسيانه
لقي الويل من بني شيبانه^{١٥}
رج وجهي الشباب في أغضانه

ما أحيلى الصبا، فهل لمحّة منذ
بان بالأمس ركّبه فتطلّع
وبدا في طليعة الركب طيف
هاج ذكرى «دار المعارف» والغص
جمعتنا رؤى جنى وظلالاً
فشدونا عناداً هزت الدهـ
وصحا الشرق ناشطاً يجبه الدنـ
وكتبنا في روعة وبيان
من إمام وشاعر وأديب
جمعتنا «دار المعارف» أحرا
إن عنوانها جهابذ مصر
مصنّع من ثقافة وضياء
يُنضج الخبز للعقول نقياً
كلّما دار دورة نهض العقـ
طبّعات فيها من الحسن طبع
وإذا راعك الجمال لفن
نجم الدرّ توءماً وفريداً
قلّ كما شئت في مديح «شفيق»
باعث الفكر مثله ناشر الفكـ
أي نفع للمسك في حقّة المسـ
ينشط الفكر بالذئوع ويزكو
ه، ومن زهوه ومن ريعانه!^{١٦}
ت، أعد الطيوف من أظعانه^{١٧}
لجّ منه الفؤاد في تحنانه^{١٨}
ن رطيب، والعمر في عنفوانه
تتدانى القطوف من أفنانه^{١٩}
ر، وكادت تلهيه عن حدثانه^{٢٠}
يا، وينفي النعاس عن أجفانه^{٢١}
يقسم السحر: إنه من بيانه
معجزات الفنون طوع بنانه^{٢٢}
رأ، فكنا للعلم من عبّانه^{٢٣}
وجلال الكتاب في عنوانه!^{٢٤}
كل قطر يعيش إلى نيرانه^{٢٥}
لم يروّع بالبخس في ميزانه^{٢٦}
ل، وألقى العتيق من أكفانه
قيمة المرء في مدى إحسانه!
عبقري فاسأله عن فنّانه
ثم نأتي به إلى دهقانه^{٢٧}
والكرام الثقّات من أعوانه^{٢٨}
ر، له فضله ورفعته شأنه
ك، وللمال في يدي خزانه^{٢٩}
وزكاء الينبوع في جريانه!^{٣٠}

يا ابن «مترى» بلغت مدحي، وهذا منزلُ النجم، أو قريبُ مكانه
صُنْتُ شُعْرِي عن أن يهونَ وبعضُ الشـ شِعْر يَسْعَى لَذْلَه بهوانه
يَصْغُرُ الفَنُّ حينما تصغرُ النفـ سُ، وينحطُّ من رفيعِ قَنانه^{٣١}
إن شِعْرِي أجزُ النبوغِ فما بضـ ضَ لغيرِ المُجيدِ في مَيدانه^{٣٢}

أشفيقُ، سِرْ بالشبابِ حثيثًا أملُ الشرقِ في يَدَي شُبَّانه!
قد قرأنا في «اقرأ» صحائفَ أْبَدَتْ صفحاتِ الربيعِ في إِبَّانِه^{٣٣}
نَهَضْتُ بالشرِيفِ من لغة الضا دِ، وجاءت بالسحرِ من تَبْيانه^{٣٤}
فهَناءٌ «دارُ المعارفِ» لا زلـ سِتِ منارِ الحِجا ومجلَى افْتنانه^{٣٥}
لِقِيَ الشرقِ في ذراكِ مَلَاذًا مُذْ بَعَثَتْ الحِياةَ في أوطانه^{٣٦}

هوامش

- (١) النهى: العقل. عنانه: مقود الفرس.
- (٢) سلا: نسي.
- (٣) دار الفردوس: الجنة.
- (٤) ريحانة: رائحته الطيبة والريحان نبات ذو رائحة جميلة.
- (٥) جذلان: فرحان.
- (٦) الأماليد: ناعمة الخد. وسانه: نائمة.
- (٧) أوان: وقت. يوفيه: يعطيه حقه.
- (٨) طاح: سقط وولى وراح.
- (٩) شجا: طرب. الحاليات: المظهرات حلوة وعجبًا.
- (١٠) عسجدي: ذهبي. خضبن: دهن أيديهن بالحناء.
- (١١) الأصيل: الوقت بعد العصر إلى المغرب.
- (١٢) الرخيم: الرقيق.

- (١٣) جال: طاف.
- (١٤) خافق الجناح: مضطرب مرفرف.
- (١٥) آل صخر وبني شيبان: أسماء لقبائل عربية.
- (١٦) ريعانه: قوته وفتوته.
- (١٧) الطيوف: الأخيلة. أظعانه: أسفاره ومشيه.
- (١٨) لج: تردد.
- (١٩) جنى: ثمار. القطوف: العناقيد.
- (٢٠) عنادلاً: طيور يقال له: الهزار صوتها حسن. حدثانه: أحداثه.
- (٢١) يجبه: يستقبل.
- (٢٢) طوع بنانه: منقادة له.
- (٢٣) عبدانه: خاضعين له.
- (٢٤) جهابذ: عظماء.
- (٢٥) قطر: الناحية والجانب. يعيش: هنا بمعنى يقصد.
- (٢٦) يروع: يفزع. البخس: النقص.
- (٢٧) التوعم: اثنان في بطن واحدة. فريداً: واحداً. دهقانه: تاجر الجواهر.
- (٢٨) شفيق: هو شفيق نجيب م ترى صاحب دار المعارف في ذلك الحين. الثقات: أهل الثقة.
- (٢٩) المسك: الطيب. حقة: المكان الذي يوضع فيه.
- (٣٠) الزيوع: الانتشار. ذكاء: نماء. الينبوع: عين الماء.
- (٣١) قنانه: مكانته العالية، أعلى الجبل.
- (٣٢) بض: رق ولان، استجاب.
- (٣٣) اقرأ: هو اسم سلسلة كتيبات تصدرها دار المعارف. إبانته: أوانه.
- (٣٤) لغة الضاد: اللغة العربية.
- (٣٥) منار الحجا: منار العقل. مجلى: موضح.
- (٣٦) ذراك: ظلك. ملاذاً: ملجأ ومأوى.

مصطفى النحاس باشا

واحد من زعماء مصر البارزين خلف الزعيم العظيم سعد زغلول باشا في رئاسة حزب الوفد، وعاش حياته يناضل الاستعمار الإنجليزي لمصر حتى حقق الله على يديه استقلال البلاد، وقد أنشد الشاعر هذه القصيدة في الاحتفال الذي أقيم تكريمًا للزعيم بعد عودته هو وصحبه عقب توقيع اتفاقية «منثرو» عام ١٩٣٧م.

مَلَكْتَ بما أوتيت ناصيةَ النجم
وَحُزَّتْ عِنانَ المجدِ والشرفِ الجَمَّ^١
وَعُدْتُ زعيمَ الفاتحين تقوُّدُهُ
يَدُ اللهِ مِنْ غُنىٍ لمصرَ إلى غُنى^٢
تطالعُكَ الأعلامُ نَشوى كأنَّها
بكلِّ الذي أوليتِ مِصرَ على عِلْمِ^٣
خوافِقُ تنأى في السماء وتلتقي
كما مال رِثْمٌ في الفلاة إلى رِثْمٍ^٤
ويُطربُّها عالي الهتافِ فتنتنِّي
كما رقصتْ هيفُ العذارى على نغمٍ^٥
فُتِنَ بألوانِ الرياضِ وحُسَنِها
فقاَسَمَناها في الحُسَنِ أو جُرُنَ في القَسَمِ^٦
وكادَ سُروراً ما بها من أهْلَةٍ
يتيه على ابن الليل في ليلة التَّمِ^٧

لها نشوة لو أنَّ للكرم مثَّها
لما كانَ إنَّمَا أنَّ تُسَاعَ ابنةَ الكرمِ^٨
زَهاها على الرايات أن انتصارها
على الدهرِ لم يُقسَمَ لعُربٍ ولا عُجمِ^٩
وأن فَتَّاهَا لم يقفَ في ثيابه
أخو نجدَةٍ في يومِ حربٍ ولا سِلمِ^{١٠}
حمَّاهَا وأغلاها على النجمِ سعيه
فلله من يغلي اللواءَ ومن يحمي

أبى المجدُ أن يدنو بفضلِ عنانه
لغير بعيدِ العُورِ والرأيِ والسهمِ^{١١}
وما خضعَ النصرُ الأشمُّ لفاتحِ
إذا لم يَكُنْ من خيرةِ السادةِ الشُّمِ^{١٢}
حملنا له الأزهارَ تَنَدَى نضارةً
وتهتَزُّ عن طيبٍ وتَفْتَرُّ عن بَسَمِ^{١٣}
وأنفَسُ شيءٍ في الحياةِ أزهَرُ
يُبْعَثُهَا شَعْبٌ على قَدَمَي شَهْمِ^{١٤}
وجئنا بغُصنِ الغارِ تاجًا لجبهةِ
عليها سطورٌ من إباءٍ ومن عزمِ^{١٥}
أقامَ طويلًا بالرياضِ كأنَّمَا
أُصِيبَتْ بناتُ المجدِ في مصرَ بالعُقمِ^{١٦}

سعى الشعبُ أفواجًا إليك يسوقه
نوازعُ حُبٍّ قد طَغَيْنَ على الكُثمِ^{١٧}
رأينا به الأذنيَّ يهدُرُ ماؤه
وجرجرةُ الأمواجِ في لُجَّةِ اليمِ^{١٨}

صُفوفُ بناها الله في حُبِّ «مُصطفى»
 ١٩ تنَزَّهْنَ عن صَدْعٍ وَعُوفَيْنِ من ثَأْمٍ
 بها اجْتَمَعَتْ كُلُّ المَدَائِنِ والقُرَى
 فما شِئْتَ من كَيْفٍ وما شِئْتَ من كَمِّ
 إذا حاولَ الوهمُ المَصَوِّرُ رَسَمَهَا
 ٢٠ على صفحةِ القُرطاسِ عَزَّتْ على الوهمِ
 وأصواتُ صِدْقٍ بالدعاءِ تتابعَت
 لها كَدَوِيَّ النحلِ في أذُنِ النجمِ ٢١
 أصاحَ إليها الصُّمُّ، يستمعونها
 ٢٢ فإن جَحَدُوها فالعفاءُ على الصُّمِّ
 تُحِسُّ أزيزَ النارِ في نَبْرَاتِها
 وتَلَمَّحُ فيها قوَّةَ العِزِّ والجِزْمِ ٢٣
 تكادُ تَمِيدُ الأرضُ بالحشدِ فوقها
 وتنسُدُ أرجاءُ الفضاءِ من الرِّجْمِ ٢٤
 زعمتُ بأن أطوي لك الجمعَ سابحًا
 فليلهِ كَمٌّ لاقيتُ من ذلك الرِّجْمِ
 أحاطتْ بي الأمواجُ من كُلِّ جانبٍ
 أغوصُ إلى لحمٍ وأطفو على لحمٍ
 إذا نالَ مني الوكْزُ ما كانَ يشتهي
 ٢٥ خَلَصْتُ إلى ما لا أحب من اللُحْمِ
 سَدَدْتُ عليَّ الطُّرُقَ لم أَلْقَ مَسَلَكًا
 وأوسعتُ طُرُقَ المجدِ والحسبِ والضخمِ ٢٦
 تمنيتُ لو لامَسْتُ كَفًّا هي المُنَى
 خواتمها قد صاغها الشعبُ من لَثْمِ ٢٧
 وشاهدتُ شهْمًا كلَّما رُمْتُ رَسْمَهُ
 تصوَّرتُ أخلاقَ الملائكِ في الرِّسْمِ ٢٨
 وفُزْتُ بوجهٍ من سَناءِ اللِّهِ ضوؤه
 ٢٩ كريمُ المحيَّا لا قُطوبٍ ولا جَهْمِ

إِذَا قَدَّرَ الشَّعْبُ الرِّجَالَ، فَإِنَّهُ
قَمِينٌ بِالْإِسْتِقْلَالِ فِي الرَّأْيِ وَالْحُكْمِ^{٣٠}

* * *

دُعُونََاكَ لِلْجُلَى فَكُنْتَ غِيَاثَهَا
وَقَدْ عَبَّتْ خَيْلُ الْحَوَاثِ بِاللَّجَمِ^{٣١}
عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ مَفَاضَةً
مَنْ الْحَقَّ لَمْ تَأْبَهُ لَرْمَحٍ وَلَا سَهْمِ^{٣٢}
تَصُولُ عَلَى الْعُدَوَانِ تَسْتَلُّ نَابَهُ
وَتَصْدَعُ بِالْإِيمَانِ غَاشِيَةَ الظُّلَمِ^{٣٣}
وَتَرْفَعُ صَدْرًا كَانَ حِصْنًا وَمَوْئِلًا
لِمَصْرَ فَأَغْنَاهَا عَنِ الْحِصْنِ وَالْأُطَمِ^{٣٤}
رَمِيَتْ فَسَدَدَتْ الرَّمَاءَ وَإِنَّمَا
هُوَ اللَّهُ يَرْمِي عَنْ يَمِينِكَ إِذْ تَرْمِي^{٣٥}
وَمَا كُلُّ ذِي سَهْمٍ أَصَابَتْ يَمِينُهُ
وَلَا كُلُّ سَهْمٍ فِي إِصَابَتِهِ يُضْمِي^{٣٦}
وَجَنَّدَتْ مِنْ آرَائِكَ الْغُرَّ جَحْفَلًا
طَلَائِعُهُ أَغْنَتْ عَنِ الْبَيْضِ وَالْدُّهْمِ^{٣٧}
وَأَرْسَلَتْ صَوْتًا فِي الْبِلَادِ مَجْلَجَلًا
سَمِعْنَا بِهِ زَأَرَ الضَّرَاغِمِ فِي الْأَجْمِ^{٣٨}
فَفَتَّحَتْ آذَانًا وَأَيَقَظَتْ أَعْيُنًا
وَصَنَّتْ رِبَاطَ الْعَنْصَرِينَ مِنَ الْفُصْمِ^{٣٩}
فَلَمْ يَرْضَ جَنْبٌ أَنْ يَنَامَ عَلَى أُنًى
وَلَمْ يَرْضَ حَقٌّ أَنْ يَنَامَ عَلَى هَضْمِ^{٤٠}
وَطَارَ بَنُو مِصْرٍ لِنَجْدَةٍ أَمْهَمَ
سِرَاعًا فَأَكْرِمَ بِالْبَنِينَ وَبِالْأُمِّ
وَنَالَتْ بِكَ اسْتِقْلَالَهَا مِصْرٌ كَامِلًا
عَلَى الرَّغْمِ مِنْ كَيْدِ الزَّمَانِ عَلَى الرَّغْمِ

وَحَطَّمتْ أَغْلالَ الإِسْارِ، وقد لَوْتُ
يَدُ الدَّهْرِ واستعصت طويلاً على الحَطْمِ^{٤١}
إِذَا عَظُمَتْ نَفْسُ امْرِئٍ جَلَّ سَعْيُهُ
وَجَلَّ فَلَمْ يُوصَمْ بِزُهْوٍ ولا عَظُمِ^{٤٢}

* * *

تَحَدَّثَتِ الدُّنْيَا «بِسَعْدٍ» و«مُصْطَفَى»
وَهَلْ قُرِئْتُ أُمُّ الْكِتَابِ بَلَا «بِسْمِ»^{٤٣}
أَبَانَ لَكَ الطَّرِيقَ اللَّوَّاحِبَ لِلْعُلَا
فَجَلَّيْتَ فَعَلَ الْفَارِسِ الْبَطْلِ الْقَرْمِ^{٤٤}
بَنَيْتَ وَهَدَّمْتَ الضَّلَالَ مُجَاهِدًا
فَكُنْتَ كَرِيمًا فِي الْبِنَاءِ وَفِي الْهَدْمِ
بِكَ اهْتَزَّتِ الْأَمَالُ وَاخْضَرَّ عُودُهَا
كَمَا اهْتَزَّ رَوْضُ جَادِهِ وَكَيْفُ السَّجْمِ^{٤٥}
وَرُبَّ رَجَالٍ كَالسَّحَائِبِ خُلَّبًا
تَسُدُّ مَصَابِيحَ السَّمَاءِ وَلَا تَهْمِي^{٤٦}
يَرُونَ مِنَ الْحِلْمِ الْقَرَارَ عَلَى الْأَذَى
وَأَيْنَ قَرَارُ الْهَوْنِ مِنْ خُلُقِ الْحِلْمِ^{٤٧}
إِذَا شَهْوَةُ الدُّنْيَا دَهَتْ عَقْلَ عَاقِلٍ
غَدًا، وَهُوَ أَذْكَى النَّاسِ شَرًّا مِنَ الْقَدَمِ^{٤٨}
وَإِنْ عَشَقْتَ رَوْحَ الْفَتَى رَاحَةَ الْفَتَى
فَلَا خَيْرَ فِي رَوْحٍ وَلَا خَيْرَ فِي جِسْمٍ
وَقَفْتَ لِنَصْرِ الْحَقِّ فِي قَصْرِ «مَنْتَرُو»
وَحَوْلَكَ مِنْ أَصْحَابِكَ الصَّيْدِ فَتِيَّةٌ
خِفَافٌ إِلَى الْمَوْلَى شِدَادٌ عَلَى الْخَصْمِ^{٤٩}
يَرُونَ مِنَ الْحَتَمِ الْوَفَاءَ لِقَوْمِهِمْ
وَلَيْسَتْ بِشَاشَاتُ الْحَيَاةِ مِنَ الْحَتَمِ^{٥٠}

كَأَنَّ غُبَارَ النِّصْرِ فِي لَهَوَاتِهِمْ
جَنَى النَّحْلِ أَوْ أَشْهَى وَأَطْيَبُ فِي الطَّعْمِ^{٥٢}
لَكَ الْحِجَجَ الْبَيْضَ الصَّلَابَ كَأَنَّهَا
نِصَالُ سِهَامٍ قَدْ حَزَزْنَ إِلَى الْعَظْمِ^{٥٣}
أَمَنْ جَعَلَ الضَّيْفَ النَّزِيلَ كَوَاحِدٍ
مِنَ الْأَهْلِ يُرْمَى بِالْجَفَاءِ وَبِالذَّمِّ؟!^{٥٤}
فَهِمُّنَا وَلَكِنَ لِلسِّيَاسَةِ مَنْطِقٌ
عَزِيزٌ عَلَى الْأَذْهَانِ صَعْبٌ عَلَى الْفَهْمِ
وَمِثْلُكَ مَنْ رَدَّ الْعُقُولَ لِمَنْهَجٍ
سَدِيدٍ وَأَرْدَى الشَّكَّ بِالْمَنْطِقِ الْحَسَمِ^{٥٥}
فَمَا زِلْتَ حَتَّى أَدْرَكْتَ مِصْرَ سُؤْلَهَا
رَفِيعَةً شَاوِ الْمَجْدِ مَوْفُورَةَ السَّهْمِ^{٥٦}
وَأَصْبَحَ حُبًّا كُلُّ مَا كَانَ مِنْ قَلَا
لِمِصْرَ وَغُنْمًا كُلُّ مَا كَانَ مِنْ غُرْمِ^{٥٧}
هَنِيئًا لَكَ الْفَتْحُ الْمَبِينُ فَإِنَّهُ
سَيَبْقَى عَلَى التَّارِيخِ مُتَّضِحَ الْوَسْمِ^{٥٨}
نَثَرْتُ لَهُ زَهْرًا وَأَنْظَمْتُ لَوْلَا
فَأَحْسَنْتُ فِي نَثْرِي وَأَبْدَعْتُ فِي نَظْمِي^{٥٩}

هوامش

- (١) ناصية: أعالي النجم. عنان المجد: قيادة الشرف والعزة.
- (٢) غنم: غنيمة.
- (٣) تطالعك: تظهر لك. نشوى: فرحة. أوليت: أعطيت.
- (٤) خوافق: مرفرة. تنأى: تبعد. رثم: غزال. الفلاة: الصحراء.
- (٥) هيف: الحسنة ضامرة البطن. نغم: صوت حسن.
- (٦) فتن: عجن. جرن في القسم: جاوزن الحد في النصيب والحظ.

- (٧) أهلة: جمع هلال. ابن الليل: المقصود القمر. ليلة التم: ليلة اكتمال القمر وهي النصف من الشهر العربي.
- (٨) الكرم: العنب الذي تصنع منه الخمر. تساغ: بمعنى تشرب. ابنة الكرم: من أسماء الخمر.
- (٩) زهاها: افتخر بها. لم يقسم: لم يكن من نصيب.
- (١٠) لم يقف في ثيابه: لم يلتزم بوتيرة واحدة. أخو نجدة: صاحب عون واستغاثة.
- (١١) عنانه: قيادته. بعيد الغور: عميق الفكر. الهم: الهممة.
- (١٢) الأشم: العالي. الشم: الشرفاء.
- (١٣) تندى: من الندى أي: مبتلة بالماء. نضارة: حسنًا وبهاءً ورونقًا. طيب: رائحة العطر. تفتت: تفصح وتظهر. بسم: ابتسام وبشاشة.
- (١٤) أنفس: أئمن. أزاهر: النبات المزهر. يبعثرها: ينثرها.
- (١٥) الغار: الوسام. إباء: عزة.
- (١٦) العقم: عدم الإنجاب.
- (١٧) نوازع: مشاعر. طغين: جاوزن الحد. الكتم: الكتمان.
- (١٨) الآذى: الموج. جرجرة: صوت. لجة اليم: ماء البحر العظيم.
- (١٩) صدع: كسر، شق. عوفين من ثأم: سلمن من الخل.
- (٢٠) القرطاس: الورق.
- (٢١) في إذن النجم: الصوت يصعد إلى مكان النجم في السماء.
- (٢٢) أصاخ: استمع. الصم: الذين لا يسمعون. جحدوها: أنكروها.
- (٢٣) أزيز النار: صوت النار المشتعلة. نبراتها: صوتها. الجزم: القطع.
- (٢٤) تمهيد: تتحرك إلى أسفل. أرجاء الفضاء: نواحي الفضاء. الزحم: التزاحم.
- (٢٥) الوكز: الدفع.
- (٢٦) ألق: أجد. مسلگا: طريقًا.
- (٢٧) المنى: الأمانى. صاغها: صنعها. لثم: تقبيل.
- (٢٨) رمت: أردت.
- (٢٩) سنا الله: نور الله. قطوب: عبوس. جهم: كالح الوجه.
- (٣٠) قمين: جدير.
- (٣١) الجلى: كشف عظام الأمور. غياثها: منقذها. اللجم: مقود الخيل.

- (٣٢) مفاضة: الدرع الواقى. تأبه: تعباً، تهتم.
- (٣٣) تصول: تهاجم. تستل نابه: تخلع أسنانه أي: تبطل شره كما تنزع أنياب الثعبان فيبطل سمه. تصدع: تشق وتقطع. غاشية الظلم: غطاء الجور.
- (٣٤) ترفع صدرًا: الصدر هو أول الشيء. حصناً: مانعاً. موئلاً: ملاذاً. الأطم: الخطر.
- (٣٥) الرماء: الرماية. وفي البيت اقتباس من القرآن الكريم من الآية: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ صدق الله العظيم.
- (٣٦) يصمي: يصيب.
- (٣٧) الغر: الغراء. جحفلاً: جيوش. طلائعه: أوائله. البيض: السيوف. الدهم: الخيل.
- (٣٨) زأر: صوت الأسود. الضراغم: الأسود. الأجم: الغابة كثيفة الشجر.
- (٣٩) العنصرين: المسلمين والأقباط. الفصم: الفصل.
- (٤٠) جنب: ناحية والمقصود أي شخص. ينام على أذى: يغفل عينيه وبه ضرر. ينام على الهضم: يغفل عينيه وهو مظلوم مهضوم الحقوق.
- (٤١) الأسار: الأسر. استعصت: امتنعت. الحطم: التحطيم.
- (٤٢) جل: عظم، كثر. يوصم: يدمغ. زهو: افتخار. عظم: كبر.
- (٤٣) سعد: سعد زغلول باشا زعيم حزب الوفد. أم الكتاب: الفاتحة. بسم: يقصد بسم الله الرحمن الرحيم.
- (٤٤) اللواحب: الواضحة. جليت: أظهرت وأبنت. القرم: السيد المهاب.
- (٤٥) جاده: أعطاه ورواه. واكف: القطر والماء. السجم: السائل.
- (٤٦) خلّباً: السحاب الذي لا مطر فيه. مصابيح السماء: المقصود النجوم. لا تهمي: لا تمطر.
- (٤٧) الحلم: الأناة. القرار على الأذى: الصبر على الضرر. قرار الهون: الصبر على الذل والهوان. خلق الحلم: سجية الصبر.
- (٤٨) شهوة الدنيا: ما يحب ويشتهى في الدنيا. دهت: أصابت. غدا: أصبح. القدم: الغبي العيي.
- (٤٩) مونترو: بلدة بسويسرا وقّعت بها معاهدة ١٩٣٦ م لمنح مصر استقلالها.
- وضيء الرأي: واضح الرأي. الحزم: الرأي.

- (٥٠) الصيد: العظماء. المولى: الله سبحانه وتعالى. شداد: أقوياء. الخصم: العدو.
- (٥١) بشاشات الحياة: مباحج الحياة.
- (٥٢) لهواتهم: جمع لهاة وهي زائدة لحمية في سقف الحلق والمقصود حلوقهم.
- جنى النحل: حصاد النحل وهو العسل.
- (٥٣) نصال سهام: حد السهام. حزنن: قطعن.
- (٥٤) يرمي: يوصف. الجفاء: التنكر والابتعاد. بالذم: ضد المدح.
- (٥٥) منهج: طريق. سديد: صواب وموفق. أردى: قتل. بالمنطق الحسم: بالقول القاطع.
- (٥٦) سؤلها: مطلبها. شأو المجد: غاية الشرف والمجد. موفورة السهم: تامة وكاملة النصيب.
- (٥٧) قلا: أبغض وترك. غنمًا: الكسب. غرم: خسارة.
- (٥٨) متضح الوسم: واضح الصفة التي يعرف بها.
- (٥٩) أنظمت لؤلؤًا: جمع اللؤلؤ وصنع منه عقدًا، يقصد أنه جمع كلمات كاللآلئ ونظم منها شعرًا. نظمى: شعري.

دُرَّةُ التاج

أنشد الشاعر هذه القصيدة في ميلاد الأميرة السابقة فادية ابنة الملك فاروق آخر ملوك مصر في ديسمبر سنة ١٩٤٣ م.

هَزَّتِ الْبُشْرَى جَنَاحَ الْخَافِقِينَ
وَتَهَادَى النِّيلُ نَشْوَانَ الْهَوَى
كَمْ وَكَمْ لِلَّهِ فِي النَّاسِ يَدٌ
دُرَّةٌ مِنْ سُودٍ لَامِعَةٌ
دُرَّةٌ لِلْمُلْكِ مَا مَائِلُهَا
وَشُعَاعُ زَادٍ فِي لَأْلَائِهِ
وَشَذَى مِنْ زَهْرَةٍ نَاضِرَةٍ
شَرَفُ الدُّوْحَةِ لَاقَى شَرْفًا
قَرَّتِ الْأَعْيُنُ لَمَّا أَنْجَبَتْ
وَنَجَا فَارُوقُهَا فَاسْتَبَشَرَتْ
فَاجْتَلَتْ مِصْرَ مُنَاهَا مَرَّةً
كَمْ وَقَفْنَا نَرْتَجِي الْبُشْرَى كَمَا
وَاتَجَهْنَا نَحْوَ عَابِدِينَ الَّتِي
صُورَةٌ لِلْحُبِّ مَا أَصْدَقُهَا
وَمَشَى أَجْدَادُهَا فِي مَوْكِبٍ
مَوْكِبٌ قَدْ خَفَقَتْ أَعْلَامُهُ
وَمَضَتْ تَخْطُرُ بَيْنَ الْمَشْرِقَيْنِ^١
يَنْثُرُ الْأَزْهَارَ فَوْقَ الشَّاطِئِينَ
يَعْجِزُ الشُّكْرُ عَلَيْهَا بِالْيَدَيْنِ!
ضَمَّهَا الْعَرْشُ لِأَعْلَى دُرَّتَيْنِ^٢
كَرَّمُ التَّبَرِّ وَلَا صَفْوُ اللَّجِينِ^٣
أَنَّهُ مِنْ لَمَحَاتِ النَّيِّرِينَ^٤
جَمَلَتْ فِي مِصْرَ أَزْهَى زَهْرَتَيْنِ^٥
فَنَمَا الْفِرْعُ شَرِيفَ الْمَنِبَتَيْنِ
مِصْرُ لِلدُّنْيَا بِهَا قُرَّةُ عَيْنٍ
وَصَفَا الدَّهْرُ فَكَانَتْ بُشْرَيْنِ^٦
ثُمَّ عَادَتْ فَاجْتَلَتْهَا مَرَّتَيْنِ
يُرْتَجَى بَدْرُ الدُّجَى فِي لَيْلِ عَيْنٍ^٧
أَصْبَحَتْ ثَالِثَةً لِلْقَبْلَتَيْنِ^٨
وَمِنَ التَّصْوِيرِ تَزْيِيفٌ وَمِثْنٌ^٩
زَاخَمَ الدَّهْرُ بِهِ بِالْمَنْكَبَيْنِ^{١٠}
وَعَلَتْ فَوْقَ مَنَاطِ الْفَرْقَدَيْنِ^{١١}

لَمْ تَرَ الْعَيْنُ لَهُ مِثْلًا وَلَا
 يَخْطُرُ التَّارِيخُ فِيهِ مِثْلًا
 فِيهِ مُحْيِي مَصْرَ فِي أَبْنَائِهِ
 مَنْ كَأِسْمَاعِيلَ فِي آلِيهِ
 جَذْوَةُ الْحَرْبِ إِذَا مَا اشْتَعَلَتْ
 جَمَعَ الضَّادَ إِلَى رَايَتِهِ
 بَدَدَتْ دُهُمُ اللَّيَالِي شَمْلَهَا
 فَحَبَابَهَا وَحَدَّةً مَا عَرَفْتُ
 وَصَلْتُ رِضْوَى بُلْبُنَانَ كَمَا
 عَجَبًا مِنْ آيَةٍ كَانَتْ لَهُ
 لَيْسَ لِلْعُرْبِ سِوَاهُ عَاهِلٍ
 زَيْنَتُهُ نَشَاءُ طَاهِرَةٌ
 قَانَتْ لِلَّهِ فِي مُحَارِبِهِ
 مَلِكٌ يَجْتَابُ ثَوْبِي مَلِكٍ
 سَرَقَ النَّيْلُ النَّدَى مِنْ كَفِّهِ
 حُبُّهُ دَيْنٌ وَدَيْنٌ لِلْوَرَى
 وَبَنَى الْمَلِكُ أَبْوَهُ جَاهِدًا
 عُلُوِّي الْعِزْمَ إِنَّ رَامَ الْعُلَا
 رَفَعَ الشُّعْرَ إِلَى مَنْزِلَةٍ
 دَوْلَةٌ قَامَتْ تُنَاغِي دَوْلَةً
 رُبَمَا فِي الشُّعْرِ قَامَتْ صَفْحَةٌ
 إِنَّمَا الشُّعْرُ عَلَى كَثْرَتِهِ
 نَفْحَةٌ قُدْسِيَّةٌ أَوْ هَذَرٌ

خَطَرَتْ أَوْصَافُهُ فِي أَذْنَيْنِ
 يَخْطُرُ الْفَارَسُ بَيْنَ الْجَحْفَلَيْنِ^{١٢}
 زِينَةُ الدُّنْيَا وَفَخْرُ الْمَلُوكَيْنِ^{١٣}
 أَوْ كَأِبْرَاهِيمَ حَامِي الْحَرَمَيْنِ
 وَبَدَا الشَّرُّ وَأَبْدَى النَّاجِذَيْنِ^{١٤}
 مُذْ رَأَاهَا أَثَرًا مِنْ بَعْدِ عَيْنِ^{١٥}
 وَاللَّيَالِي كُلُّهَا مِنْ أَبْوَيْنِ!^{١٦}
 فِي الْهَوَى حَذًا لِأَقْصَى بَلَدَيْنِ
 مَزَجَتْ بِالْزَيْلِ مَاءَ الرَّافِدَيْنِ^{١٧}
 أَصْبَحَتْ بَابِنِ فَوَادٍ آيَتَيْنِ!
 يَبْهَرُ الدُّنْيَا بَعْدَ الْعُمَرَيْنِ^{١٨}
 وَهُوَ لِلطُّهْرِ وَلِلنَّشْأَةِ زَيْنٌ
 لَمْ يَشُبْ أَمَالُهُ فِي اللَّهِ رَيْنٌ^{١٩}
 أَيْنَ مَنْ يُشَبِّهُهُ فِي النَّاسِ أَيْنَ؟^{٢٠}
 فَاسْأَلِ التَّبَرَّ فَوْقَ الْوَادِيَيْنِ
 يَا لَهُ فِي الْحَبِّ مِنْ دَيْنٍ وَدَيْنِ^{٢١}
 فَسَمَا فَوْقَ بِنَاءِ الْهَرَمَيْنِ
 لَمْ يَضِقْ ذَرْعًا وَلَمْ يَمْسَسْهُ أَيْنُ^{٢٢}
 لَمْ يَنْلُهَا فِي زَمَانِ ابْنِ الْحُسَيْنِ^{٢٣}
 فَنَعِمْنَا فِي ظِلَالِ الدَّوْلَتَيْنِ
 بِالَّذِي يَعْيَا بِهِ ذُو الصَّفْحَتَيْنِ^{٢٤}
 لَا تَرَى فِيهِ سِوَى إِحْدَى اثْنَتَيْنِ
 لَيْسَ فِي الشُّعْرِ كَلَامٌ بَيْنَ بَيْنِ

سَلِمَتْ لِلتَّاجِ أَصْفَى دُرَّةٍ
 جَمَعَ اللَّهُ لَهَا الْخَيْرَ كَمَا

وَأَقَرَّ اللَّهُ عَيْنَ الْوَالِدَيْنِ^{٢٥}
 جَمَعَ الدُّنْيَا لَنَا فِي مَلِكَيْنِ

هوامش

(١) الخافقين: أفقا المشرق والمغرب. المشرقين: مشرقا الشمس في الصيف والشتاء.

(٢) سؤدد: مجد وشرف. درتين: يقصد ابنة فاروق الأولى فريال وابنته الثانية فوزية.

(٣) التبر: الذهب. اللجين: الفضة.

(٤) لألائه: لمعانه. النيرين: الشمس والقمر.

(٥) شذى: رائحة ذكية.

(٦) ونجا فاروقها: من حادثة السيارة المشهورة ببلدة القصاصين بمحافظة الشرقية.

(٧) غين: الغيم.

(٨) القبليتين: المسجد الحرام بمكة والمسجد الأقصى بالقدس.

(٩) مين: كذب.

(١٠) المنكبين: مثني منكب وهو العضد والكتف.

(١١) مناط: بعد. الفرقيدين: نجمان قريبان من القطب.

(١٢) يخطر: يمشي مهتزا مزهوا. الجحفلين: الجيشين.

(١٣) محيي مصر: المقصود محمد علي باشا رأس الأسرة العلوية التي حكمت مصر

حتى قيام ثورة ١٩٥٢م. الملوين: الليل والنهار.

(١٤) جذوة: جمرة النار المشتعلة. أبدى: أظهر. الناجذين: الأضراس الخلفية.

والمقصود هو أظهر استعداداته للقتال.

(١٥) إشارة إلى سعي إبراهيم باشا في توحيد الدول العربية.

(١٦) دهم: ظلمة.

(١٧) رضوى: هو جبل رضوى الشهير بالحجاز. الرافدين: دجلة والفرات نهرا

بالعراق.

(١٨) العمرين: هما عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز — رضي الله عنهما —

ويضرب بهما المثل في العدل.

(١٩) قانت: طائع لله. رين: الرين هنا تغلب الهوى والميول.

(٢٠) يجتاب: يلبس.

(٢١) الورى: الخلق. دين: حق له.

- (٢٢) علوي: نسبة إلى جده محمد علي باشا. رام: أراد. لم يضق ذرعًا: لم يتملأ أو يشكو. أين: تعب.
- (٢٣) ابن الحسين: هو أحمد بن الحسين أبو الطيب المتنبي الشاعر العربي المشهور.
- (٢٤) ذو الصفحتين: السيف وله وجهان أو صفحتان.
- (٢٥) أقر: أعطاه حتى هدأت نفسه.

تَهْنِئَةُ صَدِيقٍ

أُنشد الشاعر هذه القصيدة في حفل زواج صديقه محمد بدر الدين، في مايو سنة ١٩١٣ م.

هَذِي الدِّيارَ وَأَنْتَ شاعِرٌ فَأَنْثُرُ كَرِيماتِ الْجَواهِرِ
وَأَفْعَلُ كَمَا يُمْلِي الهَوَى فَأَكْتُمُ حَدِيثَكَ أَوْ فَجَاهِرُ
هِيَ مَنْ عَلِمْتَ مَكَانَهَا فَأَرْبَأُ بِنَفْسِكَ أَنْ تُخَاطِرُ
حَاذِرُ «عَلِيٍّ» وَلَيْتَ شِعْري هَلْ يَرُدُّكَ قَوْلُ: حَاذِرُ؟
حَوْرَاءُ تَسْرَحُ فِي الْقُلُوبِ بِ كَأَنَّهَا مَرَحُ الْجَاذِرِ^١

يَا لَيْلَةَ حُمِدَتْ بِهَا عُقْبَى الْمَوَارِدِ وَالْمَصَايِرِ^٢
مَرَّتْ كَحَسْوَةِ طَائِرٍ قَصْرًا وَكَرَاتِ الْخَوَاطِرِ^٣
وَدَّ الْكَواعِبُ لَوْ تُمَدُّ بِمَا لَهُنَّ مِنَ الْغَدَائِرِ^٤
أَوْ لَوْ وَصَلْنَ سَوَادَهَا بِسَوَادِ حَبَّاتِ النِّوَاطِرِ^٥
نَشَرَ الْجَلالُ لِوَاءَهُ فِيهَا وَصَفَقَتِ الْبِشَائِرِ^٦
وَطَفَا السُّرُورُ عَلَى الْوُجُو هِ وَدَبَّ مَا بَيْنَ السَّرَائِرِ^٧
وَأَتَتْ كَمَا يَأْتِي الشُّبَا بْ مُبَارَكَ النِّفَحَاتِ نَاضِرِ^٨
إِنْ غَابَ فِيهَا بَدْرُ ذِي الدَّنِ يَا «فَبْدُرُ الدِّينِ» حَاضِرُ

«أُمَحَمَّدُ» يَا زَيْنَةَ الـ
صَاهَرْتَ أَكْرَمَ أُسْرَةٍ
وَوَفَّرْتَ مِنْ نِعَمِ الْحَيَا
يَا ابْنَ الْأَلَى بَرَّتْ فِعَا
يَا ابْنَ الْأَلَى كَانَتْ لَهُمْ
كَانَتْ رَشِيدُ بَجْدِكَ الـ
قَدْ كَانَ رِدْنًا لِلْعِيبَا
كَمْ رَدَّ غَائِلَةَ الْمُحَا
عَصْرُ بَجْدِي ثُمَّ جَد
سَهْرًا فَنَامَ الْيَائِسُو
وَتَقَاسَمَا فَضْلَ الْفَخَا
جَدِّي بِعِلْمٍ نَاصِعِ
وَبِمَقُولِ يَفْرِي الْحَدِيدِ
فِي حِينِ جَدِّكَ بِالسَّمَا
دَانَ الزَّمَانُ لِطَوْلِهِ
سَلَّ مَنْ رَأَوْهُ فَكُلُّهُمْ
أَمَّا أَبُوكَ فَقَدْ سَعَى
خُلُقُ كُنُورِ الرُّوضِ بَا
وَعَزِيمَةُ أَمْضَى مِنَ الـ
بَطْشُ كَبْطُشِ اللَّيْثِ أَغْدِ
نَزَلْتَ مَحَبَّتُهُ الْقُلُوبُ
هُوَ خَيْرٌ مِنْ هَذَا الْيَرَا
فَإِذَا أَنْبَرَى لِلْقَوْلِ كَا
فَتَكَادُ تَأْكُلُهُ النُّفُوسُ
«أَعْلِيَّ» إِنَّكَ أَنْتَ أَكْـ
إِنْ عُدَّ أَبْطَالُ الرِّجَا

فَتَيَّانَ يَا نَسْلَ الْأَكَابِرِ^٩
نِعْمَ الْمُصَاوِرُ وَالْمُصَاهِرُ
ةً بِنِعْمَةٍ يَا خَيْرَ ظَافِرِ^{١٠}
لَهُمُ الْأَوَائِلُ وَالْأَوَاخِرُ^{١١}
فِي كُلِّ حَادِثَةٍ مَآثِرُ^{١٢}
أَعْلَى تَتِيهِ عَلَى الْحَوَاضِرِ^{١٣}
وَكَانَ مَوْئِلُ كُلِّ عَآثِرِ^{١٤}
فِظْ وَالْمُحَصِّلُ وَالْمُبَاشِرُ^{١٥}
بِكَ كَانَ بِالْعَلْيَاءِ زَاهِرُ^{١٦}
نَ مُحَصِّنِينَ مِنَ الْمَخَاطِرِ
رِ وَنَادِيَا هَلْ مِنْ مُفَاخِرِ؟^{١٧}
يَهْدِي وَلَيْلُ الشُّكِّ عَاكِزُ^{١٨}
سَدٍّ وَيَصْرَعُ الْخَصَمُ الْمُكَابِرُ^{١٩}
حَةَ يُخْجَلُ السُّحْبُ الْمَوَاطِرُ^{٢٠}
فَأَتَى إِلَيْهِ وَهُوَ صَاغِرُ^{٢١}
لِنَوَالِ «بَدْرِ الدِّينِ» ذَاكِرُ
فِي إِثْرِهِ سَعْيِ الْمُثَابِرِ
كَرَهُ الْحَيَا وَالرُّوضُ عَاطِرُ^{٢٢}
أَقْدَارِ فِي حَلَكِ الدِّيَاغِرِ^{٢٣}
خَضِبُ الطَّوَى وَاللَّيْثُ خَادِرُ^{٢٤}
بَ وَأَقْسَمْتَ إِلَّا تُغَادِرُ
عَ وَهَزَّ أَعْوَادَ الْمَنَابِرِ^{٢٥}
نَ لَهُ مِنَ التَّوْفِيقِ نَاصِرُ^{٢٦}
سُ هَوَى وَتَشَرَّبَهُ الضَّمَايِرُ
رَمَ نَابِهِ فِينَا وَكَابِرُ
لِ فَأَنْتَ أَوْلَهُمْ وَأَخِرُ

هوامش

- (١) حوراء: صفة من الحور وهو شدة بياض العين في شدة سوادها، وهذا من أعظم مظاهر الحسن. وتسرح: تمشي وتنتقل وأصله من سرحت الماشية: تنقلت في المرعى. ومرح: صفة من المرح وهو الاختيال والنشاط والتبختر. الجأذر: جمع جؤذر وهو ولد البقرة الوحشية تشبه به الحسناء من النساء في جمال العيون واتساعها.
- (٢) العقبي: جزاء الأمر. الموارد في الأصل: جمع مورد اسم مكان من ورد البعير وغيره الماء أي بلغه ووافاه، المصادر: جمع مصدر اسم مكان من صدر عن الماء أي رجع، والمراد بالموارد والمصادر الأوائل والنهايات.
- (٣) حسا الطائر الماء: جرعه أي شربه. والكرات: جمع كرة وهي الرجعة. الخواطر: جمع خاطر وهو الهاجس أو حديث النفس.
- (٤) ود: تمنى. والكواعب: جمع كاعب وهي الفتاة نهذ ثديها أي نتأ. الغدائر: جمع غديرة وهي الذؤابة أي الشعر المنسدل من وسط الرأس إلى الظهر.
- (٥) النواظر: جمع ناظر وهو السواد الأصغر من العين، ويريد بحبة الناظر إنسان العين.
- (٦) الجلال: العظمة. اللواء: العلم. البشائر: جمع بشارة وهي اسم من بشره تبشيراً أي سره وأفرحه.
- (٧) طفا: علا. دب: سار سيراً ليناً. السرائر: جمع سريرة وهي السر، والمراد مواضع السرائر وهي القلوب.
- (٨) النفحات: جمع نفحة وهي الرائحة الذكية. ناضر: جميل.
- (٩) النسل: الولد. الأكابر: جمع الأكبر.
- (١٠) الظفر: الفوز وتنكير نعمة للتفخيم، وفيها تورية لأن اسم العروس «نعمة».
- (١١) بزت: غلبت وفاقت.
- (١٢) المآثر: جمع مأثرة وهي المكرمة.
- (١٣) تتيه: تتكبر وتفخر. الحواضر: جمع حاضرة وهي المدينة، والحاضرة في الأصل: ضد البادية.
- (١٤) الردء: العون. الموئل: الملاذ والملجأ. العاثر: اسم فاعل من عثر بمعنى زل وسقط.
- (١٥) الغائلة: اسم فاعل من غاله من باب قال إذا أخذه من حيث لم يدر، أي: أهلكه وقتله على غرة كاغتاله، والمراد بالغائلة الشر والعسف، ويريد بالمحافظ والي المدينة

وحاكمها، وبالمحصل جابي الضرائب، والمباشر لقب بعض الرؤساء الجبارين في ذلك العهد.

(١٦) زاهر: مشرق مضيء.

(١٧) الناصع: الخالص من كل شيء، ونصع لونه: اشتد بياضه وخلص. عاكر: اسم فاعل من عكر الشراب ونحوه، والمراد أنه كثيف الظلام مختلطه.

(١٨) المقول: اللسان. يفري: مضارع فرى الشيء إذ قطعه لإصلاحه. يصرع: يكبت ويفحم أي يسكت خصمه. المكابر: المغالب والمعاند.

(١٩) السماحة: الكرم والجود والعطاء.

(٢٠) دان: ذل وخضع. الطول: الفضل والقدرة والغنى والسعة. صاغر: ذليل خاضع.

(٢١) النور: الزهر. الروض: جمع روضة. باكره: أتاها بكرة، والبكرة أول النهار. الحيا: المطر. عاطر: اسم فاعل من عطر أي تطيب.

(٢٢) العزيمة: الإرادة القاطعة القوية، أمضى: أنقذ وأقطع. الأقدار: جمع قدر وهو ما يقدر على الإنسان في حياته. الحلك: شدة السواد. الدياجر: جمع ديجور وهو الظلام.

(٢٣) البطش: الأخذ بالعنف. الليث: الأسد. الطوى: الجوع الشديد. خادر: مقيم في خدره وهو عرينه.

(٢٤) اليراع: جمع يراعة وهي القصب، والمراد باليراع الأقلام التي تتخذ من القصب عادة. الأعواد: جمع عود وهو الخشب.

(٢٥) انبرى: اعترض وتصدى.

بهجة الأفراح

أقامت مصر موكبًا للزهور احتفالاً بزواج الإمبراطورة السابقة فوزية من إمبراطور إيران السابق محمد رضا بهلوي عام ١٩٣٩م، وأعدت جريدة البلاغ لهذه المناسبة عربية زينت بالورود، كتبت عليها بالأزهار هذه الأبيات.

هَنِّ إِيْرَانَ بِالْقِرَانِ وَمِصْرًا	وَامْلِئِ الْكَوْنَ بِالْبِشَائِرِ عِطْرًا
وَانْثُرِ الشَّعْرَ لِلْعُرُوسِينَ زَهْرًا	وَانْظَمْ الزَّهْرَ لِلْعُرُوسِينَ شِعْرًا
بَزَعَتْ فِي مِشَارِقِ الْمَجْدِ شَمْسًا	وَبَدَا فِي مِطَالِعِ السَّعْدِ بَدْرًا ^١
شَرَفٌ يَبْهَرُ السَّمَاءَ وَعِزٌّ	يَمْتَطِي هَامَةً الْكَوَاكِبِ زُهْرًا ^٢
سَطَعَ «الْفَوْزُ» وَ«الرِّضَا» بَيْنَ تَاجِيذٍ	بَيْنَ أَعَادَا لِلشَّرْقِ عِزًّا وَذِكْرًا ^٣
وَتَلَقَّى مَجْدٌ بَنَاهُ بَنُو النِّبِ	لِ بِمَجْدٍ بَنَاهُ دَارَا وَكُسْرَى ^٤
تَهْنِئَاتٍ «البلاغ» وَهِيَ وَلَاءُ	صَوَّرَتْهَا يَدُ الطَّبِيعَةِ زَهْرًا ^٥

هوامش

- (١) بزغت: طلعت. مطالع السعد: موضع طلوع السعادة والهناء.
- (٢) يبهر: يضيء. يمتطي: يركب. وفيه استعارة بالكناية. هامة الكواكب: قمة الكواكب. زهراً: نجومًا مضيئة لامعة.
- (٣) الفوز: الظفر بالخير. الرضا: الرضوان والارتضاء. وهنا إشارة إلى اسمي العروسين. الأميرة فوزية والأمير رضا بهلوي شاه إيران.
- (٤) دارا: من ملوك الفرس. كسرى: لقب ملوك الفرس.

ديوان علي الجارم

(٥) البلاغ: هي جريدة البلاغ. ولاء: طاعة وإخلاص.

دُعَابَةٌ

عام ١٩٣٨ م

ضَمَّتِي مَجْلِسُ أَنْسِ زَانِهِ
مَنْطِقُ الْهَزْلِ بِهِ جِدُّ، وَكَمْ
فَتَطَارَحْنَا حَدِيثًا عَجَبًا
وَتَجَازَبْنَا فَنُونًا جَمَعَتْ
ثُمَّ رُؤْمَنَا أَنْ نَحَاجِي سَاعَةً
قُلْتُ: مَنْ يَبْدَأُ قَالُوا: فَابْتَدِئْ
قُلْتُ لِلنَّحْوِيِّ: قُلْ، قَالَ: وَهَلْ
قُلْتُ: فَلَيَأْتِ الْبَدِيعِيُّ بِمَا
قَالَ: أَتَقْنَتُ بَدِيعِي كُلَّهُ
قُلْتُ لِلصَّرْفِيِّ: فَابْدَأْ، قَالَ: قَدْ
ثُمَّ قَالُوا: قُلْ وَلَا تُكْثِرْ فَمَنْ

صَفْوَةٌ مِنْ نُجَبَاءِ الْأَصْدِقَاءِ^١
نَطَقَ الْجِدُّ بِهِ الْقَوْلَ الْهَرَاءِ!^٢
فِيهِ لِلرُّوحِ وَلِلْعَقْلِ غِذَاءُ
طُرْفًا مِمَّا رَوَاهُ الْأَدْبَاءُ
لِنُزِيحِ النَّفْسِ مِنْ كَدِّ الْعَنَاءِ^٣
أَنْتَ، فَالْكُلُّ لِمَا تُلْقِي ظِمَاءُ^٤
تَرَكْتُ «حَتَّى» لِنَفْسِي مِنْ ذِمَاءٍ؟^٥
شَاءَتْ الْفِطْنَةُ مِنْ لُغْزٍ وَشَاءَ^٦
غَيْرَ نَوْعٍ هُوَ «حَسَنُ الْإِبْتِدَاءِ»
عَاقَنِي الْإِعْلَالُ فِي «رِيحٍ» وَ«شَاءَ»^٧
أَكْثَرَ الْقَوْلِ أَمَلٌ أَلْجَسَاءُ

قُلْتُ: مَنْ يُعْرِفُ عِلْمًا وَجِجًا
يَمْلَأُ الدُّنْيَا حَيَاةً إِنْ بَدَأَ
فَأَجَابُوا: الشَّمْسُ؟ قُلْتُ: انْتَبَهُوا

وَذَكَاءٌ وَسَمَاحًا فِي رِدَاءِ
كَوْكَبًا يَسْطَعُ فَيَأْخُضُ الضِّيَاءُ^٨
لَيْسَ لِلشَّمْسِ نَوَالٌ وَذَكَاءُ^٩

ثم قالوا: زد، فنأديت وما
مورِدٌ يمشي إلى قُصَّايه
مورِدٌ قد راح في الناس وجاء؟^{١٠}
فيه ريٌّ وحيَاةٌ وشفاء^{١١}
فنأوا عني وقالوا: عَجَبٌ
كيف يمشي مثلما تزعمُ ماء؟^{١٢}

قلت: هل أبصرتُم جِسْمًا يُرى
للعلل للفضل للدين وللا
فأجابوا: قد عَجَزْنَا، قل لنا
قلت: في الأرض، وللأرض به
هو في الطبِّ «أبقراط» وفي
وإذا أعطى أبيتُم أنفًا
فأجابوا: اكشف لنا، حَيَّرْتَنَا
قلت: كَلَّا فانظروا وانتبهوا
للإخاء المحض أو صدق الوفاء؟^{١٣}
دبَّ الجَمِّ جميعًا والإباء؟^{١٤}
ذاك في الأرض يُرى أم في السماء؟
ويحكم، أيُّ ازدهارٍ وازدهاء!
حَلَبَةُ الشعرِ إمامُ الشعراء^{١٥}
أن تَعُدُّوا «حاتِمًا» في الكرماء^{١٦}
عن أحاجيك إن شئت الغطاء^{١٧}
ليس في الأمر التباسٌ أو خَفَاء

هل رأيتم دَوْحَةً مُثمرةً
هي في الصيف ظلالٌ وندى
يجدُ البائسُ في ساحتها
سألوني: محسنٌ؟ قلت: نعم
ثم قالوا: شاعرٌ؟ قلت: أجل
ثم قالوا: زاهدٌ؟ قلت: نعم
فأشاروا: قِفْ عرفناه، وهل
عَجَبًا حَرْنَا ولم نَفْطُنْ له
لا نُسمِّيه فيكفي وصفه
قُمْ وسجِّل فضله واهتِف به
كلَّ آن في صباحٍ أو مساء؟
وهي دفءٌ وحنانٌ في الشتاء
مَوئلاً حُلُوَ الْجَنَى رَحْبَ الْفَناء^{١٨}
ملجأُ الْقُصَّادِ كهفُ الْفُقراء
شِعْرُهُ الدُرُّ بهاءٌ وصفاء
عنده الدنيا وما فيها هَبَاءٌ^{١٩}
يُجْهَلُ البدرُ؟ فما هذا الغباء؟
واسمُهُ كالصبح نورًا وجلاء!
فيه عن كُلِّ تعريفٍ غَناء^{٢٠}
وابتكرُ ما شئت فيه من ثناء

هوامش

- (١) نجباء: كرماء شرفاء عظام.
- (٢) القول الهراء: القول الهزل.
- (٣) نحاجي: نتبارى في الأحاجي وهي الألغاز.
- (٤) ظماء: متعطشون.
- (٥) حتى: اضطربت أقوال النحاة في معاني حتى وفي إعرابها حتى لقد أثر عن «الفراء» أنه قال: أموت وفي نفسي شيء من حتى. من ذماء: من بقية روح.
- (٦) البديعي: وهو العالم في علم البديع والبلاغة. الفطنة: الذكاء. شاء: أراد.
- (٧) الصرقي: عالم الصرف وهو من علوم اللغة العربية. الإعلال: باب في علم الصرف وهو من أهم أبوابه. في ريح وشاء: في ريح إعلال بقلب الواو ياء. أما شاء وهو جمع شاة فأصل الهمزة فيه هاء.
- (٨) فياض: كثير.
- (٩) نوال: عطاء. ذكاء: حدة القلب وقيل: الاشتغال.
- (١٠) مورد: منهل.
- (١١) ري: ارتواء، ماء.
- (١٢) فنأوا: بعدوا.
- (١٣) المحض: الخالص.
- (١٤) الجم: الكثير.
- (١٥) أبقرط: فيلسوف وطبيب يوناني قديم وله قسم يعرف بقسم أبو قراط يقسمه الأطباء عند بدء اشتغالهم بمهنة الطب.
- (١٦) أبيتم: رفضتم. أنفاً: عظمة وكبرياء. حاتمًا: هو حاتم الطائي الذي ضرب به المثل في الجود والكرم.
- (١٧) أحاجيك: ألغازك.
- (١٨) موئلاً: ملائذاً. حلو الجنى: حلو الثمر. رحب الفناء: متسع الجوانب.
- (١٩) هباء: تراب دقيق لا يرى.
- (٢٠) غناء: استغناء.

إلى أنطون الجميل

بعث الشاعر بهذين البيتين إلى صديقه الأستاذ أنطون الجميل، رئيس تحرير جريدة الأهرام وعضو مجمع اللغة العربية بمناسبة حصوله على رتبة الباشوية عام ١٩٣٦ م.

حينما نلت آبدات المعالي وشقينا المنى وكانت عطاشا
قال لي الشعر: قم وسجل وأرخ أيُّ بُشْرَى! غدا الجميلُ باشا
١١ ٥١٢ ١٠٠٥ ١١٤ ٣٠٤
١٩٤٦

هوامش

(١) آبدات: خالدات. شقينا: سقينا.

الفيوم

كانت زيارة من الشاعر لمدينة الفيوم حينما كان والده — رحمه الله — قاضياً للمحكمة الشرعية بها، فراحه ما أفاض الله — سبحانه وتعالى — عليها من جمال وأسعده ما اتصف به أهلها من وفاء، فجاءت هذه الأبيات معبرة عما يجيش في نفسه من مشاعر عام ١٨٩٨م.

ساكني الفيوم إنِّي ذاكرٌ	عهدكم، والذكر في البعد وفاء ^١
كم شدا شعري على دوحتيكم	أي شعر غريد؟ أي غناء؟ ^٢
بلد كالزهر حسناً وشداً	بين أطلال وأنسام وماء ^٣
مثل خد البكر في تلوينه	ترتدي في كل حين برداء ^٤
فهي بالأمس سواها في غدٍ	وهي في الصبح سواها في المساء

هوامش

- (١) عهدكم: وصيتكم، ميثاقكم.
- (٢) شدا: غنى بصوت حسن. دوحتم: حديقتم ذات الشجر الكبير.
- (٣) شدا: رائحة العطر النفاذة.
- (٤) رداء: ثوب.

جورجي زيدان

أحد مؤسسي «دار الهلال» كان أديبًا بارعًا روائيًا لامعًا قرأ له الشاعر منذ نعومة أظفاره، فنظم من أجله هذه الأبيات، تقديرًا وعرفانًا عام ١٩٤٦م.

رُدًّا شَبَابِي، وَرَدًّا عَهْدَ زِيدَانِ	وَمِنْ رَوَائِعِ مَا أَمْلَاهُ زِيدَانِي
قَرَأَتْهُ وَرِيَاضُ الْعُمَرِ وَارْفَةُ	فَكَانَ مِنْهُ وَمِنْ سَنِي شَبَابَانِ ^١
فِي ضَوْءِ خَافِقَةٍ فِي الرِّيفِ شَعْلَتَهَا	كَالسَرِّ مَا بَيْنَ إِعْلَانٍ وَكِتْمَانِ ^٢
بَدَتْ بِهَا زُمُرُ الْأَبْطَالِ مِثْلَهُ	تَطْوِي الْقُرُونُ لِأَلْقَاهَا وَتَلْقَانِي ^٣
مَنْ كُلِّ مَا شَادَ لِلْإِسْلَامِ مَمْلَكَةً	أَبْقَى عَلَى الدَّهْرِ مِنْ رِضْوَى وَثْلَهَانِ ^٤
لِلْعَرَبِ «بِالضَّادِ» إِيْمَانٌ يُوحِّدُهُمْ	كَانُوا لِعَدْنَانٍ أَوْ كَانُوا لَغَسَّانِ ^٥
مَا خَطَّ «زِيدَانُ» أَسْطَارًا عَلَى صُحُفٍ	لَكِنْ جَلَا صُورًا مِنْ صُنْعِ فَنَّانِ ^٦
قَدْ كَانَ أَوَّلَ مُرْتَادٍ لَأَمَّتِهِ	وَالْخُلْدُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَهُ ثَانِي ^٧

هوامش

(١) وارفة: ممتدة الظل.

(٢) خافقة: مضطربة متحركة والمقصود هو مصباح الجاز الذي كان يستعمل في الأرياف للإنارة.

(٣) زمر: جماعات.

(٤) رضوى: جبل رضوى الشهير بالحجاز. ثهلان: جبل مشهور أيضًا.

(٥) الضاد: اللغة العربية. عدنان: أبو العرب المسلمة. غسان: أبو العرب المسيحيين.

ديوان علي الجارم

(٦) جلا: أوضح.

(٧) مرتاد: نافع، رائد.

باريس

يتألم الشاعر لذكرى سقوط باريس في الحرب العالمية الثانية، ويتحسر لسرعة استسلامها. ثم يذكر إنقاذ الحلفاء والفرنسيين الأحرار لها من أيدي الألمان عام ١٩٤٤م، فضمن هذه القصيدة مشاعره وخوارج نفسه.

أُرْدِدُ الأُلْحَانَ أَمْ أَبْكِيكَ؟
يشدو، وحينًا وإلها يَرُثِيكَ^١
لِلْفَوْزِ غَيْرَ حُشَاشَةِ الْمَنْهوكِ^٢
«فَالْعَيْشُ خَيْرٌ فِي ظِلَالِ النُّوكِ»^٣
لَاقِيَتِ مِنْ جَبَرِيَّةٍ وَفُتُوكِ؟^٤
عَاتٍ، وَظَلَمٍ كَاسَمِهِ مَهْتُوكِ^٥
وَمَضَى الْقَضَاءُ فَعَزَّ مَنْ يُنْجِيكَ
وَتَجِفُّ دَامِيَّةُ الْقَنَا الْمَشْكُوكِ^٦
مُصْغٍ، وَلَا «لَا فَالُ» بَيْنَ ذَوِيكَ^٧
دُونَ الَّذِي لَاقِيَتِ مِنْ أَهْلِيكَ!^٨
لَمَّا دَعَاهُمْ لِلرَّدَى دَاعِيكَ^٩
يَا لَيْتَهُمَ لِلْمَوْتِ مَا تَرَكَوكِ!^{١٠}
كَفَّيْكَ ضَارِعَةً، وَلَا سَمِعُوكِ^{١١}
غُلًّا، فَكَادَ حَدِيدُهُ يُرْدِيكَ^{١٢}
أَصْلَى الْقُلُوبَ بَحْرَهَا نَاعِيكَ^{١٣}

عُرْسُ أَقِيمَ عَلَى الدَّمِ الْمَسْفُوكِ
بَارِيْسُ حَيَّرَتِ الْقَرِيضَ، فَمَرَّةً
نَهَكْتُكَ دَاهِيَةَ الْخُطُوبِ فَلَمْ تَدْعُ
إِنْ كَانَ مَا تَعْنِي الْحَيَاةُ تَنْفُسًا
لَهْفِي عَلَيْكَ! وَلَهْفُ شَعْرِي! مَا الَّذِي
مَا بَيْنَ ظُلْمٍ كَالْمَنْوَنِ مُحَجَّبِ
أَلْقَيْتِ نَفْسَكَ لِلطُّغَاةِ غَنِيْمَةً
جُرْحُ الْهَزِيمَةِ لَا تَجِفُّ بِمَاؤُهُ
نَادَيْتِ لَا «بَيْتَانُ» فِي تَسْعِينِهِ
وَلَقِيَتِ مِنْ عَسْفِ الْعَدُوِّ وَكَيْدِهِ
وَلَّى الْحُمَاةُ فَمَا أَجَابُوا دَعْوَةً
تَرَكَوكِ لِلْمَوْتِ الزُّوَامِ وَأَدْبَرُوا
وَمَضُوا حَيَارَى ذَاهِلِينَ، فَمَا رَأَوْا
قَذَفُوا السِّلَاحَ فَصَبَّهَ أَعْدَاؤُهُمْ
وَنُعِيَتِ لِلدُّنْيَا فَشَبَّتْ لَوْعَةً

* * *

وَيْلَ الشَّبَابِ مِنَ النُّعُومَةِ إِنَّهَا
ما أَتَعَسَ الزَّمَنَ الْجَدِيدَ بِفِتْنِيَةٍ
قَلْبٌ كَقَرْطِ الْغَانِيَاتِ مُفَزَّعٌ
عاشوا صعاليكَ الحياةِ وليَتَهم
أَبَقْتُ لِيَالِي الْأُنْسِ مِنْ أَخْلَاقِهِمْ
أَعْرَاضُ سُمٍّْ لِلشُّعُوبِ وَشِيكَ^{١٤}
قَتَلُوهُ فِي التَّصْفِيفِ وَالتَّدْلِيكِ!^{١٥}
وإِرَادَةٌ مِنْ حَايِرَةٍ وَشُكُوكِ^{١٦}
فازوا بِصِدْقِ عَزِيمَةِ الصُّعْلُوكِ!
فَزَعُ النِّعَامَةِ وَازْدِهَاءِ الدِيكِ^{١٧}

* * *

بَارِيْسُ هَالَتْكَ الدَّمَاءُ غَزِيرَةٌ
خِفْتُ الْقَذَائِفَ أَنْ تَهْدَّ مَعَالِمًا
ما كَانَ أَحْرَى لَوْ دُكِّكْتَ إِلَى الثَّرَى
ما بُرِّجُ «إَيْفَل» حِينَ يَسْلُمُ مَانِعٌ
لو طَالَ صَبْرُكَ فِي الْمَكَارِهِ سَاعَةً
إِنَّ الَّذِي خَلَقَ الْكِرَامَةَ صَانِهَا
بَيْنَ الْمَهَانَةِ وَالْمَعَزَّةِ خُطُوَّةٌ
شَتَانٌ بَيْنَ فِتْنَى يَمُوتُ مَجَالِدًا
شَتَى أَسَالِيْبُ الْحَيَاةِ، وَلَا أَرَى
سِرُّ الْبَطُولَةِ فِي الشَّدَائِدِ جُرْأَةً
قَدْ كُنْتَ فِي «السَّبْعِينَ» أَكْرَمَ مَوْقِفًا
فَسَقَطْتَ بَيْنَ نِصَالٍ جَزَّارِيكِ!^{١٨}
فَتَهَدَّمِ التَّارِيخُ فِي أَيْدِيكِ!
وَتَرَكْتَ ذِكْرًا لَيْسَ بِالْمَدْكُوكِ!^{١٩}
هَمْسًا يَطْنُ غَدًا بِأُذُنِ بَنِيكَ^{٢٠}
لَرَأَيْتِ أَنَّ الْمَوْتَ قَدْ يُنْجِيكِ
بِالسَّيْفِ يَمْحُو رَأْيَ كُلِّ أَفِيكِ^{٢١}
فَإِذَا ضَلَلْتِ فَقَلَّ مَنْ يَهْدِيكِ^{٢٢}
وَفَتَى يَمُوتُ بِجُرْعَةِ «الْفِينِيكِ»!^{٢٣}
لِلْمَجْدِ غَيْرَ طَرِيقِهِ الْمَسْلُوكِ^{٢٤}
سَيَّانٍ: تَفْرِي الْخُطْبَ أَمْ يَفْرِيكِ^{٢٥}
وَالْغَانِيَاتُ بِشَعْرِهَا تَفْدِيكِ^{٢٦}

* * *

بَارِيْسُ قَدْ ضُرِبَ الثَّبَاتُ بِلَنْدُنْ
عَبَسْتُ لَهُمْ «دَنْكِرُ» فَاقْتَحَمُوا الرَّدَى
وَاسْتَقْبَلُوا نُوبَ الزَّمَانِ ضَرَاغِمًا
جَعَلُوا الْهَزَائِمَ سُلْمًا، فَتَسَلَّقُوا
أَصْلَتْهُمْ الْهَيْجَاءُ نَارَ جَحِيمِهَا
لَوْ أَنَّهُمْ وَهَنُوا لَزَالَتْ رِيحُهُمْ
مَثَلًا إِلَى أَمْثَالِهِ يَدْعُوكِ^{٢٧}
وَمَشَوْا بِوَجْهِهِ لِلْمَنُونِ ضُحُوكِ^{٢٨}
لَمَا تَخَلَّفَ عَاهِلُ «الْبَلْجِيكِ»^{٢٩}
لِلنَّصْرِ فَوْقَ جَمَاجِمٍ وَتَرِيكِ^{٣٠}
فَتَخَلَّصُوا كَالْعَسْجِدِ الْمَسْبُوكِ^{٣١}
وَقَضُّوا عَبِيدَ الذُّلِّ وَالتَّفَكِيكِ^{٣٢}

ولمّا رمى «شَرُّ بُرْجٍ» منهم جَحْفَلٌ
ولمّا رأت «روما» طلائعَ نجدةٍ
ولمّا مضى «روميلٌ» يلعقُ جُرْحَه
ولمّا جرت في البحرِ تخطرُ سَفْنُهُم
في مَأْزِقِ كَفَمِ الليوثِ ضَنِيكَ^{٣٢}
تشرى المحامدُ بالدمِ المسفوكِ^{٣٣}
ويجرُّ ذيلَ العائِرِ المفلوكِ^{٣٤}
من آخرِ «الهادي» إلى «البلطيك»^{٣٥}

* * *

باريس - والذكرى جحيماً - فانظري
وتذكري ماضيك فهو مجادة
يا أم «هوجو» كلُّ شِعْرِ يَرْتَجِي
أشعلتِ مصباحَ الفنون فأشرقَت
فيكِ الثقافةُ بالمجانةِ تلتقي
يا كعبةَ الدنيا، ويا نادي الهوى
أترى البلايلُ لا تزالُ صَوادِحاً
والغانياتُ؟ أفرَّعتْ أسرابُها
طلَّعتْ عليكِ مع الصباحِ فوارسُ
طاحوا بقيدِكَ في الهواء، وكم لها
وجنودُك الأحرارُ تستبِقُ الخطأ
فتفرِّقُ الأعداءَ عَنْكَ بَدَائِداً
سُبْحانَ من لا حُكْمَ إِلَّا حُكْمُهُ
عُودي إلى ظِلِّ السلامِ وأشرقِي
واستقبلي الدنيا جديداً واعلمي
قَدْرُ الإلهِ إذا كَرِهَتْ لِقَاءَه
نحوَ السماءِ لعلَّها تُنسيكِ^{٣٦}
قد كان أستاذُ الورى ماضيك^{٣٧}
لو كان يُلقَى وَحْيَه من فيك^{٣٨}
بضياته الأيامُ بعد خُلوكِ^{٣٩}
ماذا أقولُ وكُلُّ شيءٍ فيكِ؟^{٤٠}
الآنَ كيفَ الحالُ في ناديكِ؟^{٤١}
أم راعها الغربانُ في واديكِ؟^{٤٢}
وتفرَّقَ السُّمارُ عن شاديكِ؟^{٤٣}
ومشى الغريمُ لحقه المتركِ^{٤٤}
مننً على المأسورِ والمملوكِ؟^{٤٥}
لتردَّ صفعَتها إلى غازيكِ^{٤٦}
والطعنُ فوقَ قفاهم المصكوكِ^{٤٧}
يُمضِي إرادته بغير شريك
كالشمسِ تعلو الأفقَ بعد دُلوكِ^{٤٨}
أنَّ الأسَى والحزنَ لا يُجديكَ
فلعلَّ في عُقباه ما يُرضيكِ^{٤٩}

هوامش

- (١) القريض: الشعر. والهأ: مستجيراً حزيناً جزعاً.
- (٢) نهكتك: أتعبتك. داهية الخطوب: الأمور الشديدة. حشاة البطن، بقية الروح. المنهوك: المكدود، التعب.
- (٣) النوك: الحمقى.

- (٤) جبرية: التجبر والكبرياء. وفتوك: القتل غيلة.
- (٥) كالمنون: كالموت. محجب: مستور. عات: متكبر مجاوز للحد. مهتوك: مقطوع، مفضوح.
- (٦) دامية: الشجة تدمى ولا تسيل. القنا: الرماح. المشكوك: الداخل في الجسم.
- (٧) بيتان ولا فال: قائدان فرنسيان لجيوش الحلفاء (إنجلترا وفرنسا وأمريكا) في الحرب العالمية الثانية ضد دولتي المحور (ألمانيا وإيطاليا).
- (٨) عسف: ظلم. دون: أقل.
- (٩) الحماة: الذين يدافعون عن حماك. للردى: للموت.
- (١٠) الزؤام: الكريه. أدبروا: فروا.
- (١١) ضارعة: متوسلة. مبتهلة داعية.
- (١٢) غلاً: حقداً وكراهية. يرديك: يغتالك ويهلكك.
- (١٣) نعت: جاء خبر موتك (هزيمتك). شبت: توقدت. أصلي: أحرقت. بحرهما: بحرارتها. ناعيك: الذي جاء بخبر سقوطك وهزيمتك.
- (١٤) وشيك: سريع الحدوث.
- (١٥) قتلوه: قضوا عليه والمقصود أضعوا وقتهم. التصفيف: تنظيم الشعر. التدليك: ذلك الجسم بالطيب.
- (١٦) قرط: ما تتحلى به النساء ويوضع في شحمة الأذن. مفزع: خائف.
- (١٧) ازدهاء: افتخار.
- (١٨) هالتك: أفزعتك. نصال: جمع نصل وهو حد السكين.
- (١٩) أخرى: أجدى. دككت: سويت بالأرض.
- (٢٠) برج إيفل: هو برج عظيم وأحد معالم باريس. يطن: يسمع (والطنين صوت الذباب).
- (٢١) أفيك: كاذب فاسد الرأي.
- (٢٢) ضللت: بعدت عن الرشاد.
- (٢٣) مجالداً: مجاهداً ومقاوماً. جرة: كمية صغيرة. الفينيك: سائل مطهر مبيد. ويموت بجرة الفينيك يقصد يموت منتحراً.
- (٢٤) شتى: كثيرة. أساليب: طرق. المسلك: السائر فيه.
- (٢٥) سيان: يستوي. تفري: تقطع وتمحو. الخطب: الشدة.

- (٢٦) السبعين: حرب السبعين الشهيرة.
- (٢٧) دانرك: مدينة ساحلية بفرنسا تجاه إنجلترا اشتهرت بمعركة انسحاب جيوش الحلفاء (إنجلترا وفرنسا) من فرنسا إلى إنجلترا في الحرب العالمية الثانية.
- (٢٨) نوب: مصائب. ضراغماً: أسوداً. عاهل البلجيكي: ملك بلجيكا.
- (٢٩) تريك: جمع تريكة وهي خوذة لوقاية الرأس في الحرب.
- (٣٠) أصلتهم: أصابتهم. الهيجاء: الحرب. العسجد: الذهب. المسبوك: المذاب.
- (٣١) وهنوا: ضعفوا. زالت ريحهم: هزموا. قضوا: حكم عليهم. التفكيك: التفرق.
- (٣٢) شربرج: قائد في الحرب العالمية الثانية. الليوث: الأسود. ضنيك: ضيق.
- (٣٣) تشري: تشتري. المحامد: الخصال الحميدة.
- (٣٤) روميل: قائد ألماني شهير هزم في معركة العلمين الحاسمة في الحرب العالمية الثانية. يلعق: يلحس. العاثر: الساقط المهزوم. المفلوك: البائس المسكين.
- (٣٥) تخطر: تسير متبخرة. الهادي: المحيط الهادي. البلطيك: بحر البلطيك.
- (٣٦) جحيم: نار عظيمة.
- (٣٧) مجادة: مجد وشرف. الوري: الخلق.
- (٣٨) هوجو: فيكتور هوجو شاعر فرنسي عظيم وصاحب قصة البؤساء الشهيرة.
- يرتجي: يأمل فيه. يلقي وحيه: يستقبل ويأخذ إلهامه. من فيك: من فمك.
- (٣٩) أشعلت: أشرت. حلوك: ظلام.
- (٤٠) المجانة: اللهو.
- (٤١) يا كعبة الدنيا: يا مقصد كل العالم.
- (٤٢) صوادحاً: مغردات بصوت جميل. الغربان: طيور سوداء صوتها مزعج وشكلها مقبض.
- (٤٣) أسرابها: جماعات. السمار: المتحدثون ليلاً للتسلية.
- (٤٤) الغريم: المقصود جيوش الحلفاء التي هاجمت أوروبا بعد هزيمتها في دنرك وحاربت الألمان وهزمتهم، وخلصت فرنسا ودول أوروبا الغربية من الاحتلال.
- (٤٥) منن: أيادي بيضاء.
- (٤٦) جنودك الأحرار: يقصد جيشها الحر الذي كونه الجنرال ديجول لمحاربة الألمان. غازيك: محتك وهم الألمان.
- (٤٧) المصكوك: المضروب.

ديوان علي الجارم

(٤٨) دلوك: زوال وغروب.

(٤٩) عقباه: آخرته.

مُعاهدة ١٩٣٦

نُشرت بالعدد الثالث من السنة الثالثة لمجلة دار العلوم عام ١٩٣٧م

تقديم

يصدر هذا الجزء من صحيفة دار العلوم، وقد حقق الله لمصر ما كانت ترجوه، وتجاهد في سبيله جهاد الكمأة في حومة الوغى — ألا وهو الاستقلال الذي كانت تصبو إليه النفوس وتتجه الأمال — وانتهى ذلك الكفاح، الذي طال أمده بين دولة قوية تملأ جنودها البر وسفنها البحر وطيرانها الفضاء، وبين مصر الفتية الناهضة، التي لم يكن لأبنائها من عدة، سوى ما يعمر قلوبهم من إيمان ثابت وعقيدة راسخة بأن من حقهم الطبيعي أن يعيشوا أحرارًا، كما خلقهم الله أحرارًا، أو يموتوا كرامًا بين طعن القنا وخفق البنود. ففي سبيل مصر تلك الدماء الزكية التي خضبت الأرض، وفي ذمة الله تلك الأرواح الطاهرة، التي قدمها شباب الوادي فداء للوطن العزيز.

لقد استقلت مصر فشملها الفرح وعمها السرور، ولم ينس أبنائها الأمجاد — وهم في نشوة النصر — ما للزعماء عليهم من حق، فقاموا يتناقشون في صنوف التكريم، ويتخذون مظاهر شتى لتقديرهم، والاعتراف لهم بكل ما قدموا من خير لبلادهم.

^١ وهي اتفاقية «مونتر» التي أبرمها مصطفى النحاس باشا، عندما كان رئيسًا لوزراء مصر عام ١٩٣٦م. بين مصر وإنجلترا ثم قام بإلغائها عندما كان رئيسًا لوزراء مصر عام ١٩٥١م.

وكان من أروع حفلات التكريم، تلك الحفلة التي أقامها الموظفون لحضرة صاحب المقام الرفيع الرئيس الجليل مصطفى النحاس باشا وصحبه المخلصين، الذين أبلوا في سبيل الاستقلال بلاءً حسنًا، فقد جمعت الحفلة جمهرة من خيرة المثقفين في مصر، وكان لأبناء دار العلوم حظ في اشتراك جمهورهم فيها، وكان لشاعرهم الفذ، الأستاذ علي الجارم بك، المفتش الأول للغة العربية في وزارة المعارف قصيدة من أمهات القصائد، عبر فيها عما يكون بين جوانحهم من وطنية صادقة، وتقدير للعاملين لخير الوطن من رجالات مصر، وإن مصر لتبدأ هذا العهد الجديد بقلب فتي وهمة وثابة، وهي ترقب من جميع أبنائها أن يشدوا العزائم، ويؤدوا للوطن ما يرفع شأنه ويعلي مكانته.

وإننا — معشر المعلمين — لنعاهد الوطن على أن نسير في إعداد الجيل الحاضر إعدادًا أساسه التفاني في حب الوطن والإخلاص لأمله والعمل لخيرهم جميعًا.

وهذه قصيدة صاحب العزة الأستاذ الكبير علي الجارم بك ننشرها في صدر الصحيفة:

أَبْتُ أَعْلَامُ مَجْدِكَ أَنْ تُسَامَى	وَعَزَّتْ هِمَّةُ لِكَ أَنْ تُرَامَا ^١
تُحَلِّقُ لِلنَّجُومِ فَتَعْتَلِيهَا	وَتَبْغِي فَوْقَ دَارَتِهَا مَقَامَا ^٢
بَعَثْتَ الشَّرْقَ يَبْسُطُ سَاعِدِيهِ	وَيَمْسَحُ عَنْ مَحَاجِرِهِ الْمَنَامَا ^٣
تَمَرُّ بِصَخْرِهِ الْأَهْوَالُ حَسْرَى	وَتَخْشَى الْحَادِثَاتُ بِهِ اصْطِدَامَا
وَصَارَتْ مِصْرٌ قَبْلَةَ كُلِّ شَعْبٍ	وَقَامَ الْمِصْطَفَى فِيهَا إِمَامَا
عَلَى دِينَ مِنَ الْأَخْلَاقِ سَمَحٍ	وَرَأَى سَاطِعٍ يَمْحُو الظَّلَامَا
وَعَزَمَ لَوْ رَمَى جَنَبَاتِ رِضْوَى	لَدُكَ الطَّوْدُ وَانْهَدَمَ انْهَدَامَا
تَطُوفُ بِهِ الْحَوَادِثُ صَاغِرَاتٍ	فَتَغْضِي أَعْيُنًا وَتَخْرُ هَامَا ^٤
نِضَاهُ اللَّهُ يَوْمَ نِضَاهُ عِضْبًا	يَرُدُّ مِضَاؤُهُ الْجَيْشَ اللَّهَامَا ^٥
يُصَاحِبُهُ مِنَ الْإِيمَانِ قَلْبٌ	وَنَصْرُ اللَّهِ يَتْبَعُهُ لِرَامَا
وَيَضُقُّهُ الصَّدَامُ الْمُرُّ حَتَّى	ظَنَّنَا أَنَّهُ يَهْوَى الصَّدَامَا
وَكَمْ فِي النَّاسِ مِنْ سَيْفٍ صَقِيلٍ	تَرَاهُ — إِذَا دَعَا الدَّاعِي — كَهَامَا ^٦

نَهَضْتَ بِمَطْلَبٍ وَعَرَّ جَسِيمٍ فَنِلْتَ بَنِيْلِهِ الشَّرَفَ الْجُسَامَا

تَخَوُّضٌ لَهُ الصِّعَابِ الصُّمَّ خَوْضًا وَتَقْتَحِمُ الْخُطُوبَ لَهُ اقْتِحَامًا
وَتَزَارُ دُونَهُ زَارَ ابْنِ غَابٍ أَبِي أَنْ يُسَاوِمَ أَوْ يُسَامَا^٨
وَمَنْ كَالْمَصْطَفَى لِلْحَقِّ رَدًّا إِذَا الرَّعِيدُ دُونَ الْحَقِّ نَامَا؟^٩
وَمَنْ طَلَبَ الْعُلَا فِي اللَّهِ أَلْقَى إِلَيْهِ شَامِسُ الدَّهْرِ الزُّمَامَا^{١٠}

جَفَا الدُّنْيَا، وَهَامَ بِحُبِّ مِصْرٍ هُيَامًا أَلْهَمَ الصَّبَّ الْهِيَامَا^{١١}
تَلَوْدُ بِهِ، فَيَكْلُوهَا كَرِيمًا وَتَرْجُوهُ، فَيَنْصُرُهَا هُمَامَا^{١٢}
وَيَنْفَحُ دُونَهَا فِي الْحَقِّ سَيْفًا وَيَهْمِي فِي مَرَابِعِهَا غَمَامَا^{١٣}
مَحَامِدُ، لَوْ حَوَاهَا الشَّعْرُ رَقَّتْ حَوَاشِي الشَّعْرِ، وَانْسَجَمَ انْسَجَامَا
وَأَمَالُ، يُتَوَجُّ مُبْتَغَاهَا تَمَامُ، عَلَّمَ الْبَدْرَ التَّمَامَا
لَقَدْ ضَاقَ الْحَسُودُ بِمَا يُلَاقِي وَمَنْ ذَا يَكْشِفُ الدَّاءَ الْعُقَامَا؟^{١٤}
وَمَا عَيْبُ الضِّيَاءِ وَقَدْ تَجَلَّى إِذَا عَمِيَ الْمُكَابِرُ، أَوْ تَعَامَى؟
إِذَا اعْتَصَمَتْ بِحَبْلِ اللَّهِ نَفْسُ دَنَا الْغَرَضُ الْبَعِيدُ وَقَدْ تَرَامَى^{١٥}
وَذَلَّتِ السَّبِيلُ، وَذَانَ طَوْعًا مِنْ الْأَمَالِ أَصْعَبُهَا مَرَامَا^{١٦}
وَمِنْ كَرَمِ النُّفُوسِ تَرَى نُضَارًا وَمَنْ هَوْنُ النُّفُوسِ تَرَى رُغَامَا^{١٧}
وَرُبَّ فَتَى كَصَدْرِ الرُّمَحِ صُلْبٍ وَآخِرَ خَائِرٍ يَحْكِي التُّمَامَا^{١٨}
وَمَنْ خَلَقَ الضَّرَاعِمَ وَاثْبَاتِ إِلَى عَزَمَاتِهَا خَلَقَ النَّعَامَا!^{١٩}
زَعِيمِ الشَّعْبِ، أَنْتَ لَهُ رَجَاءُ إِذَا مَا أَشْجَعَ الْأَبْطَالِ خَامَا^{٢٠}
دَعَتْ مِصْرُ، فَكُنْتَ لَهَا جَوَابًا وَكُنْتَ لِصَوْنٍ وَحَدَّثَهَا عِصَامَا^{٢١}
رَغَيْتَ حَقُوقَهَا وَدَفَعْتَ عَنْهَا وَمَنْ كَالْمَصْطَفَى يَرْعَى الذُّمَامَا؟^{٢٢}
وَحَامَتِ حَوْلَكَ الْأَمَالُ نَشْوَى كَطِيرٍ دَفَّ فِي رَوْضٍ وَحَامَا^{٢٣}
وَأَصْبَحَ عَهْدُكَ الزَّاهِي سَلَامًا يَرِفُ فَلَا نِفَارَ وَلَا خِصَامَا^{٢٤}
تَوَطَّدْتَ الْعَقِيدَةُ وَاطْمَأْنَنْتَ فَلَا صَدْعًا نَخَافُ وَلَا انْقِسَامَا^{٢٥}
وَعَادَ لِمِصْرٍ مَاضِيهَا مَجِيدًا وَقَامَ الْعَدْلُ فِي مِصْرٍ قِيَامَا
بَنَيْتَ فَكَانَ حِينَ بَنَيْتَ أَسَا وَأَرْسَيْتَ الْقَوَاعِدَ وَالِدُّعَامَا^{٢٦}
رَأَيْتَ لِكُلِّ مَمْلَكَةٍ نِظَامًا وَلَا كَالْعَدْلِ فِي الدُّنْيَا نِظَامَا

وَكُنْتُ لِفَوْزِ دَعْوَتِهِ قَوَامًا ^{٢٧}	رَعَاكَ اللَّهُ، قَدْ أَرْضَيْتَ سَعْدًا
وَيَنْفُتُ فِيكَ رَأْيًا وَاعْتِزَامًا ^{٢٨}	يُمِدُّكَ مِنْهُ رُوحٌ عَبْقَرِيٌّ
إِلَى أَنْ يَبْلُغَ الْمَجْدُ السَّنَامَا ^{٢٩}	خَلِيفَتُهُ، وَقَائِدُ تَابِعِيهِ
عَلَيْكَ وَتَمَلُّ الدُّنْيَا ابْتِسَامَا	تُرْفَرُفُ رُوحُ سَعْدٍ مِنْ عَلاهَا
تُقَاسِي وَغَرَهَا عَامًا فَعَامًا ^{٣٠}	سَلَكْتَ سَبِيلَهُ شَبْرًا فَشَبْرًا
أَمَاءَ خُضْتَ فِيهِ، أَمْ ضِرَامَا ^{٣١}	تُلَاقِيكَ الصُّعَابُ فَلَا تُبَالِي
وَلَا حَطَمْتَ لَكَ الدُّنْيَا سِهَامَا ^{٣٢}	فَمَا ثَلَمْتَ لَكَ الْأَحَادُثَ سَيْفًا
فَلَسْتَ تَرَى لِعُقْدَتِهِ انْفِصَامَا ^{٣٣}	وَمَنْ عَقَدَ الْإِلَهُ لَهُ لَوَاءً

عَيُوفٍ أَنْ يُضَيِّمَ وَأَنْ يُضَامَا ^{٣٤}	وَحَوْلَكَ مِنْ صَحَابِكَ كُلِّ نَذْبٍ
وِعَاصِفَةً، إِذَا مَا الْجَوُّ غَامَا ^{٣٥}	نَسِيمٌ خَمِيلَةٍ، وَالْجَوُّ صَحْوٌ
إِذَا لَمْ يُلَفَّ سَبَاقُ أَمَامَا ^{٣٦}	يَسِيرُ لِقَضِيهِ النَّائِي إِمَامَا
عَبِيرَ الْمَسْكِ أَوْ رِيحَ الْخَزَامِي ^{٣٧}	شَمَائِلُ لَوْ وَعَاهَا الْحَسُّ كَانَتْ
مَقَامٌ لَا يُنَالُ وَلَا يُسَامَى ^{٣٨} !	صَحَابُ الْمَصْطَفَى وَرَجَالُ سَعْدٍ

أَبِيًّا، قَادَ أَبْطَالًا كِرَامًا ^{٣٩}	نَزَلْتَ بِلُنْدُنْ، فَرَأَوْا كَرِيمًا
وَسَحْبَانًا، إِذَا ارْتَجَلَ الْكَلَامَا ^{٤٠}	بَلِيغًا صَمْتُهُ، وَالصَّمْتُ حَزْمٌ
وَكَمْ عَنْ حُجَّةٍ كَشَفَ اللَّثَامَا ^{٤١}	فَكَمْ فِي غُمَّةٍ أَلْقَى ضِيَاءً
يَلُودُ بِهِ اعْتِزَاذَا وَاعْتِصَامَا ^{٤٢}	لَهُ مِنْ قُوَّةِ الرَّحْمَنِ رُكْنٌ
وَكَانُوا خَيْرَ مَنْ قَدَرَ الْأَنَامَا ^{٤٣}	رَأَوْا كَرَمَ النُّضَالِ فَأَكْبَرُوهُ
وَطَوَّحَتِ الْمَقَاوِدَ وَالْخَطَامَا ^{٤٤}	وَنَالَتْ مِصْرَ الْإِسْتِقْلَالَ طَلْقًا
وَكَانَ الْهَمْسُ فِي سِرِّ حَرَامَا	وَصَارَ الْقَوْلُ فِي جَهْرٍ حَلَالًا
وَلَا بَلَّتْ مِنَ الْأَمَلِ الْأَوَامَا ^{٤٥}	وَلَوْلَا الْمَصْطَفَى لَمْ تَحْظَ مِصْرُ

مُعَاهِدَةُ الصَّدَاقَةِ وَالتَّآخِي	غَدَتْ لَجُهُودِكَ الْعُظْمَى وَسَامَا
رَفَعْتَ بِهَا عَنِ الْأَعْنَاقِ نِيرًا	وَمَزَّقْتَ الْغَمَائِمَ وَالْكَمَامَا ^٦
وَسَابَقْتَ الْمَمَالِكَ مِصْرُ وَثُبًا	إِلَّامَ تَظَلُّ وَاْنِيَّةً إِلَّا مَا؟ ^٧
تَعَالَى اللَّهُ هَذَا فَضْلُ رَبِّي	كَشَفْتَ بِهِ عَنِ الْفَتْحِ الْقَتَامَا ^٨
وَكُلُّ عَظَائِمِ التَّارِيخِ رَهْنٌ	إِلَى أَنْ يَسْتَخِيرَ لَهَا الْعِظَامَا ^٩
وَلَا يَحْظَى بَنِيْلُ الْمَجْدِ إِلَّا	فَتَى هَجَرَ الْمَلَالَةَ وَالسَّامَا ^{١٠}
سِجْلُ الْفَضْلِ كُنْتُ لَهُ ابْتِدَاءٌ	وَصُحْفُ النَّبْلِ كُنْتُ لَهَا خِتَامَا
صِفَاتُكَ أَعْجَزَتْ شِعْرِي، وَفَخِرُ	لِمِثْلِي أَنْ يَلِمَ بِهَا لِمَامَا ^{١١}
بَقِيَتْ لَصَرْحِ الْاِسْتِقْلَالِ رُكْنًا	وَدُمْتُ لِرَفْعِ رَايَتِهِ، وَدَامَا ^{١٢}

هوامش

- (١) تسامى: تصل إلى مستواها في الرفعة والسمو. ترامى: يريدها وينالها أحد.
- (٢) تحلق: تصل إلى علو النجوم.
- (٣) يبسط: يمد. محاجره: كناية عن عيونه.
- (٤) رضوى: جبل شهير بالحجاز. الطود: الجبل العظيم.
- (٥) تغضي: يخفض من نظره فلا يتمكن من الرؤيا. تحر: تسقط وتنكسر. هاما:

قمم.

- (٦) نضاه: جرده من قرابه. عضبا: كناية عن القوة. مضأؤه: سلاحه الحاد.
- (٧) صقيل: مصقول، قوي حاد. كهاما: كناية عن التفتت والاندثار.
- (٨) زأر: الزئير صياح الأسد. ابن غاب: الأسد.
- (٩) ردءًا: مدافعًا وحاميًا. الرعيد: الجبان.
- (١٠) شامس: الصعب. الزماما: المقود.
- (١١) جفا: خاصمها. الصب: المحب.
- (١٢) تلون به: تلجأ إليه. فيكلؤها: يرهاها.
- (١٣) ينفح عنها: يدفع عنها الأذى. يهمي: يمطر: مرابعها: ربوعها. غماما: مطرًا.

- (١٤) الداء العقاما: المرض شديد الخطر العسير على الشفاء.
- (١٥) ترامى: بعد.
- (١٦) السبيل: الطريق. دان: قرب. طوعًا: طائعا. مراما: هدفًا وغاية.
- (١٧) نضارا: ذهبًا. رغامًا: ترابًا.
- (١٨) صدر الرمح: أول شيء في الرمح. خائر ضعيف. يحكي: يشابه. الثمام: نبت ضعيف له حوض أو شبيهه بالحوض.
- (١٩) الضراغم: الأسود.
- (٢٠) خاما: مثل الخامة من الزرع تميلها الريح مرة هكذا ومرة هكذا أي: صيرته ضعيفًا.
- (٢١) عصاما: ما يعتصم به وملجأ وملاد لهم.
- (٢٢) الذمام: الحرمة.
- (٢٣) دف في روض وحاما: هبط وقرب من الأرض وطار وعلا في السماء.
- (٢٤) يرف: يتفق. نفار: نفار وكره.
- (٢٥) توطدت: زادت تماسكًا. صدعا: انشقاقًا.
- (٢٦) أسسا: أساسًا. الدعاما: ما يدعم ويثبت به.
- (٢٧) قواما: عمادًا.
- (٢٨) ينفث: يبث.
- (٢٩) السناما: أعلا الشيء.
- (٣٠) وعرها: طريقها الصعب غير الممهّد.
- (٣١) ضراما: نارًا.
- (٣٢) ثلمت: انكسر من حده شيء.
- (٣٣) اللواء: العلم. انقصام: تحل عقده.
- (٣٤) ندب: خفيف وسريع في تلبية الحاجة. عيوف: مسارع في عمل الخير. يظيم: يظلم.
- (٣٥) غاما: كثير الغيوم.
- (٣٦) يلف: يجد.
- (٣٧) شمائل: صفات حميدة. عير: رائحة المسك: نبات طيب الرائحة. ريح الخزامى: ريح باردة مشهورة عند العرب.

- (٣٨) مقام: مكانة عالية. لا يسامى: لا يرتفع ولا يصل إليه.
- (٣٩) أَيْبًا: يَأْبَى فعل الصغائر.
- (٤٠) سحبان: من أشهر خطباء العرب البلغاء.
- (٤١) غمة: كريمة. حجة: برهان.
- (٤٢) يلون به: يلجأ إليه.
- (٤٣) الأثاما: الناس.
- (٤٤) طلقًا: بدون قيود. طوحت: رمت بعيدًا. الخطاما: الزمام.
- (٤٥) الأوام: شدة العطش.
- (٤٦) نيرًا: ظلمًا.
- (٤٧) وائية: متكاسلة ومتباطئة.
- (٤٨) القتّام: الغبار.
- (٤٩) رهن: مرهونة. يستخير. يختار. العظاما: عظماء الرجال.
- (٥٠) السّاما: النفور من الملل.
- (٥١) يلم بها لاما: يحيط بها إحاطة سريعة.
- (٥٢) صرح: بناء عظيم قوي. رايته: علمه.